
بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والشكر وبه نستعين







بحوثُ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الثَّاني

عَن سيِّدةِ نساءِ العَالمينَ فاطِمَة الزَّهراء عليها السلام

بشعار

فاطمة الزهراء عليها السلام

ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ وَشَجَرَةُ الإِمَامَةِ

الجزءُ الثَّاني

بِرِعَايَةِ العَتَبَتَيْنِ الحُسَيْنِيَّةِ وَالعَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَتَيْنِ

بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى ولادَتِها المباركة عليها السلام

أَقامهُ قِسْمُ الشُّؤُونِ الْفِكْرِيَّةِ في مَقامِ مُعْجِزَةِ رَدِّ الشَّمْسِ

لِلْإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب عليه السلام

بِالتَّعَاوُنِ مَعَ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ / جَامِعَةِ بَابِلَ

وَمَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ التَّابِعِ لِلعَتَبَةِ العَبَّاسِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

مِنْ ١٨-١٩ جُمَادَى الآخِرَةَ ١٤٤٤هـ/ ١١-١٢ كانون الثاني ٢٠٢٣م

المُشْرِفُ العَامُّ عَبْدُ الرَّسُولِ المُوسَوِيُّ

العِرَاقُ/ بَابِل

الحِلَّة مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ والْعُلَمَاءِ

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة
مركز تراث الحِلَّة

موبايل: 009647602320073
E-mail: hilla@alkafeel.net

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في مقام معجزة ردِّ الشمس. المؤتمر العلميّ الدوليّ عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام (الثاني : ٢٠٢٣ : بابل، العراق)، مؤلِّف.

بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام : بشعار فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة. الجزء الثاني / أقامه قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة بالتعاون مع كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة بابل ومركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدسة.-الطبعة الأولى.- الحِلَّة، العراق : قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ١٤٤٥ هـ. = ٢٠٢٣.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

١. فاطمة الزَّهراء، فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله عليها السلام، ٨ قبل الهجرة-١١هجريّ--مؤتمرات. أ. العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة، مؤلِّف. ب. جامعة بابل (العراق). كليَّة العلوم الإسلاميَّة، مؤلِّف. ج. العنوان.

LCC : BP80.F36 . A833 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

فهرسة أثناء النشر

٢/٩٠١

ح/ مركز تراث الحِلَّة - قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة -
العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين
فاطمة الزَّهراء عليها السلام
الحلَّة/ مركز تراث الحِلَّة/ العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة
E-mail: hilla@alkafeel.net
١٧,٥ × ٢٤سم
بحوث - دراسات

م/ و
٢٧٧٨/ ٢٠٢٣م

المكتبة الوطنيَّة/ الفهرسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٨) لسنة ٢٠٢٣م

الكتاب: بحوث المؤتمر العلميّ الدوليّ الثاني عن سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام. بشعار: فاطمة الزَّهراء ثمرة النبوَّة وشجرة الإمامة (الجزء الثاني).

جهة الإصدار: العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة.

الطَّبعة: الأُولى. المطبعة: دار الكفيل للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع.

سنة الطَّبع: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

(فاطمة أمُّ أبيها) مفردةٌ عفويَّة أم مكانة نبويَّة
منهج وصفيّ

الباحث محمَّد حسن المولى
العتبة العبَّاسيَّة المقَّدسة
قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة وأزكى التَّسليم على حبيب إله العالمين النبيّ المصطفى الأمين وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى بقيَّة الله في الأرَضين وجدَّته الصدِّيقة الكبرى صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبنائها أجمعين.

إنَّ الألفاظ التي تُطلَق عادةً بين الناس تصنع في أذهانهم تصوُّرات لمعاني عدَّة، وأحيانًا ترسم تلك الكلمة مضامين عديدة وكبيرة إن قالها بعض الأفراد في المجتمع، كأن يقول أحدهم: أنت أخ لم تلده لي أمِّي، أو أنت ابني من صلب فلان، وغيرها من الألفاظ المجازيَّة والكنايات والكلمات التي ترسم في حدِّ ذاتها معاني عديدة، ولكن في المصداق تجد أغلبها مجازًا ومدحًا ليس إلَّا. ولكن هل هذه العادة السائدة بين الناس يفعلها المعصوم أيضًا؟.

يعتقد المسلمون بالإجماع أنَّ النبيَّ الأكرمﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنَّ كلَّ ما يقوله هو وحيٌ يوحى إليه، بالاستناد إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ (النجم: ٣)، وهذا بات حتميًّا عند جميع الفِرق الإسلاميَّة، ولكن هل ينطبق ذلك الحكم على كلام

النبيِّ في بيته؟ بحديثه مع أبنائه وأسباطه وزوجاته، أم أنَّه حكم يطبَّق حين التحدُّث وملاقاة المسلمين؟ وهل كان ذلك اللقب (أمُّ أبيها) هو مفردة عفويَّة كباقي المفردات التي تصدر من عامَّة الناس؟ أم إنَّها مكانة ترتبط بالنبيِّ الأكرم، جاء بها الوحي إلى الرسول؟.

وأترك الإجابة تحفُّظًا وتشوُّقًا لطرحها في البحث، باستنتاجاتٍ تَوصَّلت إليها أوراق البحث، وهي معتمدة على منهجيَّة دقيقة ورصينة، مستعينة بأصحِّ المصادر والمراجع، حاولت قدر الإمكان أن يكون التحليل والنتائج موضوعيَّة بحتة، دون أن تغلب عليها العواطف والاعتقاد، فبدأتها سردًا واستدلالًا من بيان أوَّل استفهام، إلى أن تفرَّعت بمعاني هذه الصفة، راجيًا من الله ﷻ أن يأخذ بيدي لأن أخدم جدَّتي وسيِّدتي، وأن تكون شفيعة لي في الدَّارَين.

المبحث الأوَّل

فاطمة الزَّهراء سيرتها ومكانتها

المطلب الأوَّل: نسبها وولادتها

نسبها

فهي فاطمة بنت محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر، وهو قريش، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]. وأمُّها: خديجة بنت خُوَيْلِد بن أَسَدَ بن عبد العُزَّى بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ولادتها

ولادتها عليها السلام مختلف فيها بعض الشيء، فمنهم من قال إنَّها ولِدت وكان عمر أبيها واحدًا وأربعين عامًا[2]، وقيل إنَّها ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة، ووثَّق هذا الرأي وأيَّده بعض المدارس المخالفة، باستنادهم إلى أنَّ الزَّهراء عليها السلام ولِدت حينما كانت قريش تبني البيت، يوم حكم رسول الإسلام محمَّد بن عبد الله في نزاع حول من يضع الحجر الأسود في مكانه؛ وممَّن يقول بهذا الرأي

(١) جمهرة أنساب العرب، فصل: ولد فهر بن مالك بن النضر لابن حزم، على ويكي مصدر.
(٢) الاستيعاب، ج٤، ص٣٧٤.

الـدولابيّ في كتاب الـذريَّـة الطاهرة، ويـرى بعض من المؤرخين أنَّهـا ولِـدت بعد البعثة بخمسة أعـوام، وممَّـن يميل إلى ذلك الـرأي المجلسيّ والطبرسيّ والكلينيّ والإربـلِّيّ والنيسابوريّ والشيخ الصدوق وابن شهرآشوب وغيرهم، وفي المسألة خلاف.

كانت حياتها عليها السلام حافلة وزاهـرة بالفضائل والـكـرامـات، فهي قـد عانت مـا عانت في حياتها منذ طفولتها، إذ كانت نشأتها بـين قـريـش، وكـانـت ترى بعينها عـداوة القوم لأبيها وأذيَّتهم لـه، فقيل إنَّهـا كانت تعين أبيها على ذلك الأذى الـذي كان يتعرَّض له من قريش، فممَّا يُذكَر أنَّـه كانت أمُّ جميل إمـراة أبي لهب ترمي الـقـاذورات أمـام بيت رسـول الله صلى الله عليه وآله، وكانت قـرَّة عينه الزَّهراء عليها السلام، رغـم صغر سنِّها، وضعف بدنها، تتولَّى أمـر التنظيف ورفـع ما يوضَع أمـام دار أبيها.

تسميتها

هي فاطمة، وقيل إنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الله تعالى فطم من أحبَّها من النار[1]، وروي عن نجيَّة بن إسحاق الفزاريّ قال: حدَّثنا عبد الله بن الحسن بن الحسن قال: قال لي أبو الحسن: لِـمَ سمِّيت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقًا بينه وبين الأسماء، قال: إنَّ ذلك لمن الأسماء، ولكن الاسم الذي سمِّيت به أنَّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوَّج في الأحياء، وأنَّهم يطمعون في وراثة هذا الأمر فيهم من قبله، فلمَّا ولِدت فاطمة سمَّاها الله تبارك وتعالى فاطمة، لما أخرج منها وجعل في ولدها، فقطعهم عمَّا طمعوا، فبهذا سمِّيت فاطمة؛ لأنَّها فطمت طمعهم. ومعنى فطمت: قطعت[2].

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٧٨.
(٢) المصدر نفسه.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام: **لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل فاطمة والصدِّيقة والمباركة والطاهرة والزكيَّة والراضية والمرضيَّة والمحدَّثة والزَّهراء، ثمَّ** قال: **أتدري أي شيء تفسير فاطمة عليها السلام؟** قلت: أخبرني يا سيِّدي، قال: **فُطِمت من الشرِّ**. قال: ثمَّ قال: **لولا أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها، ما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه**[1].

المطلب الثاني: سيرتها في عهد أبيها

المراحل التي مرَّت بها الزَّهراء عليها السلام مع أبيها صلوات الله تعالى عليه كانت قاسية جدًّا عليها؛ لأنَّ الأذى الذي كان يعاني منه النبيّ الاكرم في تلك الفترة لم يكن أمرًا اعتياديًّا، إنَّما كان يتعرَّض صلوات الله عليه إلى أصعب وأشدِّ أنواع الأذى، حتَّى قال: **ما أُوذي نبيّ مثلما أُوذيت**، وكانت عليها السلام هي التي تواجه ذلك الأذى بعطف منها ورعاية لأبيها.

كانت حياة الزَّهراء عليها السلام كلّها في عهد أبيها، فهي لم تعش بعده إلَّا أيَّام معدودات، وانقسمت تلك السيرة المباركة إلى مراحل، تبدأ منذ ولادتها، إذ كانت بعد بعثة أبيها بين قريش والمشركين، وبين الأذى الذي كان يتعرَّض له النبيّ الأكرم صلوات الله عليه، ثمَّ حصارها في شِعب أبي طالب، ومضايقة المشركين لهم، ومقاطعة العرب لهم، كلُّ ذلك الأذى ذاقت مرارته الزَّهراء عليها السلام، حتَّى المرحلة الأصعب التي توفِّي فيها أبو طالب عليه السلام، ووحدة رسول الله ومصابه، وتصبيرها له في تلك الأيَّام، والأصعب من ذلك وفاة أمِّها، وتراكم المحَن عليها، والعام الكامل الذي قضته حزنًا عليها ترك أثرًا نفسيًّا كبيرًا في نفسها؛ إلَّا أنَّ وجود النبيّ الأكرم كان قد ملأ عليها الكون أُنسًا وسعدًا.

---

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٧٨.

هاجرت الزَّهراء عليها السلام إلى يثرب في السنة الأولى من الهجرة، إذ هاجرت مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأمُّهُ فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير وأمُّ أيمن بركة، وقوم من ضعفاء المؤمنين(١)، وقيل إنَّ فاطمة بنت حمزة بن عبد المطَّلب وفاطمة بنت عتبة هاجرنَ معهم(٢)، حتَّى سُمِّيت تلك الهجرة بهجرة الفواطم، واستقرَّت الزَّهراء عند أبيها في المدينة المنوَّرة، حيث داره صلوات الله عليه، حتَّى أمره الله بتزويج النور من النور، ففي السنة الثانية للهجرة تقدَّم أمير المؤمنين عليه السلام لخطبة سيِّدة النساء صوات الله عليها، وزوَّجهما رسول الله في الأوَّل من شهر ذي الحجَّة من نفس ذلك العام، وقد رُوي أنَّ تزويج فاطمة من عليّ كان بأمر من الله، حيث توالى الصحابة على محمَّد لخطبتها، إلَّا أنَّه ردَّهم جميعًا حتَّى أتى الأمر بتزويج فاطمة من عليّ(٣).

وقد وَلَدت له (حسنًا، وحسينًا، ومحسنًا، وزينب، وأمُّ كلثوم)(٤)، كانت هذه اللمحات البسيطة هي غيض من فيض لسيرة سيِّدة نساء العالمين، فهي ليست إلَّا لمحات بسيطة لمراحل سيرتها في عهد أبيها صلوات الله عليهم أجمعين.

المطلب الثالث: فضلها في الإسلام

ومن ناحية الفضيلة، فهي حجَّة الله عزَّ وجلَّ على الخلق وعلى الأئمَّة المعصومين عليهم السلام حتَّى قال في فضلها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خَيْرُ نِساءِ العالَمين أَرْبَع: مَرْيمَ وَآسيَة وَخَديجَة وَفاطِمَة**»(٥)، كان فضلها عليها السلام لا بقربها لأبيها فحسب، إنَّما كان فضلٌ للإسلام بأكمله، من خلال محوَرَين مهمَّين:

(١) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ، ج٨، ص٥٩٥.
(٢) أزواج النبيّ وبناته، الشيخ نجاح الطائيّ، ص٣٩.
(٣) ينظر: في الأسرار الفاطميَّة، محمَّد فاضل المسعوديّ، ج١، ص٢٧٩.
(٤) محمَّد صادق محمَّد (٣١ يناير ٢٠٠٨)، معجم أنصار الحسين، الهاشميُّون، الجز الأوَّل، دائرة المعارف الحسينيَّة.
(٥) الجامع الصغير، ج ١، ح٤١١٢، ص٤٦٩.

المحور الأوَّل: إنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تمثِّل رمز الكمال في الإسلام، وتعتبر أيضًا النموذج المتكامل الذي يعتبر الأسوة والقدوة لأبناء المجتمع، وهذا ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجال كَثِيرُ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النساءِ إِلَّا أَرْبَع: مَرْيم وَآسِيَة وَخَديجة وَفاطِمَة**»[1]، وفي الاقتداء كان رسول الله يعتبر الأسوة الحسنة للمسلمين الرجال، وأمير المؤمنين والحسن والحسين والمعصومين من أبنائهم، إلَّا أنَّ بداية الاسلام كانت تتطلَّب نموذجًا كاملًا ليكون أُسوة صالحة وناجحة في الإسلام، ولم يكُ من الفضليات حينئذ أفضل من الزَّهراء علمًا وفهمًا وعبادةً، أضف إلى ذلك النصوص الشرعيَّة التي جاءت من رسول الله في شأنها وبيان فضلها.

المحور الثاني: كانت تعتبر مصدر ثقة يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روت عليها السلام الكثير من الروايات عن أبيها صلى الله عليه وآله، لملازمتها له من ولادتها إلى شهادة أبيها، واستمرَّت بعدئذ بنشر علومه ودروسه للمتردِّدات عليها من النساء، وأدقُّ ما قرأتُ في هذا الشأن هو ما كتبه الأستاذ عليّ عاشور في كتابه[2].

(١) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجيّ الشافعيّ، ص٥١.

(٢) فاطمة بنت محمَّد قدوة للنساء، عليّ عاشور، دار احياء التراث العربيّ، ٢٠٠٢.

المبحث الثاني

لقبها مفردة عفويَّة أم مكانة نبويَّة؟

المطلب الأوَّل: سبب ذلك اللقب

إنَّ ألقاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وكُناها كثيرة وعديدة، وكلُّ لقب من تلك الألقاب له خاصيَّة مميَّزة، وله أثر وسبب معيَّن، ومن تلك الألقاب (الصدِّيقة: لأنَّها لم تكذب قطُّ، المباركة: لظهور بركتها، الزكيَّة: لأنَّها كانت أزكى أنثى عرفتها البشريَّة، المرضيَّة: لأنَّ الله سيرضيها بمنحها حقَّ الشفاعة، المحدَّثة: لأنَّ الملائكة كانت تحدِّثها، البتول: لأنَّها تبتَّلت عن دماء النساء، الحانية: لأنَّها كانت تحنُّ حنان الأم على أبيها النبي وبعلها وأولادها عليهم السلام والأيتام والمساكين، أمُّ الأئمَّة، الطاهرة، المنصورة، الصادقة، الريحانة، البضعة). كلُّ لقب من هذه الألقاب يعادل بحثًا كاملًا، فهو حتمًا يحمل في مضامينه أسبابًا عظيمة، وكنوزًا وافية.

التصدِّي للقب من الألقاب العظيمة، ودراسته من ناحية السبب والأثر، ليس بالأمر السَّهل، إنَّما هو يحتاج إلى تدقيق وتمحيص منهجيّ، والتزامنا بالبحث في هذا اللقب دون غيره؛ لما يحمله من أسباب عظيمة، ووراء كلِّ سبب موقف أعظم، كان الدافع الأساسيّ لنا والمحرِّك الأوَّل للخوض في هذا المقام، وقد روته كلُّ الفرق والمدراس الإسلاميَّة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أمُّ أبيها**»، وقد روى ذلك الحديث ابن الأثير الجزريّ في أسد الغابة في معرفة الصحابة وابن عبد البرِّ النمريّ في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والسيِّد نور الله التستريّ المرعشيّ في شرح إحقاق الحقِّ وإزهاق

الباطل، وكان يقوم مرحِّبًا بها قائلًا: **أهلًا بأمِّ أبيها**، كما ذُكِر الأسرار الفاطميَّة، محمَّد فاضل المسعوديّ[1]، وروي عن أبي عبد الله جعفر الصادق الإمام السادس عند الشيعة عن أبيه أنَّه قال: «**أنَّ فاطمة كانت تُكنّى أُمّ أبيها**»[2]، وذكر أبو الفرج الأصفهانيّ في كتابه الأغاني: «وكانت أوَّل هاشميَّة تزوَّجها هاشميّ، وهي أمُّ سائر ولد أبي طالب. وأمُّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله. وأمُّها خديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزَّى بن قصيّ، وكانت خديجة تكنَّى أمُّ هند، وكانت فاطمة تكنى أمُّ أبيها[3]

ومن الأسباب الاساسيَّة وراء ذلك اللقب:

* **مراعاتها للنبيّ**: من أهمِّ الأسباب وأوَّلها هي مراعاتها لأبيها عليهما السلام، فهي كانت تراعيه رعاية خاصَّة، ومنذ طفولتها وبداية الإسلام، ومُذ كان يتعرَّض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأذى من قِبَل المشركين والمنافقين، هي كانت المساندة الثالثة بعد أبي طالب وأمّها خديجة، فهي كما ذكرنا آنفًا كانت تزيل الأوساخ والأشواك التي كانت تضعها أمّ جميل زوجة أبي لهب أمام دار النبيّ، وكان حينما يأتي رسول الله مهمومًا ومغمومًا تفرِّج غمَّه وتكشف كربه وتساعده في التخلُّص ممَّا كان يمرُّ به من حزن على قومه، ومن أذيَّة قريش له، فهي في ذلك كانت تمثِّل الأم العطوف على ولدها، ولعلَّه كان سببًا في انطباق ذلك اللقب عليها، غير أنَّ شعور النبيّ بعطفها هو ما جعله يعبِّر عن ذلك اللقب، ومن أجمل النصوص التعبيريَّة التي قرأتها في هذا الشأن، هو ما كتبه الكاتب الأستاذ حسين أحمد آل درويش قائلًا: ذات يوم رأت أباها صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام، وقد وضع المشركون الأوساخ على ظهره، بينما كان قائمًا يصلِّي لربِّه عزَّ وجلَّ، فما كان منها عليها السلام إلَّا أن تقدَّمت لتزيل عنه الأوساخ بيديها الصغيرتين، معبرة عن حزنها ومواساتها له صلى الله عليه وآله بالدموع، وهذا

(١) الأسرار الفاطميَّة، محمَّد فاضل المسعوديّ، ج١، ص٢٧٩.
(٢) مقاتل الطالبيِّين، أبو الفرج الأصفهانيّ، ص٢٩.
(٣) الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ج١٦، ص٣٥٩.

ما جعلها تنفتح على المسؤوليَّة، وهي في عزِّ شبابها، لتقف إلى جانب أبيها لترعاه وتحنو عليه، وهو الذي فقد أمَّه (آمنة بنت وهب) منذ أمد طويل[1].

* **مكانتها عند النبيّ**: من يقرأ ويتمعَّن في الروايات والأخبار، سيلمس احترامًا وإجلالًا عظيمًا للزَّهراء عند أبيها صلوات الله عليهم، كان دخول فاطمة على النبيّ يمثِّل أمرًا مهمًّا له عادات معروفة، حيث إنَّه كان يقف إجلالًا لها ويقبِّل يدها ويجلسها مجلسه ولا يجلس حتَّى تجلس، وقد روى مظاهر تلك المكانة الكثير من الرواة نقلًا عن زوجات رسول الله، فنقلًا عن إحداهنَّ قالت: «إنَّا كنَّا أزواج النبيّ عنده، لم تغادر منَّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمَّا رآها رحَّب بها، وقال: مرحبًا بابنتي، ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله»[2]، كان لا ينام حتَّى يقبِّل جبينها، ويقول: «**وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورُ عَيْنِي وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي وَهِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَ**»[3]، لم يكن إظهار حبِّ النبي لفاطمة أمرًا عفويًّا، إنَّما صار ذلك لمكانتها في الإسلام وتضحياتها ومواقفها مع أبيها، وكذلك لبيان عظمتها ومقامها صلوات الله عليها، ووضع بعض الدروس في نفوس المسلمين عن فضائل تلك السيِّدة الطاهرة، ولعلَّ هذا السبب هو الذي دفع النبيّ ليعبِّر لها عن ذلك اللقب، وقد نقل التبريزيّ الأنصاريّ: إنَّ النكتة في هذه التكنية إنَّما هي محضُ إظهار المحبَّة، فإنَّ الإنسان إذا أحبَّ ولده أو غيره، وأراد أن يُظهر في حقِّه غاية المحبَّة قال: «**يا أمَّاه**» في خطاب المؤنَّث، ويا «**أباه**» في خطاب المذكَّر، تنزيلًا لهما بمنزلة الأُمِّ والأب في المحبَّة والحرمة على ما هو معروف في العُرف والعادة[4].

---

(١) السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وعلاقتها بأبيها صلى الله عليه وآله:
https://www.annabaa.org/arabic/ahlalbayt/26058.

(٢) مسند أحمد، ج٦، ص٢٨٢.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص١١٣.

(٤) اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء، محمَّد عليّ التبريزيّ الأنصاريّ، ص٥٠.

* **امتداد النسل منها**: من المعروف أنَّ الامتداد الوحيد لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله على ظهر هذه البسيطة كان من ابنته فاطمة صلوات الله تعالى عليها، فلا يمرُّ من له صلة صُلبيَّة برسول الله إلَّا من خلال ابنته فاطمة عليها السلام، ولعلَّ ذلك السبب هو الذي دعاه لأن يلقِّب ابنته بذلك اللقب. المتأمِّل في آيات سورة الكوثر، والمتمحِّص في بدايتها ونهايتها يجد هناك ربطًا واضحًا وصريحًا بين بداية السورة ونهايتها، فقد فسَّر البعض الكوثر بأنَّه الخير الكثير، أو أنَّه نهر في الجنة، فكانت تلك التفاسير لا تتوافق مع سياق السورة، فإنَّ الآية الأخيرة لا تتوافق مع تفسير الآية الأولى تمامًا، ويصير خللٌ كبيرٌ في سياق السورة، فلا ربط بين نهر الجنَّة والأبتر الذي لا نسل له. بينما فسَّر البعض السورة المباركة بدلالة نصِّها الواضح، ومنهم العلَّامة الطبرسيّ في تفسير جوامع الجامع لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، قال: هو كثرة النسل والذريَّة، وقد ظهر ذلك في نسله من ولد فاطمة عليها السلام، إذ لا ينحصر عددهم، ويتَّصل بحمد الله إلى آخر الدهر عددهم، وهذا يطابق ما ورد في سبب نزول السورة، وهو أنَّ العاص بن وائل السهميّ سمَّاه الأبتر لـمَّا توفِّي ابنه عبد الله، وقالت قريش: إنَّ محمَّدًا صبورٌ، فيكون تنفيسًا عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما وجد في نفسه الكبيرة من جهة فِعالهم وهدمًا، وقد ذهب إلى ذلك الفخر الرازيّ بقوله: الكوثر أولاده صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ هذه السورة نزلت ردًّا على من عابه بعدم الأولاد، فالمعنى أنَّه يعطيه نسلًا يبقون على مرِّ الزمان، فانظر كم قُتِل من أهل البيت، ثمَّ العالم ممتلئٌ منهم، ولم يبقَ من بني أميَّة في الدنيا أحدٌ يُعبأ به[1].

الآية المباركة هي البرهان الأوضح على أنَّ الزَّهراء صلوات الله تعالى عليه هي الامتداد الطبيعيّ الوحيد لنسل رسول الله في الأرض، وكذلك بعض الروايات والأخبار الواردة عن النبيّ الاكرم، فقد روي عنه أنَّه كان صلى الله عليه وآله إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة، فقلت: وهل كانت

(١) تفسير جوامع الجامع للعلَّامة الطبرسّي، ص٥٥٣، الطبعة الحجريَّة.

إلّا عجوزًا قد أخلف الله لك خيرًا منها. قالت: فغضب حتّى اهتزّ مقدّم شعره وقال: «**والله ما أخلف لي خيرًا منها، لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وأنفقتني مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء**». لو أردنا أن نقف على المقطع الأخير «**ورزقني الله أولادها**»، فالكلُّ يعرف أن ليس للنبيّ سوى فاطمة، فمن يقصد بقوله أولادها؟ إنَّ الباحث في أحاديث رسول الله يجد ترابطًا كبيرًا في المواقف، فإنَّه كان يمسك أبناء فاطمة عليها السلام، ويقول إنَّهم أبنائي «**إنَّ ابني هذا سيِّد..**»، وغيرها الكثير من الشواهد ممَّا لا يسع المقام لذكرها، فإنَّ سبب هذه التسمية كان بسبب الامتداد لنسل النبيّ الأكرم من خلال ابنته الصدِّيقة الطاهرة من سبب آخر، وبما وصلت إليه من الدليل، أرى بأنَّه الرأي الأرجح بين تلك الآراء.

المطلب الثاني: المفردة العفويَّة

المفردة العفويَّة هي الكلمات التي لا يراد بها قصد، إنَّما يكون النطق فيها نتيجة لبعض المشاعر والتراكمات العاطفيَّة التي يمرُّ بها الفرد، فينطق بها دون وجود قصد أو مغزى منها، وهذا ما هو محال أن يفعله أو ينطق به المعصوم في أيِّ شكلٍ من الأشكال، فهو كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ**﴾، فإنَّه مُحال أن ينطق عن الهوى، إنَّما هو مسؤول على كلماته وسكناته؛ وكلُّ حركة من تلك الحركات كانت تمثِّل سنَّة من السُّنن.

من خصائص الحركات العفويَّة أنَّها تحدث مرَّة واحدة كالمصادفات، ولا تكون بشكلٍ متكرِّر إطلاقًا، وهذا ما لا يوافق مسألة الزَّهراء أبدًا، فهو تارةً تراه يلقِّبها بـ«أمِّ أبيها»، وتارةً أخرى يقوم لها إجلالًا قائلًا: «**أهلًا بأمِّ أبيها**»، كما مرَّ ذِكره في بعض المصادر ودار الحديث عليها آنفًا، فإنَّ التكرار أزال المعتقد العفويّ لمن يظنُّ أنَّ رسول الله قالها كمفردة عفويَّة لا يقصد بها مقصدًا معيَّنًا، فقد قال رسول الله: «**أَحَبُّ أَهْلِي**

إِلَيَّ **فاطِمَة**»[1]، فما كثر بها من المدح والثناء على مقامها، هو من نفى كون ذلك اللقب عفويّ.

المطلب الثالث: المكانة النبويَّة

إنَّ فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كانت تمثِّل عطاءً وإخلاصًا وخدمةً لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وللإسلام، وكان النبيّ يبدلها بأكثر من ذلك، وما مرَّ ذكر آنفًا في أسباب ذلك اللقب من خلال استعراض الأحاديث النبويَّة الشريفة وتحليل وتفكيك مضمونها تبيِّن أنَّها جميعها كانت تُطلق بمثابة المكانة النبويَّة، أي مكانة فاطمة عند النبوَّة، ومن شواهد ذلك حديثه صلى الله عليه وآله: «**خَيْرُ نِساءِ العالَمين أَرْبَع: مَرْيمَ وَآسيَة وَخَديجَة وَفاطِمَة**»[2]، وقد ذكرنا في المطلب السابق أنَّ النبيَّ الأكرم والمعصومين عليهم السلام لا ينطقون عن الهوى، وما يقولونه هو حجَّة، فالحديث الذي روي في خير نساء العالمين هو الذي يبيِّن مكانة الزَّهراء كونها من خير نساء العالمين.

قال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزليّ: و أكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكرامًا عظيمًا أكثر ممَّا كان الناس يظنُّونه.. حتَّى خرج بها عن حبِّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاصِّ والعامِّ مرارًا لا مرَّة واحدة، و في مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «**إنَّها سيِّدة نساء العالمين، وإنَّها عديلة مريم بنت عمران، وإنَّها إذا مرَّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غضُّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمَّد**»، وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأخبار المستضعفة، وكم قال لا مرَّة: «**يؤذيني ما يؤذيها، و يغضبني ما يغضبها، وإنَّها بضعة منِّي، يريبني ما رابها**»[3]، وابن أبي الحديد كان يؤكِّد على تكرار رسول الله وإظهاره لكرامات الزَّهراء؛ لأنَّه يثبت مكانتها النبويَّة، وينفي ما قيل في أنَّ ذلك اللقب كان مجرَّد مفردة عفويَّة.

(١) الجامع الصغير، ج١، ح٢٠٣، ص٣٧.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٧٨.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٩٣.

ولا شكَّ أنَّ سبب هذه المكانة كان لمكانتها وعظمتها وتضحياتها التي عبَّر عنها المؤرِّخ المعاصر الدكتور عليّ حسن إبراهيم قائلًا: حياة فاطمة، هي صفحة فذَّة من صفحات التاريخ، نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليوبطرة، استمدَّت كلٌّ منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نـادر.. ولكنَّا أمام شخصيَّة استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال[1] غير هذه المكانة. الزَّهراء وكما اتَّضح في طيَّات البحث آنفًا، كانت تمثِّل الامتداد الطبيعيّ لنسل رسول الله، وهي حجَّة الله عليهم وعلى الناس أجمعين، فهي تستحقُّ أكثر وأعظم من ذلك.

(١) ينظر: فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، ص٢١.

الخاتمة والاستنتاجات

في نهاية هذه الصفحات أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفِّقت لما كتبت، فلأنِّي اقتحمت بحرًا خضمًّا، بقدر ما يكون الكلام جميلًا في سيِّدة نساء العالمين وحبيبة قلب رسول الله الصدِّيقة الكبرى فاطمة بنت محمَّد صلوات الله عليها، يكون أصعب وأشدّ دقَّة وحرصًا على كلماته؛ فإنَّه يحتاج إلى تمحيص وتدقيق وعناية خاصَّة. كانت هذه الصفحات التي تقدَّم بها الكلام لا تمثِّل شيئًا من سيرتها ولا من وصف عطائها، إنَّما كان غيضًا من فيض لمناقشة لقب من ألقابها عليها السلام، وتحليل ذلك اللقب والبحث في أسبابه، ثمَّ نفي الشبهات عنه ومعاملته بمنهج علميّ بحت، يعتمد على الدليل والبرهان العقليّ بعيدًا، عن السرد العاطفيّ؛ لأنَّ الذي يتكلَّم عن الزَّهراء لا أظنُّ أنَّ كلامه سيكون خاليًا من العاطفة والوجد، وأرجو أن ترضى بعملي القليل هذا، وتكون شفيعتي في الدَّارَين.

الاستنتاجات

١. إنَّ التصدِّي لبيان لقب من ألقاب السيِّدة الزَّهراء يحتاج إلى بحث وتمحيص دقيق؛ لأنَّ كلَّ لقب تتبعه أسباب، وكل سبب يتبعه موقف وفضيلة؛ فلا يتَّضح معنى اللقب إلَّا من خلال البحث.

٢. إنَّ رعايتها الخالصة والحنونة لأبيها كانت تمثِّل السبب الأوَّل وراء تلك الكنية، وحبُّ أبيها لها وتعمُّده في إظهار ذلك الحب والإجلال كان لفرض مكانتها وبيان عظمتها عمليًّا من خلال الأُسوة الكبرى للمجتمع، وكان هذا

يعدُّ السبب الثاني، وأمَّا كونها الوسيلة الوحيدة لامتداد نسل النبيّ منها كان يعتبر السبب الثالث لتلك الكنية.

٣. المفردة العفويَّة هي الكلمات التي لا يراد بها قصد، إنَّما يكون النطق فيها نتيجة لبعض المشاعر والتراكمات العاطفيَّة التي يمرُّ بها الفرد، وهذا يُحال أن يكون لنبيّ؛ كونه لا ينطق عن الهوى.

٤. إنَّ تكرار بيان مكانتها من خلال مدحها وتعظيمها، كان المراد بها بيان فضلها ومكانتها في النبوَّة، فهي تارةً سيِّدة نساء العالمين، وتارةً أُخرى أُمُّ أبيها.

ثبت المصادر والمراجع

١. أزواج النبيّ وبناته، الشيخ نجاح الطائيّ.
٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله البر.
٣. الأسرار الفاطميَّة، محمَّد فاضل المسعوديّ.
٤. الإصابة في تمييز الصحابة.
٥. الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ.
٦. الأمالي، الشيخ الصدوق.
٧. تفسير جوامع الجامع للعلَّامة الطبرسيّ.
٨. الجامع الصغير.
٩. شرح نهج البلاغة.
١٠. علل الشرائع، الشيخ الصدوق.
١١. فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى.
١٢. فاطمة بنت محمَّد قدوة للنساء، عليّ عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، ٢٠٠٢.
١٣. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزَّهراء، محمَّد عليّ التبريزيّ الأنصاريّ.
١٤. مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ.
١٥. مسند أحمد.
١٦. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهانيّ.

١٧. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجيّ الشافعيّ.

المصادر الالكترونيَّة:

١. جمهرة أنساب العرب، فصل: ولد فهر بن مالك بن النضر لابن حزم على ويكي مصدر.

٢. السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وعلاقتها بأبيها صلى الله عليه وآله:

https://www.annabaa.org/arabic/ahlalbayt/26058.

٣. معجم أنصار الحسين، الهاشميُّون، الجزء الأوَّل، محمَّد صادق محمَّد (٣١ يناير ٢٠٠٨)، دائرة المعارف الحسينيَّة.

أثر السيِّدة فاطمة عليها السلام (ت ١١هـ) في التعريف بخلفاء النبيِّ صلى الله عليه وآله

د. عامر سعيد نجم عبد الله
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة بابل

ملخَّص البحث

إنَّ هذا البحثَ أعربَ عَنِ الخلافةِ مِنْ بَعدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله كيفَ تكونُ؟ وأينَ تكونُ؟ إذْ ظَهَرَ أنَّ الخلافةَ بِجَعْلٍ مِنَ الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وآله، وأنَّ اللهَ سبحانَهُ قَدْ جَعَلَها في عِتْرةِ نبيِّهِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله، واحْتُجَّ لذلكَ بأكثرِ الأحاديثِ شُهْرَةً وشيوعًا، وهيَ حديثُ الخليفَتَينِ (الثَّقَلَيْنِ)، وحديثُ الغدير، وحديثُ المنزلة.

وخَلُصَ البحثُ إلى حقيقةٍ هي أنَّ خلفاءَ النبيِّ صلى الله عليه وآله إلى قيامِ الساعَةِ اثنا عَشَرَ خليفةً فقط، أوَّلُهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، ثمَّ الخليفة الثاني الحسنُ، ثُمَّ الحسينُ، وَهَلُمَّ جرًّا إلى الخليفةِ الثاني عَشَرَ المهديّ عجل الله فرجه الشريف.

الكلمات المفتاحيَّة: الرسول، الخلافة، السيِّدة فاطمة عليها السلام.

مقدِّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلى اللهُ تعالى على رحمتهِ الواسعةِ نبيِّنا محمَّدٍ وآلهِ الطاهرين، وصلى اللهُ على بَضْعَةِ نبيِّنا سَيِّدةِ نساءِ العالمينَ سيِّدةِ نساءِ أهلِ الجنَّةِ التي يرضى اللهُ لرِضاها، ويغضبُ لِغَضبِها، تلكَ السيِّدةُ فاطمةُ الزَّهراءُ، وبعدُ.. فالسيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام قَدْ عاشَتْ في كَنَفِ أبيها سيِّدِ الأنبياءِ ولازَمَتْهُ وسَمِعَتْ منهُ، لاسِيَّما ما كانَ في أمرِ الخلافةِ، وقَدْ تَبَيَّنَ هذا جليًّا في كلامِها الذي وَصَلَنا عنها، ومَنْ تَأَمَلَهُ وَجَدَ جُلَّهُ في شأنِ الخلافةِ؛ لأنَّ خَطَرَ الأحداثِ التي جَرَتْ بعدَ وفاةِ الرسولِ صلى الله عليه وآله اقتضى أنْ يكونَ لها كلامٌ في الخلافة؛ وهذا أهمُّ أمْرٍ قامَتْ بهِ.

وقد أفصحَتْ السيّدُةُ فاطمةُ عليها السلام عَنِ الخلافةِ بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله كيفَ تكونُ وأينَ تكونُ؟ واستعملتْ في ذلكَ أسلوبينِ: نَقْلُ حديثِ النبيِّ صلى الله عليه وآله بلفظهِ، والآخرُ بلفظِها.

وقد دَعَتِ السيِّدةُ فاطمة عليها السلام في شأنِ الخلافةِ على أُناسٍ ولَعَنَتْهُم، وذَمَّتْ آخَرينَ وسَخِطَتْ عليهم؛ إذًا فهيَ فَصْلُ الخِطابِ في شأنِ الخلافةِ أينَ تكونُ؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ يرضى لرضاها ويغضَبُ لِغَضَبِها.

تمهيد

قَدْ جاءَ عَنْ نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ بَشَّرَ باثني عَشَرَ خليفةً يقومونَ مقامَهُ في أُمَّتِهِ مِن بعدِهِ، فَعَنِ السيِّدةِ فاطمةَ عليها السلام قالتْ: «**سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقولُ: الأئمَةُ بَعدي عددُ نُقباءِ بني إسرائيلَ**»[1]. وعددُ النقباءِ اثنا عَشَرَ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[2].

وإنَّ مَعْرِفَةَ أُولئِكَ الخلفاءِ في غايةِ الأهميَّةِ لِأَمْرَيْنِ خَطِيْرَيْنِ: الأمرُ الأوَّلُ: أَنَّ معرفةَ خلفاءِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله هو الإسلامُ كُلُّهُ؛ لِقولهِ صلى الله عليه وآله وقَدْ سألَهُ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ رضي الله عنه (ت٧٨هـ) قائلًا: «يا رسولَ الله، وما عِدَّةُ الأئمَّةِ؟ قال صلى الله عليه وآله: **يا جابرُ، سَأَلْتَني رَحِمكَ اللهُ عَنِ الإسلامِ بأَجْمَعِهِ، عِدَّتُهُمْ عِدَّةُ الشهور عند اللهِ اثنا عَشَرَ شهرًا في كتابِ اللهِ**»[3].

وإنَّما كانَ خُلفاءُ الرسولِ صلى الله عليه وآله هُم الإسلامَ كُلَّهُ؛ لأنَّهُم قُوَّامُ اللهِ على خَلْقِهِ وعُرَفاؤُهُ على عبادِهِ إلى قيامِ الساعةِ، قالَ صلى الله عليه وآله: «**لا يزالُ الدينُ قائمًا حتى تقومَ الساعةُ أو يكونَ عليكُم اثنا عَشَرَ خليفةً**»[4]، وقال الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «**وَإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَىَ خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ**»[5].

(١) كفاية الأثر في النصوص عن الأئمَّة الاثني عشر: ٣٠٢ باب ما جاءَ عن فاطمة عليها السلام.
(٢) سورة المائدة: ١٢.
(٣) مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٩٩ المنقبة ٤١، اليقين باختصاص مولانا علي بإمرة المؤمنين: ٢٤٥، ب٨١.
(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣٤/ ٤٢١، ح٢٠٨٣٠، حديث جابر بن سُمرة السُّوائيّ.
(٥) شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٥٢، خ١٥٢.

الأمرُ الثاني: وهُوَ الأَهَمُّ، أَنَّهُ يجبُ على أَهْلِ كُلِّ زمانٍ معرفةُ إمامِ زمانِهم؛ لِقَوْلِ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ ولمْ يَعْرِف إمامَ زمانهِ ماتَ مِيْتَةً جاهليّة**»(١)، وقَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ ولمْ يَعْرِف إمامَ زمانهِ فَلْيَمُتْ إنْ شاءَ يَهوديًّا، وإنْ شاءَ نصرانيًّا**»(٢)، وقوله صلى الله عليه وآله أيضًا: «**مَنْ ماتَ ولا إمامَ لَهُ ماتَ مِيْتَةً جاهليَّة**»(٣).

فمعرفةُ الإمامُ تعني معرفةَ حَقِّهِ وبيعتهِ وطاعتهِ؛ لقولِهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ وليس في عُنُقِهِ بيعةٌ ماتَ مِيتةً جاهليةً**»(٤)، وقولِهِ: «**مَنْ ماتَ وليستْ عليهِ طاعةٌ ماتَ مِيتةً جاهليةً**»(٥).

فَمَنْ أُولئِكَ الخلفاء والأئمة الاثنا عَشَرَ الذينَ مَنْ عَرَفَهُم دَخَلَ الجنةَ، ومَنْ أَنْكرَهم دَخَلَ النارَ؟ ومَنْ إمامُ زمانِنا نحنُ الذي يجبُ علينا معرفتُهُ، ومَنْ لمْ يعرفْهُ مِنَّا ثُمَّ ماتَ ماتَ مِيتةً جاهليَّةً؟.

---

(١) الملل والنحل: ١/ ١٩٢، ف٦ الشيعة (الإسماعيليَّة)، ينابيع المودَّة لذوي القربى: ٣/ ٤٥٦، ب١٠٠، ح١٦، ١/ ٢٥١، ب٣٨، ح٥، شرح المقاصد، التفتازانيّ: ٣/ ٤٧٦، المقصد ٦ف، في السمعيَّات: في الإمامة.

(٢) المسائل الخمسون في أصول الدين، فخر الدين الرازيّ: ١٤٠، م٤٧ في نصب الإمام.

(٣) المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٢٤، أرْجحيَّة تفضيل عليٍّ إتِّباعًا لروايات كبار الصحابة.. شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٤٢، شرح خ٢٣٨، القولُ في إسلام أبي بكر وعليّ، وخصائص كلٍّ منهما.

(٤) صحيح مسلم: ٥٤٨، ح١٨٥١، ك الإمارة، مسند أحمد بن حنبل: ٢٤/ ٤٦ ح١٥٦٩٦ حديث عامر بن ربيعة.

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٥/ ٤٠٣، ح٩١٣١، ك الخلافة، كنز العمَّال: ٦/ ٦٥، ح١٤٨٦١، ف٣.

الخلافةُ باختيار الناسِ أمْ بجعلٍ مِنَ اللهِ ورسولهِ صلى الله عليه وآله؟

إنَّ الأمْـرَ المُهِمَّ هُنا هو هَلْ خِلافَةُ أُولئِكَ الخفاءِ الاثني عَـشَرَ بِجَعْلٍ مِنَ اللهِ ورسولهِ صلى الله عليه وآله أمْ باختيارِ الناسِ؟.

إنَّ خلافةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله قَدْ أُثِيرَتْ في مُناسباتٍ عِدَّةٍ مِنْ حياتهِ صلى الله عليه وآله مُنْذُ أنْ شَرَعَ يدعُو الناسَ إلى اللهِ تعالى حَتَّى آخِرَ يومٍ مِنْ حياتِهِ؛ مِمَّا يستدعي أنْ يُعْطيَ الرسول صلى الله عليه وآله حُكْمًا في أمْرِ الخلافةِ مِنْ بعدِهِ، لذلكَ فَقَدْ وَرَدَ عنهُ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قَدْ بَيَّنَ كيفَ تكونُ الخلافةُ مِنْ؟ مِنْ ذلكَ أنَّهُ صلى الله عليه وآله كانَ يعرضُ نفسهُ في مواسِمِ الحَجِّ على قبائِلِ العربِ يدعوها إلى الإسلامِ، وأنَّهُ أتى قبيلةَ بني عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ذاتَ مَرَّةٍ فَدَعاهُم إلى اللهِ عز وجل؛ فقالَ لهُ رجلٌ منهُم يقالُ لهُ بَيْحرةُ بنُ فراسٍ: «أَرَأَيْتَ إنْ نَحنُ تابعناكَ على أمْرِكَ، ثُمَّ أظْهَرَكَ اللهُ على مَنْ خالفَكَ أيَكُونُ لنا الأمرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ قالَ صلى الله عليه وآله: **الأَمْرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حيثُ يشاءُ**. قالَ: فقالَ لهُ: أَفَنُهْدِفُ[1] نُحورَنا للعربِ دُونَكَ، فإذا أظْهَرَكَ اللهُ كانَ الأمْرُ لِغَيْرِنا؟ لا حاجَةَ لنا بِأَمْرِكَ»[2].

إنَّ لَفْظَةَ (الأمر) في سُؤالِ بَيْحَرَةَ بن فراس: «أيَكُونُ لنا الأمرُ مِنْ بَعْدِكَ؟» تَدلُّ على خلافةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله؛ وهذا المعنى قدْ دَلَّتْ عليهِ القرينةُ السياقيّةُ «مِنْ بَعْدِكَ».

وتَدَبَّرْ ماذا كانَ جوابُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، كانَ جوابُهُ: «**الأمْرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يشاءُ**»، فَهُوَ صريحٌ بأنَّ خليفةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله يكونُ بِجَعْلٍ مِنَ اللهِ تعالى.

---

(١) نُهْدِفُ: نَنْصُبُ. لسان العرب: ٩/ ٥٣ (هـ د ف).

(٢) السيرة النبويَّة، ابن هشام: ٢/ ٦٦، عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه على القبائل، السيرة النبويَّة، ابن كثير: ٢/ ١٥٨، ف في عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحجِّ، البداية والنهاية: ٣/ ٣٨٦، ف في عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه الكريمة على أحياء العرب، تاريخ الطبريّ: ٢/ ٣٥٠، ذكر الخبر عمَّا كان من أمر نبيِّ الله صلى الله عليه وآله عند ابتداءِ الله تعالى ذكَرَهُ إيَّاهُ بإكرامِهِ بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيهِ.

ولَمْ يَقُلِ الرسولُ صلى الله عليه وآله لهُ: الأمْرُ إلى المسلمينَ مِنْ بعدي؛ بَلْ لَمْ يُوجَدْ هناكَ حديثٌ واحدٌ للرسولِ صلى الله عليه وآله يُشيرُ فيهِ إلى أنَّ الخلافةَ مِنْ بعدِهِ باختيارِ الناسِ.

ومِنْ ذلكَ أيضًا أنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله عَرَضَ الإسلامَ على قبيلةِ كِنْدَةَ، فقالتْ لهُ: «إنْ ظَفَرْتَ تَجْعَلْ لنا المُلْكَ مِنْ بعدِكَ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: **إنَّ المُلْكَ للهِ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يشاءُ.** فقالوا: لا حاجةَ لنا فيما جِئْتَنا بهِ»[1].

المُلْكُ: الخِلافَةُ؛ بدليلِ قرينةِ (مِنْ بعدِكَ)، فكِنْدَةُ عَرَضَتْ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أنْ تَنْصُرَهُ بشرطِ أنْ تَكونَ لها الخلافةُ مِنْ بعدِهِ، ولكنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله أبى ذلكَ؛ لأنَّ الأمْرَ ليسَ بيدِهِ، وإنَّما هُوَ بيدِ اللهِ عز وجل يجعلهُ حيثُ يشاءُ؛ على حينِ أنَّهُ صلى الله عليه وآله كانَ شديدَ الحاجةِ إلى مَنْ يَنْصُرُهُ ويمنعهُ مِنْ أذى قريشٍ في ذلكَ الوقتِ (بدايةِ الدعوة).

تأمَّلْ جيِّدًا قَوْلَ اللهِ سبحانَهُ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2]، أَلَا تَفْهَمْ أنَّ الرسالةَ بِجعْلٍ مَنَ اللهِ سبحانَهُ لا باختيارِ الناسِ؛ لذا فَما تَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لبيْحَرَةَ بنِ فراسٍ: «**الأمْرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حيثُ يشاءُ**»، وقولِهِ صلى الله عليه وآله لِكِنْدَةَ: «**إنَّ المُلْكَ للهِ يجعَلُهُ حيثُ يشاءُ**»، ألا تَفْهَمُ أنَّ الخلافةَ بِجَعْلٍ من اللهِ سبحانهَ لا باختيارِ الناس؟!.

وكذلكَ أكَدَّتِ السيِّدةُ فاطمة عليها السلام أنَّ خلافةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله ليس باختيار الناسِ بَلْ هي بجعلٍ مِنَ اللهِ تعالى واختيارِهِ، إذْ قالَتْ في أصحابِ السقيفةِ: «**حتى إذا ألْحَدُوا المبعوثَ وأوْدَعُوه الجَدَثَ**[3] **المجدوثَ اختاروا بِشَهْوَتِهم، وعَمِلُوا بآرائِهم؛ تبًّا لَهُم أوَلَمْ يسمعوا اللهَ يقولُ:** ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[4]، بلى

(١) السيرة النبويَّة، ابن كثير: ٢/ ١٥٩، ف في عرض رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه الكريمةَ على أحياء العرب في مواسم الحجِّ.
(٢) سورة الأنعام: ١٢٤.
(٣) الجَدَث: القبر. القاموس المحيط: ١/ ٤٥٤ (ج د ث).
(٤) سورة القصص: ٦٨.

سَمِعُوا، ولكنَّهم كما قالَ اللهُ سبحانَهُ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]»[2].

فإذا كانتْ خلافةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله بجعْلٍ مِنَ اللهِ تعالى واختيارِهِ فأينَ جَعَلَها سبحانَهُ؟ إنَّ السيِّدةَ فاطمةَ الزَّهراء عليها السلام قد أعربَتْ عَنِ الحوزةِ التي صَيَّرَ فيها اللهُ تعالى الخلافةَ، إذْ قالتْ مُخاطبةً أبا بكرٍ وعُمَرَ وهما في حَشْدٍ مِنَ المهاجرين والأنصارِ في مسجدِ الرسولِ صلى الله عليه وآله: «**فجعلَ اللهُ.. طاعَتَنا نِظامًا للمِلَّةِ، وإمامتَنا أمانًا مِنَ الفُرْقَة**»[3].

تأمَّلْ قَوْلَها: «**فجعلَ اللهُ.. وإمامتَنا أمانًا مِنَ الفُرْقَة**» يَدُلُّكَ على أنَّ الإمامةَ جَعْلٌ مِنَ اللهِ تعالى، وأنَّهُ سبحانَهُ قد جعلَها في عِترةِ نبيِّهِ خاصة؛ وهذا موافقٌ لقولِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله في جوابِهِ لِبَيْحَرَةَ بنِ فراسٍ في شأنِ الإمامةِ مِنْ بعدِهِ: «**الأمرُ إلى اللهِ يضَعُهُ حيثُ يشاءُ**»، وجَوابِهِ لكندةَ: «**إنَّ الملكَ للهِ يجعلُهُ حيثُ يشاءُ**».

وقَدْ أَكَدَتْ أيضًا السيّدةُ فاطمةُ عليها السلام في مَقامٍ آخرَ أنَّ الخلافةَ تشريعٌ إلهيٌّ وتبليغٌ نبويٌّ، إذْ قالتْ في حقّ عليٍّ عليه السلام مُخاطبةً أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها في مرضِها الذي تُوفيِّتْ فيهِ: «**هُتِكَ واللهِ حِجابُهُ مَنْ أصبحَتْ إمامتُهُ مُقتَصَّةً[4] على غيرِ ما شَرَّعَ اللهُ في التنزيلِ[5]، وسَنَّها النبيُّ في التأويلِ[6]**»[7].

---

(١) سورة الحجِّ: ٤٦.

(٢) كفاية الأثر في النصوص على الأئمَّةِ الاثني عشر: ٣٠٤ ب ما جاءَ عن فاطمة عليها السلام.

(٣) بلاغات النساء: ٣٤ كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، السقيفة وفدك: ١٣٩ الملحقات.

(٤) مُقتَصَّةً: مقطوعة لسان العرب: ٧/ ٣٨٨ (ق ص ص).

(٥) كما في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، سورة المائدة: ٥٥، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ سورة المائدة: ٦٧.

(٦) أي إنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله قد صَدَعَ بإمامةِ عليٍّ عليه السلام وخلافتِهِ، من ذلك حديثُ الخليفَتين، وحديثُ الغدير، وحديث المنزلة.

(٧) مناقب آل أبي طالب: ٥/ ١٥٦، ف١٢ في ظُلامة أهل البيت عليهم السلام.

إذًا فاللهُ سبحانهُ قد جَعَلَ الأمرَ (الإمامةَ) في عِترةِ رسولهِ صلى الله عليه وآله، وسيِّدُ العترة عليّ.

السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام وحديثُ الخليفتَين (الثَقَلَين)

قَدْ وَرَدَتْ لفظةُ (خليفة) في حديثِ الرسولِ صلى الله عليه وآله بصيغةِ المثنى (خليفتينِ)، والمرادُ بِهما: الكتابُ، والعِتْرَةُ. فَعَنْ زيد بن ثابت (٤٥هـ) عَنْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ: «**إنِّي تاركٌ فيكُمُ الخليفتينِ مِنْ بعدي: كتابَ اللهِ، وعِتْرَتي أهلَ بيتي، وإنَّهما لَنْ يتفرَّقا حتى يَرِدا عَلَيَّ الحوضَ**»(١).

والخليفةُ هُوَ «الذي يُسْتَخْلَفُ مِمَّنْ قَبْلَهُ» (٢)؛ لِيقومَ مقامَهُ، ويَسُدَّ مَسَدَّهُ(٣)؛ لِذلكَ أَكَّدَتِ السيّدةُ الزَّهراءُ عليها السلام أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَدِ استخلفَ عِتْرَتَهُ على أُمَّتِهِ، إذْ قالتْ في خُطبتِها التي أَلْقتْهَا في مسجدِ الرسولِ مُشيرةً إلى حديثِ الخلفتينِ: «**ونَحنُ بَقيَّةٌ استَخْلَفَنا عليكُم، ومعنا كتابُ اللهِ بيِّنةٌ بَصائِرُهُ**»(٤)، أيْ: جَعَلَنا الرسولُ صلى الله عليه وآله مكانَهُ خلفاءَ عليكُم(٥).

إذًا فَعِتْرَةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله هُمُ الخلفاءُ الاثنا عشر الذينَ يقومونَ مقامَهُ في الأُمَّةِ، ويؤكِّدُ ذلكَ أيضًا ما رواهُ جابرُ بنُ سَمُرَةَ (ت٧٤هـ)، إذْ قال: «كُنْتُ مَعَ أبي، مع رسول اللهِ صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: **بعدي اثنا عَشَرَ خَليفةً**، ثُمَّ أخفى صوتَهُ، فقلتُ لأبي: ما الذي قالَ في أخفى صوتِهَ؟ قالَ: **كُلُّهُم مِنْ بني هاشمٍ**»(٦).

(١) المصنَّف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة: ٧/ ٤١٨، ح٤٠، ك الفضائل، مسند أحمد بن حنبل: ٣٥/ ٥١٢، ح٢١٦٥٤، حديث زيد بن ثابت، السُّنَّة: ٣١٣، ح٧٥٤، المعجم الكبير: ٥/ ١٣١، ح٤٩٢٢، ب الزاي: القاسم بن حسَّان عن زيد بن ثابت.

(٢) لسان العرب: ٣/ ١٨٥ (خ ل ف).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٩٤ (خ ل ف).

(٤) بلاغات النساء: ٣٣ كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٣/ ١٨٥ (خ ل ف)

(٦) ينابيع المودة لذوي القرى: ٢/ ٣١٥، ب٥٦، ح٩٠٨، ٣/ ٢٩٠، ب٧٧، ح٤.

وقَدْ استشهدتِ السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام بحديثِ الخليفَتَينِ في مقامٍ آخَرَ لتأكيدِ خلافةِ عِتْرةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله الذينَ سيِّدُهُم عليٌّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام، إذْ قالتْ: «**سَمِعْتُ أبي صلى الله عليه وآله في مَرَضِهِ الذي قُبِضَ فيهِ يقولُ وقَدِ امتلأَتِ الحُجْرَةُ منْ أصحابِهِ: أيُّها الناسُ، يُوشَكُ أنْ أُقْبَضَ قَبْضًا سريعًا، وقَدْ قَدَّمْتُ إليكُم القولَ معذرةً إليكُم، أَلاَ وإنِّي مُخَلِّفٌ فيكُم كتابَ ربّي عز وجلَّ، وعِتْرَتي أهْلَ بيتي، ثُمَّ أخَذَ بيدِ عليٍّ عليه السلام فقالَ: هذا عليٌّ مَعَ القرآن والقرآنُ مَعَ عَلِيٍّ لا يفترقانِ حتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحوضَ فأسألكُم ما تخلفُوني فيهِما**»[1].

وتأكيدًا لِخلافةِ عِترةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله نجدُ الرسولَ صلى الله عليه وآله قَدْ كَرَّرَ ذِكْرَ حديثِ الخليفتَينِ (حديث الثقلينِ أو حديث التمسُّك) في مقاماتٍ عِدَّةٍ وبألفاظٍ مختلفة، قالَ ابنُ حجر الهيثميّ (ت٩٧٤هـ): «ثُمَّ اعلمْ أنَّ لـ(حديث التمسُّك) بذلك طُرقًا كثيرةً وردتْ عن نيِّفٍ وعشرينَ صَحابيًّا، ومَرَّ لهُ طُرقٌ مبسوطةٌ، وفي بعضِ تلكَ الطرقِ أنَّهُ قالَ ذلكَ بحَجَّةِ الودَاعِ بعرفةَ، وفي أخرى أنَّهُ قالَ ذلك بغديرِ خمٍّ، وفي أخرى أنَّهُ قالَ ذلكَ لـمَّا قامَ خطيبًا بعد انصرافِهِ مِنَ الطائِف كما مَرَّ، ولا تنافيَ إذْ لا مانعَ مِنْ أنَّهُ كرَّرَ عليهم ذلكَ في تلكَ المواطنِ وغَيرِها اهتمامًا بشأنِ الكتابِ العزيز والعِترةِ الطاهرة»[2].

وتَأمَّلْ كلامَ النبيِّ صلى الله عليه وآله: «**وأنَّهما لَنْ يَتَفَرَّقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ**»، يَدُلُّكَ على أنَّ عِتْرَةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله مُلازِمَةٌ لِكتابِ اللهِ تعالى إلى يومِ القيامةِ، وإلى ذلكَ أشارَت السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام بقولها: «**ومعنا كتابُ اللهِ بيِّنَةٌ بَصائِرُهُ**»، وهذا يعني أنَّ في زماننا هذا رجلًا مِنْ عِتْرةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله مُلازِمٌ لِكتابِ اللهِ، فَمَنْ هوَ؟.

قالَ السمهوديُّ (ت٩١١هـ) شارحًا حديثَ الخليفتينِ: «إنَّ ذلكَ يُفْهِمُ وُجودَ مَنْ

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار: ٣/ ٢٢١، ح٢٦١٢، مناقب أهل البيت، سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي: ٣/ ٦٣، ح١٣٦، الصواعق المرحقة: ١٢٦، ب٩، في مآثر علي، ف٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٥٠، ب١١، ف١، الآية الرابعة، جواهر العقدَين في فضل الشَّرفَين: القسم الثاني: ١/ ١١٥، الذِّكر الرابع.

يكونُ أهلًا للتمسُّك بهِ مِنْ أهْلِ البيتِ والعِتْرَةِ الطاهرةِ في كُلِّ زمانٍ وُجِدوا فيهِ إلى قيامِ السَّاعةِ»[1].

ثُمَّ تأمَّلْ جيِّدًا حديثَ النبيِّ صلى الله عليه وآله: «**لا يزالُ الدينُ قائمًا حَتَّى تقومَ الساعةُ أو يكونَ عليكُم اثنا عَشَرَ خليفةً، كُلُّهُم مِنْ قُرَيشٍ**»[2]. يَدُلُّكَ على أنَّ خِلافَةَ الخلفاءِ الاثني عَشَرَ مُسْتَمِرَّةٌ إلى قيامِ الساعةِ، وإذا كانَتْ كذلك فهذا يعني وجودَ خليفةٍ مِنَ الخلفاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ في زماننا هذا يجبُ التمسُّكُ بهِ؛ فَمَنْ ذلك الخليفة؟.

إنَّ ذلكَ الخليفةَ هُوَ مِنْ عِتْرَةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله الملازِمُ لِكتابِ اللهِ تعالى، وهُوَ الخليفةُ المهديُّ صلوات اللهِ عليه وعلى آبائِهِ، وقَدْ أَمَرَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بطاعتِهِ؛ إذْ قالَ صلى الله عليه وآله: «**فإذا رَأَيْتُمُوهُ فبايِعُوْهُ ولَوْ حَبْوًا على الثلجِ؛ فإنَّهُ خليفةُ اللهِ المهديِّ**»[3]. وقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا سبقَ أنَّ مِنْ صفاتِ الخلفاءِ الاثني عَشَرَ وجوبَ طاعتهم ومُبايعتِهم «**مَنْ ماتَ وليسَ في عُنُقِهِ بيعةٌ مات مِيتةً جاهليةً**».

وما يؤكِّد لكَ أنَّ المهديَّ هُوَ أحَدُ الخلفاءِ الاثني عَشَرَ قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله: «**منْ خلفائِكم خليفةٌ يَحثي المالَ حَثيًا لا يعدُّهُ عَدًا**»[4]، أي: من خلفائِكُم الاثني عَشَرَ خليفةٌ يحثي المال..

لذلكَ قالَ ابنُ كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ) في المهديّ: «هُوَ أحَدُ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّينَ»[5].

---

(١) جواهر العِقدَين في فضل الشَّرفين: القسم الثاني: ١/ ٩٤، ذكر حثّه صلى الله عليه وآله الأمَّةَ على التمسُّك بعدهُ بكتاب ربِّهم وأهل بيت نبيِّهم.

(٢) صحيح مسلم: ٥٣٩، ح١٨٢٢، ك الإمارة، ب الناسُ تبعٌ لقريشٍ، والخلافةُ في قريش.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٧، ح٤٠٨٤، ك الفتن، ب خروج المهدي، المستدرك على الصَّحيحَين: ٥/ ٧٠٣، ح٨٥٧٨، ك الفتح والملاحم.

(٤) الجامع الصغير من حديث البشير النذير: ٢/ ٤٧١، ح٨٢٤٦.

(٥) النهاية في الفتن والملاحم: ٣٩، ف في ذكر المهدي.

فالخليفةُ المهديُّ لَمْ يكُنْ لتختارَهُ الناسُ، وإنَّما اختارَهُ الله سبحانَهُ، وبشَّرَ بهِ النبيُّ صلى الله عليه وآله، ويؤكِّدُ ذلك قولُهُ صلى الله عليه وآله: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا إلاّ يومٌ لَبَعَثَ اللهُ رجلًا مِنْ أَهْلِ بيتي يَمْلَؤُها عَدْلًا كما مُلِئَتْ جَورًا**»(١).

إنَّ قولَهُ صلى الله عليه وآله: «**لَبَعثَ اللهُ رجلًا مِنْ أَهْلِ بيتي**» يُوافقُ قولَهُ صلى الله عليه وآله حينَ عَرَضَتْ عليهِ القبائلُ النُّصْرَةَ على أنْ تكونَ لها الخلافةُ بعدَهُ وأبى عليها، إذْ قالَ: «**الأمرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حيثُ يشاءُ**».

وقَدْ عرَّفَ الرسولُ صلى الله عليه وآله بالمهديِّ قائِلًا: «**المهديُّ مِنَّا أَهْلَ البيتِ**»(٢)، «**أَبْشِرُوا بالمهديِّ رجلٌ مِنْ قريشٍ مِنْ عِتْرتي**»(٣)، «**المهديُّ مِنْ عِتْرتي مِنْ وُلدِ فاطمة**»(٤)؛ إذًا فالخليفةُ المهديُّ مِنْ ولدِ عليِّ بن أبي طالب وفاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام.

وقد أكَّدت السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام أنَّ المهديَّ هُوَ أَحَدُ الذينَ قَدَّمَهُم الله تعالى من عِترةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله لأمْرِ الأمَّةِ، إذْ قالَتْ عليها السلام: «**أَمَا واللهِ لو تَرَكُوا الحَقَّ على أهلِهِ واتَّبعُوا عِتْرَةَ نبيِّه لَمَا اختلفَ في اللهِ اثنانِ، ولَوَرِثَها سَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وخَلَفٌ عَنْ خَلَفٍ، حتى يقومَ قائِمُنا التاسعُ مِنْ وِلدِ الحُسينِ، ولكنْ قَدَّمُوا مَنْ أَخَّرَهُ اللهُ، وأَخَّروا مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ**»(٥).

وسُمِّيَ حديثُ الخلفيتينِ أيضًا بـ(حديثُ التمسُّك)، لورودِ لفظِ أمرِ التمسُّك فيهِ، من ذلكَ قولُهُ صلى الله عليه وآله الذي رواهُ زيدُ بنُ أرقمَ (ت٦٦هـ): «**إنّي تَارِكٌ فيكُم ما إنْ تمسَّكْتُم بهِ لَنْ تَضِلُّوا بعدي، أحدُهما أعظمُ مِنَ الآخرِ: كتابُ اللهِ.. وعِترتي أَهْلَ بيتي، ولنْ يتفرَّقا حتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحوضَ؛ فانظروا كيفَ تَخلفُوني فيهما**»(٦).

(١) سنن أبي داوود: ٤/ ١٠٧، ح٤٢٨٣ ك المهدي.
(٢) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٧، ح٤٠٨٥، ك الفتن، ب خروج المهديّ.
(٣) كنز العمال: ١٤/ ٢٦١، ح٣٨٦٥٣، خروج المهديّ.
(٤) سنن أبي داوود: ٤/ ١٠٧، ح٤٢٨٤، ك المهديّ، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٨، ح٤٠٨٦، ك الفتن، ب خروج المهديّ.
(٥) كفاية الأثر في النصوص على الأئمّة الاثني عشر: ٣٠٤، ح١٢٣، ب ما جاء عن فاطمة.
(٦) سنن الترمذيّ: ٦/ ٣٣٧، ح٤١٢٢، أبواب المناقب، ب مناقب عليّ بن أبي طالب.

فالأمرُ بالتَمسُّكِ المذكورُ هنا يُوافِقُ الأمْرَ بالتمسُّكِ المذكورَ في وَصْفِ خلفائِهِ الاثني عَشَر: «**تمسَّكوا بطاعةِ أَئِمَّتِكُم لا تُخالِفوهُم؛ فإنَّ طاعتَهم طاعةُ الله، وإنَّ معصيتَهُم معصيةُ الله**»[1]، «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديِّين، تمسَّكُوا بها**»[2].

فمعنى التمسُّكِ في هذهِ الأحاديثِ واحدٌ هُوَ طاعتُهم والأخْذُ عنهم والتعلُّمُ منهُم، وَلَمْ يأمُرْ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بطاعةِ أحدٍ من بعدهِ إلَّا بطاعةِ عِترتِهِ؛ إذًا فالخلفاءُ الراشدونَ المهديُّونَ هُمْ عِترةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله أوَّلُهُم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرُهُم المهديُّ عجل الله فرجه الشريف، لذلكَ أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله المهاجرينَ والأنصارَ أنْ يتمسَّكُوا مِنْ بعدهِ بعليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام، إذْ قالَ: «**يا معشرَ المهاجرينَ والأنصارِ، أَلا أدُلُّكُم على ما إنْ تمسَّكتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بعدي أبَدًا؟** قالوا: بلى، يا رسولَ الله. قالَ: **هذا عليٌّ أخي ووصيِّي ووزيري ووارثي وخليفتي وإمامُكم**[3]؛ **فأحِبّوهُ لِمَحبَّتي، وأكرِموهُ لِكرامتي؛ فإنَّ جبرئيلَ أَمرَني أنْ أقولَهُ لَكُم**»[4].

وفي بعضِ ألفاظِ حديثِ الخليفَتينِ نجدُ أنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله قد نهى الأُمَّـةَ عَنْ تَقَدُّمِ أحَدٍ على عِترتِهِ في الخلافةِ، إذْ قالَ صلى الله عليه وآله في شأنِ الخليفَتَينِ: الكتابِ والعِترةِ:

(١) السُّنَّة: ٤٦٩، ح١٠٨٠، ب ذكر السمع والطاعة، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٧٠، ت٩٩٢، أبو ليلى الأشعريّ، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٥/ ٢٠٧، ت٦٢١٣، أبو ليلى الأشعري.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢٨/ ٣٧٥، ح١٧١٤٥، حديث العرباض بن سارية، السُّنة: ٢٩، ح٥٤، ب ما أمرَ بِهِ من اتِّباع السنَّة وسنَّة الخلفاء الراشدين.

(٣) هذه العبارة: «**أخي ووزيري ووارثي وخليفتي وإمامُكُم**» قد حُذِفَتْ من المصادر الآتية التي روَت الحديثَ: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، القاضي الكوفي: ١/ ٢٣٦، ح١٢٨، ٢٣٧، ح١٢٩، المعجم الكبير: ٣/ ٧٣، ح٢٧٤٩، الحسن بن عليّ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١/ ١٠٢، ح١٩١٤، عليّ بن أبي طالب، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، الدمشقي الباعونيّ الشافعيّ: ١/ ٧٣، ب٢٧، كنز العمال: ١١/ ٦١٩، ح٣٣٠٠، فضائل عليّ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٩/ ١٧٨، ح١٤٧٥٣، ك المناقب.

(٤) تقريب المعارف: ٢٠١، مسائل الإمامة، النص على إمامة الأئمَّة، الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢/ ٤٨٦، ح٧٦٣، مجلس٧٢، الأمالي، الشيخ الطوسيّ: ٨/ ٣٤٩، ح٣٤.

«**فلا تَقَدَّمُوهُما فَتَهْلِكُوا، ولا تَقْصُروا عنهما فَتَهْلِكُوا ولا تُعَلِّمُوهُم فإنَّهُم أعلَمُ منكُم**»[1].

وما يؤكِّدُ لكَ أنَّ المرادَ بـ«**فلا تَقَدَّموها فتهلِكُوا**»، هُوَ النَّهيُ عَنْ تَقَدُّمِ أحَدٍ من الأُمَّةِ على عِتْرتِهِ في الخلافة أنَّهم قَدْ رَوَوْا عنهُ صلى الله عليه وآله حديثًا في قريشٍ يَتَضَمَّنُ المعانيَ نفسها التي في حديثِ الخليفتينِ، وهُوَ قولُهُ صلى الله عليه وآله: «**قدِّمُوا قريشًا ولا تَقَدَّمُوهَا، وتَعَلَّمُوا منْ قريشٍ ولا تُعَلِّمُوهَا**»[2]، أي: قَدِّموا قريشًا في الخلافةِ ولا تَقَدَّمُوها. وقد أكَّدَ القاضي عَيَّاض (ت٥٤٤هـ) هذا المعنى قائلًا: «إنَّ المرادَ الخلافة»[3].

وجاءَ في (فتح الباري) في شرح قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ منهم اثنانِ**»: «لا تنعقِدُ الإمامةُ الكبرى إلَّا لِقرشيٍّ مهما وُجِدَ منهم أحَدٌ، وكأنَّهُ جَنَحَ إلى أنَّهُ خبرٌ بمعنى الأمرِ، وقد وَرَدَ الأمرُ بذلكَ في حديثِ جُبير بن مُطعم رَفَعَهُ: قَدِّموا قريشًا ولا تَقَدَّموها»[4]، أيْ: وقد وَرَدَ الأمرُ بأنَّ الخلافةَ لقريشٍ في قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**قَدِّموا قريشًا..**».

قالَ ابنُ حجرٍ الهيثمي المكيّ في تفسير قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**فلا تَقَدَّمُوهُما فَتَهْلِكُوا، ولا تَقْصُروا عنهما فَتَهْلِكُوا ولا تُعَلِّمُوهُم فإنَّهُم أعلَمُ منكُم**»: «وإذا ثَبَتَ هذا لجملةِ قريشٍ، فأهلُ البيتِ النبويِّ الذينَ هُم غُرَّةُ فَضْلِهِم، ومُحْتِدُ فَخْرِهم، والسببُ في تَمَيُّزِهِم على غيرِهِم بذلكَ أحرى، وأحقُّ وأوْلى»[5].

(١) المعجم الكبير: ٣/ ٥٥، ح٢٦٨١، ب الحاء، الحسن بن عليّ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٩/ ٢٥٨، ح١٤٩٦٣، ك المناقب، الصواعق المحرقة: ٢٢٩، ب وصيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله بهم، جواهر العقدين في فضل الشَّرفين، القسم الثاني: ١/ ٩٣، كنز العمال: ١/ ١٨٨، ح٩٥٧، ب٢، الاعتصام بالكتاب والسنَّة.

(٢) الجامع الصغير من حديث البشير النذير: ٢/ ٢١٠، ح٦١٠٩.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤/ ٥١٢، شرح ح٦١٠٨.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاريّ: ١٣/ ١٤١، شرح ح٧١٤٠، ك الأحكام.

(٥) الصواعق المحرقة: ٢٢٩، ب وصيَّة النبيّ صلى الله عليه وآله بهم.

وقال المناويُّ (ت١٠٣١هـ): «قالَ السَّمْهُوديُّ وغيرُهُ: كُلُّ ما جاءَ في فَضْلِ قريشٍ فَهُوَ ثابتٌ لبني هاشمٍ والمُطَّلَبِ»(١).

أَلَا يَدُلُّكَ ذلكَ على أنَّ المرادَ بقولِهِ صلى الله عليه وآله في حديثِ الخليفَتَينِ: «**فلا تَقَدَّمُوهما فَتَهْلِكوا**»، هُوَ النهيُ عَنِ التَقدُّمِ على عِتْرةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله في الخلافة؟!.

وقد أكَّدَتِ السيّدةُ فاطمةُ عليها السلام أنَّ اللهَ سبحانَهُ قَدَّمَ عليًّا عليه السلام للخلافةِ، إلَّا أنَّ الأُمَّة قَدَّمَت عليهِ غيْرَهُ خِلافًا لله ورسولِهِ، إذْ قالتْ- كما سبق: «.. **ولكنْ قَدَّمُوا مَنْ أَخَّرَهُ اللهُ، وأخَّروا مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ**».

وما قَدَّمَ اللهُ سبحانَهُ عِتْرةَ نبيِّهِ للخلافةِ إلَّا لِعلمهِ أنَّهُم أفضلُ أُمةِ نبيهِ صلى الله عليه وآله؛ لذا قال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ تقدّم على قومٍ منَ المسلمينَ وهو يرى أنَّ فيهم مَنْ هُوَ أفضلُ منهُ فقد خانَ اللهَ ورسولَهُ والمسلمين**»(٢).

إذًا فالتقدُّمُ على عِـتْرَةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله في الخلافةِ هُوَ الهلاكُ والضَّلالُ. ولَمْ يكتفِ الرسولُ صلى الله عليه وآله بقولِهِ: «**فلا تَقَدَّمُوهما فَتَهْلِكوا**»، بَلْ ذَهَبَ إلى أبلغَ منْ ذلك وأفصحَ، إذْ قالَ صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**لا يَتَقَدَّمُك بعدي إلَّا كافرٌ**»(٣)، وقالَ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ناصب عليًّا الخلافةَ بعدي فَهُوَ كافرٌ، وقَدْ حاربَ اللهَ ورسولَهُ**»(٤)، وقال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ظَلَمَ عليًّا مقعدي هذا بعد وفاتي فكأَنَّما جَحَدَ نُبوَّتي ونُبُوَّةَ الأنبياءِ قبلي**»(٥)، وقال صلى الله عليه وآله: «**مَنْ قاتَلَ عليًّا على الخلافةِ فاقتلوهُ كائنًا مَنْ كانَ**»(٦).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤/ ٥١٢، شرح ح٦١١٠.

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الباقلّانيّ: ١٤٣، ب الكلام في صفة الإمام.

(٣) مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين: ٨٠، منقبة ٢٧، اليقين باختصاص مولانا عليّ بإمرة المؤمنين: ٢٤٢، ب٧٩.

(٤) مناقب عليٍّ بن أبي طالب، ابن المغازليّ الشافعيّ: ٤٥-٤٦، ح٨٦، الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم: ٢/ ٢٨، ب٩.

(٥) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٣٢٣، ح٢٧٣، الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم: ٢/ ٢٧، ب٩، الشهاب الثاقب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ١٦٩، ح٨٢.

(٦) كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق: ٢/ ٢٠٠، ح٧٦٥٦، ينابيع المودَّة لذوي القربى:=

لذلكَ حَرَّضَت السيّدةُ فاطمةُ عليها السلام الأنصارَ على قتالِ المتقدِّمين على عليٍّ عليه السلام وَوَصَفَتْهُم بِأئِمَّةِ الضلالِ، إذْ قالتْ: «**أفَتَأخَّرْتُم بَعد الإقدامِ، ونَكَصْتُم بعد الشِّدَّةِ، وجَبُنْتُم بعد الشجاعةِ عَنْ قومٍ نَكَثوا أيمانَهُمْ مِنْ بَعْد عَهْدِهِم وطعَنوا في دينِكُم، فقاتلوا أَئِمَّة الكُفْرِ؛ إنَّهُم لا أيمانَ لَهُم لَعَلَّهُم ينتهونَ**»[1].

وهناك قرينةٌ سياقيَّةٌ في حديثِ الخليفَتَينِ تؤكدُ أنَّ عِتْرَةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله أحقُّ بالخلافةِ وأوْلى بالاتِّباع هي قولُهُ صلى الله عليه وآله: «**ولا تُعلِّموهم فإنَّهم أعلمُ منكُم**»؛ لأنَّ الأعلميَّة تقتضي وجوبَ الاتِّباعِ، وقد أكَّدَتِ السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام هذا الأمرَ، إذْ قالتْ مُوبِّخَةً إيَّاهُم: «**وَيْحَهُم ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**[2]»[3].

كيفَ خَلَفَت الأُمَّةُ نبيَّهَا في الخليفَتَين

قد سبقَ ذِكْرُ قولِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله: «**فانظروا كيفَ تَخْلفوني فيهما**»، أيْ: في الكتاب والعِتْرَةِ.

إنَّ السيّدة فاطمة عليها السلام قَدْ أفصحتْ عَنْ ذلكَ بأبينِ صورةٍ، إذْ قالتْ شاكيةً: «**يا رسولَ الله، لَبِئْسَ ما خَلَفَكَ أبو بكرٍ وعمر**»[4].

وقالتْ أيضًا وهي متظلِّمةٌ: «**يا أبتِ يا رسولَ الله، ماذا لَقينا بعدكَ مِن ابنِ الخطَّابِ وابنِ أبي قحافةَ؟!**»[5].

وقالتْ لأبي بكرٍ: «**والله لَأَدْعُوَنَّ اللهَ عليكَ في كُلِّ صلاةٍ أُصَلِّيها**»[6].

=٢/ ٨٢، ح١١٨، ب٥٦.

(١) السقيفة وفدك، الجوهريّ البصريّ البغداديّ: ١٠٠، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٣، ك٤٥.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

(٣) بلاغات النساء: ٣٨، كلام فاطمة في مرضها الأخير.

(٤) كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ: ٢/ ٥٨٥، ح٤.

(٥) الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠، كيف كانت بيعة علي، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين: ٣٧٨، ح١٢٥.

(٦) الإمامة والسياسة: ١/ ٣١، السقيفة وفدك: ١٠٢، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٤ شرح ك٤٥.

وقالتْ لهُ أيضًا: «**تَبًّا لأُمَّةٍ وَلَّتْكَ أمورَها**»(١).

وقد أكَّدَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنَّ الأُمَّةَ لمْ تَتَمَسَّكْ بالخليفَتَينِ، قالَ: «فقد عَلِمَ الرسولُ صلى الله عليه وآله أنَّهُم لا يَتمسَّكونَ فقالَ: **ما إنْ تَمَسَّكْتُم بِهما** (٢)؛ لأنَّ (إنْ) في قولِهِ «**ما إنْ تَمَسَّكْتُم بهِ**» شرطيَّةٌ تُستعمل في المعاني المُحتَملةِ المشكوكِ في حصولِها(٣)، أيْ: إنَّ تَمَسُّكهم بالثَّقَلَيْنِ غيرُ حاصلٍ مِنْ بعدِ النبيّ صلى الله عليه وآله.

فقد تَمَسَّكَتِ الأمَّةُ بغيرِ ما أمَرَ بهِ اللهُ ورسولهُ صلى الله عليه وآله، وهذا ما أنْكَرَتْهُ السَّيِّدةِ فاطمةُ عليها السلام بقولِها مِنْ خطبةٍ لها أمامَ نساءِ المهاجرين والأنصارِ في مرضِها الذي قُبِضَتْ فيهِ: «**بِأَيَّةِ عُرْوَةٍ تَمَسَّكُوا؟! وعلى أَيَّةِ ذُرِّيَّةٍ أَقْدَموا واحتَنَكوا(٤)؟! لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ، وبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، اسْتَبْدَلُوا والله الذُّنَابَى(٥) بِالْقَوَادِمِ(٦)، وَالْعَجْزَ(٧) بِالْكَاهِلِ(٨)، فَرَغْمًا لِـمَعَاطِسِ قَـوْمٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٩)، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾(١٠)**»(١١).

أي: إنَّهُمْ تَمَسَّكوا بأبي بكر وعمر، واستبدلُوهما بعليٍّ عليه السلام، وهذا بئسَ البدلُ، وهُوَ الضَّلالُ الذي ذكرهُ الرسولُ صلى الله عليه وآله من قبلُ: «**ما إنْ تمسَّكتُم بهِ لنْ تضِلُّوا بعدي**».

(١) مكارم أخلاق النبيِّ والأئمَّة: ١٥.
(٢) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين: ٥٦٢، ح٢٣٨.
(٣) ينظر: شرح الرضيّ على كافية ابن الحاجب: ٤/ ١٢٧.
(٤) احتنكوا: استولوا. القاموس المحيط: ١/ ٧٢٨ (ح ن ك).
(٥) الذنابى: ريش الذنب. القاموس المحيط: ٢/ ٢٦٩ (ذ ن ب).
(٦) القوادم: عشر ريشات في مقدَّم الجناح. القاموس المحيط: ٣/ ٥٧٣ (ق د م).
(٧) العجز: مؤخَّرُ الشيء. القاموس المحيط: ٣/ ١٦٠ (ع ج ز).
(٨) الكاهل: مُقدَّم أعلى الظهرِ ممَّا يلي العنق. القاموس المحيط: ٤/ ٩٤ (ك هـ ل).
(٩) سورة الكهف: ١٠٤.
(١٠) سورة البقرة: ١٢.
(١١) الاحتجاج: ١/ ٢٩٠، ح٥٠، خطبة الزَّهراء، بلاغات النساء: ٣٧-٣٨، كلام فاطمة عليها السلام في مرضها الأخير.

بَلْ إنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله قَدْ أَكَّدَ بصريحِ العبارة في أحاديثَ كثيرةٍ أنَّ الأُمَّةَ لا تتمسَّكُ بخليفتِهِ عليٍّ مِنْ بعدهِ، مِنْ ذلكَ «عَنْ عليٍّ عليه السلام: **إنَّ مِما عَهِدَ إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله أنَّ الأُمَّة سَتَغْدُرُ بيَ بعدَه**»[1]، لذلكَ قالَ يومَ السقيفةِ: «**أَمَا وربِّ السماءِ والأرضِ (ثلاثًا) إنَّهُ لِعهدِ النبيِّ الأُمِّيِّ إليَّ لَتَغْدُرَنَّ بكَ الأُمَّةُ مِنْ بَعدِي**»[2].

إذْ إنَّ أوّلَ اختلافٍ وَقَعَ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وآله هُوَ فِتْنَةُ السقيفةِ، وما يُؤكِّدُ لكَ ذلكَ قولُ بَضْعَةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله فاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام في يومِ السقيفةِ: «هذا أَوَّلُ غَدْرَةٍ وأَقْبَحُ فَجْرَةٍ، قاتَلَهُما اللهُ» [3]، أيْ: لَعَنَهُما اللهُ[4].

وزَعَمَ أبو بكرٍ أنَّ ما قامَ بهِ في يومِ السقيفةِ كانَ خوفًا مِنَ الفتنةِ، إذْ قالَ لهُ خليفةُ رسولِ صلى الله عليه وآله ووصيُّهُ أيَّامَ السقيفةِ: «**أفسَدْتَ عَلَيْنا أُمورَنا، ولمْ تَسْتَشِرْ، ولَمْ تَرْعَ لنا حَقًّا**. فقالَ: أبو بكرٍ: بلى، ولكنْ خَشِيْتُ الفِتْنَةَ» [5]. وقَدْ كَذَّبَتْهُ الزَّهراءُ عليها السلام قائلةً لهُ مِنْ خطبةٍ لها: «**زَعَمْتُم خَوْفَ الفِتنةِ، ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وإنَّ جَهَنَّمَ لَـمُحيطَةٌ بالكافرينَ**»[6].

السيِّدة فاطمةُ وحديثُ الغدير

إنَّ بَضْعَةَ النبيِّ صلى الله عليه وآله فاطمةَ الزَّهراءَ عليها السلام هيَ أوَّلُ مَنِ احْتجَّتْ بحديثِ الغديرِ لإمامةِ عليٍّ عليه السلام، إذْ قالتْ مِنْ خَلْفِ البابِ لِعمرَ بنِ الخطَّابِ ومَنْ مَعَهُ حينَ حَضَروا أمامَ بيتها لإخراجِ عليٍّ إلى بَيْعةِ أبي بكرٍ: «**لا عَهْدَ لي بقومٍ حَضَروا أسْوأَ مَحْضَرٍ منكُم؛ تَرَكْتُم رسولَ الله صلى الله عليه وآله جَنازةً بينَ أيدينا وقَطَعْتُم أمْرَكُمْ فيما بينكُم لمْ تُؤَمِّرونا، ولمْ تَروا لنا**

(١) المستدرك على الصحيحَين: ٤/ ١١٥، ح٤٧٣١، ك معرفة الصحابة.
(٢) السقيفة وفدك: ٦٩، شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٥، شرح خ٦٦.
(٣) مكارم أخلاق النبيّ والأئمَّة: ١٤٢.
(٤) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٤٣ (ق ت ل).
(٥) مروج الذهب: ٢/ ١٥٨ ذكر نسبه (أبي بكر)، ولُمع من أخبارهِ وسِيَرِهِ.
(٦) السقيفة وفدك: ١٤١، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، محمَّد الدمشقيّ الباعونيّ الشافعيّ: ١/ ١٠٧، ب١٠.

حَقًّا[1]**، كَأَنَّكُم لَمْ تعلمُوا ما قالَ يومَ غديرِ خُمٍّ، واللهِ لَقَدْ عَقَدَ لهُ يومئذٍ الوَلاءَ؛ ليَقْطَعَ منكُم بذلكَ منها الرجاءَ، ولكنَّكُم قَطَعْتُمُ الأسبابَ بينكُم وبينَ نبيِّكم، واللهُ حسيبٌ بيننا وبينكُم في الدنيا والآخرة»**[2].

قولها عليها السلام: «**لَمْ تُؤَمِّرونا**» يَدلُّ على أنَّها تتحدَّثَ عَنْ إمارةِ المسلمينَ، ومعنى قولها: لَمْ تتَّخذونا أُمَراءَ وهوَ حَقُّنا، كأَنَّكُم لَمْ تعلموا ما قالَ يومَ غديرِ خُّمٍ، واللهِ لقد عَقَدَ لهُ الولاءَ، أي: عَقَدَ لهُ الإمامةَ والإمارةَ في يومِ غديرِ خُمٍّ؛ لأنَّ الوَلاءَ بمعنى المُلْك، أي: السلطان[3].

ومِنْ ذلكَ قولُها عليها السلام مُجيبةً محمودَ بن لبيد الأنصاريَّ عَنْ سؤالٍ سألهُ إيَّاها، إذ قالَ: «هَلْ نَصَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قبل وفاتِهِ على عليٍّ بالإمامةِ؟ قالتْ: **واعجباهُ، أَنَسيتُمْ يومَ غدير خُمٍّ؟!**»[4]، حديثها دَليلٌ على أنَّ يومَ الغدير كانَ فيهِ النصُّ على عليٍّ بالإمامة.

ومِنْ ذلكَ أيضًا أنَّها حينَ خاطَبَتِ الأنصار في أحقيَّةِ عليٍّ عليه السلام بالخلافةِ قالوا: «يا بِنْتَ مُحَمَّدٍ، لو سَمِعْنا هذا الكلام منكِ قبلَ بَيْعتِنا لأبي بَكْرٍ ما عَدَلنا بعليٍّ أحدًا. فقالتْ: **وهَلْ تركَ أبي يومَ غديرِ خُمٍّ لأحَدٍ عُذْرًا؟**»[5].

تدبَّرْ جيدًا أنَّ السَبَبَ الموجِبَ لكلامِ السيِّدةِ الزَّهراء عليها السلام مَعَ أولئِكَ القومِ هُوَ الخلافةُ، وهذا واضحٌ في قولِ المخاطبينَ: «لو سَمِعْنا هذا الكلامَ قبلَ بيعتِنا لأبي بكرٍ ما عَدَلنا بعليٍّ أحدًا»، وقَدْ رَدَّتِ السيِّدةُ الزَّهراءُ عليها السلام اعتذارَهُم قائلةً: «**وهَلْ تركَ أبي يومَ غديرِ خُمٍّ لأحدٍ عُذرا؟**»، أي: ما تركَ أبي يومَ غديرِ خُمٍّ لأَحَدٍ عُذرًا.

(١) إلى هنا ورد في الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠، كيف كانت بيعةُ عليّ، تاريخ الطبريّ: ٣/ ٢٠٢، سنة ١١هـ.

(٢) الاحتجاج: ١/ ٣٠٢-٣٠٣، ح٣٧، احتجاج الاثني عشر من الصحابة.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٩/ ٤٠٨ (و ل ي).

(٤) كفاية الأثر في نصوص الأئمَّة الاثني عَشَرَ: ٣٠٣، ح١٢٣، ب ما جاء عن فاطمة عليها السلام.

(٥) الخصال: ١/ ٢٠١، ح٢٢٨ قول أبي بكر: لا آسى من الدنيا إلّا على ثلاث. مكارم أخلاق النبيّ والأئمَّة: ١٤٥.

وكذلكَ احْتَجَّتِ السيِّدةُ الزَّهراء عليها السلام لإمامةِ عليٍّ عليه السلام بحديثِ الغديرِ في مقامٍ آخَرَ هُوَ أَنَّهُ لَـمَّا خَطَبَتْ خُطْبَتَها في مسجدِ الرسول صلى الله عليه وآله، وفيهِ أبو بكرٍ وعُمَرُ في حَشْدٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ، مُفصِحَةً عَنْ حَقِّ عليٍّ عليه السلام بمقامِ النبيِّ صلى الله عليه وآله في الأُمَّةِ «أَتْبَعَهَا رافعُ ابنُ رِفاعةَ الزُرَقيُّ، فقالَ لها: يا سيِّدةَ النساءِ، لو كانَ أبو الحَسَنِ تكلَّمَ في هذا الأمرِ وذكرَ للناسِ قبلَ أنْ يَجْريَ هذا العقدُ ما عَدَلنا بهِ أحَدًا. فقالتْ لهُ بِرُدْنِها[1]: **إليكَ عَنِّي، فما جَعَلَ اللهُ لأحدٍ بعدَ غديرِ خُمٍّ مِنْ حُجةٍ ولا عُذْرٍ**»[2].

إنَّ معنى «**إليكَ عَنِّي**» هُوَ تَنَحَّ وابتعدْ عَنِّي[3]؛ زَجْرًا للمخاطَبِ، وتوبيخًا لهُ على ما صَدرَ منهُ ومنْ غيرهِ في حَقِّ إمامِهِم عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ ما جَعَلَ لأحدٍ بعد غديرِ خُمٍّ مِنْ حُجةٍ ولا عُذْرٍ.

ومِنْ ذلكَ قولُها عليها السلام مخاطبةً المهاجرينَ والأنصارَ: «**أَنَسِيْتُمْ قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله يومَ غديرِ خُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مولاه فعليٌّ مولاهُ، وقَوْلَهُ صلى الله عليه وآله: أَنْتَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى؟**»[4].

أي: ما نَسِيتُم قَوْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله يومَ غدير خُمٍّ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه..**».

تفسير «مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه»:

جاءَ في معاجم اللغة: «الوليُّ: وليُّ اليتيمِ الذي يلي أمْرَهُ ويقومُ بكفايتِهِ ووليُّ المرأَةِ: الذي يلي عَقْدَ النكاحِ عليها، ولا يَدَعُها تَسْتَبِدُّ بعقدِ النكاحِ دونَهُ»[5].

إذًا فالوَليُّ هُوَ الذي يَتَولَّى الأمرُ، وهذا هو الأصلُ؛ لذا قالَ المبرِّدُ (ت٢٨٥هـ):

---

(١) أي: قالت مُشيرةً لهُ برُدْنِها، والرُّدْنُ: مُقَدَّمُ كُمِّ القميص. لسان العرب: ٤/ ١٢٢ (ر د ن).

(٢) دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ الصغير: ١٢٢، ح٣٦، حديث فدك.

(٣) ينظر: الكتاب: ١/ ٢٤٩-٢٥٠، معجم أسماء الأفعال: ٤٤.

(٤) أسنى المطالب في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، الجزريّ الدمشقيّ الشافعيّ): ٣٣، ح٥.

(٥) تهذيب اللغة: ١٥/ ٤٤٩ (و ل ي)، لسان العرب: ٩/ ٤٠٥ (و ل ي).

«أصلُ تأويلِ الوليِّ الذي هو أوْلى، أيْ: أحَقُّ»[1]؛ لذا فمعنى قولِ الرسولِ صلى الله عليه وآله: «**لا يزالُ أمرُ الناسِ ماضيًا ما وَلِيَهُم اثنا عشر رجلًا**»[2]، هو: لا يزالُ أمرُ الناسِ ماضيًا ما تولَّى أمْرَهُم اثنا عَشَرَ رَجلًا.

ومعنى قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**لا يزالُ على الناسِ والٍ مِنْ قريشٍ**»[3]، هُوَ لا يزالُ المتولِّي أمْرَ الناسِ مِنْ قريش.

وهناكَ معانٍ أُخرى لـ(الوليّ) هي: المُحِبُّ والناصرُ والصديقُ[4]، وهذه المعاني غيرُ مُرادةٍ في حديثي الرسول صلى الله عليه وآله السابقينِ.

وتستعملُ العربُ لفظةَ (مولى) مكان (وليّ)؛ لأنَّهما بمعنى واحدٍ، قال الفرَّاء (ت٢٠٧هـ): «الوليّ والمولى في كلامِ العربِ واحدٌ»[5].

وقال الأزهريُّ (ت٣٧٠هـ): الوليُّ والمولى واحدٌ في كلامِ العربِ، قلتُ: ومِنْ هذا قول النبيِّ صلى الله عليه وآله: «**أيُّما امرأَةٍ نُكِحتْ بغيرِ إذنِ مولاها**»، ورواهُ بعضهُم: وليِّها؛ لأنَّهما بمعنًى واحدٍ»[6].

وما يؤكِّدُ لكَ ذلكَ أنَّ الصحابيَّ عبد الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه قرأ قولهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: «إنَّما مولاكُم اللهُ ورسولُهُ والذينَ آمنوا»[7].

وقالَ الراغبُ الأصفهانيُّ (ت٤٢٥هـ): «الوِلاية: تَوَلِّي الأمر، وقِيلَ: الوِلايةُ والوَلايةُ نحو: الدِّلالة والدَّلالة، وحقيقتُهُ تولِّي الأمر، والوليّ والمولى يُستعملانِ في

(١) الشافي في الإمامة، السيِّد المرتضى: ٢/ ٢١٩، نقلًا عن الكتاب المفقود (العبارة) للمبرِّد.
(٢) صحيح مسلم: ٥٣٨، ح١٨٢١، ك الإمارة، ب الناس تبع لقريش.
(٣) كنز العمال: ١٢/ ٣٢، ح٣٣٨٤٧، ب٤ في القبائل وذكرهم: قريش.
(٤) ينظر: لسان العرب: ٩/ ٤٠٨ (و ل ي).
(٥) معاني القرآن، الفرَّاء: ٢/ ٦٥٤.
(٦) تهذيب اللغة: ١٥/ ٤٥٠ (و ل ي).
(٧) معاني القرآن، الفرّاء: ٢/ ٦٥٤، سورة مريم: ٥.

ذلك»[1]، أي: يُستعملانِ في تَوَلِّي الأمرِ.

وقَدِ استعملَهُما رسولُ الله صلى الله عليه وآله بهذا المعنى في حَقِّ أخيهِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام، فأمَّا (وليّ) فمنهُ قولُه صلى الله عليه وآله للذين شَكَوْا عليًّا عليه السلام في بَعْثِ اليمنِ: «**دَعُوا عليًّا، دَعُوا عليًّا، دعُوا عليًّا، إنَّ عليًّا منِّي وأنا منهُ، وهُوَ وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي**»[2].

وعن ابن عبَّاس أنَّه قالَ: «إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قالَ لعليٍّ: **أنتَ وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي**»[3].

وأمَّا (مَوْلى) فمنهُ قولُهُ صلى الله عليه وآله يومَ غديرِ خُمٍّ، وقد أخَذَ بيدِ عليٍّ عليه السلام: «**ألَسْتُم تعلمون أنَّي أوْلى بالمؤمنينَ مِنْ أنْفُسِهِم؟** قالوا: بلى، قالَ: **ألَسْتُم تعلمونَ أنِّي أوْلى بكُلِّ مُؤمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟** قالوا: بلى، قالَ: فأخَذَ بيدِ عليٍّ فقالَ: **مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**»[4].

إنَّ (مَوْلى) في قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**» الذي احتجَّتْ بهِ السيِّدةُ فاطمةُ عليها السلام لإمامةِ عليٍّ، بمعنى (أوْلى)، ويُؤَكِّد هذا المعنى أنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله قَدْ مَهَّدَ لهُ بقولِهِ: «**ألَسْتُمْ تعلمونَ أنِّي أولى بالمؤمنين من أنفسُهِم؟**»، فعلى معنى هذا القولِ جاءَ معنى قولِهِ صلى الله عليه وآله: «**فَمَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاهُ**»، أيْ: فَمَنْ كُنْتُ أوْلى بهِ مِنْ نفسِهِ فعليٌّ أوْلى بهِ مِنْ نفسهِ، ولو لمْ يكَنْ هذا المعنى مُردًا لَكانَ المجيءُ بقولِهِ: «**ألَسْتُم تعلمون أنَّي أوْلى بالمؤمنينَ مِنْ أنْفُسِهِم؟**» لغوًا، وحاشا كلام رسولِ الله صلى الله عليه وآله أنْ يكونَ كذلك.

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨٥ (و ل ي).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٣٣/ ١٥٤، ح١٩٩٢٨، حديث عمران بن حصين، فضائل الصحابة: ٢/ ٦٥، ح١٠٣٥، فضائل عليّ بن أبي طالب، سنن الترمذيّ: ٦/ ٢٨٤، ح٤٠٤٥، ب مناقب عليّ بن أبي طالب.

(٣) مسند أبي داوود الطيالسّي: ٣/ ١٦٣، ح٢٨٧٥، مسند عمرو بن ميمون، المستدرك على الصحيحين: ٤/ ١٠٦، ح٤٧٠٨، ك معرفة الصحابة، فضائل الصحابة: ٢/ ١٥٩، ح١١٦٨، فضائل عليّ بن أبي طالب.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣٠/ ٤٣٠، ح١٨٤٧٩، حديث البراء بن عازب، سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣، ح١١٦ فضل عليّ بن أبي طالب.

وفضَلًا عَنْ ذلكَ فهناكَ الكثيرُ مِنَ الأدِلَّةِ التي تُؤَكِّدُ أنَّ: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاهُ**» يعني ولايةَ أمْرِ الأُمَّةِ والإمامةَ والخلافَةِ مِنْ بعدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، من ذلكَ ما رواهُ رياحُ ابن الحارثِ النَّخْعِيُّ (ت٨١هـ)، إذْ قالَ: «جاءَ رَهْطٌ إلى عليٍّ بالرَّحْبَةِ فقالوا: السلامُ عليكَ يا مولانا. قالَ: كيفَ أكونُ مولاكُم وأنْتُم قومٌ عَرَبٌ؟ قالوا: سَمِعْنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله يومَ غديرِ خُمٍّ يقولُ: **مَنْ كُنْتُ مولاهُ فإنَّ هذا مولاهُ**. قالَ رياحٌ: فلمَّا مَضَوْا تَبِعْتُهُم، فَسَأَلْتُ: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: نَفَرٌ مِنَ الأنصارِ فيهِم أبو أيُّوب الأنصاريُّ»[1].

إنَّ معنى كلامِ الإمامِ عليه السلام هُوَ: كيفَ أكونَ أولى بِكُم مِنْ أَنفسِكُم وأنتُم قَوْمٌ عَرَبٌ؟ فَسُؤَالُ عليٍّ عليه السلام إيَّاهُم وإقرارُهُم بذلك دَلَّ على أنَّ عليًّا عليه السلام هُوَ المتوَلِّي أمْرَ الأُمَّةِ بعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله.

ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ مُرادُهُ هُوَ: كيفَ أكونَ ناصِركُ وأنتمُ قومٌ عَربٌ؟ أو كيفَ أكونَ مُحِبَّكُم وأنتُم قومٌ عَرَبٌ؟ أو كيفَ أكونَ صديقَكُم وأنْتُمَ قومٌ عَرَبٌ؟؛ لأنَّ السياقَ لا يستقيمُ مَعَ هذِهِ المعاني.

وإنَّما جاءَ عليٌّ عليه السلام بأُسلوبِ الاستفهام في قولِهِ: «**كيفَ أكونُ مولاكُم وأنتُم قومٌ عَرَبٌ؟**» كي يُقَرِّرَ أنَّهُ أوْلى بِهِم مِنْ أنفسُهِم، وهذا يعني تَوَلِّي أمرِهِمْ بعدَ النبيِّ صلى الله عليه وآله، لذلكَ قالَ عليه السلام مِنْ خُطبةٍ لهُ: «**وقَدْ كانَ رسولُ الله صلواتُ الله عليهِ وآلهِ أَمَّرني على جميعِ أُمَّتِهِ، وأخَذَ لي على مَنْ حَضَرني منهم البيعة بالسَّمْعِ والطاعةِ لِأمْري، وأمَرَهُم أنْ يُبَلِّغَ الشاهدُ الغائبَ**»[2].

وعَنْ وليِّ أمرِ الأُمَّةِ الخامس محمَّد الباقرِ عليه السلام قالَ: «**سُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ بن أبي**

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٣٨/ ٥٤١، ح٢٣٥٦٣، حديث أبي أيُّوب الأنصاريِّ، المعجم الكبير: ٤/ ١٥١، ح٤٠٥٣، ب الخاء، رياح بن الحارث عن أبي أيُّوب، فضائل الصحابة: ٢/ ٢٦، ح٩٦٧، فضائل عليّ بن أبي طالب.

(٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار: ٤/ ٣٤٦، ح٣١٥.

طالبٍ عليه السلام **عَنْ قولِ النبيّ صلى الله عليه وآله: مَنْ كنْتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ. فقال عليه السلام: نَصَبَني علمًا**»[1]، أيْ: أقامَني إمامًا للأُمَّةِ تهتدي بِيَ.

وسُئِلَ وليُّ أمرِ الأُمَّةِ الرابع عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام: «ما معنى قولِ النبيِّ صلى الله عليه وآله: **مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ؟** قال: أخبَرَهُم أنَّهُ الإمامُ بعدَهُ»[2].

ثُمَّ تأمَّل معنى (عَلَمًا) في قول الولي عليٍّ عليه السلام: «**ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّد صلَّى الله عليه لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِالدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهَ عَنْ مُقَارَنَةِ البَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبيَاءُ فِي أُمَمِها، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيق واضِح، ولاَ عَلَمٍ قَائِم**»[3].

فالطريقُ الحقُّ هُوَ الكتابُ، والعَلَمُ القائم هُوَ الإمامُ القائمُ على الأُمَّةِ مِنْ بعدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، فعن حُذَيْفَةَ قالَ: «قالَ النبيُّ لعليٍّ: **جَعَلتُكَ عَلَمًا فيما بيني وبينَ أُمتي؛ فَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْكَ فقد كَفَرَ**»[4]، وعن ابن عبَّاس عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قالَ: «**يا عليُّ سِلمُكَ سِلمي، وحَرْبُكَ حَرْبي، وأنتَ العَلَمُ ما بيني وبينَ أُمتي مِنْ بعدي**»[5].

وقَدْ أكَّدَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنَّ الخلفاءَ الاثني عَشَرَ هُمْ عِتْرَةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، إذْ قالَ: «**فأينَ يُتاهُ بكِم؟ وكيفَ تَعْمَهونَ[6] وبينكُمْ عِترْةُ نبيّكُم؟ وهُم أزِمَّةُ الحقِّ وأعلام الدين**»[7].

(١) زين الفتى في شرح سورة هل أَتى: ١/ ٤٩٥، ح٢٩٥، ف٥.
(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١/ ٢٩٥، ح١٩١، مجلس٢٦.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ١١٦-١١٧، خ١.
(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٥٠/ ٣٥٨، ترجمة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.
(٥) مناقب عليّ بن أبي طالب، ابن المغازليّ الشافعيّ: ٥٠ ح٧٣، الأمالي، الشيخ الطوسيّ: ١٣/ ٥٤٢، ح١٤٢.
(٦) تعمهون: تتَحيَّرون وتتردَّون في الضلالة. لسان العرب: ٦/ ٤٥٣ (ع م هـ).
(٧) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٧٣، خ٨٦.

مَنْ إمامُ السيِّدةِ فاطمةُ بعدَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله؟

إنَّ السيِّدةَ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وآله لابدَّ أنْ يكونَ لها إمامٌ، يجبُ عليها مبايَعَتُهُ وطاعتُهُ؛ لقولِ رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ وليسَ في عنقهِ بيعةٌ ماتَ مِيْتَةً جاهليّةً**»، وقولِهِ صلى الله عليه وآله: «**مَنْ ماتَ ولَمْ يَعْرِف إمامَ زمانهِ ماتَ مِيتَةً جاهليةً**»، فالسيِّدةُ الزَّهراء عليها السلام ماتَتْ في عَهْدِ أبي بكرٍ؛ فَهَلْ كان أبو بكرٍ إمامَ زمانِها؟ فإن كانَ كذلك فعلى السيِّدةِ فاطِمةَ عليها السلام مُبايَعَتُهُ وطاعَتُهُ ومَعْرِفَتُهُ، ولكنَّ الذي بَلَغنا عنها أنَّها لَمْ تُبايعْهُ، بَلْ ماتَتْ وهي غاضبةٌ عليهِ، وقَدْ أكَّدَ هذا الأمْرَ عائشةُ، إذْ قالتْ: «إنَّ فاطِمَةَ عليها السلام بنْتَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أرْسَلَتْ إلى أبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيراثَها مِن رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ممَّا أفاءَ اللهُ عليه بالمَدِينَةِ، وفَدَكٍ، وما بَقِيَ مِن خُمُسِ خَيْبَرَ، فقالَ أبو بَكْرٍ: إنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا صَدَقَةٌ، إنَّما يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا المالِ، وإنِّي واللهِ لا أُغَيِّرُ شيئًا مِن صَدَقَةِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن حالِها الَّتي كانَ عليها في عَهْدِ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَأَعْمَلَنَّ فيها بما عَمِلَ به رَسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فأبَى أبو بَكْرٍ أنْ يَدْفَعَ إلى فاطِمَةَ مِنْها شيئًا، فَوَجَدَتْ[1] فاطِمَةُ علَى أبِي بَكْرٍ في ذلكَ؛ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ، وعاشَتْ بَعْدَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سِتَّةَ أشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَها زَوْجُها عَلِيٌّ لَيْلًا، ولَمْ يُؤْذِنْ بها أبا بَكْرٍ»[2].

وقالتْ عليها السلام لأبي بكرٍ ونظيرِهِ عُمَرَ بن الخطَّابِ في مرضها الذي تُوفِّيت فيه: «**أَرَأَيْتكُما إنْ حَدَّثْتُكُما حَديثًا عَنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله تَعْرِفانِهِ وتفعلانِ بهِ؟** قالا: نعم. فقالت عليها السلام: **نَشَدْتُكُما اللهَ أَلَمْ تَسْمَعا رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ: رِضا فاطمةَ مِنْ رِضاي، وسَخَطُ فاطمةَ**

(١) وَجَدَتْ: غَضِبَتْ. لسان العرب: ٩/ ٢٢٢ (و ج د)، القاموس المحيط: ٤/ ٥٧٦ (و ج د).

(٢) صحيح البخاريّ: ٨٥٢، ح٤٢٤٠، ٤٢٤١، ك المغازي، ب غزوة خيبر، صحيح مسلم: ٥١٦، ح١٧٥٩، ك الجهاد والسير، ب قول النبيّ صلى الله عليه وآله، لا نورث، تاريخ المدينة المنورة: ١/ ١٩٦-١٩٧، ذكر فاطمة والعبَّاس وعليّ عليهم السلام، تاريخ الطبريّ: ٣/ ٢٠٧-٢٠٨ سنة ١١هـ، حديث السقيفة.

مِنْ سَخَطي، فَمَنْ أحبَّ فاطمةَ ابنتي فقد أَحَبَّني، ومَنْ أرْضى فاطمةَ فقد أرضاني، ومَنْ أسْخَطَ فاطمةَ فقد أسخطَني. قالا: نَعَمْ، سَمِعْنا مِنْ رسولِ الله صلى الله عليه وآله. قالت: **فإنِّي أُشْهِدُ اللهَ وملائكَتَه، أنَّكُما أسْخَطْتُماني، وما أرْضَيْتُماني، ولَئِنْ لقيتُ النبيَّ لَأَشْكوَنَّكما إليه**»[1].

فالسيِّدةُ فاطمةُ الزَّهراءُ عليها السلام ماتَتْ وهِيَ ساخِطَةٌ على أبي بَكْرٍ وعُمَرَ؛ إذًا فهناكَ احتمالانِ لا ثالثَ لهما:

الأوَّلُ: إمَّا أنْ يكونَ أبو بَكْرٍ أحَدَ الأئِمَّةِ الاثني عَشَرَ الذينَ ذَكَرَهُم رسولُ الله صلى الله عليه وآله؛ وهذا يعني أنَّ فاطمةَ عليها السلام – مَعْذِرةً سَيِّدَتنا– ماتَتْ مِيتَةً جاهليَّة؛ لأنَّها لَمْ تُبايعْ إمامَ زمانِها أبا بَكْرٍ.

الثاني: وإمَّا أنْ يكونَ أبو بكرٍ ليسَ مِنَ الأئِمَّةِ الاثني عَشَرَ، وأنَّ فاطمةَ كانتْ على حَقٍّ في سخطها وغَضَبِها عليهِ.

أمَّا الاحتمال الأوَّلُ (كَوْنُ فاطمةَ ماتَتْ مِيتةً جاهليةً) فمردودٌ جملةً وتفصيلًا؛ لأنَّها سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ، وقَدْ قالَ لها رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمةُ سيِّدةُ نساءِ أهْلِ الجنَّةِ**»[2].

إذًا فلا يبقى إلَّا أنْ نقولَ مِنْ غيرِ تَعَصُّبٍ: إنَّ أبا بَكْرٍ ليسَ مِنَ الأئمَّةِ الاثني عَشَرَ، وإنَّ السيِّدةَ فاطمةَ الزَّهراءَ عليها السلام كانت على حَقٍّ في سَخَطِها عليهِ.

فإذا لَمْ يكُنْ أبو بكرٍ إمامًا لفاطمةَ بعدَ وفاة رسولِ الله صلى الله عليه وآله، فَمَنْ هُوَ إمامُها؟ إنَّ إمامَها هُوَ مَنْ عَرَّفَ بِهِ رسول الله صلى الله عليه وآله في مناسباتٍ عِدَّةٍ وبألفاظٍ مُختلفةٍ هوَ الإمامُ عليُّ ابن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٣١، كيفَ كانت بيعةُ عليٍّ بن أبي طالب، الدُّرُّ النظيم في مناقب الأئمَّة اللهاميم: ٤٨٣–٤٨٤، فاطمة.

(٢) صحيح البخاريّ: ٧٥١، ك المناقب، ب مناقب قرابة رسولِ الله صلى الله عليه وآله ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله.

نتائج البحث

أهَمُّ نتائج البحثِ:

١. أنَّ الخلافةَ هي بجعلٍ مِنَ الله ورسولِهِ صلى الله عليه وآله.

٢. أنَّ خُلفاءَ الرسولِ صلى الله عليه وآله إلى يومِ القيامةِ اثنا عشر خليفةً راشدًا فقط.

٣. أنَّ الخلفاء الراشدينَ هُمْ عِتْرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله أوَّلُهُم الخليفةُ الراشدُ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، وآخرِهُم الخليفةُ الراشدُ المهديُّ عجل الله فرجَهُ.

المصادر

١. أسدُ الغابة في معرفة الصحابة، تأليف عزّ الدين أبي الحسن علي بن محمَّد بن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: الشيخ خالد طرطوسيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٢. أسنى المطالب في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تأليف الشيخ المقرئ محمَّد بن محمَّد الجزريّ الدمشقيّ الشافعيّ (ت٨٢٣هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٢٨هـ.

٤. الأمالي، تأليف أبي عبد الله محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المقدَّسة، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥. الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، الإمام الفقيه أبي محمَّد عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: عليّ شيري، منشورات الشريف الرضيّ، مطبعة أميرة، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

٦. البداية والنهاية، تأليف الإمام الحافظ المؤرِّخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محي الدين ديب مستو، راجعهُ: الشيخ عبد القادر

الأرنـاؤوط، د. بشَّار عوَّاد معروف، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٧. بلاغات النساء وطرائف كلامهنّ ومُلح نوادرهنَّ وأخبار ذوات الرأي منهنَّ وأشعارهنَّ في الجاهليَّة وصدر الإسلام، تأليف الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طيفور (ت٢٨٠هـ)، تحقيق: يوسف بركات هبُّود، المكتبة العصريَّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨. تاريخ الطبريّ (تاريخ الرسل والملوك)، أبي جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٦.

٩. تاريخ مدينة دمشق، تصنيف الإمام الحافظ أبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: نخبة من المحقِّقين، مطبعة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٠. تاريخ المدينة المنوَّرة، لابن شَبَّةَ أبي زيد عمر بن شَبَّةَ النميري البصريّ (ت٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمَّد شلتوت، الناشر، دار الفكر، قم، مطبعة قدس، ١٤١٠هـ.

١١. تقريب المعارف، تأليف عمدة الفقهاء والمتكلِّمين خليفة السيِّد المرتضى في علومه أبي الصلاح تقي بن نجم الحلبيّ (ت٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسُّون، شبكة الفكر، ١٤١٧هـ.

١٢. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في الردِّ على الملحدة والمعطِّلة والرافضة والخـوارج والمعتزلة، تأليف الإمـام أبي بكر محمَّد بن الطيِّب الباقلَّانيّ (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيديّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ.

١٣. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمَّد بن أحمد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون.

١٤. الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لخاتمة الحفَّاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجاريَّة الكبرى لصاحبها مصطفى محمَّد، القاهرة.

١٥. جواهر العقدَين في فضل الشَّرَفين شرف العلم الجليل والنسب العليّ، للشيخ عليّ بن عبد الله الحسنيّ السمهوديّ (ت٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. موسى بناي العليليّ، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٦. جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب، تأليف الشيخ محمَّد بن أحمد بن ناصر الدمشقيّ الباعونيّ الشافعيّ (ت٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد كاظم المحموديّ، نشر العتبة العلويَّة المقدَّسة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

١٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف الإمام الحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبد الله الأصفهانيّ الشافعيّ (ت٤٣٠هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٨. الخصال، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٩، ١٤٣٤هـ.

١٩. الدرُّ النظيم في مناقب الأئمَّة اللهاميم، تأليف جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي (ت ق٧هـ)، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المشرَّفة، ط٢، ١٤٣١هـ.

٢٠. دلائل الإمامة، للمحدِّث الشيخ أبي جعفر محمَّد بن جرير بن رستم الطبريّ

(ت أوائل القرن الرابع الهجريّ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، ك٢، ١٤٣٧هـ.

٢١. زين الفتى في شرح سورة (هل أتى)، تأليف الحافظ أحمد بن محمَّد بن عليّ ابن أحمد العاصميّ (ت٣٧٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، إيران، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٢. السقيفة وفدك، لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ البصريّ البغداديّ (ت٣٢٣هـ)، رواية عزِّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزليّ (ت٦٥٦هـ)، تقديم وجمع وتحقيق: د. محمَّد هادي الأمينيّ، إصدار مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٢٣. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تأليف عبد الملك بن حُسين بن عبد الملك الشافعيّ العاصميّ المكّيّ (ت١١١١هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤. السُّنَّة، للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، ومعهُ ظلال الجنَّة في تخريج السنَّة، بقلم محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، دمشق، عمَّان، ط٥، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٥. سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٢٦. سنن أبي داوود، الإمام الحافظ المصنِّف المتقن أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستانيّ الأزديّ (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنَّة النبويَّة.

٢٧. سنن الترمذيّ، تأليف الإمام الحافظ أبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سَوْرةَ

الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد اللطيف حرز الله، الرسالة العالميَّة، دمشق، الحجاز، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٨. السيرة النبويَّة، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٩. السيرة النبويَّة، لابن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقَّا، إبراهيم الأبياريّ، عبد الحفيظ شلبي، الهيئة العامَّة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٠. الشافي في الإمامة، للشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: السيِّد عبد الزَّهراء الحسينيّ الخطيب، راجعه: السيِّد فاضل الميلاني، مؤسَّسة الصادق للطباعة، إيران، طهران، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٣١. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأخيار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمَّد التميميّ المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: السيّد محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٢، ١٤٣١هـ.

٣٢. شرح الرضيّ على كافية ابن الحاجب، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٣. شرح المقاصد، تأليف الإمام العلَّامة مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازانيّ (٧٩٣هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١١م.

٣٤. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٣٥. الشهاب الثاقب في مناقب عليّ بن أبي طالب، تأليف الشيخ محمَّد شريف بن محمَّد رضا الشيروانيّ (ت ق١٣هـ)، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٣٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، تأليف الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكانيّ الحذَّاء الحنفيّ النيسابوريّ (ق ٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم، ط٣، ١٤٢٧هـ.

٣٧. صحيح البخاريّ، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، شركة القدس، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٣٨. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ.

٣٩. الصراط المستقيم إلى مستحقِّي التقديم، تأليف العلَّامة المتكلِّم الشيخ زين الدين أبي محمَّد عليّ بن يونس العامليّ النباطيّ البياضيّ (ت٨٧٧هـ)، تحقيق: محمَّد الباقر البهبوديّ، المكتبة المرتضويَّة لإحياء الآثار الجعفريَّة، طبعة الحيدريّ، ط١، ١٣٨٤هـ.

٤٠. الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة، تأليف المحدِّث أحمد بن حجر الهيثميّ المكِّيّ (ت٩٧٤هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر.

٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، للإمام الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن ياسر، ترقيم: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار البيان العربيّ، القاهرة.

٤٢. فضائل الصحابة، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله بن محمَّد عبَّاس، دار ابن الجوزيّ، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٤٣٥هـ.

٤٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلَّامة المدعو بعبد الرؤوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

٤٤. القاموس المحيط، تأليف الفيروزآباديّ (ت٨١٧هـ)، ترتيب على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي (ت١٩٨٦م)، عالم الكتب، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٤٥. الكتاب (كتاب سيبويه)، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٦. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ التابعيّ الكبير من أصحاب أمير المؤمنين والإمامَين الحسن والحسين (ت٧٦هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ الزنجانيّ الخوئينيّ، مطبعة نكارش، طهران، ط٥، ١٤٢٨هـ.

٤٧. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب السنَّة، تأليف الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٨. كفاية الأثر في النصوص على الأئمَّة الاثني عشر، لأبي القاسم عليّ بن محمَّد ابن عليّ الخزَّاز القمِّيّ الرازي (ت ق٤هـ)، تحقيق: محمَّد كاظم الموسويّ، عقيل الربيعيّ، مطبعة نكارش، قم، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٩. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، العلَّامة علاء الدين عليّ المتَّقي بن حسام

الدين الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، تحقيق: نخبة من المحقِّقين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٠. كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق، للحافظ الفقيه عبد الرؤوف بن عليّ بن زين العابدين المناويّ المصريّ الشافعيّ (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن صلاح بن محمَّد بن عريضة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥١. لسان العرب، للإمام العلَّامة ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: نخبة من المتخصِّصين، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٢. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمَّة من ولدِهِ، تأليف المحدِّث الجليل والشيخ الفقيه أبي الحسن محمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن القمِّيّ المعروف بابن شاذان (ت أوائل القرن الخامس الهجريّ)، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ط٥، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٣. المستدرك على الصحيحَين، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ) ومعه تلخيص الذهبيّ، وكتاب الدرك بتخريج المستدرك، وأحكام الأئمّة الحفَّاظ على أسانيده ومنهم، الحافظ ابن حجر العسقلانيّ وشيوخه، وزوائد المستدرك على الكتب السنَّة، والاستدراك على المستدرك، والمدخل لمعرفة المستدرك، صنعة أبي عبد الله عبد السلام بن عمر علوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٤. مسند أبي داوود الطيالسيّ، سليمان بن داوود بن الجارود (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: محمَّد حسين محمَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

٥٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تأليف أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥٦. المسائل الخمسون في أصول الدين، تأليف الإمام فخر الدين محمَّد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيديّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

٥٧. المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تأليف العلَّامة الحافظ محمَّد ابن جرير بن رستم الطبريّ الإماميّ (ت أوائل القرن الرابع الهجريّ)، تحقيق: الشيخ أحمد المحموديّ.

٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٥٩. المصنَّف في الحديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمَّد بن أبي شيبة الكوفيّ العبسيّ (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد محمَّد اللحَّام، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٠. معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، علَّق عليه ووضع حواشيه: أ.د. صلاح عبد العزيز السيِّد، د. محمَّد مصطفى الطيب، د. عبد العزيز محمَّد فاخر، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٦١. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السَّلَفيّ، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط١.

٦٢. المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وبيان أفضليَّته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين، تأليف الشيخ الأقدم أبي

جعفر الإسكافي محمَّد بن عبد الله المعتزليّ (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٦٣. مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلَّامة الراغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشاميَّة، بيروت، مطبعة كيميا، قم، ١٤٢٥هـ.

٦٤. مكارم أخلاق النبيّ والأئمَّة، تأليف قطب الدين أبي الحسين سعيد هبة الله الراونديّ (ت٥٧١هـ)، تحقيق: السيِّد حسين الموسويّ، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٦٥. الملل والنِّحل، تأليف أبي محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستانيّ (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمَّد سيِّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٦٦. مناقب آل أبي طالب، تأليف الإمام الحافظ رشيد الدين أبي عبد الله محمَّد ابن عليّ بن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش السَّرويّ المازندرانيّ (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: السيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، نشر المكتبة الحيدريَّة، مطبعة شريعت، قم، ط١، ١٤٣١هـ.

٦٧. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تأليف الحافظ محمَّد بن سليمان الكوفيّ القاضي (ت ق٤هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٦٨. مناقب عليّ بن أبي طالب، الحسن بن علي بن محمَّد بن محمَّد الواسطيّ الجُلابيّ الشافعيّ الشهير بابن المغازليّ (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: محمَّد باقر البهبوديّ، المطبعة الإسلاميَّة، طهران، ١٣٩٤هـ.

٦٩. النهاية في الفتن والملاحم، للإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: الشيخ محمَّد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٧٠. اليقين باختصاص مولانا عليّ بإمرة المؤمنين، تأليف السيِّد رضيّ الدين عليّ ابن طاووس الحِلِّيّ (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: الأنصاريّ، مؤسَّسة الثَّقلَين، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٧١. ينابيع المودَّة لذوي القربى، للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (١٢٩٤هـ)، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحُسينيّ، مطبعة أُسوة، قُم، ط٣، ١٤٣٠هـ.

الملكوتيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام حسب روايات أهل البيت عليهم السلام

الباحثة: وسن فوزي منصور
طالبة علوم دينيَّة/ جامعة الزَّهراء عليها السلام

ملخَّص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء أبي القاسم محمَّد صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيِّبين الطاهرين، ولاسيَّما بضعته الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

أمَّا بعد، مرَّة أخرى أقف على أعتاب سيِّدتي ومولاتي الزَّهراء عليها السلام؛ لاستزاد من هذه الشخصيَّة الملكوتيَّة التي تفرَّدت دون نساء العالمين بما خصَّها الله سبحانه وتعالى بخصائص وأسرار لا تجدها إلَّا في شخص الزَّهراء عليها السلام.

فهي الكون الجامع، الحوراء الإنسيَّة الزكيَّة الرضيَّة المحدِّثة التي مَن عرفها حقَّ معرفتها، فقد أدرك ليلة القدر، والتي على معرفتها دارت القرون الأولى، هي خير أهل الارض عنصرًا و شرفًا وكرمًا، وغيرها من الأسرار الفاطميَّة المستودَعة في صندوق الأسرار الإلهيَّة، والتي لا يمكن الإحاطة بجميع أسرارها الملكوتيَّة؛ لأنَّه لا يعرف حقَّها إلَّا الله ورسوله ووصيِّه عليهم السلام، لذلك اخترنا، بعد التوكُّل على الله، أن يكون عنوان البحث (الملكوتيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام حسب روايات أهل البيت عليهم السلام.

فجاء البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: حقيقة عالم الملكوت.

المبحث الثاني: مقامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام في عالم الملكوت.

المبحث الثالث: التجلِّيات الملكوتيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام.

المبحث الأوَّل

حقيقة الملكوت

إنَّ أصل كلِّ شيء وأساسه هو المعرفة، والمعرفة الحقيقيَّة التي تُبتنى على أساس متين من الفهم العميق والإدراك الصحيح، تصل بالانسان إلى الإيمان، الذي هو تصديق القلب وإذعانه، يرتقي بالإنسان إلى الكمال الروحيّ والسعادة الأخرويَّة.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا يقبل الله عملًا إلَّا بمعرفة، ولا معرفة إلَّا بعمل، فمن عرفَ دلَّتهُ المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إلَّا أنَّ الإيمان بعضه من بعض**»[1].

والإيمان متوقِّف على المعرفة الحقيقيَّة، وهي معرفة الله تعالى حقَّ المعرفة بقلب سليم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

قد فسَّر الإمام الصادق عليه السلام القلب السليم بقوله : «القلب السليم الذي يلقى ربَّه وليس فيه أحد سواه».

إذن القلب بيت الإيمان، وبهذا الإيمان القلبيّ اليقينيّ المتعلِّق بالله تعالى وحده، يصل الإنسان إلى حقائق الأشياءالباطنيَّة، أي عالم الباطن الذي لا اطِّلاع لنا عليه إلَّا إذا بلغنا الإيمان الحقيقيّ، وهو عالم الملكوت. سُئِل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له: «يا أخا رسول الله هل رأيت ربَّك؟ فقال: **لم أعبد ربًّا لم أره، لم تره العيون بمشاهده الأعيان، ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان**»[3].

(١) الكافي الشريف: ١/ ٤٤.
(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٨-٨٩.
(٣) بحار الأنوار: ٤/ ٥.

بهذهِ الرؤية التي عبَّر عنها أمير المؤمنين، يقف العبد فيها على حقائق الأشياء الباطنيَّة للرؤية الملكوتيَّة، فيصل إلى مرتبة اليقين، كما حصل مع نبيِّنا إبراهيم عليه السلام، إذ رأى ملكوت السماوات والأرض من جهة كونها خاضعة لسلطة الله المطلقة، فوصل إلى حقِّ اليقين، لذلك كان عليه السلام من الموقِنين، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1].

بيانًا على ما تقدَّم، نلاحظ أنَّ لفظة الملكوت وردت كثيرًا في القرآن الكريم ، ويتَّضح لنا أنَّها من المفاهيم غير الماديَّة، والتي يصعب تصوُّرها؛ لأنَّها من المجرَّدات؛ لذلك تترتَّب عليها أهم المسائل العقائديَّة التي سوف نتناولها في بحثنا هذا، ولكي يتَّضح المطلب أكثر لا بدَّ أن نبيِّن حقيقة معناها.

الملكوت لغةً: «هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب»[2].

أمَّا اصطلاحًا: «هو الملك مصدر كالطاغوت والجبروت، وإن كان آكد من حيث المعنى بالنسبة إلى الطغيان والجبر أو الجبران»[3].

نستند أيضًا بما جاء في تفسير الميزان للعلَّامة الطباطبائيّ في تفسير معنى الملكوت، «قال العلَّامة الطباطبائيّ رحمه الله في تفسير معنى الملكوت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾».

فقد تبيَّن أنَّ الملكوت هو وجود الأشياء من جهة انتسابها إلى الله سبحانه وقيامها به، وهذا أمر لا يقبل الشراكة، ويختصُّ به سبحانه وحده، فالربوبيَّة التي هي الملك والتدبير لا تقبل تفويضًا ولا تمليكًا انتقاليًّا.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧٥.

(٢) معجم المعاني الجامع.

(٣) تفسير الميزان: ؟؟؟/ ١٧٠.

ولذلك كان النظر في ملكوت الأشياء يهدي الإنسان إلى التوحيد هداية قطعيَّة، كما قال تعالى: «﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، فقد بان أنَّ المراد بإراءة إبراهيم ملكوت السماوات والأرض على ما يعطيه التدبُّر في سائر الآيات المربوطة بها، هو توجيهه تعالى نفسه الشريفة إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾»[2].

ومن هذا المعنى يتبين لنا البعد الغيبيّ لله تعالى، وهي حقيقة إيجاده للأشياء، وارتباط الأشياء به، فهو سبحانه وتعالى من أوجد الأشياء، والأشياء كلَّها مستندة بوجودها إليه، وأنَّه تعالى له المالكيَّة والسلطة المطلقة على عالم الوجود برمَّته.

وبعد أن تبيَّن معنى الملكوت، فإنَّ السؤال الذي ينقدح في الذهن: هل يمكن إراءة الملكوت لغير الأنبياء والأوصياء من أفراد البشر، أم هو خاصٌّ بهم؟.

في مقام الجواب عن هذا التساؤل، تبيَّن أنَّه يمكن ثبوته وحصوله لغير الأنبياء؛ لأنَّها لم تنفِ ثبوتها لغيرهم من البشر، بدليل الآيات القرآنيَّة، بالإضافة إلى الأدلَّة الروائيَّة.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾.

في بيان تفسير هذه الآية، ما جاء في تفسير الأمثل للعلَّامة الشيرازيّ، أنَّ هنالك دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض؛ لأجل أن يعرف المشاهد أنَّ الله تعالى خلق هذا العالم الكبير المذهل ليس جزافًا وعبثًا، بل من أجل دعوة الإنسان إلى تكامله وارتقائه، وبالتالي حتمًا سيقوِّي إيمانه بالله تعالى، ويصل إلى مرتبة

(١) الأعراف الآية: ١٨٥.
(٢) الميزان: ٧/ ١٦٤.

اليقين، إذن إراءة الملكوت غير منفيَّة عن البشر، لكنَّها متفاوتة من شخصٍ لآخر، حسب الرؤية القلبيَّة الإيمانيَّة للشخص نفسه.

عن عبد الله ابن مسكان، قال أبو عبد الله عليه السلام: «﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾، قال: كشط لإبراهيم السماوات السبع حتَّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض، حتَّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمَّد مثل ذلك، وإنِّي لأرى صاحبكم والأئمَّة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك»[1].

عن بريدة الأسلميّ عن رسول الله، قال: قال رسول الله: **يا عليّ إنَّ الله أشهدك معي سبع مواطن**، حتَّى ذكر الموطن الثاني، **أتاني جبرائيل فأسرى بي إلى السماء، فقال: أين أخوك؟ فقلت: ودعته خلفي، قال: فقال فادع الله يأتيك به، قال: فدعوت فإذا أنت معي فكشط لي على السماوات السبع والأرضين السبع حتَّى رأيت سكَّانها وعمارها وموضع كلِّ ملك منها، فلم أرى من ذلك شيئًا إلَّا وقد رأيته كما رأيته»**[2].

وردت روايات كثيرة عن رؤية الملكوت في حقِّ النبيّ صلى الله عليه وآله، والائمَّة عليهم السلام، ولم تقتصر فقط في بيان مقامهم الملكوتيّ، بل حتَّى في المقامات الباقية، فقد ورد في بعض الأخبار المأثورة إنَّ للنبيّ صلى الله عليه وآله مقامات أربعة، وهي مقام البيان، والمعاني، والأبواب، والإمامة.

وهذه المراتب الأربعة تجري في بواقي الأنوار المحمَّديَّة للمعصومين عليهم السلام، ابتداء بنور محمَّد صلى الله عليه وآله الذي اقتبس من نوره نور فاطمة عليها السلام بضعته الطاهرة وروحه وقلبه الذي بين جنبيه، ومن نور عليّ وفاطمة عليهما السلام اقتبس نور الحسن والحسين سيِّدي شباب أهل الجنَّة «عن جابر ابن عبد الله الأنصاريّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى: **يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما**»[3].

(١) بصائر الدرجات: ١/ ١٣٣، باب ٢٠، ح٢.
(٢) بصائر الدرجات: ١/ ١٣٣، باب ٢٠، ح٣.
(٣) مستدرك سفينة البحار: ٣/ ٣٣٤.

وكيف لا تكون بهذه المنزلة التي خاطب الله بها نبيَّه الأكرم أنَّه لولاها سلام الله عليها لما خلق الله نبيَّه ووليه صلوات الله عليهم، كونها أم أبيها بقيَّة النبوَّة، وأم الأئمَّة امتداد البيت العلويّ أوَّلهم الحسنان، وآخرهم القائم من آل محمَّد الذي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، هي المعصومة بعصمة الله تعالى، كما عصم أولادها الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، والتي اصطفاها الله تعالى بالمقامات السامية الرفيعة، وفضَّلها على كثير من نساء العالمين، فقد ورد في حديث قدسيّ أنَّ الله تعالى خاطب سيِّدة نساء العالمين عليها السلام قائلًا: «**يا أَمَتي.. لولاكِ لما خلقت الأفلاك وما بينها وما تحتها وما فوقها إلى يوم القيامة**»[1].

وقد تظافرت الروايات الشريفة حول مقاماتها الملكوتيَّة، وهذا ما سيأتي بيانه في المبحث الثاني.

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١/ ٣٣٤.

المبحث الثاني

مقامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام في عالم الملكوت

إنَّ لسيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام أربعة عوالم، ولها في كلِّ عالم مقامات وفيوضات إلهيَّة، فهي نور في عالم الأنوار، عالم اللاهوت، الاسم الجامع ، وعقل مجرَّد في عالم الجبروت، عالم العقول، وحوراء ملكوتيَّة في عالم الملكوت، عالم الروح، وإنسيَّة في عالم الناسوت، عالم المادَّة، ولكلٍّ من هذه العوالم الغيبيَّة الكبرى بحث مستقل خاص به، نبيِّن مقامات الزَّهراء عليها السلام فيه، وقد اخترنا أن يكون محلُّ الكلام حول المقامات الملكوتيَّة للزَّهراء عليها السلام، ومن تلك المقامات:

الملكوتيَّة : مقامها القدسيّ عند الله سبحانه وتعالى

لا شكَّ أنَّ مكانة الزَّهراء عليها السلام عند الله سبحانه وتعالى مكانة قدسيَّة، فالكلام عنها يكون في حظيرة القدس الإلهيَّة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ فاطمة وعليًّا والحسن والحسين في حظيرة القدس، في قبَّة بيضاء، سقفها عرش الرحمن»[1].

وجاء في الحديث القدسيّ الذي يروى عن أهل بيت العصمة عن الله تعالى، حيث قال: «**يا فاطمة وعزَّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أُعذِّب محبِّيك ومحبِّي عترتك بالنار**»[2].

(١) مسند فاطمة الزَّهراء عليها السلام للسيوطيّ: ٤٥-٤٦.
(٢) سفينه البحار: ٢/ ٣٧٥.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يُقسِم بعزَّته وجلاله أن لا يعذِّب محبِّي الزَّهراء من شيعتها بالنار، وكثيرة هي المقامات التي خصَّها الله تعالى بها، منها مقام الرِّضا والغضب، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**يا فاطمة إنَّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»(١).

وغيرها من المقامات التي لا تحصى، لذلك مهما حاولنا أن نبحث ونستقرئ عن مكانتها القدسيَّة، نجد العجب العجاب الذي يجعلنا نتأمَّل ساحة قدسها، ولكنَّنا مع ذلك لا نصل إلى كنه معرفتها، فهي سرٌّ من الأسرار الإلهيَّة، ولا يعرفها حقَّ معرفتها إلَّا الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام.

مقامها النوريّ

إنَّ أوَّل ما خلق الله سبحانه وتعالى هذا النور المحمَّديّ، بهم فتح الله الخلق، خلقوا من الأنوار لحكمة منه تعالى، حيث خلق خمسة أشباح نوريَّة أضاءت بنورها العوالم الملكوتيَّة، وذلك قبل أن يخلق الدنيا بسبعة الآف عام، والدليل على ذلك الروايات المؤيِّدة لهذا الكلام:

«عن معاذ بن جبل: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقني وعليًّا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام**. قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: **قدَّام العرش نسبِّح الله تعالى ونحمده ونقدِّسه ونمجِّده**. قلت: على أيِّ مثال؟ قال: **أشباح نور، حتَّى إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلق صورنا، صيَّرنا عمود نور، ثمَّ قذفنا في صُلب آدم، ثمَّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمَّهات، ولا يصيبنا نجس الشِّرك ولا سفاح الكفر، يُسعد بنا قوم، ويشقى بنا آخرون، فلمَّا صيَّرنا إلى صُلب عبد المطَّلب، أخرج ذلك النور فشقَّه نصفَين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثمَّ أخرج النصف الذي لي إلى آمنة والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليًّا**»(٢).

(١) المناقب: ٣/ ١٠٦.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ١/ ٢٠٨-٢٠٩.

عن المفضَّل قال: قال: الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نورًا قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا**. فقيل له: يابن رسول الله، ومَن الأربعة عشر؟ فقال: **محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والأئمَّة من ولد الحسين عليهم السلام، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجَّال، ويطهِّر الأرض من كلِّ جَور وظلم**»[1].

مقام الولاية والحجِّيَّة والطاعة

إنَّ فاطمة عليها السلام مشاركة لجميع المقامات المحمَّديَّة، أي إنَّها ورثت جميع مقامات النبيّ صلى الله عليه وآله- عدا النبوَّة- بدليل كونها المعصومة بالعصمة الكبرى والطهارة، كما في آية التطهير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[2]، وأهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الكساء الخمسة الذين منهم فاطمة عليها السلام.

وكونها الحُجيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3]. أجمع المفسِّرون في هذه الآية أنَّه حينما أراد النبيّ أن يباهل نصارى نجران، اصطحب معه أبناءنا، وهما الحسن والحسين فقط، ونساءنا هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام فقط ، وأنفسنا التي هي نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، ونفس الإمام عليّ عليه السلام، وهما كالنفس الواحدة، وهذا يبيِّن علوّ درجته، إذ جعله الله نفس رسوله خاتم الأنبياء، وإنَّما قدَّم الأبناء والنساء على الأنفس، لكي يبيِّن مقامهم وقُرب منزلتهم، وبأنَّهم مقدَّمون على الأنفس، وهذا دليل يبيِّن جملة من المنزلة العظيمة والفضائل الرفيعة، للصدِّيقة فاطمة أم أبيها وأم الأئمَّة الميامين على جميع النساء.

---

(١) أعلام الورى: ٤٠٨.

(٢) الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) آل عمران، الآية: ٦١.

وكونها العالمة بالكتاب المبين، الذي لا يغيب عنها شيء من علم كتاب الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1]، المطهَّرون هم أهل البيت عليهم السلام، وأمُّهم فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها.

وبهذا الأدلَّة النقليَّة المتقدِّمة تثبت هذه الوراثة لها سلام الله عليها، وأنَّها ليست وراثة اعتباريَّة فقط، بل هي وراثة تكوينيَّة غيبيَّة ملكوتيَّة، وهذه الوراثة انتقلت منها إلى بنيها المعصومين، ثمَّ فضلت سلام الله عليها على بنيها المعصومين؛ لأنَّه تبيَّن ممَّا تقدَّم من الآيات أنَّ لها الولاية التكوينيَّة، بل إنَّها مفترضة الطاعة، وأقر بفضلها وولايتها ومحبَّتها، سائر الأنبياء والرسل والملائكة والخلق، والدليل على ذلك، نذكر ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من أحاديث تثبت ذلك لها منها:

«عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام قال: **نحن حجج الله وفاطمة حجَّة الله علينا**»[2].

«وعن الإمام الحجَّة عجل الله فرجه الشريف قال: **وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أُسوة حَسَنة**»[3].

وقد ورد في الحديث الشريف المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام: «**ما تكاملت نبوَّة نبي من الأنبياء حتَّى أقرَّ بفضلها ومحبَّتها، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى**»[4].

في تفسير نور الثَّقَلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار، عن تفسير فرات الكوفيّ، مسندًا عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: «**إنَّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقَّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الخلق فُطِموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوَّة لنبيّ حتَّى أقرَّ بفضلها ومحبَّتها، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى**»[5].

(١) سورة الواقع، الآيتان: ٧٧ -٧٩
(٢) تفسير أطيب البيان: ٣/ ٢٢٦.
(٣) الغيبه للطوسيّ: ٢٨٦.
(٤) البحار: ٤٣/ ٤٣٥.
(٥) بحار الأنوار: ٤٢/ ١٠٥.

«هنا لا بدَّ أن نبيِّن معنى كونها سلام الله عليها ليلة القدر، ولبيان ذلك نستدُّل بما جاء في الذِّكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

وردت كلمة (أمره) في الآيات، ما المراد بالأمر؟.

المراد بالأمر هو عالم الأمر والروح الأمريّ، وهو الحقيقة الغيبيَّة للقرآن الكريم، وقد أفصح القرآن أنَّ أهل آية التطهير هم مَن ينالون الكتاب الغيبيّ، وعليه فإنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام صاحبة ذلك الأمر، أي هو من عالم الملكوت وعالم الأمر، كونها وليَّة الأمر مفترضة الطاعة، وهذا معنى ليلة القدر»[4].

ونستدلُّ أيضًا بدليل روائيّ بما جاء عن زرارة عن حمران، قال: «سألت أبا عبد الله عمَّا يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدِّر سبحانه وتعالى فيها؟ قال: **لا توصف قدرة الله تعالى، إلَّا أنَّه قال فيها يفرِّق كلَّ أمر حكيم، فكيف يكون حكيمًا إلَّا ما فرَّق، ولا توصف قدرة الله سبحانه؛ لأنَّه يحدث ما يشاء، وأما قوله ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني فاطمة في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، والملائكة في هذا الموضوع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمَّد صلى الله عليه وآله، والروح روح القدس، وهي فاطمة عليها السلام، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ﴾، يقول كلُّ أمر سلمه حتَّى يطلع الفجر، يعني حتَّى يقوم القائم عجل الله فرجه**»[5].

(١) القدر: الآية: ٤.
(٢) غافر: ١٥.
(٣) يس: ٨٢.
(٤) قد فصَّل هذا المعنى في كتاب الإمامة الإلهيَّة الجزء الثاني، للشيخ محمَّد السند.
(٥) تفسير البرهان: ٣/ ٤٨٧، ح٢.

مقام الشهادة على الأعمال

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾[1]، يتبيَّنُ من قوله تعالى أنَّ مقام الشهادة على الأعمال للنبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ الذين يؤازرونه هم أهل البيت عليهم السلام، بدليل ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنَّة وما في النار وما بين ذلك، ثمَّ قال: إنَّ ذلك في كتاب الله. ثمَّ تلا هذه الآية**»[2].

مقام الشفاعة الكبرى

إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام لها مقام يوم القيامة، وهو مقام الشفاعة الكبرى، والروايات التي تُثبت شفاعتها سلام الله عليها كثيرة، منها ما ورد عن عليّ عليه السلام: **دخلت يومًا منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس، والحسن عن يمينه، والحسين عن يساره، وفاطمة بين يديه، وهو يقول: يا حسن يا حسين أنتما كفَّتا الميزان، وفاطمة لسانه، ولا تعدل الكفَّتان إلَّا باللسان، ولا يقوم اللسان إلَّا على الكفَّتين، أنتما الإمامان ولأمِّكما الشفاعة**»[3].

وكذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**يا فاطمة أبشري فللكِ عند الله مقامٌ محمودٌ تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك، فتشفعين**»[4].

---

(١) النحل، الآية: ٨٩.
(٢) تفسير العيَّاشيّ: ٢/ ٢٨٨، ح٢.
(٣) كشف الغمَّة: ١/ ٥٠٦.
(٤) كنز الفوائد: ١/ ١٥٠.

المبحث الثالث

التجلِّيات الملكوتيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام

عن الإمام عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة خُلِقت حوريَّة في صورة إنسيَّة، وإنَّ بنات الأنبياء لا يحضن**»(١).

أيَّتها الحوراء الإنسيَّة، يا مطلع النور الجامع بين نور النبوَّة المحمَّدي ونور الولاية العلويّ، سليلة النبوَّة، ورفيقة الإمامة، ونزيلة مهبط الوحي، عيبة العلم، ووعاء المعرفة، نقف على تجلِّيات شخصيَّتك الملكوتية، حيث شاءت الإرادة الإلهيَّة أن تهبط تفَّاحة الجنَّة من الملكوت الأعلى إلى ساحة الناسوت، فكانت مظهرًا لتجلِّي الإعجاز الربَّانيّ بكلِّ تفاصيل حياتها؛ لأنَّها أوَّل ما خُلِقت تجلَّت بشكل نور تلألأ، فشعَّ من نورها الكون بأسره، فكان هذا النور فاطمة عليها السلام.

عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لما سمِّيت فاطمة الزَّهراء زهراء؟ فقال: «**لأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقها من نور عظمته، فلمَّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها، وغشيت أبصار الملائكة، وخرَّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيِّدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، وأسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صُلب نبيٍّ من أنبيائي، وأفضِّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمَّة يقومون بأمري، ويهدون إلى حقِّي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي**»(٢).

(١) مستدرك الوسائل: ٢/ ٣٧، ح٤.
(٢) البحار: ٤٣/ ١٢.

إذن الرواية المتقدِّمة تدلُّ على أنَّ فاطمة عليها السلام خُلِقت من نور عظمة الله عزوجل، أخرجها الله من صُلب أفضل الأنبياء، وهو نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، وبزواج النور من النور، وهو نور فاطمة وأمير المؤمنين عليّ عليهما السلام، شرَّفها الله أن تكون أم الأئمَّة الذين يقومون بأمر الله، ويهدون إلى حقِّه، وهم خلفائه في أرضه بعد انقضاء وحيه، في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ الله عزوجل نظر إلى الأرض ثالثة، فاختار منها أحد عشر إمامًا، وأمُّهم فاطمة ابنتي**»(١).

من هنا تتَّضح معالم الشخصيَّة الربَّانيَّة للصدِّيقة الكبرى التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان الحُسن شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم، فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**»(٢).

اجتمع كلُّ الحُسن في امرأة لا كالنساء، امرأة لم يجعل الله لها كفؤ غير عليّ عليه السلام، بدليل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «**لولا أنَّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة، ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومَن دونه**»(٣).

وشقَّ لها اسمًا من أسمائه، ففي الحديث القدسيّ: «**إنِّي خلقت فاطمة وشققت لها اسمًا من أسمائي، فهي فاطمة، وأنا فاطر السماوات والأرض**»(٤).

وجاء في حديث عن يونس ابن ظبيان قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: «**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزوجل: فاطمة والصدِّيقة والمباركة والطاهرة والزكيَّة والرضيَّة والمرضيَّة والمحدَّثة والزَّهراء**»(٥).

وجعلها الله عزوجل سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، يرضى لرضاها،

(١) الاحقاق: ٥/ ٤٠، مقتل الخوارزميّ: ٦٧.
(٢) فوائد السمطين: ٢/ ٦٨.
(٣) شرح أصولي كافي للمازندرانيّ: ٧/ ٢٢١.
(٤) تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام: ٢٢٠، ح١٠٢.
(٥) علل الشرائع: ١/ ١٧٨.

ويغضب لغضبها، وقد دلَّت الروايات الشريفة المتواترة أهميَّة هذه الحديث الذي روي بأسانيد مختلفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وعن الأئمَّة عليهم السلام، قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **يا فاطمة أنَّ الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[1].

إنَّ مكانتها القدسيَّة عند الله سبحانه وتعالى تعكس صورة حقيقيَّة صادقة لشخصيَّتها الألهيَّة، ويمكن معرفة ذلك من خلال التجليَّات الكاشفة عن بعض الأسرار الربَّانيَّة الغيبيَّة، التي يرويها لنا أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، حيث قال: «**إنَّ عندنا والله سرًّا من سرِّ الله، وعِلم من عِلم الله، والله ما يحتمله ملك مقرَّب ولا نبيّ مُرسَل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للأيمان، والله ما كلَّف الله ذلك أحدًا غيرنا، ولا استعبد بذلك أحدًا غيرنا**»[2].

على ضوء ما تقدَّم، فإنَّ جميع أهل البيت عليهم السلام لهم أسرار إلهيَّة وعلم لدنِّيّ، ولا شكَّ أنَّ حجَّتهم الصدِّيقة الكبرى لها من الأسرار والعلوم الربَّانيَّة ما اتَّضحت لنا من خلال الروايات المرويَّة عن مصحفها سلام الله عليها.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «**وإنَّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟** قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: **مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرَّات، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد**»[3].

وفي حديثٍ قال: «**عندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن، ولكنَّه إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطُّ عليّ عليه السلام**»[4].

عن حماده بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**تظهر زنادقه سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنِّي نظرت في مصحف فاطمة**. قال: فقلت: وما مصحف

(١) المناقب: ٣/ ١٠٦.
(٢) الكافي: ١/ ٤٦٧، ح٥.
(٣) بصائر الدرجات: ١٥١/ ١٦١.
(٤) المصدر نفسه.

فاطمة؟ فقال: **إنَّ الله تبارك وتعالى لـمَّا قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا الله عزوجل، فأرسل إليها ملكًا يسلِّي عنها غمَّها ويحدِّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فاعَلمتهُ، فجعل يكتب كلَّ ما سمع حتَّى أثبت من ذلك مصحفًا.** قال: ثمَّ قال: **أما أنَّه ليس الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون**»[1].

بيان ما تقدَّم عن أهل بيت العصمة أنَّ المصحف هو ليس كتاب الله القرآن الكريم، بل هو كتاب يعادل حجم القرآن ثلاث مرَّات، ومعنى مصحف لغةً هو ما فيه من أوراق تتصفح، وأنَّ الله تعالى أرسل ملكًا يحدِّثها، ولا يوجد أدنى شك في ذلك، كون أنَّ أحد أسمائها المحدَّثة، أي إنَّ الملائكة كانت تحدِّثها، وذلك بالدليل الروائيّ، فقد روي في العلل عن زيد بن عليّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنَّما سمِّيت فاطمة محدَّثة؛ لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدِّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: إليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالمها، وإنَّ الله جعلك سيِّده نساء عالمك وعالمها، وسيِّدة نساء الأوَّلين والآخرين**»[2].

وأيضًا الظاهر من الروايات، أنَّه كان بإملاء من النبيّ صلى الله عليه وآله، وبخطِّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّ هناك أكثر من مصحف للصدِّيقة الكبرى، مصحف للعلوم الغيبيَّة المستقبليَّة، ومصحف للتكاليف الشرعيَّة، وأنَّه من مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام، يتناقل بينهم وهو عند الإمام المهديّ عليه السلام، والدليل على ذلك، في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام حين سأله أبو بصير قلت: جُعِلت فداك، فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيِّها؟ قال:

(١) البحار: ٤٣/ ٨٠.
(٢) البحار: ٤٣/ ٧٨.

دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلمَّا مضى صار إلى الحسن، ثمَّ إلى الحسين عليهما السلام، ثمَّ عند أهله حتَّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إنَّ هذا العلم كثير!»[1].

تبيَّن لنا أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت مصدر العلوم والمعارف لأهل البيت عليهم السلام، ولا ينحصر ذلك في مصحفها فقط كمصدر لعلومهم، بل ما تقدَّم ذِكره في المبحث الثاني، حول كونها الليلة المباركة ومفروضة الطاعة على كلِّ المخلوقات، وأنَّ على معرفتها دارت معارف الأنبياء، يجعلنا أيضًا نقف ونتأمَّل الفقرة الواردة في زيارتها سلام الله عليها، حيث قال العلَّامة المجلسيّ:

ووجدت في هذه الزيارة زيادة برواية أخرى، وهي: «**السلام عليك يا ممتَحَنة، امتحَنك الذي خلقك قبل أن يخلقك، وكنتِ لما امتحنك به صابرة، ونحن لك أولياء مصدِّقون..**»[2].

لتَسَاءَلنا: أين امتحنها الله تعالى قبل أن يخلقها ولماذا؟.

والجواب على ذلك نذكر ما قاله الشيخ المسعوديّ:

«والذي يظهر من هذه الزيارة المخصوصة للصدِّيقة الشهيدة أنَّها امتُحنت من قِبَل الباري عزَّ وجلَّ قبل خلقها، أي عندما كانت نورًا من الأنوار التي خلقها الله تعالى قبل الخلق بألف عام والتي كانت بعرشه محْدِقة، وكان الامتحان لها لأجل إظهار مقامها السامي، ومنزلتها الحقيقية، حيث كانت نتيجة الامتحان (أنَّها) صابرة.

«والمعروف عند العُرف العُقلائيّ أنَّ الشخص يُمتحَن ليُعرَف مدى استعداداته وقابليَّاته.. أمَّا ماهيَّة هذا الامتحان، وفي أيِّ موضوعٍ كان، وكيف أجراه الله تعالى عليها؟ فهذا ما أشارت إليه بعض الروايات، التي نستفيد من خلال التمعُّن فيها والتدقيق في مدلولاتها، أنَّها امتُحِنت في حمل العلم والأمانة الربَّانيَّة، فوجدها الباري عزَّ وجلَّ صابرة على

(١) دلائل الإمامة للطبريّ: ٢٧/ ٢٨.
(٢) بحار الأنوار: ٩٩/ ٢١٣.

حمل العلم والأمانة الربَّانيَّة، لذا استحقَّت حمل الأسرار الربَّانيَّة»[1].

ومن هذا يُستفَاد أنَّ الله تعالى وجدها صابرة على حمل العلوم والمعارف الربَّانيَّة، فاستحقَّت حمل الأسرار الإلهيَّة، فسلَّطها الحقُّ تعالى على جميع الكون.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله تعالى أمهر فاطمة عليها السلام رُبع الدنيا، فربعها لها، وأمَّرها الجنَّة والنَّار، تُدخِل أعداءها النار، وتُدخل أولياءَها الجنَّة، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»[2].

بعد أن ثبت علمها الـدنِّي وحجيَّتها، وأفضليَّتها، وفـرض طاعتها على جميع الأنبياء السابقين، وطاعة جميع المخلوقات لها، بالأدلَّة الروائيَّة التي أثبتت جملة من المقامات الملكوتيَّة لها، فكانت تلك المقامات مصاديق مطابقة لواقع حياتها الشريفة، وهـذا يمكن الاستدلال على ذلك من خلال المعرفة التي أشرنـا إليها في المبحث الأوَّل، ونضيف هنا ما ورد في الحديث عن جابر، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **إنَّما يعرف الله عزَّ وجلَّ ويعبده من عرف الله، وعرف إمامه منَّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزَّ وجلَّ، و[لا] يعرف الإمـام منَّا أهل البيت، فإنَّما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالًا**»[3].

وعليه فإنَّ معرفة الله حقَّ المعرفة متوقِّفة على معرفة الأئمَّة عليهم السلام، وفاطمة سلام الله عليها هي الحجَّة الكبرى على الأئمَّة جميعًا، كما صرَّح بذلك الإمام العكسريّ عليه السلام: «**وجدَّتنا فاطمة حجَّة الله علينا**»، فما كان ثابتًا للأئمَّة عليهم السلام فهو ثابت لها، فلا بدَّ من معرفتها حقَّ المعرفة، ولأنَّنا مازلنا نقف على أعتاب معرفة شخصيَّتها الملكوتيَّة، فالأحرى بنا أن نقف على شيء من ولايتها التكوينيَّة والتشريعيَّة ومعاجزها بما يناسب المقام.

(١) الأسرار الفاطميَّة: ٥٤.
(٢) الأمالي للطوسيّ: ٣٦.
(٣) الكافي: ١/ ١٨١، ح٤.

عن ولايتها التكوينيَّة نذكر ما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام عن سلمان الفارسيَّ: أنَّه لـمَّا أُخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة حتَّى انتهت إلى القبر، فقالت: «**خلُّوا عن ابن عمِّي فوالذي بعث محمَّدًا بالحقِّ لئن لم تخلُّوا عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنَّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي، ولأصرخنَّ إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من والدي.** قال: سلمان فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلَّعت من أسفلها، حتَّى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها، وقلت: يا سيِّدتي ومولاتي؛ إنَّ الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة، فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان حتَّى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا»[1].

ونذكر ما جاء عن الأمور التشريعيَّة فيما يخصُّ (نورانيَّة تسبيح فاطمة الزَّهراء عليها السلام)، والذي يعتبر من العشائر الدينيَّة المتَّفق عليها، بدليل ما أفاده العلَّامة الحِلِّيّ رحمه الله في (منتهى المطلب)، حيث قال: «**وأفضل الأذكار كلِّها تسبيح الزَّهراء عليها السلام، وقد أجمع أهل العلم كافَّة على استحبابه**»[2].

وأيضًا ما جاء في المعتبر للمحقِّق الحِلّيّ رحمه الله: والأذكار المنقولة في ذلك كثيرة، أفضلها تسبيح الزَّهراء عليها السلام، وإنَّما نُسِب إليها؛ لأنَّها السبب في تشريعه. روى صالح بن عقبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ما عُبِد الله بشيء أفضل من تسبيح الزَّهراء عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام**»[3].

وعنه عليه السلام قال: «**مَن سبَّح تسبيح الزَّهراء عليها السلام، ثمَّ استغفر، غُفِر له، وهي مائة باللسان، وألف في الميزان، وتطرد الشيطان، وتُرضي الرحمان**»[4].

(١) المناقب: ٣/ ١١٨.
(٢) منتهى المطلب: ١/ ٣٠٢.
(٣) المعتبر: ٢/ ٢٤٨.
(٤) الوسائل: ٤/ ١٠٢٣، ح٣.

ما جاء في (معاجزها سلام الله عليها)

عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سلمان إلى فاطمة عليها السلام لحاجة، قال سلمان: وقفت بالباب وقفة حتَّى سلَّمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن خفاءً والرَّحى تدور من برٍّ، ما عندها أنيس، قال: فعدت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقلت: يا رسول الله! رأيت أمرًا عظيمًا، فقال: وما هو يا سلمان؟ تكلم بما رأيت.

قلت: وقفت بباب ابنتك يا رسول الله! فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من خفاء، والرَّحى تدور من برٍّ، ما عندها أنيس!.

فتبسَّم صلى الله عليه وآله وقال: **يا سلمان إن ابنتي فاطمة عليها السلام ملأ الله قلبها وجوارحها إيمانًا ويقينًا إلى ما شاء، ففرغت لطاعة ربِّها، فبعث الله ملكًا اسمه روفائيل، و في موضع آخر (رحمة)، فأدار لها الرحى، وكفاها الله مؤونة الدنيا والآخرة**»[1].

وروي أنَّ عليًّا عليه السلام استقرض من يهوديّ شعيرًا، فاسترهنه شيئًا فدفع إليه ملاءة فاطمة رهنًا، وكانت من الصوف، فأدخلها اليهوديّ إلى داره، ووضعها في البيت، فلمَّا كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة بشغل، فرأت نورًا ساطعًا في البيت أضاء به كلَّه فانصرفت إلى زوجها، فأخبرته بأنَّها رأت في ذلك البيت ضوءًا عظيمًا، فتعجَّب اليهودي من ذلك، وقد نسي أنَّ في بيته ملاءة فاطمة، فنهض مسرعًا ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينشر شعاعها كأنَّه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب، فتعجَّب من ذلك، فأنعم النظر في موضع الملاءة، فعلم أنَّ ذلك النور من ملاءة فاطمة عليها السلام، فخرج اليهوديّ يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها، فاجتمع ثمانون من اليهود فرأوا ذلك، فأسلموا كلَّهم»[2].

إنَّ الكلام عن الزَّهراء عليها السلام لا ينتهي، ولا يسعه مجلَّدات وموسوعات، فكيف بهذا المقام هنا الذي لا يكاد أن يسدَّ رمق الباحثين عن النور بين ظلمات الحياة، والكلام عنها

(١) الثاقب في المناقب: ٢/ ٢٩٠.
(٢) المناقب: ٣/ ١١٧.

ليس من الغلوِّ والتألُّه بشيء، بل هو حقيقة يلزم الاعتقاد بها، وإثبات كلِّ المقامات السامية لها، متمسِّكين بقول خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحى، عندما أخذ بيدها وقال صلى الله عليه وآله: «**من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[1].

إنَّ تنصيبها من قِبَل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ما هو إلَّا دليل على حجيَّتها ومقامها ومنزلتها الرفيعة في قلب النبيّ خاصَّة، وقلوب شيعتها ومحبِّيها، فهي الإنسان الكامل، وكلُّ ما تقدَّم من مقامات وتجلِّيات غيبيَّة ملكوتيَّة تجسَّدت في شخصيَّتها، جملة من الآثار والكرمات والصفات المتميِّزة عن الذات البشريَّة، كنورها الساطع الذي كان يشاهده عليّ عليه السلام في أوَّل الصبح، وعند الغروب، وحديث الملائكة لها، ونزول جبرائيل عليها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه وآله، بعلم لدنِّيّ مثل ما وقع لمريم، بل أكثر من ذلك، كونها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين، ولذلك كان الهدف من هذا البحث، هو إظهار الجانب الملكوتيّ الغيبيّ من مقامات وتجلِّيات تجسَّدت في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام، الكون الجامع «الذي هو مجمع بحري الغيب والشهادة، أي الإنسان الكامل»[2]، مستندين بذلك على ضوء مرويَّات أهل بيت العصمة ومعدن الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين، ولا أُخفي على القارئ أنِّي من خلال الاستقراء حول أحاديث العلماء والمحدِّثين عن الصدِّيقة الكبرى عليها السلام، تأمَّلت ما خطَّه يراعهم من معارف يقينيَّة تُدرَك، أنَّ الغوص بهذا البحر العميق، ليس أمرًا سهلًا؛ لأنَّ من يريد أن يستخرج الدرر المتناثرة، عليه أن يتعلَّم الغوص أوَّلًا، ليعرف عن أيِّ درَّة ثمينة عظيمة يبحث.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٤٥، ح٤.

(٢) فصل الشيخ حسن زاد آملي في كتابه حكمة عصميَّته في كلمة فاطمة، فراجِع.

ومن أقوالهم: فإنَّ حقيقة فاطمة عليها السلام حقيقة ليلة القدر، حقيقة الكون وما فيه.

والله سبحانه خلق عالم الملك، وهو عالم الناسوت، على وزان عالم الملكوت، وهو عالم الأرواح، والملكوت على وزان الجبروت، وهو عالم العقول، حتَّى يستدلَّ بالملك على الملكوت، وبالملكوت على الجبروت، ثمَّ بين العالم العلويّ والعالم السفليّ قوسًا نزوليًّا وصعوديًّا، وقد عبَّر عن القوس النزوليّ في نزول فيض الله ورحمته على الكون بالليل والليالي، كما عبَّر عن القوس الصعوديّ باليوم والأيَّام. «وعصمة الله فاطمة الزَّهراء عليها السلام كما عبَّر عنها بليلة القدر، كذلك هي يوم الله»[1].

وقالوا: «ناسكات الأصفياء، وصفيَّات الأتقياء فاطمة-رضي الله عنها- السيِّدة البتول البضعة الشبيهة بالرسول، وأوَّلهم بعد وفاته به لحوقًا، كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة»[2].

وقالوا: «لم تكن الزَّهراء امرأة عاديَّة، كانت امرأة روحانيَّة، امرأه ملكوتيَّة، كانت إنسانًا بتمام معنى الكلمة، نسخة إنسانيَّة متكاملة، امرأة حقيقيَّة كاملة، حقيقة الإنسان الكامل، لم تكن امرأه عاديَّة، بل هي كائن ملكوتيّ تجلَّى في الوجود بصورة إنسان، بل كائن إلهيّ جبروتيّ ظهر على هيئة امرأة»[3].

(١) رسالة السيِّد عادل العلويّ، الأسرار الفاطميَّة: ١٤/ ١٥.
(٢) الحافظ أبو نعيم الأصفهانّي، حِلية الأولياء: ٢/ ٤٩.
(٣) المرأة في فكر الإمام الخمينيّ: ٢٣/ ٢٤.

المصادر

١. الأسرار الفاطميَّة، السيِّد عادل العلويّ.
٢. أعلام الورى.
٣. الأمالي للطوسيّ.
٤. الإمامة الإلهيَّة، للشيخ محمَّد السند.
٥. بحار الأنوار.
٦. بصائر الدرجات.
٧. تفسير أطيب البيان ثلاثة.
٨. تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام.
٩. تفسير البرهان.
١٠. تفسير العيَّاشيّ.
١١. تفسير الميزان.
١٢. الثاقب في المناقب.
١٣. حِلية الأولياء، الحافظ أبو نعيم الأصفهانيّ.
١٤. الدرجات.
١٥. دلائل الإمامة للطبريّ.
١٦. سفينه البحار.
١٧. شرح أصولي كافي للمازندرانيّ.

١٨. علل الشرائع، للشيخ الصدوق.
١٩. علل الشرائع.
٢٠. الغيبه للطوسيّ.
٢١. فصل الشيخ حسن زاد آملي في كتابه حكمة عصميَّته في كلمة فاطمة.
٢٢. فوائد السمطين.
٢٣. الكافي.
٢٤. كشف الغمَّة.
٢٥. كنز الفوائد.
٢٦. المرأة في فكر الإمام الخمينيّ.
٢٧. مستدرك الوسائل.
٢٨. مستدرك سفينة البحار.
٢٩. مسند فاطمه الزَّهراء عليها السلام للسيوطيّ.
٣٠. المعتبر للمحقَّق الحِلِّيّ.
٣١. معجم المعاني الجامع.
٣٢. مقتل الخوارزميّ.
٣٣. المناقب.
٣٤. منتهى المطالب.
٣٥. الموسوعة الكبرى عن فاطمه الزَّهراء عليها السلام.
٣٦. الميزان.
٣٧. الوسائل.

أعلمية السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعلوم القرآن والسنَّة

الباحث

الميرزا مهدي الربيعيّ

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمَّد الأمين وآل بيته الطيِّبين الطاهرين، وبعد..

منذ أن بَعثَ الله النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمَّة، ورسالة العلم والمعرفة ترفرف خفَّاقة على أرجاء هذه المعمورة، وأصبحت رسالة الإسلام رسالة العلم، رسالة الحياة؛ لما يحمله العلم من مقوِّمات الحياة بشتَّى أشكالها، حيث يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**اكتسبوا العلم يُكسِبكم الحياة**».

ويكتسب العلم هذه الميزة حينما نعلم أنَّ مصدره هم أهل بيت النبوَّة الذين هم (مهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزَّان العلم)، كما جاء في الزيارة الجامعة، وقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله أنَّه قال: «**إنَّ الله جعل عليًّا وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمَّتي، من اهتدى بهم هُدي إلى صراطٍ مستقيم**»[1].

وهكذا نعي أنَّ من أراد أن يرتشف من معين العلم والمعرفة، فعليه أن يتوجَّه إلى ينبوعه ومعينه أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وفاطمة الزَّهراء تمثِّل رأس الهرم في

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، ص٢١٨.

هذا الجانب، سيما أنَّها تربَّت وترعرعت في بيت مفجِّر النهضة العلميَّة في ربوع الجزيرة العربيَّة، فمن رسول الله رشفت العلوم والأحكام، ومنه سمعت تلك الكلمات الرساليَّة وتلك الأدعية الروحانيَّة، وتمثَّلت أمام عينيها الأخلاقيَّات النبويَّة الرفيعة، وساعدها في ذلك ما تحمله شخصيَّتها من الذكاء والفطنة والقلب الواعي، الذي حفظ تلك الكلمات، وأدرك معانيها على أكمل وجه.

وقد جاء في زيارتها: «السلام عليك أيَّتها المحدَّثة العليمة»[1]، وفي هذا الصدد يقول الإمام الشيرازيّ قدس سره: «إنَّ الصدِّيقة الزَّهراء كانت عالمة بالعلم اللدنِّي من الله، فقد أُوتيت من العلم والمعرفة قدرًا لا يضاهيه فيه أحد سوى الرسول الأعظم، وبعلها أمير المؤمنين، كانت على قدر من المعرفة، بحيث أنَّها تُخبِر عمَّا هو كائن وما كان وما سيكون في المستقبل، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على سعة علمها وارتفاع مقامها»[2].

ومع هذه المرتبة العالية من العلم نجد الحاقدين ومبغِضي أهل البيت يقولون إنَّ جميع ما روته السيِّدة الزَّهراء لا يتجاوز عشرة أحاديث، وبعضهم قال إنَّه لم يتجاوز ثمانية عشر حديثًا!! فأي مقولة هذه تنمُّ عن حقدٍ دفين، فمن يتربَّى في كنف العلم والمعرفة، ومن يأمر وَلَدَيه بالذهاب إلى المسجد للاستماع إلى كلمات الرسول وحديثه، ومن ثمَّ نقله إليها، أهكذا يكون حظُّه من الرواية وحفظ الأحاديث، بينما نجد من يُسلِم متأخِّرًا، ولم يرافق رسول الله إلَّا فترة وجيزة، يروي آلاف الأحاديث!! فأيُّ مقولةٍ هذه؟!

ومن هنا نودُّ أن نُثبت من خلال هذا البحث المتواضع، بعض الشواهد على علم الزَّهراء»، بل أعلميَّتها التي تؤكِّد لنا غزارة علمها بعلوم القرآن والسنَّة، وهذا يُنبِئ أنَّ

(١) الشيخ عبَّاس القمِّيّ، مفاتيح الجنان، ص٣٨٦.
(٢) السيِّد محمَّد الشيرازيّ، أمَّهات المعصومين، ص١٦١.

هذه المسألة ركن ركين في إثبات الدين الإلهيّ، أو في الاستدلال على مصداقيَّته وصحَّته، ومن هنا ترتَّب البحث في تعريف مفردات البحث، وهي الأعلميَّة لغةً واصطلاحًا، وهو ما سيشكِّل المطلب الأوَّل، ومن ثمَّ إثبات أعلميَّتها عليها السلام لمعارف القرآن الكريم، وأخبار السنَّة المطهَّرة، وهو ما سنبيِّنه في المطلب الثاني، ممَّا يؤدِّي بطبيعة الحال إلى بيان تراثها، وما أُثر عنها من الروايات والأحاديث الشريفة، وهو ما سنوضِّحه في المطلب الثالث تباعًا بتوفيقٍ من الله تعالى.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمَّد الأمين وآل بيته الطيِّبين الطاهرين، وبعد..

منذ أن بَعثَ الله النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمَّة، ورسالة العلم والمعرفة ترفرف خفَّاقة على أرجاء هذه المعمورة، وأصبحت رسالة الإسلام رسالة العلم، رسالة الحياة؛ لما يحمله العلم من مقوِّمات الحياة بشتَّى أشكالها، حيث يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**اكتسبوا العلم يُكسِبكم الحياة**».

ويكتسب العلم هذه الميزة حينما نعلم أنَّ مصدره هم أهل بيت النبَّوة الذين هم (مهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزَّان العلم)، كما جاء في الزيارة الجامعة، وقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله أنَّه قال: «**إنَّ الله جعل عليًّا وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمَّتي، من اهتدى بهم هُدي إلى صراطٍ مستقيم**»[1].

وهكذا نعي أنَّ من أراد أن يرتشف من معين العلم والمعرفة، فعليه أن يتوجَّه إلى ينبوعه ومعينه أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وفاطمة الزَّهراء تمثِّل رأس الهرم في هذا الجانب، سيما أنَّها تربَّت وترعرعت في بيت مفجِّر النهضة العلميَّة في ربوع الجزيرة العربيَّة، فمن رسول الله رشفت العلوم والأحكام، ومنه سمعت تلك الكلمات الرساليَّة وتلك الأدعية الروحانيَّة، وتمثَّلت أمام عينيها الأخلاقيَّات النبويَّة الرفيعة، وساعدها في ذلك ما تحمله شخصيَّتها من الذكاء والفطنة والقلب الواعي، الذي حفظ تلك

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، ص٢١٨.

الكلمات، وأدرك معانيها على أكمل وجه.

وقد جاء في زيارتها: «السلام عليك أيَّتها المحدَّثة العليمة»[1]، وفي هذا الصدد يقول الإمام الشيرازيّ قدس سره: «إنَّ الصدِّيقة الزَّهراء كانت عالمة بالعلم اللدنِّي من الله، فقد أُوتيت من العلم والمعرفة قدرًا لا يضاهيه فيه أحد سوى الرسول الأعظم، وبعلها أمير المؤمنين، كانت على قدر من المعرفة، بحيث أنَّها تُخبِر عمَّا هو كائن وما كان وما سيكون في المستقبل، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على سعة علمها وارتفاع مقامها»[2].

ومع هذه المرتبة العالية من العلم نجد الحاقدين ومبغِضي أهل البيت يقولون إنَّ جميع ما روته السيِّدة الزَّهراء لا يتجاوز عشرة أحاديث، وبعضهم قال إنَّه لم يتجاوز ثمانية عشر حديثًا!! فأي مقولة هذه تنمُّ عن حقدٍ دفين، فمن يتربَّى في كنف العلم والمعرفة، ومن يأمر وَلَدَيه بالذهاب إلى المسجد للاستماع إلى كلمات الرسول وحديثه، ومن ثمَّ نقله إليها، أهكذا يكون حظُّه من الرواية وحفظ الأحاديث، بينما نجد من يُسلِم متأخِّرًا، ولم يرافق رسول الله إلَّا فترة وجيزة، يروي آلاف الأحاديث!! فأيُّ مقولةٍ هذه؟!

ومن هنا نودُّ أن نُثبت من خلال هذا البحث المتواضع، بعض الشواهد على علم الزَّهراء»، بل أعلميَّتها التي تؤكِّد لنا غزارة علمها بعلوم القرآن والسنَّة، وهذا يُنبِئ أنَّ هذه المسألة ركن ركين في إثبات الدين الإلهيّ، أو في الاستدلال على مصداقيَّته وصحَّته، ومن هنا ترتَّب البحث في تعريف مفردات البحث، وهي الأعلميَّة لغةً واصطلاحًا، وهو ما سيشكِّل المطلب الأوَّل، ومن ثمَّ إثبات أعلميَّتها عليها السلام لمعارف القرآن الكريم، وأخبار السنَّة المطهَّرة، وهو ما سنبيِّنه في المطلب الثاني، ممَّا يؤدِّي بطبيعة الحال إلى بيان تراثها، وما أُثر عنها من الروايات والأحاديث الشريفة، وهو ما سنوضِّحه في المطلب الثالث تباعًا بتوفيقٍ من الله تعالى.

---

(١) الشيخ عبَّاس القمِّيّ، مفاتيح الجنان، ص٣٨٦.

(٢) السيِّد محمَّد الشيرازيّ، أمَّهات المعصومين، ص١٦١.

المطلب الأوَّل

العلم ومصدره

الفرع الأوَّل: تعريف العلم لغة واصطلاحًا

أمَّا لغةً:

قيل إنَّ العلم: نقيض الجهل، علم علمًا وعلم هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعًا.

قال ابن جنِّي: لـمَّا كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنَّه غريزة، ولم يكن على أوَّل دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلِّمًا لا عالـمًا، فلمَّا خرج بالغريزة إلى باب فعل، صار عالم في المعنى كعليم، فكسر تكسيره، ثمَّ حملوا عليه ضدَّه، فقالوا: جهلاء كعلماء، وصار علماء كحلماء؛ لأنَّ العلم محلمة لصاحبه، وعلى ذلك جاء عنهم فاحش وفحشاء، لـمَّا كان الفحش من ضروب الجهل ونقيضًا للحلم.

قال ابن بريّ: وجمع عالم علماء، ويقال علَّام أيضًا؛ قال يزيد بن الحكم:

ومسترق القصائد والمضاهي
سواء عند علَّام الرجال

وعلَّام وعلَّامة إذا بالغت في وصفه بالعلم، أي: عالم جدًّا، والهاء للمبالغة، كأنَّهم يريدون داهية من قوم علَّامين، وعلَّامٌ من قومٍ علَّامين؛ هذه عن اللحيانيّ.

وعلمت الشيء أعلمه علمًا: عرفته. قال ابن بريّ: وتقول علمٌ وفِقهٌ، أي: تعلُّم

وتفقُّه، وعلمٌ وفقهٌ، أي: ساد العلماء والفقهاء، وذكر عن ابن الأعرابيّ أنَّه قال: تعلم بمعنى اعلم، علم علمًا، فهو أعلم، وعلَّمته أعلمه علمًا، مثل كسرته أكسره كسرًا: شققت شفته العليا، وهو الأعلم، والعلم: الشقُّ في الشفة العليا، والمرأة علماء وعلمه يعلمه، ورجل معلم إذا علم مكانه[1]. وقال الزمخشريّ: «ما علمت بخبرك: ما شعرت به»[2]، فيكون بمعنى الشُّعور، والعلم نقيض الجهل[3]، وهذا ما ذهب إليه الخليل في معجمه (العين) بقوله: «العلم نقيض الجهل، والشعور بالشيء». وقال عنه الفيروزآباديّ: هو حقُّ المعرفة[4].

من خلال هذه الدلالات يتَّضح لنا أنَّ العِلم (بكسر العين) يَحملُ في اللغة العربيَّة اختلافًا كبيرًا بين معانٍ عديدة ومصادر مختلفة، فالعِلم كمرادف للمعرفة، أي إدراك الشيء بحقيقته، ونقيضه الجهل. فيُقال: «فلان على عِلْمٍ بالأمر، أي يَعرفُه»، وفي قول الله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾[5]، وهذا معنى واسع.

والعِلم كمرادف أو كمرتبة لليقين ونقيض للشَّكِّ والظنِّ، ويظهر هذا المعنى في القرآن الكريم في العديد من الآيات، مثل قول القران: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾[6]، و﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾[7]، ويُقال: «اليقين هو بلوغ الإيمان في القلب لمرتبة العِلم والمعرفة التامَّة، وتُنافي الشَّكَّ والريب عنها»[8].

(١) ابن منظور، لسان العرب، حرف العين، علم، ج١٢، ص٢٢٦.
(٢) أساس البلاغة، الزمخشريّ، ص٦٥٣.
(٣) ابن فارس، مجمل اللغة: ج٣، ص٦٢٤.
(٤) الفيروزآباديّ، القاموس، ص١١٤٠.
(٥) النجم: ٣٥.
(٦) البقرة ١٤٤.
(٧) التكاثر: ٥-٦.
(٨) محمَّد بن أبي بكر الرازيّ، مختار الصِّحاح.

أمَّا اصطلاحًا:

فللأعلمية هنا عدَّة معانٍ:

١. الأعلم بمعنى الأكثر علمًا والأوسع معرفةً.

٢. الأعلم بمعنى الأعمق علمًا أو الأشدُّ علمًا، فإنَّ العلم حقيقة تشكيكيَّة ذات مراتب، والمعنى الأوَّل بلحاظ الكمِّ، وهذا بلحاظ الكيف.

٣. الأعلم بمعنى الأنفذ علمًا، أي يستخدم الأعلم، ويراد به العلم المنتج والنافذ والمثمر، أي العلم الذي يرتَّب عليه أثره، وقد قال بعض المفسِّرين بأنَّ المراد من: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»[1]، هو هذا المعنى فعلمه نافذ، أي علم فجعل.

وقولها عليها السلام: «**أم أنتم أعلم**...» يشمل المعنى الأوَّل والثاني، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليًّا أمير المؤمنين عليه السلام أعلم من سائر الناس كيفًا وكمًّا، أمَّا الأنفذيَّة فإنَّه وإن كان الأمر، بحيث لو أراد لنفذ، إلَّا أنَّه لا تلازم بين علمهما ونفوذه، وذلك لأنَّه مقتضى دار الامتحان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]، وعلمهم عليهم السلام ما في قصَّة فدك، وأنَّها ملكها عليها السلام من ذلك المقام[3].

الفرع الثاني: مصدر علم الزَّهراء (صلوات الله عليها)

بعد أن أوضحنا في الفرع الأوَّل العِلْمَ، نأتي الآن لنعرف ما هو مصدر علم الزَّهراء (صلوات الله عليها)؟ ولأنَّ علم المشكاة مختلف، ومُمَيَّز عن علم بقيَّة البشر، فلا بُدَّ من أن يكون المنهل الذي انتهلت منه الكوثر، مُمَيَّزًا أيضًا، لذا سنخصِّص هذا الفرع،

(١) الأنعام: ١٢٤.

(٢) الغاشية: ٢١-٢٢

(٣) محمَّد الشيرازيّ: فقه الزَّهراء، ج٢، ص١٧.

للتعرُّف على مصدر علم الحوراء الإنسيَّة بصورة خاصَّة، وكالآتي:

المَنهل الأوَّل: العِلْم المَوروث

وهو العلم الذي ورثته من أبيها صلى الله عليه وآله، والذي يَضمُّ العلمَ بالقرآن الكريم، الذي فيه توضيح كلِّ شيء، والعلم بالسنَّة النبويَّة الشريفة بأدقِّ تفاصيلها، وأحكامها، وكذلك العلوم التي أنزلها الله عزَّ وجلَّ على أنبيائه من آدم عليه السلام إلى النبيِّ الخاتم محمَّد صلى الله عليه وآله، فهذه العلوم كُلُّها ورثتها (صلوات الله عليها) من أبيها صلى الله عليه وآله، وقد يكون هذا أحد معاني كونها عليها السلام بضعة منه صلى الله عليه وآله، حيث يمكن تعميم هذا المعنى إلى علومه صلى الله عليه وآله، فعلومها بضعة من علومه صلى الله عليه وآله، فعن ابن عبَّاس في حديث طويل عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «.. **وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسيَّة..**»[1].

المنهل الثاني: تحدِيث الملائكة

إنَّ من ألقابها عليها السلام المُحدَّثة، حيث كانت الملائكةُ تُحَدِّثُها عليها السلام، فقد ورد عن ابن عبَّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر طويل أنَّه قال: «.. **وإنَّها سيِّدة نساء العالمين**. فقيل: يا رسول الله هي سيِّدة نساء عالمها؟ فقال: **ذاك لمريم بنت عمران، فأمَّا ابنتي فاطمة فهي سيِّدة نساء العالمين مِن الأوَّلين والآخِرين، وإنَّها لتقوم في محرابها فيسلِّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقرَّبين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إنَّ الله اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين..**»[2].

وعن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، أنَّه قال: «**سُمِّيَتْ فاطمة مُحَدَّثة؛ لأنَّ الملائكةَ كانت تهبط من السماء فتناديها، كما كانت تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنَّ اللهَ اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة، اقنتي لربِّك.**

(١) العلَّامة المجلسّي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣٧، ص٨٤-٨٥، نقلًا عن كنز الفوائد وتأويل الآيات.

وتحدِّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليستْ المُفضَّلة على نساء العالمين مريمَ بنت عمران؟ فقالوا: إنَّ مريم كانت سيِّدة نساء عالِمها، وإنَّ اللهَ جعلكِ سيِّدةَ عالَمِكِ، وسيِّدةَ نساءِ الأوَّلين والآخِرين»[1]. وحديثُ الملائكة مع فاطمة عليها السلام ممَّا لا يمكن إنكاره ورفضه؛ لإمكانه وقوعًا وحقيقةً تاريخيًّا ووجوديًّا؛ فالحديثُ الملائكيّ قد تحقَّق مع مَن لم تكن معصومةً مِن النساء، منهنَّ: سارة، زوجة النبيّ إبراهيم الخليل، حينما بشَّرتها الملائكة بالولادة الموعودة، وقد كانت قائمة من وراء السِّتر تسمع الكلام الملائكيّ؛ فضحكتْ تعجُّبًا ممَّا سمعتْ، فبُشِّرَت على ألسنة الملائكة بأنَّها ستلد مِن زوجها إبراهيم ولدًا يُسمَّى إسحاق وسيعيش ولدها، وسيكون لها من بعد إسحاق حفيدٌ منه، وهو يعقوب، فقال تعالى حكاية عن هذه الحقيقية الوجوديَّة والتاريخيَّة: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾[2]، وغيرها من النساء كأمِّ موسى، إذ قال الله تعالى في حقِّها: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[3].

المنهل الثالث: الروح

ليس بمقدور العقل البشريّ أن يعرفَ الـروحَ، فهو أمر صعبٌ مُستصعب، لكن من خلال الروايات الكثيرة المُعتبرة، والتي قد تجاوزت حدَّ الاستفاضة، يمكن أن يُعرِّفَ الروح بأنَّه خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ، أعظم من جبرائيل، وميكائيل، كان مع الرسول صلى الله عليه وآله، ومع الأئمَّة عليهم السلام بعده إمامًا بعد إمام، يَمُدُّهم بالمعارف الإلهيَّة، ومنه يكون التسديد والعصمة، فعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سألته عن علم العالم، فقال لي: **يا جابر إنَّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة**

(١) محمَّد بن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ص٨١.
(٢) هود: ٧١-٧٣.
(٣) القصص: ٧.

وروح القوَّة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثَّرى، ثمَّ قال: يا جابر إنَّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلَّا روح القدس، فإنَّها لا تلهو ولا تلعب»[1].

المنهل الرابع: الإلهام

وهو فيض إلهيّ من الفيوضات غير المُكتسبَةِ، وهو الإلقاء الخَفي في النفوس، وقد أسمته الروايات بالقرع، والنكت لحقائق الاشياء، ومعانيها، والمعارف الإلهيَّة في القلوب، وكثيرةٌ هي الروايات التي أكدت على أنَّ الإلهامَ أحدُ وسائل المعرفة عند المعصوم عليه السلام؛ فقد ورد مُسندًا إلى يحيى المدائنيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلتُ: أخبرني عن الإمام إذا سُئِل كيف يجيب؟ «فقال عليه السلام: **إلهام وسماع وربَّما كانا جميعًا**»[2].

(١) محمَّد بن الحسن الصفَّار، بصائر الدرجات، ص٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٣٧، وعنه بحار الأنوار، ج٢٦، ص٥٨.

المطلب الثاني

الأعلميَّة للزَّهراء عليها السلام

الفرع الأوَّل: الولاية التكوينيَّة والتشريعيَّة

إنَّ الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام كسائر المعصومين عليهم السلام، لها الولاية التكوينيَّة والتشريعيَّة، فقد جعلهم الله الوسائط في خلق العالم، والعلَّة الغائيَّة له، كما أنَّها عليها السلام وأنَّهم عليهم السلام سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم، واستمرار قيام العالم بها عليها السلام وبهم عليهم السلام، وقد صرَّح بذلك في الأدلَّة الشرعيَّة، وكونهم عليهم السلام سبب القيام، كما أنَّ الجاذبيَّة والقوَّة الطاردة أو.. سبب القيام المادِّي، بحيث لولاهم لساخت الأرض بأهلها[1].

وكونهم عليهم السلام واسطة الفيض كما في حديث الكساء[2] وغيره، وأنَّه لولاهم لم يجرِ فيض الله سبحانه على هذا العالم القائم فرضًا، كما أنَّها (صلوات الله عليها) تعلم الغيب كسائر المعصومين عليهم السلام بحسب مشيئته سبحانه.

ولها عليها السلام ولهم عليهم السلام الولايات التكوينيَّة، ومعناها: إنَّ زمام العالم بأيديهم عليهم السلام، ومنهم فاطمة (سلام الله عليها) حسبَ جَعل الله سبحانه، كما أنَّ زمام الإماتة بيد عزرائيل عليه السلام، فلهم عليهم السلام التصرُّف فيه إيجادًا وإعدامًا، لكن من الواضح أنَّ قلوبهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله تعالى، فكما منح الله سبحانه القدرة للإنسان على الأفعال الاختياريَّة، منحهم عليهم السلام القدرة على التصرُّف في الكون.

---

(١) راجع محمَّد الكلينيّ، الكافي، ج١، ص١٧٩، ح١٠.

(٢) محمَّد الشيرازيّ: الدعاء والزيارة، ص١٠٥٠.

وما نذكره يشمل كلَّ المعصومين عليهم السلام، فإنَّ كلَّ الصلاحيَات التي كانت للأنبياء عليهم السلام، ثابتة للمعصومين عليهم السلام أيضًا؛ لأنَّهم أفضل منهم عليهم السلام، وفاطمة (صلوات الله عليها) أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام إلَّا الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنَّها (سلام الله عليها) بضعة منه، لا البضعة الماديَّة فقط ، بل المعنويَّة أيضًا، إذ لا يترتَّب على الماديَّة تلك الآثار التي رتَّبها الرسول صلى الله عليه وآله عليها، وإذا كان صلى الله عليه وآله أفضل جميع الأنبياء عليهم السلام، فبضعته عليها السلام كذلك، فتأمَّل[1].

وهناك روايات عديدة يمكن القول بأنَّها متواترة ولو إجمالًا، ومحتفَّة بالقرائن المعتبرة، تدلُّ على أفضليَّتها (صلوات الله عليها) من جميع الأنبياء عليهم السلام إلَّا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهي على طوائف:

فمنها: ما دل على كون طاعتها عليها السلام مفروضة على جميع الخلائق والأنبياء عليهم السلام، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنِّ والإنس والطَّير والوحش والأنبياء والملائكة..**»[2].

ومنها: ما دلَّ على اطِّلاع الله تعالى على الخلق واختيارهم، فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : «**إنَّ الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمَّ اطَّلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثمَّ اطَّلع الثالثة فاختار الأئمَّة من ولدك على رجال العالمين، ثمَّ اطَّلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين**»[3]، مع ملاحظة وحدة السياق معه صلى الله عليه وآله، ممَّا يفيد عموميَّة الأفضليَّة من كلِّ الأنبياء، وبضميمة ما دلَّ على أنَّها عليها السلام أفضل من أبنائها عليهم السلام، ففي (كمال الدين): «.. **ثمَّ اطَّلع إلى الأرض اطلاعة ثالثة فاختاركِ وولديكِ..**»[4].

(١) محمَّد الشيرازيّ، فقه الزَّهراء، ج٢، ص١٤.
(٢) محمَّد بن جرير الطبريّ، دلائل الإمامة، ص٢٨، خبر مصحفها.
(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٧٤.
(٤) الصدوق، كمال الدين، ص٢٦٣، ب ٢٤، ح١٠.

فمما يجب الأعتقاد به أنَّ الرسول الاعظم وأمير المؤمنين عليهما السلام، وأهل البيت عليهم السلام أعلم الناس بالقرآن، فقد دلَّت عليه الروايات المتواترة عند الفريقَين، فعن أبي سعد الخبريّ، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جلَّ شأنه: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[1]، قال: «**ذاك وصيُّ أخي سليمان بن داوود**». فقلت له: يا رسول الله فقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2]؟ قال صلى الله عليه وآله: «**ذاك أخي علي بن أبي طالب** عليه السلام»[3]. وقال عليه السلام: «**إنَّا أهل بيت عندنا معاقل العلم وآثار النبوَّة وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس**»[4]، وقال عليه السلام: «**نحن الذين عندنا علم الكتاب**»[5].

وممَّا يجب أيضًا تقديم قول أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وسائر الأحكام على قول غيرهم، فإنَّ القرآن نزل في بيوتهم، وهم الأعلم كما في صريح الروايات الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهم (أهلُ الذِّكر) الذين أمر (الذِّكر) بسؤالهم، وقد قال عليه السلام: «**نحن أهل الذِّكر**»، وهم (أُولوا الأمر) الذين قال فيهم تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[6]، كما يجب تقديم قولهم عليهم السلام مطلقًا في كلِّ المجالات؛ لعصمتهم عليهم السلام، فإنَّ أقوال غيرهم في تفسير القرآن في مقابل أقوالهم عليهم السلام كالحجر في جنب الإنسان، وكالسَّراب في قبال معين الحياة، بل لا يجوز لغيرهم تفسير القرآن برأيهم.

وقال أبو عبد الله عليه السلام لرجل من أهل الكوفة وسأله عن شيء: «**لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا، ونزوله على جدِّي بالوحي والقرآن والعلم، فيستسقي**

(١) النمل: ٤٠.
(٢) الرعد: ٤٣.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ٥٦٤-٥٦٥، المجلس ٨٣، ح٣.
(٤) المفيد: الاختصاص، ص٣٠٩.
(٥) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص٣٠٩.
(٦) النساء: ٨٣.

الناس العلم من عندنا، فيهدونهم»[1].

الفرع الثاني: شموليَّة أعلميَّتها عليها السلام

ولذا فإنَّ أعلميَّتها عليها السلام بخصوص القرآن وعمومه في كلامها عليها السلام تشمل: العلم بوجود العام ووجود الخاص في الكتاب، والعلم بوجود العام فيه، والخاص في غيره، والعكس، والعلم بوجود أحدهما، والمقام من قبيل الرابع.

فقد قال الصادق عليه السلام: «**كان عليّ صاحب حلال وحرام وعلم بالقرآن ونحن على منهاجه**»[2].

وقال عليه السلام: «**إنَّ الله فرض طاعتنا في كتابه، ولنا كرائم القرآن، إنَّ الله أعلمنا علمًا لا يعلمه أحد غيره، وعلمًا قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه**»[3].

وقال عليه السلام: «**إنَّ الله علَّم نبيَّه صلى الله عليه وآله التنزيل والتأويل، فعلَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام**»[4].

وعن حارثة بن قدامة قال: حدَّثني سلمان الفارسيّ، قال: حدَّثني عمَّار وقال: أخبرك عجبًا؟ قلت: حدِّثني يا عمار، قال: نعم، شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام، فلمَّا بصرت به نادت: «**أدن لأحدِّثك بما كان، وما هو كائن، وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة**». قال عمار: فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرجع القهقرى، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له: «**أدن يا أبا الحسن**»، فدنا فلمَّا أطمأن به المجلس قال له: «**تحدثني أم أحدثك**»؟ فقال: «**الحديث منك أحسن يا رسول الله**».

---

(١) تفسير العيَّاشيّ، ج١، ص١٦.
(٢) تفسير العيَّاشيّ، ج١، ص١٥، علم الأئمَّة بالتأويل، ح٥.
(٣) تفسير العيَّاشيّ، ج١، ص١٦، علم الأئمَّة بالتأويل، ح٧.
(٤) مستدرك الوسائل، ح١٧، ص٣٣٤، ب١٣.

فقال صلى الله عليه وآله: «**كأنِّي بك وقد دخلت على فاطمة، وقالت لك: كيت وكيت، فرجعت**». فقال علي عليه السلام: «**نور فاطمة من نورنا**»؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**أولا تعلم؟**»، فسجد عليّ عليه السلام شكرًا لله تعالى. قال عمَّار: فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة عليها السلام وولجت معه، فقالت: «**كأنَّك رجعت إلى أبي صلى الله عليه وآله فأخبرته بما قلته لك**»؟.

قال: «**كان كذلك يا فاطمة**». فقالت: «**اعْلَم يا أبا الحسن، أنَّ الله تعالى خلق نوري وكان يسبِّح الله جل جلاله، ثمَّ أودعه شجرة من شجر الجنَّة فأضاءت، فلمَّا دخل أبي صلى الله عليه وآله الجنَّة أوحى الله تعالى إليه إلهامًا أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله تعالى صلب أبي صلى الله عليه وآله، ثمَّ أودعني خديجة بنت خويلد عليها السلام، فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى**»[1].

معنى علمها بما لم يكن:

والمراد من قولها عليها السلام: «**وما لم يكن**»، أي يزعم أنَّه يكون، ولكنه ليس بكائن، والله العالم. وذلك لأنَّه حسب ما قاله أهل المعقول: «لا يعقل الإخبار عن ولا العلم بالأعدام بما هي أعدام»، وقد ذكر الحكماء: «إنَّ العدم بما هو عدم لا يوصَف ولا يكون مؤثِّرًا ولا متأثِّرًا ولا يخبر عنه». وفي المقام ليس الأمر عدميًّا محضًا، فإن العدم بلحاظ كونه مزعومًا، له حظٌّ من الوجود دون العدم المطلق.

وإذا رأينا ما ظاهره الإخبار عن العدم، مثل: «شريك الباري ليس بموجود»، فالمراد ما ذكره العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في (شرح التجريد) وغيره في غيره: إنَّ الشيء الذي يتصور في الذهن ليس له انطباق في الخارج، إلى غير ذلك. وبعبارة أخرى: «ما لم يكن»، أي ممَّا احتُمل أنَّه كائن، مثلما لو احتمل العلماء أن يطول عمر الفرد في العالم خمسين مليونًا مثلًا، ولكنَّه في علم الله لم يكن كذلك، فهذا غير كائن، ولم يكن في الواقع كذلك،

(١) حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص٤٦-٤٧.

ومثلما لو احتمل أن يكون لآدم (عليه الصلاة والسلام) عددًا أكبر من البنين والبنات ممَّا لم يكن في الواقع كذلك.

وإلَّا فإذا أُريد بها الأعدام، فإنَّها لا حصر لها ولا عدّ، ولا يمكن الإحاطة بها إلَّا لعلَّام الغيوب، فتأمَّل.

كما يُحتمَل في «ما لم يكن» الأعدام الإضافيَّة، كعدم اتِّصاف زيد بكذا وكذا، أو عدم اتِّصاف هذه الجماعة أو هذه الأمَّة أو الدولة بكذا وكذا، أو عدم حصولهم على كذا وكذا، فإنَّها متناهية وإن بدت لا متناهية، كما أنَّها عدوم نافعة ولو من جهة.

ويُحتمَل في «ما لم يكن» إرادة ما كان فيه (البداء)، أي كلُّ ما مسجلٌّ في (لوح المحو والإثبات) أنَّه يكون، ولم يكن كذلك في (اللوح المحفوظ)، فإنَّها عليها السلام عالمة به، ممَّا يعني إحاطتها- بإذن الله تعالى- بما في اللوح المحفوظ ممَّا كان مغايرًا لما في لوح المحو والإثبات[1].

(١) الشيرازيّ، آية الله العظمى الإمام السيِّد محمَّد الحسينيّ، أمَّهات المعصومين، ص٢٠٠.

المطلب الثالث

تراث الزَّهراء عليها السلام

الفرع الأوَّل: مصحف فاطمة عليها السلام

لقد كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ربيبة العلم والتُّقى، وكان حظها منهما وفيرًا، ويدلُّنا على شيء من ذلك بعض ما أُثِر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمباشرة في الأحكام والآداب والأخلاق وفضائل أهل البيت عليهم السلام.

ولذا فيجب ألَّا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعيَّة عن مصحف فاطمة، ذلك الكتاب الذي ورد ذِكره على لسان الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ الزَّهراء لم تفارق أباها طيلة حياتها، وكانت ترعاه وتتولَّى خدمته وتسمع أحاديثه وأخباره وخطبه بنحوٍ لم يتوفَّر لغيرها من مع الناس، إذا استثنينا ابن عمِّها عليًّا عليه السلام[1].

وبعد هذا ألَّا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطيّ من أنَّ جميع ما روته فاطمة رضي الله عنها من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث، وما يقوله الحافظ البدخشانيّ من أنَّ كلَّ ما روي عنها ثمانية عشر حديثًا[2]! مع أنَّنا نعلم أنَّ المرويَّ عن عائشة ما يفوق الألفَين، وهي لم تعاشر رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا بعد الهجرة بما يقلُّ عن عشر سنوات، بينما عاشت الزَّهراء مع أبيها على أقلِّ الروايات ثمانية عشر عامًا، وعلى أكثرها ثمانية وعشرين عامًا[3].

(١) هاشم معروف الحسينيّ: سيرة الأئمَّة الاثني عشر، ج١، ص٩٦.
(٢) الحافظ السيوطيّ، الثغور الباسمة في حياة سيِّدتنا فاطمة، ص٥٢.
(٣) المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، ج٣، ص١٩٥.

وقال الأستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات : «أخذت الزَّهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها ، وقد أخذ عنها إبناها الحسن والحسين وأبوهما عليّ وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلًا، وعائشة وأمُّ سلمة وأنس بن مالك وسلمى أم رافع رضي الله عنهم ، وقد ساعدها على ذلك أنَّها ألـمَّت بكثير من علوم القرآن وإحاطتها بأمور من الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، ولقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها و تبصِّرها بأمور دنياها، فالسيِّدة فاطمة من أهل بيتٍ اتَّقوا الله وعلَّمهم الله»[1].

وقد جُمع في ما سمِّي بـ(مسند فاطمة الزَّهراء) لعدَّة مؤلِّفين، أوَّلهم السيوطيّ المتوفَّى عام (٩١١هـ)، والثاني للسيِّد حسين شيخ الإسلاميّ التويسركانيّ، وقد جمع فيه (٢٦) حديثًا ممَّا نُقل عن الزَّهراء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو ممَّا يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، والثالث للشيخ عزيز الله العطارديّ، والرابع للشيخ أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ حيث جمع في كتابه (فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى) حوالي (٨٤) حديثًا ممَّا نُقل عنها في كتب الخاصَّة والعامَّة[2].

ومن هنا نُشير إلى ما كتبه السيِّد هاشم معروف الحسنيّ عن مصحف فاطمة الذي تُشير الروايات إليه، وتفصح فيها عن سعة علوم الزَّهراء وفضلها عند الله ورسوله وأهل بيته، قال رضوان الله عليه: «فليس بغريب والحال هذه، أن تكون السيّدة فاطمة عليها السلام قد جمعت قسمًا ممَّا سمعته منه ومن زوجها في التشريع والأخلاق والآداب وما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث والتقلُّبات، وقد ورث الأئمة من أبنائها في جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحدًا بعد واحد[3].

(١) توفيق أبو علم، أهل البيت، ص١٢٨-١٢٩.
(٢) المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، ج٣، ص١٩٥.
(٣) هاشم معروف الحسينيّ، سيرة الأئمَّة الاثني عشر، ج١، ص٩٦-٩٧.

نماذج مختارة من مصحف فاطمة الزَّهراء عليها السلام

١. اهتمامها بالعلم وتدوين السنَّة:

١. قال أبو محمَّد العسكريّ: حضرت امرأة عند الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء، فقالت: إنَّ لي والدة ضعيفة، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عن ذلك، فثنَّت فأجابت، ثمَّ ثلَّثت إلى أن عشَّرت، فأجابت، ثمَّ خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشقُّ عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: **هاتي وسلي عمَّا بدا لك، أرأيت من اكتري يومًا يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار، يثقل عليه؟** فقالت: لا، فقالت: **اكتريت أنا لكلِّ مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤًا، فأحرى أنَ لا يثقل عليَّ، سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول:**

إنَّ علماء شيعتنا يحشرون فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدِّهم في إرشاد عباد الله حتَّى يُخلع على الواحد منهم ألف ألف حلَّة من نورٍ، ثمَّ ينادي منادي ربَّنا عزَّ وجلَّ: أيُّها الكافلون لأيتام آل محمَّد صلى الله عليه وآله الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمَّتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كلِّ واحدٍ من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتَّى أنَّ فيهم- يعني في الأيتام- من يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثمَّ إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتَّى تتمُّوا لهم خلعهم وتضعِّفوها لهم، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثمَّ إنَّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتَّى تتمُّوا لهم خلعهم وتضعِّفوها لهم، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن

يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممَّن خلع علي من يليهم.

وقالت فاطمة: **يا أمة الله إنَّ سلكة من تلك الخلع لأفضل ممَّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرَّة، وما فضل فإنَّه مشوب بالتنغيص والكدر**[1].

٢. عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة، فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئًا تطرفينيه؟ فقالت: «**يا جارية هات تلك الحريرة**»، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «**ويحك أطلبيها فإنَّها تعدل عندي حسنًا وحسينًا**»، فطلبتها فإذا هي قد قمَّمتها في قمامتها، فإذا فيها: «**قال محمَّد النبيُّ: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو يسكت، إنّ الله يحبُّ الخير الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السئّال الملحف، إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، وإنَّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار**»[2].

٢. أدب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام:

وبالرغم من أنَّها توفِّيت ولها ثماني عشرة سنة، فإنَّ النصوص المؤرَّخة تشير إلى أنَّها مثل سائر المعصومين توفَّرت على إلقاء وتدوين ما يرتبط بمبادئ الشريعة الإسلاميَّة، وأنَّها في لقاءاتها مع العنصر النسويّ، كانت تتكفَّل بالإجابة على أسئلتهنَّ، وأنَّها بعامَّة أُثِر عنها من ما يُفصح عن شخصيَّتها العلميَّة والأدبيَّة، ولعلَّ النماذج التي نقلها المؤرِّخون بالنسبة إلى النصوص الخطابيَّة التي ارتجلتها تُفصِح بوضوح عن الطابع الأدبيّ المحكم في خطاباتها، فهناك خطبتان مأثورتان عنها فيما ارتجلت، أولاهما بمحضر من النساء، بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، والأخرى ارتجلتها بمحضر من شخصيَّات المهاجرين والأنصار[3].

(١) العلَّامة المجلسّي، بحار الأنوار، ج٢، ص٣.

(٢) جلال الدين الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١.

(٣) الدكتور البستانيّ، تاريخ الأدب العربّي في ضوء المنهج الإسلاميّ، ص٢٥٧.

وقد كانت الخطبَتَين بعد أحداث رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد جاء في الخطبة المعروفة عنها قولها الدالُّ على تحديد مصادر التشريع الإسلاميّ للصحابة، حين اعترضت على أبي بكر بعد حادثة السقيفة المر: «**أنتم عباد الله نصُبُ أمره ونهيه، وحَمَلة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعيم حقٍّ له فيكم، وعهد قدَّمه إليكم، وبقيَّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيِّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدًا إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوَّرة، وعزائمه المفسَّرة، ومحارمه المحذَّرة، وبيِّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة**».

وقالت عن فلسفة التشريع في نفس الخطبة: «**فجعل الله الإيمان تطهيرًا لكم من الشرك، والصلاة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتًا للإخلاص، والحج تشييدًا للدين، والعدل تنسيقًا للقلوب، وطاعتنا نظامًا للملَّة، وإمامتنا أمانًا من الفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامَّة، وبرُّ الوالدين وقاية من السَّخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقنًا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضًا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييرًا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهًا عن الرجس، واجتناب القذف حجابًا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابًا للعفَّة، وحرَّم الله الشرك إخلاصًا له بالربوبيَّة، فاتَّقوا الله حقَّ تقاته، ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فإنَّه إنَّما يخشى الله من عباده العلماءُ..**»[1].

وعلَّق الدكتور البستانيّ على هذا النصِّ الفنِّي قائلًا : «لقد بدأت الخطبة بتمجيد الله تعالى، وهو أسلوب قد اختطَّه النبيّ وفصله الإمام عليّ عليه السلام، حيث يلاحَظ أنَّها قد أفادت

(١) خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء بعد منع فدك:
https://ar.wikishia.net/

من جانب من النبيّ والإمام عليّ عليهما السلام أسلوبيًّا، واختطَّت منحًى فنيًّا خاصًّا من جانب آخر، إنَّها تسلسلت موضوعيًّا من الحمد، فالشكر، فالثناء على معطيات الله تعالى، ثمَّ صفاته تعالى، ثمَّ نبوَّة أبيها، فمعطيات ذلك، ثمَّ اتَّجهت إلى الموضوع الرئيس، وسردت قائمة بالمعطيات النفسيَّة والعباديَّة، وهكذا وصلت بين النبوَّة، وبين معطياتها اجتماعيًّا، بين المقدِّمة والموضوع، فجاءت الخطبة خاضعة عماريًّا لخطوط هندسيَّة متواشجة فيما بينها، وأمَّا الأدوات الفنيَّة التي توكَّأت عليها فتتمثَّل في حشد ملحوظ من العنصر (الصوريّ)، وفي عناية ملحوظة بالعنصر الإيقاعيّ، فضلًا عن العنصر اللفظيّ، من تقابل وتماثل وتتابع وتكرار وقسم..»[1].

الفرع الثاني: الرواة والمحدِّثون عن فاطمة الزَّهراء عليها السلام

قلنا: إنَّ الزَّهراء فاطمة عليها السلام كانت ربيبة العلم والتُّقى، وكما عرفنا أنَّ لها كتابًا يدعى (المصحف)، اختصَّ به أهل البيت عليهم السلام، وقد كانت معنيَّة بنشر العلم وإنفاقه، بالإضافة إلى اهتمامها بتربية أبنائها ومَن خَدَمها في بيتها كأمِّ أيمن وفضَّة، التي لم تكن تتكلَّم إلَّا بالقرآن، بما يقرب من عشرين سنة.

وممَّا يدلُّنا على اهتمامها ببذل العلم كثرة الرواة عنها، وإليك قائمة بأسمائهم:

١. ابن أبي مليكة.
٢. أبو أيوب الأنصاريّ.
٣. أبو سعيد الخدريّ.
٤. أبو هريرة.
٥. أسماء بنت عميس.
٦. أمُّ كلثوم.
٧. بشير بن زيد.

(١) المجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية، ص٢٥٧-٢٦٢.

٨. جابر بن عبدالله الأنصاريّ.
٩. الحسن بن عليّ.
١٠. الحسين بن عليّ.
١١. الحكم بن أبي نعيم.
١٢. ربعي بن خراش.
١٣. زينب بنت أبي رافع.
١٤. زينب بنت عليّ.
١٥. سلمان الفارسيّ.
١٦. سهل بن سعد الأنصاريّ.
١٧. شبيب بن أبي رافع.
١٨. العبَّاس بن عبد المطلَّب.
١٩. عبد الله بن الحسن.
٢٠. عبد الله بن العبَّاس.
٢١. عبد الله بن مسعود.
٢٢. علي بن أبي طالب.
٢٣. علي بن الحسين.
٢٤. عوانة بن الحكم.
٢٥. فاطمة بنت الحسين.
٢٦. القاسم بن أبي سعيد الخدري.
٢٧. هارون بن خارجة.
٢٨. هشام بن محمد.
٢٩. يزيد بن عبد الملك[1].

(١) راجع للتفصيل: الشيخ عبد الله العطارديّ، مسند فاطمة الزَّهراء: ٥٩٠-٦٠٢.

وعلى سبيل المثال من الإخبارات الغيبيَّة الواردة عنها، ما روته فاطمة الصغرى بنت الحسين (رضي الله عنهما) عن أبيها عن جدَّتها فاطمة الكبرى بنت الرسول صلى الله عليه وآله، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: **يُدفَن من وِلدي سبعة بشاطيء الفرات، لم يبلغهم الأوَّلون، ولم يدركهم الآخرون**[1].

وما ورد من إسرار النبيّ لها (صلوات الله عليهما) عن عائشة، قالت: اقبلت فاطمة تمشي، كأنَّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **مرحبًا بابنتي**؛ ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ إنَّه أسرَّ إليها حديثًا، فبكت، فقلت لها: استخصَّك رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه ثمَّ تبكين؟ ثمَّ إنَّه أسرَّ إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن! فسألتها عمَّا قال، فقالت: **ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله**؛ حتَّى إذا قُبِض النبيّ الله سألتها، فقالت: إنَّه أسرَّ إليَّ فقال: **إنَّ جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كلِّ عام مرَّةً، وإنَّه عارضني به العام مرَّتين، ولا أراه إلَّا قد حضر أجلي، وإنَّك أوَّل أهل بيتي لحوقًا بي، ونعم السَّلف أنا لك**، فبكيت لذلك، ثمَّ قال: **ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمَّة- أو نساء المؤمنين؟** قالت: **فضحكتُ لذلك**.

عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: لمَّا مرض رسول الله، دعا ابنته فاطمة فسارَّها، فبكت، ثمَّ سارَّها فضحكت، فسألتها عن ذلك، فقالت: **أمَّا حين بكيت فإنِّه أخبرني أنَّه ميت، فبكيت، ثمَّ أخبرني أنِّي أوَّل أهله لحوقًا به فضحكت**[2].

ونقل أنَّه: كما إِنَ الله تَعَالَى أَعْطَى عَشَرَةَ أَشْيَاءَ لِعَشَرَةٍ مِنَ النِّسَاءِ التَّوْبَةَ لِحَوَّاءَ زَوْجَةِ آدَمَ وَالْجَمَالَ لِسَارَةَ زَوْجَةِ إِبْرَاهِيمَ وَالْحِفَاظَ لِرَحْمَةَ زَوْجَةِ أَيُّوبَ وَالْحُرْمَةَ لِآسِيَةَ زَوْجَةِ

(١) العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٨، ص١٣١.
(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٦، ص٢٨٢.

فِرْعَوْنَ وَالْحِكْمَةَ لِزَلِيخَا زَوْجَةِ يُوسُفَ وَالْعَقْلَ لِبِلْقِيسَ زَوْجَةِ سُلَيْمَانَ وَالصَّبْرَ لبرخانة أُمِ مُوسَى وَالصَّفْوَةَ لِمَرْيَمَ أُمِ عِيسَى وَ الرِّضَى لِخَدِيجَةَ زَوْجَةِ الْمُصْطَفَى وَالْعِلْمَ لِفَاطِمَة زوجة المرتضى[1].

(١) محمَّد عليّ الحلو: ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام، ص١٢٧، نقلاً عن: بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٤٣، ب٣، ص١٩.

الخاتمة

وبعد هذا العرض السريع للجانب العلميّ في حياة السيِّدة الزَّهراء، نقول: إنَّنا توصَّلنا إلى نتائج مهمَّة من خلال البحث، وهي كما يلي:

١. كانت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أعلم نساء زمانها، وسيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين؛ فمقاماتها السامية، وعلومها الغزيرة، ومعارفها الزاخرة جعلتها الأقدر على القيام بدور المعلم والمرشد والموجِّه والمربِّي لنساء عصرها اللاتي كنَّ يتجمَّعن حولها، ويتلقَّين منها أحكام الإسلام وعلومه.

٢. إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت من أهل بيت النبوَّة والإيمان، وقد أعطاهم الله تعالى من العلم ما لم يعطِ أحدًا غيرهم، وقد سمِّيت فاطمة بهذا الاسم؛ لأنَّ الله فطمها بالعلم، ولم يكن لها نظير من النساء، فسمِّيت بالبتول.

٣. السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام تعدُّ أوَّل امرأة مسلمة ألَّفت كتابًا يحتوي على أحداث الحياة، وما سيحدث فيها حتَّى يوم القيامة، بإملاء من رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ورد في روايات مستفيضة، وهو ما كان يسمَّى (مصحف فاطمة).

٤. اهتمَّت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بنشر العلوم والمعارف الإسلاميَّة بين النساء، فكان لها مجلس علميّ يحضره نساء المهاجرين والأنصار حتَّى يأخذن منها أحكام الإسلام وأخلاقه ومفاهيمه وأُسسه وفلسفته.

٥. ضرورة التثقيف الـذاتيّ، وأن نعيش مع العلم والمعرفة بشكلٍ مستمرٍّ، وأن نطلب العلم من المهد إلى اللحد، أي أن تصطبغ حياتنا بصبغة العلم،

وضرورة اختيار التخصُّص العلميّ المناسب، الذي يتناسب مع متطلَّبات العصر، وبهذه الصورة نكون ممَّن يقرأ السيِّدة الزَّهراء قراءة عمليَّة، وليست قراءة لأجل القراءة فقط.

المصادر

* القران الكريم.

١. ابن ابي طالب، الإمام عليّ، نهج البلاغة، تحقيق محمَّد عبده.

٢. ابن فارس، مجمل اللغة.

٣. ابن منظور، لسان العرب.

٤. توفيق أبو علم، أهل البيت.

٥. حسين بن عبد الوهاب، عيون المعجزات.

٦. الدكتور البستانيّ، تاريخ الأدب العربيّ في ضوء المنهج الإسلاميّ.

٧. الزمخشريّ، أساس البلاغة.

٨. السيِّد محمَّد الشيرازيّ، أمَّهات المعصومين.

٩. الشيح المفيد، الاختصاص.

١٠. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه.

١١. الشيخ عبد الله العطارديّ، مسند فاطمة الزَّهراء.

١٢. عبَّاس القمِّيّ، مفاتيح الجنان.

١٣. العلَّامة المجلسيّ، بحار الأنوار.

١٤. الفيروز آباديّ، القاموس.

١٥. القزوينيّ، محمَّد كاظم، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد.

١٦. المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية.

١٧. المحدِّث النوريّ، مستدرك الوسائل.

١٨. محمَّد الشيرازيّ، الدعاء والزيارة.

١٩. محمَّد الشيرازيّ، أمَّهات المعصومين.

٢٠. محمَّد الصدوق، الأمالي.

٢١. محمَّد الكلينيّ، الكافي، ج١.

٢٢. محمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصِّحاح.

٢٣. محمَّد بن الحسن الصفَّار، بصائر الدرجات.

٢٤. محمَّد بن جرير الطبريّ، دلائل الإمامة.

٢٥. محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ، تفسير العيَّاشيّ.

٢٦. محمَّد صدوق، كمال الدين.

٢٧. محمَّد عليّ الحلو، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام.

٢٨. دراسة عقائديَّة في علم السيِّدة فاطمة الزكيَّة عليها السلام وحجيَّتها، ج٢:
alkafeelblog.edu.turathalanbiaa.com

٢٩. خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء بعد منع فدك:
https//ar.wikishia.net/

الخصائص والمناقب الفاطميَّة

الباحثة افتخار عبد الزَّهرة حسين
طالبة في مدرسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله النسويَّة للعلوم الدينيَّة

ملخَّص البحث

الحمد لله ربِّ السموات السبع، وربِّ العرش العظيم، وربِّ الأنبياء والمرسَلين، وربِّ الأوَّلين والآخِرين، أحدًا صمدًا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين سيِّدنا محمَّد خاتم الأنبياء والمرسَلين، والسلام على الزَّهراء البتول ريحانة رسول الله وروحه التي بين جنبَيه، السلام على تفَّاحة الفردوس، وسيِّده نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

يفرز التاريخ الإسلاميّ اهتمامًا كما أفرزه من اهتمام بالسيِّدة فاطمة الزَّهراء، ولم يتعامل بإجلال مثلما تعامل مع تلك السيِّدة الفريدة، حتَّى ظلَّ اسمها وسيرتها فصلًا متألِّقًا في الذاكرة الإسلاميَّة.

يُذكَر اسمها فتتجسَّد كلُّ معاني التبتُّل والطهارة والنقاء، ويَرِد ذِكرها فتتمثَّل كلُّ خِصال الأنوثة من رقَّة وحشمة وحياء.. عاشت في الأرض.. ظهرت في سماء الإسلام كوكبًا مضيئًا.. وغابت شمسًا وقمرًا.

فماتزال فاطمة الزَّهراء النموذج الذي قدَّمته السماء للمرأة، والمثال الذي نحته الإسلام، ونفخ فيه من روحه.

وعندما يتحدَّث نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله عن حوريَّة الأرض، إنَّما يريد أن يكشف عن الجزء

السماويّ في تكوين فاطمة.. الجزء الذي باركه الله وطهَّره تطهيرًا.

إنَّ الله تبارك وتعالى له شؤون في خلقه، وأسرار تخفى على عباده، حيث إنَّ له مشيئة وحكمة وإرادة قدسيَّة تجلَّت في خلقٍ شريفٍ طاهرٍ لا يُقاس به أحد، كبضعة المصطفى سيِّد الكائنات، وأشرف الرُّسل والأنبياء، المصطفى الاكرم محمَّد، هي الصدِّيقة الكبيرة فاطمة الزَّهراء البتول صلوات الله عليها، وشرفت على جميع الخلق، وكذلك كان لها بالضروره الخصائص السامية القدسيَّة، وهي ابنته الحوراء الإنسيَّة، وهي زوجة سيِّد الأوصياء وأمُّ الأئمَّة الهداة الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذريَّة الحسين إلى خاتمهم المهدي المنتظر صلوات الله عليهم أجمعين.

المقدِّمة

إنَّ الله تعالى خلق محمَّد صلى الله عليه وآله ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثمَّ خلق منه بضعته وابنته فاطمة الزَّهراء؛ لتكون علامة وآية على قدرة الله في إبداع مخلوقٍ أنثى، تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزَّهراء أوفر حظٍّ من العَظَمة، وأوفى نصيبٍ من الجلالة، بحيث لا يمكن لأيِّ أنثى أن تبلغ تلك المنزلة.

إن الحديث عن خصائص ومناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام يشتمل على حوادث كلُّها عِبَر وحِكَم ودروس، نتعرَّف بها على حياة أولياء الله وخاصَّته، وكيفيَّة نظرتهم إلى الحياة. ويطلع على جانب من التاريخ الإسلاميّ المتعلِّق بحياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بالرغم من قِصَر عمرها، وأنَّها كانت تعيش في خدرها، لايطَّلع أحد على معاشرتها وسلوكها في البيت إلَّا أسرتها وزوجها، ويشمل الحديث نموذجًا من المرأة بصفتها بنتًا في دار أبيها، وزوجةً في دار بعلها، وأمًّا ومربِّية في بيت الزوجيَّة، وسطع صبح النبوَّة بطلعتها الحميدة وغرَّتها الرشيدة، وتجسَّدت فيها الكمالات الإنسانيَّة، فهي نور الحقِّ، وحقيقة الصدق، وآية العدل، فتعالى مجدها، وتوالى إحسانها.

في ضوء ما تقدَّم، تروم الباحثة تقسيم البحث إلى مبحَثَين، وأربعة مطالب، وكما يأتي:

المبحث الأوَّل: الخصائص النورانيَّة للزَّهراء عليها السلام.

المطلب الأوَّل: خصائص فاطمة الزَّهراء عليها السلام في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: خصائص فاطمة الزَّهراء عليها السلام في السيرة النبويَّة الشريفة.

المبحث الثاني: مناقب فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المطلب الأوَّل: مناقب فاطمة الزَّهراء عليها السلام كابنة.

المطلب الثاني: مناقب فاطمة الزَّهراء عليها السلام كزوجة وأم.

المبحث الأوَّل

الخصائص النورانيَّة للزَّهراء عليها السلام

سبحانك اللهمَّ يا فاطر السماوات العلى، وخالق الحَبِّ والنَّوى، أنت الذي فطرت اسمًا من اسمك، وأنت شققته من نورك، فوهبت اسمك بنورك، حتَّى يكون هو المظهر لظهورك، فجعلت ذلك الاسم أصل لجملة أسمائك، وذلك النور أروحه لسيِّدة إمائك، وناديت بالملأ الأعلى: أنا الفاطر، وهي فاطمة، وبنورها ظهرت الأشياء من الفاتحة إلى الخاتمة.

المطلب الأوَّل: خصائص فاطمة الزَّهراء عليها السلام في القرآن

البيان لقد صرح القرآن الكريم فاطمة الزَّهراء عليها السلام بآيات على أناء وأطراف النهار، نتيجة لمواقفها، ولتفانيها في سبيل الدعوى الإسلاميَّة، وقد روى المؤرِّخون والمفسِّرون نزول عدد من آيات الذِّكر الحكيم في مدحها، وقد عبَّرت هذه الآيات التعبير الحقيقيّ عن الشرف الكبير الذي خصَّها بها الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله، بعد نزول آية التطهير، كلَّما خرج إلى صلاة الفجر، يمُّر ببيت السيِّدة فاطمه عليها السلام، فيقول: «**الصلاة يا أهل البيت** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

وهذه الآية مختصَّة بأهل البيت عليهم السلام، كما أنَّها شامله للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ما يوحي بأنَّ هناك خصوصيَّة في المسألة تختلف عن الوضع العام الذي يتعلَّق بعامَّة الناس.

ولا بدَّ أن نُشير إلى مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في القرآن؛ لكونها من العترة الطاهرة والنقل الثاني وترجمة الوحي، وكلُّ هذا يعني أنَّ كلامها حجَّة علينا، وفي الواجب على جميع المسلمين طاعتها واتِّباعها، فهي نبض القرآن، ووصيَّة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد لفت القرآن إلى فضائلها، وعناها في العديد من الآيات[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بالصدِّيقة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾.

إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام معروف عنها كثرة الصدق، فهي صدِّيقة، والصدِّيقة صيغة مبالغة في الصدق. وقيل الصدِّيق أبلغ من الصدوق. وقيل إنَّه لم يكذب قط. وقيل مَن صدق بقوله واعتقاده، وحقَّق صدقه بفعله، وأيًّا كان معنى الصدِّيق، فإنَّ فاطمة عليها السلام تنطبق عليها جميع الأقوال، فهي سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجِب الحقُّ جلَّ وعلا، وبكلِّ أوامره ونواهيه، وبكلِّ ما جاء به الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين[2].

وكذلك أشار القرآن الكريم في آية المباهلة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

فهذه الآية المباركة نزلت واقعة حسَّاسة جرت بين معسكر الإيمان الفتيّ في يثرب، ومعسكر الضَّالِّين عن درب الهداية المتمثِّل بنصارى نجران وغيرهم، حيث انهزمت قوى الضلال أمام قوى الإيمان المسدَّدة من الله جبَّار السماوات والأرض، وهذه الواقعة التاريخية وهذه الآية المباركة التي نزلت لتبيان معالمها تجلى لنا بوضوح مقام الزَّهراء عليها السلام

(١) فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام في آية ٣٣ الأحزاب:
httP//iraq-Shafaqan-com.

(٢) أسماء فاطمة الزَّهراء عليها السلام دلائل ومقامات، الأمانة العامَّة للعتبة الكاظميَّة المقدَّسة، الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، ١٤٣٣هـ، ص١٨.

عند الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله، حيث وصفتها الآية بـ(نسائنا).

وهي على هذا الأساس نموذج العنصر النسائيّ في المعسكر الإسلاميّ الكريم[1]، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يعود فاطمة الزَّهراء عليها السلام بآيات القرآن الكريم.

وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْبَيْتَ، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ: «إِيتِينِي بِمَاءٍ»، فَقَامَتْ إِلَى قَعْبٍ فِي الْبَيْتِ، فَأَتَتْ فِيهِ بِمَاءٍ، فَأَخَذَهُ صلى الله عليه وآله وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «تَقَدَّمِي»، فَتَقَدَّمَتْ، فَنَضَحَ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا وَعَلَى رَأْسِهَا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله لَهَا: «أَدْبِرِي»، فَأَدْبَرَتْ، فَصَبَّ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: «إِيتُونِي بِمَاءٍ»، قَالَ عَلِيٌّ: فَعَلِمْتُ الَّذِي يُرِيدُ، فَقُمْتُ، فَمَلَأْتُ الْقَعْبَ مَاءً، وَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَقَدَّمْ»، فَصَبَّ عَلَى رَأْسِي وَبَيْنَ ثَدْيَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهُ بِكَ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَالَ: «أَدْبِرْ»، فَأَدْبَرْتُ، فَصَبَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُعِيذُهُ بِكَ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «ادْخُلْ بِأَهْلِكَ، بِسْمِ اللهِ وَالْبَرَكَةِ»[2].

القرآن ينقل لنا جانبًا من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وسلوكيَّاتها في سوره كاملة، هي سورة الإنسان، حيث تُثني على فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وهي ربَّة العائلة وسيِّدة البيت، هي التي حملت رغيفها في البدء، ثم جمعت أرغفة أطفالها الصغار، وهم صائمون، لتعطيها خلال ثلاثة أيَّام متتالية الى المسكين واليتيم والأسير، متجاوزة بذلك في سبيل العقيدة عواطفها وطبيعتها كأمٍّ تفضِّل أطفالها على غيرهم، وضاربة بذلك أروع الأمثلة في الذوبان في الرسالة الإلهيَّة، والاندماج فيها،

(١) الزَّهراء فاطمه بن محمَّد، تأليف عبد الزَّهراء عثمان أحمد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، مكتبة العَلَمين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

(٢) البتولَين فاطمة الزَّهراء ومريم العذراء، والتوافق في الأثر والخصائص، الأستاذ المساعد الدكتور مهدي حسين التميميّ، الكاظميَّة المقدَّسة، ص٢٠١.

وتفضيلها على كلِّ الخلائق الدنيويَّة ،ولكي تقول للمرأة المسلمة إنَّ المرأة بإمكانها إذا ما تربَّت في أحضان الرسالة، وعاشت في أجواء القرآن والوحي، أن تتحوَّل إلى النموذج في التآخي والتكامل، وتحدِّي غرائز وعوامل الضعف في النفس البشريَّة[1].

وإنَّ استمرار الإسلام وبقاء رسالة السماء وحفظ القرآن ومنهاجه القويم، وهذا ما كان يراه النبيّ صلى الله عليه وآله في ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، من خلال تطلُّعه إلى آفاق المستقبل الذي سيكون لولدها عليهما السلام، فهنا أصبحت الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا وصورة ناصعة للنبيّ صلى الله عليه وآله في جميع خطواتها الرساليَّة الإيمانيَّة، ففكرها التربويّ الإيمانيّ يعدُّ جزءًا مهمًّا من الفكر الإنسانيّ المتراكم عِبر التاريخ المتَّسم بالشموليَّة، واتِّساع أفكارها المنبثقة من رحم الدين الحنيف[2].

وقوله قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ١٩-٢٢).

أشارت هذه الآية الكريمة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ أنا وأنت نور واحد، فانقسم النور إلى جزأين، جزء في عبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله، وجزء في أبي طالب والد عليّ عليه السلام، ثمَّ التقى النوران، فكانت فاطمة بحر النبوَّة وعليّ بحر الإمامة، فالتقيا في زواجهما، فذكرت الآية ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾، هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿نُّورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾.

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة الصدِّيقين، المؤلِّف سماحة المرجع الدينيّ أية الله الحاج السيِّد محمَّد تقي المدرِّسيّ، الناشر: البصائر للثقافة والنشر، جمهورية العراق، النجف الأشرف، شارع الرسول، سوق الحويش، جامع الأنصاريّ، الطبعه الرابعة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م، ص٢٤.

(٢) معالم الفكر التربويّ للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الدكتورة زينب شاكر الواسطيّ، ص٧٣-٧٤.

قال: المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن والحسين عليهما السلام، والزجاجة كأنَّها كوكب دريّ: قال كانت فاطمة كوكبًا دريًّا بين نساء العالمين، وقد منحها الله فضلًا ليس لأحد، ومنزلة فوق كلِّ منزلة، تستحقُّ منَّا الإجلال والتعظيم والتقديس[1].

فالمراد في هذه الآية والله أعلم بالمصباح في زجاجة الأكثر نورًا وإشعاعًا، وهذه إشارة إلى الثورة الحسينيَّة، وانتصار الدَّم على السيف في واقعة الطفِّ، فضلًا عن كونه الأئمَّة التسعة الأطهار، ثمَّ العودة ثانيةً إلى السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهي الكوكب الدريّ والمقدَّمة على نساء أهل الدنيا كافَّة من الأوَّلين والآخِرين.

وطبقًا لمنطق الحقِّ والعدل، تعدُّ الأسرة الفاطميَّة هي المخصوصة بهذه الآية، وعليه فالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام سيِّدة النساء في الدنيا والآخرة، وكيف تكون سيِّدة الأوَّلين والآخِرين، وهي غير معصومة؟ إذن الآية تدلُّ على عصمة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّها مفترضة الطاعة على الخلق مطلقًا[2].

المطلب الثاني: خصائص فاطمة الزَّهراء عليها السلام في السيرة النبويَّة الشريفة والإمامة

عندما يريد المرء أن يتحدَّث عن الزَّهراء عليها السلام يقعد به شاهق قمم كمالاتها وبعيد غور أسرارها عن النطق والتعبير، أنَّ كلَّ ما نقوله حول الزَّهراء عليها السلام قليل، وفي الحقيقة أنَّنا لا نعلم ما يجب قوله وما يجب التفكير فيه، فالأبعاد الوجوديَّة لهذه الحوراء الإنسيَّة

(١) فاطمه بين النبوَّة والإمامة، الشيخ كمال معاش، المرحوم عبد العزيز نادر الخضريّ، مؤسَّسة التبليغ العالميَّة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص٣٩، ٢٣٠، سورة النور آية ٣٥.

(٢) فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء، مؤتمرات الزَّهراء الدوليَّة، القسم الأوَّل، موسوعة فصليَّة تعنى بالآثار والتراث، تصدرها أكاديميَّة الكوفة في هولندا، السنة السابعة والعشرون، ٢٠١٥م، المجلَّد ١٠٨، صاحبها ورئيس تحريرها محمَّد سعيد الطريحيّ، ص٨١.

واسعه ولا متناهية، وغير قابلة للإدراك، وهي صورة يتحيَّر الإنسان فيها[1].

ومن خصائص فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّ لها مبانٍ خاصَّة في الفقه والقصائد والمعارف السامية، ومن خصائصها أن حبَّها ينفع في مئة مَوطِن، وحبُّ الأئمَّة الأطهار عليهم السلام ينفع في سبعة مواطن من أهوال يوم القيامه، وأنَّها في خلقتها النورانيَّة تساوي النبيّ صلى الله عليه وآله، كما قال صلى الله عليه وآله بأنَّها روحه التي بين جنبيه، وربما الجنبَين إشارة الى جنب العلم وجنب العمل، فهي واجدة روح النبيّ بعلمه وعمله وكل كمالاته، إلَّا النبوَّة، فهي الأحمد الثاني، وعلم الرسول وتقواه وروحه، وورد في توقيعات صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف أنَّ أُسوته ومقتداه أمُّه فاطمةالزَّهراء عليها السلام[2].

وقد اتَّسمت الزَّهراء عليها السلام منذ نعومة أظفارها بالجهاد والدفاع عن الإسلام، فهي التي كانت الى جنب أبيها منذ صغرها، تمدُّه بالعون وتقوِّيه، وترفده بالحبِّ والحنان، وتتحمَّل الجوع في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وهم في شِعب أبي طالب، فحياة الزَّهراء عليها السلام، وإن كانت قصيره، ولم تبلغ أكثر من عشرين سنة، لكنَّها من جهة الجهاد والنصال والسعي والصبر والثورة والدرس والتعليم والتعلُّم والخطابة والدفاع عن النبوَّة والإمامة والنظام الإسلاميّ كانت أكبر ناحية من السعي والجهاد والعمل، وفي النهاية الشهادة، وهذه هي الحياة الجهاديَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، ففي كلِّ مرحلة من مراحل الدعوة، وفي كلِّ محطَّة من محطَّات حياة الزَّهراء عليها السلام، كان هناك جهاد معيَّن ملقًى على عاتق السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، حسب السمات الخاصَّة بكلِّ مرحله[3].

وكان لدى الزَّهراء عليها السلام غايات عدَّة، وسنقتصر على جانبَين منها: ففي الجانب العقائديّ: يعتقد البعض أنَّ النُّصرة التي قدَّمتها مولاتنا الزَّهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام

(1) articlechttps: bagiatollahnet.

(٢) من خصائص السيدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الكلم الطيِّب : https// btidiorynews.

(٣) السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأُسوه، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة والثقافيَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ، ص١٦٦-١٦٧.

نابعة من كونه زوجًا لها، والحال أنَّ هناك أرقى وأسمى من ذلك، وهو كونه إمام زمانها، فلذلك قدَّمت الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن إمام زمانها. أمَّا في الجانب الثاني الأخلاقيّ: فتُعلِّمنا عليها السلام في هذا الجانب العطاء والحبَّ والدعاء للآخرين، وقد اتَّخذت من وقت السَّحر وقتًا لتحقيق هذا المبدأ الراقي، الذي يعكس الكثير من جوانب شخصيَّتها عليها السلام[1].

«رأيت أمِّي فاطمة قامت في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتَّى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسمِّيهم، وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو بشيء لنفسها. فقلت: يا أمَّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثمَّ الدار».

«فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمَّة من ولدها أمناء ربِّي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم هوى»[2].

ولقد أقام رسول الله صلى الله عليه وآله الزَّهراء بأسمى مكان وأعز منزلة في الإسلام؛ لتكون المثل الأعلى للسيِّدات من نساء أمَّته، لا في العفَّة والطهارة فحسب، وإنَّما لتأخذ دورها في الإصلاح الشامل إن مُنِيت أمَّته بالانحراف في مسيرتها، وشذَّت في سلوكها، حيث هبَّت سلام الله عليها بصلابه وشموخ وشجاعة في وجه المسؤولين، فدعتهم إلى الاستقامة والالتزام بحرفيَّة الإسلام، وإرجاع الخلافة إلى سيِّد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وآله علمًا لأمَّته، وقائدًا لمسيرتها، ولم يتركها تتخبَّط في مجاهل الحياة[3].

(1) https//alkafeelblog.edu.turatarathalanbiaa.com.

(٢) فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، المؤلِّف الكالح الشيخ أحمد الرحمانّي الهمدانّي، الناشر: النشر المرضيَّة، الطبعة الثانية، ص١١.

(٣) موسوعة سيرة أهل البيت، باقر شريف القرشيّ، تحقيق: مهدي باقر القرشيّ، دار المعروف، مؤسَّسة الإمام الحسن عليه السلام، مطبعة ستارة، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، النجف الأشرف=

واصلت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الدفاع عن عقيدتها بحقِّ الإمام عليّ أمير المؤمنين عالية بولاية الأمَّة، فكانت تخرج معه تأتي أبواب المهاجرين والأنصار، في هدأة الليل، بعد عودة المتسلِّطين إلى منازلهم، تذكِّرهم، ويذكِّرهم الإمام عليّ بحقِّه، فقد روي الخبر تارةً بأنَّ الإمام أمير المؤمنين عليّ قد حمل الزَّهراء وابنيه الإمامَين الحسن والحسين، فلم يدع أحدًا من المهاجرين والأنصار إلَّا أتى منزله وذكَّره حقَّه، ودعاه إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلَّا عدد قليل (٢-٢٢)، وروي الخبر تارةً أخرى بأنَّ الإمام أمير المؤمنين عليّ خصَّ الأنصار بتلك الجولات التي يبدو فيها أنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تنهض بجزء من عبء الموقف، تذكيرًا ومناشدةً واستنصارًا، فكان يأتيها الرد: «يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجك وابن عمِّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ كرَّم الله وجهه: **أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟** فقالت السيِّدة فاطمة: **ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم**»[1].

فالزَّهراء عليها نزلت الى الساحة السياسيَّة، ودافعت عن حقِّها الذي كان ينطوي في حقيقته على الدفاع عن الإمامة، والتراث النبويّ، وأولويَّة أهل بيت العصمة عليهم السلام في الإمساك بزمام أمور الأمَّة.

والمهمُّ في قضية الزَّهراء عليها السلام تصدِّيها بنفسها للدفاع عن الحقِّ، حيث إنَّ هذا الدفاع يمثِّل في حدِّ ذاته قيمة إلهيَّة، ولاسيَّما عندما تنطلق صرخات الاحتجاج والمعارضة من فم امرأة مظلومة كفاطمة عليها السلام، وأنَّ فاطمة، هي جزء لا يتجزَّأ من نور الرسالة، ودعامة أساسيَّة من دعامات الإيمان، فالزَّهراء البتول عليها السلام غدت من خلال سيرتها الطاهرة، وظلامتها التي تتصدَّر كلَّ ظلامة في التاريخ البشريّ؛ غدت مسيرة رساليَّة جهاديَّة،

=شارع الرسول، مكتبة الإمام الحسن ص١١

(١) تأمُّلات في النهج الحركيّ للصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأستاذ المساعد الدكتور هادي عبد النبيّ محمَّد التميميّ، الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، النجف الأشرف.

وملاك رحمة للعالمين، فهي بذرة الشجرة الطيِّبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهي جوهر أهل البيت الطاهر الذي شاء الله عزَّ وجلَّ له أن يكون مشكاةً لنورٍ يسطع وهَّاجًا في ضمير الزمان، وعلى امتداد الدهور، ففاطمة عليها السلام هي أمُّ أبيها قبل أن تكون أمًّا لأحد عشر كوكبًا يسطع في سماء الإمامة، وعالم الرسالة[1].

(١) فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة الصديقين مصدر سابق ص ١٦-١٧

المبحث الثاني

مناقب فاطمة الزَّهراء عليها السلام

في ربوع الحجاز وهجيرها المتوقد، استقبل العالم كلّه إكليل القيم ومفخرته السامية، قبسٌ من النور المشبوب، ومظهر من مظاهر التكامل الإنسانيّ الكبير، فكانت القداسة الطاهرة، البضعة الزكيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

المطلب الاوَّل: مناقب فاطمة الزَّهراء عليها كابنه

لقد أطلت لحظات الميلاد، آن لفاطمة أن تتألَّق في السماء الدنيا، آن لحوريَّة الأرض أن تولَد.. أن تدبَّ في الحياة، لتبدأ رحلة العمر في كوكب الحوادث.. في الكوكب المفعم بالحياة.

قال الأب: **لقد بشَّرني جبريل أنَّها أنثى، أمَّا لأحد عشر كوكبًا.**

وفي ذلك الصباح المفعم بالأنوار.. كانت حجرة خديجة زاخرة بالسلام والهدوء والسكينة، وفرحةٍ وانتظار، فاطمة تطرق أبواب الدنيا.. رحلة الحياة مع بدء الاسلام في ضلال الوحيّ الإلهي[1].

ولدت سيِّدة نساء العالمين في العشرين من شهر جمادى الآخرة بعد مبعث أبيها رسول الله سلام الله عليه وآله بخمس سنين، وفي ذلك اليوم أشرق نورها المتلألأ في

(١) فاطمه حوريَّة الأرض، المؤلِّف: كمال السيِّد، الناشر: مؤسسَة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الأولى والثانية، ١٣٨٢هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعة الثالثه، ١٣٨٣-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، مطبعة ثامن الأئمَّة، قم، شارع الشهداء، فرع ٢٢، ص١٨، ٢٦

جميع أقطار الأرض؛ ليضيء للناس طريق حياتهم، كانت الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي البقيَّة الوحيدة لأبيها، وكانت مصدر ذريَّته ومعدن نسله، رفع الله بها ذلك الشانئ الأبتر، اجتمعت فيها صفات العزِّ والمزايا الحميدة، عاشت في حضن والدتها بضع سنين، وبعد وفاة والدتها تولَّاها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله بالعطف والحنان والتربية التي يرضاها هو لابنته الوحيدة، فنشأت وكانت نسخه طبق الأصل للرسول الأعظم سلام الله عليهما[1].

فقد تربَّت في حجر أبيها محمَّد صلى الله عليه وآله، وتغذَّت بأدبهِ، وأدبهُ من ربِّ السماء، امتثالًا لقوله: «**أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي**»، وأمّها خديجة عليها السلام المرأة الفاضلة ذات الشرف الأصيل في مكانتها وعلوِّ منزلتها. ومن كلامها تتعرَّف على مقدار عظَمَتها فتقول عليها السلام في وصيَّتها لـمَّا اشتدَّ مرضها: .. **قاصرة في حقِّك فاعفني يا رسول الله** صلى الله عليه وآله. فيجيبها النبيّ صلى الله عليه وآله: **حاشا وكلَّا ما رأيت منك تقصيرًا، فقد بلغت جهدك وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلتِ أموالك في سبيل الله**[2].

وإنَّ وجود فاطمة الزَّهراء عليها السلام المبارك كابنة النبيّ الكريمة، وأمّها المقدَّسة خديجة بنت خويلد، أصبح تاريخ ولادتها قريبًا بتاريخ البعثة؛ لأنَّها ولدت قبل ثماني سنوات من الهجرة، وبعد أن مضت مدَّه قليلة من وفاه والدها، ودَّعت هذا العالم وانتقلت إلى ربِّها الأعلى.

ونوَّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عن مكانة فاطمة الزَّهراء عليها السلام على وجه الخصوص، وفقًا لما وردت في القرآن الكريم، وهو يصفها كرائدة عظيمة في اتِّجاه الرسالة، كما صرح بمكانه أهل البيت عليهم السلام، ويتحدَّث النبيّ صلى الله عليه وآله قائلًا: «وأمَّا ابنتي فاطمة عليها السلام متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلَّ جلاله، زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب

(١) في مولد الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، يصدرها نخبة من أدباء كربلاء، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، الحلقة الأولى، ص١٢.

(٢) معالم الفكر التربويّ للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ص٧٠.

لأهل الأرض، وأنَّها ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله، هي الشخصيَّة الفاضلة والفريدة التي تؤهَّل أن تعدَّ نموذجًا كاملًا لفضائلها في العالم للنساء في جميع مناحي حياتها اليوميَّة، وأحدى أهمّ سماتها هي التوحيد المبني على الإخلاص في العبادة، والعمل لتلك الأسوة الكاملة لنساء العالم(١).

إنَّ في التأمُّل في حياة فاطمة عليها السلام، واستقراء حياتها في ظلِّ رعاية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، نجد عدَّة معاني وتفاسير، فالتدقيق في حياة الرسول صلى الله عليه وآله مع ابنته فاطمة عليها السلام يجعلنا نفهم معنى أمّ أبيها، حيث إنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت تقوم بمداراة أبيها رسول الله ورعايته أفضل ما تكون الأم لولدها، وفي قبال ذلك كان الرسول يحترمها كما يحترم الولد أمَّه، وهذا نجد جليًّا وواضحًا في سيرته الشريفة، وعلاقته بالبضعة الطاهرة عليها السلام، ومن خلال هذه الكنية وغيرها، ومن خلال منزلتها عند أبيها، والتي لا يصلها أحد من الخلق. يكفي أنَّه قال في حقِّها عليها السلام: **من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعة منِّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**. نستدلُّ فيها أنَّها عليها السلام حجَّة على المسلمين، وأنَّ طاعتها والسير على منهجها طاعة لله سبحانه وتعالى، وأنَّ تكريم الرسول صلى الله عليه وآله لها ليس فقط لأنَّها ابنته البارَّة، ولكن لأنَّها سيِّدة نساء العالمين، وأنَّها أصل ديمومة الإسلام وبقائه(٢).

وكذلك عندما نطَّلع على سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمَّة المعصومين عليهم السلام نرى بشكل واضح مدى التقديس والتبجيل الخاصِّ للسيدة فاطمة عليها السلام عندهم، فنلاحظ نوعًا من المعاملة الخاصَّة معها، حتَّى قال الرسول صلى الله عليه وآله فيها: «**فداها أبوها**»، ويروى أنَّ

(١) دراسة في طريق الاقتداء بالتركيز على التأسيِّ بالسيرة الصحيحة للسيدة الزَّهراء عليها السلام، عبد الواحد باقر أستاذ مساعد فى قسم المعارف الإسلاميَّة، جامعة ولايت إيرانشهر، إيران، طبيب خاتمي كنلبود، أستاذ مساعد في قسم المعارف الإسلاميَّة، جامعة لورستان، إيران:
avahebamen@yahoo.com.

(٢) المواسم، فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء.

النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا دخلت عليه فاطمة، قام إليها وقبَّل يديها وأجلسها في مجلسه، وغيرها من الأحاديث التي يظهر منها عِظَم منزلة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ومكانتها الخاصَّة عند النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فكانت بضعته وروحه التي بين جنبيه: «**وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورُ عَيْنِي، وَهِيَ ثَمَرَةُ فُؤَادِي، وَهِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ**».. هذا إضافة إلى مدى التعظيم الذي نشهده في طريقة تعامل الأئمَّة جميعهم سلام الله عليهم فيما يخصُّ السيِّدة فاطمة عليها السلام.

ومن المؤكَّد أنَّ ذلك ليس نابعًا من رابطة القرابة والرابطة العاطفيَّة مع السيدة فاطمة، فهي عليها السلام لم تكن روح الرسول وثمرة فؤاده لأنَّها ابنته، ولا حجَّة على الأئمَّة عليهم السلام؛ لأنَّها أمُّهم، فالرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام لا يتعاملون مع الأمور بدوافع شخصيَّة غير إلهيَّة، وإن كانت مشاعر إنسانيَّة نبيلة، فلا يصدر أيّ فعل عن الرسول صلى الله عليه وآله أو الأئمَّة عليهم السلام لأسباب وميول شخصيَّة، وهم في الحقيقة لا يعبِّرون إلَّا عن إرادة الله ومشيئته، فحبُّهم في الله، وبغضهم في الله، وحربهم لله وسلمهم لله، وإنَّ تقبيل يد فاطمة الزَّهراء عليها السلام، من قِبَل النبيّ صلى الله عليه وآله لا ينبغي أن يُؤخذ أبدًا على معنًى عاطفيّ، فإنّ هذا أمرٌ خاطئٌ جدًّا وحقيرٌ جدًّا، فيما لو تصوَّرنا أنَّه يُقبِّل يدها؛ لأنَّها ابنته، ولأنَّه يُحبُّها وحسب.

فهل يُمكن لشخصيةٍ بمثل هذه العظمة، وبمثل تلك العدالة والحكمة، الَّتي كانت في النبيّ، يعتمد على الوحي والإلهام الإلهيّ أن ينحني احترامًا لابنته؟ كلَّا، إنَّ هذا أمرٌ آخر، وله معنًى آخر. «إنَّه يؤكِّد أنَّ هذه الفتاة وهذه المرأة عندما ترحل من هذه الدنيا في عمر ١٨ أو ٢٥، تكون في أوج الملكوت الإنسانيّ، وشخصًا استثنائيًّا»[1].

المطلب الثاني: مناقب فاطمة الزَّهراء عليها السلام كزوجة وأم

جاءت النظرة الإلهيَّة والحكمة الربَّانيَّة لتنسف روح الاستعلاء والسيطرة العنصريَّة،

(١) السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأُسوة، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق.

فاقتضت تلك الحكمة الحقَّ أنَّ تبرز بين فترة وأخرى فتيات ونساء يرتفعن ويسمون إلى منازل القدوة والنموذج الطيِّب في شتَّى الخصال الرفيعة، فتراهنَّ مثال الشجاعة والصبر والمقاومة والتحمُّل، حين لا شكَّ أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام تقف في مقدِّمة هؤلاء النساء الرافضات للظلم والطغيان، والمعلِّمات للمرأة دروس الجهاد والمشاركة في تحمُّل أعباء المسؤوليَّة الرساليَّة[1].

ومع أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام مارست أدوارًا أُسريَّة واجتماعيَّة وجهاديَّة وسياسيَّة، وكانت كلُّ تلك الأبعاد حاضرة في حياتها، وقد تجلَّت عظمتها الظاهريَّة من خلال تلك الأدوار، فهي التي جسَّدت إرادة الحقِّ في الدنيا بكلِّ أفعالها، بدءًا من حياتها الأسريَّة، وصولًا إلى حياتها الجهاديَّة، حيث كانت صوت الحقِّ الذي لا يساوم، وسطَّرت مبادئ نصرة الحقِّ والمطالبة به على جبين التاريخ، مع ذلك كلِّه إلَّا أنَّ مقامها المعنويّ أعظم وأجلّ من كلِّ ما ظهر منها، يقول الإمام الخامنئي دام ظلُّه في هذا المجال: «أمَّا المقام المعنويّ لهذه السيِّدة العظيمة، بالنسبة لمقامها الجهاديّ والثوريّ والاجتماعيّ، فهو أعلى بدرجات، ففاطمة الزَّهراء عليها السلام هي في الظاهر بصورة بشر، وامرأة، وامرأة شابَّة أيضًا، ولكنَّها في المعنى هي حقيقةٌ عظيمة، ونورٌ إلهيٌّ ساطع، وعبدٌ صالح، وإنسانٌ مميَّز ومصطفى، هي شخصٌ قال فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عليّ أنت إمام أمَّتي وخليفتي عليها بعدي، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنَّة، وكأنِّي أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيبٍ من نور، عن يمينها سبعون ألف ملَك، وعن يسارها سبعون ألف ملَك، وبين يديها سبعون ألف ملَك، وخلفها سبعون ألف ملَك، تقود مؤمنات أمَّتي إلى الجنَّة**»[2].

وما روي من مشاركاتها العلميَّة ورواياتها وآرائها وفقهها وخطبها واحتجاجاتها يشير إلى علمها الواسع، وحصيلتها الفائقة، رغم معاجلة الموت لها، بعد وفاة أبيها، إذ لم

(١) فاطمة الزَّهراء قدوة الصدِّيق، مصدر سابق ص١٥.

(٢) السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأسوة، مصدر سابق، ص٤٨.

يتح لها إبداء ما لديها من رواية ومعرفة وعلم، كما أتيح لنساء أُخريات، غير أنَّ مشاركاتها وآراءها في أهم القضايا العلميَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة في تلك المدَّة القصيرة بُعَيد وفاة النبيّ بيَّن أي امرأة عالمة كانت الزَّهراء، وأي زوجة كان الله قد اختارها واصطفاها لباب مدينة العلم(١).

لقد عاشت سيِّدة النساء حياة بسيطة لا ظلَّ فيها لمتع الدنيا ولذائذها، وقد صوَّرت في سلوكها حقيقة الإسلام، وأعطت للمرأة المسلمة درسًا للقناعة والرضا بما قسم الله تعالى، وعلى المرأة المسلمة أن تقتدي بسيِّدة النساء؛ لتبني مجتمعًا إسلاميًّا قائمًا على الشرف والفضيلة. وقدَّم أمير المؤمنين عليه السلام سؤالًا إلى بضعة المصطفى عليها السلام، قال: **فمتى تكون أدنى من ربِّها؟** قالت عليها السلام: **أن تلزم قعر بيتها**، وعرض الإمام جوابها على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّ فاطمة بضعة منِّي**. وإن سيرة الزَّهراء عليها السلام تحكي سيرة الأنبياء والأوصياء الذين اعرضوا عن الدنيا، فمن الأعمال التي تولَّت زهراء الرسول (صلوات الله تعالى عليها) القيام بها في داخل البيت، تنظيفه من القمامة، وغيرها، وقد أثَّر ذلك في ثيابها؛ لأنَّ البيت لم يكن مفروشًا بغير التُّراب، وكذلك غزل ملابس أبنائها وزوجها، فكانت سلام الله عليها تغزل ملابس أبنائها وزوجها بيديها الطاهرتَين، وكان للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قميص من غزلها يتقي به في الحروب(٢).

روى الشيخ الصدوق في أماليه: أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام قد صنعت مسكتين من فضَّة وقلادة، وقرطَين، وسترًا للباب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في سفرٍ، فلمَّا عاد من سفره دخل عليها، ولم يمكث عندها طويلًا، كما كانت عادته، فخرج إلى المسجد، ففسَّرت فاطمة عليها السلام هذا الموقف على أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله إنَّما تعجَّل في مغادرة بيتها، كان بسبب ما رآه من المسكتَين والقلادة والقرطين والستر، فنزعتها جميعًا وبعثتها إلى رسول الله، وقالت لرسولها: قل له: «**تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: إجعل هذا في سبيل الله**».

(١) تلك هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إعداد: حمود عبدالله الأهنوميّ، ص٥٨.
(٢) موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، مصدر سابق ص٦٧-٦٨، ١٤٣.

فلمَّا أتاه بها وحدَّثه بما نبَّأت به الزَّهراء، هتف محمَّد بقوله: «**فعلت، فداها أبوها، فداها أبوها**». ثمَّ عاد لزيارتها مستبشرًا.

وعن عليّ عليه السلام قال: «**إنَّ الزَّهراء استقت بالقربة حتَّى أثَّرت في صدرها، وطحنت بالرَّحى حتَّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتَّى دكنت ثيابها، فأصابها من أجل ذلك ضرر شديد**»، فقال لها عليّ عليه السلام يومًا: «**لو أتيت أباك، فسألته خادمًا** »، فجاءت فوجدت عنده قومًا، فاستحيت وعادت، فعلم النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّها جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في لحافنا، فأردنا أن نقوم فقال: مكانكما، فجلس عند رؤوسنا، فقال: **يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس؟** فأخبره عليٌّ عليه السلام بحاجتها، فأجاب رسول الله صلى الله عليه وآله: **أفلا أُعلِّمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما، فسبِّحًا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبِّرا، اربعًا وثلاثين**، فأخرجت فاطمة رأسها وقالت: «**رضيت عن الله ورسوله**»[1].

وقد صبرت فاطمة عليها السلام على الفقر مع زوجها.. فبالإضافة لحالة الفقر العامَّة التي يعيشها الناس آنذاك، كانت حياة عليّ وفاطمة عليهما السلام في بيتهما مثل حياة أبسط الناس من ناحية مستلزمات العيش، مع أنَّه كان البيت الثاني في الإسلام بعد بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، بل هو البيت الأوَّل في الطهر والعفاف؛ لما ضمَّه بين جدرانه من أنفاس أعظم الخلق بعد رسوله صلى الله عليه وآله، وهم: أخوه وابنته وريحانتاه عليهم السلام، وقد كان يعطف عليهم ويحبُّهم كثيرًا، ويفضِّلهم على جميع المسلمين، ومع ذلك كانوا يعيشون حياة الفقر والفاقة، غير معتنين للدنيا وزخارفها، مقبلين على الله، مستأنسين بقربه تعالى،

واضطلعت الزَّهراء عليها السلام بمهمة أُخرى لا تقلُّ عن مهمَّة مباشرتها لأعمال المنزل، تلك هي تربية الأولاد، فقد وهبها الله كرامة أُمومة الأوصياء، وأعطاها شرف الربط بين النبوَّة والإمامة، وقد استطاعت أن تجني من نتاج تربيتها أقدس الثمار، فلقد غرست

(١) الزَّهراء بنت محمَّد، مصدر سابق، ص١١١.

الزَّهراء عليها السلام في نفوس أولادها خصال الخير ومكارم الأخلاق ومعالي الفضيلة، وأرضعتهم مبادئ التوحيد والدفاع عن الحقِّ، ونشأ أولاد الزَّهراء عليها السلام في ظلِّ رعاية الأُمِّ سيِّدة النساء، والأب وصيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله، يحيطهم أشرف الأنبياء والرُّسل صلى الله عليه وآله بحنانه وعطفه وتربيته، فكانوا خيرة البشريَّة وقدوة الإنسانيَّة[1].

فالزَّهراء فديتها بنفسي شخصيَّة لا تشاكلها شخصيَّة أُخرى، كما وأنَّه ليس من السهولة لأحد الحديث عنها أو تقييمها، كيف وقد منحها الله جلَّ جلاله الحظَّ الأوفر من العظمة والجلالة، ووهبها رسوله صلى الله عليه وآله النَّصيب الأوفى من القُدسيَّة والوجاهة؟! بل إنَّ التّاريخ بما عُرِف عنه من واقعيَّة في سرد وتقصِّي الحقائق، وذكرها بتفاصيلها وجزئيَّاتها، يخبرنا ويهيب بكُلِّ مُسلم ضرورة تمجيدها وتبجيلها وتعظيمها كما أمر الله تعالى، وكما أراد لها سيِّد الأنبياء والمُرسلين صلى الله عليه وآله الذي طالما قال لها: «**فداك أبوك**». وأيضًا يُنبئنا التاريخ على ما يستفاد من بعض الروايات أنَّ بعض المؤمنين كان يستجير ويتعوَّذ بالله ممَّن ظلمها وآذاها، وينكر عليه عمله تقرُّبًا لله تعالى، باعتبار أنَّ أذاها مساس مُباشر بساحة وشخص الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وبالتَّالي بذات البارئ المُقدَّسة جلَّ جلاله[2].

(١) شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إعداد شعبة التبليغ، ، الناشر العتبة العلويَّة، قسم الشؤون الدينيَّة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٣١-٣٣.

(٢) ظلامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام، المؤلِّف: سماحة الشيخ العلَّامة عبد الكريم المعيقليّ، ص٢٤-٢٥.

الخاتمة

١. إنَّ لفاطمة الزَّهراء مقام روحانيّ واقعيّ، أقلُّ ما يقال عنه أنَّه مقام الإنسان الكامل الذي ارتفعت منه جميع النقائص من جميع الجهات.

٢. يستند الاستناد على الأحاديث المنقولة عن النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله بالوسائط المتعدِّدة، إذا جمعت تبلغ التواتر والاستفادة التي يقطع كلُّ باحث متتبِّع بصمة مضمونها، بالإضافة إلى الأحاديث المرويَّة عن الأئمَّة المعصومين عليهم السلام.

٣. يظنُّ أكثر الناس أنَّ مناقب وفضائل الزَّهراء عليها السلام ناشئة من بنوَّتها للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فقط، إلَّا أنَّ حقيقة هذا المطلب، رغم أهميَّته، نادرًا ما يبحث الاعتقاد والاعتراف بأنَّ فاطمة عليها السلام هي صاحبة الولاية الكبرى، واجب كوجوب الإيمان بولاية الرسول الأكرم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام.

٤. لو لم تكن للزَّهراء الطاهرة عليها السلام إلَّا آية التطهير لكفى بنفسها برهان ساطع ودليل على أنَّ الصدِّيقة معصومة.

٥. استنتجنا في بحثنا من خلال التدبُّر بالآيات والروايات والأحاديث التي وردت بشأنها، يمكن أن يدرك الإنسان جيّدًا أنَّ الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام هي علَّة الخلق.

المصادر

١. البتولين فاطمة الزَّهراء ومريم العذراء والتوافق في الأثر والخصائص، الأستاذ المساعد الدكتور مهدي حسين التميميّ، الكاظميَّة المقدَّسة.
٢. أسماء فاطمه الزَّهراء عليها السلام دلائل ومقامات، الأمانة العامَّة للعتبة الكاظميَّة المقدَّسة، الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، ١٤٣٣هـ.
٣. تأمُّلات في النهج الحركيّ للصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الأستاذ المساعد الدكتور هادي عبد النبيّ محمَّد التميميّ، الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، النجف الأشرف.
٤. تلك هي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إعداد: حمود عبد الله الأهنوميّ.
٥. دراسة في طريق الاقتداء بالتركيز على التأسي بالسيرة الصحيحة للسيدة الزَّهراء عليها السلام، عبد الواحد باقر، أستاذ مساعد فى قسم المعارف الإسلاميَّة، جامعة ولايت إيرانشهر، إيران، طبيب خاتمي كنلبود، أستاذ مساعد في قسم المعارف الإسلاميَّة، جامعة لورستان، ايران.
٦. الزَّهراء فاطمة بن محمَّد، تأليف عبد الزَّهراء عثمان أحمد، الطبعة الأولى، مكتبة العلمين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
٧. السيِّدة فاطمة الزَّهراء قدوة وأُسوة، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، الطبعة الأولى، اعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ٢٠١٨م.
٨. السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة وأُسوه، إعداد مركز المعارف للتأليف

والتحقيق، إصدار دار المعارف الإسلاميَّة والثقافيَّة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م/ ١٤٣٩هـ.

٩. شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، إعداد شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينيَّة، العتبة العلويَّة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

١٠. ظلامات فاطمة الزَّهراء عليها السلام، المؤلِّف سماحة الشيخ العلَّامة عبد الكريم المعيقليّ.

١١. فاطمة الزَّهراء بهجة قلب المصطفى، المؤلِّف الكالح الشيخ أحمد الرحمانيّ الهمدانيّ، الناشر، النشر المرضيَّة الطبعة الثانية.

١٢. فاطمة الزَّهراء سيِّدة النساء، مؤتمرات الزَّهراء الدوليَّة، القسم الأوَّل، موسوعة فصليَّة تعنى بالآثار والتراث، تصدرها أكاديميَّة الكوفة في هولندا، السنة السابعة والعشرون، ٢٠١٥م، المجلَّد١٠٨، صاحبها ورئيس تحريرها محمَّد سعيد الطريحيّ.

١٣. فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة الصدِّيقين، المؤلِّف سماحة المرجع الديني آية الله الحاج السيِّد محمَّد تقي المدرِّسيّ الناشر البصائر للثقافة والنشر، جمهورية العراق، النجف الأشرف، شارع الرسول، سوق الحويش، جامع الأنصاري، الطبعة الرابعة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٥م.

١٤. فاطمة بين النبوَّة والإمامة، الشيخ كمال معاش، المرحوم عبد العزيز نادر الخضريّ، مؤسَّسة التبليغ العالميَّة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٥. فاطمه حوريَّة الأرض، المؤلِّف كمال السيِّد، الناشر مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الأولى والثانية ١٣٨٢هـ/ ٢٠٠٣م، الطبعه الثالثة ١٣٨٣-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، مطبعة ثامن الأئمَّة، قم، شارع الشهداء.

١٦. في مولد الصدِّيقة الزَّهراء عليها السلام، يصدرها نخبة من أدباء كربلاء، مطبعة النعمان، النجف ١٣٧٦ و٩٥٧م الحلقة الأولى.

١٧. معالم الفكر التربويّ للسيدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الدكتورة زينب شاكر الواسطيّ.

١٨. من خصائص السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الكلم الطيِّب.

١٩. موسوعة سيرة أهل البيت، تأليف باقر شريف القرشيّ، تحقيق مهدي باقر القرشيّ، الناشر دار المعروف، مؤسَّسة الإمام الحسن عليه السلام، مطبعة ستاره، الطبعة الثانية، النجف الأشرف، شارع الرسول، مكتبة الإمام الحسن عليه السلام، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٠. يا فاطمة الـزَّهـراء، فضائل فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الآيـة ٣٣، الأحـزاب: http//iraqShafaqan.com.

محور الدِّراسات الحديثيَّة والفِقهيَّة

مقدِّمة في المعجم الفاطميّ
في المفاهيم المتأصِّلة المُلازمة لذِكْر الزَّهْراء عليها السلام

د. عبَّاس إسماعيل سيلان

ملخَّص البحث

إنَّ الحديث عن القادة الحقيقيِّين لا يعني استذكار قصص أو سرد حوادث بقدر ما يعني البحث عن مشكلات تسبَّبت في تأخير الأمَّة، ومن هنا فحريٌّ أنْ تتنوَّع الدِّراسات في مضمار الكشف عن تلك الكنوز التُّراثيَّة، ولكن أجد شيئًا ربَّما لا أجده إلَّا مع الصّديقة الزَّهْراء، وهي أنَّ اسمها المبارك رافَقَ مصطلحات خاصَّة بها؛ فكانت هناك مفاهيم متلازمة مع مسمَّاها المبارك، من مثل: (تسبيحة الزَّهْراء، صلاة الزَّهْراء، حرز الزَّهْراء، مصحف فاطمة..)، إلى غير ذلك من الأمور، وأزعم أنِّي لم أجد هذا الأمر بارزًا كلَّ هذا البروز إلَّا معها عليها السلام، ومن هنا ارتأيت أنْ أضمَّ هذه القضايا في هذا البحث، ليكون العنوان (المعجم الفاطميّ)؛ رغبةً في زيادة عمل جديد لمكتبة أهل البيت المباركة، ولكن لـمَّا لم يكن الأمر متيسِّرًا بسبب ضيق المقام، إذ إنَّ ضمَّ تلك المفاهيم ممَّا يحتاج الى أكثر من مجلَّد؛ لذا جعلته (مقدِّمة في المعجم الفاطميّ).

وقد وصل البحث إلى مجموعة من النتائج المفيدة تتجلَّى بانَّ المفاهيم الفاطميَّة اشتهرت في عصر النبيّ وفيما بعده، وأخذت أثرها، وما ذلك إلَّا بسبب عظمة الفضل الفاطميّ، وقد أصاب بعض تلك المفاهيم الفاطميَّة عداء واضح من الأقلام الأمويَّة، سواء على مستوى المسمَّى، مثلما نجد في بقلة الزَّهْراء، أو على مستوى الوصف، مثلما

نجد في مصحف فاطمة، وكشف البحث عن أنَّ كثيرًا من المفاهيم الفاطميَّة من مثل تسبيح الزَّهْراء، أو حرز الزَّهْراء، له أثر ليس على المستوى الأخرويّ، بل حتَّى على المستوى الدنيويّ.

وختامًا نسأل الله أن يمنَّ علينا بالمغفرة والرضوان.

المقدِّمة

الحمد للهِ ربِّ العالمين وصلَّى الله على النَّبيِّ وآله الطيِّبينَ الطَّاهرين.

حينما نتصفَّح التَّاريخ نجده ينفعنا في حاضرنا كثيرًا شريطة أنْ نستفيد منه بصورة صحيحة، أو نقرأه كما هو، لا كما نريد، فالأهواء إذا طغتْ تسبَّبت في قطع السَّبيل أمام الوصول الى الحقيقة، على النَّحو ممَّا نلقاه عند الأقلام الأمويَّة التي أشعلت مدادها في صحائف التَّاريخ بعد أن انمزج مدادها بالحقد الدَّفين؛ كي لا يبرز نور أهل البيت وفضائلهم، بيد أنَّ هذا لا يكون، ولن يكون؛ لسببَين: الأوَّل أنَّ شمس الحقيقة لا تُحجب بغربال، والثاني لأنَّ الأقلام السليمة ما تزال تعمل بالرغم من كلِّ ظروف العداء والتسقيط، وهذا يشجِّع على العمل الفكريّ السليم لأجل نفع هذه الأمَّة التي بها حاجة ماسَّة لتصحيح المسار؛ إذ قد تأخَّرت كثيرًا بعد أنْ انحرفت عن قادتها الحقيقيِّين. على أنَّ الحديث عن القادة الحقيقيِّين لا يعني استذكار قصص أو سرد حوادث بقدر ما يعني البحث عن مشكلات تسبَّبت في تأخير الأمَّة، ومن هنا فحريٌّ أنْ تتنوَّع الدِّراسات في مضمار الكشف عن تلك الكنوز التُّراثيَّة، ولكن أجد شيئًا ربَّما لا أجده إلَّا مع الصدِّيقة الزَّهْراء، وهي أنَّ اسمها المبارك رافَقَ مصطلحات خاصَّة بها؛ فكانت هناك مفاهيم متلازمة مع مسمَّاها المبارك من مثل: (تسبيحة الزَّهْراء، صلاة الزَّهْراء، حرز الزَّهْراء، مصحف فاطمة...) إلى غير ذلك من الأمور، وأزعم أنِّي لم أجد هذا الأمر بارزًا كلِّ هذا البروز إلَّا معها عليها السلام، ومن هنا ارتأيت أنْ أضمَّ هذه القضايا في هذا البحث ليكون العنوان (المعجم الفاطميّ)؛ رغبةً في زيادة عمل جديد لمكتبة أهل البيت المباركة، ولكن لـمَّا لم يكن الأمر متيسِّرًا بسبب ضيق المقام، إذ إنَّ ضمَّ تلك المفاهيم ممَّا

يحتاج الى أكثر من مجلَّد؛ لذا جعلته (مقدِّمة في المعجم الفاطميّ)، آملًا أنْ يتمَّ هذا العمل في المستقبل على يد من يمكنه أنْ يعطي الموضوع حقَّه، وأسميته أيضًا بمسمَّى آخر، وهو (المفاهيم المتأصِّلة الأكثر ملازمة لذِكْر الزَّهْراء عليها السلام)، وإنَّما قلتُ (متأصِّلة)، أي إنَّها كانت في عصور أولى مزامنة أو مقاربة للعصر الفاطميّ، أمَّا تلك التي جاءت في أزمنة لاحقة لهذه الحقبة، من مثل: (فرحة الزَّهْراء، الأيَّام الفاطميَّة..) فيمكن أن نُطلق عليها بالمفاهيم المستجدة.

والحقيقة أنَّ هناك أصولًا أو جذورًا لهكذا دراسات على وفق ما يُعرَف بالمتلازمات؛ إذ وجدتُ الإشارة لها في التُّراث، يقول الثعالبيّ (ت٤٢٩هـ): «وَبِنَاء هَذَا الْكتاب على ذِكر أَشْيَاء مُضَافَة ومنسوبة إِلَى أَشْيَاء مُخْتَلفَة يتَمَثَّل بهَا وَيكثر فِي النثر وَالنَّظم وعَلى ألسن الْخَاصَّة والعامَّة اسْتِعْمَالهَا كَقَوْلِهِم: غراب نوح، ونار إِبْرَاهِيم، وذئب يُوسُف، وعصا مُوسَى، وَخَاتم سُلَيْمَان، وحمار عُزَيْر، وبردة النَّبِي مُحَمَّد (صلى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسلَّم)»[1]. ويلحظ أنَّها لا تعدو أن تكون متلازمات منفردة ليس من الكثرة بمكان، والأمر مثله بـ»قولهم كنز النطف، وقوس حَاجِب، وقرطا مَارِيَّة، وصحيفة المتلمس، وَحَدِيث خرافة، ومواعيد عرقوب، وَجَزَاء سنمار، وَيَوْم عبيد، وعطر منشم، ونسر لُقْمَان، وعِير أَبى سيَّارة، وكقولهم سيرة أردشير، وَعدل أنوشروان، وإيوان كسْرَى»[2]، ويلحظ:

١. أنَّه يمكننا أنْ نوجِد قضايا أخرى مقاربة لما ذُكِر، كأنْ نقول: سفينة نوح، صبر أيوب، حزن يعقوب، عجل إسماعيل، هاشميَّات الكميت، ومسمار جحا.. إلَّا أنَّه لا يمكن أنْ نجد لشخصٍ واحدٍ، مهما كان، مفاهيم كثيرة كالتي سنجدها للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٣.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٤.

٢. إنَّ هذه المسألة جاءت مع رموز مشهورة، وفي الأغلب مع ذوات عظيمة، ثمَّ إنَّ أكثرهم بسط به الزَّمان، على العكس من السيِّدة الزَّهْراء التي لم يُسعفها الزَّمان وقتًا كافيًا، إلَّا أنَّها ضربت موعدًا مع عظمة الأحداث، فسادت المفاهيم الفاطميَّة التي تنمُّ عن فضلٍ عظيم.

وليس الغرض من هذا البحث استقصاء هذه المفاهيم؛ لأنَّ هذا لا يخلو من اجترارٍ لدراسات سابقة؛ إذ إنَّ بعضها أُفرغت له دراسات طيِّبة، وإنَّما القصد محاولة تكميل الأمر من حيث انتهوا، أو إعطاء صورة نافعة للقارئ تجمع بين الإيجاز والطَّرح النافع، بل إنَّ جمع المعلومات بعضها مع بعض هو بحدِّ ذاته فائدة، ولاسيما إذا عرفنا أنَّه لم تُوجد هكذا دراسة، والأمر به فرادة متخصِّصة بالسيِّدة الزَّهْراء عليها السلام، وكون هذا العمل مقدِّمة، فإنَّه ركَّز في المفاهيم المألوفة أو المفاهيم المتأصِّلة، أي القديمة التي برزت في عهد النبيّ (صلوات الله عليه)، وكان للنبيّ أثر في تقريرها، مع العلم أنَّ هناك ما يمكن أنْ نُطلق عليه بالمفاهيم المستجَدَّة، وهي التي كان للزَّمن أثر في إبرازها، إذ إنَّ العظماء لا ينتهي دورهم برحيلهم، بل يبقى أثرهم ساريًا وفاعلًا.

وختامًا نسال الله أنْ يمنَّ علينا برضاه، وأنْ يجعلَ هذا العمل مفيدًا نافعًا يخدم العترة المطهَّرة، ويخدم الأمَّة، أملًا بغدٍ مُشرق.

توطئة

أسَّس النبيّ وآله (عليهم أفضل الصلاة والسلام) لكثير من الأمور المهمَّة التي بقيت منارًا خالدًا حتَّى هذا الوقت، وصارت دساتير معمولًا بها، فكان كلامهم بمنزلة الرَّأي العامِّ الَّذي يأخذ أثره عند مُتَّبعيهم، وقد وظَّف ذلك لبيان كثير من القضايا المتعلِّقة بالسيِّدة الزَّهْراء عليها السلام، فكان أنْ وُلِدَ جرَّاء ذلك التَّسبيح الخالد (تسبيح فاطمة)، ثمَّ برزت على ألسنتهم عليهم السلام قضايا أخرى، وما نتج منهم يمكن أنْ نطلق عليه بالمفاهيم المتأصِّلة، كونها جاءت عنهم، ويمكن إجمال أبرزها بالآتي:

بقلة الزَّهْراء

النبات وسيلة الإنسان للديمومة في هذه الحياة، ومن ثَمَّ غدا مسألة ضروريَّة للحياة، بيد أنَّ هذا لا يعني أنْ يجعله الإنسان غاية؛ لأنَّ هذا يعني أنَّه سيستأثر به على الآخرين، ومن هنا رأينا بعض المتنفِّذين من كان تُصرف في موائده من الأطعمة الطَّيِّبة والكثيرة ما يمكنه أنْ يكون غذاء لجماعة كبيرة من النَّاس، ولكن إذا جئْنا لأهل الكرامة، إلى الزَّهْراء عليها السلام، وجدنا الزُّهد في الطَّعام، وعدم الاستئثار بما لذَّ وطاب، وها نحن نجد أنَّها عليها السلام قد آثرت بعض الأطعمة، وهي الفرفخ أو البربين، فهذه النبتة هي النبتة المفضَّلة دون غيرها، حتَّى عُرِفَت ببقلة الزَّهْراء، «وروي أنَّ فاطمة (صلوات الله عليها) كانت تحبُّ هذه البقلة، فنُسِب إليها، وقيل: بقلة الزَّهْراء، كما قالوا: شقائق النعمان»[1]، على أنَّ حظَّ هذه النبتة في المعجم ليس مناسبًا أو ملائمًا، إذ جاء «الفرفخ والفرفخة: البقلة الحمقاء، وهي الرِّجلة، واسمها عند العامَّة فرفخين، وهي معرب بربهن أي عريض

(١) بحار الأنوار: ٦٣/ ٢٣٥.

الجناح، ومنه اسمها في العراق بربين»[1]، وأكثر المعجمات تدور في ركاب هذا المضمون، ووظيفة المعجم أنْ يذكر ما للفظ من أمور مهمَّة، إلَّا أنَّه هنا لم يؤدِّ وظيفته، ولعلَّ هذا مثل ما سنرى من باب الأثر السياسيّ في صناعة المعجم، إذ إنَّ السياسة تدخَّلت كثيرًا في الدَّرس اللغويّ، مثلما تدخَّلت في تغيير كثير من صفحات التاريخ.. ونحن لسنا بصدد محاكمة الدرس السَّالف بقدر ما نودُّ توضيح ما كان عليهم أنْ يوضِّحوه، لكن لنترك هذا الآن، ونعود للتساؤل: لماذا هذه النبتة دون غيرها كانت محلَّ استئثار السيِّدة الزَّهْراء عليها السلام؟ يرى الباحث أن وراء هذا أكثر من أمر:

١. في التأمُّل لما سبق يُبانَ أنَّها عليها السلام لم تفضِّل الطَّعام الحلو والفاخر، وإنَّما اختارت هذا النَّبات البسيط الذي يقع بمتناول الفقير، كونه من النَّباتات الطبيعيَّة، وهذه البساطة من صفات الحياة السَّعيدة التي لا تتعلَّق بالأمور المعقَّدة أو أنَّها في الأقل من علامات القناعة والرِّضا، فهذه البنت المباركة ابنة أعظم نبيّ وأعظم مخلوق، ومع ذلك فهذا الطَّعام كان طعامها المفضَّل، وهذا هو التواضع بعينه، ومواساة الفقير في مأكله.

٢. الفائدة العظيمة لهذا النَّبات: روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «**لا ينبت على وجه الأرض بقلة أنفع ولا أشرف من الفرفخ**»، وهي بقلة فاطمة عليها السلام، وعنه عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**عليكم بالفرفخ، فإنَّه إنْ كان شيء يزيد في العقل فهي**»[2]، وإذا كان ممَّا عُرِف عن الزَّهْراء أنَّها كانت دائبة في تطبيق تعاليم أبيها، فلا غرابة أنْ تكون ممَّن سمعت بهذا الحديث النبويّ، وامتثلت له، فنبتة مثل هذه النبتة مباركة تمام البركة، تتسبَّب بزيادة العقل، ألَا يكون هذا ممَّا يشجع السيِّدة الزَّهْراء عليها السلام على تقبُّل تلك النبتة والاهتمام بها؟.

(١) معجم متن اللغة (موسوعة لغويَّة حديثة): ٤/ ٣٩٨.
(٢) مكارم الأخلاق: ١٦٧.

كلُّ هذا، ولكن يبقى في القلب بقيَّة، لماذا هذه النبتة هي أشرف نبات، وأنفع نبات، مثلما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام؟ ربَّما لا يزال العلم الحديث بحاجة إلى زيادة التنقيب بفوائد هكذا نبات، فلا شكَّ أنَّ به فوائد لا تزال محلَّ أسرار، نعم ذكَرَ العلم الحديث أنَّ له فوائد عجيبة، وهناك دراسات أُجريت عليه بيَّنت أنَّه علاج لأمراض كثيرة، ومنها السرطان والسكَّريّ[1]، وربَّما يوجد من الفوائد ما هو أكبر من ذلك.

هذه النبتة أصابها الظلم؛ لأنَّها نُسِبت لابنة خير البشرية؛ إذ قيل «الفرفخ، بِالْفَارِسِيَّةِ، وَهِي البقلة الحمقاء، سمِّيت بذلك؛ لِأَنَّهَا تنْبت على مجْرى السَّيْل فتقطَعُها وَهِي على ق»[2]، وكذا جاء «الفَرْفَخ (البقلة الحمقاء)، وهي (الرِّجْلَة)، ومنه يقول الناس: فلانٌ أحمقُ من رِجْلةٍ، والعوام يقولون: من رِجْلِه»[3]، وسبب رميها بالحمق «لأنهَّا تَنْبُتُ عَلى طُرُقِ الناسِ فتُداسُ، وفي المَسايِلِ فيقْتَلِعُها ماءُ السَّيْلِ، والجَمْعُ رِجَلٌ. وفي الْعُبابِ: أَصْلُ الرِّجْلَةِ المَسِيلُ، فسُمِّيَتْ بها الْبَقْلَةُ. وقالَ الرَّاغِبُ: الرِّجْلَةُ: البَقْلَةُ الحَمْقاءُ لِكَوْنِها نَابِتَةً في مَوْضِعِ القَدَمِ»[4].

وأرى أنَّ تسميتها بهذا الاسم؛ لأنَّها تنبت في الطُّرق لا يتناسب مع الواقع؛ فمعظم النَّباتات الطبيعيَّة هذا ديدنها! فلماذا أُطلِق عليها دون غيرها، ثمَّ إنَّ إطلاق الحُمق على نبات، فيه غربة شديدة، كون النبات ليس له إرادة كي يَنبُت أينما يريد، وكنَّا نتمنَّى أنْ نعرف أصل هذه التسمية من العرب القدماء أنفسهم، من الجاهليِّين أو الإسلاميِّين

(١) الدراسة موجودة في بوابة الاهرام على الرابط:
https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjO54jijIL1AhXVQ_EDHZn-DIsQFnoECBQQAQ&url=https%3A%2F%2Fgate.ahram.org.eg%2FNews%2F2451373.aspx&usg=AOvVaw3S6ULaEV_vpdowg3k6z8bB

(٢) المخصص: ٣/ ٢٤٧.

(٣) أدب الكاتب: ٧٨.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٩/ ٤٨.

الأوائل، ولكن الحقيقة أنَّ هذه القضية مستحدثة، إذ لم نجدها في التراث الجاهليّ أو حتَّى في تراث صدر الإسلام، ونجد تبيِّنًا للإمام الصَّادق عليه السلام عن ذلك: «**لعن الله بني أميَّة، هم سمَّوها بقلة الحمقاء، بغضًا لنا وعداوة لفاطمة عليها السلام**»[1].

وربَّما أفادوا من أنَّها تنبت في أيِّ مكان من دعاء النَّبيّ صلى الله عليه وآله حين قال: «**اللهمَّ بارك فيها إنَّ فيها شفاءً من تسعٍ وتسعين داءً؛ انبتي حيث شئت..**»[2]، ولكنَّهم لم يفيدوا من كلام النبيّ حقيقة، ولو أفادوا من مقدِّمة كلامه، لقالوا: المباركة أو المُشفية أو نحو ذلك من المسمَّيات الإيجابيَّة، إلَّا أنَّهم للأسف عمدوا إلى تسميتها بما لا يُتوقَّع.

وليس عجيبًا عليهم أنْ يسعوا إلى هذه النَّبتة ويُضيفوا لها ذلك المسمَّى لـمَّا رأوها تخصَّصت بالزَّهْراء عليها السلام؛ فعداؤهم معهود ومعروف، وكونهم أهل سلطة، فآراؤهم تكون بمنزلة رأي عام، يمكنه أن يُشاع.

والذي نصبو إليه في ختام هذا الموضوع تغيير ذلك الاسم المشؤوم استنارةً بالحديث الإماميّ، وتقويم التراث بالإفادة من التراث الاماميّ، نعم لا بدَّ أنْ تقرأ التاريخ بحذر؛ فإذا كان نبات مثل هذا لا يفلت من الارتكاب عليه كونه تعلَّقَ بحبيبة الرسول! فماذا سيكون الأمر في القضايا الأخرى؟.

تسبيح الزَّهْراء

قبل الخوض في الحديث عن هذا المفهوم، يجدر التعريف به لغة، فالتَّسبيح مصدر الفعل (سبَّحَ)، وهو التنزيه[3]، وسُئِل الإمام الصادق عن هذا كيفيَّة هذا التسبيح، «فقال: (الله أكبر) حتَّى أحصاها أربعة وثلاثين، ثمَّ قال: (الحمد لله) حتَّى بلغ سبعة وستِّين، ثمَّ قال: (سبحان الله) حتَّى بلغ مائة، يحصيها بيده جملة واحدة»[4].

(١) المحاسن: ٢/ ٣٢٤.
(٢) الدعوات للبيهقيّ: ١٧١.
(٣) ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٥٠٢.
(٤) المحاسن: ١/ ١٠٦.

وإذا جئنا إلى هذا التَّسبيح، نجدُ أنَّه سُمِّي بالتَّسبيح من باب التغليب، إذ غلب التَّسبيح على التحميد والتكبير، ولعلَّ هذا لأنَّه يدلُّ على التَّنزيه، ومن هنا كان أعم من التكبير والتحميد، وإذا جئنا إلى القرآن نجد التسبيح أعمَّ وأكثر استعمالًا، وهو غير خاص بالإنسان، بل يكون مع الحيوان والجماد، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ (الرعد: ١٣)، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الانبياء: ٧٩).

وقد عُرِفت الزَّهْراء بذلك التَّسبيح المعهود بذاك العدد، حتَّى صار مقترنًا باسمها المبارك، وإذا كُنَّا نقول: إنَّ المضاف يكتسب الشَّرَفيَّة من المضاف إليه، من مثل (بيت الله)، فيمكن أنْ يكتسب المضاف اليه الشَّرَفيَّة من المضاف، من مثل: (قرآن زيد)، لكن في (تسبيح الزَّهْراء) تجمَّعت الشَّرَفيَّة من المضاف والمضاف إليه معًا.

وهذا المفهوم قديم منذ عهد الرسول، فليس هو بمستحدَث، جاء في (كتاب المحاسن) للبرقيّ بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **أتى أَخوان رسول الله فقالا: إنَّا نريد الشَّام في تجارة فعلِّمْنا ما نقول؟ فقال: نعم إذا أويتما إلى المنزل فصلِّيا العشاء الآخرة، فإذا وضع أحدكما جنبه على فراشه بعد الصَّلاة فليسبِّح تسبيح فاطمة الزَّهْراء، ثمَّ ليقرأ آية الكرسيّ؛ فإنَّه محفوظٌ من كلِّ شيء حتَّى يُصبح**»[1]، ويُلحَظ من هذا أنَّ التَّسبيح كان ممَّا شاع في وقته (صلوات الله عليه)، وأنَّ النَّبيّ كان يحثُّ عليه، وقد شاع فضله منذ ذلك الوقت، إذ تتمَّة الرّواية «إنَّ لصوصًا تبعوهما حتَّى إذا نزلا، بعثوا غلامًا لهم ينظر كيف حالهما؟ ناما أم مستيقظَين، فانتهى الغلام إليهما وقد وضع أحدهما جنبه على فراشه، وقرأ آية الكرسيّ، وسبَّح تسبيح فاطمة الزَّهْراء عليها السلام، قال فإذا عليهما حائطان مبنيَّان فجاء الغلام فطاف بهما، فلمَّا دار لم يرَ إلَّا الحائطَينِ مبنيَّين، فقالوا له: أخزاكَ اللهُ لقد كذبت بل ضعفت وجبنت. فقاموا فنظروا فلم يجدوا إلَّا حائطَين،

(١) المحاسن: ٢/ ١١٧.

فداروا بالحائطَين، فلم يسمعوا ولم يرَوا إنسانًا، فانصرفوا إلى منازلهم، فلمَّا كان من الغد جاؤوا إليهما، فقالوا: أين كنتم؟ فقالا ما كنَّا إلَّا هاهنا وما برحنا، فقالوا: والله لقد جئنا وما رأينا إلَّا حائطَين مبنيَّين فحدِّثونا ما قصَّتكم؟ قالا أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فسألناه أن يعلِّمنا، فعلَّمنا آية الكرسيّ، وتسبيح فاطمة الزَّهْراء عليها السلام، فقلنا، فقالوا: انطلقوا؛ لا والله ما نتبعكم أبدًا، ولا يقدر عليكم لصٌّ أبدًا بعد هذا الكلام»[1].

وقد تنوَّعت الأحاديث في فضائل هذا التسبيح، وهناك كرامات وأسرار للمواظبة عليه، ولكن مجمل الأمر أنَّنا كلُّنا سمعنا بالعلاقة الوطيدة بين الزَّهْراء وأبيها؛ إذ كان يحبُّها جدًّا، فكان من فرط حبِّه لها أنْ أكرمَها به. «رويَ عن الباقر عليه السلام أنَّه قال: **ما عُبِد الله بشيء أفضل من تسبيح فاطمة الزَّهْراء** عليها السلام، ولو كان شيءٌ أفضلَ منه لنحلَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام. «**إنَّ تسبيحَ فاطمة الزَّهْراء** عليها السلام **في كلِّ يومٍ دبرَ كلِّ صلاة أحبُّ إليَّ من صلاةِ ألفِ ركعة في كلِّ يوم**»[2]. إنَّ الفضيلة العظيمة جعلت هذا التَّسبيح الذي لا يستغرق دقائق قليلة، وأداؤه سهل، جعلته يكون أحبّ من صلاة بألف ركعة فيها قيام وجلوس وتعب وعناء، ويصرف لأجلها وقت طويل، كلُّ هذا يدلُّ على أنَّ الفضيلة له ممَّا لا تُتصوَّر ولا تُحصى إلَّا بقدرة قادر، وكونه يعدل كذا عدد من الصَّلاة، بل هو أفضل، فهذا دليل على أنَّه طريق مختصر إلى النَّعيم ورضوان الله، فهو من هدايا الله تعالى لعباده بأنْ يداوموا عليه؛ لما فيه من فضلٍ عميمٍ وعظيم.

ولأجل هذه الفائدة الكبيرة ألفيناهم عليهم السلام يحثُّون أتباعهم لأجل أدائه، ولعلَّ أكثر من جاد علينا ببيان فضائله الإمام الصَّادق؛ ينقلُ أحدهم عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول: «شكوتُ إليه ثقلًا في أذني، فقال عليه السلام: «**عليك بتسبيح فاطِمة** عليها السلام»[3].

(١) المحاسن: ٢/ ١١٧-١١٨.
(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٦٤.
(٣) الدعوات: ٢٢٥.

أقول: ألَا يَعني هذا أنَّ ذلك التسبيح ليس له أثر أُخرويّ فحسب، بل حتَّى أثر دنيويّ، أمَّا أنَّه ما علاقة شفاء الأُذن بذلك التَّسبيح؟ فلا يخرج أنْ يكون أنَّه بسبب الفضل الجسيم له أنْ جُعِل له، فضلٌ دنيويٌّ فضلًا عن الفضل الأُخرويّ.

وربَّما يعود الأمر إلى أنَّ هذا التسبيح فيه تكرار للذِّكر، فالعبد حين يكرِّر التكبير (٣٤ مرَّة)، من باب تقرير النفس على الإيمان بالله تعالى على أنَّه الكبير المتعالي، فيتوثَّق هذا في قرارة نفسه، والأمر مثله مع (الحمد لله)، و(سبحان الله). ومن هنا فان أبرز ظاهرة في التسبيحات بصورة عامَّة قائمة على ظاهرة التكرار التي تجعل العبد يعيش مع ذلك التسبيح ويوطِّده في أعماقه ومشاعره، ولا ريبَ أن هكذا عمل بتكرار ألفاظ تتلاءم مع الفطرة السَّليمة للإنسان سيعزِّز من بناء الجانب الصحِّيّ للعبد، ففي الأقل أنَّه سيخلِّصه من تقييض شيطان له، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**﴾ (الزخرف: ٣٦)، ومن هنا وجدنا كثيرًا من المُعرضين عن ذِكر الله يُصابون بالاكتئاب والتصرُّف السيِّء، فينعكس هذا على المجتمع، ومن هنا نعلم أنَّ تسبيحًا كتسبيح الزَّهْراء كفيل في إنشاء مواطن سليم صالح قادر على مواكبة المجتمع وتقديم الخدمة له[1].

ومن هنا كان الاهتمام الكبير لأجل تعليم النشء على أداء هذا التَّسبيح، روي عنه عليه السلام أنَّه قال: «**يا أبا هارون إنَّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصَّلاة، فألزمه، فإنَّه لم يلزمه عبد فشقيَ**»[2]، فهو خَلاص من الشِّقاق، وهذا يعزِّز أنَّه من أراد

(١) وتحليلنا هذا لم يستوفِ السبب لرفع الوقر من الأذن الثقيلة السَّمع، وإنَّما لامسَ أو حاول أنْ يُلامس، وأرى أنَّنا بحاجة إلى تجارب على عيِّنات مصابة تقوم بأداء هذا التسبيح، وإجراء فحوصات قبل وبعد، لتظهر النتائج ويُبان الأثر، لا بدَّ من استغلال العلم الحديث للكشف عن أثر أهل البيت عليهم السلام على المستوى العلميّ والتطبيقيّ، ليُضاف هذا إلى ما جاءنا من فضلهم على المستوى الدنيويّ والأُخرويّ.

(٢) بحار الأنوار: ٨٢/ ٣٢٨.

الدُّنيا فعليه به، ومن أراد الآخرة فعليه به، وجعله مقترنًا بالصَّلاة، ومشاطرته لها، مع أنَّها ركنٌ، وهو مُستحَبٌّ، وهذا يدلُّ على أنَّ عظمة فضله قد رفعته لأنْ يكون إلى مصافِّ الصَّلاة التي هي عمود الدِّين، واقترانه به يؤكِّد أهميَّته كما يؤكِّد أهميَّتها، وإذا كان أهل البيت عليهم السلام يأمرون صبيانهم بهذا التَّسبيح المبارك، فكم سيكون الأمر جميلًا لو اقتدينا بهم، وضمَّنَّا مناهج أطفالنا الأكاديميَّة بهذا التَّسبيح؛ لينشأ جيل جديد مُتحلٍّ بالرُّوحيَّة، ومُلازم لأعظم تسبيح.

وحين سُئل الإمام الصَّادق عليه السلام عن تفسير الذِّكر الكثير الوارد في القرآن، ومعلوم أنَّ الكثرة أمر مُبهم، ومن هنا تكون محطَّ تساؤل، جاء الردُّ الإماميّ عن القول: «﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، ما هذا الذِّكر الكثير؟ قال: **من سبَّح تسبيح فاطمة الزَّهْراء عليها السلام، فقد ذكر الله الذِّكر الكثير**»[١].

وكأنَّ تسبيحها تشابه معها عليها السلام، فإذا كانت الزَّهْراء هي الكوثر الذي يعني الخير الكثير، فهذا يعني أنَّها كتسبيحها، فهي خير كثير، وهو ذِكر كثير.

حرز فاطمة

الحرز من حرز، و«ومكان حريز: حصين.. واحترز من العدوِّ وتحرَّز: تحفَّظ. وحرِّزوا أنفسكم: احفظوها»[٢]، فالحرز بمعنى الحفظ، «وهو من الحِفْظ والتَّحفُّظ، يُقال حَرَزْتُه، واحترزَ هو، أي تحفَّظَ»[٣]، وجعله الزَّمخشريّ من المجاز؛ إذ قال: «ومن المجاز: عَملت له حرزًا من الأحراز، وهو العوذة»[٤]، وطبيعة الإنسان وبسبب ظروف الحياة، تجعله يتعرَّض للمخاطر، وهنا تكون الاستعانة بالله تعالى؛ رغبةً في حفظ النَّفس، وواحدة من هذه الاستعانة اتِّخاذ الأحراز؛ كونها مُطرَّزة بذِكره تعالى، وطلب حفظه على

(١) معاني الأخبار: ١/ ١٩٣.
(٢) أساس البلاغة: ١٢١.
(٣) معجم المقاييس في اللغة: ٢٥٣.
(٤) أساس البلاغة: ١٢١.

النَّحو ممَّا نجده في الحرز المشهور، حرز فاطمة الزَّهْراء عليها السلام الذي هو «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ اسْتَغْنَيْتُ فَأَغِثْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ**»[1]، فهذا الحرز مع إيجازه، إلاَّ أنَّه ضمَّ في طياته التَّسليم المطلق لله تعالى، وأنْ لا حافظ إلَّا هو، ومن كان مسلِّمًا لله أمره، فحريٌّ بالله أنْ يتولَّى حفظه ورعايته، نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

ويُذكر لها عليها السلام حرز آخر، كان قد علَّمته لـ«سلمان الفارسيّ رحمه الله هذه الكلمات، وقالت: مَن واظَبَ على الدعاء بها لم تمسَّهُ الحُمَّى، وهي: **بسمِ الله النُّور بسم الله نورُ النُّور، بسم الله نور على نورٍ بسم الله الَّذي هو مُدبِّرُ الأمور، باسمِ الله خالق النُّورِ من النُّور، والحمدُ للهِ الذي خلَقَ النُّور، وأنزل النُّور على الطُّور في كتابٍ مسطور بقدرٍ مقدورٍ على نبيٍّ محبورٍ، الحمدُ للهِ الذي هو بالعِزِّ مذكورٌ وبالفخرِ مشهورٌ وعلى السَّرَّاء والضَّرَّاء مشكور، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا خير خلقه محمَّد وآله الطَّاهرين الميامين المباركين الأطهار، وسلَّم تسليمًا دائمًا كثيرًا**»[2].

فما كان من سلمان إلَّا أن يتلقَّف هذا الحرز بكلِّ إذعانٍ وإيمانٍ، ليقول: «لقَّنتُ أكثرَ من ألفِ نفسٍ من أهلِ المدينةِ ومكَّةَ، ممَّن بهم عللُ الحُمَّى، وكلُّهم برِئوا بإذنِ الله تعالى»[3].

إنَّ الرَّبط بين الرُّجوع إلى الله والاستشفاء من الأمراض أمرٌ قد قَلَّ في هذا الوقت، على أنَّ الشِّفاء كلَّ الشِّفاء هو بيد الله، ومع أنَّ العقل لا يمنع الرجوع إلى الطبيب سوى أنَّه في الوقت نفسه لا يستبعد أنْ يكون من الشِّفاء ما يكون بالدُّعاء مثلما أنَّ هناك ما يكون بالدواء.

في ذلك الوقت، لم يكن العلم قد تقدَّمَ ليَكتشفَ الفايروسات، ويشخِّص علاجاتها،

(١) مهج الدعوات و منهج العبادات: ٥.
(٢) الدعوات: ٢٣٨.
(٣) الثاقب في المناقب: ٣٠٠.

وانَّما كانت هناك بدايات تقلِّل منه، وتسعى للحيلولة دون تفاقمه، وربَّما هذا يفسِّر ورودَ كثيرٍ من الأدعية عن أهل البيت والأحراز، تعمل على الخلاص من الأمراض، وكانت الحُمَّى في ذلك الوقت سائدة بسبب أنَّ البيئة آنذاك تسمح للفايروس بالتسرِّي، زد على ذلك أنَّ الاستطبابات لم تكن متطوِّرة أو مؤاتية لتقديم العلاج المناسب، بيدَ أنَّ الزَّهْراء أزهرت علينا بحرز أو دعاء سهل يسير، يمكن الإتيان به في كلِّ وقتٍ لغرض الاستشفاء من الحُمَّى.

صلاة الزَّهْراء

قد يكون من غير المألوف ما سأذكره الآن، فالمعتاد أنْ نبدأ بالتَّعريف بالشيء ولكن أنا أبدأ بأنَّ هذه الصلاة هي السبب الرئيس في كتابة هذا البحث، فقد شاع على الملأ ذِكر فضائلها وأنَّها سبب في قضاء الحوائج، وكانت لي حاجة مستعصية جدًّا، ضاقت بي السُّبل لأجل تحقيقها، وما أنْ قمت بأداء هذه الصلاة، حتَّى بدت بوادر الفرج تظهر شيئًا فشيئًا، إلى أن انكشفت الغمَّة، ومن ذلك اليوم وأنا أنصح بأدائها لأصحاب الحاجات المستعصية، وها أنا أنصح بأدائها لمن يقرأ الآن في هذه السطور.

أمَّا كيفيَّتها، فجاء في الدعوات للراونديّ بأنَّها «ركعتان، يُقرأ في الرَّكعة الأولى الحمد مرَّة وإنَّا أنزلناهُ مئةَ مرَّة، وفي الركعة الثانية الحمد مرَّة وقل هو الله أحد مئة مرَّة»[1].

وهناك إضافات يسيرة على هذه الصلاة، من مثل إلحاق دعاء بها في آخرها، وفي جميع الأحوال فالمتأمِّل في هذه الصلاة يجدها في الأبرز عبارة عن تكرار لسورتي القدر والإخلاص مئة مرَّة، وهذا العدد يتوافق مع ما في تسبيحتها، فالمجموع الكلِّيّ مئة أيضًا، وممارسة التخشُّع بتلك الأفعال العباديَّة يأخذ بصاحبه إلى دوحة من الرحلة الربَّانيَّة، نسأل الله أنْ يمنَّ علينا بالتخشُّع، وأداء العبادة الخالصة له.

(١) الدعوات: ٩٤.

ظُلامة الزَّهْراء

الظُّلامة التي تعرَّضت لها ابنة الرَّسول ممَّا لا يمكن التغاضي عنها أبدًا، نعم قد أُثير هناك كلام ولغط في مسألة تعرُّضها للظُّلامة، وأنَّها لم تتعرَّض لتلك الظُّلامات، والكلام هذا هو بحدِّ ذاته من الظُّلامات، والسبب أنَّ ظلامتها ممَّا شاعت وكثرت بها الروايات، وهذا الأمر لم يكن خاصًّا بكتب الإماميَّة، بل حتَّى في كتب أبناء العامَّة، وأنَّه لمن الغريب أنْ تجدَ التَّشكيك، مع أنَّ الكتب الصِّحاح وغيرها ذكرت تلك الظُّلامات، ولا نريد الخوض في تلك الظُّلامات كونها ممَّا وجدت بها المؤلَّفات على النَّحو من كتاب: (ظلامات فاطمة الزَّهْراء للميرزا جواد التَّبريزيّ)، و(ظلامة الزَّهْراء عليها السلام في روايات أهل السُّنَّة للباحث يحيى بن عبدالحسن الدوخي)، والكتابان رائعان جدًّا، ولكن أريد أنْ أذكر شيئًا ممَّا ذكرته تلك المؤلَّفات مع كثير من الإيجاز: حين وافى النبيّ الأجل، وانشغل أمير المؤمنين وأهل بيته بمواراته، عُقِدت هناك صفقة، سُلِبت فيها الخلافة، وما أنْ سُلِبت حتَّى طُلب من أهل بيت النبيّ النزول إلى هذا الأمر والمبايعة، ثمَّ حدثت الانتكاسة أنْ تمَّ الهجوم على الدَّار وبأيديهم النَّار، وقامت الزَّهْراء للرَّدِّ من وراء الباب؛ فإذا بالباب يُدفَع وتُعصَر الزَّهْراء ويسقط جنينها الذي في بطنها، وفوق ذلك تُسلَب أرضها (فدك)، التي كان النبيّ قد نحلها لها، ورافقت هذا ظلامات وظلامات.. ويؤسفنا أنَّه إلى الآن، هناك من يرى أنَّ هذا الفعل مقبول بآل النبيّ، حتَّى قال الشاعر حافظ إبراهيم المصريّ[1]:

وقـــولـــةٍ لـــعـــليٍّ قـــالهـــا عـمـرُ
أكـــرمْ بـسـامـعِـهـا أعـظـمْ بـمُـلـقـيـهـا:
حـرَّقـتُ دارَكَ لا أُبـقـي عـلـيـك بها
إنْ لم تـبـايـعْ وبـنـتُ الْمُصطفى فيها

(١) ديوان حافظ إبراهيم: ٨٢.

ما كانَ غير أبي حفصٍ يفوهُ بها
أمامَ فارسِ عدنانٍ وحاميها

وأراه أنَّه أراد أنْ يمدح فهجا، وأراد أنْ يُمجِّدَ فذمَّ، فمحاولة حرق بيت النبيّ لا تكون فضيلة بأيِّ حال من الأحوال، ولو قيل إنَّ هناك شعرًا من الجهل المركَّب، لقلت: هو ذا.

وكوننا رسمنا في بداية البحث أنْ لا يكون البحث تكرارًا لما ورد في المؤلَّفات قدر المستطاع، فإنَّه لا يمكننا أنْ نسرد تلك الظُّلامات، ونحيل القارئ إلى الكتابَين المذكورَين، ولكن ما لا أجده فيهما أنَّهما لم يركِّزا على الظُّلامة التي تعرَّضت لها في المؤلَّفات، إذ ما تزال مؤلَّفات قسم من العلماء تدافع عن ظالميها بما أُوتيَتْ من قوَّة، وهذا ما سيظهر بالآتي:

ظُلامة الزَّهْراء في مؤلَّفات المعترضين على ظُلامتها (الآلوسيّ أُنموذجًا)

يعدُّ صحيح البخاريّ أشهر كتاب عند أبناء العامَّة، ويأتي عندهم بعد القرآن مباشرةً، ومن هنا اعتنوا به ووسَّعوا في شرحه وتبيينه، وهذا الكتاب ذكر عَرَضًا موقف أبي بكر من الزَّهْراء بعد أنْ منعها من أرضها فدك، وقد ارتأيت أنْ أُوضِّح صورة الخليفة معتمدًا على هذا الكتاب، وغرض ذلك أنَّ مسألة فدك ممَّا قد أثارت الفكر الإسلاميّ، وصار جرَّاءها كثير من المناظرات، وإنْ كان قسم من المسلمين يفضِّل السكوت عنها، على أنَّ السكوت لا يغني من الحقِّ شيئًا. والحقيقة أنَّ الذي أثار هذا الأمر لديَّ هو أنَّه بينما كنت أقرأ في تفسير الآلوسيّ، إذ اعترضني النصُّ الآتي: «أخرجَ البخاريّ عن مالك بن أوس ابن الحدثان أنَّ عمر بن الخطَّاب (رضي الله تعالى عنه) قال بمحضر من الصَّحابة، فيهم عليّ والعبَّاس وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوَّام وسعد ابن أبي وقاص: أُنشدكم بالله الذي بإذنهِ تقومُ السماء والأرض، أتعلمون أنَّ رسول الله (صلَّى الله تعالى عليه [وآله] وسلَّم) قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟ قالوا: اللهمَّ نعم،

ثمَّ أقبل على عليّ والعبَّاس، فقال: أنشدكما بالله تعالى هل تعلمان أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) قد قال ذلك؟ قالا: اللهمَّ نعم، فالقول بأنَّ الخبر لم يروِه إلَّا أبو بكر (رضي الله تعالى عنه) لا يُلتَفت إليه»[1]، وقد أورد هذا في باب الدفاع عن الخليفة بأخذه فدكًا، وحين عدتُّ لصحيح البخاريّ، وجدت هذا النص، ولكن تفاجأت بأنْ وجدت قبله: «حدَّثنا عبد العزيز بن عبد الله حدَّثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أنَّ عائشة أمَّ المؤمنين (رضي الله عنها) أخبرته: أنَّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) سألت أبا بكر الصدِّيق بعد وفاة رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) أنْ يقسِّم لها ميراثها ما ترك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) ممَّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر إن رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) قال (لا نوِّرث ما تركنا صدقة)، فغضبتْ فاطمة بنت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] سلَّم) من خيبر وفدك وصَدَقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال لست تاركًا شيئا كان رسول الله (صلَّى الله عليه و[آله] وسلَّم) يعمل به إلَّا عملت به، فإنِّي أخشى إن تركت شيئًا من أمره أنْ أزيغ»[2]، فالحديث الأوَّل الذي استشهد به، مع أنَّه مصنوع، إلاَّ أنَّ الآلوسيّ استشهد به ليؤكِّد أنَّ فعل أبي بكر مقبول، ولا نريد مناقشة ضعف الحديث[3]، لكن لدينا سؤال: لماذا يا آلوسيّ تركت الحديث هذا، وأنت الذي تؤمن بكلِّ ما جاء في الصِّحاح، أفتؤمن

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢/ ٤٢٧.
(٢) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاريّ: ٣/ ١١٢٦.
(٣) يكفي أنَّه يتعارض مع القرآن الكريم، وأنَّه يضعف رأي بضعة النبيّ (الزَّهْراء)، وأنَّه إذا صدَّقنا به وأنَّ ما تركه النبيّ صدقة، فكيف ساغ دفنه النبيّ في بيته؟ أيُدفَن في مكانٍ ليس له.. وهناك أمور كثيرة بينها علماء الشيعة، يمكن للقارئ أن يطَّلع عليها ليرى قوَّة الحجَّة وصدق الإقناع.

ببعض وتكفر ببعض؟! هل يصحُّ أن نأخذ ما ينفعنا ونترك ما يضعف حجَّتنا؟ كنَّا نتمنَّى أن نسمع رأيك؟ هل لديه ردٌّ على: «فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم)، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتَّى توفِّيت»، فهي غاضبة؟ وهل تعلم ما معنى غاضبة؟ إنَّه غضب الزَّهْراء، وما أدراك ما غضبها، إنَّه ليس غضب امرأة اعتياديَّة، إنَّه غضب سيِّدة نساء العالمين، بدليل ما جاء في صحيح البخاريّ نفسه: «فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة»[1]، وبصحيح البخاري أيضا نجد الزَّهْراء هي معدن وصيَّته «ارقبوا محمَّدًا (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) في أهل بيته»[2]، ومعنى ارقبوا أي احفظوا[3]، فكيف استساغ لأبي بكر أن يُغضبها؟ هل يعلم أنَّ غضبها هو غضب الرسول تمامًا[4]، جاء في الصحيح أيضًا: «عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسَّور بن مخرمة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال: (**فاطمة بَضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني**)»[5].

وإذا أتممنا الرواية، تكون الهلكة لأبي بكر، إذ جاء «وعاشت بعد رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) ستَّة أشهر، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) من خيبر وفدك وصَدَقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك»، والمعلوم أنَّ قالت هنا لعائشة، وقولها: «وكانت فاطمة تسأل..»، فهذا التركيب يعني تكرار السؤال بين الحين والآخر، وفي كلِّ ذلك كان الخليفة الأوَّل يأبى،

(١) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاريّ: ٣/ ١٣٦٠.

(٢) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاريّ: ٣/ ١٣٧٠.

(٣) ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٤١٧.

(٤) وغضب الرسول يعني الهلاك، جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، وروي عن أمير المؤمنين: «**سمعت رسول الله ﷺ، وهو آخذ بشعره يقول: من آذى شعرة منِّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله ﷻ لعنه ملء السماوات وملء الأرضين**». دلائل الإمامة: ١٣٦.

(٥) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاريّ: ٣/ ١٣٦١.

بل يتحجَّج بما ليس له «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) يعمل به إلَّا عملت به، فإنِّي أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ»، وعجيب قوله هذا، فالرسول لم يعهد به أن أغضبها! فلماذا لم تكن مثله، ولم تُغضبها يا خليفة؟!

حين أرادوا تسويغ فعل أبي بكر قالوا: إنْ توريث الأنبياء ليس بالمال وإنَّما بالعلم والحكمة، فلمَّا تابع الشيعة الزَّهْراء باحتجاجها أنَّ الانبياء يرثون بدليل الآيتَين: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦)، وقوله سبحانه حكايةً عن زكريَّا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم: ٥-٦)، ردَّ الآلوسيّ بـ«وما زعموه من دلالة الآيتَين اللَّتَين ذكروهما على كذب الخبر في غاية الوهن؛ لأنَّ الوراثة فيهما وراثة العلم والنبوَّة والكمالات النفسانيَّة، لا وراثة العروض والأموال»[1]، ونحن نقول: إذا كان الأمر كذلك، فتكون الزَّهْراء مُصِيبة في طلبها لفدك؛ لأنَّ أباها ليس بأقلَّ من الأنبياء السابقين، فليس ببعيد أن يورِّث آله علمه وحكمته وكمالاته النفسيَّة، ومن يرث هكذا أمور فهو لا يُخطئ أبدًا، فطلبها لفدك لم يكن عن خطأ أبدًا، وكونها غضبت على الخليفة، فغضبها كان عن حكمة ومعرفة تامَّة.

وسؤالي للآلوسيّ: لنحتكم إلى العقل قليلًا، لو لم تكن لك إلَّا ابنة واحدة عزيزة عليك، وكان لك بستان، فهل تورِّثه لها أم لغيرها؟ ربَّما ستقول لي سأتركه للفقراء وهلمَّ جرًّا؟ أقول: فأين الأقربون الأَوْلى بالمعروف؟ هل تلوموننا إذا رأينا الغرب يهزأ بنا على بعض قوانيننا؟.

إذا كانت الزَّهْراء سيِّدة نساء الجنَّة، فهذا يعني أنَّها أفضلهنَّ، وإلَّا لما استحقَّت أن تنال هذا الوسام، ولم تكن الأفضل لو لم تكن تتصرَّف إلَّا بالحقِّ، بل يجب أن يكون كلُّ فعلها حقًّا لا غبار عليه.

لا بأس، لندع هذا أيضًا، ونذهب إلى أنَّها سيِّدة الجنَّة كما جاء في الصحيح، أليس

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢/ ٤٨٢.

كذلك؟ فأين سيكون موقع الخليفة الأوَّل في الجنان إنْ كانت سيِّدتها ماتت وهي غاضبة عليه؟! ماتت وهي ستَّة أشهر لم تكلِّمه ولم ترضَ عنه؟.

لا تقلْ لي: إنَّ الجنَّة يمكنها أنْ تتَّسع للغريم وغريمه الألد؛ لأنَّها إنْ كانت كذلك، فهذا تناقض لا يمكن أنْ نتقبَّله نحن؟ لأنَّ غضب بضعة الرسول، أعاذنا الله منه، ليس بالهيِّن، وما يحدث في يوم القيامة هو صور مكرَّرة لما حدث في الدنيا، فغضب سيِّدة النسوان في الدنيا سيتبعه غضب سيِّدة الجنان في الآخرة.

كلُّ ذلك ليس إلَّا دليلًا من أدلَّة كثيرة أثبتها العلماء على أحقيَّة الزَّهْراء بفدك، وخطأ أبي بكر تجاهها، وعملنا هذا ليس تكرارًا لما قالوا، بل هو لتناول القضيَّة مخصَّصة بما جاء في صحيح البخاريّ.

إنَّ التغطيات الإعلاميَّة التي يمارسها الآلوسيّ وأمثاله لا تصحُّ مع باحثين مبدعين، عُرِفوا بقوَّة التفسير وبراعة التأليف، فعلمٌ بلا أهل البيت لا يُغني شيئًا.

مصحف فاطمة

كثيرًا ما تكون المفاهيم المشتركة سببًا لإيجاد الإشكالات، فمثلًا حين نقول: (عبد) فكلمة عبد: تحتمل الخدمة والعبوديَّة، فإذا ما أُضيفت إلى لفظ (الزَّهْراء) على أنَّها من الخدمة لها عرض آخر، وحمل الأمر على أنَّه من العبوديَّة، وهذا شِرك، وتجدهم في الإعلام الرياضيّ يصحِّحون بزيادة لفظ (رب) من عندهم، فيقولون: (عبد ربِّ الزَّهْراء)، أو يحذفون كلمة (عبد)، فيقولون في علاء عبد الزَّهْراء: علاء الزَّهْراء، وهذا الأمر في الخلاف بالمصطلحات في الوقت الراهن أخذ يتطوَّر إلى درجة أنَّه يمكن أن يكون محلّ دراسات، ومن هذا الباب ما جاء في مفهوم (مصحف فاطمة)، فكلمة مصحف عامَّة تدلُّ على المكان الذي تجتمع به الصُّحف، سواء أكان قرآنًا أم كان كتابًا اعتياديًّا، ولكن المتصيِّدين في الماء العَكِر منذ ذلك الوقت، أرادوا أنْ يوهموا أنَّ للشيعة قرآنًا غير هذا

القرآن، واستطاعوا أنْ يُغرِّروا بكتاباتهم ضعاف الإيمان؛ ليجرُّوهم إلى مجزرة الطائفيَّة والعدوانيَّة، يقول الألبانيّ بأنَّ بعض الشيعة يدَّعون: أنَّ «مصحف فاطمة هو المصحف الكامل، أمَّا المصحف المتداوَل اليوم بين الأئمَّة فهو جزء من ذاك المصحف، وهذا كفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)»[١]، ويُنقَل أيضًا: «بعض الفِرَق الإسلاميَّة تقول: بأنَّ القرآن الموجود الآن بين أيدي المسلمين هذا جزء من مصحف فاطمة عليها السلام، حيث إنَّ مصحف فاطمة زعموا ضاع، وهذا الذي بقي لدينا هو الربع، كذبوا، إنَّما القرآن كما أنزله على قلب محمَّد (عليه الصلاة والسلام)، فهو بين أيدي المسلمين اليوم»[٢]. ونحن نقول إنَّ القرآن هذا، هو القرآن الذي أُنزِل على قلب محمَّد، أمَّا أنَّ الشيعة قالوا كذا وكذا، فليأتِنا بتلك المصادر التي تذكر ما ذكره! أليس من شروط البحث العلميّ أن يذكر المصادر، ولا يكتفي بالتقول؟!

ومن نِعَم الله التي لا بدَّ أنْ نداوم على شكرها دائمًا أنْ نجد أهل البيت عليهم السلام يجودون علينا بالأحاديث التي تبيِّن ما غاب عنَّا، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة.** قال: **فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرَّات، والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ، إنَّما هو شيء أملاه الله عليها وأوحى إليها**»[٣].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وأمَّا مصحف فاطمة عليها السلام، ففيه ما يكون من حادث وأسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة**»[٤]، وهو ممَّا سيظهر مع الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف[٥].

(١) موسوعة العلَّامة الإمام مجدِّد العصر محمَّد ناصر الدين الألبانيّ: ٨/ ٢١٤.
(٢) موسوعة العلَّامة الإمام مجدِّد العصر محمَّد ناصر الدين الألبانيّ: ٧/ ٨٨٦.
(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٩.
(٤) الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد: ٤٠٠.
(٥) ينظر: معاني الأخبار: ١/ ١٠٣. ونُحيل القارئ إلى ما كتبه أكرم بركات العامليّ: حقيقة=

ما قبل الخاتمة

قلنا إنَّ هذا البحث مقدِّمة، وإلَّا فإنَّ هناك قضايا أخرى يجدر أن تُدرَج مع البحث، ولكن ضيق المقام حال دون ذلك، ومن هذه المفاهيم مفاهيم متأصِّلة من مثل حزن الزَّهْراء، جاء «عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: «**مَكَثَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، قَالَ: وَمَا رُئِيَتْ فَاطِمَةُ ضَاحِكَةً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ)، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدِ امْتَرَوْا فِي طَرْفِ نَابِهَا**»، كَذَا فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَقَالَ غَيْرُهُ: سِتَّةً»[1].

ومن هذا الباب، خُطَب الزَّهْراء، سِرُّ الزَّهْراء، شِعْر الزَّهْراء، شهادة الزَّهْراء، قبر الزَّهْراء، مهر الزَّهْراء.. وهناك مفاهيم مستجدَّة، إذ لا شكَّ أنَّ العظماء لا يقف فضلهم على زمنهم، بل يمتدُّ حتَّى إلى ما بعد، ومن هذه المفاهيم الأيَّام الفاطميَّة[2]، ومن هذه المفاهيم أيضًا: شيلان الزهرة، وفرحة الزَّهْراء، وربَّما يُضَاف إلى ذلك الدولة الفاطميَّة، هذه المفاهيم تحتاج إلى تحقيق ومناقشة وتحليل، فليس كلُّ ما ثبت يمكن التسليم له، على النحو من وادي فاطمة [3].

=مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(١) معرفة الصحابة: ٦/ ٣١٩١.

(٢) يقول العلَّامة القزوينيّ: «إنَّ عشرات الآلاف من المجالس والمآتم تُقام في البلاد الشيعيَّة بمناسبة وفاة السيِّدة فاطمة الزَّهْراء عليها السلام في المساجد والبيوت والمجامع، ويطعمون الطعام في يوم وفاتها بكلِّ سخاء، وتسمَّى تلك الأيام بـ(الفاطميَّة)، فيرقى الخطباء المنابر، ويتحدَّثون عن السيِّدة فاطمة الزَّهْراء عليها السلام وعن حياتها الزاخرة بالفضائل والمناقب والمواقف المشرِّفة، ويختمون كلامهم بذِكر بعض مصائبها وآلامها». فاطمة الزَّهْراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: ٥٣٨.

(٣) وهذا الوادي معروف باسم «(مَرّ الظَّهران) بفتح الميم وتشديد الراء وفتح الظاء المعجمة: وادٍ قريب مكَّة، ويقول له العامَّة: وادي فاطمة». لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: ٧/ ١٨٨. واحتمل بعضهم «ولعلَّ لإقامة الأشراف الهاشميِّين من بني فاطمة (رضي الله عنها) أثرًا في تغليب اسم (وادي فاطمة) على اسم (مَرّ الظهران)». حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبيِّ المختار: ٦٥. ولكن لا يمكن الركون لذلك، فهو من باب تشابه الأسماء وجاء فيه:=

الخاتمة

بعد تلك الرحلة الروحيَّة في هذه المقدِّمة اليسيرة، نسأل الله أن يتقبَّل منَّا بحقِّ صاحبة الكرامة فاطمة الزَّهْراء عليها السلام، ونودُّ الإشارة إلى أبرز النتائج الموجودة في هذا البحث:

١. إنَّ المفاهيم الفاطميَّة اشتهرت في عصر النبيّ وفيما بعده وأخذت أثرها، وما ذلك إلَّا بسبب عَظَمة الفضل الفاطميّ.

٢. أصاب بعض تلك المفاهيم الفاطميَّة عداء واضح من الأقلام الأمويَّة سواء على مستوى المسمَّى، مثل ما نجد في بَقلَة الزَّهْراء، أو على مستوى الوصف، مثل ما نجد في مصحف فاطمة.

٣. كثير من المفاهيم الفاطميَّة من مثل تسبيح الزَّهْراء أو حرز الزَّهْراء، له أثر ليس على المستوى الأُخرويّ، بل حتَّى على المستوى الدنيويّ.

٤. الظُّلم الذي تعرَّضت له الزَّهْراء عليها السلام كبير جدًّا، وواحد من أنماط هذا الظُّلم ما نجده على مستوى الأقلام، إذ وجدنا اعتماد منهج التقمُّص والانتقاء من أجل تحقيق رغباتهم وأهوائهم على نحو ما وجدناه عند الآلوسيّ، أو منهج التفسير الخاطئ، أو تقويل النصِّ ما ليس فيه، أو منهج الادِّعاء من دون دليلٍ واضح.

=«وادي فاطمة نسبةً إلى فاطمة زوجة بركات بن أبي نميّ، أحد الأشراف الذين حكموا مكَّة». المعالم الأثيرة في السنَّة والسيرة: ٢٥٠.

٥. كشف البحث عن ضرورة العودة إلى ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام، ففيه بيان لكثير من القرآنيَّات، من مثل تفسير (الذِّكر الكثير).

٦. ضرورة توظيف العلم الحديث للكشف عن كثير من خبايا المفاهيم الفاطميَّة التي ما زلنا نتوقَّع أنَّ فيها الكثير، وهي بحاجة إلى تسليط التقدُّم العلميّ والتكنولوجيّ لمعرفة أسرارها.

ويقترح الباحث ضرورة نشر هذه المفاهيم بين أبنائنا وشبابنا، لما في ذلك من أثر ينفعهم في الدنيا والآخرة.

ويقترح أن يتعاون أهل الإبداع من أهل الأقلام الناضجة للعمل على إنجاز معجم خاص بالمفاهيم الفاطميَّة، يضمُّ تلك المفاهيم، ليقدِّم للشباب مادَّة طيِّبة تعرِّفهم بالوهج الفاطميّ، كما يقترح ضرورة أن يُترجَم تراثها على أرجاء المعمورة.

ختامًا نسأل الله التوفيق، وأنْ تكون خدمتنا لأهل البيت عليهم السلام ذات مردود إيجابيّ على مستوانا الفعليّ، وأن نكسب الأجر والفضيلة بذلك، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

قائمة المصادر والمراجع

١. أدب الكاتب، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمَّد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجاريَّة، مصر، ط٤، ١٩٦٣.

٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الإمام محمَّد بن محمَّد بن النعمان البغداديّ الملقَّب بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الصَّفا، قم المقدَّسة، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣. أساس البلاغة، جار الله محمود بن عُمَرَ الزمخشريّ (ت ٥٢٨هـ)، دارُ الفِكْرِ، بيروت، لُبْنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٤. بحار الأنوار، الشيخ محمَّد باقر المجلسي، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسينيّ، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية.

٦. الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسيّ (ت ٥٦٠ هـ)، مؤسَّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدَّسة، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٢، ١٤١٢هـ.

٧. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ)، دار المعارف، القاهرة.

٨. الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل

أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كليَّة الشريعة، جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبيّ المختار، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميريّ الحضرميّ الشافعيّ (ت ٩٣٠هـ)، تحقيق: محمَّد غسَّان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدَّة، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠. الخصال، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاريّ، جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة، قم المقدَّسة، ١٤٠٣هـ.

١١. دلائل الإمامة، محمَّد بن جرير الطبريّ (ق ٤هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٣هـ.

١٢. ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه ورتَّبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياريّ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م.

١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينيّ الآلوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: عليّ عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٤. سلوة الحزين وتحفة العليل المعروف بالدعوات، قطب الدين أبو الحسين سعيد الدين بن هبة الله الراونديّ (ت٥٧٣هـ)، تحقيق: عبد الحليم عوض الحِلِّيّ، مطبعة نكارش، قم، ١٤٢٧هـ.

١٥. فاطمة الزَّهْراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ، المطبعة العلميَّة، قم، ١٤١٤هـ.

١٦. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحقِّ بن سيف الدين بن سعد الله البخاريّ الدَّهلويّ الحنفيّ (ت ١٠٥٢هـ) تحقيق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندويّ، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٧. المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمَّد بن خالد البرقيّ (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ)، تحقيق: مهدي الرجائيّ، المجمع العالميّ لأهل البيت، ط٣، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٨. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيِّده المرسيّ (ت ٤٥٨هـ)، خليل إبراهم جفَّال، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٩. المعالم الأثيرة في السنَّة والسيرة، محمَّد بن محمَّد حسن شُـرَّاب، دار القلم، الدار الشاميَّة، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٠. معاني الأخبار، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن بابويه (ت٣٨٩هـ)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، مكتبة الصدوق، طهران، مؤسَّسة دار العلم، قم، مطبعة الحيدريّ، ١٣٧٩هـ.

٢١. معجم متن اللغة (موسوعة لغويَّة حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلميّ العربيّ بدمشق)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٢. معجم المَقاييس في اللُّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدِّيْن أبو عمرو، دار الفِكْر، بيروت لُبْنان، (د.ت).

٢٣. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهانيّ (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازيّ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤. مكارم الأخلاق، الشيخ رضيّ الدين الحسن بن أبي الفضل الطبرسيّ، مكتبة العلَّامة بن فهد الحِلِّيّ، كربلاء، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٥. موسوعة العلَّامة الإمام مجدِّد العصر محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، أبو عبد الرحمن محمَّد ناصر الدين الألبانيّ (ت ١٤٢٠هـ)، شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلاميَّة وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

الروابط الالكترونيَّة

٢٦. فوائد عجيبة لنبات الرجلة.. تقتل السرطان وتقضي على الكولسترول وتقلِّل الوزن، مقال نشر في بوَّابة الأهرام على الرابط:

27. https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjO54jijIL1AhXVQ_EDHZn-DIsQFnoECBQQAQ&url=https%3A%2F%2Fgate.ahram.org.eg%2FNews%2F2451373.aspx&usg=AOvVaw3S6ULaEV_vpdowg3k6z8bB.

الصَّلاةُ عَلَى مُحَمَّد وَآل مُحَمَّد في المَوْرُوْث الحَديْثي
قِرَاءَةٌ في المصَادِيْق، فَاطِمَةُ الزَّهرَاءُ اخْتِيَارًا

أ.م.د. مصطفى صالح مهدي
جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية
قسم علوم القرآن الكريم والتربيَّة الإسلاميَّة

المُلَخَّصُ وَخَاتِمَةُ البَحْث[1]

بعد الحمد لله تعالى، نقول: إنَّ الإسلام امتاز بالعظمة؛ لقيامه على قامَتَين عظيمَتَين، ورُكنَين رَكينَين، وهما القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة، إذ إنَّهما توافرا على حقائق ومعاني ومبادئ وتعاليم كان من شانها تنمية الحياة وإنقاذ البشريَّة، وإخراجهم من الدياجير إلى النور، ومن الشرِّ إلى الخير؛ بغية التكامل، وضمان الوصول إلى رضى الله تعالى.

ولعلَّ من أبرز تلك الحقائق والمعاني العظيمة التي أشار إليها الإسلام، وأكَّد عليها نبيُّ الأسلام وأهل بيته الطاهرين، هي: مسألة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، إذ إنَّ الموروث الحديثيّ، الذي يقوم على قول وفعل وتقرير النبيِّ وآله، قد بيَّن لنا أنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد من أعظم العبادات والمناجاة عند الله تعالى، وأنَّها النور

(١) المُلَخَّصُ (المستخلص أو خلاصة الدراسة أو خلاصة البحث): هو التعريف بفكرة العنوان، وذكر أبرز المحاور التي سوف يقف عليها البحث في الدراسة، وعادةً ما تكون في بحوث الترقية والتقويم السنويّ في المجلَّات المحكَّمة وغيرها، بخلاف (الخاتمة)، وهي ذِكر أبرز النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة، من دون أن تكون مذكورة في البحث كلِّه سابقًا، وأمَّا خطَّة البحث، فهي ذِكر بيان وافي للعمل في الأطاريح والرسائل وبحوث التخرُّج، يبدأ من المقدِّمة والتمهيد والفصول والخاتمة، وصولًا إلى مصادر البحث ومراجعه.

الذي اشتُقَّ من نور محمَّد وآل محمَّد، فكان من الله تعالى أن عظَّم الصلاة على محمَّد وآل محمَّد كرامةً للنبيِّ وآله إلى حدٍّ عجيبٍ جدًّا، إذ إنَّ الله جلَّ جلاله أمر المؤمنين، المملوءة قلوبهم بالنور، على أدائها، وكلَّف خلقًا من النور، وهم الملائكة، بأن يوثِّقوا من يقولها من المؤمنين بأقلامٍ من نورٍ في صحفٍ من نور، وأودع الله تعالى فيها نورًا، ثمَّ جعل فيها أثرًا وضعيًّا، أنَّ الذي يُكثر منها- الصلاة على محمَّد وآل محمَّد- تكون سببًا له في كلِّ خير، وترافقه في جميع مراحل حياته من عالم الدنيا إلى دخوله للجنَّة، فكانت هي العبادة التي بفضل الله تعالى أسميتها بـ: عبادة النور؛ لأنَّها نورٌ من نورٍ على نورٍ في نورٍ إلى نور.

وإنَّ واحدة من معاني تكريم الله تعالى، وبيان حبِّه للنبيّ وآله، هو فرضه الصلاة على محمَّد وآل محمَّد على سائر الخلق أجمعين؛ التي كان ولا يزال جوهر تشريعها هو قيامها على أعظم الخلق بلا منازع، وهم محمَّد وآل محمَّد، وأنَّ من أعظم مصاديق آل محمَّد هي السيِّدة فاطمة الزَّهراء؛ لقول الله تعالى: «**يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك؛ ولولا فاطمة لما خلقتكما**»[1]؛ لهذا صارت الصلاة على محمَّد

(١) نقل هذا الحديث صاحب العوالم في موسوعته الحديثيَّة قبل أكثر من ثلاثمائة سنة، وقد نقلها عن كتاب أسبق منه هو (الجنَّة العاصمة)، قال: الجنَّة العاصمة، قال: رأيت نسخة خطِّيَّة ثمينة لكتاب (كشف اللآلي) لصالح بن عبد الوهَّاب العرندس، وحينما تصفَّحت الكتاب، صادفت فيه الحديث المذكور بهذا السند: الشيخ إبراهيم بن الحسن الذرَّاق، عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائريّ، عن الشيخ أحمد بن فهد الحِلِّيّ، عن الشيخ زين الدين عليّ بن الحسن الخازن الحائريّ، عن الشيخ أبي عبد الله محمَّد بن مكِّي الشهيد، بطرقه المتَّصلة إلى أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن موسى ابن بابويه القمِّيّ، بطريقه إلى جابر بن يزيد الجعفيّ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ؛ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «**يا أحمد! لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك؛ ولولا فاطمة لما خلقتكما**». عوالم العلوم: ١١/ ٤٣، العرندس، كشف اللآلي (الجنَّة العاصمة)، والعلَّامة المرنديّ في (ملتقى البحرين): ١٤، و(مستدرك سفينة البحار): ٣/ ٣٣٤، ونقله (عوالم العلوم): ٢٦ عن مجمع النورَين، وإنَّ هذا الحديث أخرجه المجلسيّ، بحار الأنوار: ٥٧/ ١٩٩، عن كتاب الأنوار لأبي الحسن البكريّ: ٥.

وآل محمَّد من أبرزِ وأعظمِ وأجلِّ وأهمِّ وأشرفِ وأعلى النصوص الدينيَّة، والطقوس العباديَّة التي تقرِّبنا إلى الله تعالى زلفى.

علمًا أنَّ مدار هذا البحث هو الوقوف على الروايات التي تصرِّح بأنَّ أهل البيت كمصطلح شرعي يشمل ويعين ويخصُّ السيِّدة فاطمة وبعلها وبنيها، وأنَّ السيِّدة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي من بين كلِّ نساء المسلمين والعالمين التي أصبحنا نتعبَّد الله تعالى بالصلاة عليها حينما نصلِّي على آل محمَّد في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد.

الكلمات المفتاحيَّة: محمَّد صلى الله عليه وآله، آل محمَّد، فاطمة، الزَّهراء، الحديث، البحث، النصُّ، الاستقراء، الصلاة، الشريعة، السنَّة.

المقدِّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد للهِ ربِّ العالمين، وأفضل وأكمل الصلاة وأتمُّ التسليم على أشرف الأنبياء والمرسَلين من الأوَّلين والآخِرين، محمَّد بن عبد الله حبيب الله ربِّ العالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين المنتجَبين المنتخَبين.

أمَّا بَعْدُ:

فقد أولت الشريعة الإسلاميَّة بركنَيها القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة اهتمامًا واضحًا من جهة التأسيس للحقائق والأحكام العامَّة والخاصَّة، ومن ثمَّ بيان الأمور المتعلِّقة بتلك الحقائق وتوضيحها، ولعلَّ من أبرز الحقائق التي اهتمَّت بها الشريعة الإسلاميَّة قضيَّة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، كنصٍّ دينيٍّ وطقسٍ عباديّ، فإنَّ هذه الصلاة تحمل حقائق تفوق تصوُّر العقل الإنسانيّ بكلِّ ما أوتي من قوَّة وقابليَّة إدراكيَّة، بل إنَّ مسألة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد أعجزت الأوَّلين والآخِرين عن فهم حقيقتها، إلَّا من شاء الله تعالى له ذلك الشرف والتوفيق، ولعلَّ هذه الصلاة العباديَّة يتعلَّق فيها كثير من الموضوعات الخفيَّة والغامضة، والجليَّة والظاهرة بالوقت نفسه، خصوصًا وأنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد قد توافرت وتظافرت حولها وعنها الكثير من الأخبار والآثار والأحاديث، من جهة بيان قيمتها وقامتها وعظمتها وشأنها بعين الله تعالى، وعين رسوله والأئمَّة الطاهرين عليهم السلام، ولعلَّ واحدة من تلك المتعلَّقات في هذه الصلاة المحمَّديَّة هي مسألة المصاديق والأفراد الذين أمرنا الله تعالى بالصلاة عليهم فيها، والتقرُّب إلى الله تعالى بهم من خلالها.

لذلك تأتي أهميَّة موضوع البحث من جهة توافره وقيامه على أعظم عبادة، وهي الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وأشرف مصداق، وهي الزَّهراء عليها السلام، كما يمكن لحاظ أهميَّة البحث من جهة من كونه مرآة عاكسة عن التراث الإسلاميّ حول كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء من مصاديق الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، لما فيها، ولما لها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وذريَّتها الطاهرين.

كما أنَّ هذه الدراسة تهدف إلى توثيق النصوص المخبِرة عن كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء أحد مصاديق آل محمَّد في آية التطهير والصلاة على محمَّد وآل محمَّد، ممَّا يعطي قوَّة للبحث، وقيمة للمبحوث فيه.

كما يهدف البحث إلى تقديم مادَّة علميَّة محقَّقة مدقَّقة بخصوص هذا الموضوع، ليَسهُل على الباحثين الرجوع إليها، والاستفادة منها، والاستشهاد بها.

خطَّة البحث: بعد أن استوى هذا المجهود العلميّ على ساقه في دراسة هذا الموضوع، آن له أن يقدِّم نفسه متواضعًا في مقدِّمة ومبحَثَين، أمَّا **المبحث الأوَّل**، فهو بعنوان: مفاهيم البحث، الذي أخذ دور ومهمَّة التعريف بمفهوم الصلاة والنصِّ والآل في اللغة والاصطلاح، وأمَّا **المبحث الثاني**: فيقوم على ستَّة نماذج من النصوص الحديثيَّة الكاشفة عن كون السيِّدة الزَّهراء من مصاديق آل محمَّد، ثمَّ أخيرًا ذكر الخاتمة، سالكًا بذلك المنهج الموضوعيّ، والاستقرائيّ في البحث.

ولعلَّ من أبرز المصادر التي قام عليها البحث، هي كتاب الكافي للكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، وكتاب صحيح البخاريّ، للبخاري(ت٢٥٦هـ)، وغيرها من الكتب المهمَّة في بابها.

المبحث الأوَّل

مفاهيم البحث

من عادة أيِّ بحثٍ أن يبتدئ بتمهيد يُعتبر ديباجة قبل الخوض به، يُذكر فيه ما يحتاجه القارئ من أوَّليات هذا الموضوع، تجنُّبًا من الوقوع في الغموض، ولأجل ذلك ارتأينا أن نجعل هذا البحث يُبنى على التعريف بمصطلحات البحث من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: مفهوم الصلاة في اللغة والاصطلاح

سوف نستعرض معاني الصلاة في اللغة والاصطلاح، وذلك من خلال الآتي:

أوَّلًا: مفهوم الصلاة في اللغة

إنَّ مفهوم الصلاة من المفاهيم التي تتعدَّد معانيها وتختلف دلالاتها بحسب السياق، وهذا ما سوف يظهر من خلال كتب اللغويِّين، فقد قال الجوهري: إنَّ الصلاة تعني: الدعاء[1]، وقال الزبيديّ: «الصَّلاةُ في اللغةِ مُشْتركةٌ بيَن الدُّعاءِ والتَّعْظيمِ والرَّحْمة والبَرَكةِ والعطف»[2]، وقال ابن هشام في مغني اللبيب: «إنَّ معنى الصلاة واحد، وهو العَطف بفتح العين، لكنَّه يختلف باختلاف العاطف، فهو بالنسبة لله الرحمة، وبالنسبة للملائكة الاستغفار»[3].

(١) الجوهريّ (ت٣٩٣هـ)، الصِّحاح: ٦/ ٢٤٠٢.
(٢) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة (صلى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.
(٣) ابن هشام، مغني اللبيب.

وقال الجوهريّ: «الصلاة واحدة الصلوات المفروضة، وهو اسم يوضع موضع المصدر، تقول: صلَّيت صلاة، ولا تقل تصلية»[1]، وقال الزبيديّ: «إنَّ الصلاة اسْمٌ مصدر من صَلَّى يصلِّي صَلاةً، بمعنى الدعاء»[2]، وقال الزبيديّ: «أنَّ الصَّلاةَ واوِيَّةٌ مأْخوذَةٌ من صَلَّى يصلِّي صلوةً صلوات، إذا دَعا، وهو اسْمٌ وُضِعَ مَوْضِعَ المَصْدَر»[3].

وقال الزبيديّ: «قال الزجَّاج السَّابق الصلاة هي يائيَّةٌ لا واوِيَّةٌ»[4]، وقال الزبيديّ في موارد: «الصلوات هي جمع الصلاة»[5]، وقال أيضًا: «الصلوات هي جمع الصلوة»[6]، قال الزبيديّ: «الصَّلاةُ واحِدَةُ الصَّلَواتِ المَفْرُوضَة، وأَمَّا صلوات فجمْعُ صلاة، وأَمَّا صَلَوات فكأَنَّه جَمْعُ صَلْوة»[7].

وذكر الفيروزآبادي: «إنَّ مادَّة (ص ل و)، و(ص ل ي) موضوعة لأصلٍ واحدٍ، وملحوظة لمعنى مفرد، وهو الضمُّ والجمع وجميع تفاريعها راجعة إلى هذا المعنى وكذلك سائر تقاليبها كيفما تصرَّفت وتقلبت، كان مرجعها إلى هذا المعنى، فسمِّيت الأفعال المشروعة المخصوصة صلاة لما فيها من اجتماع الجوارح الظاهرة والخواطر الباطنة»[8]، وقال الزبيديّ: «قيلَ إنَّ الصلاة: إنَّ أَصْلَها في اللُّغَةِ التَّعْظيم، وسُمِّيَت هذه العِبادَةُ صَلاةً لـمَا فيها مِن تَعْظيمِ الرَّبِّ جلَّ وعزَّ هذا القَوْلُ نقلَهُ ابنُ الأثيرِ في النِّهايةِ»[9].

(١) الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، الصِّحاح: ٦/ ٢٤٠٢.
(٢) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة (صلَّى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.
(٣) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩.
(٤) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩.
(٥) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة: (صلَّى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.
(٦) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩.
(٧) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة (صلَّى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.
(٨) الفيروزآباديّ، الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر: ٢٠-٢١.
(٩) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩.

فظهر أنَّ الصَّلاةُ في اللغةِ مُشْتركةٌ بينَ الدُّعاءِ والتَّعْظيمِ والرَّحْمة والبَرَكةِ، وحُسن الثناء من الله تعالى والكرامة، فالصلاة هي عبادة أو طقس أو ذِكر أو أداة دينيَّة، وظيفتها أو مهامها أو دورها أو واجبها الإيصال والوصل بين جهتَين أو طرَفَين أو أمرَين أو حقيقتَين، وهي جهة الخالق، وجهة المخلوق. وكما يُقال: هذا ما لاح لي في هذا المقام، وحقيقة العلم للملك العلَّام.

ثانيًا: مفهوم الصلاة في الاصطلاح

لقد تبين من خلال المعنى اللغويّ للصلاة أنَّ لها عدَّة تمثُّلات وأشكال ومعاني في الشريعة الإسلاميَّة، فالصلاة في استعمال القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة تختلف باختلاف المقاصد، إذ إنَّ الصلاة في اصطلاح الشريعة الإسلاميَّة مشتركة بين عدَّة مصاديق متعدِّدة ومختلفة، فهي بين الصلاة المفروضة والدعاء والقراءة والصلاة على النبيّ وآله، وإليك البيان الآتي:

١. الصلاة تعني: «اسمًا شرعيًّا لعِبادَةٍ فيها رُكوعٌ وسُجودٌ، أو قُل: الصلاة عِبادَة فيها رُكوعٌ وسُجودٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾، والصلاة تعني التعبُّدُ لله تعالى بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ، مُفتَتَحةٍ بالتَّكبيرِ، مُختَتَمةٍ بالتَّسليمِ»[١]، والصلاة شرعًا: «أقوال وأفعال مخصوصة، مُفتَتَحة بالتكبير، مُختَتَمة بالتسليم وسمِّيت بذلك؛ لاشتمالها على الصلاة لغةً، وهي الدعاء»[٢]، وتُعرَّف الصلاة في الاصطلاح الشرعيّ بأنَّها عِبادةٌ لله تعالى، ذاتُ أقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ ومعلومةٍ، تبدأ بالتكبير، وتنتهي بالتسليم، ويُقصَد بالأقوال أي القِراءة، والتكبير، والتسبيح، وغيرها»[٣].

(١) البهوتيّ، كشاف القناع: ١/ ٢٢١.
(٢) البكريّ الدمياطيّ، إعانة الطالبين على حلِّ ألفاظ فتح المعين: ١/ ٢٩.
(٣) ينظر: الرمليّ، محمَّد بن أبي العبَّاس الرملّي (ت ١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح=

٢. الصلاة تعني: الدعاء والتبرُّك والبركة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، بمعنى ادْعُ لهم، فإنَّ دعاءك بركة لهم.

٣. الصلاة تعني: القراءة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (الإسراء: ١١٠)، أي لا تجهر بقراءتك القرآن ولا تخافت.

٤. الصَّلَواتُ: «دور العبادة، وكَنائِسُ اليَهُودِ؛ هذا تَفْسيرُ ابنِ عبَّاس؛ قالَهُ ابنُ جنِّي، سُمِّيت بذلكَ لكَوْنِها مَواضِع عِبادَتِهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، وقيلَ: أَصْلُه بالعِبْرانِيَّةِ صَلُوتَا»[1].

أ. «صَوَامِعُ: دور عبادة الصابئين. ب. البِيَع: دور عبادة النصارى. ج. المساجد: دور عبادة المسلمين. د. صَلَوَاتٌ: دور عبادة اليهود، كنائس اليهود، ويسمُّون الكنيسة صلوتا»[2].

٥. الصلاة تعني الدعاء للنبيّ وآله تعيينًا.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فلنا بفضل الله تعالى أن نعرِّف الصلاة على محمَّد وآل محمَّد بأنَّها: «الدُّعاء بأن يصل ويوصل الله تعالى جميع صنوف وأنواع الخيرات من تعظيم وتكريم وتشريف وتهييب وتعليم وتعريف وتقريب وتشفيع وتمليك المقام المحمود للنبيِّ وآله.

=المنهاج: ٣٥٩.

(١) الزبيديّ، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة (صلَّى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.

(٢) محمَّد قلعجي، معجم لغة الفقهاء: ٢٧٦، وينظر: الزبيدي، تاج العروس: ١٩/ ٦٠٦-٦٠٩، مادَّة (صلَّى): ٦٠٤، و(صلو): ٦٠٦.

فالصلاة المقصودة في هذا البحث هي الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، التي هي الذِّكر والطقس العباديّ المأمور بها في القرآن الكريم، والمخصوصة المنصوص عليها في السنَّة المطهَّرة، والمُبيَّن أنواعها، وأوقاتها، وكيفيَّة أدائها، والمُتعَبَّد بها بالدعاء للنبيِّ وآله؛ لإفراغ الذمَّة أمام الله عزَّ وجلَّ.

أو قُل: إنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد هو الذِّكر المأمورين بالتَعَبَّد به، بالدعاء للنبيّ وآله قرآنيًّا، والمخصوص المنصوص على أدائه وأنواعه وأوقاته وكيفيَّته روائيًّا؛ لإفراغ الذَّمة أمام الله عزَّ وجلَّ.

ثالثًا: نصيَّة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد

إنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد هي نصٌّ شرعيٌّ ورد في رحم السنَّة المطهَّرة، فأجد أنَّ من تمام البحث ونجاحه أن يتحدَّث بلغة الدليل، إذ إنَّ موضوع الصلاة على محمَّد وآل محمَّد تعدُّ من الموضوعات الشيِّقة والشاقَّة؛ لارتباطها بالنبيّ محمَّد وآل محمَّد، فكلُّ شيءٍ يتعلَّق بالنبيِّ وآله يكون شيِّقًا بثماره وآثاره، ويكون شاقًّا من جهة فهم معانيه ودقائق أموره، وعلى هذا نجد أنَّ من الأمور التي تزيد البحث قيمة، هو تثبيت وقفيَّة (الصلاة على محمَّد وآل محمَّد) كنصٍّ لفظيٍّ شرعيٍّ، وطقسٍ دينيٍّ عباديّ، ورد على لسان المعصومين عليهم السلام؛ ممَّا يعطي بُعدًا توثيقيًّا للموضوع في ذهن المتلقِّي، وعلى هذا سوف نقف على أحاديث تتضمَّن عبارة (الصلاة على محمَّد وآل محمَّد) كنصٍّ بلا تصرُّف، والتي من أبرزها:

١. ما ورد عن «أَحْمَد بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُعَيْمٍ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام دَخَلْتُ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ فَلَمْ يُفْتَحْ لِي شَيْءٌ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وسَعَيْتُ فَكَانَ كَذَلِكَ، فَقَالَ: **مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِمَّنْ سَأَلَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيتَ**»[1].

(١) الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، الكافي: ٤/ ٤٠٧.

فإنَّ هذا الحديث يعضِّد قضيَّة نصيَّة عبارة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد كاسم عَلَم يدلُّ ويشير إلى وعلى عبادة دينيَّة شرعيَّة صوتيَّة، أداؤها يكون إمَّا بصيغة الإنشاء، وهي: «اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد»، أو بصيغة الإخبار، وهي: «صلى الله عليه وآله».

٢. كما ورد عن «عَلِيّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام، قَالَ: **مَا فِي الْمِيزَانِ شَيْءٌ أَثْقَلَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَتُوضَعُ أَعْمَالُه فِي الْمِيزَانِ فَتَمِيلُ بِه فَيُخْرِجُ صلى الله عليه وآله الصَّلَاةَ عَلَيْه فَيَضَعُهَا فِي مِيزَانِه فَيَرْجَحُ بِه**»[1]، فقد أورد هذا الحديث نصيَّة الصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ على لسان المعصوم عليه السلام.

٣. وأيضا نقل «عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ جُمْهُورٍ عَنْ أَبِيه عَنْ رِجَالِه قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: **مَنْ كَانَتْ لَه إِلَى الله عز وجل حَاجَةٌ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَه، ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّ الله عز وجل أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ الطَّرَفَيْنِ ويَدَعَ الْوَسَطَ، إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ لَا تُحْجَبُ عَنْه**»[2]. فظهر في هذا الحديث أنَّ عبارة: «الصَّلاَةِ عَلَىَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ» قد جاءت على ثغر المعصوم، وهو الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام.

٤. كما جاء «عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبَانٍ الأَحْمَرِ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ نُعَيْمٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِنِّي دَخَلْتُ الْبَيْتَ- الحرام- ولَمْ يَحْضُرْنِي شَيْءٌ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: **أَمَا إِنَّه لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجْتَ بِه**»[3]، فإنَّ هذا الحديث أيضًا جاء مؤيِّدًا لنصيَّة (الصلاة

(١) الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، الكافي: ٢/ ٤٩٤.
(٢) الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، الكافي: ٢/ ٤٩٤.
(٣) الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، الكافي: ٢/ ٤٩٤.

على محمَّد وآل محمَّد) على لسان المعصوم عليه السلام لاصحابه، وظهر من خلال هذا الحديث أنَّ عبارة الصلاة على محمَّد وآل محمَّد نصٌّ شرعيٌّ، وغيرها من الأحاديث الكثيرة اكتفينا بهذه النماذج الروائيَّة.

المطلب الثاني: مفهوم (النصِّ) في اللغة والاصطلاح

أوَّلا: تعريف (النصِّ) لغةً

إنَّ المفهوم اللغويّ لكلمة (نصّ) في المعاجم اللغويَّة، مأخوذ من الجذر الثلاثيّ المضعَّف (نَصْصَ)، ومعناه مدٌّ أو رفعٌ، فالنصُّ: رفعك الشيء، ونصَّ الحديث ينصَّه رفَعَه، ومنه المنصَّة، وهو المكان البارز، وما تظهر عليه العروس لتُرى، النصُّ علامة كبيرة ذات وجهَين: وجه الدَّال، ووجه المدلول(١).

فالنصُّ مصطلحٌ ثريّ يحمل بين طيَّاته الكثير من المعاني، إذ يظهر من معاجم اللغة أنَّ أبرز معاني النص، هي: رفع الشيء، الظهور، التراكم، التحريك، أقصى الشيء وغايته ومنتهاه.. الخ، كما تقدَّم ذِكره أعلاه.

ثانيًا: تعريف (النصِّ) اصطلاحًا

أمَّا النصُّ فالمراد به القرآن نفسه، إذ لفظة (القرآنيّ) صفةٌ للنصِّ، والنصُّ جمعه نصوص. يقول الدكتور أديب الصالح: «نعني بالنصوص: نصوص الكتاب والسنَّة، لأنَّ مردَّ سائر الأدلَّة الشرعيَّة إليها، فالكتاب والسنَّة هما أساس التشريع، وقوام أحكام الإسلام، وما عداهما من الأدلَّة مستنبَط منهما، ومآله إليهما»(٢).

والنصُّ اصطلاحًا: ما لا يحتمل إلَّا معنًى واحدًا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل، وقيل هو ما زاد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلِّم، وهو سَوْق الكلام لأجل المعنى(٣).

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٩/ ٣٦٠.
(٢) تفسير النصوص في الفقه الإسلاميّ: ١/ ٥٠-٥١.
(٣) الجرجانيّ، أبو الحسن الجرجانيّ، التعريفات: ٢٣٧.

وقد ذكر التهانويّ أنَّ النصَّ له معانٍ متعدِّدة، وهي:

١. «كلُّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنَّة، ظاهرًا أو نصًّا أو مفسِّرًا، حقيقةً أو مجازًا عامًّا أو خاصًّا.

٢. والنصُّ بمعنى الظهور.

٣. ما لا يتطرَّق إليه الاحتمال أصلًا.

٤. ما لا يتطرَّق إليه احتمال مقبول يعضده دليل»[1].

المطلب الثالث: مفهوم الآل والأهل في اللغة والاصطلاح

إنَّ مفهوم الآل من المصطلحات التي شغلت حيِّزًا مهمًّا وكبيرًا في الموسوعات المعرفيَّة من جهة المناقشة والبحث والاستدلال؛ بغية الوصول إلى المعنى المراد منها في نصِّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد.

وعلى هذا سوف نقف على بيان معنى الآل والأهل في اللغة والاصطلاح من خلال الآتي:

أوَّلًا: مفهوم الآل والأهل في اللغة

بفضل الله تعالى، حينما نقف على معاجم اللغة في بيان معنى الآل والأهل، نجد أنَّ جميع هذه المصطلحات هي من باب المترادفات التي تختلف في البناء الصرفيّ لها، ولكنَّها تتَّفق في بعض معانيها، وتختلف في ضمِّ بعض المصاديق الأخرى، إذ إنَّ هذه المصطلحات أو المفاهيم لها أكثر من معنى، وتشمل أكثر من مصداق، لكنَّها كيفما كانت، تكون أسيرة لمراد النصِّ الشرعيّ، وتخصيص السنَّة المطهَّرة، وذلك من خلال البيان الآتي:

---

(١) الصُّليبيّ، الدكتور محمَّد عليّ، فهم النصِّ على ضوء المصالح والمقاصد في الواقع المعاصر، مقدَّم للمؤتمر العلميّ المنعقد في رحاب الجامعة الأردنيَّة (مؤتمر النصوص الشرعيَّة) في الفترة ٤-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

فقد ذكر صاحب كتاب الفروق الغويَّة: «الآل هم الأهل والأتباع»[1]، كما أورد صاحب كتاب لسان العرب أنَّ: «الآل والأَهل واحد، واحتجُّوا بأَن الآل إِذا صغر قيل أُهَيْل، وقال الكسائيّ في تصغير آل أُوَيْل؛ قال أَبو العبَّاس: فقد زالت تلك العلَّة، وصار الآل والأَهل أَصلَين لمعنَيَين، فيدخل في الصلاة كل»[2]. وقد ظهر أنَّ الآل تُقارب في الدلالة والمعنى إلى كلمة الأهل من جهة الاستعمال العربيّ والقرآنيّ والحديثيّ، وهذا يظهر من خلال ما ذكره الزبيديّ وابن منظور، إذ قالا: إنَّ أهل، أَهْلُ الرَّجُلِ: عَشِيرَتُه وذَوُو قُرباه»[3]. وقال الفراهيديّ: إنَّ العترة نبتة طيِّبة يأكلها الناس ويأكلون جرَّاءها، والعترة أيضًا: بقلة إذا طالت قُطِع أصلها، فيخرج منه لبن، العتر؛ لأنَّه إذا قُطِع أصله نبتت من حواليه شُعَب ستّ أو ثلاث، ولأنَّ أصل العتر أقل من فرعه، وقال: لا تكون العترة أبدًا كثيرة، إنَّما هنَّ شجرات بمكان، وشجرات بمكان لا تملأ الوادي»[4].

وحكى سيبويه في جمع أَهْل: أَهْلُون، «وسئل الخليل: لِـمَ سكَّنوا الهاء ولم يحرِّكوها كما حرَّكوا أَرَضِين ؟ فقال: لأَن الأَهل مذكَّر»[5]. وقال الزبيديّ: «آل يؤول أَوْلًا وأُوُولًا، وقال: وآلُ الجبل: أَطرافه ونواحيه. وقال: آلُ الرجل: أَهلُه وعيالُه، فإِما أَن تكون الأَلف منقلبة عن واو، وإِمَّا أَن تكون بدلًا من الهاء، وتصغيره أُوَيْل وأُهَيْل»[6]. وأكَّد اللغويُّون أنَّ: «أَهْلُ الأَمر: وُلاتُه، وأَهْلُ البيت: سُكَّانه، وأَهل الرجل: أَخَصُّ الناس به، وأَهْـلُ بيت النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: أَزواجُـه وبَناته وصِهْرُه،

(١) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللغويَّة: ٣٥٠.
(٢) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ١١/ ٣٧.
(٣) الزبيديّ، تاج العروس: ١٤/ ٣٣، ينظر: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ١١/ ٢٨، الفيروزآباديّ، القاموس المحيط: ٣/ ٣٣١.
(٤) الفراهيديّ، العين: ٢/ ٦٦.
(٥) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ١١/ ٢٨.
(٦) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ١١/ ٣٧.

أَعني عليًّا،عليه السلام، وقيل: نساء النبيّ صلى الله عليه [وآلـه] وسلَّم، والرجال الذين هم آله»[1].

ظهر بفضل الله تعالى ممَّا تقدَّم أنَّ الآل والأهل بمعنًى واحد، وأنَّهما يربوان على عدَّة معانٍ، فهما يعنيان: جبل في مكَّة، والأقارب، والزوجات، والأصهار، والأولاد، والأَمَـة، والذريَّة، والبنات، وخاصَّة الله تعالى، وأعظم الخلق بعد النبيّ، وأشرف القوم، والخشب (كناية عن القوَّة)، وأخصُّ الناس بالرجل، وأَطْرافُ الجَبَلِ ونَواحِيه، والشَّخْصُ، وعَمَدُ الخَيمَةِ، والعَشِيرَة، ودواليك من المعاني. ولكي نقف على معنى الآل والأهل الذي ورد في نصِّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد ونصوص الشريعة، يلزم أن نرجع إلى النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله لكي يعيِّن لنا معنى الآل ويبيِّنه، والذي سوف يظهر لنا من خلال أحاديث النبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

ثانيًا: مفهوم الآل والأهل في الاصطلاح

لقد ظهر أنَّ مصطلح الآل والأهل مصطلحان مترادفان متقاربان في الدلالة والمعنى من حيث اللغة، وكلاهما في اللغة يشملان معنى أزواج الرجل وأهله وذريَّته، ويشمل.. الخ من المعاني الكثيرة التي تقترب في دلالة القوَّة والقرب والأفضليَّة بحسب ما تقدَّم، لكنَّ الأصل في الشريعة هو ما قرَّره النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله من معنى للكلمة المستعملة في الشريعة، فالآل والأهل في الاصطلاح الشرعيّ أخصُّ وأقيد، إذ هما يعنيان بعض الأفراد الذين خصَّهم الله وبلَّغ بهم رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهذا ليس أجنبي على اللغة العربيَّة، فمصطلح الصلاة في اللغة لها أكثر من معنى، لكنَّ الشريعة جاءت وخصَّصت للصلاة المكتوبة معنًا آخر تمامًا. كذلك الآل والأهل في اللغة لها أكثر من معنى، إلَّا أنَّ النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله قد أدخل فيها ما هو غير متوقَّع في الوهلة الأولى؟! واخرج منها ما هو مُستغرَب ومُستبعَد!!؟ إذ إنَّ النبيّ محمَّدصلى الله عليه وآله أدخل ابن عمِّه، وهو الإمام عليّعليه السلام، وأخرج ما لم

(١) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب: ١١/ ٢٩.

يكن بالحسبان إخراجه، وهو نساؤه وأبناؤه من ظهره، فالأصل ما قرَّره النبيّ؛ لأنَّ اللغة العربيَّة والقرآن الكريم حمَّالان ذو وجوه، لكن الفاصل في معاني الألفاظ راجع إلى قول النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله. ولعلَّ أبرز المصادر التي تعيِّن لنا معنى الآل وتسمِّيهم لنا بأسمائهم، هي الروايات التي وردت عن النبيّ وآله في كتب الحديث، إذ ورد عن النبيّ وآله صلوات الله عليهم أنَّ الآل والأهل هم ما سوف يظهر معناهم كمصداق للصلاة على محمَّد وآل محمَّد من خلال ما سيأتي في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

نماذج حديثيَّة في تعيين السيِّدة فاطمة من مصاديق آل محمَّد

سوف نقف في هذا المبحث على بعض النماذج من نصوص السنَّة المطهَّرة المتعلِّقة بالصلاة على محمَّد وآل محمَّد من جهة تشخيص المصاديق، وتحديد كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من مصاديقها، إذ بفضل الله تعالى سوف يظهر لنا من خلال نصوص البحث كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء، بحسب النصوص الشرعيَّة الصريحة، هي المرأة الوحيدة من بين آل محمَّد كمصداق من مصاديق الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وذلك بحسب ما سوف يظهر من النصوص الحديثيَّة الآتية:

النَّصُّ الحديثيُّ الأوَّل: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث الصلاة على محمَّد وآل محمَّد

إنَّ الله تعالى حينما أنزل القرآن على قلب النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، جعل في رحم القرآن العظيم آية عظيمة توجِب على النخبة من الآدميِّين، وهم المؤمنين، بأن يصلُّوا على النبيّ، فقال عزَّ من قال في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، فقام القوم حينما نزلت هذه الآية وقالوا: «كيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: قولوا: **اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد..**»[1]، فأوجب النبيّ بأمر من الله تعالى أن يصلُّوا على النبيّ وآله

(١) البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ: ٦/ ٢٧. ونصُّ الحديث: حدَّثني سعيد بن يحيى حدَّثنا أبي حدَّثنا مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله أمَّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: **قولوا اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى=**

معًا، لكنَّ الغريب أنَّ القوم خالفوا الله تعالى ورسوله بأن بتروا الصلاة على النبيّ وآله فقالوا: «اللهمَّ صلِّ على محمَّد»، ولم يصلُّوا على آل محمَّد، فسمعهم النبيّ صلى الله عليه وآله، وغضب لذلك، وقال ما نقله وأخرجه عبد الوهاب الشعرانيّ الشافعيّ (ت ٩٧٣هـ)، في كتابه (كشف الغمَّة عن جميع الأمَّة)، من حديث الصلاة البتراء، إذ رويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تصلُّوا عَلَيَّ الصلاة البتراء**. قالوا: وما الصلاة البتراء ؟ قال: **تقولون اللهمَّ صلِّ على محمَّد وتُمسِكون، بل قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد**. فقيل من أهلُك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: **عليّ وفاطمة والحسن والحسين**»[1]، فعلمنا أنَّ الصلاة على آل محمَّد واجبة مثل وجوب الصلاة على النبيّ محمَّد، وأنَّ ترك الصلاة على آل محمَّد تُغضِب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي من آل محمَّد، وأنَّ الصلاة عليها واجبة بأمرٍ من الله تعالى، وبأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ التارك للصلاة على فاطمة الزَّهراء هو تارك لأمر الله تعالى، ومخالفٌ لنهي الرسول من عدم ترك الصلاة على آل محمَّد، فتبيَّن أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي واحدة من مصاديق آل محمَّد في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، دون سائر نساء النبيّ، أو احد من نساء العالمين، غير السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

فظهر أنَّ الله تعالى بنفسه يصلِّي على فاطمة الزَّهراء، وأنَّ النبيّ يصلِّي على فاطمة الزَّهراء بصلاته على محمَّد وآل محمَّد، وأنَّ الله تعالى لم يكتفِ بصلاته على فاطمة الزَّهراء في الملكوت الأعلى، وإنَّما أصدر مرسومًا قرآنيا وحْيانيًّا، وأودعه في رحم القرآن الكريم بوجوب الصلاة على النبيّ وفاطمة والآل بقوله: ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٥٦)، إلَّا أنَّه لم يحترم أغلب المسلمين تلك الوثيقة الإلهيَّة من جهة أدائها تامَّة كاملة متكاملة، ثمَّ غضب النبيّ لسماعه بتر الآل واقتطاعهم عنه حينما يصلِّي المسلمون

=**آل محمَّد كما صلَّيت على آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، اللهمَّ بارك على محمَّد وعلى آل محمَّد كما باركت على آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد**».

(١) الشعرانيّ، عبد الوهاب الشعرانيّ الشافعيّ (ت ٩٧٣هـ)، كشف الغمَّة عن جميع الأمَّة: ١/ ٣٢٥، فصل في الأمر بالصلاة على النبيّ، ط. مصر، ١٣٢٧هـ، المطبعة الميمنيَّة».

عليه، فنهاهم وحذَّرهم وخوَّفهم وحرَّم عليهم تلك الصلاة بمرسوم نبويّ موقَّع من حضرة الرسول، عُرِف بحديث الصلاة البتراء، واسميته بفضل الله تعالى: (وثيقة تحريم الصلاة البتراء على المسلمين)، ومع هذا لم يهتم المسلمون أيضًا بوثيقة رسول الله الناهية عن تلك الصلاة، فحدث أمران:

الأمر الأوَّل: وقع المسلمون فيما خافه النبيّ منه عليهم، وهو الخسران ونيل العقاب؛ بتركهم أمر الله وسوله عمدًا وعنادًا وجحودًا، ومخالفتهم نهي الله ورسوله، فاستحلُّوا غضب الله ورسوله، وهذا كلامي ممَّا لا شكَّ أنَّه يخصُّ المسلمين الذين يعرفون ويحرِّفون الكلم عن مواضعه، وليس عموم المسلمين البسطاء في المعرفة، والجهلاء بحقيقة الأمر.

الأمر الثاني: الذين يصلُّون الصلاة البتراء عنادًا وجحودًا، قد آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيما خاف هو منه على أهل بيته من تقتيل وتجريم وتسميم وتهجير، فكان النهي عن الصلاة البتراء أخطر وأعظم وأكبر وأخوَف وأهول وثيقة دالَّة على عَظَمة أهل البيت في عين الله تعالى، إلى درجة أنَّ الله تعالى أصدر نهيًا رسميًّا وحْيانيًّا في تحريم ترك الصلاة عليهم لفظيًّا فقط؟! فيا ترى ماذا يفعل الله تعالى بمن ولمن وفيمن آذى أهل بيت النبيّ أو قتلهم بالسمِّ أو البتَّار؟!!

فكان حديث الصلاة البتراء صريحًا بأنَّ فاطمة الزَّهراء هي من أهل بيت الرسول وآل النبيّ، التي صلَّى الله عليها وأمر الخلائق كلّهم بأن يصلُّوا عليها؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وآله قولوا: **اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد**، ففاطمة الزَّهراء عليها السلام هي آل محمَّد، وهي المصداق الأتمُّ للصلاة على محمَّد وآل محمَّد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، حتَّى رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ فَاطِمَةَ عليها السلام قَالَتْ: **قَالَ لِي رَسُولُ الله: «يَا فَاطِمَةُ، مَنْ صَلَّى عَلَيْكِ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَلْحَقَهُ بِي حَيْثُ كُنْتُ مِنْ الجَنَّةِ»**[1].

(١) المجلسيّ (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٥.

النَّص الحديثيُّ الثاني: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث الكساء

إنَّ الأرض حينما انتشر فيها الظلم والعدوان، وانغمس أهلها في ظلمات الظلمات، وشاع الكفر في أعلى مراتبه في الإمبراطوريَّة الفارسيَّة، وساد الشِّرك في أعلى صوره في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، شاء الله تعالى أن يقدِّم أعظم ورقة هداية عنده، وهو نبيُّنا محمَّد صلى الله عليه وآله، ويُنزِل معه أعظم حقيبة إصلاح، وهي القرآن الكريم، ولكن كان هذا متوقِّف على النصرة والتمكين للنبيّ في مشروعه الإسلام، عن طريق ثلَّة من المعاصرين له في الأرض، وهم أخلص خلق الله تعالى بعد النبيّ، لكي يساعدوه وينصروه ويؤيدوه ويحفظوه ويؤنسوه في وحشته، ويخفِّفون عليه ألَم ومصاعب المهمَّة والتكليف الإلهيّ عليه في مواجهة الأعداء وإبطال خُطَطِهم وإفشال مؤامراتهم، فكانت هذه الثلَّة خير ما عرفته البشريَّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، فما كان من النبيّ صلى الله عليه وآله بعد ما رآه من وقفتهم وإخلاصهم وحبّهم وطاعتهم وصبرهم لله وفي الله، وفي نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلَّا أن يردَّ لهم بعض الجميل، وذلك بأن دعاهم عنده في مجلسه الخاص، وغطَّاهم بكساء، بغية أن يدعو لهم بدعاء يكون لهم ذخرًا وفخرًا في الدنيا والآخرة، وهو ما عُرِف فيما بعد بحديث حادثة الكساء اليمانيّ، وممَّا يؤيِّد هذه الحقيقة ما أورده المحدِّثون، وإليك بعض نصوصهم:

الحديث الأوَّل: ما رواه عبد الله حدَّثني أبي ثنا عبد الله بن نمير قال ثنا عبد الملك يعنى ابن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال حدَّثني من سمع أم سلمة تذكر أنَّ النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلَّم كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه، فقال لها ادعي زوجك وابنيك، قالت فجاء عليّ والحسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبريّ، قالت وأنا أصلِّي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشَّاهم به، ثمَّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمَّ قال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي**

فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا، اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وخاصَّتي فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا. قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: **إنَّك إلى خير إنَّك إلى خير**»[1].

الحديث الثاني: ما نقله قتيبة بن سعيد أخبرنا محمَّد بن سليمان بن الأصبهانيّ عن يحيى بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال: «نزلت هذه الآية على النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، في بيت أم سلمة، فدعا النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلَّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره، فجلَّله بكساء، ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.** قالت أمُّ سلمة: **وأنا معهم يا رسول الله؟** قال: **أنتِ على مكانك، وأنتِ إلى خير**»[2].

الحديث الثالث: جاء في تفسير الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «إنَّ جبرئيل هو الذي لـمَّا حضر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قد اشتمل بعباءته القطوانيَّة[3] على نفسه وعلى عليّ وفاطمة والحسين والحسن عليهم السلام، وقال: «**اللهمَّ هؤلاء أهلي، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، محبٌّ لمن أحبَّهم، ومبغض لمن أبغضهم، فكن لمن حاربهم حربًا، ولمن سالمهم سلمًا، ولمن أحبَّهم محبًّا، ولمن أبغضهم مبغضًا**». فقال الله عز وجل: «**قد أجبتك إلى ذلك يا محمَّد**»، فرفعت أمُّ سلمة جانب العباءة لتدخل، فجذبه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **لست هناك وإن كنت في خير وإلى خير.** وجاء جبرئيل عليه السلام متدبِّرا وقال: **يا رسول الله اجعلني منكم!** قال: **أنت منَّا.** قال: **أفأرفع العباءة وأدخل معكم؟** قال: **بلى.** فدخل في العباءة، ثمَّ خرج وصعد إلى السماء إلى الملكوت الأعلى، وقد تضاعف حسنه وبهاؤه. وقالت الملائكة:

(١) أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد: ٦/ ٢٩٢.

(٢) الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ: ٥/ ٣٢٨.

(٣) أي البيضاء القصيرة المخمل، وقطوان موضع بالكوفة، منه الأكسية.

قد رجعت بجمال خلاف ما ذهبت به من عندنا ! قال: وكيف لا أكون كذلك وقد شرِّفت بأن جُعِلت من آل محمَّدﷺ وأهل بيته؟! قالت الأملاك في ملكوت السماوات والحجب والكرسي والعرش: حقٌّ لك هذا الشرف أن تكون كما قلت، وكان عليّ عليه السلام معه جبرئيل عن يمينه في الحروب، وميكائيل عن يساره وإسرافيل خلفه، وملك الموت أمامه»[1].

الحديث الرابع: مارواه العبَّاس محمَّد بن يعقوب ثنا العبَّاس بن محمَّد الدوريّ ثنا عثمان بن عمر ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ثنا شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّها قالت: «في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، قالت فأرسل رسول اللهﷺ إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي**. قالت أمُّ سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: **إنَّك أهلي خير، وهؤلاء أهل بيتي اللهمَّ أهلي أحقُّ**»[2]. ويقول النيسابوريّ: هذا حديث صحيح على شرط البخاريّ ولم يخرجاه»[3]، ونقل أبو أحمد قال: أخبرنا عبد الملك بن الحسن عن يحيى بن حسَّان قال: حدَّثنا منصور بن أبي الأسود قال: سمعت أبا داوود قال: سمعت أبا الحمراء قال: حفظت من رسول الله صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلم سبعة أشهر- أو ثمانية- كان يأتي إلى باب عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فيقول: **الصلاة يرحمكم الله**: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)»[4]، وغيرها من النصوص التي تتعدَّى أخوات كان وكأنَّ.

فكان ممَّا ظهر من هذا التعدُّد في الأسانيد والظروف المختلفة والشخصيَّات

(١) المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٧٦.
(٢) الحاكم النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ)، المستدرك: ٢/ ٤١٦.
(٣) الحاكم النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ)، المستدرك: ٢/ ٤١٦.
(٤) محمَّد بن سليمان الكوفيّ (ت ق ٣هـ)، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢/ ١٧٤.

المتعدِّدة الناقِلين لخبر حديث الكساء أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد كرَّر هذه الحادثة لأكثر من مرَّة؛ بغية إيصال عَظَمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء وبعلها وبنيها وكرامتهم عند الله تعالى إلى جميع المسلمين، حتَّى يتناقلون هذه الحادثة الكاشفة عن عَظَمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء والإمام عليّ وابنيهما بعين الله تعالى، وما أعطاهم الله تعالى من كرامات وتشريفات ومقامات في الدنيا والآخرة على الخلائق أجمعين، إذ جعلهم آل بيته عليهم السلام، مُخرجًا بذلك نساءه.

وكذلك كان حديث الكساء صريحًا بأنَّ فاطمة الزَّهراء هي من آل محمَّد التي أذهب الله تعالى عنها الرِّجس وطهَّرها تطهيرًا، وصلَّى الله عليها، وأمر الخلائق كلَّهم بأن يصلُّوا عليها، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله قولوا: **اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد**، فكانت السيِّدة الزَّهراء هي آل محمَّد، وهي المصداق الأتمُّ للصلاة على محمَّد وآل محمَّد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله.

فحينما تقول: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، فأنت تدعو لفاطمة وأبيها وبعلها وبينها، وهذه مصاديق الصلاة على محمَّد وآل محمَّد.

النَّصُّ الحديثيُّ الثالث: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث المباهلة

حينما جاء نصارى مدينة نجران وأساقفتهم ليحاجُّوا رسول الله صلى الله عليه وآله في دينهم، وفي نبيِّ الله عيسى عليه السلام، وصلوا إلى طريق مسدود، وهم بالحقيقة عارفون جاحدون لها ومعاندون، وفي ذلك شاهدان:

الشاهد الأوَّل: ما نقله الرازي في مفاتيح الغيب، إذ قال «محمَّد بن إسحاق: لـمَّا قَدِم على رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم وفد نجران ستُّون راكبًا، فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم، أحدهم: أميرهم، واسمه عبد المسيح، والثاني: مشيرهم وذو رأيهم، وكانوا يقولون له: السيِّد، واسمه الأيهم، والثالث: حَبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم، يُقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وملوك الروم كانوا شرَّفوه وموَّلوه وأكرموه لِما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلمَّا قدِموا من بحران ركب أبو حارثة بغلته، وكان إلى جنبه أخوه

كرز بن علقمة، فبينا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت، فقال كرز أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فقال أبو حارثة: بل تعست أمُّك، فقال: ولمَ يا أخي؟ فقال: إنَّه والله النبيّ الذي كنَّا ننتظره، فقال له أخوه كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا، قال: لأنَّ هؤلاء الملوك أعطونا أموالًا كثيرة وأكرمونا، فلو آمنا بمحمَّد صلَّى الله عليه [وآله] وسلم؛ لأخذوا منَّا كلَّ هذه الأشياء، فوقع ذلك في قلب أخيه كرز، وكان يضمره إلى أن أسلم، فكان يحدِّث بذلك»[1].

الشاهد الثاني: حينما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران للمباهلة، وهي إحلال اللعنة على الكاذبين، قالوا: «دعنا نرجع وننظر، فلمَّا خلا بعضهم إلى بعض قالوا للعاقِب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال والله لقد عرفتم أنَّ محمَّدا نبيّ مُرسَل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهَل قومٌ نبيًّا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، فإن أبيتم إلَّا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم»[2]، هنا غدا النبيّ صلى الله عليه وآله آخذًا بيد عليّ و الحسن والحسين عليهم السلام بين يديه، وفاطمة عليها السلام خلفه، وهو يقول لهم: **إذا أنا دعوت فأمِّنوا**، وخرج النصارى يقدَّمهم أسقفهم أبو حارثة، فقال الأسقف: إنِّي لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا لأزاله بها، فلا تباهلوا، فلا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم إنَّا لا نُباهِلَك ولكن نُصالحك، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يؤدُّوا إليه في كلِّ عام ألفَي حُلَّة، ألف في صفر وألف في رجب، وعلى عارية ثلاثين درعًا وعارية ثلاثين فرسا وثلاثين رمحًا.

فكانت الزَّهراء واحدة من الذين جعلهم الله تعالى من أهل بيت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وجعلها سببًا في بيان الحقِّ ودحض الباطل، وأنَّ دعاءها شرط في إهلاك القوم الكاذبين، وهذا يظهر من خلال النصوص الحديثيَّة الآتية:

(١) الرازيّ (ت ٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٧/ ١٦٥.

(٢) الثعلبيّ، تفسير الثعلبيّ: ٣/ ٨٥، البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٦٣٧.

الحديث الأوّل: ما نقله الترمذيّ في سُننه، إذ روى قتيبة أنَّه قال: أخبرنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «لـمَّا نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)، دعا رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: **اللهمَّ هؤلاء أهلي**»[1]، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل السيِّدة فاطمة الزَّهراء من أهل بيته، فهي مصداق قول النبيّ: **اللهمَّ هؤلاء أهلي** في واقعة المباهلة.

الحديث الثاني: ما ذكره مسلم في صحيحه، وذلك قوله: «لـمَّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦١)، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، وقال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي**»[2]، إذ جعل رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء عليها السلام أبرز مصداق في آل محمَّد؛ لأنَّها المرأة الوحيدة من بين كلِّ نساء العالمين في زمانه.

الحديث الثالث: ما نقله الشيخ الصدوق عن عليّ بن حسَّان الواسطي، قال: حدَّثني عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه عليّ بن الحسين عليهم السلام، عن عمِّه الحسن عليه السلام، قال: «**قال الإمام الحسن** عليه السلام: **قال الله تعالى لمحمَّد** صلى الله عليه وآله حين جَحَده كَفَرة الكتاب وحاجُّوه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)، **فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمّي من النَّاس جميعًا، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منَّا**»[3]، فانَّ الإمام الحسن

(١) الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ: ٤/ ٢٧٩.

(٢) مسلم النيسابوريّ، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧١، البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٦٣٧.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٢/ ١٧٧، البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن،=

المجتبى، وهو حاضر في حادثة المباهلة، ينقل لنا كشاهد عيان أنَّ السيِّدة فاطمة كانت هي المرأة الوحيدة الوجيهة المقبول دعاؤها والمستجاب طلبها من بين كلِّ المسلمين بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، إذ أخرجها رسول الله صلى الله عليه وآله معه للمباهلة بصفة أهله، في من آله صلوت الله عليها، وأنَّ هذا الأمر لا يدلُّ إلَّا على عظيم قدرها، وشريف مقامها عند الله تعالى، وأنَّها حجَّة على العالمين، بل هي من أشرف مصاديق الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وأنَّ الله تعالى جعل الصلاة عليها من خلال الصلاة على آل محمَّد شرطًا في قبول الصلاة المكتوبة، كما ذهب إليه الإماميَّة والشافعيَّة، إذ قال ابن حجر الهيثميّ في الصواعق المحرقة، وللشافعيّ قوله:

يا أهل (آلَ) بَيتِ رَسولِ الله حُبَّكُمُ
فَرضٌ مِنَ الله في القُرآنِ أَنزَلَهُ
يَكفيكُمُ (كَفاكمُ) مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُمُ
مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ[1]

الحديث الرابع: قال العسقلانيّ في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة في تفسير آية المباهلة: «وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(آل عمران: ٦١)، فدعا رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: **اللهمَّ هؤلاء أهلي**»[2].

الحديث الخامس: ونقل ابن عساكر قائلًا: «ولـمَّا نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦١)، دعا عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، وقال: **اللهمَّ هؤلاء أهلي**»[3].

=١/ ٦٣٠.

(١) الهيثميّ، ابن حجر الهيثميّ (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة: ٢/ ٤٣٥.

(٢) العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٤٦٨.

(٣) ابن عساكر، عليّ بن الحسن الشافعيّ (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ١٦.

الحديث السادس: وجاء عن عامر بن سعد قال: قال معاوية لأبي: ما يمنعك أن تسبَّ أبا تراب؟ قال: لثلاث رويتهنَّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لـمَّا نزلت آية المباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)، أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال: «**هؤلاء أهلي**»[1].

الحديث السابع: فقد روى القندوزيّ أنَّ أبا رياح مولى أم سلمة رفعه للنبيّ صلى الله عليه وآله: «**لو علم الله تعالى أنَّ في الأرض عبادًا أكرم من عليّ وفاطمة والحسن والحسين لأمرني [في] أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء، وهم أفضل الخلق، فغلبت بهم [اليهود و]النصارى**»[2].

فظهر من جميع النصوص المتقدِّمة أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي موضوع آية المباهلة، وأنَّها السيِّدة الوحيدة من بين كلِّ نساء عالمها، وأنَّها عنوان ومصداق آل محمَّد من بين كلِّ نسائه وبناته وزوجاته وقريباته من النساء، فهي عنوان رضا الله تعالى إذا رضيت، وعنوان غضب الله تعالى إذا غضبت، فكانت هي مصداق آل محمَّد التي نتعبَّد الله تعالى بالصلاة عليها في الصلاة على محمَّد وأهل محمَّد.

النَّصُّ الحديثيُّ الرابع: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث القربى

إنَّ أجواء رسالة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله امتازت بأذيَّة المشركين له ولأهل بيته، وكذلك شياع الفقر بين الناس، وقلَّة السيول الماليَّة، فقام بعض الأنصار بجمع المال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بغية إعطائها له، فوصل الخبر إلى المشركين، فقالوا: أترون محمَّدًا صلى الله عليه وآله يسأل عمَّا يتعاطاه أجرًا، فانزل الله تعالى آية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣)، وهنا قال الإمام الرضا عليه السلام: «**فقام رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه، فحمدَ الله وأثنى**

(١) البحراني، السيِّد هاشم البحراني(ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، ١/ ٦٣٧.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي(ت ١٢٩٤ هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، ٢/ ٢٦٦.

عليه، وقال: أيُّها الناس، إنَّ الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضًا فهل أنتم مؤدُّوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيُّها الناس، إنَّه ليس بذهب ولا فضَّة [ولا مأكول] ولا مشروب، فقالوا: هاتِ إذن، فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أمَّا هذا فنعم. فما وفى بها أكثرهم، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيًّا إلَّا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجرًا؛ لأنَّ الله يوفي أجر الأنبياء، ومحمَّد صلى الله عليه وآله فرض الله عزّ وجلّ مودَّة قرابته على أمَّته، وأمره أن يجعل أجره فيهم، ليؤدُّوه في قرابته، لمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم»[1]، ثمَّ قال الإمام الرضا عليه السلام: «**وما أنصفوا نبيَّ الله صلى الله عليه وآله في حيطته ورأفته، وما منَّ الله به على أمَّته، ممَّا تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه، أن يودُّوه في قرابته وذريَّته وأهل بيته، وأن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس، حفظًا لرسول الله صلى الله عليه وآله فيهم، وحبًّا لهم، وكيف والقرآن ينطق به ويدعو إليه**»[2].

وهنا سعى الأصحاب وأنصار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الاقتراب من فهم هذه الآية، ومعرفة مصاديقها؛ لكي يؤدُّوا حقَّ القرابة الذي أوجبه الله تعالى عليهم وعلينا إلى يوم القيامة، فقالوا: يا رسول الله مَن هم القربى الذين جعل الله تعالى حقَّك علينا في تقديرهم وطاعتهم وحبّهم وحفظهم في حياتك وبعد مماتك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **هم أهل بيتي، وآلي، وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين** عليهم السلام، وفي ذلك شواهد ونصوص حديثيَّة:

الحديث الأول: ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ لأَبِي جَعْفَرٍ الأَحْوَلِ وأَنَا أَسْمَعُ: **أَتَيْتَ الْبَصْرَةَ؟** فَقَالَ نَعَمْ... قَالَ عليه السلام: **مَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فِي هَذِهِ الآيَةِ:** ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا لأَقَارِبِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله. فَقَالَ: **كَذَبُوا إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا خَاصَّةً فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فِي عَلِيٍّ وفَاطِمَةَ والحَسَنِ والحُسَيْنِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ** عليهم السلام»[3].

(١) الصدوق (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١٢.
(٢) الصدوق (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١٢.
(٣) الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ)، الكافي: ٨/ ٩٣.

فإنَّ النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله جعل الإمام عليّ بن أبي طالب والسيِّدة فاطمة الزَّهراء والإمام الحسن والحسين هم مدار وموضوع وحقيقة رضى رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن وآلاهم وأحبَّهم وأطاعهم وحفظهم ونصرهم، فقد أدَّى حقَّ رسول صلى الله عليه وآله بنظر السماء وبنظر النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وعلى هذا فمن آذى السيِّدة فاطمة الزَّهراء أو حاربها أو ظلمها أو قهرها أو أحزنها بكلمة أو فعل، فإنَّ الله تعالى سوف يغضب عليه، ولن يؤدِّي حقَّ الله تعالى، وسوف يكون باخسًا حقَّ النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، والأعجب من هذا كلِّه، كيف سيواجه النبيّ مَن سَعى إلى قتلها؟.

إذ إنَّ قربى النبي في آية المودَّة هم أهل بيته عليهم السلام، وأنَّ السيِّدة فاطمة هي عنوان القربى في الآية، إذ هي المرأة الوحيدة من بين الآل صلوات الله عليها وعليهم أجمعين، وأنَّ الله تعالى جعل شرط إيفاء حقِّ رسول الله صلى الله عليه وآله في حبِّ السيِّدة الزَّهراء ورعايتها وتكريمها وعدم ظلمها وعدم أذيَّتها، بل فوق هذا في طاعتها وحفظها في نفسها ومَن تحبُّهم من عائلتها صلوات الله عليهم أجمعين.

فأظهر هذا الحديث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي آل محمَّد في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد؛ لأنَّ الامام الصادق عليه السلام في هذا الخبر قال إنَّ السيِّدة الزَّهراء هي أهل بيت النبيّ، والأهل هم الآل كما تقدَّم، فعرفنا أنَّ آل محمَّد الذين نصلِّي عليهم في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، هي السيِّدة فاطمة الزَّهراء وبعلها وبنيها صلوات الله عليهم أجمعين.

الحديث الثاني: ما رواه الطبرانيّ عن محمَّد بن عبد الله ثنا حرب بن الحسن الطحَّان ثنا حسين الأشقر عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال لما نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، قالوا: يا رسول الله ومَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما**»[1]. فإنَّ عبد الله بن عبَّاس كان شاهدًا عندما سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذوات

(١) الطبرانيّ، سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير: ٣/ ٤٧.

القربى، فأخبر النبيّ المسلمين بأنَّهم أهل بيته، وهم فاطمة وزوجها وولديها.

الحديث الثالث: ما رواه الهيثمي عن ابن عبَّاس قال: «لـمَّا نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما**»[١]، ولعلَّ من أروع صور البيان والتوضيح في كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي القربى والآل التي أوجب الله تعالى على المسلمين طاعتها والصلاة عليها إلى يوم القيامة، هو ما جاء عن الرازي في تفسيره لقوله تعالى: «﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، وأنا أقول- القول للرازي-: آل محمَّد صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلُّ مَن كان أمرهم إليه أشدُّ وأكمل، كانوا هم الآل، ولا شكَّ أنَّ فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أشدَّ التعلُّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل»[٢].

والجميل في المقام أنَّ الرازي قال: «اختلف الناس في الآل، فقيل هم الأقارب، وقيل هم أمَّته، فإنْ حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأمَّة الذين قبلوا دعوته، فهم أيضًا آل، فثبت أنَّ على جميع التقديرات هم الآل[٣]، وهم: فاطمة وعليّ والحسن والحسين»[٤].

ثمَّ نقل الرازي رواية صاحب الكشَّاف[٥]: «أنَّه لـمَّا نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ

(١) الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٧/ ١٠٣.
(٢) الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٥.
(٣) الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٦.
(٤) الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٦.
(٥) ثمَّ نقل الرازي قول صاحب الكشَّاف: «عن النبيّ صلى الله عليه وآله **أنَّه قال: مَن مات على حبِّ آل محمَّد مات شهيدًا، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد مات مغفورًا له، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد مات تائبًا، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد بشَّره ملك الموت بالجنَّة، ثمَّ منكر ونكير، ألَا ومَن ماتَ على حبِّ آل محمَّد يُزَفُّ إلى الجنَّة**=

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ فقال: **عليّ وفاطمة وابناهما**». فقال الرازي: «فثبت أنَّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، وإذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم»[1].

الحديث الرابع: ما رواه القاضي في دعائم الإسلام، إذ: «قيل لعبد الله بن عبَّاس: مَن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله هؤلاء الذين عَنَا الله عز وجل بقوله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، فقال: عليّ وفاطمة والحسن والحسين وذريَّتهم»[2].

الحديث الخامس: ما رواه الشيخ الصدوق قائلًا: «حدَّثني أبي، عن جدِّي، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهم السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، إنَّ لك مؤونة في نفقتك ومن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دمائنا، فاحكم فيها مأجورًا، أعطِ منها ما شئت [وامسك ما شئت] من غير حرج، فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين، فقال: يا محمَّد: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣) يعني [أن] تودُّوا قرابتي من بعدي، فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله على ترك ما عرضنا عليه إلَّا ليحثَّنا على قرابته [مِن بعده]، إن هو إلَّا شيء افتراه في مجلسه، فكان ذلك من قولهم عظيمًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الشورى: ٢٤)، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ

=كما تُزَفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد فُتِح له في قبره بابان إلى الجنَّة، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألَا ومَن مات على حبِّ آل محمَّد مات على السنَّة والجماعة، ألَا ومَن مات على بُغض آل محمَّد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ مِن رحمة الله، ألَا ومَن مات على بُغض آل محمَّد مات كافرًا، ألَا ومَن مات على بُغض آل محمَّد لم يشمَّ رائحة الجنَّة». الرازي، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، ٢٧/ ١٦٥.

(١) الرازي، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، ٢٧/ ١٦٦.

(٢) القاضي النعمان المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام: ٢/ ٣٦٧.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الأحقاف: ٨)، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وآله، فقال: **هل من حدث؟** فقالوا: إي والله، قال بعضنا كلامًا غليظًا كرهناه، فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله [الآية]، فبكوا واشتدَّ بكاؤهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥)»[1].

الحديث السادس: أخرج صاحب الصواعق المحرقة: «عن أحمد والطبرانيّ وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، لـمَّا نزلت، قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودَّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما**»[2]، وأيَّد ابن حجر حديث النبيّ صلى الله عليه وآله في كون السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي مصداق القربى والأهل بقول «شمس الدين ابن العربيّ:

رَأَيْـــتُ وَلَائِـــي آلَ طَـــهَ فَـرِيـضَـةً
عَـلَى رَغْـمِ أَهْـلِ البُـعْدِ يُورثنِي القُرْبا
فَـمَا طَـلَـبَ المَبْـعُـوثُ أجْـرًا عَـلَى الهُـدى
بتبلِيغهِ إلَّا المَـــوَدَّة فِي الـقُـرْبَـى»[3]

فظهر من كلِّ ما تقدَّم أنَّ القربى في آية وحديث القربى هم الأهل، والأهل مفهومٌ مصاديقه هم: الإمام عليّ عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام، وسيِّدة منزلهم وأميرته، وهي السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام. فحينما نصلِّي على محمَّد وآل محمَّد فإنَّنا نصلِّي على فاطمة الزَّهراء؛ لأنَّها أهل النبيّ وآله التي ظهرت لنا كمصداقٍ أتم لآية التطهير، وآية المباهلة، وآية القربى، وآية الصلاة المحمَّدية.

(١) الصدوق (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢١٣.

(٢) ابن حجر، أحمد بن حجر الهيتميّ المكِّيّ (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة: ١٧٠.

(٣) ابن حجر، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة: ١٧٠.

النَّصُّ الحديثيُّ الخامس: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث الثَّقَلَين

حينما اقترب موعد رحيل رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله عن هذا العالم، أصدر مرسومًا وحيانيًّا بقي في رحم الذاكرة الحديثيَّة والتاريخيَّة والسيرويَّة، يتضمَّن وصايا النبيّ في حفظ الإسلام والأمَّة من الضياع بعده، عُرِفت فيما بعد بوثيقة الثَّقَلَين، أو حديث الثَّقَلَين، إذ نقل لنا زيد بن الأرقم في صحيح مسلم هذه الوصيَّة والأمانة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قائلًا: «قام رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم يومًا فينا خطيبًا بماءٍ يدعى خما بين مكَّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذَكَر، ثمَّ قال: **أمَّا بعد ألَا أيُّها الناس فإنَّما أنا بشر يوشَك أن يأتي رسول ربِّي فأُجِيب، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَين أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**. فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمَّ قال: **وأهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي**. فقال له حصين: ومَن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرَّم الصدقة بعده»[1]، فسعى الأصحاب والأنصار وعلماء المسلمين والباحثون عن الحقيقة إلى معرفة مصاديق ثقل النبيّ الذين قال الرسول صلى الله عليه وآله فيهم: «**وأهل بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي** ثلاث مرَّات»[2]، وهذا ما سوف يظهر من خلال النصوص الحديثيَّة الآتية:

الحديث الأوَّل: ما رواه الشيخ الصدوق عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **إنَّ عليًّا وصيِّي وخليفتي، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ابنتي،**

(١) مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم: ٧/ ٢٦١. زهير بن حرب وشجاع بن مخلَّد جميعًا عن ابن عليَّة قال زهير حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم حدَّثني أبو حيَّان حدَّثني يزيد ابن حيَّان، قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمَّا جلسنا إليه، قال له حصين: .. لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم قال:.. قام رسول الله..». مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ٧/ ٢٦١.

(٢) مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم: ٧/ ٢٦١.

والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة ولداي، مَن والاهم فقد والاني، ومَن عاداهم فقد عاداني، ومَن ناوأهم فقد ناوأني، ومَن جفاهم فقد جفاني، ومَن برَّهم فقد برَّني، وصَلَ الله من وصلهم، وقطع من قطعهم، ونصر من أعانهم، وخذل من خذلهم، اللهمَّ مَن كان له من أنبيائك ورسلك ثقل وأهل بيت، فعليّ وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي..»[1]، فإنَّ النبي محمَّد صلى الله عليه وآله قد أخبرنا أنَّ أهل بيته هم ثقله الذين بهم يُحفظ الإسلام، وبِطاعتهم يُنال رضى الله تعالى، وبتركهم يهلك الإنسان، ثمَّ لم يكتفي النبيّ صلى الله عليه وآله في الوقوف على مصطلح الثُّقل، وإنَّما عرَّف النبيّ صلى الله عليه وآله هذا المصطلح بقوله: «**عليّ وفاطمة والحسن والحسين أهل بيتي وثقلي**»[2]، فكانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي ثقل النبيّ صلى الله عليه وآله التي برضاها يرضى الله تعالى، وبغضبها يغضب الله تعالى، وبحبِّها ووصلها ونصرتها يكون حبًّا ونصرًا ووصلًا لرسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي الأهل والثقل التي تكون أعلى مصاديق آل محمَّد حينما نصلِّي على محمَّد وآل محمَّد.

الحديث الثاني: ما رواه الشيخ الكلينيّ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: .. قال الإمام الصادق عليه السلام: ولَكِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أَنْزَلَه فِي كِتَابِه تَصْدِيقًا لِنَبِيِّه صلى الله عليه وآله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، **فَكَانَ عَلِيٌّ والْحَسَنُ والْحُسَيْنُ وفَاطِمَةُ عليهم السلام، فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وثَقَلًا وهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وثَقَلِي. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ ولَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وثِقْلِي**»[3]. إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حينما نزلت آية التطهير لتعطي المقام العليّ للنبيّ وآله، صدَّر النبيّ في بعض نصوصه أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء والإمام عليّ والإمام الحسن والإمام الحسين هم الثقل الأعظم في الإسلام، وأنَّهم محنة المسلمين واختبارهم، فمَن تولَّاهم وأحبَّهم نجا، ومَن تخلَّى عنهم وتخلَّف وآذاهم

(١) الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، الأمالي: ٥٦٠.
(٢) الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، الأمالي: ٥٦٠.
(٣) الكلينيّ، الكافي: ١/ ٢٨٦.

هلك، ولا غرابة أنَّ هذه المعاني تنطبق على السيِّدة فاطمة الزَّهراء، فقد روي عن سعيد بن المسيَّب عن ابن عبَّاس: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسًا ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال: **اللهمَّ إنَّك تعلم أنَّ هؤلاء أهل بيتي، وأكرم الناس عَلَيَّ، فأحبَّ مَن أحبَّهم وأبغِضْ من أبغضهم، ووالِ من والاهم وعادِ من عاداهم، وأعِن مَن أعانهم، واجعلهم مطهَّرين من كلِّ رجس، معصومين من كلِّ ذنب، وأيِّدهم بروح القدس منك**.. ثمَّ رفع صلى الله عليه وآله يده إلى السماء فقال: **اللهمَّ إنِّي أُشهِدك أنِّي محبٌّ لمن أحبَّهم، ومُبغضٌ لـمَن أبغضهم، وسِلم لـمَن سالمهم، وحربٌ لـمَن حاربهم، وعدوٌّ لـمَن عاداهم، ووليٌّ لـمَن والاهم**»[1].

فاصبحت السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي جعل النبيّ من الله تعالى حبَّها الفاصلة بين الجنَّة والنار، فمَن أحبَّها دخل الجنَّة، ومَن أبغضها دخل النار؛ لأنَّه ببغضها سوف يبغض النبيّ، ومن أبغض النبيّ دخل النار، ومن آذاها فقد آذى النبيّ، ومن آذى النبيّ دخل النار، فكانت حقًّا أعظم امرأة تتجلَّى صورتها، ويتحلَّى اسمها في آل محمَّد حينما نصلِّي على محمَّد وآل محمَّد؛ لأنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد هي أعظم عبادة لله تعالى، وأعلى سقف عبادي لله تعالى، بدليل ما جاء في الأثر:

١. ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**أكثِروا من الصلاة على محمَّدٍ وآله عليه السَّلام.. فإنَّ الصلاة على محمَّد وآله أفضل أعمال البرِّ**»[2].

٢. كما جاء عن البرقيّ في المحاسن: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمَّاد بن عثمان، أنَّه سأل أبا عبد الله عليه السلام، قال: أخبرنا عن أفضل الأعمال، فقال: «**الصلاة على محمَّد وآل محمَّد مائة مرَّة بعد العصر، وما زدتَ فهو أفضل**»[3].

---

(١) الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، الأمالي: ١/ ٣٩٣.

(٢) عليّ ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا: ٣٣٩.

(٣) النوريّ، ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل: ٥/ ١١٩.

٣. ما نُقِل عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه سُئِل: ما أفضل الأعمال يوم الجمعة؟ قال: **لا أعلم عملًا أفضل من الصَّلاة على محمَّد وآل محمَّد**»[١].

٤. قال الإمام أبو محمَّد العسكريّ عليه السلام: «**أَنَّ أَشْرَفَ أَعْمَالَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَرَاتِبِهِمْ الَّتِي قَدْ رَتَّبُوا فِيهَا، مِنَ الثَّرَى إِلَى الْعَرْشِ، الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِين**»[٢]، وغيرها من النصوص.

فكانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي صار ذِكرها أعلى ذِكر عباديّ الله تعالى، وأعلى سقف عباديّ يمكن للإنسان أن يتقرَّب به إلى الله تعالى؛ وذلك من خلال الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، فهي ثقل وأهل، ومصداق آل محمَّد التي أمرنا الله تعالى أن نحبَّها ولا نؤذيها وأن نصلِّي عليها إلى يوم القيامة؛ لكي يرضى الله علينا ورسوله.

النَّصُّ الحديثيُّ السادس: السيِّدة فاطمة هي آل محمَّد بنصِّ حديث المسجد

إنَّ الله تعالى أرسل النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله ليبلِّغ مشروع الإسلام العظيم لأهل الأرض، وأشرك الله تعالى مع النبيّ مَن يعينه ويساعده وينصره في تبليغ الرسالة، وهم أشرف الخلق بلا منازع، وأعظمهم وأكرمهم على الله تعالى بعد النبيّ، وهم أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فما كان من الله تعالى إلَّا أن أظهر حبَّه لأهل بيت النبيّ، وتعظيمه وتشريفه لهم، بأن طهَّرهم من كلِّ نجسٍ ورجسٍ، وفرض على المسلمين أن يصلُّوا عليهم حينما يصلُّون على النبيّ صلى الله عليه وآله في آية الصلاة المحمَّدية، واستجاب الله تعالى دعاء النبيّ فيهم في حادثة الكساء، وجعل الله تعالى حقَّ النبيِّ على الأمَّة أن يحفظوهم، وهم القربى، ويحبُّوهم وينصروهم في الشدَّة والرخاء، وإلَّا استوجبوا سَخَط الله تعالى،

(١) الشيخ محمَّد بن محمَّد رضا القمِّيّ المشهديّ (ت١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١٠/ ٤٣٨.

(٢) النوريّ، مستدرك الوسائل: ٥/ ٣٣٨.

وأمر النبيّ أن يباهل بهم دون سائر الخلق أجمعين على نصارى نجران، في أعظم حادثة تاريخيَّة ومفصليَّة بين الحقِّ والباطل، ثمَّ أضاف الله تعالى تعظيمًا جديدًا وتشريفًا آخر لآل النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو أن أمر النبيّ بغلق أبواب المسجد النبويّ إلَّا بابه وباب بيت أهله، بالإضافة إلى بعض أحكام المسجد التي خصَّها الله تعالى للسيِّدة فاطمة وبعلِها وبنيها دون سائر المسلمين، إذ روى الحمويني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: «انتهى إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة، فينا أبو بكر وعمر وعثمان وحمزة وطلحة والزبير وجماعة من الصحابة بعدما صلَّينا العشاء، فقال: **ما هذه الجماعة؟** قالوا: يا رسول الله قعدنا نتحدَّث، منَّا من يريد الصلاة، ومنَّا من ينام، فقال: **إنَّ مسجدي لا يُنَامُ فيه، انصرفوا إلى منازلكم، ومن أراد الصلاة فليصلِّ في منزله راشدًا ومن لم يستطع فلينم، فإنَّ صلاة السرِّ تضعف على صلاة العلانية**. قال ابن مسعود: فقمنا فتفرَّقنا وفينا عليّ بن أبي طالب فقام معنا، قال: فأخذ بيد عليّ وقال: **أمَّا أنت فإنَّه يحلُّ لك في مسجدي ما يحلُّ لي، ويحرَّم عليك ما يحرَّم عَلَيَّ**. فقال له حمزة بن عبد المطَّلب: يا رسول الله، أنا عمُّك وأنا أقرب إليك من عليّ، قال: **صدقتَ يا عمّ إنَّه والله ما هو عنِّي، إنَّما هو عن الله** عزَّ وجلَّ»[1]. وعلى هذا سوف نقف على النصوص الحديثيَّة التي تكشف لنا الاستثناءات التي أعطاها الله تعالى لأهل بيت النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، ومَن هُم مصاديق أهل بيت النبيّ في حديث المسجد؟.

الحديث الأوَّل: روى البيهقيّ عن أبي نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة، أنبأ أبو الحسن محمَّد بن الحسن بن إسماعيل السراج ثنا مطين ثنا يحيى ابن حمزة التمَّار قال: سمعت عطاء بن مسلم يذكر عن إسماعيل بن أميَّة عن جسرة عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم: **إلَا إنَّ مسجدي حرام على كلِّ حائض من النساء، وكلُّ جنب من الرجال، إلَّا على محمَّد وأهل بيته عليّ وفاطمة والحسن**

(١) السيِّد المرعشيّ (ت١٤١١هـ)، شرح إحقاق الحقِّ: ٥/ ٥٨٢، وأخرجه: أبو نعيم، فضائل الصحابة: ٧٢-٧٣، ومن طريقه الحمويّ في الفرائد، باب ٤١.

والحسين»[1]، فإنَّ مدار هذا الحديث ليس النجاسة من عدمها، بقدر بيان أمرَين:

الأمر الأوَّل: بيان عظمة وقيمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء وزوجها وأولادها.

الأمر الثاني: بيان أنَّهم مطهَّرون من كلِّ عيب، ومنزَّهون من كلِّ نقصٍ أو آفة.

فالنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله قد حرَّم دخول المسجد على كلِّ نساء العالمين اللاتي عَرض لهنَّ الحيض، إلَّا السيِّدة فاطمة الزَّهراء، ولعلَّ الأمر قائم على رواية مصباح الأنوار، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، قال: «**إنَّما سمِّيت فاطمة بنت محمَّد الطاهرة؛ لطهارتها من كلِّ دنس، وطهارتها من كلِّ رفث، وما رأت قطُّ يومًا حمرةً ولا نفاسًا**»[2].

الحديث الثاني: روى صاحب السنن الكبرى وابن عساكر عن أبي عليّ الحدَّاد في كتابه: ثمَّ حدَّثني أبو مسعود الأصبهانيّ عنه أنا أبو نعيم نا أبو بكر بن خلَّاد نا محمَّد بن يونس بن موسى نا عبد الله بن داوود نا الفضل بن دكين نا ابن أبي غنية عن أبي الخطَّاب الهجريّ عن محدوج الذهليّ عن جسرة عن أمِّ سلمة، قالت: خرج رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم إلى صرحة هذا المسجد، فقال: «**أَلَا لا يحلُّ هذا المسجد لجنبٍ ولا حائض إلَّا لرسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، أَلَا قد بيَّنت لكم الأسماء أن تضلُّوا**»[3]. إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان شديد الحرص في هذا الحديث أن يُظهِر عظمة السيِّدة فاطمة الزَّهراء وزوجها وأولادها بعين الله تعالى، إذ جعل المسجد لها ولهم بيتًا وحصنًا وتشريفًا.

الحديث الثالث: روى الشيخ الصدوق عن محمَّد بن عمر البغداديّ، قال: حدَّثني الحسن بن عبد الله بن محمَّد بن عليّ التميميّ، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني سيِّدي عليّ بن موسى بن جعفر، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمَّد، عن أبيه

(١) البيهقيّ، أحمد بن الحسين البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى: ٧/ ٦٥.

(٢) الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار: ٦/ ٦٠٨.

(٣) البيهقيّ، أحمد بن الحسين البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى: ٧/ ٦٥، ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٦٦.

محمَّد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحلُّ لأحد أن يُجنِب في هذا المسجد إلَّا أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ومَن كان من أهلي فإنَّهم منِّي**»[1].

الحديث الرابع: ما روي في تفسير الإمام عليه السلام، عن الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام في تفسيره عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله، في حديث سدِّ الأبواب، أنَّه قال: «**لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنبًا إلَّا محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والمتَجَبون من آلهم، الطيِّبون من أولادهم**»[2].

الحديث الخامس: روى الحرُّ العامليّ عن (عيون الأخبار)، وفي (المجالس) عن عليّ بن الحسين بن شاذويه، وجعفر بن محمَّد بن مسرور جميعًا، عن محمَّد بن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أبيه، عن الريَّان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام، في حديثٍ، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا إنَّ هذا المسجد لا يحلُّ لجنبٍ إلَّا لمحمَّدٍ وآله**»[3].

فظهر من خلال أحاديث المسجد النبويّ أن الله تعالى جعل للسيِّدة فاطمة الزَّهراء المكان العليّ في الدنيا قبل الآخرة، وأنَّها طاهرة مطهَّرة، وأنَّها هي المرأة الوحيدة التي نالت هذا الشرف من آل محمَّد، بأن جعل الله تعالى المسجد لها بيتًا ومأوى وحرم وأمان، وأنَّ ما يكون للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله يكون لها، وما يكون عليه يكون عليها، فكانت فعلًا هي أشرف مصاديق آل محمَّد في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد، التي أمرنا الله تعالى أن نصلِّي عليها حينما نذكر النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

(١) الصدوق (ت ٣٨١هـ)، الأمالي: ٤١٣.

(٢) الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة: ٢/ ٢١٠.

(٣) الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة: ٢/ ٢٠٧.

وإن قلت كيف لاح لك أن تربط بين حديث المسجد وبين الصلاة على محمَّد وآل محمَّد من جهة المصداق؟ فأقول: من خلال مصطلح الأهل التي تعني الآل، بحسب ما أثبتناه، فإنَّ حديث الصلاة المحمَّديَّة وحديث المسجد قد ورد في كِلَيهما مصطلح الأهل، وحينما سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن مصاديق الأهل وهم الآل؟ فقال صلى الله عليه وآله: **هم فاطمة وبعلها وبنيها**، فكانت مولاتي السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي مصداق آل محمَّد.

الخاتمة (أبرز النتائج)

١. بفضل الله تعالى ظهر لنا أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي كرَّمها الله تعالى بأن ضمَّها مع آل محمَّد، وجعلها من مصاديق أهل بيت النبيّ في التشريف والتعظيم والتبجيل.

٢. كما أظهرت الدراسة أنَّ الأهل والآل مصطلحان مترادفان في اللغة، ولهما أكثر من معنى واستعمال، إلَّا أنَّهما في اصطلاح الشريعة مخصوصان بأصحاب الكساء الخمس في اصطلاح الشريعة الإسلاميَّة، وهم فاطمة وبعلها وبنيها.

٣. لقد ظهر للبحث أنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد عبادة من العبادات الإسلاميَّة التي أمر الله تعالى بأدائها، وأوجب رسول الله تعالى التعبُّد بها، ثمَّ السنَّة المطهَّرة قد نبَّهت ونوَّهت وحذَّرت مَن يتركها أو يتهاون بها أو يبترها.

٤. لقد بان في الدراسة أنَّ الصلاة على محمَّد وآل محمَّد هي الطقس العباديّ، وهو النصُّ الدينيّ الذي له الفخامة والسيادة والقيادة والريادة والإدارة لأحوال الإنسان إلى أعلى مراتب الارتقاء، والحصول على أعلى مستويات النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

٥. لقد ظهر للبحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي أمرنا الله تعالى التعبُّد بذِكرها في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد من بين كلِّ نساء المسلمين.

٦. لقد تبيَّن للباحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي كانت موضوعًا لآية التطهير، وأنَّ الله تعالى خصَّها دون غيرها من النساء بهذا الشرف.

٧. لقد بان للباحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي مصداق آل محمَّد في الصلاة على محمَّد وآل محمَّد.

٨. لقد انكشف للبحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي ثقل النبيّ صلى الله عليه وآله الذي جعله الله تعالى عنوانًا لتمييز المؤمن من غير المؤمن؛ فمَن أحبَّها وأطاعها نجا، ومَن أبغضها وآذاها هلك.

٩. لقد ظهر لنا أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي عنوان قبول أعمال المسلم، وأنَّ طاعتها طاعة الرسول، وحبُّها حبُّ الرسول.

١٠. لقد ظهر للبحث أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء هي المرأة الوحيدة التي أمر الله تعالى أن يباهل بها رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران، مِن بين كلِّ نساء العالمين.

والحمد لله ربِّ العالمين على ما أنعم وتفضَّل.

مظانُّ البحث

* القرآن الكريم.

١. ابن حجر، أحمد بن حجر الهيتميّ المكّيّ (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه وقدَّم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، شركة الطباعة الفنيَّة المتَّحدة، الناشر: مكتبة القاهرة لصاحبها: عليّ يوسف سليمان، شارع الصنادقيَّة، ميدان الأزهر بمصر، ١٣٨٥/ ١٩٦٥م.

٢. ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٣. ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام المصريّ (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وفصل وضبط: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ١٤٠٤هـ.

٤. أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، طبعة مكتبة أهل البيت عليهم السلام، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م.

٥. البحرانيّ، السيِّد هاشم الحسينيّ البحرانيّ (ت١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، د.ت.

٦. البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ،

طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١/ ١٩٨١م.

٧. البكريّ الدمياطيّ (ت١٣١٠هـ)، إعانة الطالبين على حلِّ ألفاظ فتح المعين، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨. البهوتيّ، منصور بن يونس البهوتيّ الحنبليّ (ت١٠٥١هـ)، كشَّاف القناع، تقديم: كمال عبد العظيم العنانيّ، تحقيق: أبو عبد الله محمَّد حسن محمَّد حسن إسماعيل الشافعيّ، الطبعة الأولى، منشورات محمَّد عليّ بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤١٨/ ١٩٩٧م.

٩. البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: د. محمَّد ضياء الرحمن الأعظميّ، دار الخلفاء للكتاب الإسلاميّ، الكويت، ١٤٠٤هـ.

١٠. الترمذيّ، محمَّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١. الثعلبيّ (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، تحقيق: الإمام أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢. الجرجانيّ، الشريف عليّ بن محمَّد بن عليّ الحسين الحنفيّ (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٣. الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ)، الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

١٤. الحرُّ العاملي، محمَّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، مهر، قم، إيران، ١٤١٤هـ.

١٥. الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، الطبعة الثالثة، مكتبة أهل البيت عليهم السلام، ٢٠٠٨.

١٦. الرمليّ، محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد الرمليّ (ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الطبعة الأخيرة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧. الزبيديّ، محمَّد بن محمَّد مرتضى (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

١٨. السيِّد المرعشيّ (ت١٤١١هـ)، شرح إحقاق الحقِّ، تحقيق: السيِّد محمود المرعشيّ، الطبعة الأولى، مطبعة حافظ، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، ١٤١٨/ ١٣٧٦.

١٩. الشافعيّ، عليّ بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ المعروف ابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٠. الشاهروديّ، الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن عليّ النمازيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٨هـ.

٢١. الشعرانيّ، عبد الوهاب الشعرانيّ الشافعيّ (ت٩٧٣هـ)، كشف الغمَّة عن جميع الأمَّة، طبعة مصر، المطبعة الميمنية، ١٣٢٧هـ.

٢٢. الصدوق، أبو جعفر، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، تحقيق وترجمة: حميد رضا مستفيد وعليّ أكبر غفاريّ، الطبعة الأولى، مطبعة چاپ اختر شمال، نشر صدوق، ١٣٧٢ش.

٢٣. الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، ١٤١٧هـ.

٢٤. الصُّليبيّ، دكتور محمَّد علي الصُّليبيّ، فهم النصِّ على ضوء المصالح والمقاصد في الواقع المعاصر، مقدَّم للمؤتمر العلميّ المنعقد في رحاب الجامعة الأردنيَّة (مؤتمر النصوص الشرعيَّة) للفترة ٤-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

٢٥. الطبرانيّ، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفيّ، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقَّحة، دار إحياء التراث العربيّ، د.ت.

٢٦. العسقلانيّ، أحمد بن عليّ بن محمَّد بن حجر (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ عليّ محمَّد معوَّض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميَّة، بيروت ١٤١٥هـ.

٢٧. العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران (ت٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغويَّة، تحقيق: مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين، قم، إيران، ١٤١٢هـ.

٢٨. الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين،

تحقيق: الدكتور مهدى المخزوميّ الدكتور إبراهيم السامرَّائيّ، ط٢، مطبعة الصدر، إيران، ١٤١٠هـ.

٢٩. الفيروزآباديّ، محمَّد بن يعقوب الشيرازيّ (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، ط١، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، ١٣٠٦هـ.

٣٠. الفيروزآباديّ، محمَّد بن يعقوب بن محمَّد الشيرازيّ الفيروزآباديّ (ت٨١٧هـ)، الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر، تحقيق: يوسف الي بديوي، دار سماح للنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م.

٣١. القاضي النعمان المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٣٢. قلعجي، محمَّد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٣. القمِّيّ، عليّ ابن بابويه القمِّيّ (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا عليه السلام، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرَّفة، الطبعة الأولى، المؤتمر العالميّ للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدَّسة، شوَّال ١٤٠٦هـ.

٣٤. القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد علي جمال أشرف الحسينيّ، الطبعة الأولى، مطبعة أسوه، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

٣٥. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تعليق: عليّ أكبر غفاري، ط٥، مطبعة الحيدريّ، طهران، إيران، ١٣٦٣هـ.

٣٦. الكوفيّ، محمَّد بن سليمان الكوفيّ (ت ق٣هـ)، مناقب الإمام أمير

المؤمنين عليه السلام، تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، محرَّم الحرام، ١٤١٢هـ.

٣٧. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيِّد هداية الله المسترحميّ، الطبعة الثانية المصحَّحة، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

٣٨. مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.

٣٩. المشهديّ، محمَّد بن محمَّد رضا القمِّيّ المشهديّ (ت١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق: حسين درگاهيّ، الطبعة الأولى، نيمه شعبان ١٤٠٧، ١٣٦٦هـ، مؤسَّسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ.

٤٠. المصريّ، ابن منظور، أبو الفضل، محمَّد بن مكرم المصريّ (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.

٤١. المنسوب إلى الإمام العسكريّ عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام، الطبعة الأولى محقَّقة، مطبعة مهر، قم المقدَّسة، مدرسة الإمام المهدي عجَّل الله فرجه الشريف، قم المقدَّسة، ربيع الأوَّل ١٤٠٩هـ.

٤٢. النوريّ، الحسين بن محمَّد تقي الطبرسيّ (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٤٣. النيسابوريّ، أبي عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحَين، تحقيق: يوسف المرعشليّ، مكتبة أهل البيت الإلكترونيَّة، الإصدار الثاني، ٢٠٠٨.

٤٤. الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

إرث الزَّهراء عليها السلام في صحيحَي البخاريّ ومُسلم
(دراسة تحليليَّة)

الشيخ عبد المنعم العبد الله
أستاذ في جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع سوريا

ملخَّص البحث

مظلوميَّة الزَّهراء عليها السلام مقولة واضحة لاريب فيها عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، مدعومة من قِبَل المنصفين من المدرسة الأخرى، وذلك لما ورد من روايات صحيحة تحكي علوَّ مقام الزَّهراء عليها السلام وفضلها، وهو ما لا يقبل التشكيك أو التأويل، ولضعف تفسيرات فريق من جمهور مدرسة العامَّة، الذي لا يرى مظلوميَّتها مطلقًا حتَّى في حرمانها من إرثها من رسول الله! من جهة أخرى، بالإضافة إلى ما وثَّقه أصحاب السُّنن والصِّحاح في قضيَّة إرث الزَّهراء عليها السلام، حيث نقف عليها لنستخلص منها ردًّا شافيًا على إشكاليَّتَين متجذِّرَتَين لدى مدرسة العامَّة:

الأولى: ضرورة الإيمان بعدالة جميع الصحابة، وعدم تخطئتهم أو انتقادهم!.

الثانية: تعتيم جمهور مدرسة العامَّة على قضيَّة حرمان الزَّهراء عليها السلام من إرثها، ما حدا ببعضهم إلى إنكارها جملةً وتفصيلًا، أو تأويلها بما يتناسب وحصانة السَّلف الصالح من الخطأ والعتاب! والحال أنَّ تواترها بيِّن، وشيوعها بين الصحابة أمرٌ لا شكَّ فيه، حتَّى أنَّ أمَّات المصنَّفات التاريخيَّة والحديثيَّة ذكرت ذلك مكرَّرًا.

وتقرير الإشكاليَّة الأولى: قولهم ضرورة حفظ كيان الصحابة، وعدم هتك

عدالتهم، يصطدم بجملة من التناقضات، منها الانتقاص من عدالة الزَّهراء وعليّ والعبَّاس عليهم السلام، بعدم الأخذ بشهادتهم في مسألة المطالبة بميراثها من رسول الله، بُعيد رحيله صلى الله عليه وآله، وهم من كبار الصحابة وأهل البيت المكرَّمين أيضًا! ويتعارض مع صريح ما وثَّقه مسلم في صحيحه من تجاوز العبَّاس على الإمام عليّ عليه السلام متَّهمًا إيَّاه (بالكاذب والفاجر والمخادع)!! أمام عدَّة من الصحابة، بينهم الخليفة عمر، دون نكير من أحدهم! ثمَّ إنَّ عدم تصديق الزَّهراء وزوجها بما طالبا به من ميراث قد نحلها إيَّاه أبوها، وقد كان تحت تصرُّفها مدَّة بعد رسول الله، حتَّى أمر أبو بكر عاملها أن يخرج منها؛ لأجل مصادرتها! فهل مسألة عدالة الصحابة كانت غائبة عنهم! أم أنَّ الذين جاؤوا من بعدهم خُصُّوا بعلم دونهم!! أم أنَّ قاعدة العدالة تخصُّ الخلفاء الثلاثة دون غيرهم!! ولعلَّ استمرار هذا الفكر التناقضيّ إلى زماننا مردُّه إلى عدم القدرة على اقتحام العقبة بالتحلِّي بالموضوعيَّة الذاتيَّة وبيان أنَّ عدالة الصحابة لا تتجَّزأ، ولا بدَّ من العدالة عند الحكم بعدالتهم جميعًا حتَّى لو ثبت خطأهم!.

لقد نهى ربُّ العزَّة في محكم التنزيل عن اتِّباع مطلق سنَّة الأوَّلين، مستنكرًا على المشركين قولهم اتِّباعهم آباءهم بلا دليل: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾، فإنَّ ما حكَم به الأوَّلون بعزل الزَّهراء وبعلها عليهما السلام عن حقِّهما الإلهيّ في إدارة شؤون الأمَّة بعد النبيّ، سابقة أسَّست مسارًا عقديًّا راسخًا بعيدًا عن منهج القرآن وسنَّة المصطفى، فحكم المتقدِّمين بعده تخطئة أحد من الصحابة أو انتقادهم، وجعلها حسنة ثابتة يلزم اتِّباعها؛ ويضَلَّل من انتقدها من اللاحقين، أسَّس لما يُعرف بـ(سنَّة الغلبة) حفظًا لسيرة السَّلف الصالح، في مقابل سنَّة الله القائمة على ضرورة (اتِّباع الوحي لا الهوى)، متجاهلين القاعدة الذهبيَّة الإلهيَّة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

أمَّا تقرير الإشكاليَّة الثانية: بأنَّ ما طالب به الإمام عليّ والزَّهراء عليهما السلام من إرثٍ لها بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله باطل، وحجَّتهم أنَّ الأنبياء لا يورِّثون لا درهمًا ولا دينارًا، وأنَّ

ظاهر الآيات والروايات المطلقة مقيَّدة بحديث «ما تركناه صدقة»!!، لكنَّها مدفوعة بما ورد عن أهل بيت الوحي ومعدن العلم عليهم السلام، حيث إنَّ ما طالب به الإمام عليّ والزَّهراء والعبَّاس يمثِّل شهادة منهم بعدم ورود استثناء في حقِّ الأنبياء، هذا بالإضافة إلى احتجاج سيِّدة النساء عليها السلام بالأدلَّة القاطعة الخالدة، حيث بيَّنت أنَّ آيات القرآن تثبت توريث الأنبياء العلم والمال معًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، وما إصرار الزَّهراء وبعلها عليهما السلام على موقفهما، رافضين دعوى القوم، إلَّا دليل قاطع على أنَّهم أهل الحقِّ لا شبهة فيه؟ وإنَّ ما ورد في الصَّحيحَين من إقرار عليّ والعبَّاس من قبل عمر بحديث: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» لا يخلو من تناقض بيِّن، لو صحَّ النقل، لجهة أنَّه لا يستقيم من مِثل عليٍّ أن يعود للمطالبة بحقِّ الزَّهراء من الخليفة عمر بن الخطَّاب، بعدما طلبه والزَّهراء من أبي بكر من قبل! بل إنَّ عودة عليّ والعبَّاس بالمطالبة به قرينة قاطعة بخطأ أبي بكر، ويمكن مناقشة الرواية وفق احتمالين:

الأوَّل: لعلَّه وقع تحريف فيها بإضافة «ما تركناه صدقة»، وحذف لفظ «العلماء ورثة الأنبياء»، لورود لفظ آخر متَّفق عليه عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «**العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم**»، فرُوي بالمعنى، واستُغل لمنع أهل البيت عليهم السلام حقّهم الماليّ والرئاسيّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأصل صدور الرواية لبيان وجه الشَّبه بين العلماء والأنبياء من حيث اشتراكهما في مهمَّة التبليغ والدعوة إلى الله؛ طالبين الأجر منه وحده، فالأنبياء إنَّما يورِّثون الناس العلم دون المال، فتكون الرواية أجنبيَّة، وليست في وارد نفي توريثهم لذويهم الإرث السَّببيّ والنِّسبيّ.

الثاني: ما ذكره الرازي في تفسيره في سياق ما قصَّه الله من خبر وراثة يحيى لزكريَّا عليهما السلام، حيث إنَّه بعدما ساق أدلَّة المثبتين والنافين لوراثة الأنبياء الماليَّة، دحض الرأي بالتخصيص الفرديّ والنوعيّ، مرجِّحًا، بحسب الأدلَّة، القول بالإطلاق ليشمل مشروعيَّة توريث مصاديق متعدِّدة، منها الولاية على الأمَّة، فضلًا عن الأمور الماليَّة،

معقِّبًا على الحديث: «إنَّا معاشر الأنبياء لا نورث.. [ما تركناه صدقة]» بأنَّ الأولى أن يحمل ذلك على كلِّ ما فيه نفع وصلاح في الدين، وذلك بتناول العلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح، فإنَّ كلَّ هذه الأمور ممَّا يجوز توفُّر الدواعي على بقائها، ليكون ذلك النفع دائمًا مستمرًّا، مع أنَّه كان الأولى بالرازي التفصيل بأنَّ بعض ما يتركه النبيّ ويخلِّفه صدقة للأمَّة، وبعضه لذويه، بحسب سيرته.

الكلمات المفتاحيَّة: الحادثة، إرث الزَّهراء، رواية البخاري ومسلم، تحليل ونقد، عدالة الصحابة).

مقدِّمة البحث

التاريخ أحداث ووقائع وقصص، لا تُقرأ للتفكُّه والمتعة، بل للعبرة والاعتبار، وذلك بعد إجراء عمليَّة التفكُّر والسَّبر والتحليل القائم على أُسس علميَّة وموضوعيَّة، تنتمي إلى قاعدة إلهيَّة لا شرقيَّة ولا غربيَّة، يكاد زيتها يضيء الفكر والعقل والقلب؛ ليهتدي المرء به إلى الصراط المستقيم، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: ١١.

والحقُّ أنَّ الاعتبار مشروط بالخشية.. وهي خوف الوقوع بمكروه العذاب والتهلكة، يقول جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ النازعات: ٢٦.

وأمَّا تاريخنا الإسلامي.. فحافل بالأمجاد والصور الناصعة، وهو أمرٌ لا شكَّ فيه، ومع ذلك فهو لا يخلو من محطَّات ومواقف قاتمة تهزُّ ضمير الإنسانيَّة جرَّاء تلبُّس أبطالها بثوب العصبيَّة، وحبِّ الدنيا.. والحقُّ لا ينجو منها إلَّا من روَّض نفسه بمزيد من الخشية والارتباط بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، كي تشمله العناية الغيبيَّة من دركات النفس الأمَّارة بالسوء؛ ليرتقي إلى مقام النفس المطمئنَّة مرورًا بالنفس اللوَّامة، ولـمَّا كانت تلك المحطَّات لها من الارتباط الوثيق في تقويم فكرنا وسلوكنا ومعتقداتنا؛ فإنَّنا نقف مع إحدى تلك المحطَّات المؤلمة والمؤسفة نقدًا وتحليلًا، بغية تنوُّر الفكر بنور الحقيقة لا غير، ولا يقولنَّ امرؤٌ تلك أمَّةٌ قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تُسألون عمَّا كانوا يعلمون، فإنَّ معنى هذه الآية ليس كما يتوهَّم المتوهِّمون، بل هي

مرتبطة بما قبلها من الثناء على نبيِّ الله إبراهيم وبنيه، والتنويه بشأنهم، والتعريض بمن لم يقتفِ آثارهم من ذرِّيَّتهم، فبعض المغرورين قد ينتحل عُذرًا لأنفسهم فيقولون: نحن وإن قصَّرنا فإنَّ لنا من فضل آبائنا مسلكًا لنجاتنا، فذُكرت هذه الآية لإفادة أنَّ الجزاء بالأعمال لا بالاتِّكال[1].

والقضيَّة التي نحن بصددها ما زالت حيَّة لا تقبل الموت، تجري كما تجري الشمس والقمر، فأصل تحقُّقها وآثارها تُرخي بظلالها على واقع الأمَّة، بل الإنسانية عامَّة، حيث نرى خطَّ الظلم ومنهج الفساد السياسيّ والماليّ والثقافيّ والاجتماعيّ، قد بنى خيوطه العنكبوتيَّة بشكل متناسق؛ ليتغلغل في كافَّة ربوع الأرض؛ فكانت هذه الكلمات إنارةً من أفق التذكير المنطلق في فضاء الرحمة، بغية الوقوف مع الذات لحظة تأمُّل تنعكس في سلوكها؛ حيث يكون ذلك شرطًا لعناية الله والفوز برضاه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١.

قطب الحدث هو مسألة إرث الزَّهراء سيِّدة نساء العالمين، وبضعة النبيّ المختار صلى الله عليه وآله وريحانته، والتي أُخفِيت ظلامتها، ومُنع التحدُّث بها عبر العصور؛ لأنَّها تفجِّر أعماق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لتهزَّ أمجاد الظالمين، والطغاة المبطلين.

ظلامة الزَّهراء متشعِّبة الأطراف والجوانب، ونحن في هذا الموقف نريد تسليط الضوء على فرع منها، وهو مسألة إرث البتول من أبيها، بحسب ما رواه البخاريّ ومسلم؛ لنكشف ما جرى من الحقيقة التاريخيَّة، حيث جرى سجال حادٌّ مؤسف، وأخذٌ وَرَدٌّ بين الصحابة من جهة، والعلماء والمؤرِّخين من جهة أخرى؛ يعتصر قلب من يخشى، فكانت عناية الله أن مَن وثَّق ظلامة الزَّهراء عليها السلام وحرمانها من إرثها من والدها هم جمهور المسلمين على اختلاف مشاربهم وميولهم، بل ملأتْ هذه الحادثة كتب التاريخ والصِّحاح والمسانيد، حتَّى أصبحت من المسلَّمات، ما يجعل لها مزيدًا من الأهميَّة

(١) محمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٢٠.

والعبرة، والجدير بالذِّكر أنَّ الحادثة أخذت عنايةً خاصَّةً عند المدرسة الإسلاميَّة الأكبر عددًا، وكان في طليعتها صحيحَي البخاريّ ومسلم، وإن كانا قد ذكرا الحادثة بشكلٍ مقتضَب، ولأهميَّتهما عند أهل العامَّة آثرنا أن نقف على روايتَيهِما، حيث تبيِّنان منع أبي بكر وعمر فاطمة الزَّهراء عليها السلام البتول إرثها وحقَّها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أصل الحادثة؟ وما السبب في منعها وعليّ حقَّهما المالي؟ وما نتائجها على واقع الأمَّة؟.

الحادثة

أوَّلًا: ما وثَّقه البخاري في صحيحه

الواقع أنَّ الحادثة لا تخلو كتب التاريخ والمسانيد منها[1]، ونبدأ بعرض رواية البخاريّ:

«حدَّثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدَّثنا إبراهيم بن سعد عن صالح، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير: أنَّ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته: أنَّ فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر الصدِّيق، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: أن يُقسِّم لها ميراثها، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممَّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنَّ رسول الله قال: «لا نورِّث ما تركنا صدقة»، فغضبتْ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مُهاجرته حتَّى توفِّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها ممَّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، فدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل به إلَّا عملت به، فإنِّي أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ، فأمَّا صَدَقته بالمدينة، فدفعها عمر إلى عليّ وعبَّاس، فأمَّا (خيبر، وفدك) فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمْرُهما إلى من وليَ الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم»[2].

(١) البخاريّ، رقم الحديث ٣٠٩٣، ص٦٢٨، سنن أبي داوود، رقم الحديث ٢٩٦٥، سنن الترمذيّ، رقم ١٧١٩.

(٢) محمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاريّ، كتاب فرض الخُمس، ص٦٢٧-٦٢٨، سنة ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربيّ، رقم الحديث ٣٠٩٢-٣٠٩٣.

ثانيًا: ما وثّقه مسلم وغيره في صحاحهم

«حدَّثني عبد الله بن محمَّد بن أسماء الضُّبَعيُّ، حدَّثنا جُويريَّة عن مالك، عن الزُهريّ: أنَّ مالك بن أوس بن الحدثان حدَّثه، قال: أرسل إليَّ عمر بن الخطَّاب، فجئته حين تعالى النهار، قال فوجدته في بيته جالسًا على سرير، مُفضيًا إلى رُماله[1]، متَّكئًا على وسادة من أَدَم[2]، فقال لي: يا مالُ[3]! إنَّه قد دفَّ[4] أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم برضْخٍ[5]، فخذه فاقسمه بينهم، قال: قلت لو أمرتَ بهذا غيري؟ قال: خذه يا مالُ[6]! قال: فجاء يرفا[7]، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد[8]؟ فقال عمر نعم، فأذنَ لهم، فدخلوا، ثمَّ جاء فقال: هل لك في عبَّاس وعليّ ؟ قال: نعم، فأذنَ لهما، فقال: عبَّاس يا أمير المؤمنين، فاقضِ بيني وبين هذا الكاذب، والآثم الغادر الخائن، فقال: بعض القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقضِ بينهم[9] وأرِحهم[10]، قال مالك بن أوس: يُخيَّل إليَّ أنَّهم قد كانوا قدَّموهم لذلك،

(١) رماله: المراد السرير نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير. ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج١، ص١٥٨٣، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، سنة ٢٠٠٥.

(٢) وسادة من أدم: وسادة من جلد حيوان مأكول اللحم، والأدمة باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرهُ. ابن منظور، محمَّد بن كرم، لسان العرب، ج١، ص٦٣، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

(٣) ترخيم، أصلها يا مالك.

(٤) أي اقترب وصولهم إلينا.

(٥) الرضيخة: تُجمع على رضائخ، وهي العطيَّة القليلة، ولعلَّ سبب اعتذار مالك قلَّتها وحقارتها. معجم المدرِّسيّ، ص٤١٥، ط١، سنة ١٩٨٥م.

(٦) في البخاري (اقبضه أيُّها المرء).

(٧) هو حاجبه، كان اسمه يرفا.

(٨) هو سعد بن أبي وقَّاص على ما في البخاريّ.

(٩) هكذا الموجود والمثبت والصحيح (بينهما).

(١٠) الصحيح وأرحمها، والمذكور في البخاريّ (وأرح أحدهما من الآخر).

فقال عمر: اتَّئدا[1]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض! أتعلمون: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا نورِّث ما تركناه صدقة» قالوا نعم، ثمَّ أقبل على العبَّاس وعليّ فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض! أتعلمان أنَّ رسول الله قال: «لا نورِّث ما تركناه صدقة»، وقالا: نعم، فقال عمر: إنَّ الله تبارك وتعالى كان خصَّ رسول الله ﷺ بخاصَّة لم يَخصُص بها أحدًا غيره، قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الحشر: ٧- لا أدري.. أَقرأَ الآية التي قبلها أم لا؟[2]- قال فقسَّم رسول الله بينهما أموال بني النضير، فو الله! ما استأثر عليكم، ولا أخذها دونكم، حتَّى بقي هذا المال، فكان رسول الله يأخذ منه نفقة سَنَة، ثمَّ يجعل ما بقي أسوة المال، ثمَّ قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض! أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. ثمَّ نَشَد عبَّاسًا وعليًّا بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال: فلمَّا توفِّي رسول الله ﷺ قال أبوبكر أنا وليُّ رسول الله ﷺ، فُجِئْنا تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها!! فقال أبو بكر: قال: رسول الله ﷺ: «ما نورِّث ما تركناه صدقة» فرأيتماه كاذبًا آثمًا، غادرًا خائنًا!! والله يعلم إنَّه لصادقٌ بارٌّ، راشد، تابع للحقِّ، ثمَّ توفِّي أبوبكر، وأنا وليُّ رسول الله ﷺ ووليُّ أبي بكر، فرأيتماني كاذبًا آثمًا، غادرًا خائنًا!! والله يعلم أنِّي لصادق بارٌّ راشدٌ للحقِّ، فوَلِيتها، ثمَّ جئتني أنت وهذا، وأنتما جميع وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئتم[3] دفعتها إليكما، على أنَّ عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ، فأخذتماها بذلك. قال: أكذلك!؟، قالا: نعم، قال: ثمَّ جئتماني لأقضي بينكما، والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتَّى تقوم الساعة،

(١) اتَّئدا: أي تمهَّلا، وفي البخاريّ قال (تيدكم): (أي تمهَّلوا)، وهو الصحيح لأنَّ الخطاب للجماعة (عثمان وعبد الرحمن وسعد)، ولذلك قال مالك: (أنَّهم قد كانوا قدموا لذلك).

(٢) الكلام للراوي.

(٣) الصحيح شئتما، وذُكر في البخاريّ: جئتني يا عبَّاس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا- يريد عليًّا- يريد نصيب امرأته من أبيها، فلمَّا بدا لي أن أدفعها إليكما..

فإن عجزتما عنها فردَّاها إليَّ[1].

*****

تحليل الحادثة ومناقشة ما ورد فيها

عند النظر والتدقيق في الروايَتَين؛ يردنا تساؤلات وتحليلات نودُّ طرحها على الرأي العام، والباحثين من ذوي الألباب، وهي:

١. إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام طلبت إرثها من أبيها من أماكن ثلاث: خيبر، فدك، صَدَقَتهُ بالمدينة[2]، والمراد من إرثها بالمعنى اللغويّ قد يُطلق على عموم ما يملكه الوارث ممَّا يتركه المورث، سواء كان قبل موت المورث أم بعده وإن غلب الاستعمال على المعنى الثاني دون الأوَّل، وهو معنى قولهم: ورثه كابرًا عن كابر[3].

وهكذا ورثت الزَّهراء من أبيها العلم والمال قبل وفاته وبعده، وهو أحد معاني قول النبيّ: **فاطمة بضعة منِّي**، وهذا معنى (صَدَقته للزَّهراء بالمدينة)، حيث نحلها لها رسول الله قبل وفاته، وكان هو المتصرِّف بها مع ما يملكه من خيبر وفدك، بقرينة أنَّ عمر أعطى عليًّا وعبَّاسًا صدقة المدينة دون غيرها- حسب نص الرواية- وإن كان الدليل قائم على أنَّ جميع ما منعوها قد ملكته قبل وفاته صلى الله عليه وآله، فمن تلك الأدلَّة الصريحة ما رواه الطبرسيّ أنَّ الإمام عليّ عليه السلام جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد، فقال: **يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟**[4].

---

(١) ابن الحجَّاج، مسلم، صحيح مسلم، ص٧٤٧، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، رقم الحديث ٤٥٧٧، دار الكتاب العربيّ، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

(٢) هي من فيء بني النضير، صحيح البخاريّ، الحديث، رقم ٣٠٩٣.

(٣) راجع كتاب الصِّحاح لابن حمَّاد الجوهريّ، ج١، ص٢٩٥.

(٤) سمِّي ميراثها أيضًا، ممَّا ستحصل عليه بعد وفاته. الاحتجاج، أحمد، الطبرسيّ، ج١، ص١٣٤، والمجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، دار الخضراء، دار الأمير الخضراء، ص١٣٤-١٣٥، ط١، ٢٠٠٥م.

وللأسف! منعها أبو بكر جميع إرثها، خوفًا أن يزيغ عن أمر رسول الله! أي كي لا ينحرف عن مسار رسول الله صلى الله عليه وآله في ما كان يصنع بها من الإنفاق، وكأنَّه حُلَّ له ما حُلَّ للنبيِّ بلا فرق!! وأين مقام النبيّ من مقامه!؟ فرسول الله صلى الله عليه وآله له الحقُّ في التصرُّف بما يملك وتملكه ابنته، بل والمسلمون جميعًا، لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ الأحزاب: ٦، ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين**»[1].

٢. رواية البخاريّ عن عائشة تحكي خلاصة الحادثة دون تفصيل، بشكل أوضح ممَّا ذكره مسلم، لما فيها من الاضطراب، وقد بيَّنا تسليم عمر عليًّا وعبّاسًا صدقة المدينة دون خيبر وفدك، مدَّعيًا أنَّهما من حقِّ ولي الأمر!! فلمَ لم يفعل ذلك أبو بكر!؟ إن كان ذلك هو الحقّ، حيث منعها الجميع! أم أنَّ عمر له أن يجتهد بخلاف أبي بكر، وبخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣. رواية مسلم تُفصح عن تنازع على الإرث بين عليّ والعبَّاس بشكلٍ يُسقِط عدالة العبَّاس، فقد انهال على عليّ بأفظع وأقبح النعوت- أمام الخليفة وحاشيته- من الكذب الغدر الخيانة، من دون نكير منهم، وكأنَّ هذا مُباح عند التنازع!! ونتساءل ما الداعي لكلِّ هذا الهجوم؟ فنحن على ريب من وقوعه! فقد ذكر المؤرِّخون، غير البخاريّ ومسلم، الاختلاف بلا إساءة، حيث إنَّنا لم نجد لهذه الأوصاف من أثر ولا عين عند ذِكر الحادثة في كثير من المراجع الحديثيَّة المعتبرة[2].

٤. إذا كان النبيّ يتصرَّف بمال ابنته؛ فهل لأبي بكر هذه الخصوصيَّة فيسوِّغ له أن يقلِّد رسول الله بما فعل؟! أم أنَّه تعدٍّ على أملاك الغير بدون إذنه ورضاه؟! ثمَّ هب أنَّه اشتبه عليه الأمر بأنَّ الأنبياء لا يورِّثون المال! فما حال صَدَقة الزَّهراء بالمدينة؟

(١) مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ، صحيح مسلم، ج١، ص٤٩.

(٢) سليمان بن الأشعث السجستانّي، سنن أبي داوود، ج٢، ص٢١. راجع أيضًا: عبد الرحمن بن شعيب النسائيّ، السنن الكبرى، ج٣، ص٤٩.

كيف جوَّز لنفسه التصرُّف بها؟! ثمَّ هل الزَّهراء عليها السلام التي تربَّت في بيت الوحي وبيت العلم، وكانت هي وبعلها ممَّن أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، لا عِلم لهم بشأنهم الخاص من حال إرثهم من النبوَّة، فيذهبان ويطلبان حقَّهما على جهلٍ بأصل ذلك؟! وقد قال النبيّ بحق الزَّهراء: «**يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها**»[1]، ولم يكترث أبو بكر لهذا إلَّا عند مرضها، فاستُشهِدت وهي غاضبة عليه، وقد ذكرت الأخبار أنَّه ندم على ذلك، فإذا كان محقًّا فَلِمَ النَّدم؟![2].

ثمَّ إنَّه كيف يصرُّ عليّ بأن يطالب عمر بن الخطَّاب بحقِّه ممَّا منع أبو بكر؟! أغاب عنه ما تذرَّع به أبو بكر؟! وكأنَّ النبي حينما قال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومن أراد المدينة فليأتها من بابها**»[3]، يقول ذلك لمجرَّد المدح لا غير، وهل حكمة رسول الله تقتضي أن لا يُطلع ابنته (بضعته) على حقيقة إرثها منه؟! مع أنَّ الإرث من الأمور الشخصيَّة لدى الإنسان، وهو مجرى للحديث عنه بين الولد وأبيه والوالد وولده، ومن ثمَّ تخرج من بيتها جاهلة موضوع إرث النبوَّة وحكمه، لتسأله أن يقسِّم لها ميراثها، دون علم وإذن عليّ عليه السلام باب المدينة الذي يرشدها إلى الصواب! ثمَّ لو كان حديث لا نوِّرث يمنعها من إرثها، فلمَ تغضب الزَّهراء عليها السلام منهما، إلَّا أن نقول: إنَّ الزَّهراء عليها السلام عالمة غير معلَّمة حيث كانت على بيِّنة من أمرها، وغضبها في الحقيقة تعدَّى الحقَّ الماليّ والشخصيّ، ليكون حقيقته لله وفي الله، فالمطالبة بإرثها كان صرخة مدوِّية لأجل تقويم اعوجاج مسار الإسلام والمسلمين.

٥. طلب عليّ إرث فاطمة عليها السلام من أبيها باعتباره وريثها؛ فبَدا لعمر أن يعطي عليًّا

(١) عليّ المتَّقي الهنديّ، كنز العمال، ج١٢، ص١١٠.

(٢) محمَّد بن عبد الله بن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٠. ولقد صرَّح البخاريّ في الرواية محل البحث أنَّ الزَّهراء غضبت عليه وهجرته حتَّى توفِّيت.

(٣) أحمد بن عليّ ابن حجر العسقلانيّ، ج٦، ص٢٨٥.

بعضًا منه، بما شرط عليه بأن يعمل به ما كان يعمله رسول الله، حسب ما بيَّنته رواية مسلم، ولم يعطِه الباقي، كما صرَّح البخاريّ، مدَّعيًا أنَّ الباقي من حقِّ وليِّ الأمر؛ وهو إنَّما يكشف ما ذكرناه من أنَّ إرث الزَّهراء لا ينحصر بخصوص وفاة النبيّ على ما ادَّعاه أبو بكر في رواية البخاريّ.

٦. تقاضي عليّ والعبَّاس إلى عمر يدلِّل على أنَّ أصل كون الأنبياء يورِّثون أمرٌ مفروغ عنه، وأنَّ الاختلاف إنَّما كان في بيان مقدار الحصص المستحقَّة والأسهم الموزَّعة على الورثة، وهل يرث العم مع وجود البنت؟ فكان العبَّاس مصرًّا على أنَّه من الورثة الذين لهم حقًّا، ولذا قال عمر لهما: فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها[1].

٧. وجود طائفة من الآيات والروايات تعارض رواية أبي بكر، كقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ النمل: ١٦. هل هناك من أحد ينكر أن سليمان قد ورث مملكة أبيه؟ يقول وهبة الزحيليّ: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُودَ النبوَّة والعلم أو الملك[2]، وقد حمل الزحيليّ وغيره من أهل العامَّة الإرث هنا مجازًا لا حقيقة، حملًا على رواية أبي بكر «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث..»، وكأنَّ الرواية معصومة، والآية غير صريحة الدلالة؟ فقدَّموا رواية الآحاد المخالفة لتواتر القرآن وصريحه! ولرأي أجلَّاء الصحابة.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ عائشة وحفصة طالبتا بحقِّهما، فتراهما تطرقان باب عثمان للمطالبة بإرثهما من النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد روى شريك بن عبد الله في حديث رفعه «أنَّ عائشة وحفصة جاءتا عثمان حين نقص أمَّهات المؤمنين ما كان يعطيهنَّ عمر، فسألتاه أن يعطيهما ما فرض عمر، فقال: لا والله ما ذاك لكما عندي. فقالتا له: تأتنا ميراثنا من رسول الله من حيطانه [أي بساتينه]، وكان عثمان متَّكئًا فجلس، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام جالسًا

(١) راجع: عبد الرحمن النسائيّ، سنن المجتبى، ج٧، ص٨٥.

(٢) د. وهبة بن مصطفى الزحيليّ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٩، ص٢٢٧.

عنده، فقال: ستعلم فاطمة أيّ ابن عمٍّ لها اليوم: ألستما اللتَين شهدتما عند أبي بكر ولفَّقتما ومعكما أعرابيًا يتطهَّر ببوله مالك بن الحويرث من الحدَثَين، فشهدتم أنَّ النبيّ قال: إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة، فإن كنتما شهدتما بحقٍّ فقد أجزت شهادتكما على أنفسكما، وإن كنتما شهدتما بباطل، فعلى من شَهد بالباطل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقالتا له: يا نعثل والله لقد شبَّهك رسول الله صلى الله عليه وآله بنعثل اليهوديّ، فقال لهما: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ التحريم: ١٠»[1].

وأخرج ابن داوود وابن ماجة عن عامر عن سعد بن أبيه قال: مرضت عام الفتح حتَّى أشفيت [أي أشرفت] على الموت، فعادني رسول الله، فقلت: أي رسول الله إنَّ لي مالًا كثيرًا وليس يرثني إلَّا ابنة لي. أفأتصدَّق بثلثَي مالي ؟ قال: لا. قلت: فالشطر؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفون الناس، فكيف يأمر رسول الله بذلك ويترك ابنته، وهو يعلم ما ستلاقي من الظلم والاضطهاد؟ وقد ردَّت الزَّهراء الحديث الذي ادَّعاه أبو بكر بالأدلَّة والآيات المحكمة في خطبتها الغرَّاء التي قالت فيها: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريًا! أفعلى عمد تركتم الكتاب ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾، وقال فيما اقتصَّ من خبر زكريَّا: ﴿فهب لي من لدنك وليًا يرثني ويرث من آل يعقوب فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

---

(١) الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص٢٥٨، ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) محمَّد بن جرير الطبريّ، دلائل الإمامة، ص١٧.

ومن ثمَّ ما لحكمة من عدم توريث الأنبياء لذويهم من الأموال؟ هل توريثهم لا يناسب مقامهم وإخلاصهم؟ أم هو تعبير عن تعفُّفهم عن متاع الدنيا؟ ألم يبيِّن القرآن والسنَّة أنَّ الزُّهد كلُّ الزُّهد ليس بأن لا تملك شيئًا، بل أن لا يملكك شيء، فالمؤمن القويّ خير من المؤمن الضعيف، والمولى مَدحَ الأغنياء الذين ينفقون أموالهم في السرَّاء والضرَّاء سرًّا وعلانية، ولم يمدح الكسل والعجز وقلَّة الانفاق. فترجيح قول الزَّهراء وعليّ عليهما السلام باعتبارهما الأعلم بالشريعة بحسب الروايات عن النبيّ من جهة، ولما في روايَتَي البخاريّ ومسلم من تناقض ظاهر، حيث بيَّنت رواية مسلم عودة عليّ والعبَّاس إلى عمر أكثر من مرَّة، وأمَّا رواية البخاريّ فتُظهِر مراجعته لعمر مرَّة واحدة!.

إنَّ ظاهر لفظ إرث الأنبياء في القرآن لا يمكن رفع اليد عن عمومه في الجانب المادِّي والمعنويّ، ولا أقل من تساقط الروايات، فنرجع إلى ظهور الآية، وهي ممَّا لا شكَّ فيه ظاهرة صريحة الدلالة للإرث المادِّي والمعنويّ بلا فرق.

٨. لقد أعطى عمر بن الخطَّاب، بعد وفاة الزَّهراء، عليًّا صدقة المدينة «فيء بني النَّضير»، ولم يعطه شيئًا من خيبر وفدك على ما شرطه عليه، فهل لوليِّ الأمر عمر أن يحكم بخلاف سنَّة النبيّ وسنَّة أبي بكر، بحسب المدَّعى؟.

٩. ذكر البخاريّ ومسلم أنَّ عليًّا عليه السلام سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بأنَّه لا يورِّث، فلماذا لم يخبرها ويمنعها من الخروج؟ بل كيف يطالب هو به بعد وفاتها، وقد علم ما جرى بينها وبين أبي بكر؟ أم أنَّه ما كان يرضى بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فمرَّة يقرُّ أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: «لا نورِّث ما تركناه صدقة»، ومرَّة أخرى يقول: وكنَّا نرى لنا حقًّا من رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، ثمَّ يأتي يطلب ميراثها في خلافة عمر بن الخطَّاب في مدَّة تزيد عن السَّنتَين، لعمري إنَّه تهافت بيِّن لا يليق بمقام بيت النبوَّة وموضع الرسالة، بل بآحاد المؤمنين، فكيف يُنسَب له ذلك؟ وكأنَّه أمر عادي أن يصدر من باب مدينة علم

(١) الكتاب العربيّ، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

الرسول، وأقضى أصحابه، وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله من غير نكير منزلته، فقال: «**أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[1]. هذا غيضٌ من فيض، ولولا الاستطراد المخرِج عن جوهر البحث، لزدناكم بما فاضت به المصنَّفات على اختلاف مشاربها.

١٠. لـمَّا كانت قضيَّة الإرث من رسول الله صلى الله عليه وآله محلَّ جدل بين الصحابة، فكيف يكتفي أبو بكر بروايته ويُعرِض عن المنكرين، ولا يعبأ بالمخالفين، وفي طليعتهم أهل بيت النبيّ[2]، وقد صرَّحت عائشة بذلك الاختلاف فقالت: «اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه وآله فما وجدوا عند أحدٍ من ذلك علمًا، فقال أبوبكر: سمعت رسول الله يقول إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة»[3]. إمَّا أنَّهم قد اختلفوا فبيِّن، وإمَّا أنهَّم فقدوا العلم والعالم به ففيه تأمُّل كبير وتناقض! وذلك لما ورد في رواية مسلم، حيث صرَّحت بإقرار عليّ والعبَّاس ومن كان بالمجلس بصدور الرواية عن النبيّ، ولعمري إنَّه تهافت ما بعده تهافت، وهل يكون الاختلاف بين جماعة إلَّا عن علمٍ كلٌّ يدلي به أمام الآخر؟ والرواية تُناقض رواية ما ذكره مسلم آنفًا، حيث بيَّن الرسول ضرورة أن يعطى نساؤه وعمَّاله ممَّا ترك بعد وفاته.

١١. إنَّ عمر بن الخطَّاب عند محاجَّته عليًّا والعبَّاس، لم يعتمد إلَّا على ما فعله أبو بكر، مُثنيًا عليه وعلى نفسه، وهذا لا ينفع عند المحاجَّة، فالثناء على أنفسهما لا يُثبت صواب ما تفرَّد به أبو بكر من الرواية، وتبعه عليها عمر مؤيِّدًا من جهة، ومخالفًا له من جهة أخرى، وبالتالي لا يرتفع تلبثهما برأيهما ووقوعهما بالخطأ على أقلِّ تقدير.

(١) ذكر الحديث البخاريّ في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، ص٧٥٣، رقم الحديث ٣٧٠٦.

(٢) مع أنَّه ما كان يُقبَل عند جمع القرآن الكريم إلَّا بالبيِّنة- شاهدين عدلين- فلا يكتفي بمجرَّد وجدانه مكتوبًا. السيوطيّ، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٨٨، دار الحديث، سنة ٢٠٠٤.

(٣) المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، دار الأمير الخضراء، ص١٤٤، ط١، ٢٠٠٥م.

١٢. كيف تكون أموال رسول الله صلى الله عليه وآله الخاصَّة به تحت تصرُّف وليِّ الأمر؟ ولِـمَ لم يذْكر عمر الدليل على ذلك؟ وهل عمر مصداقًا واقعيًّا لولاية رسول الله؟ وقد تضافرت النصوص المتواترة بأنَّهم أئمَّة أهل البيت عليهم السلام هم مصداق أُولي الأمر بعد النبيّ[١]، وحديث النبيّ: «**إنِّي تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي**»[٢]، وإذا كان الإرث لوليِّ الأمر، فهل يحقُّ له أن يتصرَّف به كيف يشاء على خلاف الموازين الشرعيَّة؟.

١٣. لقد تألَّم الخليفتان من غضب الزَّهراء عليها السلام ومن هجرانها أكثر من ستَّة أشهر، وقد ماتت وهي غاضبة عليهما بعد أن حاجَّتْهما بالقرآن والسُّنة[٣]، حتَّى قال أبو بكر: «لا حاجة لي ببيعتكم، أقيلوني بيعتي»[٤]!! فهل لذلك سبب إلَّا أنَّه أقرَّ بظلمه لها، وأخذ ما ليس له؟.

١٤. عدم ردع عليّ فاطمة عليهما السلام دليل على أنَّها محقَّة، بل إنَّه قام نفسه بالمطالبة به بعد وفاتها؛ وما ذلك إلَّا إصرار منهما على موقف واحد إلى آخر حياتهما.

فمن الواضح الذي لا لبث فيه أنَّ الزَّهراء عليها السلام قد اغتُصِب حقُّها المالي الذي امتلكته زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليك ما ذكره الطبرسيّ في الاحتجاج:

رويَ أنَّ الإمام عليّ عليه السلام جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد، فقال: **يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها**[٥] **من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟** فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإنْ أقمت شهودًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها، وإلَّا فلا حقَّ لها فيه،

---

(١) راجع ما ذكره أصحاب الصِّحاح من أنَّ خلفاء النبيّ اثنى عشر كلُّهم من بني هاشم.

(٢) محمَّد بن عيسى الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٢٩.

(٣) راجع: خطبة الزَّهراء مع أبي بكر في مسجد رسول الله، المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، دار الأمير الخضراء، ص١٣٥، ط١، ٢٠٠٥م.

(٤) محمَّد بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢١.

(٥) سمِّي ميراثها باعتبار أنَّه من نصيبها بعد وفاته، وردًّا على مَن يمنعها إرثها بحجَّة الأنبياء لا يورِّثون.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام «**يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين؟**» قال: لا، قال عليه السلام: «**فإنْ كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثمَّ ادَّعيت أنا فيه، مَن تسأل البيِّنة؟**»، قال: إيَّاك أسأل البيِّنة، قال عليه السلام: «**فما بال فاطمة سألتها البيِّنة على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده ولم تسأل المسلمين بيِّنة على ما ادَّعوا شهودًا كما سألتني على ما ادَّعيتُ عليهم؟**»، فسكت أبو بكر، فقال عمر: يا عليّ دعنا من كلامك فإنَّا لا نقوى على حجَّتك فإنْ أتيت بشهود عدول، وإلَّا فهو فيء للمسلمين، لا حقَّ لك ولا لفاطمة.

فقال الإمام عليّ عليه السلام: «**يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟!** قال: نعم، قال عليه السلام: **أخبرني عن قوله** عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، **فيمَن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟**، قال بل فيكم، قال عليه السلام: **فلو أنَّ شهودًا على فاطمة الزَّهراء عليها السلام بفاحشة ما كنت تصنع بها؟** قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم على نساء العالمين! قال عليّ عليه السلام: **كنت إذًا عند الله من الكافرين**. قال ولِمَ؟ قال عليه السلام: **لأنَّك رددت شهادة الله وقبلت شهادة الناس عليها**[1]، **كما رددت حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله؛ أن جعل لها فدكًا، وزعمت أنَّها فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيِّنة على مَن ادَّعى واليمين على مَن أنكر**. فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضًا، وقالوا: صدق الله وعليّ»[2].

الدافع لمنع الزَّهراء إرثها ونتائجه

١. إنَّ منع الزَّهراء عليها السلام إرثها إنَّما كان مقصودًا من قبل الخليفَتَين، والحديث الذي ساقاه كان غطاءً على الأمَّة للوصول لمآربهما المتمثِّل بإحكام السيطرة السياسيَّة

(١) وفي هذا دليل على أنَّ مفاد آية التطهير عصمة أهل البيت عليهم السلام.

(٢) الاحتجاج، أحمد، الطبرسيّ، ج١، ص١٣٤، والمجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، دار الخضراء، دار الأمير الخضراء، ص١٣٤-١٣٥، ط١، ٢٠٠٥م.

والاقتصاديَّة، إلى غير ذلك؛ ليستتبَّ لهما الأمر، وإلَّا فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد إعطاء نسائه وعمَّاله بعده ممَّا ترك، وحرمان ابنته وبضعته الزَّهراء عليها السلام دون إخبارها!؟ فقد ذكر مسلم عن أبي هريرة أنَّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يقتسم ورثتي دينارًا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»[1]، سبحان الله، النبيّ يهتمُّ بنسائه وعمَّاله وينسى بضعته فاطمة!! ثمَّ إنَّ هذا الحديث يتعارض مع رواية أبي بكر «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقة».

ولقد أوضح ابن أبي الحديد المعتزليّ ذلك، فقال: «سألت ابن الفارقيّ مدرِّس المدرسة الغربيَّة ببغداد، وقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلمَ لمْ يدفع إليها أبوبكر فدك، وهي عنده صادقة، فتبسَّم ثمَّ قال كلامًا لطيفًا مستحسَنًا: لو أعطاها اليوم فدك لمجرَّد دعواها، لجاءت إليه غدًا وادَّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يمكن الاعتذار والموافقة؛ لأنَّه يكون قد سجَّل على نفسه أنَّها صادقة فيما تدَّعي كائنًا ما كان، من غير حاجة إلى بيِّنة وشهود»[2].

٢. ومن أهمِّ نتائج تلك السياسة أنَّها أسَّسا للمسلمين مسارًا ومنهاجًا خطيرًا ما زالت الأمَّة الإسلاميَّة تئنُّ منه، وهو: «ما أُرِيكم إلَّا ما أرى، فعليكم أن تطيعوا وتصبروا».

٣. إصرار الزَّهراء عليها السلام على غضبها يؤذِن بأمرٍ خطير، نستجير بالله.

٤. شرعنة الفساد الماليّ والإداريّ بحجَّة وليِّ الأمر، حيث نصَّبوا أنفسهم مصداقًا لموقع لا ينطبق عليهم، فكانت كلمة حقٍّ أُرِيد بها باطلًا.

---

(١) ابن الحجَّاج، مسلم، صحيح مسلم، ص٧٤٩، باب قول النبيّ: لا نورِّث من تركناه صدقة، دار الكتاب العربيّ، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

(٢) المدائنيّ، محمَّد بن محمَّد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤٦٨٦، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

نتائج وتوصيات

١. إنَّ من أخطر نتائج حادثة منع أبي بكر الزَّهراء عليها السلام إرثها من أبيها، أن ماتت وهي واجدة غاضبة على أبي بكر وعمر.

٢. إصرار الزَّهراء عليها السلام حتَّى وفاتها لَدَليل على صوابيَّتها، لذا ماتت مطمئِّنة، ولم ينفع القوم ندم بعد فوات الأوان، حيث قال: أقيلوني بيعتي.

٣. حكم توريث الأنبياء لذويهم مفروغ عنه، وإنَّما كان الاختلاف في الحجب والأسهم.

٤. إنَّما كان دافع منع الزَّهراء من إرثها الجانب السياسيّ والاقتصاديّ.

٥. ظهر في البحث تناقض واضح في تمسُّك القوم برواية عدم توريث الأنبياء للمال، حيث ظهر أن جوَّزوا ذلك لنساء النبيّ وعمَّاله دون ابنته فاطمة، وكأنَّ هناك مَن بيَّت قرارًا بمنعها بمسوِّغٍ شرعيٍّ ادَّعوه!.

٦. لم يكتفِ البخاريّ ومسلم من سرد تناقضات واضحة فيما ذهب إليه الخلفاء من منع البتول لميراثها، حتَّى أنهم ذكروا على لسان العبَّاس أشنع الإساءات في حقِّ أمير المؤمنين، وأمام الملأ من غير نكيرٍ يُذكَر.

٧. كان ردُّ الزَّهراء على أبي بكر كالصاعقة، حيث استدلَّت بالكتاب المحكم والروايات على بطلان مدَّعاه.

٨. إنَّ ما سنَّه أبو بكر في خلافته، خالفَ عمر بعضه بحجَّة أنَّه وليُّ الأمر، حيث ترك لعليّ التصرُّف بشروط في صدقة المدينة، دون أرض فدك وخيبر.

٩. نوصي الباحثين بالاطِّلاع أكثر حول الموضوع، فهذا غيضٌ من فيض.

١٠. البخاريّ ومسلم رجلان من البشر، يُصِيبان ويُخطِئان، فلا بدَّ من التوقُّف والتدبُّر عند مرويَّاتهما من خلال التحليل والنظر، ليظهر الغث من السمين.

١١. على الأمَّة أن تقرأ موروثاتها الإسلاميَّة قراءة تجديديَّة؛ لإظهار الحقائق، وإبطال ما كان زخرفًا من القول غرورًا.

١٢. العمل على بناء أسس الوحدة الإسلامية من خلال النقد البنَّاء، وعدم الإساءة لرموزها، فالله يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ الأنعام: ١٠٨.

والحمد لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. ابن حمّاد الجوهريّ، الصِّحاح.
٢. أحمد بن عليّ الطبرسيّ، الاحتجاج ، دار الكتاب العربيّ، رقم الحديث ٣٠٩٢-٣٠٩٣.
٣. جلال الدين السيوطيّ، الاتقان في علوم القرآن، دار الحديث، ٢٠٠٤.
٤. سليمان بن الأشعث السجستانيّ، سنن أبي داوود، دار الكتاب العربّي، رقم الحديث ٣٠٩٢-٣٠٩٣.
٥. عبد الرحمن بن شعيب النسائي، سنن المجتبى.
٦. عبد الرحمن بن شعيب النسائيّ، السنن الكبرى.
٧. عليّ المتّقيّ الهنديّ، كنز العمّال.
٨. الفضل بن شاذان، الإيضاح.
٩. المجمع العالميّ لأهل البيت، أعلام الهداية، دار الأمير الخضراء، ط١، ٢٠٠٥م.
١٠. محمّد ابن إسماعيل، صحيح البخاريّ، كتاب فرض الخمس، سنة ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربي، رقم الحديث ٣٠٩٢-٣٠٩٣.
١١. محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير.
١٢. محمّد بن أبي الحديد المدائنيّ، شرح نهج البلاغة ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت، لبنان ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٣. محمَّد بن عبد الله بن قتيبة الدينوريّ، الإمامة والسياسة.

١٤. محمَّد بن عبد الله، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، منشورات الرضيّ.

١٥. محمَّد بن عيسى الترمذيّ، سنن الترمذيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦. محمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مؤسَّسة للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٤م.

١٧. مسلم ابن الحجَّاج، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب حكم الفيء، رقم الحديث ٤٥٧٧، دار الكتاب العربيّ، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

١٨. د. وهبة بن مصطفى الزحيليّ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.

الأحاديث الموضوعة في زواج الزَّهراء عليها السلام في مصادر مدرسة الصحابة دراسة نقديَّة

الدكتور الشيخ ميثاق عبَّاس الخفاجيّ
الجامعة الإسلاميَّة في بابل/ قسم الدِّراسات القرآنيَّة واللغويَّة

ملخص البحث

إنَّ الوضع في الحديث الشريف مسألة تاريخيَّة وحقيقة واقعيَّة، قد أثبتها البحث العلميّ في علم الدراية والحديث الشريف، وظهرت آثارها في المنظومة الإسلاميَّة من الفقه، والتفسير، والأخلاق، وأحاديث المناقب، وانعكس على تأسيس العقيدة الإسلاميَّة، ولا يزال البحث والتحقيق قائمًا لدى علماء الحديث فيها، ولاسيما في مدرسة الصحابة؛ لكثرة وجود الأحاديث الموضوعة في مصنَّفاتهم الحديثيَّة.

ومن الأحاديث التي تتبَّعها الباحث وناقشها في مصادر مدرسة الصحابة، أحاديث وُضِعت عن سيِّدةِ نساءِ العالمين فاطمة الزَّهراء بنت خاتم الأنبياء محمَّد بن عبد الله عليهما السلام، ونُسِبت إليها؛ لتقليل شأنها الإسلاميّ، ومقامها الإلهيّ، الذي وضعها الله تعالى فيه، ومن نفي عصمتها.

ومن هذه الأحاديث أحاديث متعلِّقة بزواجها، ورضاها به وعدمه، وأخلاقيَّاتها الزوجيَّة مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وغيرها ممَّا يتعلَّق بزواجها عليها السلام.

وقد كشف الباحث خطورة هذه الأحاديث التي يتناقلها بعض علماء

مدرسة الصحابة، ويرون صحَّتها، مع كونها مخالفة لظاهر القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة.

ودعا الباحث إلى أهميَّة تتبُّع أحاديث أهل البيت عليهم السلام في مصادر مدرسة الصحابة، ودراستها دراسة علميَّة نقديَّة، وتمحيص الصحيح منها عن غيره.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة على محمَّدٍ وآله الطاهرين.

المُقَدِمةُ

جاءتْ رواياتُ زواجِ السيِّدةِ فاطمةَ الزَّهراءعليها السلام من حيثُ أخذ رضاها وعدمِهِ، في مصادِرِ مدرسةِ الصَّحابة مختلفةٌ ومتعارضةٌ، ويرجعُ ذلك لأسباب منها الوضعُ والاختلاقُ في الحديث كذبًا على السَّيِّدةِ الطَّاهرةِ، وهذا البحثُ هو دراسةٌ دَلاليَّة لكشف الأحاديث المُوضُوعَةِ عَليها أو نفيِّها، وقد وسمته بـ(الاحاديث الموضوعة، في زواج الزَّهراءعليها السلام في مصادر مدرسة الصحابة دراسة نقديَّة).

وجَاءَ البحثُ في نَقْدِ الأحاديث الَّتِي لا تُناسِبُ مَقَامَ السيِّدةِعليها السلام، وقَدْ حَاوَلَ البَاحثُ إثباتَ بطلانِها، وكونِها موضوعةً أو عَدمِهِ بطريقةِ تصحيحِ السَّندِ وَتَضْعِيفْهِ عَنْ طريقِ دَلالةِ المَتْنِ، وبالقَرائنِ الخارجيَّةِ والشَّواهدِ الحَديثيَّةِ الَّتِي تُثْبتُ بُطلانَها أو صِحَّتَها.

وقد رَكَّزَ الباحثُ على دَلالةِ الحديثِ دون سَندِهِ؛ لانَّ البحثَ يطولُ في النقد السَّنَديّ، وَلذا تركناه إلَّا عِنْدَ الضَّرُورةِ.

وَقَدْ وِضِعَ البَحْثُ فِي مَطَالِبِ عِدَّةٍ: المطلبُ الأوَّل مِنْها في بيانِ نشأةِ الوضعِ في الحديثِ الشَّريفِ، وطرقِ كَشفهِ وحُكمِهِ، وجاءَ المطلبُ الثَّانِي في بيانِ ولايةِ الرَّسُولِصلى الله عليه وآله في زواجِ الزَّهراءعليها السلام، وكان الثالثُ في: نفيِّ وَعْدِ الرَّسولِصلى الله عليه وآله لعليِّعليه السلام بالزواجِ، وجاءَ الرابعُ في بين: التّزويجُ الالهيّ للزهراءِعليها السلام لا ينافي اختيارها، وجاءَ الخامسُ في: نفي بكاءِ الزّهراءعليها السلام لعدمِ استئذانِها في الزّواجِ. ثم خاتمةٌ بنتائجِ البحثِ والتّوصِياتِ.

المَطلبُ الأوَّل

نشأةُ الوضْعِ في الحديثِ الشَّريف وطرقُ كَشفِهِ وحُكمِهِ

أوَّلًا: نشأةُ الوضعِ في الحديثِ الشَّريفِ

إنَّ الوضعَ في الحديثِ الشَّريف حقيقةٌ ثابتةٌ في تاريخِ السنَّة المطَّهرةِ قد وقع في زمنِ رسولِ الله محمَّدٍ صلى الله عليه وآله حتى قام خطيبًا في ذلك واوعد النارَ على المُكذِّبين عليه، فقد روى عَلِيُّ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ القُمّيّ بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أَنَّهُ قال: «**وَقَدْ كُذِّبَ عَلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله عَلى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِّبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ**»(١).

وجرى الوضع على أهل البيت عليهم السلام وفي أحاديثهم، وقد حذَّروا من الوضعَين حتَّى قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ صَادِقُونَ لَا نَخْلُو مِنْ كَذَّابٍ يَكْذِبُ عَلَيْنَا فَيُسْقِطُ صِدْقَنَا بِكَذِبِهِ عَلَيْنَا عِنْدَ النَّاسِ**»(٢).

وقد أسَّسَ الإمامُ الصَّادق عليه السلام طريقةً لمعرفةِ الحديثِ الموضوعِ، فقد روى هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «**لَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا حَدِيثًا إِلَّا مَا وَافَقَ الْقُرْآنَ وَ السُّنَّةَ أَوْ تَجِدُونَ مَعَهُ شَاهِدًا مِنْ أَحَادِيثِنَا الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ لَعَنَهُ اللهُ دَسَّ فِي كُتُبِ أَصْحَابِ أَبِي أَحَادِيثَ لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا أَبِي، فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا مَا خَالَفَ قَوْلَ رَبِّنَا تَعَالَى وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله فَإِنَّا إِذَا حَدَّثْنَا قُلْنَا قَالَ اللهُ عز وجل، وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله**»(٣).

(١) الكلينيّ، الكافي: ١/ ١٥٨.
(٢) الكشِّيّ، اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشِّيّ): ١/ ٣٠٥.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٣٠٥.

ورُوي عن الإمام الرِّضا عليه السلام أنَّه قال: «..**فَلَا تَقْبَلُوا عَلَيْنَا خِلَافَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّا إِنْ نَحَدَّثْنَا حَدَّثْنَا بِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ وَمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ إِنَّا عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ نُحَدِّثُ، وَلَا نَقُولُ قَالَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَيَتَنَاقَضَ كَلَامُنَا، إِنَّ كَلَامَ آخِرِنَا مِثْلُ كَلَامِ أَوَّلِنَا، وَكَلَامَ أَوَّلِنَا مُصَادِقٌ لِكَلَامِ آخِرِنَا، فَإِذَا أَتَاكُمْ مَنْ يُحَدِّثُكُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَرُدُّوهُ عَلَيْهِ وَقُولُوا أَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا جِئْتَ بِهِ! فَإِنَّ مَعَ كُلِّ قَوْلٍ مِنَّا حَقِيقَةً وَعَلَيْهِ نُورًا، فَمَا لَا حَقِيقَةَ مَعَهُ وَلَا نُورَ عَلَيْهِ، فَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ**»[1].

وتؤكِّدُ مصادرُ مدرسةِ الصَّحابةِ على وِجُود الوضعِ في الأحاديثِ، واعترافَ الوضَّاعينَ بذلك، فقد ذَكَرَ ابنُ الجزريّ: «**إنَّ بعضَ أهْلِ الضَّلال كان يقولُ انظروا إلى هذهِ الأحاديث عمَّنْ تأخذونها، فإنَّا كنَّا إذ رأينا رأيًا وضعنا له حديثًا، وقد صَنَّفَ جماعةٌ منَ العلماءِ كتبًا في الأحاديثِ الموضوعةِ**»[2].

فالوضع في الحديث الشريف متحقِّقٌ وثابتٌ لا غبارَ عليه، باعترافِ علماءِ المسلمين، ولا شكَّ أنَّ ذلك يقتضي تمحيصَها وتحقيقَها واستخراجَها وبيانَها لأهلِ العِلمِ؛ للحذرِ منها في مِقَامِ الاستدلال والاستشهاد.

ثانيًا: تَعريفُ الحديثِ المُوضوعِ

الموضوعُ لغة: قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): «وضع: الوَضْعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وضَعَه يَضَعُه وَضْعًا ومَوْضُوعًا»[3]. والموضوع، اسم مفعول، وهو في اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعًا، إذا حطَّه وأسقطه. أو مِن وضعت المرأة ولدها إذا ولدته، ووَضَعَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ افْتَرَاهُ وكَذَبُه، فَالْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ[4].

(١) رجال الكشِّيّ: ١/ ٣٠٥.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٣٠/ ٤١٤.
(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٨/ ٣٩٦.
(٤) ظ: الفيُّوميّ، المصباح المنير: ٣٤١.

الحديثُ المُوضوعِ اصطلاحًا: «وهو المَكذوب المُختَلَق المَصنوع»[1]، وإطلاق التَّعريف من دون تقييده برسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنعُ من اختصاص الوضع على رسولِ الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة المعصومين الاثني عشر عند الإماميَّة، ومعهم أمُّهم الصِّدِّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ لأنَّهم المصدرُ الثَّاني للتشريع.

نعم عند مدرسة الصَّحابة يَرَونَ أنَّ التَّعريف ينصرف إلى خصوص رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يمنعُ شمولَهُ على مَنْ بعدِهِ من الصَّحابة والتَّابعين.

والمناسبة بين المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ هي الحَطُّ، والإسقاط، وعدمِ الرفعِ والاعتبارِ في مثل هذه الأحاديث؛ لعدمِ القيمة العلميَّة لها؛ لأنَّها ليستْ بحقٍّ وكذبٍ واختلاقٍ، وإنْ كان على غَيْرِ المعصومِ عليه السلام كالصَّحابة والتَّابعين وغيرِهم.

ثالثًا: طرقُ معرفةِ الحديثِ المُوضوعِ

ذكر علماءُ الحديثِ مجموعةً منَ الطُرقِ الَّتي تكشفُ الاحاديثَ الموضوعةِ على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنها[2]:

الأوَّل: اعترافُ الواضعِ بالوضعِ: ومع ذلك لا يُقبلُ حديثَهُ مطلقًا.

الثَّاني: اعترافُ علماءِ الرِّجالِ مِنْ أهلِ الورعِ والتَّقوى وصحَّةِ العقيدة بكون المُحَدِّث من الوضَّاعين.

الثَّالث: اشتمالُ الحديث على المجازفاتِ الَّتي لا يمكنُ صدورُها عن المعصومِ عليه السلام، كشَتْمِ السَّيِّدة الزَّهراء عليها السلام لزوجةِ رسولِ الله عائشة.

الرَّابع: أنْ لا يُشْبهُ الحديثُ كلام الأنبياءِ فضلًا على كلام الرسول صلى الله عليه وآله، الذي هو وحيٌّ يوحى، ولا يُشبه كلامَ الائمَّةِ عليهم السلام أو الصَّحابةِ المنتجَبين، كأحاديثِ فضائل

(١) الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية: ١٥٢.

(٢) ظ: الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية: ١٥٢، نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث: ٢٧٠.

الخضروات والأزهـار، وأحاديث الحنَّاء وفضلهِ والثَّناء عليه، إلَّا الخضاب بالحنَّاء والكتم، فهي مستحبَّة للنصوص الصَّحيحة.

وأمَّا نحن فسنتَّبعُ طريقةَ كشفِ الحديثِ الموضوعِ من طريقَين:

الأوَّلُ: من حيثُ دلالته في موافقته لأصول المذهب: وهي القول بعصمة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، واستحالة صدور ما ينافي العصمة.

الثاني: من حيث تصحيح السند وتضعيفه بالمتن: وهي الطريقة التي تعتمد على عرض الحديث على القرآن والسنَّة المطهَّرة.

رَابعًا: حكم الحديث الموضوع

اختلف علماء الحديث في الحكم على الحديث الموضوع من جهة ذِكره في كتب الأخبار أو الاستدلال به أقوال:

الأوَّل: ذهب الشيخ حسين بن عبد الصمد (ت ٩٨٤هـ) إلى القول بحرمة روايته مع العلم به، من أيِّ الأقسام كان، إلَّا مع البيان، وهو شرُّ الأحاديث[1]، وهذا الرأي يذهب إلى تطهير المصادر الحديثيَّة منها وهجرها وإتلافها؛ لكونها ليست نصوصًا شرعيَّة حقيقيَّة.

الثَّاني: الإبقاء على هذه الأحاديث الموضوعة في مصنَّفاتها باعتبار لها قيمة تاريخيَّة، وإن لم تكن لها قيمتها الدينيَّة والتشريعيَّة، و لها في نظر بعض الباحثين والمؤلِّفين في الحياة العقليَّة في الإسلام قيمتها العلميَّة، فهي تدلُّ على ثقافة العصر، وأفكار أهله، وتلاقح الثقافات وتأثير بعضها في بعض؛ لأنَّ الذي وضعها ونسبها لهؤلاء لم يكن خارجًا عن البيئة، ولا منعزلًا عن روح العصر، وإنَّما كان مؤثِّرًا ومتأثِّرًا[2].

(١) الصدر، حسين هادي الكاظميّ، نهاية الدراية: ٣٠٩.

(٢) أبو شهبة، محمَّد، الإسرائيليَّات والموضوعات في كتب التفسير: ٩.

الثَّالث: الإبقاء على هذه الموضوعات مع نقدها من جهة العقل والنقل، وبيان أنَّها دخيلة على الإسلام، ومدسوسة، وبيان مصدرها الذي جاءت منه، وتأليف الكتب ونشرها نشرًا موسَّعًا[1].

والذي يراه الباحثُ هو القول الثالث؛ لكونه سيحفظ تراثًا حديثيًّا ورجاليًّا ينفع في تأسيس علم الجرح والتعديل، وبيان حجيَّة قول رجال الحديث من حيث الوثاقة وعدمها، وإثبات أسماء الوضَّاعين، وتحدِّد مواطن الوضع في الحديث الشريف؛ ليساعد طلبة العلم تحديد مواطن الوضع والتَّدليس في الحديث الشريف، والتمييز بين الصحيح والموضوع.

(١) أبو شهبة، محمَّد، الإسرائيليَّات والموضوعات في كتب التفسير: ٩.

المطلب الثَّاني

ولاية الرسول صلى الله عليه وآله في زواج الزَّهراء عليها السلام

جاء الإسلام نظامًا للبشريَّة ولحياة الاستقراء على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، ومتضِّمنًا لأصول العدالة والحريَّة، ومنها تنظيم حياة الأسرة، وإثبات العلاقة الزوجيَّة على أساس حريَّة الاختيار بين الزوجَين، وقد أعطى الولايَّة للأب في صحَّة زواج البكر مع رضاها، وهو بذلك يُعطي الاشتراكَ والموافقة بين الوَليِّ والبنتِ، وما ذلك إلَّا لإثبات حريَّة الاختيار لبناء أسرة قائمة على أساس الاختيار الصحيح، وقد أجمعت المذاهب الإسلاميَّة على لزوم موافقة وليِّ البكر في زواجها، سواء كان الأب أو الجدّ، ولا ولاية لأحدٍ غيرهما عليها؛ للنصوص المتواترة في ذلك، ومنها: رويَ عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**لَا يَنْقُضُ النِّكَاحَ إِلَّا الْأَبُ**»[1]، وروى الكلينيّ بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، قَالَ:سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضا عليه السلام عَنِ الصَّبِيَّةِ يُزَوِّجُهَا أَبُوهَا، ثُمَّ يَمُوتُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ، فَتَكْبَرُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا زَوْجُهَا: أَيَجُوزُ عَلَيْهَا التَّزْوِيجُ، أَوِ الْأَمْرُ إِلَيْهَا؟ قَالَ: «**يَجُوزُ عَلَيْهَا تَزْوِيجُ أَبِيهَا**»[2].

وروى الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الصَّلْتِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنِ الْجَارِيَةِ الصَّغِيرَةِ يُزَوِّجُهَا أَبُوهَا: أَلَهَا أَمْرٌ إِذَا بَلَغَتْ؟ قَالَ: «**لَا، لَيْسَ لَهَا مَعَ أَبِيهَا أَمْرٌ**»، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِكْرِ إِذَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ: أَلَهَا مَعَ أَبِيهَا أَمْرٌ؟ قَالَ: «**لَا، لَيْسَ لَهَا مَعَ**

(١) وسائل الشيعة: ٢٠/ ٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠/ ٢٧٥.

أَبِيهَا أَمْرٌ مَا لَمْ تَكْبَرْ»[1]، وهذه الأخبار الشريفة يُستدلُّ بعمومها على لزوم إذن الوليّ في تزويج البِكر، وأنَّ له الولاية عليها.

هذا في مُطلق الأولياء على بناتهنَّ من الأبكار، ألَّا أنَّ هذا العموم لا ينطبق على ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله على السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مسألة تزويجها، فإنَّها خارج تخصيصًا للأدلَّة المتواترة في أنَّ أمر تزويجها عليها السلام بيد الله تعالى، وليس بيد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كانت له الولاية ثابتة على جميع المؤمنين والمؤمنات، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**﴾ (الأحزاب: ٣٦).

ومن أدلَّة التخصيص بخروج ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله عن ابنته السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مسألة الزواج فقط، ما رواه الكلينيّ بسندٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَتَزَوَّجُ فِيكُمْ وَأُزَوِّجُكُمْ، إِلَّا فَاطِمَةَ عليها السلام فَإِنَّ تَزْوِيجَهَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ**»[2]، وروى الخوارزميّ أنَّ أبا بكر قال: «قد خطبها الأشراف من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: **إنَّ أمرها إلى ربِّها، إن شاء أن يزوِّجها زوَّجَها**»[3].

والذي يظهر من أحاديث تزويجها عليها السلام أنَّ الله تعالى قد اصطفاها من دون نساء العالمين في كلِّ شيء حتَّى في التزويج، وهذا لعظيم منزلتها عند الله تعالى، ولبيان فضلها وعلوِّ شأنها، ولا تعني خروج ولاية الرسول صلى الله عليه وآله عن ولايته المطلقة على ابنته سيِّدة نساء العالمين، وإنَّما الإطلاق باقٍ إلَّا في مورد تخصيص التزويج الذي كان من مختصَّات قانون الاصطفاء الإلهيّ.

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٠/ ٢٧٦.

(٢) الكليني، الكافي: ٥/ ٥٦٨.

(٣) المناقب: ٣٤٤.

المطلب الثالث

نفي وعد الرسول صلى الله عليه وآله للإمام عليٍّ بالزَّواج

جاءت بعضُ الأحاديث في مصادر مدرسة الصَّحابة تذكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وَعَدَ الإمام عليّ عليه السلام بتزويج الزَّهراء عليها السلام له قبل أن ينزل الأمر الإلهيّ بالتزويج، فقد روى ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) بسنده عن مُوسَى بْنُ قَيْسٍ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ: «سَمِعْتُ حُجْرَ بْنَ عَنْبَسٍ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَاطِمَةَ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**هِيَ لَكَ يَا عَلِيُّ، لَسْتُ بِدَجَّالٍ**»، يَعْنِي لستُ بكذَّابٍ، وذلك أنَّه قد كان وَعَدَ عَلِيًّا بِهَا قَبْلَ أَنْ يَخْطُبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[1]، ورواه في مجمع الزوائد، وقال: «رجاله ثقات»[2].

أدلَّةُ وضع الحديث

إنَّ دعوى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله قد أعطى كلمةً ووعدَ عليًّا بتزويجه للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام حديثٌ لا يصمدُ أمامَ النقدِ من حيثُ السَّند والدلالة.

فأمَّا من حيثُ السَّند، فقد قال بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعةٌ من علماء مدرسة الصَّحابة، كالعقيليّ (ت ٣٢٢هـ)، وابن الجوزيّ (ت ٦٥٤هـ)، والسيوطيّ (ت ٩١١هـ)، فقد ضعَّفوا موسى بن قيس الحضرميّ، وحُجْرُ بنُ عَنْبَس.

أمَّا الحضرميّ[3] فقال عنه العقيليّ: «موضوعٌ، وموسى من الغلاةِ في

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ١٩.

(٢) ظ: الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٩/ ٢٠٤.

(٣) وثَّقه الكثير من رجال الجرح والتعديل كابن أبي حاتم الرازي وأبو حاتم ابن حبَّان البستيّ=

الـرفـضِ»[1]، ويقصدُ به موسى بن قيس الحضرميّ، وقـال ابـن الجـوزيّ: «هَـذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ وضعه مُوسَى بن قيس، وَكَانَ من غلاة الروافض ويُلقَّب عُصْفُور الْجَنَّة»[2].

وأمَّا حُجْرُ بنُ عَنْبَس فقال عنه اِبْنِ عَبْدِ البَرِّ (ت ٤٦٣هـ): أسلمَ ولم يسمعْ ويرَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله[3]، وعدم سماعه بمعنى وضع الحديث عليه صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه لم يذكر الواسطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمَّا من حيث الدَّلالة: فقد اختلف في دلالة الحديث على المعنى الحقيقيّ بسبب الاختلاف في مرجع الضمير، وهو (التاء)، هل استعمل للمتكلِّم صلى الله عليه وآله أو استعمل للمُخَاطَبِ أي للإمام عليّ عليه السلام؟.

وعلى قراءة عود للضمير للمخاطب اتَّهمَ ابنُ الجوزيّ الحديثَ بالوضع؛ لأنَّ فيه تعريضًا بأبي بكر وعمر وعثمان في قوله صلى الله عليه وآله: «**لستَ بدجَّال**»، بأنَّه طعن بصاحبيه، وعَرَّضَ بالشَّيخَين بأنَّهما دجَّالَين ولا يصلحان لتزويج فاطمة، ولا للإمامة بالضرورة، ولذا هاجتْ حميَّةُ ابنِ الجوزيّ لابطاله بمجرَّد إشعاره بالتَّعريض[4].

محاولات توجيه الحديث وتصحيحه

حاول بعض العلماء تصحيح متن الحديث بتوجيه دلالته من خلال بِنْية الكلمة وحركة تاء (لستُ)، فقد حاول ابن سعد، والبزَّار جعل التاء في كلمة (لستُ) للمتكلِّم، فقال: «وذلك أنَّه كان قد وعد عليًّا بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر

=وأبو نعيم الفضل بن دكين وابن حجر العسقلانيّ، ويحيى ابن معين والذهبيّ.ظ: الذهبيّ، ميزان الاعتدال: ٤/ ٢١٧.

(١) العقيليّ، كتاب الضعفاء: ٤/ ٦٥.

(٢) ابن الجوزيّ، كتاب الموضوعات: ١/ ٣٨٢.

(٣) ظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٣٣٢.

(٤) ظ: دلائل الصدق لنهج الحقِّ: ٦/ ١٩٣.

وعمر»[1]، فيكون المخاطب الإمام عليّ عليه السلام، وأنَّه صلى الله عليه وآله لا يخلف وعده.

وروى العقيليّ (ت ٣٢٢هـ) الحديث بصياغة أخرى، وأنَّ الخطاب كان مع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأنَّ التاء فيه للمخاطَب لا للمتكلِّم، وقد روى الحديث عن حجر بن عنبس قال: «لـمَّا زوَّج النبيُّ صلى الله عليه وآله فاطمة مِن عليّ قال: لقد زوَّجتكِ غيرَ دجَّالٍ»[2]، وجعل كلمة (غيرَ) مفعول به لزوجتكِ، ليطمئنها إلى أنَّها محفوظة المقام والحقوق عند هذا الزَّوج[3]، فهو رجلٌ صالحٌ لا كذبَ فيه، ولا شيطنة، ولا مصلحة في الزَّواج إلَّا الحبّ والإيمان للسيِّدة وأبيها عليهما السلام.

وأمَّا المحاولات التَّصحيحيَّة من حيث السَّند، فقد حاول الشيخ محمَّد حسن المظفَّر (ت ١٣٧٥هـ) تصحيح الخبر من حيث أنَّ عدم سَماع حجر بن عنبس من رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع إسلامه؛ لكونه من أهل الكوفة، فيمكن أنَّه روى عن الصَّحابة، ولا يضرُّ إرساله[4].

والذي يراه الباحث عدم المنع من رواية حجر بن عَنْبَس عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام؛ لكونه من أصحابه الذين شاركوا معه في حرب الجمل وصفِّين، وحُجْرُ بن عنبس لم يروِ إلَّا عنه عليه السلام، وعن وائل بن حجر[5]، ومثل هذه القضيَّة والخبر لا تكون إلَّا عن الإمام عليّ عليه السلام.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٨/ ١٩.

(٣) ظ: الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام: ٣/ ٢٢.

(٤) ظ: دلائل الصدق لنهج الحقِّ: ٦/ ١٩٣.

(٥) وهو الصحابيّ وائل بْن حجر بْن ربيعة بْن وائل بْن يعمر الحضرميّ، يكنى أبا هنيدة، وهو من أبناء الملوك من حضرموت، وهو وكان أبوه من ملوك حضرموت، وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وآله، دخل الإسلام راغبًا، وبشَّر به رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل قدومه، فلمَّا دخل عليه رحَّب به، وأدناه من نفسه، وقرَّب مجلسه، وبسط له رداءه، فأجلسه عليه مع نفسه على مقعده، وقال: اللَّهمَّ بارك في وائل وولده وولد ولده. ظ: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفه الاصحاب: ٤/ ١٥٦٣.

وعليه لا يرى الباحث أنَّ الحديث من موضوعات الشيعة، بل هو صحيح؛ ولكن الحقد الدفين على أهل البيت عليهم السلام منعهم من قبولها، كما لا يبعد أنْ تكون من أسرار أمير المؤمنين عليه السلام التي كشفها لحجر بن عنبس عند نزوله في الكوفة، وكم من أسرارهم التي لم تُروَ إلَّا عن صحابيٍّ واحدٍ لاختصاصه به.

المطلب الرابع

التزويج الإلهيّ للزَّهراء عليها السلام لا ينافي اختيارها

إنَّ الاصطفاء الإلهي في تزويج السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام لا ينافي اختيارها وإرادتها، ولا ينافي ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله لأنَّهما في طول إرادة الله تعالى، فإذا شاء الله تعالى شاؤوا، كما في الحديث الشريف عن جابر بن يزيد الجعفيّ قال: قال الإمام الباقر عليه السلام: «فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلَّنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل، واصطفانا من بين عباده، وجعلنا حجَّته في بلاده، فمن أنكر شيئًا وردَّه فقد ردَّ على الله جلَّ اسمه، وكفر بآياته وأنبيائه ورُسُله»[1].

وهذا الاصطفاء يثبت قوَّة الملكة الراسخة في طاعة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لله تعالى، وعدم مخالفة ما قُدِّر لها في مسيرتها والتزامها بالتكاليف الإلهيَّة، فالاختيار الإلهيّ والاصطفاء الربَّانيّ قائم على عِلمِ الله تعالى بأهليَّة مَنْ يصطفيه ليكون المثل الأعلى في الأمم.

وعليه فإنَّ هذا الاصطفاء الإلهيّ والتخصيص في تزويج السيِّدة فاطمة عليها السلام من دون إذن والدها لا يتنافى واختيارهما، وقد وردت أحاديث كثيرة، وبطرق مختلفة، وشواهد حديثيَّة عن الصَّحابة في صحَّة الحديث، حتَّى بلغ حدَّ التَّواتر المعنويّ.

تكذيب التزويج الإلهي للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

تعرَّضتْ أحاديث مناقب السيِّدة فاطمة عليها السلام إلى محاولات التكذيب والطعن فيها

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٦/ ٨.

من قِبَل اعداء أهل البيت عليهم السلام والحاسدين في كلِّ زمان، لإخفاء ما لديهم من فضل ومنزلة خصَّها الله تعالى به دون نساء المسلمين، مع ما بلغت أحاديث فضلها مِن الاستفاضة والتواتر في مصادر مدرسة الصَّحابة، ولكنَّ أصحاب الأهواء والمتأثِّرين بالمذهبيَّة السَّلفيَّة المعادية للسنَّة المطهَّرة حاولوا جاهدين إنكار فضائلها عليها السلام بزعمهم أنَّ الأحاديث موضوعة، كما فعل إبراهيم المديهش[1].

فقد حاول هذا السَّلفيّ المعاصر إبراهيمُ المديهش تضعيف الأحاديث، و الردِّ على مضمونه، وإنكار زواج الزَّهراء عليها السلام بأمرٍ من الله تعالى، وأنكر أنَّه وحيٌّ سماويّ، وعلَّل اختيار الإمام عليّ عليه السلام زوجًا لها دون غيره من الصَّحابة؛ لكونه مقاربًا لها بالسنِّ، وهو أقرب للمودَّة والأُنس بينهما[2].

وهذا مردودٌ من وجوهٍ، منها:

أوَّلًا: إنَّ النبيّ تزوَّج عائشة وهي أقلّ منه سنًّا وبفارق كبير بينهما، وتزويج الصغيرة كانت عادة جارية في زمانهم، وإنَّما تزوجها كي لا يردَّ صحابته أيضًا[3].

ثانيًا: تخصيص تزويج الزَّهراء عليها السلام بأمر الله تعالى، دون زواج بقيَّة بناته أو ربيباته على التحقيق، كرقيَّة وزينب وأم كلثوم، فقد استشارهنَّ ووافقنَ على التزويج.

ثالثًا: إنَّ الاصطفاء في تزويج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كان ربَّانيًّا؛ لأنَّ الله تعالى يعلم مَنْ هو الكفؤ والمساوي للسيِّدة عليها السلام في جميع صفاتها الإيمانيَّة، وأصل الخلقة النورانيَّة، وهو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى ابن شهرآشوب (ت ٥٨٥هـ) أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عُوتِب في أمر فاطمة عليها السلام وعدم تزوجيها مع تقدُّم الصَّحابة لها، فقال: «**لو لم يخلق الله عليّ بن أبي طالب لما كان لفاطمةَ كفوٌ**»[4].

(١) المديهش، مناقب فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله: ٣/ ٣٠

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ٣٠.

(٣) اختلف المؤرِّخون في عمر عائشة عندما تزوَّجها الرسول صلى الله عليه وآله بين كونها في السادسة، ودخل فيها في الثامنة، وبين كونها في السادسة عشرة قبل هجرته صلى الله عليه وآله. ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٤٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٨١.

والمراد من الكُفء هو المساوي في كلِّ شيء حتَّى العصمة، ويدلُّ على ذلك ما روي في تفسير العسكريّ عليه السلام أنَّه قال: «**ما سوَّى الله قطُّ امرأة برجل إلَّا ما كان من تسوية الله فاطمة بعليّ عليهما السلام، وإلحاقها وهي امرأة بأفضل رجال العالمين**»(١).

فالله تعالى هو مَن قد ساوى بين فاطمة وبين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام دون غيرهما، وفضلها على جميع نساء العالمين.

رابعًا: إنَّ السيِّدة فاطمة تعرفُ أميرَ المؤمنين عليه السلام معرفةً كاملةً، كما تعرف أباها صلى الله عليه وآله، لعشرته وتربيته معهم في البيت منذ أنْ أخذه صلى الله عليه وآله من عمِّه أبي طالب أيَّام القحط الذي أصاب مكَّة(٢)، وقد بيَّن ذلك الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيَمَسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلَقِّمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كِذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَمًا وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ..**»(٣)، فهل يعقل أن تعترض بعد ذلك!.

خامسًا: علمه صلى الله عليه وآله أنَّه لن تكون ذريَّته إلَّا منهما عليهما السلام، كما رواه المحدِّثون، عَن عبد الله بن عَبَّاس قَالَ: «كنت أَنا وَالْعَبَّاس جالسين عِنْد نَبِي الله إِذْ دخل عَليّ بن أبي طَالب فَسلم فَردَّ عَلَيْهِ رَسُول الله السَّلَام وَقَامَ إِلَيْهِ وعانقه وَقبَّل بَين عَيْنَيْهِ وَأَجْلسهُ عَن يَمِينه، فَقَالَ الْعَبَّاس: يَا رَسُول الله أَتُحِبُّ هَذَا؟ فَقَالَ: **يَا عَم وَالله للهُ أَشد حبًّا لَهُ منِّي أن الله جعل**

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: ٦٥٩.

(٢) فقد روى زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام: كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أخَذَ عَلِيًّا مِن أبيهِ وهُو صَغير في سَنَةٍ أصابَت قُرَيشًا وقَحطٍ نالَهُم، وأخَذَ حَمزَةُ جَعفرًا، وأخَذَ العَبَّاسُ طالِبًا؛ لِيَكفُّوا أباهُم مُؤنَتَهُم، ويُخَفِّفوا عَنهُ ثِقلَهُم، وأخَذَ هُوَ عَقيلًا لِمَيلِهِ كانَ إلَيهِ. ظ: الإصفهانيّ، مقاتل الطالبين: ٤١.

(٣) محمَّد عبده، نهج البلاغة: ٤٣٦، خطبة القاصعة.

ذُرِّيَّة كلِّ نَبِيٍّ من صلبه، وَجعل ذريَّتي من صُلبِ هَذَا»[1]. وهذا الحديث روته مدرسة الصحابة كثيرًا في مصنَّفاتهم الحديثيَّة[2].

ويمكن الرَّدُّ على تهمة وضع حديث بالقرائن الحديثيَّة، منها ما رواه الصَّحابيّ أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، وعبد الله بن مسعود، فقد روى الخطيب الخوارزميّ (ت ٩٧٧هـ) بسنده عن أنس بن مالك، قال: «كنت عند النَّبيّ صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمَّا أفاق قال ليَّ: **يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟** قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **أمرني أن أُزوِّج فاطمة من عليّ، فانطلق فأدع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزُّبير وبعددهم من الأنصار..**»[3].

ورواه السبط ابن الجوزيّ (ت٦٥٤هـ) بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله أمرني أن أزوِّج عليًّا فاطمة**»[4]، ورواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تعالى أمرني أن أزوِّج فاطمة من عليّ، وأُشهِدكم أنِّي زوَّجت فاطمة من عليّ..**»[5].

وهذا يكشف أنَّ الحديث من المتواتر المعنويّ، ولا غبار في قطعيَّة صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الطبريّ، محبُّ الدين، ذخائر العقبى: ١/ ٢٨٤.

(٢) ظ: الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة ، البريّ، محمَّد بن أبي بكر: ٢/ ٢٣٤، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: العصامي: ٣/ ٣٥، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، المالكيّ المكِّيّ، عليّ بن محمَّد بن أحمد: ١/ ٦٥٥، الذهبيّ، ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال: ٢/ ٥٨٦.

(٣) الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد الحنفيّ، المناقب: ٣٣٧.

(٤) ابن الجوزيّ، التذكرة الخواص: ٣١٦.

(٥) المصدر نفسه: ٣١٦.

المطلب الخامس

نفي بكاء الزَّهراء عليها السلام لعدم استئذانها في الزواج

من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه حينما زوَّج ربيباته، كان يستشيرهنَّ في الزواج؛ لأنَّ شرط صحَّة الزَّواج قبول الفتاة، ويدلُّ على ذلك ما رُويَ عن عائشة في أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يستأذنُ بناتَه في التزويج ولا يجبرهنَّ على الـزَّواج، إلَّا أنَّه قد وردتْ أحاديثُ عن الصَّحابة ادُّعيَ فيها أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بكتْ معترضةً على الزَّواج بالإمام عليّ عليه السلام.

ومن هذه الاحاديث ما رويَ عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه قال: «خطب أبو بكر وعمر فاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما، فقال عمر: أنت لها يا عليّ، قال: ما لي من شيء إلَّا درعي وجَمَلي وسيفي، فتعرَّض عليٌّ عليه السلام ذات يوم لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عليّ هل لك من شيء؟ قال: جَملي ودِرعِي أرهنهما، فزوَّجني رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام، فلمَّا بلغ فاطمةَ عليها السلام ذلك بكت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما لك تبكين يا فاطمة؟ والله لقد أنكحتك أكثرهم علمًا، وأفضلهم حلمًا، وأقدمهم سلمًا- وفي لفظٍ: أوَّلهم سلمًا»[1].

والحقيقة العلميَّة والتاريخيَّة تؤكِّد أنَّ أخبار بكاء السيِّدة فاطمة عليها السلام إنَّما جاء بعد الزَّواج، ونتيجة لكلام بعض النسوة الحاقدات، أو المنافقات اللاتي حاولن خَلْقَ جوٍّ من المشاكل داخل الأسرة الجديدة والزواج الإلهيّ، وهدفهنَّ إيذاءَ الزَّهراء عليها السلام، ولاسيما أنَّ

(١) الدولابيّ، الذرِّيَّة الطاهرة: ٩٣، ح٨٣.

الأمر حدثَ بعد فشل محاولات بعض الصَّحابة من التزويج بها، حتَّى قالوا إنَّ هذه ميزة يظهر فيها فضل عليّ عليه السلام على جميع الصحابة، فلا يلحقه بعدها أحدٌ.

ويدلُّ على ذلك ما رواه عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ: «قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله إِذْ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام، وهِيَ تَبْكِي. فَقَالَ: **مَا يُبْكِيكِ يَا فَاطِمَةُ؟** قَالَتْ: **يَا رَسُولَ الله عَيَّرَتْنِي نِسَاءُ قُرَيْشٍ آنِفًا زَعَمْنَ أَنَّكَ زَوَّجْتَنِي رَجُلًا مُعْدِمًا لَا مَالَ لَهُ.** قَالَ: **لَا تَبْكِينَ يَا فَاطِمَةُ فَوَ الله مَا زَوَّجْتُكِ حَتَّى زَوَّجَكِ اللهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ**»[1]، ويؤكِّد الذهبيّ على أنَّ هذا الحديث له تابع يؤيِّد صحَّته، رواه عبد السلام بن صالح أحد الهلكى عن عبد الرزَّاق[2].

والمراد من نساء قريش كناية عن أزواج كبار الصَّحابة ممَّنْ يدخل على بيت النبوَّة، والغرض من كلامهنَّ إفشال الزَّواج، لتكونَ السيِّدةُ فاطمة عليها السلام زوجةً لكبار الصَّحابة، طمعًا بالخلافة ومقام النبوَّة، وليس حبًّا بالسيِّدةِ الزَّهراء عليها السلام.

ولكنَّ إبراهيم المديهش حاول تكذيب الخبر في موسوعته متَّبعًا لمنهج الذَّهَبِيّ (ت ١٣٩٧هـ) في أنَّه من موضوعات الشيعة على سُرَيج بن يُونُس[3]، زاعمًا أنَّه قد وضعه أبو بكر محمَّد بن أحمد بن سفيان الترمذيّ، واتَّهمه بالوضع، وأنَّ حديث أنسٍ بن مالك ضعيفٌ جدًّا وموضوعٌ[4].

وما ذكره الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، وتبعه إبراهيم المديهش المعاصر في مخالفته للروايات المستفيضة والمتواترة في استأذان ومشاورة رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته قبل الزواج، فقد رُويَّ عن عطاء بن أبي رباح قال: لـمَّا خطب عليّ فاطمة عليها السلام، أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**إنَّ عليًّا قد ذكركِ، فسكتتْ. فخرجَ فزوَّجها**»[5]، وفي رواية قال صلى الله عليه وآله:

(١) الشافعيّ، فضائل الثَّقَلين: ٢٣٧.
(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ١/ ٢٦.
(٣) ظ: سبط بن العجميّ، برهان الدين، الكشف الحثيث: ١/ ٢١٥.
(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٣٥.
(٥) ظ: الذريَّة الطَّاهرة: ١/ ٦٤، ح٩٣.

«**سكوتها رضاها**»[1].

وقد استفاد الفقهاء من هذا الحديث الشريف أنَّ سكوت البِكر دليلٌ على رِضاها، وإنَّما يمنعها حياؤها من الحديث والتصريح بالموافقة[2]، وهو طبع الإبكار المؤمنات، وإنَّما اعتبر سكوت البِكر موافقةً منها؛ «لأنَّ السكوت في النصوص مُنزَّل منزلةَ الإذن اللفظيّ، في كونه كاشفًا عن الرِّضا الباطنيّ وأمارة عليه»[3].

(١) الذريَّة الطَّاهرة: ١/ ٦٤.

(٢) ظ: الخوئيّ، موسوعة الإمام الخوئيّ، مستند العروة الوثقى: ٣٣/ ٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣/ ٢٤٩.

المطلب السادس

كذب دعوى رفضها عليها السلام الزواج لكونه فقيرًا وأُعَيمِشًا

جاءت بعض مصادر حديث مدرسة الصحابة أنَّ السيِّدة والزَّهراء عليها السلام إنَّما رفضت الزواج بالأمام عليّ عليه السلام؛ لكونه مصابًا بمرض في عينه وفقيرًا، وهذه ممَّا لا يتناسب مع أخلاق بنت خاتم الأنبياء وسيرتها، وتربيته صلى الله عليه وآله لها.

الأوَّلُ: نفي وصف الزَّهراء الإمام عليّ عليهما السلام بالاعيمش

ورودتْ في مصادر مدرسة الصَّحابة روايـةٌ صريحـةٌ بـأنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام كانت تكره الإمام عليّ عليه السلام، ووصفتُهُ بالأُعَيمش اعتراضًا على تزويجها له، وقد رواها الطبرانيّ (ت ٣٦٠هـ)، والحافظ الصنعانيّ (ت ٣١١هـ) عن وكيع بن الجرَّاح، قال: أخبرنى شريك عن ابن إسحاق قال: إنَّ عليًّا لـمَّا تزوج فاطمة عليها السلام، قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله: «زوجتنيه أُعيمش، عظيم البطن؟! فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: لقد زوجتكه، وإنَّـه لأوَّل أصحابي سلمًا.. الـخ»[1]. و قال الهيثميّ (ت ٨٠٧هـ): رواه الطبرانّي، وهو مُرسَل صحيح الإسناد[2]، وصحَّة المرسَل يرجع لوثاقة المُرسِل، ومع وثاقته يحكم بصحَّته، وهو طريق اعتمده أتباع مدرسة الصَّحابة في علم الحديث عند إثبات الصحَّة في المُرسَل.

والمراد من معنى أُعميش، هو تصغير لأعمش، بمعنى ضعيف البصر، وسيلان

(١) مجمع الزوائد: ٩/ ١٠٢.
(٢) المصدر نفسه: ٩/ ١٠١.

الْعَيْنُ دَمْعًا، وَلَا يَكَادُ الْأَعْمَشُ يُبْصِرُ بِهَا[1]، وهذا يرجع إلى اجتماع الوسخ في مجرى الدمع.

ويظهر من الرواية أنَّه وصفٌ يستوجب كراهة صاحبه، والحديث كما يظهر منه الطعن في الإمام عليّ عليه السلام، وهذا لا يتناسب مع أخلاق السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وعصمتها، ومعرفتها بمحاسن الإمام عليّ عليه السلام.

مناقشة الحديث:

إنَّ دعوى صحَّة الحديث من حيث السند عند مدرسة الصَّحابة، لا يعني قبوله، فقد يكون الوضع في الإسناد، بحيث يضع سندًا صحيحًا، وجميع رواته ثقات، ويظهر الوضع فيه من طريق المتن، وكشف دلالته، ويمكن بيان ذلك من جهات عدَّة:

الأولى: إنَّ ذِكر صفة عيب في مؤمن أمام رسول الله صلى الله عليه وآله يعدُّ من الغِيبةِ المُحرَّمة للمؤمن، ويستحيل أن تصدر الغِيبة من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأمام محضر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكما أنَّه لم يردْ دليلٌ على نهي الرسول صلى الله عليه وآله لها لغِيبتها، بل الحديث فيه تلطُّف من الرسول لابنته عليها السلام، ولا يُعقل أنْ يسكتَ الرسولُ صلى الله عليه وآله عن مثل هذا الوصف الذي فيه طعن مؤمن، فضلًا عن كونه الإمام عليّ عليه السلام.

الثَّاني: إنَّ الإمام عليّ عليه السلام قد تربَّى في بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وهي تعرفه جيِّدًا من حيث صفاته، وأخلاقه، فلا يُعقل أنْ تطعنه بهذا الطعن.

الثالث: إنَّ هذه الرواية التي تصف الإمام عليّ عليه السلام بوصفٍ يقلِّل من شأنه، تُعارضه كثير من الأخبار التي وصفت الإمام عليه السلام.

الرابع: ولو سلَّمنا جدلًا صحَّةَ الحديث، فإنَّه ليس اعتراضًا منها، بل قالته لتُخبِر أباها صلى الله عليه وآله بما تقوله نساء قريش، لتعكير الأجواء في البيت العلويّ الجديد[2]، وهو مع

(١) ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ١٤٣.

(٢) الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام: ٣/ ٢٨.

ذلك يُظهر وجود تلاعب في وتصحيف في الحديث، وتغيُّر في ألفاظه، وهو نوعُ وضعٍ فيه لإثبات الاعتراض للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام على أبيها، والتقليل من شأنها وشأن الإمام عليّ عليه السلام.

وبذلك يظهر كِذبَ الحديث على السيِّدة الطاهرة الزَّهراء، ووضعه عليها، وأنَّ الغرض منه هو الأذيَّة من قِبلِ القرشيَّات للسيِّدة عليها السلام بعد زواجها من الإمام عليّ عليه السلام.

وتحصَّل من الكلام من الموضوعات على السيِّدة الزَّهراء؛ لاستحالة صدور مثل هذا الكلام عن المعصومة؛ لحُرمة الغِيبة.

الثَّاني: نفي بكائها عليها السلام لكون الامام عليه السلام فقيرًا

جاءت بعض الأخبار في مصادر مدرسة الصَّحابة أنَّ السيِّدة فاطمة اعترضتْ على زواجها من الامام عليّ عليه السلام قبل العقد؛ لكونه فقيرًا، وبكت على ذلك، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَـمَّا خَطَبَ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ، دخل عليها رسول الله فَقَالَ لَهَا: «أَيْ بُنَيَّةَ! إِنَّ ابْنَ عَمِّكِ عَلِيًّا قَدْ خَطَبَكِ، فَمَاذَا تَقُولِينَ؟ فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: كَأَنَّكَ يَا أَبَتِ إِنَّمَا دَخَرْتَنِي لِفَقِيرِ قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا تَكَلَّمْتُ فيه حتَّى أذِن الله لي فيه من السماوات، فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله وَرَسُولُهُ»[1].

وهذهِ الرواية مردودةٌ من جهاتٍ:

الأولى: لوجود الروايات المعارضة، وهي الأخبار الدالَّة على أنَّها رضيتْ بالزواج به عليه السلام، فقد روي عن جابر بن عبد اللهّ الأنصاريّ، قال إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لامِّ أيمن، وهي تبكي على الزَّهراء عليها السلام: «..**لا تبكى يا أمَّ ايمن، فو الذي بعثني بالكرامة واستخصَّني بالرسالة، ما أنا زوَّجته، ولكن الله زوَّجه، ما رضيت حتَّى رضي عليٌّ، وما رضيتْ فاطمة حتَّى رضي اللهُ ربُّ العالمين**..»[2]، وروايات كثيرة بلغتْ حدَّ التواتر في ذلك.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ٣٧٨.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ١٢٦.

الثانية: الروايةُ ضعيفةٌ، لإنَّ ضعفها السَّنَدي بأبي هريرة المشهور بوضعه للحديث.

الثالثة: إنَّ أخبار اعتراض السيِّدة فاطمة في زواجها من الإمام عليّ عليه السلام إنَّما جاء بعد الزَّواج، ونتيجة لكلام بعض النسوة الحاقدات، ويؤيِّده ما روي عن أنس بن مالك، قال: «جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبي فسكتْ ولم يرجعْ إليهما شيئًا، فانطلقا إلى عليٍّ عليه السلام يُنبِّهانه إلى ذلك»[1]، وروي عن الإمام عليّ عليه السلام، قال: «خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله، فأبى صلى الله عليه وآله عليهما، قال عمر: أنتَ لها يا عليّ عليه السلام»[2].

الرابعة: معرفة الزَّهراء عليها السلام بصفات الإمام عليّ عليه السلام في أخلاقه وشجاعته، وفضله وسبقه في الإسلام، وما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمرٌ واضح للجميع، فكيف يخفى على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهل يُعقل أنْ ترفضَ مِثْلَ الإمامَ عليّ عليه السلام؟!

والذي يمكن أنْ يُقال في هذا الحديث وتوجيهه: إنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أرادتْ أنْ تكشف لرسول الله صلى الله عليه وآله ما أخبرتْ به القرشيَّاتُ من صفات الإمام عليّ عليه السلام؛ لإثارة الغيرة فيها، وحطًّا من مقام الإمام عليّ عليه السلام؛ لعلها ترجعُ عن قبول الزَّواج به، ويدلُّ على ذلك ما رواه الخوارزميَّ، أنَّه صلى الله عليه وآله قال لابنته في رابع يوم زفافها: «**كيف أنتِ يا بُنيَّة، وكيف رأيت زوجك؟!** قالت له: **يا أبتِ خيرَ زوجٍ، إلَّا أنَّه دخل عَليَّ نساءٌ من قريش، وقلنَ لي: زَوجَّكِ رسولُ الله من فقير لا مَالَ له**. فقال لها: **يا بنيَّة، ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير، ولقد عُرضتْ عليَّ خزائنُ الأرضِ من الذهب والفضَّة، فاخترتُ ما عند ربِّي عزَّ وجلَّ، لو تعلمين ما يعلمُ أبوكِ؛ لسمُجتِ[3] الدنيا في عينك، والله يا بُنية ما آلوتُكِ نُصحًا أنْ زوَّجتُكِ أقدمهم سلمًا وأكثرهم علمًا وأعظمهم حلمًا، يا بُنية إنَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلع إلى الأرض**

(١) الزرقانيّ، شرح الزرقانيّ على المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمَّديَّة: ٢/ ٣٥٨.

(٢) الفاضل الهنديّ، كنز العمَّال:١٣/ ١١٤، ح٣٦٣٧٠.

(٣) سمج: سَمُجَ الشيءُ، بِالضَّمِّ: قَبُحَ، يَسْمُجُ سَماجَةً إِذا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَلاحَةٌ، بمعنى قبحت الدنيا في عينيك. ظ: ابن منظور: ٢/ ٣٠٠.

اطِّلاعة، فاختار من أهلها رجُلَين، فجعل أحدهما أباك، والآخر بعلك، يا بنيَّة نِعمَ الزوج زوجك، لا تعصين له أمرًا..»[1]، ولذا ذكر ذلك العبديّ الكوفّي[2] في شعره، فقال[3]:

إذ أتته البتول فاطم تبكي
وتوالي شهيقها والزَّفيرا
اجتمعنَ النساء عندي وأقبلنَ
يطلنَ التقريع والتعييرا
قلنَ إنَّ النبيَّ زوَّجكِ اليوم
عليًّا بعلًا معيلًا فقيرا

وهذا دليل صريح على أنَّ بكائها بسبب أسلوب القرشيَّات في محاولةٍ لإضعاف نفسية السيِّدة الطاهرة في أولِّ أيَّامِ زواجها المبارك، وتعكيرَ زواجها، وقد اخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بقلوهنَّ، ولم يكن اعتراضًا منها عليها السلام.

وتحصَّل من الكلام أنَّ حديث بكائها واعتراضها على الزَّواج من الموضوعات

(١) الخوارزميّ، المناقب: ٣٥٤.

(٢) وهو أبو محمَّد سفيان بن مصعب العبديّ الكوفيّ، من شعراء أهل البيت الطاهر، المتزلِّفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيَّته وانقطاعه إليهم، ولم تُعرَف سنة ولادته ووفاته، وقد استنشده الإمام الصادق صلوات الله عليه شعره كما في رواية ثقة الإسلام الكلينيّ في (روضة الكافي) بإسناده عن أبي داوود المسترق عنه، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: **قولوا لأمِّ فروة تجيئ فتسمع ما صُنِع بجدِّها**، قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثمَّ قال: فأنشدنا، قال: فقلت:

فرَّ وجودي بدمعك المسكوب .....

قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **الباب**. فاجتمع أهل المدينة على الباب، قال: فبعث إليهم أبو عبد الله: صبيٌّ لنا غشي عليه، فصحن النساء. ظ: رجال الكشِّيّ: ٢٥٤.

(٣) المعتزليّ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٦، و٢٢٧.

على السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والصحيح أنَّ حديث بكائها إنَّما كان بعد الزواج؛ بسبب النسوة القرشيَّات اللاتي دخلنَ عليها بعد زوجها، وحاولنَ الطعن بالإمام عليّ عليه السلام، وقد أخبرت الرَّسول صلى الله عليه وآله بقولهنَّ، فردَّ صلى الله عليه وآله عليهنَّ، وبيَّن فضل الإمام عليّ عليه السلام على جميع الصَّحابة.

نتائج البحث

ظهر للباحث مجموعةٌ من النتائج، وهي:

١. إنَّ الوضع في الحديث على السيِّدة فاطمة الزَّهراء إمَّا بوضع حديث كامل لم تقله السيِّدة عليها السلام.

٢. أن يكون بالوضع في أصل الحديث بإضافة كلمة أو كلمَتَين؛ لإثبات غرض غير شريف، لغرض تقليل شأن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

٣. الاختلاف في القيمة العلميَّة للموضوعات بين ذِكرها في مصادر الحديث، وبين تركها وإتلافها، وحُرمة التعامل بها مطلقًا.

٤. إنَّ أغلب الأحاديث الموضوعة كانت على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥. يظهر أنَّ الضغط السياسيّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان له الأثر في محاولة تعتيم حقائق تاريخيَّة عن فضل سيِّدة نساء العالمين على غيرها، يعدُّ أحد أسباب الوضع عليها.

٦. يختلف الوضع بين وضع حديث كامل أو كلمة للحديث بحيث يغيِّر المعنى.

٧. أنَّ الاتِّهام بالوضع في أحاديث المناقب، التي تتناسب مع مقام الزَّهراء عليها السلام، لإنكارهم عصمتها، وأنَّ الله طهَّرها تطهيرًا.

توصيات المؤتمر

١. يتحمَّل علماء الحديث حفظ تراث بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الصحيح، وطرح الموضوع والمختَلَق، وتحذير الأمَّة الإسلاميَّة منه.

٢. استمرار إقامة الندوات والمؤتمرات العلميَّة لحثِّ الباحثين على استخراج الأحاديث الموضوعة على رسول الله، وأهل بيته عليهم السلام، ونقدها.

٣. تشكيل لجان علميَّة من المختصِّين من قِبَل الحوزة العلميَّة والجامعات الإسلاميَّة؛ لدراسة للبحث عن الحديث الموضوع ونقده.

٤. وضع الأسس العلميَّة وأصول كشف الحديث الموضوع في التراث الإسلاميّ عمومًا.

والله الموفِّق والمسدِّد لكلِّ عمل صالح لخدمة تراث أهل البيت عليهم السلام.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة على محمَّدٍ وعلى سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وعلى آله الكرام الطاهرين.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. ابن سعد، أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢. ابن شهر آشوب، محمَّد عليّ المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: محمَّدحسين اشتياني وهاشم رسولي، انتشارات علَّامة، قم، ط١، ١٣٧٩هـ.

٣. ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد النمريّ (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٤. ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.

٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧. ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم بن عليّ الإفريقيّ (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٨. أبو شهبة، محمَّد بن محمَّد بن سويلم (ت ١٤٠٣هـ)، الإسرائيليَّات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنَّة، ط٤، ١٤٠٨هـ.
٩. الأربلِّيّ، عليّ بن عيسى(ت٦٩٢ هـ)، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: رسولى محلَّاتي وسيِّد هاشم، تبريز، ط١، ١٣٨١هـ.
١٠. الاصفهانيّ، أبو الفرج، عليّ بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيِّد أحمد الأشقر، دار المطبوعات الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ.
١١. البُرِّيّ، محمَّد بن أبي بكر بن عبد الله التِّلمسانيّ (ت بعد ٦٤٥هـ)، الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة، تعليق وتنقيح: د. محمَّد التونجي، الأستاذ بجامعة حلب، دار الرفاعيّ للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٢. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة لتحصيل أحكام الشريعة، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، ط١، ١٤١٣م.
١٣. الحلبيّ، برهان الدين، أبو الوفا إبراهيم بن محمَّد بن خليل سبط ابن العجميّ (ت ٨٤١هـ)، الكشف الحثيث عمَّن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرَّائيّ، مكتبة النهضة العربيَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٤. الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد البكريّ المكِّيّ الحنفيّ (ت ٩٧٧هـ) تحقيق: الشيخ مالك المحموديّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٢، ١٤١١هـ.
١٥. الخوئيّ، أبو القاسم بن عليّ أكبر الموسوي (ت ١٤١٢هـ)، موسوعة الإمام الخوئيّ، مستند العروة الوثقى للشيخ مرتضى البروجرديّ (ت ١٤١٨هـ)، مؤسَّسة الخوئي الإسلاميَّة، لندن، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٦. الدولابي، أبي بشر محمَّد بن أحمد (ت ٣١٠هـ)، في الذريَّة الطاهرة، تحقيق: السيِّد محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٧. الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.

١٨. الزرقانيّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي المالكيّ (ت ١١٢٢هـ)، شرح الزرقانيّ على المواهب اللدنيَّة بالمنح المحمَّدية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١٩. السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمَّد بن عويضة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠. الشافعيّ، شهاب الدين أحمد الإيجيّ الحسينيّ (كان حيًّا ٨٢٠هـ)، فضائل الثَّقلين من كتاب توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل، تحقيق: حسين الحسنيّ البيرجنديّ، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، المعاونيَّة الثقافيَّة، قم، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢١. الشهيد الثاني، زين الدين بن عليّ الجباعيّ العامليّ (ت ٩٦٥هـ)، الرعاية في علم الدراية، تحقيق: عبدالحسين محمَّد عليّ بقَّال، مكتبه آية الله المرعشيّ العامَّة، قم، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٢. الصدر، حسن الكاظميّ (ت ١٣٤٥هـ)، نهاية الدراية في شرح الوجيزة للبهائيّ، تحقيق: ماجد الغرباويّ، نشر المشعر، قم، ط١، ١٣٧٩هـ.

٢٣. الطبريّ، محبّ الدين، أحمد بن عبد الله المكِّيّ (ت ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى

في مناقب ذوي القربى، تحقيق: سامي الغريريّ الغرَّاويّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٤. العامليّ، السيِّد جعفر بن مصطفى بن مرتضى (ت ١٤٤١هـ)، الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام، المركز الإسلاميّ للدراسات، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٥. العسكريّ، الحسن بن عليّ بن محمَّد عليهما السلام (ت٢٦٠هـ)، تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عجَّل الله فرجه الشريف، قم المقدَّسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٦. العقيليّ، أبو جعفر محمَّد بن عمرو بن موسى المكِّيّ (ت ٣٢٢هـ)، كتاب الضعفاء، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٧. الفيُّوميّ، أحمد بن محمَّد بن عليّ (ت ٧٧٠هـ)، المصباح، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصريَّة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢٨. الكشِّيّ، محمَّد بن عمر (ت ق٤)، اختيار معرفة الرجال المعروف، رجال الكشِّيّ، تحقيق: حسن مصطفوى، مؤسَّسه نشر دانشگاه مشهد، المشهد المقدَّس، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٩. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: الدرايتيّ، محمَّد حسين، دار الحديث، قم، ط١، ١٤٢٩هـ.

٣٠. المالكيّ، عليّ بن محمَّد بن أحمد المالكيّ المكِّيّ (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: سامي الغريريّ، دارالحديث، قم، ط١، ١٣٧٩هـ.

٣١. المتَّقي الهنديّ، علاء الدين عليّ بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيَّاني، صفوة السقَّا، مؤسَّسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ.

٣٢. المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: السيِّد إبراهيم الميانجيّ، محمَّد الباقر البهبوديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٣. محمَّد عبده (ت ١٣٢٣هـ)، نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٤. المديهش، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن (معاصر)، فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله سيرتها، فضائلها، مسندها عليها السلام، دار الآل والصحب الوقفيَّة، الرياض، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٤٤٠هـ.

٣٥. المظفَّر، الشيخ محمَّد حسن (ت ١٣٧٩هـ)، دلائل الصدق لنهج الحقِّ، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٦. نور الدين عتر الحسنيّ (ت ١٤٤٢هـ)، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط٤، ٢٠١٧م.

٣٧. الهيتميّ، أبو الحسن نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

ومن الله تعالى السَّداد والتَّوفيق، إنَّه نِعمَ المولى ونِعمَ النَّصير.

صورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في كُتب السُّنن (النسائيّ، الترمذيّ، ابن ماجه، أبي داوود)

د. مصطفى سالم حازم الكنانيّ
جامعة البصرة/ كليَّة الآداب/ قسم التاريخ

ملخص البحث

كان لكتب السنن الأربعة (النسائيّ، أبي داوود، الترمذيّ، ابن ماجه) أدوار متفاوتة في بيان سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال ما تناولته تلك المصادر من روايات فيها إشارات عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من حيث علاقتها مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيفيَّة تأثيره عليها وعلى واقع المسلمين، أضف إلى ذلك نظرة أصحاب السُّنن إلى عصمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وهل كانت النظرة تمثِّل حقيقة الاعتقاد بالعصمة؟ أم تجرُّديَّة ذلك الاعتقاد من خلال مساواة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مع بقية النساء المسلمات، بحسب عقيدتهم؟ وهذا يعني أنَّ تلك المصادر لم تتعامل مع السيِّدة الزَّهراء عليها السلام باعتبارها من ذوي العصمة التي خصَّتها الآيات الواردة في القران الكريم، والدالَّة على عصمة آل البيت عليهم السلام.

إنَّ تلك المصادر لم تكن على حدٍّ سواء في تبيان سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، أي إنَّ هناك تفاوت أيضًا بين مصدر وآخر في توضيح فضائل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وكذلك علاقة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بمحيطها الأسريّ، وبالأخصِّ علاقتها بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. من حيث البناء الأسريّ، وتعاملها معه باعتباره رأس الإمامة.

المقدِّمة

للهِ الحمد والثناء وعظيم الامتنان على ما يسَّر وسهَّل وبارك لنا في أعمالنا، حمدًا يليق بعظمته ومَنِّه وجُـودِه، والصلاة والسلام على خير الخلق محمَّد وآله الأبرار الأطهار.

إنَّ السيرة العطرة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام تعدُّ من بين أبرز السِّيَر التي تناولت شخصيَّة مهمَّة أثَّرت في المجتمع الإسلاميّ، ولا نبالغ إن قُلنا في المجتمع الإنسانيّ على وجه العموم، من خلال ما تميَّزت به تلك السيِّدة من إظهار الجانب المهمِّ والمُلهم على جميع الأصعدة، سواء كانت دينيَّة أم اجتماعيَّة أم سياسيَّة، وغيرها، وقد أخذ المؤلِّفون على عاتقهم التأليف حول هذه الشخصيَّة المعطاء، كلٌّ بحسب ما ينهله من موارد العلم، على مستوى التاريخ، أو الفقه، أو العقيدة، أو الحديث، وغيرها من العلوم الأخرى.

لقد اقتصرت دراستنا في هذا البحث حول تسليط الضوء على بعض كتب السُّنن التي تناولت شيئًا من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، في ضوء ما تمَّ طرحه من الروايات المتعلِّقة بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، إذ حُدِّدت الدراسة في جرد كتب السُّنن (سنن ابن ماجه، سنن أبي داوود، سنن الترمذيّ، سنن النسائيّ) فقط، ومعرفة ما نقلوه من روايات يمكن أن نستخلص منها صورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وبعبارةٍ أدقّ، كيف تبدو صورة السيِّدة الزَّهراء في كتب السُّنن تلك؟ وكيف كانت نظرتهم حول قدسيَّتها وعصمتها وعلاقتها مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، والمحيط العام؟ فتبيَّن من خلال ذلك أنَّ هناك تفاوتًا كبيرًا بين حقيقة صورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وبين ما تمَّ طرحه، لذلك تبيَّن أنَّ كتب السُّنن موضع الدراسة لم تكُ موفَّقة في إيضاح حقيقة السيِّدة

الزَّهراء عليها السلام، والأنصياع وراء المحاباة السياسيَّة والمذهبيَّة. نرجو من الله ببركة السيِّدة الزَّهراء وأبيها وبعلها وبنيها (عليهم صلوات الله) أن يتقبَّل منها هذا اليسير في نصرة آل بيت المصطفى صلَّى الله عليه وآله أجمعين.

المبحث الأوَّل

علاقة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله

ليس من الغريب أن نسمع عن علاقة الودِّ والمحبَّة المتبادَلة بين رسول صلى الله عليه وآله، وبين السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وطبيعة الإكرام والطاعة التي تكنُّها السيِّدة الزَّهراء لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، بالمقابل فإنَّ رسول الله كان كثير العاطفة والتبجيل والإجلال لابنته وفلذة قلبه السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي تُشير إلى عمق العلاقة الفريدة بين النبيّ وابنته الزَّهراء عليها السلام حتَّى لُقِّبت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأمِّ أبيها[1]، لكن الغريب في الأمر أنَّ المصادر التي تناولت ذلك الجانب المشرق من حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأجادت في إيضاح بعضٍ من سيرتها العطرة، تتَّخذ مسارًا مغايرًا لمسار الحقيقة التاريخيَّة، ولما ذكره المؤلِّف نفسه في صفحات أخرى، حين يتحدَّث عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بنوعٍ من الإساءة والتهكُّم والتهجُّم على شخصها عليها السلام، وهذا ما سيتوضَّح في ثنايا البحث.

أوَّلًا: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام على سرِّ أبيها صلى الله عليه وآله

هناك الكثير من المصادر التي تناولت سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام تطرَّقت إلى موضوع الشبه البيِّن بين رسول الله وبين ابنته الزَّهراء عليها السلام، ومن بين تلك المصادر بعض كتب السُّنن موضوع الدراسة، فقد ذكرت هذه المصادر جزيئة الطبيعة التكوينيَّة من حيث

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٧، أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيين، ص٢٨.

الهيبة والوقار والصورة الحسنة التي تشترك بها الزَّهراء مع أبيها، فقد روي عن السيِّدة عائشة أنها قالت: «اجتمعن نساء النبيّ، فلم تغادر منهنَّ امرأة، فجاءت فاطمة كأنَّ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله..»[1]، وهذا يعني أنَّ موضوع تشابه مشيتها عليها السلام مع مشية رسول الله، لم يكن هو المقصود فقط، وإنَّما يُقصَد به هيبة الحضور والوقار الذي امتازت به الزَّهراء عليها السلام، وكأنَّها رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف لا وهي بضعته ورحه التي بين جنبَيه[2]، في حين أنَّ هناك مميِّزات أخرى امتازت بها الزَّهراء جعلتها قريبة الشَّبة من أبيها صلى الله عليه وآله، وهي طريقته في الكلام والطرح والبيان الذي كان يصدر عنه صلى الله عليه وآله، فقد ورد عن السيِّدة عائشة أنَّها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا[3] وهديًا ودلا[4] برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله»[5].

إنَّ الشبه الذي ذكرته كتب السُّنن تبيِّن لنا الدور التركيبيّ الجينيّ في خلق شخصيَّة الإنسان، ومدى تأثير الجينات الوراثيَّة في انتقال بعضٍ، وأحيانًا معظم الصفات بين الأب وأبنائه[6]، هذا إذا كان الحديث عن الطبيعة البشريَّة في صورتها الاعتياديَّة، فكيفما إذا تحدَّثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسرُّ خلقه وطبيعة امتداده في السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، التي يتمُّ من خلالها استمرار نهج النبوَّة عن طريق الإمامة، فقد رويَ عن رسول الله أنَّه قال: «**إنَّ فاطمة بضعة منِّي، من آذاها فقد آذاني، ومن غاظها فقد غاظني، ومن سرَّها**

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص٥١٨.
(٢) الكوجريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج١، ص٩.
(٣) سمتًا: السمت حسن النحو، وسمت يسمت سمتا، وهو حسن السمت، والسمت السير بالحدس والظنِّ، السمت: الطريق. والسمت هيئة أهل الخير، يقال: ما أحسن سمته، أي هديه. الفراهيديّ، العين، ج٧، ص٢٤٠، الجوهريّ، الصحِّاح، ج١، ص٢٥٤.
(٤) دلًّا: الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلَّمها، والآخر اضطراب في الشيء فالأوَّل قولهم دللت فلانًا على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢،ص٢٥٩.
(٥) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٦١-٣٦٢.
(٦) أحمد راضي أحمد، الهندسة الوراثيَّة بين الخوف والرجاء، ص٧٩-٨٠.

فقد سرَّني»[1]، وبهذا يمكن القول إنَّ السيِّدة الزَّهراء تعتبر حلقة الوصل بين النبوَّة والإمامة.

إنَّ علاقة السيِّدة الزَّهراء بأبيها رسول الله لا يمكن أن توصَف وصفًا اعتياديًّا كما توصف علاقة أي بنت بأبيها؛ لأنَّه ليس كلُّ الرجال كرسول الله، وليست النساء كفاطمة الزَّهراء عليها السلام، لذلك فإن حجم وعمق هذه العلاقة تعتبر فريدة من نوعها، على اعتبار أنَّ أساليب التربية التي تلقَّتها السيِّدة الزَّهراء من ناحية الأب والأم لا يمكن أن تُقاس بمقياس التربية المتعارَف عليها، كون الأساسيَّات التربويَّة الدينيَّة والأخلاقيَّة التي لقَّنها النبيّ الأكرم لابنته الزَّهراء عليها السلام قلَّما وُجِد لها نظير، فلا غرابة حينما نرى أنَّ رسول الله كيف يعبِّر عن محبَّته للزَّهراء، ومحاولته إظهار ذلك الحبِّ والإجلال والاهتمام للآخرين، لكي يكون لديهم تصورٌ واضح لقيمة السيِّدة الزَّهراء ومنزلتها عنده، وعند الله تعالى، فبهذا الخصوص ورد في كتب السُّنن أنَّ أمير المؤمنين وعمُّه العبَّاس بن عبد المطَّلب استأذنا رسول الله، فقالا: «.. يا رسول الله جئناك نسألك أيّ أهلك أحبُّ إليك؟ قال: **فاطمة بنت محمَّد**..»[2]، أضف إلى ذلك أن النبيّ كان دائم التكريم للسيِّدة الزَّهراء؛ تعبيرًا منه لقيمة هذه السيِّدة الطاهرة، وعلوِّ مرتبتها، فقد ورد عن السيِّدة عائشة أنَّها قالت: «.. وكانت- فاطمة- إذا دخلت على النبيِّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه..»، بالمقابل فإنَّ السيِّدة الزَّهراء تفعل الشي نفسه حينما يزورها رسول الله في بيتها، «وكان النبيّ صلَّى الله عليه [وآله[إذا دخل عليها قامت وأجلسته في مجلسها..»[3].

من الأمور الأخرى التي بيَّنتها كتب السِّير هو حديث الكساء المعروف عند

(١) الصدوق، الاعتقادات في دين الإماميَّة، ص١٠٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٧٣، البيهقيّ، السنن الكبرى، ج١٠، ص٢٠١.
(٢) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٤٢-٣٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٦١-٣٦٢.

الفريقين[1]، ولكن ما ورد في أحد كتب السُّنن فيه اختلاف في تفاصيل الحديث، فقد رويَ أنَّ حديث الكساء كان سبب في نزول آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، وهذه الآية نزلت في بيت السيِّدة أم سلمة، «فدعا النبيّ فاطمة وحسنًا وحسينًا، فجلَّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره، فجلَّله بكساء، ثمَّ قال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: **أنتِ على مكانك، وأنتِ إلى خير**»[3]، ولكن تفاصيل حديث الكساء في المصادر الشيعيَّة في اختلافٍ بين[4].

ومن صور المدح التي وردت في كتب السُّنن ما ذكره الترمذيّ عن شخصٍ يدعى حذيفة[5] أنَّه قال: «.. فأتيت النبيَّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فصلَّيت معه المغرب، فصلَّى حتَّى صلَّى العشاء، ثمَّ انتفل فتبعته، فسمع صوتي فقال: **مَن هذا حذيفة؟** قلت: نعم. قال: **ما حاجتك غفر الله لك ولأمِّك؟** قال: **إنَّ هذا ملك لم ينزل الأرض قطُّ قبل هذه الليلة، استأذن ربَّه أن يسلِّم عليَّ ويبشِّرني بأنَّ فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة..**»[6]، فعلى الرغم من أنَّ هناك مصادر تصِف السيِّدة الزَّهراء بأنَّها سيِّدة نساء العالمين[7]، إلَّا أن

(١) الحميريّ، قرب الاسناد، ص١٢٩، أبو يعلى الموصلِّيّ، مسند أبو يعلى، ج١٢، ص٣٤٤، الدولابيّ، الذريَّة الطاهرة النبويَّة، ص١٥٠، الكلينيّ، الكافيّ، ج١، ص٢٨٧، الطبرانيّ، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٣، الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٢٦، الطوسيّ، مصباح المتهجِّد، ص٧٦٥.

(٢) سورة الاحزاب، الآية (٣٣).

(٣) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٠-٣١، ص٣٢٨.

(٤) القمِّيّ، مفاتيح الجنان، ص٦٥.

(٥) ولم يحدِّد أهو حذيفة بن اليمان أم شخص يُدعى حذيفة فقط.

(٦) سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٢٦.

(٧) المفيد، المسائل الصاغانيَّة، ص١٠٠، الطوسيّ، مصباح المتهجِّد، ص١٢٣، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، ج٣، ص١٥٦، ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٨٢، العينيّ، عمدة القاري، ج١٦، ص٢٧٩.

الترمذيّ استقطع من حقيقة الوصف وحدَّدها كونها سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فإذا كانت السيِّدة الزَّهراء، بحسب ما نقله الترمذيّ، كونها سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فمن باب أولى أن تكون سيِّدة نساء أهل الجنَّة، هو استحقاق نالته السيِّدة الزَّهراء، كونها سيِّدة نساء العالمين، وهي في الحياة الدنيا.

أضف إلى ذلك أنَّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان يخصُّ السيِّدة الزَّهراء ببعض الأمور التي لا يجب أن يطَّلع عليها إلَّا السيِّدة الزَّهراء عليها السلام دون غيرها من النساء، حتَّى في موضوع وفاته وسرعة من سيلحق به من أهل بيته عليهم السلام، فقد روي عن السيِّدة عائشة ذكرت أنَّ السيِّدة الزَّهراء دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «**مرحبا بابنتي**»، ثمَّ أجلسها عن شماله، ثمَّ إنَّه أسرَّ اليها حديثًا، فبكت فاطمة عليها السلام، ثمَّ أنَّه سارَّها فضحكت أيضًا، فقلت لها: ما يُبكِيك؟ قالت: «**ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن.. حتَّى إذا قبضت سألتها عمَّا قال، قالت: «**إنَّه كان يحدِّثني أنَّ جبرائيل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كلِّ عام مرَّة، وأنَّه عارضه به العام مرَّتَين، ولا أراني إلَّا قد حضر أجلي، وإنَّك أوَّل أهلي لحوقًا بي، فبكيت، ثمَّ إنَّه سارَّني فقال: ألَا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين أو سيِّدة نساء هذه الأمَّة.. فضحكت لذلك**»[1].

ثانيًا: زواج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

إنَّ واحدة من الأحداث المهمَّة حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، هي زواجها من كُفئها أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، وأنَّ موضوع زواجها الطاهر كان مقدَّرًا من أمر الله تعالى، استنادًا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**زوَّج الله فاطمة من عليّ ليلة المعراج، وأمر شجرة طوبى فحملت الحُليَّ والحلل والياقوت والمرجان..**»[2]. وقد ورد بهذا الصدد

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص٥١٨

(٢) الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج٢، ص٢٠٣، الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ج٢، ص٣٤٠.

«.. عن عمر بن الخطّاب، أنّه ذكر عليًّا، فقال: صهر رسول الله صلى الله عليه وآله نزل جبرائيل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: **يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة من عليّ**»[1]. وريَ أيضًا: «.. أتى جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: **يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تزوّج فاطمة من عليّ أخيك**، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام، فقال له: **يا عليّ، إنّي مزوّجك فاطمة ابنتي سيّدة نساء العالمين، وأحبهنّ إليّ بعدك، وكائن منكما سيّدا شباب أهل الجنّة، والشهداء المضرّجون..**»[2]. لقد كان لبعض كتب السُّنن جزء من الإسهامات التي وضّحت فيه زواج السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من أمير المؤمنين عليه السلام، ذلك الزواج المقدَّس ومقدِّماته، فقد روي أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد تقدَّم لخطبتها أبو بكر بن أبي قحافة، ومن بعده عمر بن الخطَّاب، قبل أن يتقدَّم لخطبتها أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، إلَّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد رفضهما، فقد روي «.. عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: «.. خطب أو بكر وعمر فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنّها صغيرة**، فخطبها عليّ عليه السلام فزوَّجها منه»[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام والظاهرة أنهَّا كانت مدَّخرة لأمير المؤمنين عليه السلام.

إنَّ الروايات التي تحدثت عن زواج السيِّدة الزَّهراء من أمير المؤمنين عليهما السلام، فيها بعض الاختلافات البسيطة في جزئيَّات الرواية ذات الدلالة الواحدة، بمعنى أنَّ أغلب تلك المصادر تحدَّثت عن قيمة المهر المقدَّم للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فاتِّفاق الروايات هو عن درع أمير المؤمنين عليه السلام المقدَّم كمهر للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فقد جاء بهذا الخصوص «.. **أعطها درعك..**»[4]، ورواية أخرى ذكرت «.. **فأين درعك الحطميَّة..**»[5].

(١) النعمان المغربيّ، شرح الأخبار، ج٣، ص٢٨.
(٢) ابن أبي زينب، الغيبة، ص٦٥، الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٢٩.
(٣) النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٦، ص٦٢.
(٤) السجستانّي، سنن أبي داوود، ج١، ص٤٧١.
(٥) النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٦، ص١٢٩-١٣٠.

من بين الروايات المتعلِّقة بالمهر المقدَّم للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ذكرت أنَّ الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لم يقدِّم مهرًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام إلَّا بعد أن طلب منه رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك، فقد جاء بهذا الصدد «.. إنَّ عليًّا عليه السلام لـمَّا تزوَّج فاطمة بنت محمَّد صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أراد أن يدخل بها، فمنعه رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم حتَّى يعطيها شيئًا، فقال: يا رسول الله، ليس لي شيء..»[1].

إنَّ ما ذكرته كتب السنن حول مطالبة رسول الله صلى الله عليه وآله من الإمام عليّ عليه السلام مهرًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ووصف الإمام عليّ عليه السلام وكأنَّه لا يعرف ما يفعل، أو كيف يتصرَّف في مثل هذا الحال «.. أراد أن يدخل بها، فمنعه رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم حتَّى يعطيها شيئًا..»، لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن يقبله العقل، إذ كيف يُعقَل بشخصٍ هو أوَّل القوم إسلامًا، وملازمًا لرسول الله صلى الله عليه وآله في كلِّ الأوقات، وهو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتخفى عليه هذه الحالة، وهي من البديهيَّات في عُرف الفقه الإسلاميّ. والصحيح أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أمهر السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مهرًا، بدليل ما ورد في الروايات الآتية:

١. عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنَّ عليًّا تزوَّج فاطمة عليها السلام على جرد برد ودرع وفراش كان من أهاب كبش**[2].

٢. محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **زوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام على درعٍ حطميَّة يساوي ثلاثين درهمًا**[3].

٣. أحمد بن محمَّد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام،

(١) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج١، ص٤٧٢.
(٢) الكلينيّ، الكافي، ج٥، ص٣٧٨، محمَّد تقي المجلسيّ، روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٨، ص١٧٦.
(٣) الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج٢١، ص٢٥٠.

قال: **زوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا فاطمة عليهما السلام على درع حطميَّة، وكان فراشها أهاب كبش، يجعلان الصوف إذا اضطجعا تحت جنوبهما**[1].

٤. عن عليّ بن الحسين، عن العبَّاس بن عامر، عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **زوَّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا (صلوات الله عليه) فاطمة عليها السلام على درعٍ حطميَّة يساوي ثلاثين درهمًا**[2].

٥. عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالى أمرني أن أزوِّج فاطمة من عليّ، وقد زوَّجتها إيَّاه على أربعمائة مثقال فضَّة إن رضيت يا عليّ؟ قال: رضيت يا رسول الله**»[3].

فأمام هذه الروايات التي تحدَّثت عن ما قدَّمه الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام مهرًا للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، نستطيع القول إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أكثر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله معرفة بقيمة الزَّهراء عليها السلام، وأحبّها إلى قلبه، فكيف به أن يشرع بمراسم الزواج الشرعيّ وهو لم يكمل ركنًا من أركانه الشرعيَّة، وهو المهر المقدَّم؟.

وقد روي في أحد كتب السُّنن أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد جهَّز ابنته الزَّهراء عليها السلام في يوم زفافها بأشياء يسيره، عبارة عن مستلزمات البيت الأسري، فقد ورد بهذا الشأن: «.. **جهَّز رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة في خميل**[4] **وقربة ووسادة حشوها إذخر**[5]»[6]

(١) الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج٢١، ص٢٥١.
(٢) الكلينيّ، الكافي، ج٥، ص٣٧٧.
(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٢٧.
(٤) خميل: ثوب مخمل من صوف كالكساء له خمل، والخميلة: القطيفة، وهي كلُّ ثوب له خمل من أيِّ شيءٍ كان. وقيل: الخميل الأسود من الثياب. ينظر: الفراهيديّ، العين، ج٤، ص٢٧٤، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٨١.
(٥) إذخر: الإذخر بكسر الهمزة: حشيشة طيِّبة الرائحة يُسقَّف بها البيت فوق الخشب. ينظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج١، ص٢٣.
(٦) النسائيّ، سنن النسائيّ، ج٦، ص١٣٥.

المبحث الثاني

إنكار عصمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وتعمُّد الإساءة إليها

مرَّ بنا في الصفحات السابقة جزء من الروايات الواردة في بعض كتب السُّنن، بيَّنت على نحوٍ موجَز طبيعة علاقة الودِّ بين رسول الله وبين ابنته الزَّهراء عليها السلام، وذكرنا سابقًا أنَّه لا غرابة أن توجد هكذا روايات، ولكنَّ الغريب في الأمر أن تكون نفس تلك المصادر التي تحدَّثت عن فضائل السيِّدة الزَّهراء، والتي رسمت في مخيَّلة المتلقِّي صورة حسنة عن هذه الشخصيَّة العظيمة، بالمقابل تذكر روايات أخرى مخالفة فيها من الإساءة المبطَّنة، وأحيانًا الظاهرة بحقِّ السيِّدة الزَّهراء لا يمكن السكوت عنها، وكأنَّ المطَّلع على هذه الروايات يتصوَّر أنَّ الحديث في هذا الجانب عن سيِّدة مغايرة عن السيِّدة نفسها التي تناولنا بعض من الروايات التي وردت في حقِّها في الصفحات السابقة، فحينما تطرَّقنا للروايات التي وصفت طبيعة العلاقة الحميمة بين رسول الله وابنته الزَّهراء، تظهر لنا روايات أخرى تصف أنَّ العلاقة بين الزَّهراء وأبيها عكس ذلك، وهذا ما لا يقبله العقل والمنطق على حدٍّ سواء، وهذا ما سيتَّضح في الفقرات أدناه.

أوَّلًا: إنكار عصمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

فحينما ذكر أحد كتب السُّنن الموضوع المفتَعل الذي تحدَّثت عنه مصادر التراث العربيّ المنحرفة، والخاص بنيَّة الإمام عليّ بن أبي طالب الزواج من ابنة أبي جهل، صوَّر لنا هذا المصدر أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وكأنَّها إحدى النساء الأُخريات التي تعارض فكرة أن يتزوَّج زوجها من امرأة أخرى زواجًا شرعيًّا، وتأخذها حالة من الغيرة المفرطة

التي تدفعها إلى أن تتحدَّث مع أبيها بطريقة لا تنمُّ عن حُسن التربية والتأسيس الصحيح للبناء الأسريّ، وتقدير واحترام لوضع الأب ومكانته، وبجرأة بعيدة عن معاني الذوق، للأسف بهكذا صورة رُسِمت صورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حينما سمعت بذلك الزواج المزمع إقامته، فقد رويَ «.. عن الزهريّ، أخبرني عليّ بن الحسين أنَّ المسوَّر بن مخرمة أخبره أنَّ عليّ بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت محمَّد، فلمَّا سمعت بذلك فاطمة أتت النبيّ فقالت: إنَّ قومك يتحدَّثون أنَّك لا تغضب لبناتك..»[1]، هذه الرواية على الرغم من كثرة الثغرات الموجودة فيها، والتي يتوجَّب الوقوف عند أغلب جزئيَّاتها، ولكنَّنا لسنا بصدد إبطال هذا الادِّعاء في مسالة الخطبة المكذوبة، إلَّا أنَّ ما يستوقفنا هو طريقة التي صيغت بها الرواية من قِبَل الراوي، والتي صوَّرت حالة التشنُّج في طرح الموضوع على رسول الله بأسلوب بعيد عن السلوكيَّة المعروفة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والبيئة التربويَّة التي نشأت فيها.

الشيء الآخر من الوصف السيِّء الذي اعتمدته كتب السُّنن هو إنكار عصمة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال طرح بعض الروايات التي تصف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وكأنَّها سيِّدة لا تميِّز عمَّا هو حلال أو حرام، ولم تكن تعرف ما يزعج رسول الله صلى الله عليه وآله من التصرُّفات التي هي بعيدة عن مرضاة الله تعالى، وربَّما تُدخِل فاعلها النار، فقد ذكر النسائيّ «.. عن أبي أسماء الرحبيّ، أنَّ ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله حدَّثه، قال: جاءت بنت هبيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي يدها فتخ (فقال كذا في كتاب أبي، أي خواتيم ضخام)، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يضرب يدها، فدخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فانتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليَّ أبو حسن، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، والسلسلة في يدها، فقال: يا فاطمة أيغرُّك أنْ يقول الناس: ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يدها سلسلة من نار، ثمَّ خرج ولم

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، ص٦٤٤.

يقعد، فأرسلت فاطمة عليها السلام بالسلسلة إلى السوق، فباعتها، واشترت بثمنها غلامًا، وقال مرَّة عبدًا، وذكر كلمة معناها، فأعتقته، فحُدِّث بذلك، فقال: الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار»[1]. هذه الرواية بحاجة للوقوف عند جميع ما ورد فيها من تجاوزات، سواء ما يتعلَّق منها بشخص النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، أو ما يتعلَّق بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فقد ناقش أحد الباحثين[2] هذه الرواية بقوله:

أوَّلًا: إنَّ الخواتيم التي كانت في يد بنت هبيرة، سواء أكانت من فضَّة أم من ذهب، لم يكن التزيُّن بها محظورًا على المرأة، فكيف يعاتبها النبيّ صلى الله عليه وآله لاسيما إذا كان اقتناؤها لها مشروعًا كما هو المفروض؟.

ثانيًا: الظاهر أنَّ بنت هبيرة كانت بالغة بشهادة أنَّها كانت تتختَّم بخواتيم ضخام، ودخلت على فاطمة عليها السلام تشكو إليها ما صنع بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف يصحُّ للنبيّ صلى الله عليه وآله مسَّ يدها بالضرب مع أنَّها أجنبية؟! والظاهر أنَّ الضرب كان بالمباشرة لا بالآلة.

ثالثًا: لو افترضنا جواز الضرب، لكنَّ النبي صلى الله عليه وآله أجلّ من أن يضرب يد بنت هبيرة تأدُّبًا وترهُّبًا، بل كان اللازم أن يأمرها بالمعروف بأسلوبٍ لائق.

رابعًا: إنَّ الحديث يدلُّ على أنَّه لـمَّا دخلت بنت هبيرة على فاطمة واشتكت عمَّا صنع بها رسول الله صلى الله عليه وآله، انتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليَّ أبو حسن، مستظهرة بأنَّ التزيُّن بالذهب أمر حلال للمرأة، وليس لأحد الاعتراض عليك.

ومن الواضح أنَّ فاطمة من أهل البيت الذين طهَّرهم الله تطهيرًا، وهي أجلُّ من أن تعترض على أبيها بانتزاع ما في عنقها من الذهب.

خامسًا: ثمَّ إنَّ الحديث يتضمَّن أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل عليها والسلسلة في يدها، فقال:

---

(١) سنن النسائيّ، ج٨، ص١٥٨.

(٢) السبحانيّ، الحديث النبويّ بين الرواية والدراية، ص٢٦٣.

«يا فاطمة أيغرُّك أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار». ثمَّ خرج ولم يقعد، وعندئذ يُثار السؤال التالي:

إنَّ السلسلة التي كانت في يدها لا تخلو عن حالَتين، إمَّا أن تكون ملكًا للغير، غير راضٍ بالتصرُّف فيها، أو ملكًا لفاطمة عليها السلام.

والأوَّل لا يليق أن يُنسب إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله التي يدور على رضاها وغضبها رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وغضبه.

والثاني كيف يفسَّر ما ورد في الحديث «وفي يدها سلسلة من نار» أوَ ليس ما تتزيَّن به المرأة من أقسام الكنز حتَّى تكون سلسلة من نار؟!!

وأغلب الظنِّ أنَّ الحديث من الموضوعات التي اختلقها الجهاز الأمويّ الحاكم؛ للحطِّ من شأن فاطمة الزَّهراء وبعلها عليهما السلام، يُضاف إلى ذلك أنَّ تصرُّف السيِّدة الزَّهراء – حاشاها من ذلك– في عمليَّة بيع الذهب وشراء الغلام أو العبد كان بغير عِلم زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا الشي لا تفعله أغلب النساء، فكيف تفعله سيِّدة نساء العالمين؟ للأسف الشديد ترسم هذه الرواية صورة مشوَّهة عن حقيقة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

ومن الروايات الأخرى التي تقع على شاكلة هذه الرواية، ما رواه سليمان السجستانيّ بسنده عن ثوبان أنَّه قال: «.. كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأوَّل من يدخل عليها إذا قَدِم فاطمة، فقَدِم من غراة له وقد علقت مسحًا أو سترًا على بابها، وملت الحسن والحسين قلبَين من فضة، فقدِم فلم يدخل، فظنَّت أنَّ ما منعه أن يدخل ما رأى، فهتكت الستر وفكَّكت القلبَين عن الصبيَّين، وقطعته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، هما يبكيان، فأخذه منهما، وقال: «يا ثوبان، اذهب بهذا إلى آل فلان أهل بيت في المدينة، إنَّ هؤلاء أهل بيتي أكره أن يأكلوا طيِّباتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان اشترِ لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عـاج»[1]. عجبًا على

(١) سليمان السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج٢، ص٢٩١-٢٩٢.

صاحب السُّنن كيف يتقبَّل هكذا روايات لا تتناسب مع شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وقد وردت رواية أخرى مفادها أن رجلًا أضاف عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فصنع له طعامًا، فقالت السيِّدة فاطمة عليها السلام: «لو دعونا رسول الله صلى الله عليه وآله فأكل معنا، فدعوه، فجاء فوضع يده على عضادتي الباب، فرأى القرام[1] قد ضرب به ناحية البيت، فرجع، فقالت فاطمة لعليّ: إلحقه فانظر ما أرجعه، فاتبعه، فقلت: يا رسول الله ما ردَّك؟ فقال: «إنه ليس لي ولا لنبيّ، أن يدخل بيتًا مزوَّقًا»[2].

لم يقتصر أمر إنكار العصمة عند حدٍّ معيَّن، فقد تنوَّعت الروايات التي وردت في كتب السُّنن التي أرادت أن تشيع التضليل على عصمة وحجاب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال الرواية الآتية: «.. عن أنس أنَّ النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوب إذا قنَّعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطَّت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلمَّا رأى النبيّ صلَّى عليه وسلم ما تلقي قال: «إنَّه ليس عليك بأس، إنَّما هو أبوك وغلامك»[3]، وهنا يتَّضح ما لهذه الرواية من مقاصد للحطِّ من وقار وعفَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتقليل من شأن حجابها واحتجابها عن الآخرين.

ثانيًا: تعمُّد الاساءة للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام

هناك رواية غريبة وردت في سنن أبي داوود فيها من التجنِّي والتعدِّي على حرم السيِّدة الزَّهراء، إلى حدٍّ لا يمكن السكوت عنه، وتترك في ذهن القارئ الذي ليس في جعبته شيء من الاعتقاد المطلق بالسيِّدة الزَّهراء أثر سلبيّ للغاية بحقِّ السيِّدة

(١) القرام: ثوب من صوف غليظ جدًّا يُفرَش في الهودج، وقيل القرام الستر الرقيق وراء الستر غليظ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٧٤-٤٧٥.

(٢) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج٢، ص١٩٩، القزوينيّ، سنن ابن ماجه، ج٢، ص١١١٤-١١١٥.

(٣) السجستانيّ، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٠-٢٧١.

الزَّهراء عليها السلام، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّه قال: «قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، يعنى ميتًا، فلمَّا فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وانصرفنا معه، فلمَّا حاذى بابه وقف، فإذا نحن بامرأة مقبلة، قال: أظنُّه عرفها، فلمَّا ذهبت إذا هي فاطمة عليها السلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟ فقالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم أو عزَّيتهم به، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فلعلَّك بلغت معهم الكدي- القبور- قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر..»[1]، وفي رواية أخرى «.. فقال لها: لو بلغتها معهم ما رأيت الجنَّة حتَّى يراها جدُّ أبيك..»[2]. هنا يظهر للعيان حجم الإساءة لشخص السيِّدة الزَّهراء عليها السلام من خلال جعلها تخرج من بيتها دون علم زوجها وأبيها، وتتصرَّف وكأنَّ مسألة عدم إطاعة الزوج والأب مسألة لا تدعو للاهتمام، والشيء الآخر هو سؤال النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة الزَّهراء والاستعلام منها عن زيارة المقابر، وعلى ما يبدو، ومن خلال ما ورد في الرواية، من أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد منع زيارة القبور، وهذا تجنِّي آخر على شخص النبيّ صلى الله عليه وآله من حيث منع زيارة القبور، فقد ورد بهذا الشأن عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في كلِّ غداة سبت فتأتي قبر حمزة وتترحَّم عليه وتستغفر له**». وروي عن السيِّدة عائشة أنَّها قالت حينما سُئلت عن زيارة القبور «.. عن ابن أبي فليكة أنَّه قال لعائشة مِن أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، قلت: قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن زيارة القبور. قالت: نعم نهى ثمَّ أمرنا بزيارتها، وإنَّ النساء داخلات في الرخصة، وأمَّا الكراهية لهنَّ فلأنَّ الستر والصيانة أولى بهنَّ[3]. هذا دليل على بطلان ادِّعاء القوم، ومن جانب آخر، وردت مفردة «.. فقال لها لو بلغتها معهم ما رأيت الجنَّة حتَّى يراها جدُّ أبيك»، وهذا يعني ان النبي صلى الله عليه وآله قد بين للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بأنَّها لو زارت المقابر فإنَّها سوف تُحرَم من

(١) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج٢، ص٦٣.
(٢) السجستانيّ، المصدر نفسه، ج٤، ص٢٧-٢٨.
(٣) الحِلِّيّ، المعتبر، ج١، ص٣٤٠.

الجنَّة على الرغم من حُسن عبادتها وإطاعتها لله سبحانه، وكأنَّ مصير النساء في اليوم الآخر مرهون بمدى زيارتهنَّ للمقابر!!!.

وهنالك رواية وردت في أحد كتب السُّنن، يجدر بنا ذِكرها كما وردت، من أجل الاطلِّاع على حجم الإساءة والتجاوز على جميع الشخوص التي وردت في ثنايا الرواية، بدأً من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فقد روي «.. أنَّ عليّ بن أبي طالب دخل على فاطمة وحسن وحسين يبكيان، فقال: ما يبكيهما؟ فقالت: الجوع، فخرج عليّ فوجد دينارًا بالسوق، فجاء إلى فاطمة فاخبرها، فقالت: أذهب إلى فلان اليهوديّ فخُذ دقيقًا، فجاء اليهودي فاشترى به دقيقًا، فقال اليهوديّ: أنت خِتن هذا الذي يزعم أنَّه رسول الله؟ قال: نعم، قال: فخذ دينارك ولك الدقيق، فخرج عليّ حتَّى جاء به فاطمة فأخبرها، فقالت: أذهب إلى فلان الجزَّار فخذ لنا بدرهم لحمًا، فذهب فرهن الدينار بدرهم لحم، فجاء به، فعجنت، ونصبت، وخبزت، وأرسلت إلى أبيها، فجاءهم فقلت: يا رسول الله اذكرت لك فإن رايته لنا حلالًا أكلناه واكلت معنا من شأنه كذا وكذا، فقال: كلوا باسم الله فأكلوا، فبينما هم مكانهم، إذا غلام ينشد الله والإسلام الدينار، فأمر رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم فدعى له، فقال: سقط منِّي في السوق، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا عليّ اذهب إلى الجزَّار فقل له: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لك أرسل إليَّ بالدينار ودرهمك عليَّ فأرسل به فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]، ولا أجد خير كلام بليغ أردُّ به على هذه الرواية سوى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[2].

(١) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج١، ص٣٨٦.
(٢) سورة الفرقان، الآية: (٦٣).

المبحث الثالث

مصادرة حق السيِّدة الزَّهراء في ميراثها

من بين الأمور المهمَّة التي حصلت في حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وتحديدًا ما حصل بعد وفاة النبيّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله هو حرمانها من ميراثها وحقّها الشرعيّ الذي وهبه لها أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، في فدك وغيرها، فقد روي «.. أنَّ الله تعالى لما فتح على نبيِّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها- ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب- أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، فلم يدرِ رسول الله صلى الله عليه وآله مَن هم، فراجع في ذلك جبرئيل عليه السلام، فسأل الله تعالى عن ذلك، فأوحى إليه: **أن ادفع فدك إلى فاطمة صلوات الله عليها**، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: **يا فاطمة إن الله سبحانه أمرني أن أدفع إليك فدك**، فقالت: **قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك**. فلم يزل وكلاؤها، فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله..»[1]، وهناك الكثير من الأدلَّة التي تؤكِّد أحقيَّة السيِّدة الزَّهراء في ما طالبت فيه[2]، لذا سيتركَّز البحث في هذا المبحث على الروايات المتعلِّقة بموضوع فدك، وعلاقته بالسيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتي وردت في كتب السُّنن (ابن ماجه، أبي داوود، الترمذيّ، النسائيّ).

لقد تناولت أغلب المصادر العربيَّة الإسلاميَّة، سواء كانت فقهيَّة أم حديثيَّة

(١) المفيد، المقنعة، ص٢٨٩، الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٥٤٣، الطوسّي، تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٤٨.

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرِّضا، ج١، ص٢١١، الطبرسيّ، الاحتجاج، ج١، ص١١٩. للمزيد ينظر: محمَّد باقر الصدر، فدك في التاريخ، ص١٨٥.

أم تاريخيَّة، قضيَّة فدك، ومن بين تلك المصادر تلك السُّنن التي تناولت بشيء من الاقتضاب مسألة مطالبة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لأبي بكر بحقِّها في فدك والمدينة، فقد روي عن عروة بن الزبير عن السيِّدة عائشة أنَّها قالت: «.. إنَّ فاطمة بنت محمَّد صلَّى الله عليه [وآله] وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم، ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم قال: «لا نورِّث، ما تركنا صدقة، إنَّما يأكل آل محمَّد من هذا المال»، وإنِّي والله لا أغيِّر شيئًا من صدقة رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم عن حالها التي كانت عليه في عهد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم، فلأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئًا»[1]، وهذا يعني أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد أرسلت من يسأل أبي بكر حقَّها في فدك، بحسب الرواية أعلاه «.. أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها..»، وقد ذكر النسائيّ نفس مضمون الرواية «.. عن عروة بن الزبير عن عائشة أنَّ فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلم من صدقته وممَّا ترك من خمس خيبر. قال ابو بكر إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم قال لا نـورث»[2]، في حين أنَّ هناك مصادر أخرى من كتب السُّنن موضوع الدراسة ذكرت أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام جاءت إلى مكان وجود أبي بكر تسأله عن حقِّها من تركة أبيها صلى الله عليه وآله في فدك، أي إنَّ السيِّدة الزَّهراء هي من قامت بالمواجهة المباشرة مع مَن غصب حقَّها، فقد روي «.. جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: مَن يرثك: قال: أهلي وولدي، فقالت: فما لي لا أرث أبي، فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم يقول: لا نورث..»[3]، غير أنَّ الراجح والشائع بين مصادر التراث

(١) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج٢، ص٢٣.
(٢) سنن النسائيّ، ج٧، ص١٣٢.
(٣) السجستانيّ، سنن أبي داوود، ج٢، ص٢٤، الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٣، ص٨١-٨٢.

العربي[1] أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي من قامت بالذهاب إلى أبي بكر والاستعلام منه (استعلام حُجَجيّ)، أي أرادت إلقاء الحجَّة عليه أمام المسلمين، والمطالبة بحقِّها في فدك وما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله. والأمر الأغرب في ردِّ أبي بكر على سؤال السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حينما استرسل في الإجابة «.. ولكن أعول من كان رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم يعوله، وأُنفق على من كان رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم يُنفِق عليه»[2]، أي إنَّ أبي بكر أعلن نفسه مسؤولاً عن نفقة آل محمَّد صلى الله عليه وآله، وتناسى أنَّ الصدقة حرام على أهل البيت عليهم السلام «إنَّ الصدقة حرام على محمَّد وآل محمَّد»[3]، وهنا أمر غريب آخر ورد في جواب أبي بكر «.. إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أطعم نبيًّا طعمة فهي للذي يقوم من بعده»[4].

ومن الروايات الجدليَّة التي وردت في أحد كتب السُّنن، والتي تناولت قضيَّة فدك، ما جاء في سنن أبي داوود «.. عن المغيرة، قال: جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين أستخلف فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم كانت له فدك، فكان ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوِّج منها أيمهم، وإنَّ فاطمة عليها السلام سألته أن يجعلها لها فأبى، فكانت في حياة رسول الله صلَّى الله عليه [وآلـه] وسلم، حتَّى مضى لسبيله، فلمَّا أن ولي أبو بكر، عمل فيها بما عمل النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلم في حياته، حتَّى مضى لسبيله، فلمَّا أن ولى عمر عمل فيها بمثل ما عملا، حتَّى مضى لسبيله، ثمَّ أقطعها مروان، ثمَّ صارت لعمر ابن عبد العزيز، قال- يعني عمر ابن عبد العزيز: فرأيت أمرًا منعه رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم فاطمة عليها السلام

(١) سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم، ص٢٢٦، ص٣٩٠؛ الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٤٠٦؛ القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج٣، ص٣٢

(٢) الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ٨١-٨٢

(٣) بن حنبل، مسند احمد، ج٦، ص٨؛ البيهقي، السُّنن الكبرى، ج٧، ص٣٢؛ الحلي، منتهى المطلب، ج١، ص٥١٥؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٣، ص٩١

(٤) السجستاني، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤

ليس لي بحقٍّ، وأنا أشهدكم أنِّي قد رددتها على ما كانت، يعني على عهد رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم..»[1]. هذه الرواية فيها تحريف واضح وصريح لموقف النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فحقيقة الموقف أنَّ السيِّدة الزَّهراء عليها السلام لم تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله فدك، وإنَّما رسول الله صلى الله عليه وآله هو من منحها إيَّاها بأمرٍ من الله تعالى[2]، هذا من جانب، ومن جانب آخر، إذا استقرأنا عبارة «.. فرأيت أمرًا منعه رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم فاطمة عليها السلام ليس لي بحقّ، وأنا أشهدكم أنِّي قد رددتها على ما كانت..»، التي وردت في الرواية، ففيها مغالطات عدَّة نبيِّنها في النقاط الآتية:

أوَّلًا: لو فعلًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعطِ فدك للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام في حياتها وأمام مرأى ومسمع من المسلمين، فكيف بها عليها السلام أن تطالب بفدك بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله على اعتبار أنَّ الأمر محسوم مسبقًا.

ثانيًا: لماذا لم يعمل عثمان بن عفَّان الذي أقطع فدك لمروان بن الحكم بما عمل به من سبقه في الحكم (أبو بكر وعمر بن الخطَّاب)، والراوية تزعم أنَّ من جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عملا بما عمل النبي به صلى الله عليه وآله في حياته.

ثالثًا: كيف يمكن الركون لهذه الراوية والاحتجاج بها من قِبَل كتب السُّنن، وهي مجانبة للحقيقة التاريخيَّة، ومضلِّلة للواقع المتعارَف عليه بين جميع المسلمين، بخصوص ما فعله عمر بن عبد العزيز في مسألة أرض فدك؛ لأنَّ المصادر الإسلاميَّة على تنوُّعها ذكرت أنَّ عمر بن عبد العزيز في بداية تسنُّمه منصب الخلافة رفع السبَّ عن الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام من على المنابر الأمويَّة، وردَّ فدك للعلويِّين، فقد ورد بهذا الشأن «لـمَّا ولي عمر بن عبد العزيز ردَّ فدك على ولد فاطمة، وكتب إلى واليه على المدينة أبي بكر

(١) السجستانيّ، ج٢، ص٢٤.

(٢) المفيد، المقنعة، ص٢٨٩، الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٥٤٣، الطوسيّ، تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٤٨.

بن عمرو بن حزم يأمره بذلك..»[1]. وأعتقد أنَّ ناقل الرواية أراد الخروج من المأزق الذي وضعته فيه الرواية، من جانب، ومن جانب آخر تبرأة أبي بكر وعمر بن الخطَّاب المسبِّبين في قضية حقوق السيِّدة الزَّهراء، قام بالتلاعب والاسترسال بهذه الرواية ظنًّا منه أنَّها ربَّما تُسعِف موقفه المجانب للحقيقة.

(١) الشريف الرضيّ، الشافي في الإمامة، ابن إدريس الحِلِّيّ، موسوعة ابن إدريس، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٧٨.

الخاتمة

تعتبر كتب السُّنن من بين كتب التراث العربيّ الإسلاميّ التي تمَّ من خلالها تقصِّي جانب مهم من جوانب المعرفة الإسلاميَّة، والاطِّلاع على بعض الشذرات من سير الشخصيَّات المهمَّة والبارزة التي مرَّت على مسرح الأحداث البشريَّة، وبقي شذاها عالقًا في أذهان المسلمين عبر القرون الزمنيَّة، فكيف إذًا كانت تلك الشخصيَّة هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، سليلة العلم والورع والزهد والإيمان، ومنهل من مناهل أبواب التقرُّب إلى الله تعالى.

بعد الاطِّلاع على كتب السُّنن التي تناولت شيئًا من سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من خلال الروايات التي وردت في مختلف الموضوعات، تبيَّن أنَّ تلك الكتب (سنن ابن ماجه، سنن أبو داوود، سنن الترمذيّ، سنن النسائيّ) قد اتَّفقت في جانب، وأخفقت في جوانب عدَّة، المتعلقة بتوصيف سيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، من حيث علاقتها بأبيها ومعرفتها بأمور دينها، ومطالبتها بحقوقها المغتصبة، فتبيَّن أنَّ صورة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام التي ظهرت في ثنايا الروايات الموجودة في كتب السُّنن الأربعة لم تكن موفَّقة في أكثر الأحداث من نقل الصورة الحقيقيَّة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، تلك الصورة الناصعة التي عرفها المسلمون، ولا تليق بسيِّدة وُصِفت على لسان خير البشر بأنَّها سيِّدة نساء العالمين.

نسأل الله العليّ القدير أن يتقبَّل هذا اليسير في نصرة محمَّد وآل بيت محمَّد صلوات الله عليهم أجمعين.

قائمة المصادر

* القران الكريم.

أوّلًا: المصادر الأوّليَّة

ابن الأثير، مجد الدين بن محمَّد (ت ٦٠٦هـ).

١. النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمَّد الطناحي، مؤسَّسة إسماعيليان، قم، ١٣٦٤ش).

ابن إدريس الحِلِّيّ، محمَّد بن إدريس العجْليّ (ت ٥٩٨هـ).

٢. موسوعة ابن إدريس الحِلِّيّ كتاب السرائر (تحقيق: محمَّد مهدي الموسويّ، مكتبة الروضة، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م).

البيهقيّ، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ).

٣. السُّنن الكبرى (دار الفكر، بيروت، د.ت).

الترمذيّ، محمَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ).

٤. سنن الترمذيّ (تحقيق، عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ).

٥. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م).

الجوهري، حمد بن عبيد الله بن عيَّاش(ت٤٠١هـ).

٦. مقتضب الأثر في النصِّ على الأئمَّة الاثني عشر (مكتبة الطباطبائيّ، قم، د.ت).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن حمدون (ت ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤م).

٧. المستدرك على الصحيحَين (إشراف: عبد الرحمن المرعشيّ، دار المعرفة، بيروت، د.ت).

ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن عليّ (ت ٨٥٢هـ).

٨. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ (ط٢، دار المعرفة، بيروت، د.ت).

ابن أبي الحديد المعتزليّ، عبد الحميد بن محمَّد بن محمَّد (ت ٦٥٦هـ).

٩. شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

الحرُّ العامليّ، محمَّد بن عبد الحسين (ت ١١٠٤هـ).

١٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (ط٢، مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، قم المشرَّفة، ١٤١٤هـ).

المحقِّق الحِلِّيّ، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن(ت ٦٧٦هـ).

١١. المعتبر في شرح المختصر(مؤسَّسة سيِّد الشهداء، قم، د.ت).

الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر(ت٧٢٦هـ).

١٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب (مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٤١٢هـ).

الحميريّ، عبدالله بن جعفر (ت٣٠٤هـ).

١٣. قرب الإسناد (مؤسَّسة آل البيت لاحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ).

أبن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١هـ).

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل (دار صادر، بيروت، د.ت).

الخصيبيّ، الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ).

١٥. الهداية الكبرى (مؤسَّسة البلاغ، بيروت، ١٩٩١م).

الدولابيّ، محمَّد بن أحمد (ت ٣١٠هـ).

١٦. الذريَّة الطاهرة النبويَّة (تحقيق، سعد مبارك الحسن، الدار السلفيَّة، الكويت، ١٤٠٧هـ).

ابن أبي زينب النعمانيّ (ت ٣٦٠هـ).

١٧. الغيبة (منشورات أنوار الهدى، قم، ١٤٢٢هـ).

السجستانيّ، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ).

١٨. سنن أبي داوود (تحقيق، سعيد محمَّد اللحَّام، دار الفكر، د.ن، ١٩٩٠).

الشريف الرضيّ، أبو الحسن محمَّد بن الحسين الموسويّ (ت ٤٠٦هـ).

١٩. الشافي في الإمامة (مؤسَّسة الصادق، طهران، ط٢، قم، ١٤١٠هـ).

ابن شهرآشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمَّد بن عليّ (ت ٥٨٨هـ).

٢٠. مناقب آل أبي طالب (تصحيح، لجنة من أساتذة الحوزة، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٤٧٦هـ).

الصدوق، أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١هـ).

٢١. علل الشرايع (منشورات المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٦م).

٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام (تصحيح وتعليق: حسين الأعلمي، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤م).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

٢٣. المعجم الكبير (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت).

الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ).

٢٤. الاحتجاج (تحقيق: محمَّد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت ٤٦٠هـ).

٢٥. تهذيب الأحكام (تحقيق وتعليق: السيِّد حسين الموسويّ الخرسان، ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٦٥هـ).

٢٦. مصباح المتهجِّد (مؤسَّسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١م).

العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ).

٢٧. عمدة القاري في شرح البخاريّ (دار إحياء التراث، بيروت، د.ت).

أبن فارس، أحمد بن زكريَّا (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

٢٨. معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٩٨٣م).

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م).

٢٩. كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرَّائيّ، طبعة مزيدة، دار الهجرة، إيران، ١٩٨٨م).

أبو الفرج الأصفهانيّ، عليّ بن الحسين (ت٣٥٦هـ).

٣٠. مقاتل الطالبيين (تحقيق، السيِّد أحمد صقر، ط٤، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٧هـ).

القاضي النعمان، محمَّد بن منصور المغربي (ت ٣٦٣هـ).

٣١. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار (تحقيق: السيِّد محمَّد الحسينيّ الجلاليّ، ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٤هـ).

الكلينيّ، أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨هـ).

٣٢. الكافي (تصحيح وتعليق: عليّ أكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، د.ت).

الكوفيّ، محمَّد بن سليمان (ت ٣٠٠هـ).

٣٣. مناقب الإمام أمير المؤمنين (تحقيق: الشيخ محمَّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، قم المقدَّسة، ١٤١٢هـ).

الشيخ المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ (ت ٤١٣هـ).

٣٤. المسائل الصاغانيَّة (تحقيق: السيِّد محمَّد القاضي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م).

٣٥. المقنعة (ط٢، مؤسَّسة النشر الإسلاميَّة، قم، ١٤١٠هـ).

ابن ماجه، محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٣هـ).

٣٦. سنن ابن ماجه (تحقيق: محمَّد فؤاد، دار الفكر العربيّ، د.ن، د.ت).

٣٧. المجلسيّ، محمَّد تقي (ت ١٠٧٠هـ).

٣٨. روضة المتَّقين في شرح من لا يحضره الفقيه (تحقيق، حسين الموسويّ، بنياد فرهنك اسلامي، قم، د.ت).

أبن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ).

٣٩. لسان العرب (دار الحوزة، قم المقدَّسة، ١٤٠٤هـ).

النسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

٤٠. كتاب السُّنن الكبرى (تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداريّ، سيِّد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

الهلاليّ، سليم بن قيس الكوفيّ (ت القرن الأوَّل الهجري/ القرن السابع الميلاديّ).

٤١. كتاب سليم بن قيس (تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ، مكتبة دليل، قم المقدَّسة، ١٤٢٢هـ).

الهيثميّ، عليّ بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

٤٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ).

٤٣. معجم البلدان (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٠هـ).

أبو يعلي الموصليّ، أحمد بن عليّ (ت ٣٠٧هـ).

٤٤. مسند أبي يعلي (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ١٩٨٨م).

ثانيًا المراجع الحديثة

أحمد، راضي أحمد.

٤٥. الهندسة الوراثيَّة بين الخوف والرجاء (دار الفوائد، القاهرة، ٢٠١٠م).

الصدر، محمَّد باقر (ت١٤٠٠هـ).

٤٦. فدك في التاريخ (تحقيق: عبد الجبَّار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، د.ن، ١٩٩٤م).

الكجوريّ، محمَّد باقر (ت ١٢٥٥هـ).

٤٧. الخصائص الفاطميَّة (ترجمة: عليّ جمال أشرف، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٣٨٠هـ).

القمِّيّ، عبَّاس (ت ١٣٩٥هـ).

٤٨. مفاتيح الجنان (تعريب: محمَّد رضا النوريّ، مكتبة العزيزيّ، قم، ٢٠٠٦م).

فاطمة الزَّهراء عليها السلام مجد الرِّسالة الإلهيَّة

د. ريما حسين أمهز
لبنان/ الجامعة اللُّبنانيَّة/ كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

ملخَّص البحث

صحيحٌ أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام رحلت عن هذه الدُّنيا قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، إلَّا أنَّها لم تسكن يومًا في زاوية من زوايا التَّاريخ، ولم ينحصر ذكرها في أسطر مكتوبة في صفحات مطويَّات، فهي ما زالت حاضرة في ضمائر المؤمنين والأحرار في كلِّ عصر ومِصر؛ ذلك لأنَّها أنموذج الحقِّ، والبطولة، والشَّجاعة، والفصاحة، والبلاغة. كيف لا؟ وهي ومضة من نور عين المصطفى صلى الله عليه وآله، تربَّت في مدرسة النبوَّة، وفُطرت على خلق سما في الذُّروة العلياء، فكانت المثل الأعلى الذي أرادته الرِّسالة الإلهيَّة للمرأة المسلمة سلوكًا ومنهجًا، سواء على صعيد حياتها الشَّخصيَّة بما تحمله من أسرار العظمة المتجسِّدة في روحانيَّتها وعفَّتها وعبادتها وزهدها وعلمها، أو على صعيد حركتها في واقع الحياة ، وما تشتمل عليه من جهاد مرير، وصبر مستَمَدٍّ من قوَّة الإيمان وشدَّة الإخلاص، ومواقف صلبة في الحفاظ على المفهوم الأصيل لقيادة الأمَّة بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله.

ولأنَّ من حقِّ رسولنا صلى الله عليه وآله علينا، ومن حقِّ البَضعَة النَّبويَّة، كما أنَّه من حقِّ الإسلام، ومن حقِّ الوفاء لديننا، أن نبذل المهج والأرواح، ونسخِّر الأقلام والأوقات في تجلية سيرة هذا النُّور، الَّذي هو قبس من أنوار النبوَّة، لا للتَّفاخر به وحسب، وإنَّما ليكون لنا

قدوة صالحة، وأسوة فالحة ونبراسًا، وضياءً وهَّاجًا يبدِّد ظلمات حياتنا الَّتي تعاونت في نشرها ظلمات ما يسمَّى بالحضارة.

جاء هذا البحث للإضاءة على بعض مناقبها، ومكارم أخلاقها، واحتجاجاتها الَّتي تحوَّلت ثورةً عارمة هزَّت عروش الظَّالمين، وكشفت اللِّثام عن وجه الطَّواغيت، وبيَّنت الحقائق النَّاصعة، ووضعت النِّقاط على الحروف حتَّى صارت رمز الانتصار والخلود للسَّائرين على دربها القويم.

الكلمات المفتاحيَّة: فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مناقب، شخصيَّة، أخلاق، احتجاج.

المقدِّمة

إنَّ الكلام في الَّذين: «خلقهم اللهّ من نور جلاله وعظمته»[1]، أمرٌ صعبٌ لمن لم يشرب من ثدي الوحي، ولم يكن له نصيب من علم الكتاب؛ لأنَّهم أجلُّ قدرًا، وأعظم شأنًا، وأعلى مكانًا، وأبعد غورًا من أن يبلغهم النَّاس بعقولهم، أو ينالوهم بآرائهم.. فهم «كالشَّمس الطَّالعة المجلِّلة بنورها للعالم وهي في الأفق، بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار»[2].

ونحن، وإن تكلَّمنا فيهم، فكلامنا على قدر ما عندنا من العلم والمعرفة، لا على قدر ما أعطاهم الله عزّ وجلّ ممَّا لا يخطر على قلب أحدٍ من الخلق، فهم أعظم ممَّا نقول فيهم، وأجلُّ ممَّا نتفوَّه به من خصالهم وفضائلهم؛ وقد ورد فيهم: «ضلَّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأرباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيَّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وخصِرت الخطباء، وجهلت الألبَّاء، وكلَّت الشَّعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنهم، أو فضيلة من فضائلهم»[3].

فما عسانا نقول في الصِّديقة الطَّاهرة، والدَّوحة الزَّكيَّة، والثَّمرة اليانعة، والزَّهرة الفيحاء، ومشكاة النبوَّة، ومغرس الرِّسالة؟ وماذا يصوِّر القلم؟ وأنَّى يتطاول هذا الفكر المحدود للإحاطة بذلك الينبوع الثرِّ من الشَّرف والرِّفعة والشُّموخ؟ وكلُّ

(١) أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ، تفسير فرات الكوفيّ: ٣٧٢.
(٢) الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب الرازيّ، أصول الكافي، ١٣٨٨هـ، المطبعة الإسلاميَّة، طهران: ١/ ٢٠٠.
(٣) م. ن: ١/ ٢٠١.

فخر وشرف يطأطئان أمام فخرها وشرفها ومجدها وسؤددها، فهي أجلُّ من أن تُشير إليها الأسانيد، وأكرم من أن تدلُّ عليها السرود، يكفيها إطارًا كونها بضعة المصطفى، وحليلة المرتضى، وأمُّ الأئمَّة النُّقباء، وسيِّدة النِّساء، إنَّها الزَّهراء عليها السلام، حديث النَّفس، وهزَّة الوعي، ومسرح الخيال، وريشة الفنَّان، وتأمُّل الروائيّ، وحيرة التَّاريخ.

كلامنا فيها إنَّما هو جهد بسيط على طريق المفاداة الحقَّة لتقيَّة زكيَّة تفيض بها الملامح إلى حدود الرِّسالة الَّتي لا يرتعش بها إلَّا ابن نبيّ، جهدٌ لا يرقى إلى جهود العلماء الكبار، وأدباء الحقِّ الَّذين أسهموا إسهامات جلَّى في بناء صرح الكلمة الصَّادقة المعبِّرة، العصيَّة على الاضطهاد والتَّنكيل، المنافحة عن الحقيقة المظلومة، الذَّابَّة دون الخير والصَّلاح والحريَّة.

ومنهجنا في هذا البحث أن لا نتوسَّع في ما زخرت به كتب السِّير من سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، واكتفينا بالإضاءة على بعض مناقبها، ومكارم أخلاقها، وسرِّ فرادتها، كما عرضنا للغة الاحتجاج عندها، والَّتي تحوَّلت ثورةً عارمة هزَّت عروش الظَّالمين، وكشفت اللثام عن وجه الطَّواغيت، وبيَّنت الحقائق النَّاصعة، ووضعت النقاط على الحروف حتَّى صارت رمز الانتصار والخلود للسَّائرين على دربها القويم.

المبحث الأوَّل

سرُّ فرادة الزَّهراء عليها السلام

في بيتٍ هو مختلف الملائكة، حيث تزوره دائمًا، هناك، حيث تتلاحم أرضه بالسَّماء وفي ساحة يرشُّها النُّور من وقع صلاة النَّبيّ صلى الله عليه وآله ليلًا ونهارًا، وصوت تلاوته الملكوتيَّة في أعماق الليل، في بيتٍ هو أملُ المستضعفين، ومنقِذُ المحرومين، وملجأ الأسرى، في بيت الوحي والجهاد، وفي أجواء الصَّبر والصُّمود وتحمُّل المشاقِّ، في بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله وخديجة، فتحت الزَّهراء عليها السلام عينيها على الدُّنيا، فأشرقت الدُّنيا، وامتلأت منها الأقطار بالطِّيب والأنوار، وفاح عطر العظمة، وامتلأت بيوتات مكَّة بالنُّور، «ولم يبقَ في شرق الأرض ولا في غربها موضعٌ إلَّا أشرق نورًا، وظهر في السَّماء نورٌ أزهر لم يكن قبل هذا»[1].

نشأت فاطمة عليها السلام وربِّيت في حضن أمٍّ كان الحنان يذوب من أردانها، ورفلت في قلائد النُّور على أنغام كلمات الوحي من فمِ الصَّادق الأمين، الَّذي كان يحنو عليها ويبذل الوسع في إعدادها؛ لتكون ابنة الرِّسالة المثلى، والقدوة الكبرى لنساء العالمين، فكانت قبسًا من ذلكم الضِّياء النَّبويّ المتلألئ والنُّور العميم، والخُلق الرَّفيع، والعبادة المتبتِّلة، والشَّمائل المحمَّديَّة الجليلة الَّتي هي مضرب المثل في العالمين، وتاج أخلاق النَّبيِّين عليهم أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم.

(١) الحافظ رجب البرسيّ، مشارق الأنوار في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق: العلَّامة السيِّد علّي عاشور: ٨٥.

استظلَّت عليها السلام بظلال القرآن، وعاشت غدوات جبريل وروحاته ونزوله في بيت أبيها صلى الله عليه وآله، وترعرت في كلِّ ساعات حياتها تحت عين النبوَّة الممتزجة بالأبوَّة، وسارت مع الدَّعوة منذ مشرق شمسها، وكبرت معها في سنِّها ووعيها وتديُّنها، ساعةً فساعةً، ويومًا فيومًا، وحدثًا فحدثًا في الفترة المكِّيَّة، ثمَّ المدنيَّة، فنبتت كشجرة طيِّبة أصلها في محضن النبوَّة، وفرعها في سماء الأخلاق والعبادة، فكانت بحقٍّ سليلة النُّبوَّة، ورفيقة درب الإمامة، ونزيلة مهبط الوحي، واستحقَّت بذلك كلّه تلك البشرى الرَّبَّانيَّة الَّتي نزل بها الوحي الأمين، وردَّدتها شفتا الصَّادق المصدوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

لقد حلَّت الزَّهراء عليها السلام في أوسع مكان في قلب أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، ووقعت في نفسه الشَّريفة أحسن موقع، ولم يكن ذلك منبعثًا من العاطفة الأبويَّة فحسب، بل كان الرَّسول صلى الله عليه وآله ينظر إلى ابنته بنظر الإكبار والإجلال، وذلك لما كانت تتمتَّع به السيِّدة فاطمة عليها السلام من المواهب والمزايا والفضائل، وما كان يدع فرصة أو مناسبة تمرُّ به إلَّا وينوِّه بعظمة ابنته، ويشهد بمواهبها ومكانتها السَّامية عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله.

وقد وردت بعض الأحاديث الَّتي تدلُّ على ما كانت تتمتَّع به السيِّدة فاطمة عليها السلام من المكانة في قلب الرَّسول صلى الله عليه وآله: رويَ عن الإمام الصَّادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، قالت: **لـمَّا نزلت** ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[2]، **هبْتُ رسول الله أن أقول له: يا أبه. فجعلتُ أقول يا رسول الله، فأقبل عَلَيَّ وقال: يا فاطمة إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلِك، أنتِ منِّي وأنا منك، إنَّما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكِبَر من قريش قولي: يا أبه، فإنّها أحيى للقلب وأرضى للرَّبِّ، ثمَّ قبَّل النبيُّ جبهتي..**»[3].

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) النُّور: ٦٣.
(٣) ابن المغازلي الشَّافعي، المناقب: ٣٦٤.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**رائحة الأنبياء: رائحة السَّفرجل، ورائحة الحور العين: رائحة الآس، ورائحة الملائكة: رائحة الورد، ورائحة ابنتي فاطمة الزَّهراء: رائحة السّفرجل والآس والورد**»(١).

لقد تفرَّدت فاطمة عليها السلام بهذا الحبِّ العظيم، ولأنَّ حبَّ الأب لابنته كان فريدًا، كان حبُّ الفتاة لأبيها حبًّا غنيًّا، فجعلت من النبوَّة طفلها البكر، وعوَّضته عن عطف الأمِّ، فداعبته بيد، وقبَّلته بفم، وعانقته بعين، ورافقته بقلب، وحضنته بروح، وضمَّته بشوق، فأشعلت بين حناياها أشواق السَّماء، والتهبت في محجريها أثقال المعاني.

كانت فاطمة الصَّغيرة كنسيمٍ مهدِّئ، يمسح برفق على وجنات الوالد المتعبة ليلًا ونهارًا، ويسكِّن أوجاع الأيَّام الشَّاقَّة الَّتي تمرُّ بها الرِّسالة، كم هو مثير أن تكون لمثل هذه البنت من الكرامة بحيث تبعث الهدوء والسَّكينة في قلب سيِّد الكائنات، الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث يقول في حقِّها: «وأمَّا ابنتي فاطمة فإنَّها سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.. وهي بَضعة منِّي، وهي نور عيني.. وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي الَّتي بين جنبيَّ، وهي الحوراء الأنسيَّة»(٢)، إلى سوى ذلك من السِّمات الدَّقيقة الَّتي اتَّصفت بها الزَّهراء في أحاديث أبيها عنها، حتَّى عادت مصداقًا لا ينطبق إلَّا عليها، وفي ذلك مؤشِّر إلى درجة الاندماج الكلِّيّ بين الوالد ووليدته في المعطيات الرِّساليَّة، وهو ما يوحي بالتَّكامل الفعليّ لدى الزَّهراء في أرقى منافذه بالعِصمة عن الخطأ، أو الزَّلل في القول، أو الخطأ في الرَّأي، ممَّا كوَّن شخصيَّتها الإسلاميَّة الفذَّة بالضَّرورة العقليَّة، وفي ظلِّ هذا الفهم فسَّر الحديث النَّبويّ الشَّريف: «**من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى فاطمة**»(٣).

(١) المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي، بحار الأنوار، باب السفرجل.
(٢) الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين القمِّيّ، الأمالي: ١٧٥.
(٣) البيهقيّ، السُّنن الكبرى: ١/ ٢٦.

وبفضل هذا الحبِّ ازدوجت لها الحالتان، فهي بنت أبيها في الوقت الَّذي أصبحت فيه «أمُّ أبيها»، وتلك أوَّل تسجيلة حلوة من نوعها تأخذها صفحة ناعمة من صفحات التَّاريخ.

وفي هذا الضَّوء نجدها قطعة من توجيهه المشرق، ونفحة من عبيره الفوَّاح، ومسحة من النُّور الإلهيّ، وفيضًا من الوحي السَّماويّ، وصورةً متألِّقة السِّمات عن الرَّسول العربيّ الكريم في الخلق والاستواء والتَّشابه، حتَّى قالت عائشة: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه، قام إليها فقبَّلها، ورحبَّ بها، كما كانت تصنع هي»[1].

وتكاملت الصُّورة عندما تزوَّجت أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت كفؤًا له، وكان كفؤًا لها، والتقى النَّيِّران، وكان زواجًا هادئًا تشمله البساطة من وجه، والسَّعادة من وجه آخر، وأنجبت بِكرها الأوَّل، الإمام الحسن عليه السلام، ورُزِقت بالإمام الحسين عليه السلام، وتلألأ البيت المتواضع بعقِيلَتَين هما: زينب الكبرى، وزينب الصُّغرى، وتحدَّر النَّسل المبارك من ذريَّة الإمام الحسين حتَّى المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فكان ذلك مصداقًا للكوثر الَّذي أُعطي رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن وُسِم من قريش بأنَّه أبتر لا عقب له، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[2].

فكانت هذه الصَّفوة مع الزَّهراء عليها السلام قادة الأمَّة، وحماة الوحي، وأمناء الله على شريعته، وحجَّته على عباده، وكانت الزَّهراء حجَّة على الأئمَّة أنفسهم حتَّى أنَّ إمامنا الحجَّة أرواحنا فداه قال لشيعته: «**ولولا ما عندنا من محبَّة صلاحكم ورحمتِكم، والإشفاق عليكم، لكنَّا عن مخاطبتكم في شُغُلٍ، ممَّا قد امتحنَّا من منازعة الظَّالم العتلّ، الضالّ المتتابع في غيِّه، المضادّ لربِّه، المدَّعي ما ليس له، الجاحد من افترض الله طاعته، الظَّالم الغاضب. وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة، وسيرتدي الجاهل رداء عمله،**

(١) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب: ٤/ ٣٧٧.
(٢) الكوثر: ١-٣.

وسيعلم الكافر لمن عقبى الدَّار»[1].

ومن هذا الأفق الرَّحب، انبعثت الزَّهراء ملاكًا طاهرًا في العفَّة والشَّرف، ربيبة وحي، وخدينة إمامة، تتلقَّى الكرامة من منهَلَين عذِبَين، وتتغذَّى الشَّهامة من نبعَين صافيَين،: عزَّة نفس، وصلابة رأي، وقوَّة أسر، وعراقة أصل، حُبِكَ لها الشَّرف الشَّامخ بين النَّبيِّ والوصيّ صلوات الله عليهما؛ ومشى نحوها الإنجاب بالحسن والحسين، فحسرت عن وجهٍ كالمرآة صفاءً، وتنهَّدت عن قلبٍ بالبراءة حافلًا، وبالإيمان عامرًا. وهذا سرُّ فرادتها.

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٥٣/ ١٧٩-١٨٠.

المبحث الثاني

شذرات من مناقب الزَّهراء عليها السلام

ما عسانا نقول في فاطمة عليها السلام، وما عساه القلم يسطِّر في مناقبها العطرة، وبصماتها الإنسانيَّة، وإشعاعها الملائكيّ، ولها من جلالها وهيبتها وشرفها ورفعتها وشموخها وقداستها ما يجعل البليغ عاجزًا عن الإفصاح، ويدع الفصيح متردِّدًا في الأداء، فمن يقدر على الإحاطة بمعرفتها بما هي هي، وبما تحمل في ذاتها وصفاتها من الأسرار، هيهات هيهات لا يعرفها حقَّ المعرفة إلَّا مصوِّرها وبارؤها، وأبوها صلى الله عليه وآله، وبعلها عليه السلام، ولمثلها يقوم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إجلالًا، ويقبِّل صدرها ويدها، ويشمُّ منها رائحة الجنَّة، ولا يخرج من المدينة حتَّى يودِّعها، ولا يدخل حتَّى يسلِّم عليها أوَّلًا، وليس كلُّ هذا باعتبار العاطفة الأبويَّة، بل لما تحمل من الفضائل النَّبويَّة، والأسرار العلويَّة.

إنَّ لفاطمة الزَّهراء عليها السلام من الأمجاد ما لا يطاول بشأن، وإنَّ لها من الآفاق ما لا يُنال بارتقاء، ومن الشَّمائل والمناقب ما لا يُحدُّ بحدود؛ إنَّها الصُّورة الصَّادقة للحياء والعفَّة والرَّأي النَّاصع، إنَّها الأفق الرَّحيب الَّذي لا يتناهى.. والجوهر الفرد الَّذي لا يجارى، إنَّها الملاك الطَّاهر في رهافة الحسِّ، وهدوء الرُّوح، وسكينة الصَّبر والوقار، ورقَّة الحنان، وأصالة البراءة، وسموِّ الذَّات.

إنَّها المعصومة، الورعة في السلوك، والمتثبِّتة في الدِّين، والمتمرِّسة في الإيمان، والعالمة بأسرار الشَّريعة، المتفقِّهة بأحكام الرِّسالة، المقيمة السُّنن، الثَّبتة على المبدأ. إنَّها معجم حافل بالرَّوعة والمفردات الإنسانيَّة، وسجلٌّ زاهر لا مثيل له في التَّضحية

والفداء والبطولة، إنَّها الضَّمير النَّابض بالحركة والحياة، والنَّبع الحالم بالصَّفاء والنَّقاء واللُّطف.

إنَّها الثَّورة في المجابهة والإعصار، وفي الممانعة ومقارعة الجور والاضطهاد والظُّلم والعدوان، ومجابهة الباطل والاستئثار، والجرأة في الحقِّ، وشحذ الهمم، ورباطة الجأش، وصدق العزيمة، وصلابة الموقف، ومتابعة الهدى. إنَّها منار سامق بالرَّفض والاحتجاج والتَّصدِّي. إنَّها العزَّة والكرامة والنَّهج السَّويّ، فهي الشُّجاعة المتمسِّكة بالقول الثَّابت وإعلاء كلمة الله في الأرض.

لقد خلق الله سبحانه فاطمة الزَّهراء لتكون الأنموذج الأعلى للأخلاق والفضيلة، حتَّى قال عنها النَّبيّ صلى الله عليه وآله: «**لو كان الحسن شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم. فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**»[1]. فالكمال الإنسانّي تجسَّد بصورة مباشرة في وجود الزَّهراء عليها السلام، وعبرها تمكَّن الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله من هدم قلعة الظُّلم، وتغيير القلوب الفظَّة القاسية.

ومن كانت تتمتَّع بمثل هذه الشَّذرات الثَّمينة، وهذا الزَّخم من الخصائص، لا يمكن لمجلَّدات الكون أن تحيط بها، فأنَّى لبحث متواضع مثل بحثنا أن يكون له ذلك؟ قد نحاول ولا نستطيع أن نعبِّر عن الأفكار الزَّازحة تحت ضغوط الآفاق الَّتي لا تتناهى، أو نلتقط تلك الشَّذرات النَّادرة في خضمِّ هذا الكائن العملاق بأدقِّ معاني الكلمات، ولكنَّنا حاولنا عسى أن نحيط بألقٍ من شعاعها الهادي، وعبقٍ من نفحاتها الفيحاء، الَّتي سنكتفي بالإشارة إلى جملة منها بصورة مُجمَلة:

زهدها وتقشُّفها:

كانت السَّيِّدة فاطمة عليها السلام على جانب كبير من الزُّهد، وكانت تنظر إلى حطام الدُّنيا نظرة تحقيرٍ واستهانة، ولم يتعلَّق قلبها بحبِّ الدُّنيا وما فيها، ولم تحبّ الدُّنيا للدُّنيا، بل

(١) الحمويني، إبراهيم بن محمَّد الجوينيّ، فرائد السِّمطين: ٢/ ٦٨.

أحبَّت الدُّنيا للآخرة، أحبَّت البقاء في الدُّنيا لتعبد الله تعالى، وأرادت المال لتُنفِق في سبيل الله عزّ وجلّ؛ لإشباع البطون الجائعة، وإكساء الأبدان العارية، وإغاثة الملهوف، وإعانة المضطرّ.

فهي عزفت الحياة الدُّنيويَّة، وأدركت الحياة الأخرويَّة، فلا عجب إذا قنعت باليسير اليسير من متاع الحياة، واختارت لنفسها فضيلة المواساة والإيثار، وهانت عليها الثَّروة، وكرهت التَّرف والسَّرف[1]. ولا غرو من ذلك، فهي بنت أزهد الزُّهَّاد، وحياتها العقائديَّة ملازمة للزُّهد، وحياتها الاجتماعيَّة أيضا تتطلَّب منها الزُّهد، فهي أولى النَّاس بالسَّير على منهاج أبيها الرَّسول الزاهد العظيم صلى الله عليه وآله.

وأجمل ما يلخِّص هذا الجانب المشرق من كريم مناقب الزَّهراء عليها السلام، هو حياتها الزَّوجيَّة الَّتي تبلورت بالزُّهد والقناعة، فلقد كان زوجها الإمام عليّ عليه السلام، أوَّل النَّاس وأكثرهم اتِّباعًا للرَّسول في زهده، ولم يشهد التَّاريخ الإسلاميّ رجلًا من هذه الأمَّة أكثر زهدًا من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو الَّذي يخاطب الذَّهب والفضَّة بقوله: «**يا صفراء ويا بيضاء غرَّيا غيري**»[2]. وقد أمر عليّ عليه السلام لأعرابّي بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضَّة؟ فقال عليّ عليه السلام: **كلاهما عندي حجران، فاعطوا الأعرابيّ أنفعهما له**[3].

لقد كانت الزَّهراء قمَّة في الزُّهد لدرجة أنَّها دفعت قميص عرسها الجديد للسَّائل ليلة زفافها، ولبست قميصًا باليًا، فنالت بذلك مكانةً ساميةً عند الله، فأرسل لها سبحانه وتعالى ثيابًا من الجنَّة. وكانت عليها السلام لا ترتدي الملابس الفاخرة، بل مضت فترة تلبس رداءً مرقَّعًا بألياف التَّمر في اثني عشر موضعًا[4].

---

(١) محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة من المهد إلى اللَّحد: ١٩٩-٢٠٠

(٢) م.ن: ٢٠٠.

(٣) م.ن: ٢٠٠.

(٤) إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ الخويئينيّ، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء: ١/ ١٨٥.

إيمانها وخشيتها من الله تعالى:

لم يكن لإيمان الزَّهراء عليها السلام ومنزلتها عند الله حدًّا يمكن الوقوف عنده؛ لأنَّها تمثِّل إيمان وعقيدة المؤمنين، وإنَّ الإذعان بمكانتها بمثابة الإيمان بالله تعالى والرَّسول صلى الله عليه وآله، والأئمَّة عليهم السلام.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «.. **وهي الحوراء الإنسيَّة، متى قامت في محرابها بين يدَي ربِّها جلَّ جلاله زهر نورها لملائكة السَّماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أَمَتي فاطمة، سيِّدة إمائي، قائمة بين يديَّ ترتعد فرائضها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أنِّي قد أمنت شيعتها من النَّار..**»[1].

لقد تجلَّت العبادة بكلِّ معانيها وأبعادها في حياة السيِّدة الطَّاهرة الزَّهراء عليها السلام، فحياتها كلُّها عبادة منذ البداية حتَّى النِّهاية، فمِن حمل الماء إلى بيوت الفقراء، والمساكين، وإطعام الطَّعام والإيثار، وتعليم الأحكام الشَّرعيَّة، وتحمُّل متاعب الأعمال المنزليَّة، والزُّهد والحرمان، والبساطة في العيش، وحسن التَّبعُّل، والدِّفاع عن الإمامة والولاية، وما أصابها من الآلام والمصائب بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وغيرها ممَّا قرأته وتقرأه في صفحات حياتها المشرِّفة، كلُّها عبادة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى الصَّلاة والخشوع والمناجاة، وغيرها.

وقد روي عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[2]، قال: نزلت في عليّ ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين»[3].

وروي عن الإمام الحسن عليه السلام، قال: «**رأيت أمِّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة، فلم تزل راكعة وساجدة حتَّى انفجر عمود الصُّبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين**

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣.
(٢) الذَّاريات: ١٧.
(٣) الحسكانيّ الحنفيّ، شواهد التَّنزيل: ٢/ ١٩٤.

والمؤمنات، وتسمّيهم وتكثر الدُّعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت: يا أمّاه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيَّ الجار ثمَّ الدار»(١).

ورُوي عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «**من صلَّى أربع ركعات، يقرأ في كلِّ ركعة خمسين مرَّة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، كانت صلاة فاطمة، وهي صلاة الأوَّابين**»(٢).

وعن الحسن البصري: « ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتّى تورّم قدماها(٣)».

جودها وكرمها وإنفاقها للمحتاجين:

بلغ جود الزَّهراء عليها السلام وكرمها حدَّ الإيثار، وتجلَّى ذلك في مواقف عديدة، منها تصدُّقها بقميص زفافها للسَّائل، وإعطاؤها عقدها للأعرابيّ، وستار دارها مع حليِّها للنَّبيّ صلى الله عليه وآله ليوزِّعها بين الفقراء، ومنها بذلها طعام إفطارها للمسكين واليتيم والأسير، بحيث بقيت ثلاثة أيَّام من دون أن تتناول شيئا من الطَّعام.

عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: «صلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر، فلمَّا انفتل، جلس في قبلته والنَّاس حوله، فيما هم كذلك، إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب، عليه سمل قد تهلَّل وأخلق، وهو لا يكاد يتمالك كبرًا وضعفًا، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله يستحثّه الخبر، فقال الشَّيخ يا نبيَّ الله أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني. فقال صلى الله عليه وآله: **ما أجد لك شيئًا، ولكنَّ الدَّال على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة..** وقال: **يا بلال قم وقف به على منزل فاطمة**. فانطلق الأعرابيّ مع بلال، فلمَّا وقف على باب فاطمة.. قال: أنا شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيِّد

(١) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة: ٢/ ٢٥-٢٦.
(٢) الصَّدوق، مَن لا يحضره الفقيه: ١/ ٥٦٤.
(٣) المجلسيّ، بحارالأنوار: ٤٣/ ٨٤.

البشر مهاجرًا من شقَّة، وأنا يا بنت محمَّد عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمك الله.

وكان لفاطمة وعليّ عليهما السلام في تلك الحال، ورسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة ما طعموا فيها طعامًا، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: **خذ هذا أيُّها الطَّارق، فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه.**

قال الأعرابيّ: يا بنت محمَّد شكوت إليك الجوع فناولتِني جلد كبش، ما أنا صانع به مع ما أجد من السَّغب، فعمدت لـمَّا سمعت هذا من قوله إلى عقدٍ كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمِّها حمزة بن عبد المطَّلب، فقطعته من عنقها، ونبذته إلى الأعرابيّ فقالت: **خُذه وبِعه، فعسى الله أن يعوِّضك به ما هو خير منه**»[1].

حياؤها وعفافها:

حقّقت الزَّهراء عليها السلام أرفع وأنبل ما تصبو إليه الإنسانيَّة في الطُّهر والعفاف والحياء، وصيانة النَّفس عن الدَّنايا والشُّبهات، ومن نماذج ذلك أنَّها لم تتمكَّن من التَّكلُّم في محضر أبيها صلى الله عليه وآله عندما أخبرها بقدوم أمير المؤمنين عليه السلام لخطبتها. وقد كانت شديدة الحياء والعفَّة لدرجة أنَّها عثرت ليلة زفافها بعتبة الباب. جاء في قصَّة زواج فاطمة من حديث أسماء بنت عُميس: أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله دخل بيت صهره عليّ عليه السلام، ونضح عليه الماء ودعا له، ثمَّ دعا فاطمة، فقامت إليه تعثَر في مِرطِها من الحياء»[2].

وروي أنَّ أعمى استأذن على فاطمة فحجَّبته[3]، كما أنَّـها استحيت أن تطلب من رسول الله خادمًا لها، وأنَّها من شدَّة حيائها لم تطلب من الإمام عليّ عليه السلام شيئًا طيلة فترة حياتهما الزَّوجيّة المشتركة، وجاء أبوها صلى الله عليه وآله أحد الأيَّام إلى دارها، فاستحيت أن تخبر بعلها

(١) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٧-٥٨.
(٢) الطبرانيّ الكبير: ٢٤/ ١٣٧، (٣٦٥).
(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٩١.

الإمام عليّ عليه السلام بعدم وجود طعام في البيت، فأرسل الله إليهم طعامًا من الجنَّة.

وبلغ من حيائها وصيانة نفسها أنَّها أرادت المبالغة في السَّتر وهي ميتة، وأن تميَّز عن الرِّجال. عن ابن عبَّاس قال: مرضت فاطمة مرضًا شديدًا، فقالت لأسماء بنت عُميس: **ألا ترَيْن إلى ما بلغتُ، أُحمل على السَّرير ظاهرًا!** فقالت أسماء: ألا لعمري، ولكن أصنع لكِ نعشًا، كما رأيتُ يُصنع بأرض الحبشة، قالت: **فأرينيه**، قالت: فأرسلَتْ أسماء إلى جرائد رطبة، فقُطعت من الأسواف، وجعلتْ على السَّرير نعشًا، وهو أوَّل ما كان النَّعش، فتبسَّمت فاطمة، وما رأيتها متبسِّمة بعد أبيها إلَّا يومئذ، ثمَّ حملناها ودفنَّاها ليلًا»[1].

صدقها وتواضعها:

صِدقُ فاطمة واضحٌ كالشَّمس في رابعة النَّهار، وذلك لتسميتها بالصِّدِّيقة من قِبَل الباري عزَّ وجلَّ، ولم يسمِّها الباري عزَّ وجلَّ بذلك اعتباطًا، وإنَّما زيَّنها بهذا الاسم؛ لوجود حقيقة الصِّدق في ذاتها وكيانها.

قالت عائشة: «ما رأيت أحدًا قطُّ أصدق من فاطمة إلَّا أباها»[2].

ومن أصدق آيات تواضعها عليها السلام ما كانت تقوم به من أعمال في بيتها، حيث تكنُسه حتَّى تغبرَّ ثيابها، وتستقي الماء لأسرتها، وتطحن بالرَّحى وليس لها خادم، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسليلة الشَّرف، وأمِّ الأشراف النُّبلاء.

عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه قال: «.. **إنَّها استقت بالقربة حتَّى أثَّرت في صدرها، وطحنت بالرَّحى حتَّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت النَّار تحت القدر حتَّى دكنت ثيابها**»[3].

---

(١) الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٣/ ١٦٢.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٣.
(٣) م.ن: ٤٣/ ٨٢.

صبرها:

إنَّ من أنبل الأخلاق، وأكرم الشَّمائل الَّتي تربَّت عليها السَّيِّدة فاطمة عليها السلام الصَّبر الجميل بكلِّ أصنافه ودرجاته، فقد رأت في أبيها صلى الله عليه وآله أصدق أنموذج يخطر ببال بشر يتمثَّل أرفع درجات الصَّبر والمصابرة وتحمُّل المشاقِّ، فسمعت القرآن يشيد بالصَّبر ويثني على الصَّابرين، ويبشِّرهم بثواب عظيم بغير حساب ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[1]، واقتفت أثر الأب الرَّحيم الصَّبور، فكانت من أطيب ثمار النبوَّة المتفرِّدة في الصَّبر، وتحمُّل فدائح الابتلاء، وثقل المصائب الَّتي نزلت بها وبأبويها وأهلها والمقرَّبين إليها، فلم تنل الملمَّات من صبرها، ولا خدشت المشقَّات عزيمتها، ولا نالت الأحداث الجِسام من إيمانها ويقينها وثباتها شيئًا، فكانت عليها السلام الأنموذج الأمثل للمرأة الصَّابرة المحتسبة.

جرأتها:

من الشَّمائل الجليلة، والخصال الأصيلة الَّتي تأصَّلت في فطرة فاطمة عليها السلام، وظهرت في مواقفها وأعمالها: شجاعتها وجرأتها وقوَّة نفسها أمام الأحداث القاسية والمشاهد الصَّعبة، ويعبِّر عن ذلك موقفها الجريء وهي تجابه عُتاة قريش الَّذين آذوا النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وهي لا تزال فتاة غضَّة في مقتبل عمرها.

فعندما جاءها الخبر المفظع أنَّ عُتاة قريش قد آذوا النَّبيّ صلى الله عليه وآله بعملٍ خسيسٍ دنيءٍ، هبَّت مسرعة لتزيل عنه فضلات جَزور وهو ساجد، وأقبلتْ على أولئك الأنذال تقرِّعُهم وتشتمهم بجرأة باهرة أخرست ألسنتهم، وكبَّلت أيديهم، ومرَّغتْ بالتُّراب آنافهم.

عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله قائم يصلِّي عند الكعبة، وجمْعُ

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٧.

قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيُّكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به، ثمَّ يمهله حتَّى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلمَّا سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وضعه بين كتفيه، وثبت النبيّ صلى الله عليه وآله ساجدًا، فضحكوا حتَّى مال بعضهم على بعض من الضَّحك، فانطلق مُنطلق إلى فاطمة عليها السلام، وهي جُويريَّة، فأقبلت تسعى، وثبت النَّبيّ صلى الله عليه وآله ساجدًا حتَّى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبُّهم! فلمَّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله الصَّلاة، قال: **اللَّهمَّ عليك بقريش، اللَّهمَّ عليك بقريش، اللَّهمَّ عليك بقريش**»[1].

علمها:

تلقَّت السَّيِّدة فاطمة عليها السلام القرآن غضًّا طريًّا من فم أبيها صلى الله عليه وآله، وأخذت عنه السُّنن الشَّريفة، ولا شكَّ أنَّها حملت من ذلك علمًا جمًّا، وإن لم ترِ لها كتب السُّنَّة إلَّا النَّزر اليسير بسبب تقدُّم وفاتها. وقد بلغت عليها السلام في مستواها العلميّ درجة كانت تخبر الإمام عليّ عليه السلام بعلم ماكان، وما يكون، وما هو كائن. ويعتبر مصحف فاطمة عليها السلام من أجلِّ الكتب الإسلاميَّة، وأعظم المصنَّفات الإماميَّة، والَّذي لم يُعمل للإماميَّة مثله.

تقول إحدى روايات الكافي: «إنَّ الله تعالى لـمَّا قبض نبيَّه صلى الله عليه وآله، دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، فأرسل الله إليها ملكًا يسلِّي غمَّها ويحدِّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعت الصَّوت، قولي لي، فأعلَمَته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلَّ ما سمع، حتَّى أثبت من ذلك مصحفًا. قال: ثمَّ قال: **أما إنَّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون**»[2].

(١) البخاريّ، صحيح البخاريّ: ٢٤٠.
(٢) الكليني، أصول الكافي، ١/ ١٣٧.

المبحث الثَّالث

احتجاجات فاطمة

إنَّ الزَّهراء عليها السلام أوتيت كسائر أهل البيت عليهم السلام خطًّا عظيمًا من الفصاحة والبلاغة، فهي في البيان من أغزر القوم مادَّة، وأطولهم باعًا، وأمضاهم سليقة، وأسرعهم خاطرًا، وإنَّه ليتبيَّن ذلك خاصَّة في خطبتها المشهورة الغرَّاء، الَّتي عجزت عن إنشاء مثلها أو ما يدانيها ألسن الأدباء والبلغاء، خطبة فدك الَّتي تعتبر منشورًا متكاملًا، وميثاقًا مهمًّا للحقِّ والعدل والحريَّة عبر التَّاريخ. تلك الخطبة الَّتي أنشأتها في مسجد النَّبيّ صلى الله عليه وآله حين بلغها منع أبي بكر لها فدك، وإخراجه وكلاءها منها، واستيلاؤه، عليها تغلُّبًا ومصادرةً، فخرجت إلى المسجد، وفي نفسها مبادئ محمَّد صلى الله عليه وآله، وروح خديجة، وبطولة عليّ عليه السلام، وإشفاق عظيم على هذه الأمَّة من مستقبل مظلم، تحاجُّ أبا بكر، وتدافع عن فدكها الَّذي كان يتضمَّن في حقيقة الأمر الدِّفاع عن قضيَّة كبرى تتمثَّل بأولويَّة المنصب الإلهيّ بعد الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأنَّه حقٌّ ثابت لزوجها وابن عمِّها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فالمسألة ليست مسألة ميراث ونِحلة، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزَّهراء مسألة إسلام وكفر، ومسألة إيمان ونفاق، ومسألة نصٍّ وشورى، فحملت الخطبة في طيَّاتها معالم النَّهج العقليّ في محاججة الآخر، والثَّبات على الحقِّ بالاستناد الى القرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة.

نزلت إلى المعترك رغم المصائب الجسديَّة والنفسيَّة التي تعرَّضت لها وهدَّت قواها، فقد تراكم على قلبها هموم الأيَّام بفقدانها والدها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فعاشت في تلكم

الأيّام بعد رحيل النّبيّ صلى الله عليه وآله، وهي ترى تراثه نهبًا يتلاقفه القوم، وهي ترى زوجها الذي قام الإسلام بجهوده الجبّارة، تراه يُضطَهد ولا من مُدافع، وترى الإمامَين السِّبطَين الحسن والحسين عليهما السلام، لا حول ولا قوّة لهما في إصلاح ما أفسدته الجاهليّة الثانية التي اختلقها الطامعون، فوقفت شامخة كالطود العظيم تدافع عن الحقّ والحقوق المهدورة، تلقي بالحجج البالغات والدلائل الدامغات، وتُشهِد من شاهد وشهد، تدافع عن القضيّة التي كانت فدك عنوانًا ومفتاحًا لها.

وقفت لا يخالجها شكٌّ في ما تُقدِم عليه، ولا يطفح عليها موقفها الرَّهيب بصبابة من خوف أو ذعر، ولا يمرُّ على خيالها الَّذي كان جدِّيًّا كلَّ الجدِّ، تردُّد في تصميمها، ولا تساورها هاجسة من هواجس القلق والارتباك، وقفت في أعلى القمَّة من استعدادها النَّبيل، وثباتها الشُّجاع على خطَّتها الطَّموح، وأسلوبها الدِّفاعيّ مع ما يتطلَّبه من جرأة أدبيَّة، وملكة بيانيَّة مؤثِّرة، وقدرة على صبِّ معاني الثَّورة كلّها في كلمات وبراعة فنيَّة في تصوير النِّقمة، ونقد الأوضاع الثائمة تصويرًا ونقدًا يجعلان في الألفاظ معنًى من حياة، وحظًّا من خلود، لتكون الحروف جنود الثَّورة الحرَّة، وسندها الخالد في تاريخ العقيدة، ولكنَّه الإيمان والاستبسال في سبيل الحقِّ الَّذي يبعث في النُّفوس نقائصها، ويفجِّر في الطَّبائع المخذولة قوَّة لا تتعرَّض لضعفٍ أو لتردُّد.

في الحقيقة إنَّ خطبة الزَّهراء الغرَّاء هي ظاهرة بلاغيَّة تفرغ عن فصاحة أبيها صلى الله عليه وآله في البيان، وتفصح عن لغة بعلها عليه السلام في الأداء، وإنَّ فيها لعِبرًا سامية ومواعظ عالية ودروسًا جامعة مانعة وفوائد نافعة تحكي المبادئ القيِّمة للدِّين الإسلاميّ الحنيف، بألفاظٍ موجَزة معبِّرة، ومعانٍ واضحة مؤثِّرة، تتسلسل الأفكار في ثناياها فكرًا إثر فكر، وتطرح القضايا بتؤدَّة واستيعاب، ولها منها عليها شواهد في أرقى فنون البلاغة، وحسبها الشَّاهد القرآني في كلِّ مقطع من مقاطعها ترصينًا للحجَّة، واستيعابًا للبرهان. فجاءت خطبتها غايةً في الدِّقَّة من حيث العمق الدَّلاليّ والبلاغيّ، وكانت طريقة

من طرق الإقناع، وبما أنَّ الخطاب موجَّه الى أناس أغواهم الشَّيطان، وغلبت عليهم الأطماع الدنيويَّة، لهذا احتاجت الزَّهراء إلى هذا الأسلوب البلاغيّ الرَّفيع؛ محاولةً منها للتَّأثير.

وقد جاء في وصف هذه الخطبة جملة من العبائر النَّافعة ننقل بعضها: «إنَّها من محاسن الخطب وبدائعها، عليها مسحة من نور النبوَّة، وفيها عبقة من أرج الرِّسالة»[1].

«هذه الخطبة من ذخائر بيت الوحي، ولم يفتأ رجال العلويِّين ومشايخهم نسبًا ومذهبًا يحتفظون بها، ويحرصون على روايتها؛ لما فيها من حجج دامغة»[2].

لقد أصابت الزَّهراء عليها السلام في خطبتها الهدف في كشف زيف المخطَّطات الَّتي وقع فيها المسلمون، ووضعت النِّقاط على الحروف، وبيَّنت مواضع الخلل الَّذي مُني به المجتمع الإسلاميّ، فقد أوضحت الحقائق الَّتي لا بدَّ من كشفها وتوضيحها؛ لتُصبح الشَّاهد الفعليّ والتَّأريخيّ لما حصل في تلك الحقبة الزَّمنيَّة الَّتي رافقت رحيل النَّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله إلى الرَّفيق الأعلى؛ لتنتفع بها الأجيال القادمة عند محاكمة التَّاريخ، لتستشعر حالة الظُّلم الَّذي وقع على أهل بيت العصمة والطَّهارة، وتندِّد به؛ ليكون طريقًا لرفض الأساليب الَّتي اتَّبعتها السلطة وأجهزتها في قمع المعارضين وإسكات أصواتهم؛ لتغطية الجريمة الكبرى وما رافقها من الإخلال بالمنهج الرِّسالي عن طريق فرض القيود على البيت النَّبويّ الشَّريف الَّذي تمثِّله الزَّهراء وبعلها وأبنائها عليهم السلام، ولهذا نجد الزَّهراء عليها السلام، قد وقفت تلك الوقفة الَّتي شهد بها التَّاريخ؛ لتُضيء صفحات الحقِّ، وتنير طريق الحريَّة، مع قلَّة النَّاصر، وضعف الحيلة، والخذلة الَّتي خامرت صدور القوم.

---

(١) الأربلِّيّ، كشف الغمَّة: ٢/ ١٠٨.

(٢) السيِّد عبد الرَّزاق المقدَّم، وفاة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٨٥.

الخاتمة

يتبيَّن لنا من خلال هذا البحث أنَّ الزَّهراء عليها السلام، كانت بحق سليلة النبوَّة، ورفيقة درب الإمامة، ونزيلة مهبط الوحي، وتربية كتاب الله، والمثل الأعلى لدينه، وتلك ظواهر ضخمة، أخذت بأتمِّها درجة، وحازت أعلاها حظوة، ونالت أشرفها منزلة، أدب في حياء، وأخلاق في سموّ، وإيثار في نماء، وتقوى في سكون، وشخصيَّة في كمال.

نشأت وترعرت تحت ظلَّين: ظلُّ أبيها، وظلُّ حليلها، وعانقت ريحانَتَين: الحسن والحسين، فكانت تتجاذب الشَّرف من طرفيه، وتتفيَّأ أفنان العزَّة من جهَتَين، وتتمرَّس حياة العزم والتَّضحية من قوَّتين متماسكَتَين.

وكان انفتاحها على الأمَّة يفوق حدَّ التَّصوُّر، فكانت خطبتها العصماء في المسجد النَّبويّ صاعقة غير متوقَّعة، أرادت بها حفظ التَّوازن الإسلاميّ من جهة، ورصد التَّجاوزات اللَّامشروعة من جهة أخرى، وإعادة الحقِّ المغتَصَب إلى ذويه. وكان ذلك بلغة احتجاجيَّة سيَّرت فيها الأدلَّة والبراهين من الكتاب والسُّنَّة، فكان احتجاجها على سلبها الإرث بالفعل تنبيهًا لإصلاح زلل.

صحيحٌ أنَّ فاطمة عليها السلام هوت في الحلبة بعد موت أبيها بقليل، إلَّا أنَّ الخطَّ بعدها بقي يسجِّل وقع خطاها، وبقيت رنَّة النُّقوس تتهادى على خطاها من ظلٍّ إلى ظلٍّ لتنفجر جهادًا في باحة قصر الخليفة، ولتنعقد لواء لصاحب الحقِّ الأصيل بالخلافة الإمام عليّ عليه السلام، وصارت مدرسة عبر التاريخ، وبقي تاثيرها عارمًا في الآفاق، وعامرًا في

القلوب، يتعلَّم منها النَّاس الشَّجاعة والشَّهامة، والإباء والتَّحدِّي، فقد كان هناك قبس من محيَّا فاطمة على وجه الكثير من المظلومين في تاريخ الإسلام، المغصوب حقّهم، وكلُّ ضحايا الجور والخداع، الَّذين اتَّخذوا من اسم فاطمة شعارًا لهم، واختلط ذِكر فاطمة بحبِّ وإيمان كثير من النِّساء والرِّجال الَّذين حاربوا في تاريخ الإسلام من أجل الحريَّة والعدالة، فنما وترعرع تحت أسواط خلافة الجَور وحكومات الغضب والظُّلم القاسية الدَّمويَّة، وملأ كلَّ القلوب المحبَّة.

يمكننا القول إنَّ الزَّهراء عليها السلام كانت بطلة من نوع آخر، فالبطولة ليست قوَّة تستند على بدن وساعد، ولا على كرسيّ وسلطان. إنَّ البطولة هي الَّتي تتمنطق بالعقل فهمًا ورشدًا، فتعيِّن الأهداف وترسم المناهج. وما كانت بطولة الزَّهراء من غير هذا المعنى الجليل، غرفت منه ما لمعت به عيناها، دون أن يؤثِّر عليها لا زندها النَّحيل، ولا خصرها الهزيل.

فسلامٌ عليها يوم وُلِدَت، ويومَ ماتَت، ويوم تُبعث حيَّة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابن المغازليّ الشّافعيّ، عليّ بن محمّد بن محمّد بن الطيّب بن أبي يعلى بن الجلابيّ، أبو الحسن الواسطيّ المالكيّ، المناقب، ١٤٢٤هـ، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي ابن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار، صنعاء.

٢. ابن عبد البرّ، يوسف بن عبدالله القرطبيّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٣٥٨هـ، دار المعارف، مصر.

٣. أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ، تفسير فرات الكوفيّ، ١٣٥٤هـ، المطبعة الحيدريَّة، النَّجف الأشرف.

٤. الإربلِّيَّ، عليّ بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، مطبعة النَّجف، النَّجف الأشرف.

٥. إسماعيل الأنصاريّ الزنجانيّ الخويئينيّ، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزَّهراء، ١٣٨٧هـ، المجلَّد الأوَّل، قم.

٦. البخاريّ، محمَّد بن اسماعيل، ١٣١٤هـ، صحيح البخاريّ، المطبعة الأميريَّة الكبرى، بولاق، القاهرة.

٧. البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٣٤٤هـ.

٨. الحافظ رجب البرسيّ، مشارق الأنوار في أسرار أمير المؤمنين، تحقيق: العلَّامة السيِّد عليّ عاشور، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان.

٩. الحاكم النِّيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله، المستدرك على الصَّحيحين، ١٤١١هـ، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

١٠. الحسكانيّ، عبيد الله بن أحمد الحاكم الحسكانيّ، شواهد التَّنزيل، ١٣٩٣هـ، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت.

١١. الحمويني، إبراهيم بن محمَّد الجويني، فرائد السمطين، ١٤٠٠هـ، مؤسَّسة المحموديّ، بيروت.

١٢. سليمان كتاني، فاطمة الزَّهراء.. وتر في غمد، ١٩٨٣م، مؤسَّسة الوفاء، الطَّبعة الثَّالثة، بيروت.

١٣. الصدر، محمَّد باقر، فدك في التاريخ، ط١، ١٩٦٤م، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة.

١٤. الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين القمِّيّ، الأمالي، ١٣٨٩هـ، المطبعة الحيدريَّة، النَّجف الأشرف.

١٥. الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين القمِّيّ، من لا يحضره الفقيه.

١٦. الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيُّوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم، معجم الطبرانيّ الكبير.

١٧. الطبرسيّ، أحمد بن عليّ بن أبي طالب، الاحتجاج، ١٣٨٦هـ، دار النُّعمان، النَّجف الأشرف.

١٨. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب الرازي، أصول الكافي، ١٣٨٨هـ، المطبعة الإسلاميَّة، طهران.

١٩. المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقيّ، بحار الأنوار، ١٤٠٣هـ، مؤسَّسة الوفاء، بيروت.

٢٠. محمَّد حسين عليّ الصَّغير، الزَّهراء من الوجه الآخر، ٢٠١٢م، مؤسَّسة البلاغ، لبنان.
٢١. محمَّد فاضل المسعوديّ، الأسرار الفاطميَّة، ١٤٢٠هـ، مؤسَّسة زائر الرَّوضة، قم.
٢٢. محمَّد كاظم القزوينيّ، فاطمة من المهد إلى اللَّحد، ١٤١٤هـ، مطبعة سيِّد الشُّهداء، قم.
٢٣. النسائيّ، السُّنن الكبرى، طبع الهند.

محور السِّيرة والدِّراسات التَّاريخيَّة

المرأة بين المسيحيَّة والإسلام
مقاربات في الصورة التاريخيَّة لمريم العذراء وفاطمة البتول عليهما السلام

أ.م.د. شهيد كريم محمَّد
مركز تراث الجنوب

ملخَّص البحث

يهتمُّ البحث ببيان المقاربات الرَّمزيَّة التي عُقِدت بين الصورة التاريخيَّة لكلٍّ من مريم العذراء وفاطمة البتول عليهما السلام، بعدِّهما حضورًا للمرأة المثال في تاريخ المسيحيَّة والإسلام على حدٍّ سواء، وهي مقاربات طالما اهتمَّ بالكشف عنها مستشرقون كُثر، من قبيل: لويس ماسينيون (Louis Massignon)، وماري ثورلكيل (Mary F. Thurlkill)، وروث روي (Ruth E. Rowe)، وغيرهم. وتوقَّف البحث ابتداءً عند العقدة (التوراتيَّة- الإنجيليَّة) من المرأة، والتمثُّل التعبُّديّ الأنثويّ الشِّركيّ في الحضارات القديمة، فعلى الرغم من أنَّ ولادة السيِّد المسيح عليه السلام أعادت بعض البهجة لصورة المرأة من خلال مريم العذراء عليها السلام، إلَّا أنَّ قدسيَّتها لم تلبث أن تراجعت أمام التحريف الإنجيليّ، والنظام البطريركيّ (نظام الأبويَّة، حكم الأب، الإله الذَّكر)، ولذا اهتمَّ الإسلام بإبراز العنصر النسويّ العالميّ بأمثلة متعدِّدة؛ لإعادة ترميم الذاكرة الإنسانيَّة حيال موضوع المرأة، عبر عدد من النماذج النسائيَّة التي يأتي في مقدِّمتها فاطمة الزَّهراء، ومريم عليهما السلام.

المقدِّمة

على امتداد مسار السجالات الإيديولوجيَّة (الشرقيَّة/ الإسلاميَّة- الغربيَّة) حول موضوعة المرأة، ووسم كلّ طرف للآخر بأنَّه ينتهك جسدها ويصادر حقوقها ويمارس عمليات الإلغاء والقمع تجاهها، ظلَّت المسألة موضوعًا للجدل أكثر منه بحثًا للتضامن في تحسين الواقع النسويّ، والرغبة الفعليَّة في كسر الاحتكار والهيمنة الذكوريَّة، تطلُّعًا لتقديم واقعٍ أفضل، فهو بالنتيجة ينبعث من حمى المواجهة الإيديولوجيَّة بين القطبَين (الإسلام- الغرب).

وفي الحقيقة ثمَّة فارق جوهريّ بين طرفَي المواجهة الثقافيَّة هذه، وهو أنَّ الفكر الغربيّ الحديث، على الرغم من إعلانه القطيعة مع النصوص التوراتيَّة والإنجيليَّة المؤسِّسة للنظرة الازدرائيَّة للمرأة والمكرِّسة لها، وبقدر ما أفلح في شجب تلك النظرة المتعلِّقة بالخطاب والمتخيَّل، ومع ما حقَّقه من نجاحٍ نسبيٍّ على صعيد الحقوق القانونيَّة، وحقّ العمل وتساوي الفرص، ومجال المشاركة السياسيَّة، وحريَّة التعبير، فضلًا عن التعليم والفكر والثقافة، فإنَّه، من جانبٍ آخر، أوغل في انتهاك جسد المرأة وكرامتها وأخلاقها، وإفساد منظومة الأسرة، وفرط عقد الأمومة ومؤسَّسة الزواج، وجرَّدها من طبيعتها الأنثويَّة، كردَّة فعل عكسيَّة عنيفة لخطاب الإلغاء والاقصاء السابق في النصوص التأسيسيَّة.

وهو في اندفاعه العنيف لفرض ثقافته على المرأة المسلمة والشرقيَّة عمومًا، يتغافل عن أنَّه يقوم بعمليَّة القسر الثقافيّ؛ لتبنِّي مفاهيمه وفكره، وتبنِّي الخطاب المتعالي عبر ادِّعاء المركزيَّة الثقافية، وهو في نقده للإسلام، وادِّعائه بأنَّه يكبِّل حريَّة المرأة، ويلغي

إنسانيَّتها، ويحطُّ من قيمتها، إنَّما يمارس الاحتيال والكذب الصريح، فقد سجَّل ظهور الديانة الإسلاميَّة تغايرًا واضحًا عن الفكر الدينيّ القديم والمعاصر له، وبضمنه الفكر التوارتيّ- الإنجيليّ، حول موضوعة المرأة، أمَّا أنَّ ذلك ظلَّ غالبًا في إطار التنظير، ولم يستكمل اشتغاله العمليّ والفعليّ على أرض الواقع، فهذا بحث آخر متعلِّق بالمجال التطبيقيّ للإسلام، وطبيعة الظرف التاريخيّ الذي عاشه عبر مسار النشأة والتحوُّل بعد مرحلة النبوَّة، وفواعل الانحراف الذي سجَّله لاحقًا، شأنه شأن جميع الرسالات السماويَّة السابقة[1].

بعبارة أخرى، إنَّ المشكلة الثقافيَّة (التوراتيَّة- المسيحيَّة) حول المرأة في الغرب، هي مشكلة نصيَّة تأسيسيَّة دينيَّة، تنبع من صُلب العقيدة والفكر الدينيّ، وهي في الحضارة المدنيَّة الحديثة مشكلة أشدُّ عقمًا وقسوةً واستعصاءً على الحلِّ، بفعل ما ألفته المرأة، وما تشكَّل في ماهيَّاتها وبداهاتها الثقافيَّة والفلسفيَّة والفكريَّة، وما أسَّسته الحضارة والمدنيَّة الغربيَّة الحديثة من نُظم وقوانين ومؤسَّسات مجتمعيَّة، واشتغال تنظيريّ وسلوكيّ من المتعذَّر القطع معه، والتخلِّي عنه في عالم اليوم الذي يسير بمنحى الصعود نحو الهاوية.

أمَّا في الإسلام، فالمسألة أقرب وأبسط ما تكون للحلِّ، فالخلل لا يكمن في التأسيس، ولا في الإطار النظريّ الإسلاميّ بقدر ما يكمن في العديد من الممارسات الاجتماعيَّة المؤَّسَّسة على فهم معيَّن ذاتيّ وخاطئ للتراث النصِّيّ الإسلاميّ، بل وتعمَّد في مخالفته لمصالح شخصيَّة وسياسيَّة وفئويَّة، بفعل التغاير الذي طرأ على جسد الثقافة الإسلاميَّة بعد انتهاء مرحلة النبوَّة، وتدشين مرحلة الإسلام التاريخيّ الخلافيّ، وإسلام التوسع، ففي أحشاء المرحلة النبوية تنتصب صورة مغايرة تمامًا للمرأة، وهو ما سيحاول البحث بيانه من خلال المحاور الآتية:

(١) ينظر بهذا الصدد: بحثنا (الاجتماع السياسّي والإسلام المتغاير- قراءة في معوِّقات النشأة المستأنفة) ضمن كتاب (النبوَّة والإمامة- النشأة المستأنفة لإسلام الرسالة- قراءة في تماثل الأداء).

المحور الأوَّل

في التراث الغربيّ المؤسِّس لدونيَّة المرأة (التوراة- الإنجيل)

من المعلوم أنَّ المرأة، وعلى امتداد المسار التاريخيّ للجنس البشريّ، قد ظهرت عبر تمثُّلات متعدِّدة ومتنوِّعة في الفكر الدينيّ، منذ الأفكار البدائيَّة حول القوى الغيبيَّة الواهبة للحياة، وارتباط الإنسان بالأرض التي عُدَّت بمثابة الأمِّ الكبرى للكون وآلهته، أو سيِّدته التي تمنحه المأوى وما يحتاج إليه من ثمار وزرع وحطب وعشب، فهي منشأ الأشياء، وعنها تصدر الموجودات، وإلى رحمها يؤول كلّ شيء[1].

وفي منحًى فكريٍّ آخر عن الرمزيَّة الأنثويَّة المقدَّسة القديمة، عُدَّت الشمس أبرز الآلهة، فاضطلعت بدور الأمِّ المنجبة التي أنجبت جميع الكواكب، بما فيها الأرض، عن طريق زواجها بالقمر[2]، وبحسب ما تدلُّ عليه المكتشفات الآثاريَّة، فإنَّ الآلهة الأنثويَّة واصلت ظهورها في شتَّى الجغرافيا السكَّانيَّة الحضاريَّة القديمة: في سومر[3]، وكنعان، ومصر، وآسيا الصغرى، وشبه الجزيرة العربيَّة، والهند، وعند الإغريق، والرومان، والكلتيِّين (شعوب أوربا)[4].

بعبارة أخرى، إنَّ طبيعة الحضور الأنثويّ المقدَّس كانت شاملة لهيكليَّة الفكر

(١) فراس السوَّاح، لغز عشتار: ٢٤-٢٥.
(٢) سرتي، الأنثى المقدَّسة: ١١، ٢٣.
(٣) صمؤيل نوح كريمر، السومريُّون: ١٦٣، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز: ١٨، سرتي: الأنثى المقدَّسة: ٢٢.
(٤) فراس السوَّاح، لغز عشتار: ٢٧.

الدينيّ العام[1]، وهو ما مهَّد لنظريَّة (المجتمع الأموميّ/ حكم الأمِّ) الذي يتضاءل فيه دور الذَّكر قياسًا بدور الأنثى، سواء في قيمتها الإلهيَّة المقدَّسة أو تمثُّلها البشريّ، ممَّا أثار حفيظة الذَّكَر ودفعه للعمل على قلب المعادلة وفق النظام البطريركي (Patriarchy)[2]، أو نظام الأبويَّة، حكم الأب، بحسب الجذر اليونانيّ للكلمة[3]، ومن ثمَّ الإمعان بتشويه صورة المرأة وتهميش دورها في كتابات الحاخامات ورجال الدين اليهود، والرهبان والقساوسة، وصولًا إلى الفكر المادِّيّ الحديث، الذي حاول الانقلاب على النصِّ الإزدرائيّ، فجعل المرأة قيمة غريزيَّة حيوانيَّة لا أكثر.

وإذا ما انتقلنا إلى النصوص التوراتيَّة والإنجيليَّة المتعلِّقة بأخبار بدء الخليقة، فإنَّنا نجدها تشي بتأثُّر واضح بتقاليد الشرق الأدنى القديم، سيما تقاليد بلاد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقيَّة الكنعانيَّة، فهناك العديد من الصفات المشتركة بين نصوص الكتاب المقدَّس والمكتَشفات الخاصَّة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت وغيرها، ويبدو إنَّ مؤلِّفي أو كَتَبة التوراة والإنجيل الذين عاشوا في تلك المناطق، واختلطوا بشعوبها، وتأثَّروا بعاداتها وثقافاتها وأساطيرها، لم يتردَّدوا في صياغة فكرة خلق العالم على نحو ما عرضته الأساطير البابليَّة عن الإله مردوخ، كما نجد شواهد أخرى عن الماضي الأدبيّ لتاريخ الشرق القديم، على غرار مغامرات جلجامش وقصَّة الطوفان والجنائن المعلَّقة[4]، ولكنَّ الغريب في الأمر هو الإقصاء والتشويه المتعمَّد لصورة المرأة، على خلاف ما عرضه الفكر الدينيّ القديم حول الأنثى المقدَّسة.

كانت السمة الغالبة لصورة المرأة في التوراة والإنجيل، صورة توسَم بالعنصريَّة

(١) ينظر: فراس السوَّاح، لغز عشتار: ٤١-٦٠.
(٢) فراس السواح: لغز عشتار: ٣١-٤١.
(٣) عن هذا النظام ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبيّ: ٦٢-٦٧، ليندساي جيرمان، النظريَّات البطريركيَّة: ٤-٥٤.
(٤) ينظر: الكتاب المقدَّس: ٦٦.

والإهانة والإلغاء، وأوَّل ما يمكن رصده في هذا اللحاظ هو نصٌّ توراتيٌّ يقول: «فأوقع الربُّ الإله سُباتًا عميقًا على الإنسان فنام، فأخذ إحدى أضلاعه وسدَّ مكانها بلحم، وبنى الربُّ الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة، فأتى بها الإنسان، فقال الإنسان: هذه المرأة هي عظم من عظامي، ولحم من لحمي، هذه تسمَّى امرأة؛ لأنَّها من أمري أخذت»[1]. ومن هنا تأسَّس مفهوم اعوجاج المرأة ومكانتها الدونيَّة، مقارنة بالرجل الحاكم عليها، وقد تلقَّف هذا المفهوم عدد من الباحثين بهذا الشأن، فقال ألكسندر روس (Alexander Ross) في كتابه (آدم وحواء في فكر القرن السابع عشر) (Adam and Eve in Seventeenth Century Thought): «إنَّ حوَّاء خُلِقت من ضلع آدم الأيسر، وكان هذا الضلع بمثابة الجانب الأضعف، ولذلك وُصِفت المرأة بالضعف وبالدونيَّة»[2]، ولذلك تجد الرجل اليهوديّ يردِّد في صلاته اليوميَّة ترنيمة الشُّكر القائلة: «مباركٌ أنت يا ربُّ، لأنَّك لم تجعلني لا وثنيًّا، ولا امرأةً، ولا جاهلًا»[3].

ومن ثمَّ تعمَّقت هذه النظرة الإزدرائيَّة للمرأة بعدِّها السبب الأوَّل في كسب الخطيئة والإثـم، فهي صاحبة الذنب الأوَّل المسبِّب للخروج من الجنَّة، بعد أن وسوست لها الحيَّة بالأكل من الشجرة، فوسوست هي بدورها لآدم في أن يأكل منها: «المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»[4]، ولذلك قال الربُّ الإله للمرأة عمومًا: «لأكثرنَّ مشقَّات حملك تكثيرًا، فبالمشقَّة تلدين البنين، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسودك»[5].

(١) سِفر التكوين، الإصحاح: ٢١، الآيات (٢١-٢٣).
(٢) جمال صوالحين، المرأة اليهودية في التوراة والتلمود (بحث في مجلَّة دراسات دينيَّة، العدد الثاني، ٢٠١٥): ٥٠.
(٣) صوالحين، المرأة اليهوديَّة: ٥٠.
(٤) سِفر التكوين: ٣/ ١٢.
(٥) سِفر التكوين: ٣/ ١٦.

وعليه كانت العقوبة الإلهيَّة للمرأة قاسية وعنيفة قياسًا بعقوبة الرجل، فهي تتضمَّن الألم والمشقَّة والتعب والشوق والعبوديَّة! كما فرضت التوراة قوانين مشدَّدة على المرأة الحائض والنفساء، ففي سِفر اللاويين نجد أنَّ المرأة الحائض تنقل نجاستها إلى الأشياء التي تجلس عليها، كما أنَّ الرجل يُصبح نجسًا بمجرَّد أن يلامسها أو يُمسك بالفراش الذي جلست عليه، أمَّا مَن يجامع امرأة نجسة، فيُصبح نجسًا لمدَّة سبعة أيَّام، كما أنَّها في حالة ولادتها لمولود ذَكَر تظلُّ نجسة لمدة (٧ أيَّام)، ولمدَّة (٣٣ يومًا) إضافيَّة دون لمس أيِّ شيءٍ مقدَّس، أو أن تدخل أماكن مقدَّسة، أما في حالة ولادتها لمولودة أنثى، فتظلُّ نجسة لمدَّة (١٤ يومًا)، ثمَّ (٦٦ يومًا)، دون أن تلمس أشياءً أو تدخل أماكن مقدَّسة[١].

ولهذا تبقى المرأة من وجهة نظر كهنوتيَّة دون قيمة في أغلب مظاهر الحياة الدينيَّة في أوقات متعدِّدة من حياتها، وأشار الباحث سويلدر (Swilder) إلى: أنَّ المرأة الحائض، ولتجنُّب أي تماس أو اتِّصال معها، كانت تُبعَث أحيانًا إلى بيت يسمَّى (بيت الدَّناسة) طوال أيَّام حيضها، فضلًا عن ذلك، فقد لاقت المرأة اليهوديَّة معارضة صريحة في تعلُّم الشريعة، إذ قال الحاخام أو الرابي اليهوديّ أليعزر: «كلُّ مَن علَّم بنته التوراة، فكأنَّه علَّمها الدعارة»[٢].

وقد انتقلت هذه النظرة إلى الموروث المسيحيّ، فحفلت الأناجيل بنصوص غاية في امتهان المرأة، وإقصاء دورها في المنحى الدينيّ للحياة، فليس ثمَّة مفهوم لتقاسم السيادة بين الذَّكَر والأنثى داخل البناء العقائديّ المسيحيّ، فهناك دائمًا تصوُّر لوجهٍ فرديّ للربِّ، هو الوجه الذَّكَري الذي عُدَّ امتدادًا للنظام السماويّ الأعلى، ولذا كَتَب القدِّيس أوغسطين: «ينبغي أن نخلص إلى أنَّ الزوج قد قصد به أن يحكم على زوجته مثلما يحكم الروح على الجسد»[٣].

(١) سِفر اللاويين: ١٢/ ١-٥، ١٥/ ١٩-٢٤.
(٢) صوالحين، المرأة اليهوديَّة: ٥٢.
(٣) إيليربي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٢٢.

وكان القدِّيس بولص قد بيَّن في رسالته للكورنثيين سبب ذلك، فقال: «أمَّا الرجل فما عليه أن يغطِّي رأسه؛ لأنَّه صورة الله ومجده، وأمَّا المرأة فهي مجد الرجل، فليس الرجل من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولم يُخلَق الرجل من أجل المرأة، بل خُلِقت المرأة من أجل الرجل»[1].

وعليه تبنَّت الكنيسة الكاثوليكيَّة بشكلٍ رسميٍّ عقيدة وراثة الذنب الأصيل وانتقاله، فأصبحت خطيئة حوَّاء سببًا في الطرد من الجنَّة، وانتقال هذه الخطيئة لكلِّ البشريَّة، ولكي يغفر الله هذه الخطيئة، ضحَّى المسيح بنفسه وقُتِل مصلوبًا، وإذن فقد تسبَّبت المرأة بقتل ابن الإله، وسقوط البشر جميعًا من الفردوس الأعلى، ولذلك عدَّت هيلين إيليربي (Helen Ellerbe) تلك النظرة المجحفة بحقِّ المرأة جانبًا من الجوانب المظلمة في المسيحيَّة، ونقلت عددًا من أقوال القدِّيسين وآباء الكنيسة المسيحيَّة حيال هذه الموضوعة، ومنها قول القدِّيس كليمنت (Clement) الذي عاش في القرن الثاني للميلاد: ينبغي على كلِّ امرأة أن تشعر بالعار من خلال التفكير أنَّها امرأة! وأوضح الأب تيرتوليان (Tertillian): لماذا تستحقُّ النساء عدهنَّ كمرذولات ومخلوقات بشريَّة أدنى؟ أوَ لا تعرفين بأنَّك حوَّاء، وقضاء الربِّ على جنسك هذا الذي يعيش في هذا الجيل: الجريمة لا بدَّ بالضرورة من عيشها أيضًا. أنتِ باب الشيطان، وأنتِ لستِ سوى البائعة لتلك الشجرة، وأنتِ أوَّل من تخلَّى عن الشريعة اللاهوتيَّة، وأنتِ التي أقنعته، وهو الذي لم يكن الشيطان شجاعًا بما فيه الكفاية حتَّى يهاجمه، وأنتِ التي دمرَّت بصورة فائقة السهولة صورة الربِّ، وبسبب ذلك إنَّك تستحقِّين الموت، حتَّى لقد توجَّب على ابن الربِّ أن يموت. وعبرَّ آخرون عن هذه النظرة بفظاظة أكبر، فقال القس بوثيوس(Boethius): إنَّ المرأة هيكل بُنِي على بالوعة قاذورات. وأعلن القس أودو (Odo): إنَّك أن تعانق امرأة، هو أنَّك تعانق جوالق من السماد. وقال توماس

(١) رسالة إلى الكورنثيين: ١١/ ٨-٩.

الأكوينيّ (Thomas Aquinas) في القرن الثالث عشر الميلاديّ: إنَّ الربَّ اقترف خطأً جسيمًا في خلقه للمرأة، فما كان ينبغي خلق أي شيء، في بداية التأسيس، فيه عيب أو غش، لذلك توجَّب عدم خلق المرأة وقتها[1].

وكانت المرأة المسيحيَّة التي تموت أثناء المخاض، قد تُحرَم أحيانًا من الحصول على دفن مسيحيّ، ومَن تَبقى حيَّة يتوجَّب عليها أن تقضي (٤٠يومًا) إذا كان المولود ذكرًا، و(٨٠يومًا) إذا كانت المولودة أنثى، بعد ولادتها، حتَّى يُعاد قبولها في الكنيسة؛ لأنَّها مدنَّسة، ولم يستثنِ من هذا التدنيس، عند البعض، حتَّى العذراء مريم عليها السلام، إذ احتاجت إلى التطهير بعد ولادتها ليسوع[2].

ومن الجدير هنا أنَّ نشير لطبيعة العلاقة الباردة أو المتشنِّجة، التي قدَّمها الإنجيل بين عيسى ومريم العذراء عليهما السلام كقطبي تمثل في الديانة المسيحيَّة، فقد أظهر كَتَبةُ الإنجيل عيسى عليه السلام وهو ينتهر أمَّه مريم العذراء ويوبِّخها!، فهم ينصُّون على أنَّه: «كان في قانا الجليل عرس، وكانت أم يسوع هناك، فدُعِي يسوع أيضًا وتلاميذه إلى العرس، ونفدت الخمر، فقالت أمُّ يسوع له: ليس عندهم خمر، فقال يسوع: ما لي وما لكِ أيَّتها المرأة؟ لم تأتي ساعتي بعد»[3]. وقُدِّم على أنَّه يفضِّل تلامذته عليها، فجاء في إنجيل متَّى: «وبينما هو يكلِّم الجموع، إذ أمُّه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلِّموه، فقال له بعضهم: إنَّ أمَّك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلِّموك، فأجاب: مَن أمِّي ومَن إخوتي؟ ثمَّ أشار بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمِّي وإخوتي؛ لأنَّ مَن يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمِّي»[4].

(١) إيليربي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٤٧-٥٠، ١٣١-١٣٣.

(٢) إيليربي: الجانب المظلم في المسيحيَّة، ١٥١، ١٧٤-١٧٥، وينظر: نرفال، رحلة إلى الشَّرق: ٤/ ٣.

(٣) يوحنَّا: ٢/ ٣-٤.

(٤) ١٢/ ٤٦-٤٩.

كما ألحَّت الكنيسة على منع المرأة من أن تقوم بتعليم الذكور، فهي ترى أنَّها أدنى مرتبة منهم، ولا يحقُّ لها تعليم من هو أرفع درجة منها، ولذلك قام رهبان مسيحيُّون في القرن الرابع الميلاديّ بتقطيع الفيلسوفة الأفلاطونيَّة في الإسكندريَّة (هايباتيا ٣٧٠-٤١٥م) (Haybatia) بأصداف المحَّار والخزف حتَّى الموت؛ لأنَّها تصدَّت لتعليم الذكور، عاصية بذلك أوامر الربِّ[١]، كما عملت على تغييب وإقصاء الموروث اليهوديّ والمسيحيّ المخالِف لنظرتها وتوجُّهها بخصوص المرأة، سيما كتابات طائفة اليهود الأيسينيين[٢]، والمسيح الغنوص[٣] التي اكتُشِفت مؤخَّرًا ضمن مجموعة من المخطوطات المسيحيَّة واليهوديَّة في نجع حمَّادي في صعيد مصر، وكهوف البحر الميت، وغيرها من المناطق خلال المدَّة (١٩٤٥-١٩٥٨م)[٤].

ففي كتابات الأيسينيِّين التي كانت تحمل بعض الملامح القدسيَّة للمرأة، نجد يسوع المسيح يقول: سوف أقودكم إلى ملكوت ملائكة أمِّنا، وفي نصٍّ غنوصيّ أن حوَّاء قالت لآدم: عِش يا آدم، انهض وقِف على الأرض، وعلى الفور صارت كلمتها فعلًا، وعندما نهض آدم وفتح عينيه ورآها قال: أنت سوف تُدعَين أم الحياة؛ لأنَّك

(١) ينظر. داوود روفائيل خشبة: هيباتيا والحبُّ الذي كان: ١١-٨٦، إيليربي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٢٣.

(٢) الأسينيُّون: طائفة يهوديَّة، ظهرت خلال القرن الأوَّل قبل الميلاد والقرن الأوَّل بعد الميلاد، وهم يعتمدون الزُّهد والسريَّة في حركتهم الدينيَّة، وكانوا على معرفة واسعة بعلوم الفلك والكواكب علاقاتها بالحياة على الأرض، وقد اكتُشِفت كتاباتهم في موقع قمران قرب البحر الميت. ينظر: أندريه دوبرون ومارك فيلوننكو، التوراة كتابات ما بين العهدَين، الكتب الأسنيَّة: ٥-٨.

(٣) الغنوص: كلمة يونانية تعني المعرفة، وهي تمثِّل حركة دينيَّة فلسفيَّة، وتيَّار فكريّ معقَّد، ذو فلسفات باطنيَّة وتأويليَّة ورمزيَّة، تبحث عن أصل الإله والروح ومصدرها الحقيقي، وقد نشطت في العالم الرومانيّ القديم، وهي تَعتَبر السيِّد المسيح معلِّمًا روحيًّا مكلَّفًا بقيادة البشريَّة نحو الإله الحقيقيّ الخفيّ، وهو ابن لشيث بن آدم، ومعبودة أنثويَّة تسمى باربيلو. ينظر: عبد الحليم نور الدين، مخطوطات نجع حمَّادي: ٢.

(٤) ينظر: هشام محمَّد طلبة، محمَّد في الترجوم والتلمود والتوراة وغيرها: ١٢-٣٢.

التي أعطيتِني الحياة. وتشير كتابات الغنوصيِّين إلى مريم المجدليَّة، على أنَّها من أبرز مدوِّني تراث المسيحيَّة المبكِّرة، ويعتقد بعضهم أنَّها أوَّل من رأى قيامة يسوع المسيح بعد الصَّلب، وأنَّها تحدَّت سلطة بطرس كجزء من ظهور المراتب اللاهوتيَّة الكنسيَّة، إذ تدَّعي باقي الطوائف أنَّ بطرس هو أوَّل مَن شاهد قيامة السيِّد المسيح(١).

وكانت صورة الربِّ في الكتاب الغنوصيّ السرِّيّ ليوحنَّا تتمثَّل بقوله: أنا الأب، أنا الأم، أنا الابن، وهي توضِّح فكرة التعاون والتداؤب بين قوَّة الذكورة والأنوثة وهيمنتها، وقد جرى إثباتها في بعض الأعمال الفنيَّة القديمة لصورة السيِّد المسيح الثلاثيَّة الوجوه (وجهان ذكريَّان وآخر أنثوي)؛ لتُفصِح عن الطراز البدئيّ لعقيدة التثليث (الرَّبُّ، مريم، يسوع)، ولكن جرى تعديل هذه الصيغة في الكتابات المسيحيَّة الرسميَّة فيما بعد مجمع نيقيَّة الكنسيّ عام (٣٢٥م) على نحو الصيغة الذكوريَّة: (الرَّبُّ، الابن، الروح = روح القدس)، على أن الروح هنا بمثابة تجسُّد حياديّ ليس له جنس محدَّد، وغُيِّرت الصورة الفنيَّة لتكون بهيئة ثلاثة وجوه شبابيَّة ذَكَريَّة متماثلة، وجرى ترسيخ هذا المفهوم مِنَ قبل الباباوات ورجال الكنيسة في العصور الوسطى، إذ لم يتم الاعتراف بمريم العذراء عليها السلام ضمن هيكليَّة الثالوث المقدَّس(٢)، وتمَّ اقتلاعها بطريقة ماكرة ومخادعة، فقد أُنزِل ملكوتها من السماء إلى الأرض، فعوضًا عن أن تكون جزءًا من الثالوث الإلهيّ المقدَّس المتعالي المعبود، اقتصر الأمر على تحويل المعابد التي كانت مكرَّسة لعبادة الآلهات الوثنيَّة الأنثويَّة القديمة، إلى كنائس تحمل اسم السيِّدة مريم العذراء، ولكنَّها مكرَّسة لعبادة الإله الذَّكر وحده(٣)، بمعنى أنَّها حُوِّلت من معبودة إلى عابدة، شأنها شأن غيرها من الناس.

(١) إيرلبي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٢٣-٢٥.
(٢) إيرلبي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٣٥-٣٧.
(٣) إيرلبي، الجانب المظلم في المسيحيَّة: ٣٩-٤١.

المحور الثاني

ردَّة الفعل الغربيَّة الحديثة وثقافة التحرُّر

لا شكَّ أنَّ ثقافة التحرُّر النسويّ في الغرب الحديث كانت وما زالت تستحضر صدى النظرة الازدرائيَّة (التوراتيَّة- الإنجيليَّة) المؤسَّسة لقمع المرأة، فكانت ردَّة فعل عنيفة جدًّا ضدَّ المؤسَّسة الدينيَّة، ومنظومة العادات والتقاليد والأعراف المحافظة، وهي بقدر ما حملت من الإيجابيَّات المصاحِبة للتوجُّه الثقافيّ الحداثيّ حيال المرأة، كانت تحمل ما لا يقلُّ خطورةً وانتهاكًا لها ولإنسانيَّتها من تلك النصوص، وهذا ما نجده مبثوثًا في كلِّ الدراسات الإسلاميَّة المجادِلة من قبيل:

- كتاب تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، لمحمَّد عمارة.
- كتاب المرأة بين الأصول والتقاليد، لحسن عبد الله الترابيّ.
- كتاب النسويَّة من الراديكاليَّة حتَّى الإسلامية- قراءة في المنطلقات الفكريَّة، لأحمد عمرو.
- كتاب المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربيَّة، لوحيد الدين خان.
- كتاب المرأة بين طغيان النظام الغربيّ ولطائف التشريع الربَّانيّ، لسعيد رمضان البوطيّ.

وغيرها عشرات الكتب الأخرى.

وإذا كان الفكر الغربيّ الحديث قد حقَق مستوى من النجاح في موضوعة تحرير المرأة، على صعيد الحقوق القانونيَّة، وحقُّ العمل، وتساوي الفرص، ومجال المشاركة

السياسيَّة والتمثيل النيابيّ، وحريَّة التعبير عن الرأي، فضلًا عن التعليم والفِكر والثقافة، فإنَّه من جانبٍ آخر، أوغل في انتهاك جسد المرأة وكرامتها وأخلاقها، وإفساد منظومة الأسرة، وفرط عقد الأمومة ومؤسَّسة الزواج، فقد قدَّم كتاب تحرير المرأة بين الغرب والإسلام إحصائيَّات وأرقام مخيفة لحالات العنف المنزليّ والأسريّ والقتل والضَّرب والإنجاب قبل الـزَّواج، والأطفال غير الشرعيِّين والدَّعارة والبغاء والاجهاض والاعتداء والتحرش.. فضلًا عن شواهد التحلُّل والإباحة في العلاقات الجنسيَّة منذ وقت مبكِّر في المدارس[1].

وأكدَّ على إنَّ النزعة الأنثويَّة التي تبلورت في ستينيَّات القرن العشرين بلغت حدًّا من التطرُّف والفوضويَّة، لتُعلن الحرب على الفطرة والدين والأخلاق.. عبر الدعوة للتحرُّر الانحلاليّ والشذوذ المثليّ، واعتبار العائلة ونظام الأسرة عائقًا للتقدُّم، وسجنٌ للمرأة، ومؤسَّسة لقهرها، ولذا يجب هدمها وإلغاؤها، ولا بدَّ من انعتاق الغرائز وإطلاق الحريَّة الجنسيَّة دون حدٍّ أو قيد، سواء من ناحية الكمِّ أو الكَيف؛ لتتمَّ عمليَّة التحرُّر الاجتماعيّ، وأنَّ الحياء مرض يجب العلاج منه، والغيرة عاطفة برجوازيَّة يجب الخلاص منها، وأنَّ العفَّة تخلُّف وكبت للحريَّة الجنسيَّة، ولذا فليس من الغريب أن يكون (٦٠٪) من أعضاء المنظَّمات الأنثويَّة في أمريكا وحدها مثليَّات، وهذه المنظَّمات الأمريكيَّة ومثيلاتها الغربيَّة هي المسيطرة على لجنة المرأة في الأمم المتَّحدة، وتحاول فرض شذوذها الفكريّ والسلوكيّ على العالم أجمع[2].

وبالجملة فإنَّ المرأة الغربيَّة لم تعد إلَّا سلعة يستمتع بها الرجل، ثمَّ يستبدلها بغيرها، فأشهر أنواع الزواج في الغرب، هو زواج المساكنة، أو المحظيَّات أو السريَّات (Concubinage)، فما يكاد الرجل يملُّ من هذه المحظيَّة حتَّى يفارقها لغيرها، وتذهب هي لغيره، وهكذا، فأحدهما يهب للآخر ما يحتاجه من لذَّة ومتعة وإشباع جنسيّ، دون

(١) محمَّد عمارة، تحرير المرأة: ٦٥-٧٠.

(٢) محمَّد عمارة، تحرير المرأة: ٣٧-٤٢.

التزام مقدَّس بينهما، ولذا تخلَّى المجتمع الغربي عن المؤسَّسة الزوجيَّة والأسريَّة، التي لم يكن لها أي فائدة في مجتمع ليس فيه لإثبات النسب أيّ اعتبار، فكان من الحماقة والغباء الشديد في نظر الرجل الغربيّ أن يحمِّل نفسه أعباء رعاية المؤسَّسة الزوجية، في الوقت الذي يمكنه الحصول على ما يشاء من جسد المرأة بالمجَّان. وهذا في حقيقة الحال ليس إلَّا انعكاسًا لأنانيَّة الرجل الغربيّ، وتهرُّبه من المسؤوليَّة تجاه المرأة، التي رُمِيت لتتصارع مع مجالات الحياة الماديَّة العنيفة، فاضطرَّت أن تقطع آخر خيوط آمالها بمسؤوليَّة الرجل والزوج عنها، لقاء ما تتحمَّله من أعباء الزوجيَّة والتربية والأسرة، فتخرج هي الأخرى لتبحث عن فرصة عمل تكفي به نفسها، وبذلك تفتَّت الأسرة، وتعرَّضت أمومة المرأة وأنوثتها للدمار والسَّحق، فهي لا تملك الفرصة دائمًا لاختيار العمل المناسب لها، ولذا عليها أن تضحِّي بجانب من طبيعتها لقاء الحصول على العمل، كأن تؤدِّي أعمالًا قاسية أو غير لائقة، فضلًا عن ذلك فقد استغلَّ الرجل المرأة أيَّما استغلال وامتهنها أيَّما امتهان، فهي محتاجة فطريًّا لرؤية نظرات الاعجاب والانبهار بجمالها بعيون أكبر عدد من المعجَبين، وكلمات الغزل كلَّ يوم من فمِ رجل مختلف، وبذلك طغت الغريزة الإغرائيَّة في المرأة على تفكيرها العقليِّ والمنطقيّ، فعطَّلت إمكانية رؤية الاتِّجاه الصحيح، سيما ما يتعلَّق بمستقبلها، فهي بمرحلة الشباب والجمال والفوران العاطفيّ والغريزيّ ترى أنَّه من المجحف حصر جمالها ومحاسنها داخل الإطار الأسريّ الضيِّق، سيما مع توافر نظرات وكلمات الغزل والشبق والإغواء من قِبَل جماهير الذكور خارج إطار المؤسَّسة الزوجيَّة الأحاديَّة، فتندفع نحو الإشاعيَّة الجنسيَّة المتحرِّرة والمنفلتة! ولكنَّ المأساة تبدأ عندما تأخذ كلمات الإطراء ونظرات الغزل والإعجاب والرغبة بالأفول والغياب شيئًا فشيئًا، بعد أن يتلاشى جمالها ونضارتها وملمسها الناعم وسحرها الجنسيّ، وتفقد بريقها وأنوثتها، وإذا بها تجد نفسها ضحيَّة خديعة مزدوجة، فقد خدعتها غريزتها الإغوائيَّة التي دفعتها للارتماء في أحضان المتعة المؤقَّتة، وخدعها الرجل الماكر والكاذب، فمن

أقسى المناظر وأكثرها إثارة للشفقة، هو منظر تلك الفتاة الغربيَّة، وهي متشبِّثة بثياب عشيقها الذي قاسمها الفراش لسنوات عدَّة متوسِّلة إليه أن يتزوَّجها، وهو يتهرَّب منها بأقبح الأعذار وأكثرها سخفًا، حتَّى إذ ما ألحَّت بطلب ذلك هجرها سرًّا لحظن عشيقة أخرى أصغر سنًّا وأكثر إثارةً، ويزداد الوضع سوءًا إن أنجب هذان العشيقان أطفالًا، فهم غالبًا ما يبقون عرضة للضياع، وفي حالات قليلة يقرِّر العشيقان الاقتران الرسميّ. وبسبب انعدام نظام الأسرة، وضغط الحياة الماديَّة القاسية، نجد المرأة الأوربيَّة بمجرَّد أن يتقدَّم بها السنّ تعيش وحيدة في منزلها الصغير، وليس لها ما يؤنسها فيه إلَّا كلب وديع أو قطة، أو أي حيوان أليف تصحبه معها في نزهةٍ ما، أو أثناء ذهابها لشراء بعض حاجياتها، وإذ كتب لها وكانت من ذوات الحظِّ السعيد، أطلَّ عليها خلال أوقات متباعدة ولد أو بنت لها بزيارة قصيرة، وإذا ما تقدَّم بها السن أكثر، ووصلت إلى مرحلة الشيخوخة، صار لزامًا عليها التحوُّل إلى دار العجزة والمسنِّين، منتظرة انتهاء أيَّامها الأخيرة في الحياة، عند ذلك تُدرك المرأة الغربيَّة أنَّ المجتمع كان قاسيًا معها، ولم يترك لها خيار سوى توظيف تضاريس جسدها ومثيراته الجنسيَّة إلى أقصى حدود الإغراء، للحصول على ما يمكن ادِّخاره من المال لمرحلة ما بعد الشباب[1].

وبالنتيجة فإنَّ ما قدَّمه الغرب الحداثيّ للمرأة، هو سلب إنسانيَّتها، وتحويلها إلى وسيلة للإثارة والتسويق التجاريّ والشهوة الجنسيَّة بصورة إباحيَّة، حتَّى غدت موضوعًا للمتعة، وأصبح أكبر همّها تحقيق أنوثتها لا تحقيق إنسانيَّتها، وتزييف جسدها بالموصلات والملصقات والجراحة والتلوين، وهدر قيمتها وطاقتها ورقَّتها ومالها في اكتساب دواعي الفتنة، وإثارة الرجال بالعري والمظهر الجذَّاب والإغراء الفاحش، ممَّا أخلَّ بخصوصيَّات العلاقات الزوجيَّة، وأسهم بانفراط عقد الأسرة النظاميَّة[2].

(١) البوطيّ، المرأة: ٢٦-٣٥.

(٢) حسن الترابّي، المرأة بين الأصول والتقاليد: ٢٢-٢٣.

تقول الأستاذة الأمريكيَّة كاثرين فورث: إنَّ المواثيق والاتِّفاقات الدوليَّة التي تخصُّ المرأة والأسرة والسكَّان.. تُصاغ الآن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث: الأنثويَّة المتطرِّفة، وأعداء الإنجاب والسكَّان، والشاذُّون والشاذَّات جنسيًّا، وإنَّ لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكَّلتها امرأة إسكندنافيَّة كانت تؤمن بالزواج المفتوح، ورفض الأسرة، وكانت تعتبر الزواج قيدًا، وأنَّ الحريَّة الشخصيَّة لا بدَّ أن تكون مُطلقة.. ولقد انعكس هذا المفهوم للحريَّة في المواثيق التي صدرت عن هذه اللجنة، فالتوقيع على اتفاقيَّة الـ(CEDAW) يجعل معارضة الشذوذ الجنسيّ، حتَّى ولو برسم كاريكاتوريّ، عملًا يعرِّض صاحبه للمساءلة القانونيَّة؛ لكون هذه المعارضة تناقض حقوق الإنسان[1].

وقد استعرض كتاب المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربيَّة إحصاءات ونماذج متعدِّدة ومتنوِّعة لحقيقة التحرُّر والتحضُّر الزائف والمدمِّر الذي تعيشه المرأة في الغرب، مستندًا لكمٍّ هائل من المقابلات والتصريحات والمذكِّرات والدراسات التي قدَّمتها بعض أشهر ممثِّلات السينما الغربيَّة، ونساء الصحافة والإعلام، والعاملات في المجالات الحقوقيَّة والطبيَّة، ومنظَّمات المجتمع المدنيّ، والأطبَّاء والباحثون الغربيُّون، والمجلَّات والصحف العالميَّة، والقنوات والبرامج الإعلاميَّة.. أي إنَّها دراسة استندت إلى الإحصاءات والأرقام والعمل الميدانيّ، وانتهت لتقرير أنَّ تحرُّر المرأة الغربيَّة لم يكن إلَّا على مستوى المتعة الجسديَّة والغريزيَّة، إذ إنَّها ظلَّت سلعة لإمتاع الرجل، وهي وإن حقَّقت النجاح في مستويات أخرى ضئيلة، فقد كان مقرونًا غالبًا بتجريدها من فطرتها الأنثويَّة[2].

وإذا ما ضربنا صفحًا عن مسألة التحلُّل والتفسُّخ الأخلاقيّ الغربي، فإنَّنا نجد تجارة الرقيق الأبيض (جواري القرن العشرين والواحد والعشرين) في أوروبا قد

(١) محمَّد عمارة، تحرير المرأة: ٤٣.

(٢) وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربيَّة: ٥٦-١٥٢.

ساقت (٥٠٠ألف امرأة) إلى أسواق الدعارة بالقارَّة العجوز سنة (٢٠٠٢م) لتوُّفر سبعة مليارات دولار كلّ عام. أمَّا في ميدان العمل السياسيّ، فليس المسلمون وحدهم من ظلموا المرأة في هذا المجال، بل إنَّ كثيرا من الدول المتقدِّمة ظالمة لها أيضًا، فبلد مثل رواندا المحسوبة على الدول المتخلِّفة وحديثة العهد بالتجربة الديمقراطيَّة لها أكبر نسبة من التمثيل النسائيّ (٥٦,٣٪)، بينما النسبة بفرنسا المتقدِّمة الديمقراطيَّة (١٨٪)، أمَّا الولايات المتَّحدة الأميركيَّة، أقوى دول العالم، وزعيمة العالم الديمقراطيّ الحرّ، فكانت نسبتها (١٦٪)، وهي تحتلُّ المرتبة (٧١) في التمثيل النسويّ العالميّ[١].

وكانت الأستاذة والباحثة الأمريكيَّة سارة جامبل في كتابها النسويَّة وما بعد النسويَّة قدَّمت سردًا مطوَّلًا لمسار التحرُّر النسويّ الغربيّ، مشفوعًا بالعديد من الإحصائيَّات التي غصَّت بحقيقة التمييز الجنسيّ بين النساء والرجال في أوربا وأمريكا على مستوى الثقافة الشعبيَّة والسياسة والاقتصاد والعمل ومؤسَّسة الزواج والتكنولوجيا.. بل حتَّى على مستوى السينما والإعلام الذي أُرِيد له أن يُصدِّر ثقافة تحرُّر المرأة الغربية وانعتاقها من هيمنة السلطة الذكوريَّة، كانت تعاني التمييز والإجحاف والخضوع لسلطة الخطاب والرؤية الذكوريَّة[٢].

(١) الحسن سرات في عرضه لكتاب أسماء لمرابط (النساء.. الإسلام.. الغرب- مسالك نحو الكونيّ):

https://www.aljazeera.net/knowledgegate/books.

(٢) ينظر على سبيل المثال: الفصل الثامن (النسويَّة والسينما): ١٤٥-١٦٠.

المحور الثالث

المرأة وتكامل المجتمع في المنظور القرآنيّ

أبدى البعض اعتراضه على وسم الحضارة الغربيَّة الحديثة بأنَّها تتفرَّد بالتأسيس لظاهرة الشذوذ الجنسيّ، وتحويل المرأة إلى مادَّة للاستمتاع الذكوريّ، أو إنها هي فقط من تتبَّنى المثليَّة الجنسيَّة، وتعمل على إشباع الغرائز بما ينافي الفطرة السليمة أو الوضع الطبيعيّ، عبر الدعوة للإباحة والتحرُّر غير المحدَّد والمسؤول، مفترضًا، مع الكمِّ الهائل من الإحصاءات ولغة الأرقام والشواهد الحيَّة القائمة اليوم في زمن العولمة والمعلوماتيَّة، أنَّ الصورة النمطيَّة للمرأة الغربيَّة تنبع من إطار المتخيَّل الإسلاميّ، وهي نظرة مغالية وإسقاطيَّة على نحوٍ كبير، بدعوى أنَّ ظاهرة الشذوذ الجنسيّ ليست سوى ظاهرة إنسانيَّة، لم تخلُ منها حضارة من الحضارات، وما رسالة الجواري والغلمان للجاحظ سوى عيِّنة دالَّة على أنَّ التاريخ الإسلاميّ لم يخلُ منها، وعليه فقصرُ الأحكام على النساء الغربيَّات يبدو صناعة لمتخيَّل عدوانيّ لا يرى في حريَّة المرأة سوى سحاق وشذوذ، وهو محكوم بخلفيَّات إيديولوجيَّة، وعقليَّة أصلها ثابت في الهيمنة الذكوريَّة[1].

وحقيقة الحال أنَّ هذا الرأي يعود بنا، من الباب الخلفيّ، لأصل الفكرة التي يودُّ البحث طرحها، فمع الاعتراف بصحَّة هذا الرأي من وجهة نظر أو جنبة تاريخيَّة، فقصور الحكَّام المسلمين وبلاطات الدول كانت تغصُّ بأنواع الجواري والغلمان من

(١) ينظر: عمار بنحمودة: متخيَّل المرأة الغربيَّة في فكر المتأسلمين، موقع مؤسَّسة مؤمنون بلا حدود:
https://www.mominoun.com/articles.

شتَّى الأعراق والجنسيَّات، وتمدُّد جغرافيا الإسلام التاريخيّ ربَّما زوَّدته، وإن ضمن مؤسَّسة أنواع الزواج المباح، بما يفوق ما يستمتع به الرجل الغربيّ من النساء اليوم، وعكس بالتالي الطغيان الغرائزيّ والجنسيّ وحريَّة الاستمتاع المفتوحة على حساب المرأة التي حُوِّلت لمادَّة للاستمتاع واللذَّة، ولعلَّ شواهد هذه الحالة والتمييز الجنسيّ، وانتهاك حقوق المرأة، والممارسات الجنسيَّة خارج مؤسَّسة الزواج موجودة في البلدان الإسلاميَّة كما هي في الغرب.. إلَّا أنَّ الخطأ الفادح هنا هو عدم التفريق بين ما هو فعلٌ تاريخيّ، وما هو نصٌّ تأصيليّ نظريّ، أي عدم التفريق بين رؤية إسلام القرآن والنبوَّة، وفعل الإسلام التاريخيّ الخلافيّ في عصوره المبكِّرة، وانعكاسه في الواقع الإسلاميّ اليوم، مع ملحظ الثقافة الوافدة جرَّاء عصور الاستعمار وعصر العولمة والمعلوماتيَّة والاختلاط السكَّانيّ والفكريّ والثقافيّ اليوم.

فبالعودة لأُسِّ المشكلة الجدالـيَّة بين (الإسلام- الغرب) نجد أنَّه ومنذ أن قدَّم المستشرق البريطاني إدوارد وليام لين (١٨٠١-١٨٧٦م) (Edward William Lane) ترجمته المختصرة لمعاني أجزاء من القرآن الكريم (Selections from the Kur'an) في لندن عام (١٨٤٣م)، وصدَّرها بعبارته الشهيرة: «إنَّ الجانب المهلك للإسلام حطُّهُ من قيمة المرأة»[1]، ذاع هذ التصوُّر، وصار يردَّد على ألسن الكثير من الغربيِّين، مستشرقين وغيرهم.

وحقيقة الحال أنَّ التباين الذي يضعه الإسلام بين المرأة والرجل لا ينبع من مفهوم التفاضل العنصريّ، كما يحلو للغرب أن يفهمه أو يسمِّيه، بقدر ما ينبع من طبيعة التكوين البيولوجيَّة- الأحيائيَّة، التي تحتمِّ التباين على مستوى الفعل والأداء. وفي هذا اللحاظ قال الدكتور الفرنسيّ أليكسس كاريل (١٨٧٣-١٩٤٤م) (Alexis Carrel) المتخصِّص بالجراحة، والحائز على جائزة نوبل في العلوم الطبيَّة عام

(١) وحيد الدين خان، المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربيَّة: ١١.

(١٩١٢م) في كتابه (Man the Unknown = الإنسان ذلك المجهول): إنَّ الفروق التي توجد بين الرجل والمرأة لا ترجع فقط لاختلاف في هيئة الأعضاء التناسليَّة، ووجود الرحم وعوارض الحمل، أو أسلوب التعليم، بل هي تعود إلى طبيعة أكثر أساسيَّة، فالتباين بينهما ناتج عن تكوُّن الأنسجة نفسها، وعن تشرُّب النظام الجسمانيّ كلُّه بمواد كيمياويَّة معيَّنة تخرج من المبيض، وقد أدَّى الجهل بهذه الحقائق الأساسيَّة بأنصار حركة تحرُّر المرأة إلى الاعتقاد بضرورة التماثل في التعليم، والسلطة، والمسؤوليَّة بين الجنسين، مع أنَّ الحقيقة هي أنَّ المرأة تختلف عن الرجل اختلافًا عميقًا، فكلُّ خليَّة من خلاياها تحمل بصمات الأنوثة، والأمر نفسه ينطبق على أعضاء جسدها أيضًا، بل وفوق ذلك ينطبق هذا الأمر على نظامها العصبيّ نفسه. إنَّ القوانين الفسيولوجيَّة صلبة كالقوانين التي تتحكَّم بحركة النجوم، ولا يمكن تبديلها برغبات البشر، فعلينا أن نقبلها كما هي، وعلى النساء تنمية قدراتهنَّ انسجامًا مع الإطار الذي وفَّرته لهنَّ الطبيعة، بدون محاولة تقليد الرجال[1].

وفق هذه الطبيعة التكوينيَّة المختلفة، يقدِّم النصُّ القرآنيّ والفكر الإسلاميّ للمرأة صورة مغايرة تمامًا عمَّا قُدِّم لها في التوراة والإنجيل، وهي صورة تتَّسم بالإنصاف والتكريم والعدل، فلم يحرمها الإسلام حقًّا تقتضيه طبيعتها البشريَّة وتكوينها الفطريّ، ولم يكلِّفها واجبًا لا تطيقه، كما لم يبعدها عن دائرة التأثير والمسؤوليَّة الشخصيَّة والمجتمعيَّة، ويمكن الإشارة هنا لبعض من المبادئ الإسلاميَّة العامَّة المتعلِّقة بالمرأة:

١) خصَّها عمومًا بتسمية سورة من سور القرآن الكريم (سورة النساء)، والسيِّدة مريم عليها السلام خصوصًا بـ(سورة مريم)، وبيَّن أنَّ المرأة كالرجل في الطبيعة الإنسانيَّة والبشريَّة سواء بسواء، لا فضل لأحد على آخر ولا تمايز بينهما، فهما متماثلان في الخلقة

(١) الإنسان ذلك المجهول: ٧٨.

والابتداء، ومتشابهَين في النشأة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]. وهناك العديد من الآيات القرآنيَّة التي تجري في هذا المساق، وتعرض مفهوم التماثل والتكامل الإنشائيّ بين المرأة والرجل، وخلق الزَّوجَين (الذكر- الأنثى). ولا يجدر الالتفات هنا إلى الفكرة التوراتيَّة- خلقها من ضلع آدم- التي تسرَّبت إلى الحديث النبويّ، عبر مدارس الوضَّاعين، ونَقَلة الإسرائيليَّات، فصاغوها بما يحلو لهم من صور وأشكال، فرَوَوا أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنَّ المرأة خُلِقت من ضلعٍ أعوج، وإذا أردت إقامة ذلك الضلع المعوج، فإنك ستكسره، فدارِها تَعِش بها[2].

٢) ليس ثمَّة تمايز بينها وبين الرجل في المنحى العباديّ، وما يترتَّب عليه من ثواب وعقاب، ولذا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5].

٣) حارب الإسلام العادات الجاهليَّة التي كانت تزدري المرأة وتمتهن كرامتها وإنسانيَّتها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ

(١) النساء: ١.
(٢) أحمد بن حنبل، مسند: ٥/ ٨، البخاريّ، صحيح: ٤/ ١٠٣، مسلم، صحيح: ٤/ ١٧٨.
(٣) النحل: ٩٧.
(٤) آل عمران: ١٩٥.
(٥) الأحزاب: ٣٥.

مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(٢).

٤) دفع عنها القرآن التهمة التي ألصقها بها كتاب التوراة والإنجيل والديانات الوضعية السابقة بأنها هي صاحبة الذنب الأول، وأنها هي من وسوست لآدم فأكل من تلك الثمرة، وبين اشتراكهما بذلك الذنب سواء بسواء، قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٣).

٥) أمر القرآن بإكرامها، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦)، هذا فضلًا عن تشديد الإسلام على حقوق الزوجيَّة، وحقوق الإرث، وحقّ التعلُّم، وغيرها من الحقوق التي تمتَّعت بها المرأة في ظلِّ الرسالة الإسلاميَّة الإنسانيَّة.

(١) النحل: ٥٨-٥٩.
(٢) التكوير: ٨-٩.
(٣) الأعراف: ١٩-٢٢.
(٤) الأحقاف: ١٥.
(٥) الإسراء: ٢٣-٢٤.
(٦) الروم: ٢١.

وكان من تأكيد النبيِّ صلى الله عليه وآله وحرصه على التعامل الطيِّب والحَسن مع النساء، في تلك البيئة الذكوريَّة القاسية، أنَّه ظلَّ يوصي المسلمين بالنساء حتَّى في آخر أيَّام حياته، فقال في حجَّة الوداع: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإنَّهنَّ عندكم عوان، ليس تملكون منهنَّ شيئًا غير ذلك إلَّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهنَّ في المضاجع واضربوهنَّ ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلا. إنَّ لكم من نسائكم حقًّا ولنسائكم عليكم حقًّا، فأمَّا حقكم على نسائكم، فلا يوطئنَّ فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألَا وحقهنَّ عليكم أن تُحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ**»[1]، وقال صلى الله عليه وآله: «**لا يفرك- أي لا يبغض ويكره- مؤمن مؤمنة، فإن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»[2].

وهنا يبدو الفرق جليًّا بين المنهج والرؤية القرآنيَّة والإسلاميَّة التأسيسيَّة والنصيَّة للمرأة، وبين الرؤية النصيَّة والتأسيسيَّة في الحضارة القديمة والديانات الوضعيَّة، وفي التوراة والإنجيل، وفي الفكر الغربيّ الحديث، الذي ثار على كِلَيهما، ويحاول دفع المسلمين للثورة على النصوص القرآنيَّة أيضًا، مع ما تحمله من تعامل ينبع من المنطق الإنسانيّ والفطريّ والعقليّ والعلميّ مع المرأة، فهو يبتعد عن التقديس حدَّ الإفراط والتأليه، ويجافي التفريط حدَّ الامتهان والازدراء والإقصاء.

(١) ابن ماجه، سنن: ١/ ٥٩٤، الترمذيّ، سنن: ٢/ ٣١٥.
(٢) مسلم، صحيح: ٤/ ١٧٨، النوويّ، شرح صحيح مسلم: ١٠/ ٥٨.

المحور الرابع

المرأة المثال في الإسلام

يقدِّم الفكر الإسلاميّ صورًا مثاليَّة للعنصر النسويّ العالميّ، عبر نماذج أربعة، هي: مريم العذراء، آسية زوجة فرعون، السيِّدة خديجة، السيِّدة فاطمة الزَّهراء[1]، على أنَّ المثال الأسمى والأكمل بينهنَّ هي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال: **إنَّها سيدة نساء أهل الجنَّة**[2]، ويُذكر أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله زار السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في يوم من الأيام، وكانت مريضة، فقال لها: «**كيف تجدينك يا بنيَّة؟** قالت: **إنِّي لوجعة، وإنَّه ليزيدني أنِّي ما لي طعام آكله**، فقال: **يا بنيَّة. أمَا ترضين أنك سيِّدة نساء العالمين؟** قالت: **يا أبتِ، فأين مريم بنت عمران؟** قال: **تلك سيِّدة نساء عالمها، وأنت سيِّدة نساء عالمك**»[3].

(١) عبد الرزاق الصنعانيّ، المصنف: ١١/ ٤٣٠، أحمد بن حنبل، مسند: ١/ ٢٩٣، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣٦٧، النسائيّ، فضائل الصحابة: ٧٤، ابن حبَّان، صحيح: ١٥/ ٤٠٢، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٢/ ٤٩٧، ٣/ ١٥٧-١٥٨، ابن حجر، فتح الباري: ٦/ ٣٢١، ثمَّ ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٥٢٧، البخاريّ، صحيح: ٤/ ١٨٣، ٢٠٩، ٢١٩، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣٢٦، الضحَّاك، الآحاد والمثاني: ٥/ ٣٦٦، النسائيّ، السنن: ٤/ ٢٥٢، فضائل الصحابة: ٥٨، ابن البطريق، العمدة: ٣٨٤، ابن حجر، فتح الباري: ٦/ ٣٢١.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٥٢٧، أحمد بن حنبل، مسند: ٥/ ٣٩١، البخاريّ، صحيح: ٤/ ١٨٣، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣٢٦، النسائيّ، فضائل الصحابة: ٥٨، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٣/ ١٥١.

(٣) ابن عبد البرِّ، الاستيعاب: ٤/ ١٨٩٥، الغزاليّ، إحياء علوم الدين: ١٠/ ٧٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ١٣٤.

وقد سُئِل الإمام الصادق عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فهل هي سيِّدة نساء عالمها؟** فقال: **فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة من الأوَّلين والآخِرين**[1]، وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنَّه قال وهو قائم على قبر فاطمة عليها السلام: «**قَلَّ يا رسول الله عن صفيَّتك صبري، وعفا عن سيِّدة نساء العالمين تجلُّدي**»[2]، وورد في محاججاته مع معاوية، أنَّه عليه السلام كتب له: «**منَّا النبيّ ومنكم المكذِّب، ومنَّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنَّا سيِّدا شباب أهل الجنَّة ومنكم صبية النار، ومنَّا خير نساء العالمين ومنكم حمَّالة الحطب**»[3]، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حدَّثه فقال: «**إنَّ الله أشرف على الدنيا فاختار فاطمة على نساء العالمين**»[4].

وهذه النصوص التأسيسيَّة إنَّما ترغب في تأكيد خصوصيَّة مقام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، ولفت النظر الإسلاميّ لسموِّ وعلوِّ مكانتها، وفضلها كتواجد لامتزاج النبوَّة بالإمامة، وبالتالي قطبًا ومحورًا للمنظومة الدينيَّة الإسلاميَّة التي تدور حول مرتكَزَي (النبوَّة-الإمامة)، هذا فضلًا عن تواجدها بكافَّة مفاصل تاريخ الدعوة والرسالة الإسلاميَّة، ومحطَّاتها المفصليَّة والمصيريَّة المهمَّة، كحادثة المباهلة مع نصارى نجران، وحادثة الكساء، وحادثة الهجوم على الدار وغيرها، ممَّا يبيِّن مفهوم التداؤب والدور الذي يحتلُّه التواجد النسويّ في الرسالة الخاتمة.

فضلًا عن ذلك، يجدر الانتباه هنا إلى مسألة غاية في الدقَّة والأهميَّة في هذا المقام، وهي إلحاح النبيّ صلى الله عليه وآله على بيان الترابط والتماهي بينه وبين ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام عبر أحاديثه الكثيرة والمستفيضة في هذا المعنى، ومنها:

(١) الصدوق، الأمالي: ١٨٧، معاني الأخبار: ١٠٧، الفتَّال النيسابوريّ، روضة الواعظين: ١٤٩.

(٢) الكلينيّ، الكافي: ١/ ٤٥٩.

(٣) الشريف الرضيّ، نهج البلاغة: ٣/ ٣٢.

(٤) الصدوق، الخصال: ٢٠٧، الطوسيّ، الأمالي: ٦٤٣-٦٤٤.

١. **إنَّها فاطمة، بضعة منِّي، يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**[١].

٢. **إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**[٢].

٣. **فاطمة مضغة منِّي، يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها، وإنَّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري**[٣].

٤. سُئِل النبيّ صلى الله عليه وآله: مَن أحبُّ إليك؟ قال: **فاطمة**[٤].

٥. كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا سافر بسفرٍ ما، يكون آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأوَّل من يدخل عليه إذا قدم من السفر[٥].

لا شكَّ أنَّ المسألة لم تكن اعتباطيَّة أو مرتدَّة لطبيعة العاطفة والحنان العاديَّين بين الأب وابنته، فما تقدَّم من نصوص يتجاوز هذا المدى، ولعلَّه يشير للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام ومحوريَّتها في المنظومة الدينيَّة والثقافيَّة الإسلاميَّة، وتقديمها كنموذج تمثُّلي للمرأة، وإلَّا فليس من باب الاجتهاد الشخصيّ للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يقرن رضاه برضاها، وغضبه بغضبها، بل رضا الله وسخطه برضاها وسخطها، ولا من باب المصادفة أو العاطفة أن يتَّخذها دليلًا وحجَّةً وبرهانًا على صدق نبوَّته صلى الله عليه وآله بحادثة ورهان كونيّ مفصليّ كحادثة المباهلة، التي يبيِّن النصُّ القرآنيّ انفتاح أفقها وامتداده المستقبليّ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٦].

(١) أحمد بن حنبل، مسند: ٤/ ٥، فضائل أهل البيت: ٤٧٥-٤٧٧، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣٦٠، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٣/ ١٥٩، وينظر: مسلم، صحيح: ٧/ ١٤١.

(٢) المتَّقي الهنديّ، كنز العمال: ١٢/ ١١١.

(٣) أحمد بن حنبل، مسند: ٤/ ٣٢٣، فضائل أهل البيت: ٤٨٠، البيهقيّ، السنن الكبرى: ٧/ ٦٤.

(٤) أحمد بن حنبل، مسند: ٥/ ٢٠٤، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣٤٢، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٣/ ٢١٧.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند: ٥/ ٢٧٥، أبو داوود، سنن: ٢/ ٢٩١، البيهقيّ، السنن الكبرى: ١/ ٢٦.

(٦) آل عمران: ٦١.

يجدر الانتباه هنا إلى صيغة التبليغ الأمريّ من قبل الله تعالى للنبيّ صلى الله عليه وآله بأن يباهل النصارى بأدوات تمثِّل العقيدة المسيحيَّة المحرَّفة (الربّ، الابن، الأم)، مع ملاحظة عكس النصِّ القرآنيّ لتراتبيَّة الثالوث المسيحيّ المقدَّس وردّه لأصله الطبيعيّ.

إنَّ حضور الزَّهراء عليها السلام في هذه المحاكمة الإلهيَّة يؤكِّد أنَّ إلحاح النبيّ صلى الله عليه وآله في تبريز مكانة ابنته فاطمة عليها السلام لم يكن يتأتَّى من عطف أبويّ لابنة وحيدة، أو شعور مادِّيّ طبيعيّ خاص بالانتماء إليها، إنَّما هو مردود لتماهي ذاتيهما وتشاكلهما، وحقيقة حتميَّة ارتباطهما اللازم لتأدية الدور الوظيفيّ للنبوَّة والرسالة.

بعبارة أخرى وحسب المنطق التاريخيّ، لولا وجود الزَّهراء عليها السلام كامتداد طبيعيّ للنبيّ صلى الله عليه وآله وزواجها من الإمام عليّ عليه السلام وفق أمر إلهيّ، وحسب تعبير النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ما أنا زوَّجته ولكنَّ الله زوَّجه**»[1]، وما كان ردَّ به الصحابة الذين خطبوها، وفي مقدِّتهم أبي بكر وعمر «**أنتظر بها القضاء**»[2]، هل كان بالإمكان الحديث عمَّا سيتشكَّل لاحقًا بعنوانات (أهل البيت، العترة، ذوي القربى، الإمامة)؟!. هل كان لحادثة المباهلة أن تنتظم وفق التشكُّل القرآنيّ السابق، وبما يضمن ترجيح كفَّة النبيّ وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبالتالي فوز المواجه الإسلاميّ، وهل كان لآية التطهير أن تتحقَّق، وهل كان لسورة الإنسان أن تجد مضامينها ومصاديقها الأرضية؟!.

وعلى هذا الأساس ينبغي الالتفات إلى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[3]، لا يقف عند حدود المواساة والتعزية الإلهيَّة للنبيّ صلى الله عليه وآله، بسبب نعته بالأبتر من قِبَل مشركي قريش، بضمان امتداده الطبيعيّ أو المادِّي عبر ابنته فاطمة الزَّهراء والإمام عليّ عليه السلام، إنَّما يبتعد لتطمينه بامتداد

(١) اليعقوبيّ، تاريخ: ٢/ ٤١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ١٢٦-١٢٧، ابن المغازليّ، مناقب: ٢٦٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٨/ ١٩، المقريزي، إمتاع الأسماع: ٥/ ٣٥١.

(٣) الكوثر: ١-٣.

رسالته ونبوَّته ومشروعه الإصلاحيّ، وحتميَّة تكامله وانتشاره في نهاية المطاف البشريّ، عبر أبنائه الأئمَّة من السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وبذلك تتغوَّل شخصيَّتها، وتتخطَّى حدودها الزمكانيَّة؛ لتوحي بمفهوم الأمِّ المعطاء الحانية الكثيرة الخير والبركة، والتي ستهبُ الدنيا وعموم البشريَّة سلامها وخلاصها الموعود، ولعلَّ هذا ما يشير إليه قوله السابق: «**إن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري**».

بمعنى أنَّها في هذا اللحاظ ستمسي فهمًا بديلًا ومغايرًا، للعرض المسهب والمغالي بصفة التقديس- التمثل الشركيّ- للأم أو الأنثى المقدَّسة (الإلهة) في الحضارات القديمة، والعرض أو الفهم المتباين بين سمَتَي التقديس والازدراء في النصوص التوراتيَّة والإنجيليَّة، عاكسة سمتها الخاصَّة المؤسَّسة وفق القوانين العقليَّة والطبيعيَّة، والمرتكزة على قواعد المنطق والفطرة الإنسانية والتفكير السليم، فلا هي إلهة مقدَّسة في السماء ومجسَّدة صوريًّا أو نحتيًّا في الأرض، وتحمل صفات متناقضة تجمع بين الخير والشرِّ، والثواب والعقاب، والرحمة والانتقام، والعطاء والتدمير، والعفة والإغواء! وغيرها من التصوُّرات والمفاهيم التي بدت بها (عشتار) أو غيرها من الآلهة الأنثويَّة المقدَّسة، ولا هي تلك المرأة الماكرة المخادعة الخاطئة المذنبة، التي استنزلت البشريَّة من عليائها، لأنَّها قليلة الفهم وناقصة ومعوجَّة على الدوام، ولا يمكن تقويمها كما يدَّعي كتبَة التوراة، ولا هي تلك المرأة التي تردَّدت بين هذه الصفات، وبين أن كانت أمًّا للربِّ الإله، أو كانت هي بدورها إلهة عند البعض، أو إنَّها غير مقدَّسة أو مهمَّة بالمرَّة، بل هي طريق لعبادة شيطانيَّة عند البعض الآخر، كما تدَّعي فرق المسيحيَّة المتباينة في اعتقاداتها حول المرأة، سيما مريم العذراء!.

وتحتفظ الذاكرة الإسلاميَّة، فضلًا عمَّا تقدَّم، بصور متعدِّدة لتوضيح طبيعة التصوُّر الذي أراد النبيّ صلى الله عليه وآله إرساءه لدى الجماعة الإسلاميَّة حول الطبيعة التي تحملها ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومن تلك الصور:

١) إنَّ النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى دار فاطمة عليها السلام، ومعه عليّ وحسن وحسين، آخذًا كلَّ واحدٍ منهما بيده حتَّى دخل، فأدنى عليًّا وفاطمة، فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا كلُّ واحد منهما على فخذه، ثمَّ لفَّ عليهم ثوبه أو كساء، وطلب من الله تعالى أن يُذهِب عنهم الرِّجس ويطهرهم، فما استتمَّ دعائه[١]، إلَّا ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

٢) ولتأكيد هذه المشاكلة والتماهي، وترسيخ مركزية الزَّهراء عليها السلام في نفوس المسلمين، كان النبيّ صلى الله عليه وآله يمرُّ ببيت فاطمة عليها السلام لستَّة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر، فينادي: **الصلاة يا أهل البيت، إنَّما يريد الله ليُذهِب عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهِّركم تطهيرًا**[٣].

وهكذا تتظافر التقريرات السلوكيَّة والإشادات النصيَّة لترسيخ مفهوم الارتباط المقدَّس للسيِّدة الزَّهراء عليها السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله، ولعلَّها تصل لأعلى مستوى لها عندما نجد النبيّ صلى الله عليه وآله يكنِّيها بأمِّ أبيها[٤]، فهي لم تنل هذه الكنية إلَّا لأنهَّا أخذت ذلك الدور منذ طفولتها، فكانت طفلة صغيرة في عمرها، ولكنَّها أمًّا معطاء جلدةً شامخةً، صاحبة رسالة وقضيَّة ومبدأ وهمٌّ كونيٌّ عام وشامل، وكأنَّما صقلتها السنون و خبرتها الخطوب، في مساندة أبيها والوقوف بجنبه ضدَّ طغيان قريش وجبروتها، إذ كانت منذ الوهلة

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٥٠١، أحمد بن حنبل، مسند: ٦/ ٢٩٢، مسلم، صحيح: ٧/ ١٣٠، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٢/ ٤١٦.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٥٢٧، أحمد بن حنبل، مسند: ٣/ ٢٨٥، الترمذيّ، سنن: ٥/ ٣١، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك: ٣/ ١٥٨.

(٤) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٢٢/ ٣٩٧، ابن عبد البرِّ، الاستيعاب: ٤/ ١٨٩٩، أبو الفرج الأصفهانيّ، الأغاني: ١٦/ ٣٥٩، مقاتل الطالبيين: ٢٩، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٣/ ١٥٨، ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/ ٥٢٠، المزِّي، تهذيب الكمال: ٣٥/ ٢٤٧، ابن حجر، الإصابة: ٨/ ٢٦٢، الذهبيّ، تاريخ الإسلام: ٣/ ٤٣.

الأولى لتصادم قريش مع النبيّ صلى الله عليه وآله حاضرة تلتقف بيديها الصغيرتين ما يُلقى على ظهر أبيها وهو ساجد يصلِّي، من تراب أو فضلات جزور ذبحه أحد طواغيت مكَّة لأحد أحجارها، في الوقت الذي أحجمت عن ذلك خوفًا ورهبةً أكفُّ الرجال من الصحابة الأوائل! فقد روى الصحابيّ عبد الله بن مسعود: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يصلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم يجيء بسلا جزور بني فلان يضعه على ظهر محمَّد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به فنظر حتَّى إذا سجد النبيّ وضعه على ظهره، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، ولو كانت لي مَنَعة لطرحته، فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ساجد لا يرفع رأسه حتَّى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره[1].

وقد علَّق ابن حجر على موقف عبد الله بن مسعود بالقول: وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّه لم يكن له بمكَّة عشيرة، لكونه هذليًّا حليفًا، وكان حلفاؤه إذ ذاك كفَّارًا، ولذا قال: «.. وأنا أرهب، أي أخاف منهم»، وعلَّق على موقف السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بقوله: فيه قوَّة نفس فاطمة من صغرها لشرفها في قومها ونفسها[2]. ومرَّة أخرى يعترَّض أحد كفَّار قريش طريقه، فينثر على رأسه التراب، فيدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فيجد أمّ أبيها لتطيب نفسه وتحثُّه على المقاومة والصبر؛ فقامت إليه وجعلت تغسل عنه التراب، وهي تبكي، فقال لها: **لا تبكي يا بنيَّة، فإنَّ الله مانع أباك، ما نالت منِّي قريش شيئًا أكرهه حتَّى مات أبو طالب**[3].

وإن كانت وهي في مكَّة، تميط عن أبيها ما يرمى عليه، وتصبره وترفع من معنويَّاته،

(١) أحمد بن حنبل، مسند: ١/ ٣٩٣، البخاريّ، صحيح: ١/ ٦٥، مسلم، صحيح: ٥/ ١٧٩-١٨٠، ابن خزيمة، صحيح: ١/ ٣٨٤، ابن حبَّان، صحيح: ١٤/ ٥٣٠، الذهبيّ، تاريخ الإسلام: ١/ ٢١٦-٢١٧، وينظر، البلاذريّ، أنساب: ١/ ١٢٥.

(٢) فتح الباري: ١/ ٣٠٢- ٣٠٤

(٣) ابن هشام، السيرة النبويَّة: ١/ ٤١٦.

فهي في المدينة معه جنبًا إلى جنب في ساحات الوغى، تمسح الدماء عن وجهه الشريف، وتهوِّن عليه ما ينزل به، وكأنَّها تقول له: إنَّ خلفك فاطمة، وستمتصُّ ما بك من ألم، وتضمِّد ما بك من جراح، فقد روي أنَّه: لـمَّا كان يوم أُحد، وانصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعينونهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلمَّا رأت النبيّ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء، فيزداد الدم، فلمَّا رأت ذلك، أخذت شيئًا من حصير فأحرقته بالنار وكمَّدته به حتَّى لصق بالجرح فاستمسك[1].

أمَّا في بيتها، فقد كانت الزوجة والأم المثال، فهي على عظمتها وعلوِّ منزلتها كانت تباشر أعمال البيت بيدها، وكأنَّها تقول لذلك العصر المتجبِّر عبر مبدأ الطبقيَّة والسيِّد والمسود، والخادم والمخدوم، أنَّ هذا المبدأ يصادر كرامة الإنسان، ولا يجب الاعتماد عليه، وإن كان ولا بدَّ، فبروح الإنسانيَّة المتماثلة المتناظرة، لا بروحيَّة الأعلى والأدنى، فكانت كما روي عن الإمام عليّ عليه السلام: «**تدقُّ الدرمك[2] بين حَجَرَين حتَّى مجلت يداها[3]، وأنَّها عليها السلام جرت بالرحى حتَّى أثَّرت بيدها، واستقت بالقِربة حتَّى أثَّرت القِربة بنحرها، وقمَّت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتَّى دنَّست ثيابها، وأصابها من ذلك ضر**»[4]، وبسبب كثرة أعمالها ومهامها ذهبت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تسأله أن يمنحها

(١) الواقديّ، المغازي: ١/ ٢٤٩، ٢٥٠، البخاريّ، صحيح: ٥/ ٣٨، البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٣٢٤، النسائيّ، السنن الكبرى: ٥/ ٣٩١، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ٦/ ١٥٣، المقريزيّ، إمتاع الأسماع: ١/ ١٥٣، ابن حجر، فتح الباري: ٧/ ٢٨٦، الحلبيّ، السيرة الحلبيَّة: ٢/ ٢٤٩، ٥١٩.

(٢) هو الدقيق النقي. الفراهيديّ، كتاب العين: ٥/ ٤٢٩، الجوهريّ، الصحاح: ٤/ ١٥٨٣، ابن منظور، لسان العرب: ١٠/ ٤٨١.

(٣) البلاذريّ، أنساب: ٢/ ٣٨٥، ابن حجر، فتح الباري: ١١/ ١٠٦، المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١٥/ ٤٩٨-٤٩٩.

(٤) أبو نعيم الأصبهانيّ، حلية الأولياء: ٢/ ٤١، وباختلاف بسيط في اللفظ عند أبي داوود، سنن: ٢/ ٤٨٩-٤٩٠، الصدوق، علل الشرائع: ٢/ ٣٦٦، من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٢٠، المتَّقي الهنديّ، كنز العمَّال: ١٥/ ٥٠٨.

من يساعدها في أعمالها، فأجابها: **أوَ لا أدلُّك على خير من ذلك! إذا آويت إلى فراشك تسبِّحين الله تعالى ثلاثًا وثلاثين، وتحمدينه ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرينه أربعًا وثلاثين»**[1]، وكأنَّه يقول لها: إنَّك فاطمة الصبر، فاطمة الجَلَد، فاطمة المواساة، فاطمة التي يجب أن تدَّخر كلَّ راحة في الدنيا؛ لتكون سيِّدة النساء في الآخرة! ما أجلّه من عطاء منك يا رسول الله؛ إذ أردت لها أن تخلد بتسبيحاتها خلود العصور والأزمان!.

وفي مجال التصدِّي للقضيَّة، وانتزاع الحقِّ المسلوب، كان للزَّهراء عليها السلام صولات وجولات أحرجت السلطة القرشيَّة، وأفقدتها توازنها، وأرعبتها أيَّما رعب؛ فلمَّا تقمَّص أبو بكر الخلافة: لاثت خمارها على رأسها، وأقبلت في لـمَّة من حفدتها تطأ ذيولها.. حتَّى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة.. فقالت: **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمِّي دون رجالكم، فبلغ النذارة صادعًا بالرسالة، مائلًا على مدرجة المشركين.. يهشم الأصنام وينكث الهام، حتَّى هُزِم الجمع وولوا الدبر.. وكنتم على شفا حفرة من النار.. أذلَّة خاشعين تخافون أن يتخطَّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله برسوله بعد اللتيَّا والتي، وبعد ما منى ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلَّما حشوا نارًا للحرب أطفاها، ونجمَ قرنٌ للضلال، وفغرت فاغرة من المشركين، قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفئ حتَّى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدِّه.. حتَّى إذا اختار الله لنبيِّه دار أنبيائه ظهرت خلة النفاق..، تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون. ويها معشر المهاجرين، أأبتز إرث أبي؟! أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئا فريًا.. تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم. وزعمتم أن**

(١) ابن سعد، الطبقات: ١٠/ ٢٥-٢٦، البخاريّ، صحيح: ٦/ ١٩٢-١٩٣، أبو داوود، سنن: ٢/ ٤٨٩، أبو يعلى الموصلِّيّ، مسند: ١/ ٤١٩، أبو نعيم الأصبهانيّ، حلية الأولياء: ٢/ ٤١، البيهقيّ، السنن الكبرى: ٧/ ٢٩٤، ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٢٦٧-٢٦٨.

لا حقَّ ولا إرث لي من أبي ولا رحم، أفخصَّكم الله بآية أخرج نبيَّه منها؟! أم تقولون أهل ملَّتَين لا يتوارثون؟! أو لست أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟! أم لعلَّكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبيّ؟! أفحكم الجاهلية تبغون؟.. أأُغلب على إرثي جورًا وظلما[1]!.

وقالت مخاطبة فئة الأنصار: «**معشر البقيَّة، وأعضاد الملَّة، وحصون الإسلام، ما هذه الغميزة في حقِّي، والسِّنَةُ عن ظلامتي! أمَّا قال رسول الله: المرء يُحفَظ في ولده!.. تقولون مات رسول الله! فخطبٌ جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وبعُد وقته، واظلَّمت الأرض لغيبته، واكتأبت خيرة الله لمصيبته.. أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الحيرة، وفيكم العدد والعدَّة، ولكم الدار.. وأنتم الأُلى، نخبة الله التي انتخب لدينه، وأنصار رسوله، وأهل الإسلام، والخيرة التي اختار لنا أهل البيت.. فأنَّى حرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا إيمانهم، أتخشونهم؟! فالله أحقُّ إن تخشوه إن كنتم مؤمنين.. وقد قلت الذي قُلته على معرفة منِّي بالخذلان الذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثَّة الصدر، ومعذرة الحجَّة.. فبعين الله تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون، وأنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدي عذابٍ شديد، فاعملوا إنَّا عاملون، وانتظروا إنَّا منتظرون**»[2]، وغدت دارها مركزًا لتجمُّع المعارضين ممَّا يفصح عن مركزيَّتها في توجيه الرأي الإسلاميّ المعارض للانقلاب[3].

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٢-١٧، ابن الأثير، منال الطالب: ٥٠١-٥٠٦، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١١-٢١٢.

(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٧-١٨، ابن الأثير، منال الطالب: ٥٠٥-٥٠٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١٢-٢١٣.

(٣) ينظر: عبد الرزاق الصنعانيّ، المصنف: ٥/ ٤٢٢، ابن هشام، السيرة النبويَّة: ٢/ ٦٥٦، ٦٥٨، أحمد بن حنبل، مسند: ١/ ٥٥، الطبريّ، تاريخ: ٣/ ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ابن حبان، الثقات: ٢/ ١٥٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٨/ ٤، ٣٠، ٤٠/ ٢٤٨، ابن الأثير، الكامل:=

وحقيقة الحال، كان موقف السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حول الانقلاب الإسلاميّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، يُفصح عن التصدِّي الحازم والمبدأيّ الشجاع والرافض لعمليَّة مسخ الإسلام والمغايرة التامَّة في مبدأه حول الحكومة والسلطة[1]، فبعيدًا عن مهمَّة الخلافة وأحقيَّتها، وقضيَّة أرض فدك وعائديَّتها، نجد أن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام قد وظَّفت هاتين المسألتَين لمحاكمة سلطة الخلافة وفق المنهج القرآنيّ؛ لبيان مستوى انحرافها عن الإسلام! وعملها على تبديد المشروع الإسلاميّ وتحطيمه، بمعنى أنَّها خاضت تلك المواجهة الشرسة خوفًا وحرصًا وحفاظًا على الإسلام، لا على القيمة الماديَّة للخلافة أو لأرض فدك، ولذلك نجدها تعارض تجاهل النصوص القرآنيَّة المتعدِّدة التي تتحدَّث عن الميراث والوراثة، وتبيِّن للمسلمين كيف تمَّ إقصاءها وإبطال حاكميَّتها بناءً على حديث تفرُّد الخليفة بذِكره، فالمشهور أنَّه لم يروَ حديث انتفاء الإرث إلَّا الخليفة أبو بكر[2]، عبر ما ادَّعاه من أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقة[3]، فصادر أرض فدك التي اعطاها النبي صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام في حياته[4] بنفس الحجَّة، والغريب في

=٢/ ٣٢٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٣، ٤٥، ٥٠، الذهبيّ، تاريخ الإسلام: ٣/ ٦، ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٦، السيرة النبويَّة، ٤/ ٤٨٨، ابن حجر، فتح الباري: ١٢/ ١٣٣.

(١) ينظر، عبد الرزاق الصنعانيّ، المصنف: ٥/ ٤٢٢، ابن هشام، السيرة النبويَّة: ٢/ ٦٥٦-٦٥٨، أحمد بن حنبل، مسند: ١/ ٥٥، ابن أبي عاصم، المذكر والتذكير: ٩١، الطبريّ، تاريخ: ٣/ ٢٠٢-٢٠٥، ابن حبَّان، الثقات، ٢/ ١٥٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٨/ ٤، ٣٠، ٤٠/ ٢٤٨، ابن الاثير، الكامل: ٢/ ٣٢٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٣، ٤٥، ٥٠.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٢١.

(٣) عبد الرزاق الصنعانيّ، المصنف، ٥/ ٤٧٢، ابن سعد، الطبقات: ٢/ ٣٥١، أحمد بن حنبل، مسند: ١/ ٤، ابن شبة النميريّ، تاريخ المدينة: ١/ ١٩٦-٢٠٠، البخاريّ، صحيح: ٤/ ٤٢، مسلم، صحيح: ٥/ ١٥٥، أبو يعلى الموصلِّيّ، مسند: ١/ ١٢-١٣، الطبرانيّ، المعجم الأوسط: ٤/ ١٠٤-١٠٥، النسائيّ، السنن الكبرى: ٣/ ٤٦، أبو داوود، سنن: ٢/ ٢٣، ابن حبَّان، صحيح: ١٤/ ٥٧٣.

(٤) (٨٨) أبو يعلى الموصلِّيّ، مسند: ٢/ ٣٣٤، الحاكم الحسكانّي، شواهد التنزيل: ١/ ٤٣٨-=

الأمر أنَّ مؤسَّسة الخلافة بعد أن حقِّقت غايتها من الحديث في حجب نصوص الإرث القرآنيَّة، عمدت إلى إقصاء الحديث، ومنع نشره وإبطال مفعوله وحجيَّته، بدعوى أنَّه يختلط مع القرآن![1]. ومن المفارقات الغريبة هنا أنَّ الخليفة أبو بكر رفض شهادة الإمام عليّ عليه السلام والسيِّدة أمّ أيمن لفاطمة للزَّهراء عليها السلام بأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أعطاها فدكًا في حياته، بحجَّة واهية، هي عدم اكتمال نصاب الشهود، في حين أمضى حكمه بعدم توريثها بناءً على الحديث الذي تفرَّد هو بذِكره!.

والمهم في الأمر أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام دعته للحاكميَّة القرآنيَّة، لتكون بذلك شاهدًا على ما سلف من أنَّها كانت تمثِّل امتدادًا للمشروع والمنهج القرآنيّ والرساليّ، فقالت: **أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! أما قال رسول الله المرء يحفظ ولده؟!**[2]. وقالت على نحو الاحتجاج الدامغ: **من يرثك إذا متَّ؟**. قال: ولدي وأهلي. فقالت: **فما لك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا يا أبا بكر؟!**. أترثك بناتك ولا ترث رسول الله بناته؟! قال: هو ذاك![3]. وهكذا قدمت السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في هذا الموقف، محاكمة منهجيَّة علميَّة يجدر الالتفات لها للتفريق بين إسلام القرآن أو الرسالة والاسلام التاريخي أو إسلام الحديث.

كما قدَّمت صورة لمركزيَّة المرأة وثوريَّتها المجاهدة، ودورها الموكل لها بالحفاظ على الشريعة كما النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، بمعنى أنَّها وقفت تلك الوقفة الخالدة والشجاعة أمام هجمة شرسة كانت تتغيَّا اغتصاب الإسلام وتحويله من إسلامٍ نصيٍّ قرآنيّ، إلى إسلام تفرضه السلطة والقوَّة والغلبة والتزوير والاختلاق (الإسلام التاريخيّ- الخلافيّ)، ممَّا

=٤٣٩، ٥٧٠، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٩، السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ٤/ ١٧٧، لباب النقول: ١٢٣، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٧/ ٤٩، الشوكانيّ، فتح القدير: ٣/ ٢٢٤.

(١) الجصَّاص، أحكام القرآن: ١/ ١٦١، الذهبيّ، تذكرة الحفَّاظ: ١/ ٣.

(٢) اليعقوبيّ، تاريخ: ٢/ ١٢٧.

(٣) ابن شبهة النميريّ، تاريخ المدينة: ١/ ١٩٨-١٩٩.

دفع السلطة لاغتيال صوتها وإخماد رفضها ومعارضتها الحقَّة والسلميَّة، وقد ورد في هذا اللحاظ أنَّ الإمام عليّ عليه السلام والزبير كانا يدخلان على فاطمة، فيشاورانها ويرتجعان في أمرهم، فلمَّا بلغ ذلك عمر بن الخطَّاب خرج حتَّى دخل على فاطمة، فقال: والله ما من أحدٌ أحبُّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبُّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن أمرتهم أن يُحرق عليهم البيت[1].

وذُكر أنَّ أبا بكر أصدر أوامره لعمر بن الخطَّاب بأن يخرجهم من البيت بالقوَّة، ويقاتلهم إن هم رفضوا البيعة، وإن اضطرَّته الأمور يحرق الدار عليهم، فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: **يا بن الخطَّاب، أجئت تحرق دارنا؟** قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمَّة[2]. وفي نصٍّ آخر: «فدعا بالحطب وقال والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له:يا أبا حفص أنَّ فيها فاطمة، فقال: وإن»[3]. وقد ندم الخليفة أبو بكر في نهاية حياته على لجوئه لسياسة العنف والإرهاب تجاه البيت النبويّ، فيُذكر عنه أنه قال: «وددت أنِّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أُغلِق على حرب»[4].

ويجدر الانتباه هنا إلى الظرف التاريخيّ الذي جعل السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في قلب المواجهة مع السلطة الذكوريَّة- البدويَّة، فبعد الإنقلاب والتحوُّل الذي طرأ على الجسد الإسلاميّ بمجرَّد موت النبيّ صلى الله عليه وآله، أسقط ما في يدي الإمام عليّ عليه السلام، فهو تاريخيًّا لم يكن يمتلك أدوات المواجهة، كما فقد بفعل التغاير وعدم ترسخ قضية الإسلام في الفاهمة

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٨/ ٥٢٧، المتَّقي الهنديّ، كنز العمال: ٥/ ٦٥١.
(٢) ابن عبد ربَّه الأندلسيّ، العقد الفريد: ٥/ ١٣.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/ ٣٠.
(٤) اليعقوبيّ، تاريخ: ٢/ ١٣٧، الطبريّ، تاريخ: ٣/ ٤٣٠، ابن عبد ربَّه، العقد الفريد: ٥/ ٢١، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١/ ٦٢، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٣٠/ ٤١٨-٤٢٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢/ ٤٧-٤٨، الذهبيّ، ميزان الاعتدال: ٣/ ١٠٩، تاريخ الإسلام: ٣/ ١١٨، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٥/ ٢٠٢-٢٠٣.

الجماهيريَّة البدويَّة أسباب المواجهة ومبرِّراتها، إذ صار منظورًا إليه على أنَّه لا يختلف عن غيره من الصحابة.. وقد عبَّر عن هذه المفارقة المؤلمة في أكثر من موضع في نهج بلاغته، ومنها قوله في خطبته الشقشقيَّة: «**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَة عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ. وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الحَلْقِ شَجًا، أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا**»[1]، ومنها أيضًا قوله عليه السلام: «**فَيَا لله وِلِلشُّورَى، مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِه النَّظَائِرِ**»[2]، وكذلك في قوله عليه السلام: «**فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، ولَمْ تَكُنْ لَه كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُه ولَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُه**»[3].

وبسبب هذا الظرف كانت المواجهة من مسؤوليَّة قطب المركزيَّة الثاني، وهو السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعدِّها الوريث الشرعيّ للنبيّ صلى الله عليه وآله، والامتداد الطبيعيّ الحاضر له، بمعنى أنَّها في لحاظ هذه المواجهة كانت تمثِّل صرخة لاستنقاذ واستنهاض وعي الأمَّة الإسلاميَّة حول التغاير الذي حاق بالإسلام والانقلاب والتلاعب الذي حدث في مسار الدين وحقيقته.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٥١.
(٢) الشريف الرضيّ، نهج البلاغة: ٤٩.
(٣) نهج البلاغة: ٣٦٩.

المحور الخامس

فاطمة الزَّهراء ومريم عليهما السلام في الفكر الاستشراقيّ

اهتمَّت العديد من الدراسات الاستشراقيَّة بعقد المقارنة بين الارتكاز النسويّ العالميّ المتمثل بمريم العذراء وفاطمة البتول عليهما السلام، والصورة المثالية للأخيرة في الفكر الدينيّ، وكان من أبرز من اهتمَّ بهذا الشأن المستشرق الفرنسيّ الشهير لويس ماسنيون (Louis Massignon)، الذي ناقش هذا الموضوع في العديد من كتاباته ومنها:

١. المباهلة بين النبي ونصارى نجران في سنة ١٠هـ في المدينة وتقديس فاطمة.

(Mubâhala de Médine et l'hyperdulie de Fâtima La Mubâhala. Étude sur la proposition d'ordalie faitema par le prophète Muhammad aux chrétiens Balhârith du Najrân en l'an 10 h/631 à Médine).

٢. مفهوم النذر وإخلاص المسلمين لفاطمة.

(La notion du vœu et la dévotion musulmane à Fâtim).

٣. العبادة الخفيَّة لفاطمة في الإسلام الشيعيّ.

(Der gnostische Kultus der Fâima im schiitischen Islam).

٤. التجربة الإسلاميَّة في التعاطف نحو العالميَّة عن فاطمة والحلَّاج.

(L'expérience musulmane de la compassion, ordonnée à l'universal. A propos de Fâtima, et de Hallâj).

٥. خطبة مريم في الأقصى، نظرة إلى خيمة عزاء فاطمة.

(L'Oratoire de Marie à I'Aqçâ, vu sous le voile de deuil de Fâtima).

٦. منطلق التأمُّل الشيعيّ من سلمان وفاطمة.

(Les origines de la méditation shi`ite sur Salmân et Fâtima).

فعدَّها في كتاباته تلك بمنزلة قدِّيسة تشابه غالبًا مرتبة العذراء مريم عليها السلام لدى بعض المسيحيِّين، وبيَّن أنَّها كانت المرأة التي تمتَّعت بالقرب من النبيّ، والامتيازات التي منحها لها أبوها، بل ذهب إلى أنَّها كانت تمثِّل بدايات الإسلام الكونيّ[١]، وقال في موضع آخر: «لـمَّا كانت فاطمة تعدُّ تجسيدًا ثانيًا لروح مريم، فإنَّ ابتهال فاطمة يناظر انتصار المرأة التي تمثِّل كنيسة الشهداء الذين غضبوا لإمهال العدالة الإلهيَّة في رؤيا يوحنَّا»[٢].

وتحدَّث عن بعض الآراء الفلسفيَّة والتأويليَّة التي تشير إلى العلاقة التماثليَّة بين مريم العذراء عليها السلام، والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام[٣]، وقال مستعرضًا حادثة المباهلة مع نصارى نجران: «لهذه المحاكمة، التي فيها إظهاره الوحيد لإخلاصه المطلق جمع النبيّ (أهله/ الخمسة) الذين دثَّرهم بدثاره، وهم عداه: حفيداه، وابنته وزوجها، رهائن على إيمانه برسالته النبويَّة، ومنذ ذلك الحين استحال عند بعض صحابة النبيّ ما كانوا يحملون من مودَّة نحو الخمسة إلى حبِّ عبادة، فقد قدَّسوا آل عليّ؛ لأنَّ قرابتهم الدمويَّة المتفاوتة في قربها من النبيّ قد تحولَّت بنوع من الشعيرة العلنيَّة (المباهلة)، نقلت كلَّ أملهم في العدل بعد موت النبيّ»[٤].

(1) L. Veccia Vaglieri. The Encyclopaedia of Islam (New Edition). V. II, p. 841.

(٢) لويس ماسينيون، الإنسان الكامل في الإسلام وأصالته النشوريَّة. ضمن (الإنسان الكامل في الإسلام، لعبد الرحمن بدويّ): ١٣٠.

(٣) الإنسان الكامل في الإسلام وأصالته النشوريَّة: ١٣٧-١٣٨ (الهامش).

(٤) عبد الرحمن بدويّ، شخصيَّات قلقة في الإسلام: ٤٤- ٤٥. وكان أفرد حادثة المباهلة ببحث خاص نشره في ميلان عام (١٩٤٤م)، أشار فيه لما يتعلَّق بالنظرة القدسيَّة للسيِّدة فاطمة.=

وأشار إلى أنَّ المستشرق الفرنسي اليسوعي الأب هنري لامنس (Henri Lammens)، الذي أسماه مداح الأمويِّين (Chantre des Umayyades)، قد تحامل كثيرًا على الصورة التاريخيَّة للسيِّدة فاطمة الزَّهراء، ونشر تلميحات معادية ضدَّها، وهي التي أذاعها الأمويُّون، فأظهرها على أنَّها شخصيَّة حزن وبكاء، تعاني عدم التقبُّل والمرض وفقر الدم، وأنَّ علاقتها مع زوجها عليّ كانت سيِّئة للغاية، وهو بذلك قد انساق أمام تفضيله للأمويِّين، فردَّد الزيف التاريخيّ الذي صنعوه بسبب الخصومة بينهم وبين العلويِّين، والحقيقة مخالفة لذلك تمامًا، فقد ظلَّت فاطمة هي الزوجة الوحيدة لعليّ طيلة حياتها، مثلما كانت أمُّها خديجة الزوجة الوحيدة لأبيها محمَّد طيلة حياتها، بينما كان المشهر بين الآخرين المعاصرين لهم مسألة تعدُّد الأزواج، وهذا يدلُّ على مدى الانسجام والحبِّ المتبادل والألفة القويَّة بينهما، لقد كانت حياتهما خاصَّة واستثنائيَّة[1].

وأشار إلى أنَّ لامنس (Lammens) هذا المسيحيّ المتديِّن الذي عاش لفترة طويلة في سوريا بحماقته الوحشيَّة يوبِّخ امرأة مثل فاطمة؛ لتواضعها الجسديّ، ويرفض هو كلَّ الحياة الداخليَّة لهذا الدعاء الأبديّ، وهذا يُثبت أنَّه لقد فَقَد هذا الحدس الذي وجد فيه الأوائل والمسلمون ما يجعلهم مميَّزين في ظلِّ الحرمان والفقر والمرض (الكائنات المضطهدة)، كامتحان إلهيّ (زيارة إلهيَّة)، ليكونوا شفعاء للآخرين. كان محمَّد بدون أي أمل شخصيّ، وبدون ذريَّة ذكور، يُنعت بالأبتر، تبنَّى زيد واضطر لإسقاط تبنِّيه، وحكم عليه بالزواج العقيم، ومحروم من ولده الصَّغير إبراهيم، التفت محمَّد إلى ابنته فاطمة الوحيدة المثمرة التي زوجها من ابن عمَّه الأوَّل عليّ نجل اليتيم محمَّد، فكان أولادها الذين ولدوا منها والأجيال القادمة التي لا تعدُّ ولا تحصى بمثابة أولاده، ممَّا

=بدوي، شخصيات قلقة، ١٥٩ – ١٨٢.

(1) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, P. 243-258, 273. Christian Jambet.

سوف يكسبه إخلاصه لإبراهيم[1].

وأضاف ماسنيون أنَّ ممَّا يدلُّ على علوِّ مكانتها في حياة أبيها النبيّ أنَّها كانت تكنَّى بأمِّ أبيها، وهو علامة على الرباطة الروحيَّة الموجودة بين النبيّ وفاطمة، وأنَّها ستكون أمًّا لسليله النهائيّ المهدي الذي سيُدعى محمَّدًا أيضًا، فهذه الكنية تتجاوز لحظتها وعصرها، ويجب إدراكها على نحوٍ مختلف، ولذلك كان حدادها الأبويّ مستمرًّا بدموعها المقدَّسة في بيت الأحزان، فهي ستعيش في ذاكرة المسلمين بدموعها المروِّعة على أمل ظهور المهدي الموعود المصلح والمجدِّد لشريعة أبيها، الذي سيملأ العالم بالعدل كما كان مُليءَ بالظلم، وإنهاء التجاوز على حقِّ زوجها عليّ الوصيّ بالخلافة السياسيَّة[2].

مضافًا لذلك، كانت فاطمة قد حرمت من طفلها المحسن الذي قُتِل في حادثة هجوم القوم على دارها، مثلما حرمت مريم من ولدها عيسى مساء الصلب، فكانت تحتضر على الدوام مفهوم الحداد على الأبناء، ولاسيما بعد الكارثة أو المصيبة التي شعرت بها قبل كلِّ شيء بوفاة والدها، فكانت تذهب إلى القبور وتُردِّد سورة الفاتحة، فروح فاطمة المتعبة ومن أعماق معاناتها الانفراديَّة ولِد رجاء روحيّ طويل ونطاق بطيء، مواساة بذلك الرجاء المسيحانيّ، والانفتاح على الإسلام من منظوره الكونيّ[3]. ولعلَّ ذلك يتبدئ في كتيبات التقوى الشيعيَّة في المناسبات السنويَّة، وأماكن أحداث حياة فاطمة، فتتشكَّل بعض الصلوات ببطء على مرِّ العصور، كما عند الخواجة نصير الدين الطوسيّ (ت ١٢٧٣) في دعاء التوسل بالاثني عشر إمامًا[4]، تحت اسم (ذات الأحزان أو سيِّدة الأحزان): «**اللهمَّ صلِّ وسلِّم وزد وبارك على السيِّدة المجيدة، الجميلة، الكريمة، النبيلة، البائسة، المريضة، الطاهرة، المظلومة، سيِّدة الأحزان الكثيرة في السنوات القليلة،**

(1) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, p. 273. Christian Jambet.

(2) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, p. 259-260, 272. Christian Jambet.

(3) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, p. 272. Christian Jambet.

(٤) ينظر: نصُّ الدعاء عند المجلسيّ، زاد المعاد: ٣٩٩-٤٠٠.

المدفونة سرًّا، والمسلوبة في العلن، وغير المعترَف بها من حيث رتبتها، وغير المعروف عن دفنها، سيِّدة النساء، وملكة العظماء، الطاهرة المطهَّرة، والدة الأئمَّة الفاضلين، ابنة خير الأنبياء، فاطمة التقيَّة عليها الصلاة والسلام». قراءة هذه الصلاة تدلُّ في الإسلام، مثلها في ذلك مثل صلاة (ستابات) في المسيحيَّة، الإيمان بشفاعة الصلاة الرحيمة، في قوَّة تواضع المرأة المؤلم (وأين كانت أكثر إذلالًا منها في الإسلام) برحمة الله، لكنَّها لم تعد شفاعة خاملة لا واعية مثل شفاعة (بودون)، وإنَّما من التقديس الذي اقترحه الله على (سيِّدة الآلام)، ووافقت عليه، وأمَّا مريم فوفقًا للقرآن، أنَّ الرجال فقط هم من يكونون أنبياء، ولكن تولد كلمة الله في النفوس (الأنثويَّة)، فستُبعَث فاطمة بين الرجال أكثر من بين الأنبياء والقدِّيسين، واسمها الذكوريّ فاطم يشير إلى دورها الأخرويّ، كونها أمُّ المهدي الموعود[1].

ونصَّ ماسنيون على أنَّ الدموع الدائمة التي يسخر منها المستشرقون المختلفون، هي دموع مقدَّسة، تحاكي دموع حوَّاء المنفيَّة، وأرملة هابيل المقتول، ودموع هاجر على إسماعيل الذي استبعده والده من الأراضي المقدَّسة، ملامح مميَّزة لدموع فاطمة المحرومة من فدك، ومحسن آخر مواليدها، الدموع الهائجة التي تبكي عمَّها حمزة مع والدها، كانا يفكِّران بالفعل في المصير المأساويّ الذي سيصيب الحسين (ذبيح الله/ الذبح العظيم) في القرآن، الضحيَّة الكبرى التي سيحلها الله أكثر من كبش لابن إبراهيم المقدَّم، استبدلت بهذا عن مريم نفسها، والدة يسوع؛ لأنَّ الإسلام يحجم عن الاعتقاد بأنَّ المسيح المنتظر كان من الممكن أن يموت على الصليب، إذا لم يكن بوسع مريم أن تبكي بلا أمل على ابنٍ مات من أجله دائمًا، فاطمة كان عليها أن تبكي محسن، ميتًا دون أن تعلم، وكان عليها أن تقدِّم شهيدا (استشهاد الحسين) في كربلاء، ستكون فاطمة في هذه النظرية الأخيرة، هي الإدراك الذي حدَّدته مريم مسبقًا، لتعطي درسًا لعلماء اللاهوت

(1) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, p. 277-278. Christian Jambet.

المسيحيِّين الذين يتعاملون مع دموع مريم الحاليَّة على أنَّها غير واقعيَّة[1].

وكتبَ غير ماسنيون من المستشرقين العديد من الكتابات عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام وصورتها المثاليَّة في الوعي الإسلاميّ، فدرست لورا بنارد (Laure Bénard) صورتها في تفسير الطبريّ (جامع البيان) تحت عنوان: مريم، خديجة، فاطمة، قدوة روحيَّة للنساء في كلام الطبريّ Maryam, Khadija and Fatima as Spiritual Female Models in al-Tabari's Presentation، وكتب تولد لوسن (Tood Lawson) دراسة بعنوان: الاقتدار الأنثويّ ومنزلة فاطمة في الآثار الأولى The Authority of the Feminine and Fatima's place in an Early Work، وكتب بربل باينهاور (Bärbel Beinhauer-Köhler) دراسة بعنوان: فاطمة بنت محمَّد، تغيُّر شخصيَّة المرأة في الإسلام المبكر Fātima bint Muhammad, Metamorphosen einer frühislamischen Frauengestalt، إلى غير ذلك من الدراسات التي أُلفت حول السيِّدة الزَّهراء عليها السلام[2].

وقد أفاض الباحث الأميركي المعاصر روث روي (Ruth Rowe) في البحث في مسألة قدسيَّة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وأوجه الشبه بينها وبين مريم العذراء عليها السلام في رسالته التي قدَّمها لكليَّة الدراسات العليا، قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة أريزونا الأميركية عام ٢٠٠٨م، تحت عنوان (Lady of the Woman of the Worlds exploring Shi'I piety and identity through a consideration of Fatima Al-Zahra') سيِّدة نساء العالمين: استكشاف تقوى الشيعة وهويَّتهم من خلال دراسة فاطمة، وكان ممَّا قاله هناك أنَّه: يرى أنَّ فاطمة هي بالنسبة للمسلمين

(1) LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES, p. 278-279. Christian Jambet.

(٢) ينظر: رضا ياري نيا ومصطفى المطهَّريّ، فهرسة كتابات الغربيِّين حول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بحث منشور في مجلَّة دراسات استشراقيَّة، العدد ١٣ لسنة ٢٠١٨، ٤٧-٤٩.

بمثابة حامل للقدسيَّة الإلهيَّة على الأرض؛ ولذا ضمنت لها هذه المكانة دور القدِّيسة الإسلاميَّة التي توصل قدسيَّة الربِّ إلى أولئك الذين ينقصهم القرب العائليّ من الرسول، أو القرب الروحي للربِّ[1].

وأشار لآراء عدد من الباحثين بهذا الخصوص، فقال: لاحظت مارجريت سمث (Margaret Smith) في كتابها حول المرأة الصوفيَّة المشهورة رابعة العدويَّة، بأنَّه قبل أن تبرز الصوفيَّة كطريقة في الممارسة الإسلاميَّة، كانت نساء مثل فاطمة وآمنة أمُّ الرسول تصنَّفان كقدِّيسَتَين. وقال: إنَّ الباحثة المهتمَّة بالدراسات الإسلامية جوان ولاش سكوت (Joan Wallach Scott) ترى أنَّ فاطمة كشخصيَّة تاريخيَّة نسويَّة لم يتم نسيانها أبدًا، بل يتم إعادة تخيُّلها مرَّات لا تُحصى في ذاكرة النساء والرجال على حدٍّ سواء، وأنَّ الباحثة باربارا ستواسر (Barbara Stowasser) تفسِّر الصفة القدسيَّة التي تُقدِّم بها فاطمة كواحدة من أفضل نساء العالم في الجنَّة، كمريم العذراء، وآسيا زوجة فرعون: بأنَّها محاولة لتوحيد هؤلاء النساء المقدَّسات بالأنوثة المثاليَّة النقيَّة الخاصَّة بالأمِّ العذراء[2].

ونصَّ المستشرق الفرنسي المعاصر يان ريشارد (Yanne Richard) على أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي الشخصيَّة الرئيسة في النواة المؤسِّسة للأسرة المقدَّسة التي تتألَّف من خمسة أشخاص، هم: فاطمة، ومحمَّد أبوها، وعليّ زوجها، وابناها الحسن والحسين، أي الأسرة المقدَّسة للإسلام، الذين جمعهم النبيّ يوم مباهلته لمسيحيِّي نجران، وكان ذلك تأكيدًا على الدين الإسلاميّ كديانة تكوَّنت تجاه أو مقابل الديانة الإبراهيميَّة[3].

ولا شكَّ أنَّ حادثة المباهلة وحدها بما شكَّلته من محوريَّة وارتكاز في المسار التاريخيّ الإسلاميّ كافية لبيان مقدار الأهميَّة والمركزيَّة التي كانت تمثِّلها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في

(1) Lady of the Woman of the Worlds, p. 9-10.

(2) Lady of the Woman of the Worlds, p. 10, 38.

(٣) الإسلام الشيعيّ: ٤٧-٤٨.

المنحى العقائديّ للإسلام؛ فقد كان هؤلاء الخمسة هم قوام أو قطبيَّة الرسالة الإسلاميَّة ككل، ومحورها ومرتكزها الأساس، قبالة النصارى، وبالنتيجة فيُفتَرض أن تكون قيمتهم ومكانتهم في نفوس المسلمين، هي ذاتها قيمة ومكانة النبيّ صلى الله عليه وآله والإسلام بحدِّ ذاته، وهذا ما تنبَّه له الباحث روث روي (Ruth Rowe) فقال: إنَّ فاطمة الزَّهراء، وإن لم تكن نبيًّا ولا إمامًا، إذ لا يمكن إدراجها في كِلَا الأَمرَين، إلَّا أنَّها مظهر من مظاهر الكاريزما المقدَّسة التي جسَّدها في البداية والدها، ونموذج يحتذي به المؤمنون، فالنبيّ ذَكَر أنَّ مَن أغضب ابنته أغضبه، وهكذا يتمُّ مَوضَعَة فاطمة بنوعٍ من الإسقاط، كوالدها، بمعنى أنَّها وجه من وجوه كيانه، وينصح المؤمنين بأن يعاملونها كما يعاملونه، ومثلما يذكر والدها كدليل للمسلمين، فكذلك فاطمة مرتبطة لإظهار دور وظيفيّ مماثل في جميع أنحاء التاريخ. إنَّ هذا الموقع لفاطمة في قلب الرسول، يعني القرب الفعليّ العائليّ له بالدم، والقرب القائم على تعظيمه لها، ممَّا شرَّف وكرَّم شخصيتها، وهذا القرب الروحيّ الفعلي من النبيّ محمَّد، أقدس شخص في الإسلام، أسهم في ظهور فاطمة كشخصيَّة دينيَّة محوريَّة[1].

وأشارت المستشرقة ماري ثورلكيل (Mary F. Thurlkill) إلى أنَّ النِّداء الإلهيّ الذي وجِّه لمريم العذراء بحسب (إنجيل لوقا: ١/ ٢٨-٣٠): «فدخل إليها فقال: افرحي، أيَّتها الممتلئة نعمةً، الربُّ معك.. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، فقد نلت حظوة عند الله»، والنداء القرآني: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، وفقًا للمسيحية والإسلام، سلَّم الملاك جبرائيل التصريحات المذكورة أعلاه لمريم، تخبرها أنَّها ستلد لابن على الرغم من أنَّها كانت عذراء، فأطاعت مريم مشيئة الله، وولدت إله المسيحيِّين ونبيَّ المسلمين العظيم عيسى/ المسيح. يروي التقليد الشيعيّ أنَّ جبرائيل كرَّر النطق القرآنيّ نفسه

(1) Lady of the Woman of the Worlds, p. 27, 41.

لامرأة أخرى مفضَّلة، هي فاطمة ابنة النبيّ محمَّد، والمعروفة أيضًا باسم الصدِّيقة الكبرى، أو مريم الكبرى. بالنسبة للشيعة، اختار الله كِلتا المرأَتين لغرضٍ سامٍ، أمهات ذريَّة ممجَّدة، لكنَّ فاطمة تتفوَّق على ماري في كلٍّ من النقاء والصالح الإلهيّ، وبذلك تحمل مريم وفاطمة لعلماء المسيحيَّة في العصور الوسطى والإسلام ودراسات النوع الاجتماعيّ، فرصة لدراسة الصور الأنثويَّة في التقاليد المقدَّسة. رفع المؤلِّفون المسيحيُّون مريم إلى مرتبة والدة المسيح، واعترف المؤلِّفون الشيعة بأنَّ نسل فاطمة معصوم من الخطأ في مجتمعهم[1].

وأكَّدت على أنَّ المثل الأنثويَّة التي صاغتها صورتَي مريم وفاطمة المعجزتَين قدَّمت أكثر من مجرَّد نماذج للامتثال الأنثويّ؛ هذه النماذج النسائيَّة خالفت أيضًا الأجندات الاجتماعيَّة والدينيَّة والسياسيَّة القديمة، ففاطمة تقود أنصارها إلى الجنَّة، وتسلِّم أعداءها إلى جهنم، وكذلك مريم، فهما تمثِّلان علامات رمزيَّة سياسيَّة لاهوتيَّة، وتُعيدان تعريف الهويَّة المجتمعيَّة لمجتمعاتهم[2].

وفي الوقت الذي أدانت النُّظم اللاهوتيَّة المسيحيَّة والإسلاميَّة جسد الأنثى في نجاسته ونقصه، فإنَّها مع ذلك تمجِّد مريم وفاطمة على أنَّهما الأواني المقدَّسة للذريَّة السامية، النساء القدِّيسات الحاويات للنقاء والحضور الإلهيّ، وطبقًا لعلم الكونيَّات الشيعيّ، فإنَّ رحم فاطمة كان يحمل النور (نور الإمامة) وطهارتها، فأنجبت الحسن والحسين إماما الله المختارَين، ومريم وفاطمة فَطَموا مجتمعاتهم بشكلٍ فعَّالٍ من نار الجحيم[3].

وألمحت المستشرقة ماري ثورلكيل إلى أنَّ فكرة قداسة مريم وفاطمة متأتِّية بالدرجة

(1) Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shìite Islam. p, 1.

(2) Chosen among Women Mary and Fatima. p. 2.

(3) Chosen among Women Mary and Fatima. p. 6, 42-43.

الأساس من مصدر وجودهما الأوّل، فمريم كانت تتغذّى على ثمار الجنّة، وتضع بعض الأحاديث الشيعيّة فاطمة في الجنّة قبل الوجود، وأنّها تكوّنت من نور الله قبل حملها على الأرض، هناك خزن الله جوهرها في فاكهة (تفّاحة أو تمر أو رمّان)، وأمر محمّد أن يأكلها خلال رحلته الليليّة الشهيرة والصعود إلى الجنّة في بداية الدعوة (الإسراء والمعراج)، فهناك أكل الثمرة التي أُنجبت منها فاطمة. إنّ حمل مريم الطاهر وولادة يسوع من العذراء، وولادة ابنة محمّد الفردوسيّة، التي كان يشمُّ منها عطر الجنّة كلّما اشتاق لذلك، وما تركّزه الروايات حول النقاء الجسديّ لفاطمة، واختلافها عن النساء الأخريات في الولادة، وكونها هي ومريم عذارى بشكلٍ دائم كالحور العين، وتنبثق منهما ريح المسك والعنبر، فهما يمثّلان الكمال الفردوسيّ الخالي من الشوائب والنقاء الإلهيّ على الأرض، كما تشير لذلك ألقابها (العذراء والبتول)، وهناك أحاديث أخرى صنّفت فاطمة على أنّها أعلى منزلة من المرأة، ليس فقط من بلدها وجيلها، ولكن أيضًا في كلّ العصور، وتتمُّ مقارنتها خاصّة مع مريم بنت عمران، وتُمنح تسمية الصدّيقة الكبرى، أو مريم الكبرى، ويؤكّد هذا التلميح بين النصوص حول ولادتها، فبينما كانت خديجة في المخاض، أربع نساء طويلات القامة بنيّات البشرة جئن إليها كأنّهنّ نساء من بني هاشم، فخافتهنّ عندما رأتهن، فقالت أحدهنّ: لا تخافي يا خديجة لأنّنا رسول ربّك إليك، ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسيا بنت مزاحم (زوجة فرعون الصالحة)، ومريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، أرسلنا الله لك، وجلست أحدهما عن يمين خديجة، والأخرى عن يسارها، والثالثة أمامها، والرابعة عند ظهرها، ومن ثمّ تمّت ولادة فاطمة الطاهرة من غير مظاهر النجاسة، وشرعت القابلات الرائعات مع عشرة من الحور، في الاستحمام ولفّ الرضيع بالماء والبياضات من الجنّة. ويشهد وجود القدّيسات الأربع إلى جانب خديجة على مكانة فاطمة المهمّة، وإتمام الإسلام لليهوديّة والنصرانية، سارة وآسيا وماري وكلثوم، جميعهم يخدمون خديجة عند ولادة فاطمة، وفاطمة بصفتها مريم

الكبرى، تروِّج لسموِّ الإسلام، مع توفير مثال أنثويّ للنقاء والفضيلة، وهي تمثِّل أيضا الأمّ السامية، فمثل نظرائهم المسيحيِّين، يؤكد علماء القداسة الإسلاميُّون على الخصوبة والخصوبة الروحية جنبًا إلى جنب مع طهارة فاطمة[1].

وعليه تلتقي كلُّ التصوُّرات والمفاهيم المطروحة لتقرِّر أنَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تمثِّل نقطة ارتكاز رئيسة في قصَّة الإسلام ومساره التاريخيّ على قِصَر عمرها الشريف، ويجدر الالتفات هنا إلى مركزيَّة ومحوريَّة الدور الموكَل لها في تلك البيئة التي، فضلًا عن أنَّها كانت بيئة بدويَّة جاهلية، كانت ذات طابع ذكوريّ طاغي لحدٍّ بعيد، وصل به الاستخفاف بحقِّ المرأة إلى منعها من العيش عن طريق عادة وأد البنات، ولكن، وبرغم كلِّ هذا، نجد النبيّ صلى الله عليه وآله يحاول قَلبَ تلك المعادلة عبر نموذج ابنته فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

على أنَّ المسألة لا تخضع هنا لرغبة النبيّ صلى الله عليه وآله الشخصيَّة، ولا لتعلُّقه العاطفيّ، ولا حتَّى لطبيعة الأبوَّة البيولوجيَّة، إنَّما هي حتميَّة مقرورة سلفًا وفق المنظور الإلهيّ لتكامل الأدوار في أداء وظيفة النبوَّة، إذ يُستعاد هنا التجسُّد النسويّ المشارك في تحقيق الفلسفة الإلهيَّة على الأرض، بعد ظهوره في شخصية مريم العذراء عليها السلام، ومنح السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ذات الدور لتحقِّق وظائف الديانة الخاتمة كاملة عبر محور الإمامة، إنَّما يعني التأكيد والتشديد على عملية التداؤب بين الحضور الذكوريّ والنسويّ لتحقيق تكامل المجتمع الإنسانيّ بشكلٍ عامٍّ.

(1) Chosen among Women Mary and Fatima. pp. 59-61.

قائمة المصادر

المصادر الأوَّليَّة

* القرآن الكريم.

١. الكتاب المقدَّس، العهد القديم والجديد (ط٣، دار المشرق الكاثوليكيَّة: بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ابن الأثير: عزّ الدين أبى الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة (المطبعة الوهبيَّة: مصر، القاهرة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م).

٣. الكامل في التاريخ (دار صادر: بيروت، لبنان، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

ابن الأثير: أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمَّد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

٤. منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق: محمَّد محمود الطناحيّ (ط١، مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ: مكَّة المكرَّمة، السعوديَّة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوُّب(ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م).

٥. التعديل والتجريح، دراسة وتحقيق: أحمد البزَّار (ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة: مراكش، المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

البخاريّ: أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٦. صحيح البخاريّ (طبعة دار الفكر: بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

البيهقيّ: أبو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٧. السنن الكبرى (دائرة المعارف النظاميَّة: حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

الترمذيّ: أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م).

٨. الجامع الصحيح، المعروف بسنن الترمذيّ، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف (ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الحاكم النيسابوريّ: أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

٩. المستدرك على الصحيحين (دار المعرفة: بيروت، لبنان، نسخة عن الطبعة الهنديَّة، د.ت).

ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

١٠. الإصابة في تميز الصحابة، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمَّد معوَّض (ط١، دار الكتب العلميَّة: بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

أبن حنبل: أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

١١. المسند (المطبعة الميمنيَّة: القاهرة، مصر، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م).

أبو داوود السجستانيّ: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

١٢. سنن أبي داوود، تحقيق وتعليق: سعيد محمَّد اللحَّام (ط١، دار الفكر: بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الذهبيّ: شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١٣. تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمريّ (ط١، دار الكتاب العربّي: بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١٤. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد (ط٩، مؤسَّسة الرسالة: بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

الشهرستانيّ: أبو الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

١٥. الملل والنحل. تحقيق: أمير عليّ مهنَّا وعلي حسن فاعور (ط٣، دار المعرفة: بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م).

١٦. المصنف في الأحاديث والأخبار، ضبط وتعليق: سعيد اللحَّام (ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الصدوق: محمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ٨٩٤م).

١٧. علل الشرائع (المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها: النجف، العراق ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).

الطبرانيّ: أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

١٨. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ (ط٢، دار إحياء التراث العربيّ: بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م).

الطوسيّ: أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

١٩. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسَّسة البعثة (ط١، مؤسَّسة البعثة: قم، إيران، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

ابن طيفور: أبو الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

٢٠. بلاغات النساء (ط١، مكتبة بصيرتي: قم، إيران، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م).

ابن عبد البرِّ: أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمَّد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ (ط١، دار الجيل: بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

عبد الرزاق الصنعانيّ: أبو بكر بن همام (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م).

٢٢. المصنّف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظميّ (ط١، المجلس العلميّ: بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

أبو الفرج الأصفهانيّ: عليّ بن الحسين بن محمَّد بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٢٣. الأغاني، تحقيق: عبد الرحيم محمود (ط٢، دار الكتب المصريَّة: القاهرة، مصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

٢٤. مقاتل الطالبيِّين (ط٢، مؤسَّسة دار الكتاب: قم، إيران، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

الكلينيّ: أبو جعفر محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ/ ٩٥٠م).

٢٥. الكافي، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ (ط٥، دار الكتب الإسلاميَّة: طهران، إيران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م).

ابن المغازليّ: أبو الحسن عليّ بن محمَّد الواسطيّ الشافعيّ (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م).

٢٦. مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ط١، دار مكتبة الحياة: بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

النسائيّ: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٢٧. السنن (ط١، دار الفكر: بيروت، لبنان ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).

٢٨. فضائل الصحابة (دار الكتب العلميَّة: بيروت، لبنان، د.ت).

الواقديّ: أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

٢٩. كتاب المغازي. تحقيق: المستشرق مارسدن جونس (ط٣، عالم الكتب: بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

اليعقوبيّ: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (كان حيًّا عام (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).

٣٠. تاريخ اليعقوبيّ (دار صادر: بيروت، لبنان، د.ت).

المراجع العربيَّة

بدوي: عبد الرحمن.

٣١. موسوعة المستشرقين (ط٣، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

البوطيّ: محمَّد سعيد رمضان

٣٢. المرأة بين طغيان النظام الغربيّ ولطائف التشريع الربَّانيّ (ط١، دار الفكر المعاصر: بيروت، لبنان د.ت).

الترابيّ: حسن عبد الله.

٣٣. المرأة بين الأصول والتقاليد (ط١، مركز دراسات المرأة: الخرطوم، السودان، ٢٠٠٠م).

الرويليّ: ميجان وسعد البازعي.

٣٤. دليل الناقد الأدبيّ (ط٣، المركز الثقافيّ العربيّ: الدار البيضاء، المغرب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

طلبة: هشام محمَّد.

٣٥. محمَّد في الترجوم والتلمود والتوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب وأصحاب الديانات: ظهور نصوص اختفت ألفي عام (ط١، د.م.ط، ٢٠٠٦م).

محمَّد عمارة.

٣٦. تحرير المرأة بين الغرب والإسلام (ط١، مكتبة البخاريّ: القاهرة، مصر، ٢٠٠٩م).

المراجع المعرَّبة

سارة جامبل.

٣٧. النسويَّة وما بعد النسويَّة. ترجمة: أحمد الشاميّ، مراجعة: هدى الصدة (ط١، المشروع القوميّ للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، مصر ٢٠٠٢م).

هيلين أيليربي.

٣٨. الجانب المظلم في التاريخ المسيحيّ، ترجمة وتقديم: سهيل زكَّار (ط١، دار قتيبة: دمشق، سوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

وحيد الدين خان.

٣٩. المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربيَّة، ترجمة: سيِّد رئيس أحمد الندويّ، مراجعة: ظفر الإسلام خان (ط١، دار الصحوة للنشر: القاهرة، مصر، ١٩٩٤م).

يان ريشار.

٤٠. الإسلام الشيعيّ: عقائد وإيديولوجيَّات، ترجمة: حافظ الجمَّاليّ (ط١، دار عطيَّة: بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

المصادر الأجنبيَّة

Christian Jambet

41. LOUIS MASSIGNON ÉCRITS MÉMORABLES. Éditions Robert Laffont, S.A., Paris, 2009.

L. Veccia Vaglieri.

42. The Encyclopaedia of Islam (New Edition). V. II.

Ruth Rowe.

43. Lady of the Woman of the Worlds exploring Shi'I piety

and identity through aconsideration of Fatima AL-Zahra', Arizona, 2008.

Thurlkill, Mary F.

44. Chosen among Women Mary and Fatima in Medieval Christianity and Shi'ite Islam, University of Notre Dame Press Notre Dame, Indiana, 2007.

المواقع الألكترونيَّة

١. الحسن سرات في عرض كتاب أسماء لمرابط (النساء.. الإسلام.. الغرب- مسالك نحو الكونيّ):

https://www.aljazeera.net/knowledgegate/books.

٢. عمّار بنحمودة: متخيَّل المرأة الغربيَّة في فكر المتأسلمين، موقع مؤسَّسة مؤمنون بلا حدود.

https://www.mominoun.com/articles.

دراسة لكتابِ أخبار فاطمة عليها السلام الضائع لأبي عليّ الصوليّ البصريّ (القرن الرابع الهجريّ)

أ.د. سلمى عبد الحميد الهاشميّ
جامعة البصرة/ كليَّة الآداب

ملخَّص البحث

تصدَّر العديد من مؤرِّخي الشيعة للتأليف في سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، سواء ما يخصُّ التأليف في مناقبها، أو في عموم أخبارها، وسواء كان ذلك في مؤلَّفات منفردة، أو ضمن التأليف في أخبار آل البيت عليهم السلام، وقد كان لمؤرِّخي البصرة نصيبٌ في ذلك، أمثال أبو عليّ الصوليّ البصريّ، من مؤرِّخي القرن الرابع الهجريّ، الذي صنَّف كتابًا في أخبار فاطمة عليها السلام، وصِف بإنَّه كان كتابًا كبيرًا، إلَّا أنَّ ما يؤسَف إليه هو ضياع هذا الكتاب، ولم يبقَ منه سوى نصوص متناثرة من رواياته في بطون الكتب التي نَقَلت عنه.

البحث يهدف إلى دراسة الكتاب؛ بغية التعرُّف على مضامينه ومنهجيَّة تأليفه، وما يتوافر من رواياته، وهو مقسَّم على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: يتضمَّن دراسة للسيرة الذاتيَّة للمؤلِّف أبي عليّ الصوليّ، ومكانته العلميَّة.

والمبحث الثاني: يختصُّ في التعرُّف على كتاب أخبار فاطمة عليها السلام، بما في ذلك وصف الكتاب، والوقوف على أسباب ضياعه، والخطوط العامَّة لمحتواه ومضامينه، ومنهجيَّة

التأليف.

أمَّا المبحث الثالث: فقد خُصِّص لعرض نماذج من نصوص روايات الكتاب.

نأمل من الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا لإحياء التراث الضائع لآل البيت عليهم السلام. والله ولي التوفيق

المقدِّمة

بسم الله ربِّ العزَّة والجلال، والحمد لله على وافر النِّعم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمَّدًا وعلى البضعة الطاهرة سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين وعلى الأئمَّة المنتجبين.

شكَّلت شخصيَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام أهميَّة بارزة لدى المؤلِّفين المسلمين القدامى من مختلف المذاهب والبقاع الإسلاميَّة، لما اختصَّت به من المقامات الجليلة والمناقب العظيمة، وكان للبصرة إسهامًا ملحوظًا، إذ تصدَّى المؤلِّفون الشيعة فيها للتأليف في أخبار السيِّدة فاطمة عليها السلام، وسيرتها ومناقبها، كان من بينها كتاب (أخبار فاطمة عليها السلام) لأبي عليّ الصوليّ البصريّ المتوفَّى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجريّ، وهو من الكتب المفقودة، شأنه شأن العديد من الكتب التي تخصُّ السيِّدة فاطمة أو آل البيت عليهم السلام، وهي في عداد المفقودات.

إنَّ أهميَّة الكتاب بوصفه (كتابًا كبيرًا)، ولمكانة مؤلِّفه، وهو أحد مؤرِّخي الشيعة الثقاة، قد دفعنا إلى تقديم دراسة متواضعة للكتاب، ومحاولةً للوقوف على مضامينه ومنهجيَّة تأليفه، ونصوص من رواياته الضائعة، فضلًا عن دراسة سيرة المؤلِّف ومكانته العلميَّة.

قُسِّم البحث على ثلاثة مباحث، خُصِّص المبحث الأوَّل لدراسة حياة أبي عليّ الصوليّ، ومكانته العلميَّة، متضمِّنًا اسمه ونسبه وولادته، وشيوخه وتلامذته، وآراء العلماء فيه، ومؤلَّفاته ووفاته، وتناول المبحث الثاني مضامين كتاب أخبار فاطمة،

ومنهجيَّة التأليف، ومحاولة الوقوف على أسباب تأليف الكتاب، أمَّا المبحث الثالث فقد كُرِّس للكشف عن نصوص من روايات الكتاب والنقولات المستقاة عنه.

إنَّ هذه الدراسة المتواضعة تُعدُّ حلقة ضمن سلسلة من الحلقات الخاصَّة بإحياء الكتب الضائعة التي أُلِّفت في أخبار السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

نسأل الله نيل الأجر والثواب والشفاعة.. والله وليُّ التوفيق.

المبحث الأوَّل

أبو عليّ الصوليّ حياته ومكانته العلميَّة

أوَّلًا: اسمه ونسبه

أبو عليّ الصوليّ، هو أحمد بن محمَّد بن جعفر[1]، لُقِّب بالصوليّ نسبةً إلى اسم رجل[2]، ولعلَّه أحد أجداده، كما عُرف بلقب البصريّ[3] أيضًا، كونه من أهل البصرة ومن أعلامها المشهورين، كما سنرى.

ثانيًا: ولادته

أغفلت المصادر الإشارة إلى تاريخ ولادته، ويبدو أنَّه ولِد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ، ومن المحتمَل أن تكون ولادته ما بين سنَتَي (٢٧٥هـ و٢٨٠هـ/ ٨٨٨م و٨٩٣م)، وهذا الاحتمال مبني على ما ذُكِر بأنَّ أبا عليّ الصوليّ كان قد تتلمذ على يد المحدِّث البصريّ أبو سليمان القزَّاز (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)[4] من جهة،

(١) النجاشيّ، فهرست أسماء مصنِّفي الشيعة (رجال النجاشيّ)، ص٨٤، الطوسيّ، رجال الطوسيّ، ص٤١٧، الفهرست، ص٧٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤، ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص٥٥، العلَّامة الحِلِّيّ، إيضاح الاشتباه، ص١٠١، خلاصة الأقوال، ص٦٧، أبو داوود الحِلِّيّ، رجال أبي داوود، ص٤٢، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢.

(٢) السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢.

(٣) النجاشيّ، رجال، ج٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، العلَّامة الحِلِّيّ، إيضاح الاشتباه، ص١٠١، ابو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢، النوريّ الطبرسيّ، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٤٠، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء، ج٤، ص٧١.

(٤) الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ج٢١، ص٢٩٨، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤١٨.

وما روي عن أهل البصرة بأنَّهم كانوا قد امتازوا بطلب العلم ورواية الحديث في سنٍّ مبكِّر من جهة أخرى، إذ إنَّهم كانوا يبدؤون التحميل في سنِّ العاشرة، بينما كان أهل الكوفة لا يسمحون لأبنائهم طلب العلم صغارًا حتَّى يستكملوا عشرين سنة، وقيل إنَّ هذا الأمر يعود إلى ما اعتاد عليه الناس هناك[1]، أمَّا عن مكان ولادته، فقد ولِد في البصرة، ونشأ وعاش فيها[2].

ثالثًا: مكانته العلميَّة

احتلَّ أبو عليّ الصوليّ مكانة علميَّة متميِّزة، إذ إنَّه برع في أكثر من علم، فكان محدِّثًا وراويًا للأخبار، تلقَّى علومه في البصرة، كما أنَّه رحل إلى بغداد[3]، ورحل أيضًا إلى الأهواز[4]، وربَّما كانت له رحلات علميَّة لمدن وبلدان أخرى، ويمكن تلمُّس مكانته العلميَّة من خلال الآتي:

(١) **شيوخه**: تتلمذ أبو عليّ الصوليّ على يد كبار علماء البصرة الثقاة، أمثال المحدِّث أبو سليمان البصريّ محمَّد بن يحيى بن المنذر القزَّاز (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) الذي وُصِف بأنَّه كان ثقة في رواية الحديث[5].

ومن شيوخه المحدِّث والفقيه أبو خليفة الفضل بن الحبَّاب بن محمَّد الجمحيّ البصريّ (ت٣٠٥هـ/ ٩٧١م)، وهو من رواة الأخبار والأشعار

(١) الرامهرمزيّ، المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي، ص١٨٦-١٨٧.
(٢) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، العلَّامة الحِلِّيّ، إيضاح الاشتباه، ص١٠١، التفرشي، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢، الحر العاملي، امل الآمل، ج٢، ص٢٣
(٣) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤، العلَّامة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، ص٦٧، أبو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢.
(٤) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤.
(٥) ابن حبَّان البستيّ، الثقاة، ج٩، ص١٥٢، الذهبيّ، تاريخ، ج٢١، ص٢٩٨، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤١٨

والأنساب[١]، إضافة إلى كونه فقيه ومحدِّث ثقة[٢]، وله العديد من المؤلَّفات[٣].

وتتلمذ على أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ (ت٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)[٤]، عالم ومحدِّث ثقة، أثنى عليه المحدِّثون[٥].

وتلقَّى من العالم عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ (ت٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) حتَّى عُرف بأنَّه صحب الجلوديّ، والجلوديّ شيخ البصرة واخباريها[٦]، من المحدِّثين الثقاة[٧]، وله العديد من المؤلَّفات في الأخبار والسيرة، وفي الفقه أيضًا[٨].

وذُكِر ضمن شيوخ أبي عليّ الصوليّ الشيخ عليّ بن محمَّد بن مضر[٩]، ويبدو أنَّ المقصود هو عبد الله بن محمَّد بن مضر أبي عبد الرحمن الثقفيّ البصريّ[١٠].

(٢) تلامذته: ونظرًا لعلوِّ شأن أبي عليّ الصوليّ في البصرة وبغداد، فقد توافد عليه طلبة العلم الذين أصبحوا في عداد كبار العلماء آنذاك، وكان من أشهر تلامذته كبير علماء الشيعة الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد البغداديّ العكبريّ، أبو عبد الله (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، كان من جلَّة متكلِّمي الإماميَّة، وإليه انتهت رئاسة الإماميَّة في وقته، وكان مقدَّمًا في العلم وصناعة الكلام، له ما يقارب المائتي

(١) ابن حبَّان البستيّ، الثقاة، ج٩، ص٨-٩، ابن النديم، الفهرست، ص٢٢٦.
(٢) ابن حبَّان البستيّ، الثقاة، ج٩، ص٨.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٢٦.
(٤) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤.
(٥) الطوسيّ، الفهرست، ص٨٣، عبَّاس القمِّيّ، الكنى والألقاب، ج٢، ص١٦٣، السيِّد الخوئيّ، معجم رجال الحديث، ج٢، ص١٤٢.
(٦) العلاَّمة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، ص٢٠٨.
(٧) الطوسيّ، رجال، ص٤٣٥، العلاَّمة الحِلِّيّ، خلاصة الاقوال، ص٢٠٨.
(٨) ابن النديم، الفهرست، ص١٢٨، الطوسيّ، الفهرست، ص١٩١.
(٩) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤.
(١٠) الخطيب البغداديّ، المصدر نفسه، ج١٠، ص٨٨.

كتاب[1]، سمع من أبي عليّ الصوليّ الحديث في جامع براثا[2]، في بغداد عند قدومه سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)[3].

ومن مشاهير تلامذته أيضًا أبي جعفر الورَّاق الشروطيّ محمَّد بن جعفر بن علان (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)[4].

(٣) آراء العلماء فيه: أشاد العلماء بمكانة أبي عليّ الصوليّ العلميَّة فوصف بأنَّه كان «ثقة في حديثه، مسكونًا إلى روايته»[5]، إلَّا أنَّ الخطيب البغداديّ نعته برواية الغرائب والمناكير[6]، ويبدو أنَّ الطعن الموجَّه لأبي عليّ الصوليّ يعود إلى تشيُّعه، إذ إنَّه من علماء

(١) النجاشيّ، رجال، ص٣٩٩، الطوسيّ، الفهرست، ص٢٣٨-٢٣٩، ابن النديم، الفهرست، ص٢٤٧، ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص١٤٧-١٤٨.

(٢) جامع براثا: براثا محلَّة كانت في طريق بغداد في قبلة الكرخ في جنوبي باب محول، وكان لها جامع مفرد تصلِّي فيه الشيعة، وقد خرب عن آخره، هدمه الراضي حتَّى سوِّي بالأرض، وأنهى الشيعة خبره إلى بجكم أمير الأمراء ببغداد، فأمر بإعادة بنائه وتوسيعه وإحكامه، وكتب في صدره اسم الراضي، ولم تزل الصلاة تقام فيه إلى بعد الخمسين وأربعمائة ثمَّ تعطَّلت، وكانت براثا قبل بناء بغداد قرية مرَّ بها الامام عليّ عليه السلام لـمَّا خرج لقتال الحروريَّة (الخوارج) بالنهروان، وصلَّى في موضع من الجامع المذكور. ينظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ج١، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٣) ذكر الشيخ المفيد أنَّ أبا عليّ الصوليّ قدِم إلى بغداد وحدَّث في مسجد براثا سنة (٣٥٢هـ)، وليس سنة (٣٥٣هـ). ينظر: الأمالي، ص١٦٥، وينظر: النوري الطبرسيّ، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٤٠. في الوقت الذي أشارت المصادر التي ترجمت لأبي عليّ الصوليّ أنَّه قدِم بغداد سنة (٣٥٣هـ). ينظر: النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، العلَّامة الحِلِّيّ، خلاصة الاقوال، ص٦٧، أبو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢، آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٢، اللجنة العلميَّة، موسوعة الفقهاء، ج٤، ص٧١.

(٤) الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد، ج٢، ص١٥٧.

(٥) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، العلاَّمة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، ص٦٧، أبو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢، النوريّ الطبرسيّ، خاتمة المستدرك، ج٣، ص٢٤٠، الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة، ج٣، ص٣١٠.

(٦) تاريخ بغداد، ج٢، ص١٥٧.

الشيعة الإماميَّة في البصرة[1].

كما أنَّ ما ورد في وصفه بالثقة من جهة، ورواية كبار العلماء عنه، كالشيخ المفيد، من جهة ثانية، يدعو إلى قبول حديثه، إذ إنَّ ما ذُكِر عنه لا يوجِب الوهن في نفسه[2].

(٤) مؤلَّفاته: ذُكِر أنَّ لأبي عليّ الصوليّ مؤلَّفات، دون تحديد عددها وعناوينها، أو تحديد تخصُّصاتها، فقيل: «له كتب»[3]، في الوقت الذي أجمعت المصادر أنَّ له كتاب بعنوان (أخبار فاطمة عليها السلام)[4]، كان يرويه عنه أبو الفرج محمَّد بن موسى القزوينيّ[5]، سمعه منه إملاء[6]، وقيل رواه تلميذه الشيخ المفيد[7].

(٥) وفاته: ذكر الخطيب البغدادي أنَّ أبا عليّ الصوليّ كان قد رحل إلى الأهواز في أواخر عمره، وأغلب الظنِّ أنَّه مات فيها[8]، ولم ترد إشارة إلى تحديد تاريخ وفاته، غير أنَّ القول برحلته لبغداد سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)[9]، تعني أنَّ وفاته كانت بعد هذا التاريخ.

(١) ينظر: النجاشيّ، رجال، ص٨٤، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢

(٢) السيِّد عليّ البروجردي، طرائف المقال، ج١، ص١٤٧.

(٣) ابو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢.

(٤) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، ابن شهرآشوب، معالم العلماء، ص٥٥، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢، آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٢، اللجنة العلميَّة، موسوعة طبقات الفقهاء، ص٧٢، مؤسَّسة آل البيت، مجلَّة تراثنا، ج١٤، ص٦٠، ج٥٦، ص٢٥٠

(٥) أبو الفرج محمَّد بن أبي عمران موسى بن عليّ بن عبدويه القزوينيّ الكاتب. ينظر: السيِّد مهدي بحر العلوم، الفوائد الرجاليَّة، ج٢، ص٥٢.

(٦) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨.

(٧) الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨.

(٨) تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٤.

(٩) النجاشيّ، رجال، ص٨٤، الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، العلَّامة الحِلِّيّ، خلاصة الأقوال، ص٦٧، أبو داوود الحِلِّيّ، رجال، ص٤٢، التفرشيّ، نقد الرجال، ج١، ص١٥٢، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢، آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٢.

ولو صحَّ الافتراض بأن تاريخ ولادته كان سنة (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، أو (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) كما أسلفنا، فهذا يعني أنَّه كان رجلًا معمِّرًا قد قارب عمره التسعين سنة، وفي كلِّ الأحوال فإنَّ وفاته كانت في نهاية القرن الرابع الهجريّ، أو نهاية النصف الثاني من القرن الرابع الهجريّ.

المبحث الثاني

مضامين كتاب أخبار فاطمة عليها السلام ومنهجيَّة تأليفه

من الصعب تحديد وصف دقيق لمضامين ومنهجيَّة تأليف كتاب أخبار فاطمة عليها السلام؛ لضياع الكتاب من جهة، ولضياع أغلب الكتب التي أُلِّفت في أخبار السيِّدة فاطمة عليها السلام، سواء التي أُلِّفت قبل أبي عليّ الصوليّ أو بعده، أمثال كتاب (أخبار فاطمة ومنشئها ومولدها) للغلابيّ[1] (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م)[2]، وكتاب (أخبار فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام) لابن أبي الثلج (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)[3]، وكتاب (أخبار فاطمة) للشيخ أبي طالب الأنباريّ (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)[4]، وكتاب (مولد فاطمة) للشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)[5]، وقيل للصدوق (أخبار

(١) الغلابيّ: هو أبو عبد الله محمَّد بن زكريَّا بن دينار، أحد رواة السيرة والأحداث والمغازي وغير ذلك، كان ثقة، صادقًا، وله العديد من المصنَّفات، توفِّي سنة (٢٩٨هـ). ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٢١.

(٢) آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٣.

(٣) ابن أبي الثلج: هو أبو بكر محمَّد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الكاتب الشيعيّ، توفِّي حوالي سنة (٣٢٥هـ). ينظر: آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ، ج١، ص٣٤٣، البغداديّ، إيضاح المكنون، ج١، ص٤٤.

(٤) أبو طالب الأنباريّ: عبيد الله بن أبي زيد بن يعقوب بن نصر الأنباريّ (ت٣٥٦هـ). ينظر: آغا بزرك الطهراني، الذريعة، ج١، ص٣٤٣، البغداديّ، إيضاح المكنون، ج١، ص٤٤.

(٥) الشيخ الصدوق: محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو جعفر، وجه الطائفة الشيعيَّة في خراسان، له العديد من الكتب، منها (زُهد فاطمة)، و(مولد فاطمة)، توفِّي بالري سنة (٣٨١هـ). ينظر: النجاشيّ، رجال، ص٣٨٨-٣٩٢.

الزَّهراء)[1]، وكتاب (أخبار فاطمة) للمرزبانّي[2] (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) من جهة ثانية، والتي قد تساعد في التعرُّف على منهجيَّة التأليف ومضامين الكتاب؛ للتشابه في الموضوع والتقارب بالزَّمن.

ولم يبقَ أمامنا سوى الإشارات للنصوص المستقاة من روايات الكتب المتناثرة في بطون الكتب التي نقلت عنه، هذه النصوص قد تساعد في تكوين صورة عن الكتاب ومحتواه، والمنهجيَّة المتَّبعة في تأليفه، وعلى النحو الآتي:

أوَّلًا: أسباب تأليف الكتاب

اعتاد أغلب المؤلِّفين على ذِكر سبب أو أسباب التأليف في مقدِّمة كتبهم، إلَّا أنَّ ضياع كتاب أخبار فاطمة عليها السلام لأبي عليّ الصوليّ لم يمكنَّا من معرفة أسباب تأليفه، فقد تكون هناك أسباب خاصَّة، كالتأليف بتكليف من قِبَل أحد شيوخه، أو أحد رجال العلم المعاصرين له، أو بطلب من قِبَل طلبة العلم، وربَّما كان دافع التأليف يتعلَّق بأسباب عقائديَّة أو علميَّة، أو إنَّ أبا عليّ الصوليّ كان يهدف إلى تقديم دراسة عامَّة وشاملة عن السيِّدة الزَّهراء عليها السلام؛ لذلك فقد وَصَف كتابه بأنَّه «كتاب كبير»[3]، ليكون كتابًا يتميَّز فيه عن كتاب المؤرِّخ البصريّ الغلابيّ الآنف الذِّكر، الذي يحمل عنوان (أخبار فاطمة عليها السلام ومنشؤها ومولدها)[4]، والذي قد يبدو أنَّه يختصُّ بأخبار مولد

(١) آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٤.

(٢) المرزبانيّ: أبو عبيد الله محمَّد بن عمران بن موسى بن سعيد، أصله من خراسان، صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات، توفِّي سنة (٣٨٤هـ)، ولم يذكر ابن النديم ضمن مؤلَّفات المرزبانيّ كتاب (أخبار فاطمة). ينظر: الفهرست، ص١٤٦، بينما صرَّح به آغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة، ج١، ص٣٤٤.

(٣) الطوسيّ، الفهرست، ص٧٨، ابن شهرآشوب، معالم العلماء، ص٥٥، السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٢، آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة، ج١، ص٣٤٢، مؤسَّسة آل البيت، مجلَّة تراثنا، ج٥٦، ص٢٥٠.

(٤) آغا بزرك الطهرانّي، الذريعة، ج١، ص٣٤٣.

السيِّدة فاطمة عليها السلام ونشأتها.

ولا يمكن استبعاد الدافع الدينيّ المتعلِّق بحبِّ السيِّدة فاطمة بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لنيل رضا الله سبحانه وتعالى، ورضا رسوله الكريم طلبًا للأجر والثواب[1]، وكذلك الدافع الفكريّ للردِّ على ما لحق بسيرة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام العطرة من تشويه وتضليل[2].

ولا شكَّ أنَّ معاصرة أبي عليّ الصوليّ للبويهيِّين الذين سيطروا على مقاليد الحكم (٣٣٤هـ-٤٤٧هـ/ ٩٤٥م-١٠٥٥م) كان قد وفَّر فرصة التأليف عن آل البيت عليهم السلام بصورة عامَّة، إذ شهدت الحركة الفكريَّة انتعاشًا للفكر الشيعي[3].

ثانيًا: مضامين كتاب أخبار فاطمة عليها السلام

إنَّ ما جاء في وصف الكتاب بأنَّه كان كتابًا كبيرًا، كما أسلفنا، فضلًا عمَّا وفَّرته النصوص لبعض روايات الكتاب، قد ساهم في تكوين صورة عن بعض ملامح الكتاب ومضامينه، وكالآتي:

(١) إنَّ وصف الكتاب بأنَّه كان بحجم كبير، وتحت عنوانٍ عامٍّ، وهو (أخبار فاطمة عليها السلام)، يدفع للاعتقاد بأنَّه كان كتابًا شاملًا عن أخبار السيِّدة فاطمة منذ اختلاقها، ومولدها، وأسمائها، وألقابها، ونشأتها، وزواجها، وأسرتها، ومناقبها، وكلُّ ما يتعلَّق بسيرتها، لغاية استشهادها سنة (١١هـ/ ٦٣٢م)، وهذا فعلًا ما أكَّدته النصوص المستقاة من المصادر، إذ وردت إشارات تخصُّ اسمها وخلقها، وأخبار تخصُّ علاقتها برسول الله صلى الله عليه وآله وحبِّه لها، وأخبار زواجها، وعن مناقبها[4].

(١) ينظر: نوفل شيبة حمزة الموسويّ، كتب مناقب أئمَّة آل البيت عليهم السلام، ص٤٥-٥١.

(٢) الحاكم النيسابوريّ، فضائل فاطمة الزَّهراء، ص٣٧، وينظر: نوفل شيبة الموسويّ، كتب مناقب أئمَّة آل البيت عليهم السلام، ص٦٥، ٧٢-٧٣

(٣) عبَّاس جاسم ناصر، النشاط الحديثيّ لدى علماء الإماميَّة في القرنَين الرابع والخامس الهجريّ، ص ٣٩٥-٤٠٢.

(٤) ينظر: الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٦-٧، الطبريّ الشيعيّ، دلائل الإمامة، ص٩١-٩٤،=

(٢) وقد وفرَّت النصوص أيضًا إشارات تتعلَّق بأخبار ومناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ إنَّ أخباره وردت ضمن أخبار السيِّدة فاطمة عليها السلام[١]، وكذا الحال بالنسبة لأخبار ولديها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام[٢].

(٣) تضمَّن الكتاب أخبارًا للسيِّدة فاطمة عليها السلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله لتحديد مكانتها ومقاماتها العظيمة عند الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله[٣].

(٤) قد لا يخلو الكتاب من مادَّة تاريخيَّة تتعلَّق بالأحداث التي عاصرتها السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في عصر الرسالة، وابان حكم أبي بكر، وارتباط ذلك باستشهادها.

ثالثًا: منهجية التأليف

إنَّ النصوص التي تمَّ جمعها من كتاب أخبار فاطمة عليها السلام الضائع لا تكفي لتسليط الضوء على منهجيَّة التأليف، إلَّا أنَّها تقدِّم تصوُّرًا عامًّا، خاصَّةً إذا ما تمَّ مقارنتها بمؤلَّفات تحمل عناوين مشابهة على سبيل القياس، وعليه يمكن تحديد المنهجيَّة بالآتي:

(١) يبدو أنَّ المؤلِّف كان قد صاغ معلومات الكتاب تحت عنوان أو لفظة (خبر)، على اعتبار أنَّ عنوان الكتاب هو (أخبار فاطمة)، وهذا يعني أنَّ موضوع ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام جاء بصيغة (خبر مولد فاطمة)، أو (ذِكر خبر مولد فاطمة)، وموضوع التسمية ورد بصيغة (خبر التسمية)، والزواج ضمن موضوع (خبر زواج فاطمة)، وهكذا بقية الأخبار.

=ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١١-١١٦، ابن رجب، نخب المناقب، ج٢، ص٥٥٤.

(١) الشيخ المفيد، الأمالي، ص٩١-٩٢، الشيخ الطوسيّ، الأمالي، ص٢٠٩-٢١٠، ابن شاذان، مائة منقبة، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٦-٧.

(٣) الجوهريّ، المقتضب، ص٦، ابن شاذان، مائة منقبة، ص١٣٦، الشيخ الطوسيّ، الأمالي، ص٢١٠.

إنَّ ما يؤيِّد هذا القول هو اتِّباع هذا الأسلوب في المؤلَّفات التي حملت عنوان (أخبار)، أمثال كتاب الأخبار الطوال لأبي حذيفة الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، وكتاب أخبار الدولة العبَّاسيَّة لمؤلِّف مجهول من القرن الثالث الهجريّ، وغيرها[١].

(٢) من خلال استقراء النصوص نجد ما يشير إلى استخدام منهج الاستطراد، إذ نقل أبو عليّ الصوليّ أخبارًا تخصُّ الإمام عليّ والحسنَين عليهما السلام، فخلال الحديث عن حبِّ الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، استطرد إلى ذِكر حبِّ الرسول صلى الله عليه وآله للإمام عليّ عليه السلام[٢].

(٣) اتَّبع المؤلِّف أسلوب التفصيل في إيراد المعلومات، فإلى جانب كونها معلومات عامَّة وشاملة، فإنَّها كما يبدو كانت معلومات مفصَّلة ومطوَّلة، لذلك وُصِف الكتاب بأنَّه كان كبيرًا.

(٤) أمَّا ما يخصُّ منهجيَّة المؤلِّف في استقاء المعلومات، فقد كشفت النصوص أنَّ المؤلِّف اعتمد على النقل من الكتب، أمثال كتاب (أخبار فاطمة ومنشئها ومولدها، للغلابيّ)، وإن لم يصرِّح باسم الكتاب، إلَّا أنَّه أورد معلومات عن السيِّدة فاطمة عليها السلام نقلًا عن الغلابيّ[٣]، بما يؤكِّد النقل من كتابه، وكذلك النقل من زكريَّا بن يحيى الساجيّ[٤] (ت ٣٠٧هـ)، وربَّما كان ذلك في أحد مؤلَّفاته[٥].

---

(١) لقد صنَّف العديد من المؤرِّخين كتبًا حملت عنوان أو لفظة (أخبار)، أمثال الهيثم بن عدي، وأبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى، والمدائنيّ، وعمر بن شبة النميريّ، وأبو حنيفة الدينوريّ، والمسعوديّ، وآخرون. ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٥٩، ٦٨، ٨٦، ٩٣، ٩٥، ١٠٦، ١٠٨-١٠٩، ١١١-١١٢، ١١٤، ١٢٧، وغيرها من الصفحات. وينظر: عمر بن شبة النميريّ، أخبار البصرة، ص٥٥.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١١، ابن جبر، نخب المناقب، ج٢، ص٥٥٤.

(٣) الشيخ المفيد، الأمالي، ص١٦٦، الطبريّ الشيعيّ، دلائل الامامة، ص٩١.

(٤) زكريَّا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي، أبو يحيى البصريّ، عالم بالحديث والفقه، ثقة، وله مؤلَّفات حِسَان. ينظر: ابن أبي حاتم الرازيّ، الجرح والتعديل، ج٣، ص٦٠١.

(٥) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، ص٢١٠.

كما اعتمد أبو عليّ الصوليّ من نقل بعض المعلومات عن الرواة الثقاة أمثال عبد الرحمن بن صالح بن عبده[1]، فيما يخصُّ خلق ونور السيِّدة فاطمة عليها السلام[2]، وعن محمَّد بن الحسين الطائيّ[3]، نقل بعض الأخبار[4]، وكذلك روى عن شيخه الجلوديّ[5].

(١) لم نعثر على ترجمته.
(٢) الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٦.
(٣) محمَّد بن الحسين الطائيّ، روى كتاب الحجِّ لمنصور بن حازم، روى عنه أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ. ينظر: السيِّد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٧، ص٣٠.
(٤) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، ص٢٠٩، ابن شاذان، مائة منقبة، ص١٣٥.
(٥) الشيخ المفيد، الأمالي، ص٩١، ص١٦٦، الطبريّ الشيعيّ، دلائل الإمامة، ص٩٤.

المبحث الثالث

الكشف عن نصوص من روايات كتاب أخبار فاطمة عليها السلام الضائع

أوَّلًا: النقولات من الكتاب

كان في مقدِّمة النقولات من كتاب أخبار فاطمة عليها السلام نقولات الجوهريّ (ت٤٠١هـ/ ١٠١٠م)، إذ نقل رواية طويلة تتعلَّق باسم السيِّدة فاطمة وخُلقها، مستخدمًا صيغة «حدثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ البصريّ»[١].

وأكَّد الشيخ الطوسيّ ضمن حديثه عن كتاب أخبار فاطمة عليها السلام لأبي عليّ الصوليّ بأنَّ تلميذه الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) كان قد حدَّث بجميع روايات الكتاب، كما جاء ذلك في قوله: «وأخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان رحمه الله، عن أحمد بن محمَّد بن جعفر أبي عليّ الصوليّ بجميع رواياته»[٢].

وقد أورد الشيخ المفيد أربع روايات عن أبي عليّ الصوليّ بقوله: «حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد الصوليّ»[٣]، أو قوله: «حدَّثني أبو عليّ أحمد بن محمَّد الصوليّ»[٤]، ومواضيع الروايات تتعلَّق بفضائل الإمام عليّ عليه السلام ودعائه.

واستقى الطوسيّ (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) عن الشيخ المفيد روايتان نقلًا عن أبي عليّ الصوليّ بقوله: «أخبرنا محمَّد بن محمَّد قال حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر

(١) مقتضب الأثر، ص٦-٧.
(٢) الفهرست، ص٧٨.
(٣) الأمالي، ص١٦٦.
(٤) المصدر نفسه، ص٩١-٩٢.

الصوليّ»[1] تتعلَّق بفضائل الإمام عليّ عليه السلام.

وأخذ بن شاذان (من أعلام القرنَين الرابع والخامس الهجريَّين) رواية تخصُّ مكانة الإمام عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، نقلًا عن «أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ»[2].

وأورد الطبريّ الشيعيّ (ت ق٥هـ) روايتان عن أبي عليّ الصوليّ، الأولى بشأن مهر السيِّدة فاطمة[3]، والثانية بصدد زواجها من الإمام عليّ عليه السلام بإرادة إلهيَّة، وبمشاركة الملائكة للاحتفاء بالزواج الميمون[4].

واعتمد قطب الدين الراونديّ (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) على كتاب أخبار فاطمة عليها السلام لأبي عليّ الصوليّ دون أن يصرِّح بالنقل عنه، وما يؤكِّد هذا القول نقله رواية تتعلَّق بموضوع وجود ملائكة موكَّلين بمعونة السيِّدة فاطمة عليها السلام، ذكرها بصيغة «أنَّ أبا ذرّ قال..»[5]، وهي ذات الرواية التي صرَّح ابن شهرآشوب بنقلها عن كتاب أخبار فاطمة لأبي عليّ الصوليّ قائلًا: «أبو عليّ الصوليّ في أخبار فاطمة.. عن أبي ذرّ الغفاريّ»[6].

وهذا ما يؤكِّد اعتماد ابن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) في النقل من كتاب أخبار فاطمة عليها السلام في ثلاث روايات، وكان قد صرَّح بالنقل من الكتاب بقوله: «وأخبار فاطمة عن أبي عليّ الصوليّ»[7].

(١) الأمالي، ص٢٠٩-٢١٠.
(٢) مائة منقبة، ص١٣٥-١٣٦.
(٣) دلائل الإمامة، ص٩١-٩٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٥) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٣١.
(٦) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٦.
(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١١١.

وقد اختصر ابن جبر (من أعلام القرن السابع الهجريّ) كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ونقل عنه مصادر معلوماته، ومنها النقل عن كتاب أخبار فاطمة لأبي عليّ الصوليّ، كالروايات المتعلِّقة بحبِّ رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة، ومكانتها في نفسه[1].

وظهرت نقولات المؤرِّخين المتأخِّرين لنصوص من روايات كتاب أخبار فاطمة عليها السلام، كانوا قد استقَوها من المصادر المتقدِّمة الآنفة الذِّكر، أمثال السيِّد هاشم البحرانيّ (ت١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م)، نقلًا عن كتاب الأمالي للشيخ المفيد الذي نقل بدوره عن أبي عليّ الصوليّ روايَتَين تتعلَّقان بفضائل الإمام عليّ عليه السلام[2]، وروايَتَين تتعلَّقان بزواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومقدار المهر، نقلًا عن الطبريّ الشيعيّ[3].

ونقل الطبرسيّ النوريّ (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) رواية عن أمالي الشيخ المفيد تخصُّ فضائل الإمام عليّ عليه السلام[4]، ورواية تتعلَّق بخلق واسم السيِّدة فاطمة عليها السلام عن كتاب مقتضب الأثر للجوهريّ، الذي نقلها عن أبي عليّ الصوليّ[5].

ثانيًا: نماذج لنصوص من روايات كتاب أخبار فاطمة عليها السلام

(١) خبر خلق فاطمة واسمها:

«حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن صالح ابن رعيده قال: حدَّثني الحسين بن حميد بن الربيع، قال: حدَّثنا الأعمش عن محمَّد بن خلف الطاطريّ عن زاذان عن سلمان، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يومًا فلمَّا نظر إليَّ

(١) نخب المناقب، ج٢، ص٥٥٤.
(٢) غاية المرام، ج٧، ص٤٣، ١٨٢.
(٣) مدينة المعاجز، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٩.
(٤) مستدرك الوسائل، ج٥، ص٦٩.
(٥) نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص٣٨٧.

قال: **يا سلمان! إنَّ الله ﷻ لم يبعث نبيًّا ولا رسولا إلَّا جعل له اثني عشر نقيبًا**. قلت له: يا رسول الله ! لقد عرفت هذا من أهل الكتابَين. قال: **يا سلمان! فهل عرفت مَنْ نقبائي الاثنا عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟** فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: **يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره، ودعاني فأطعته، وخلق من نوري نور عليّ عليه السلام، فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ فاطمة، فدعاها فأطاعته، وخلق منِّي ومن عليّ وفاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه، فسمَّانا الله ﷻ بخمسة أسماء من أسمائه، فالله محمود وأنا محمَّد، والله العليُّ وهذا عليّ، والله فاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثمَّ خلق منَّا ومن نور الحسين تسعة أئمَّة، فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله ﷻ سماءً مبنيَّة، أو أرضًا مدحيَّة، أو هواءً وماءً وملكًا أو بشرًا، وكنَّا بعلمه أنوارًا نسبِّحه ونسمع له ونطيع**. فقال سلمان: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمِّي ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: **يا سلمان! من عرفهم حقَّ معرفتهم واقتدى بهم، فوالى وليَّهم وتبرَّأ من عدوِّهم فهو والله منَّا، يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن**. قال: قلت: يا رسول الله فهل يكون إيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: **لا يا سلمان**. فقلت: يا رسول الله فأنَّى لي لجنابهم؟ قال: **قد عرفت الحسين، قال: ثمَّ سيِّد العابدين: علي بن الحسين، ثمَّ ولده: محمَّد بن عليّ باقر علم الأوَّلين والآخِرين من النبيِّين والمرسَلين، ثمَّ جعفر بن محمَّد لسان الله الصادق، ثمَّ موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبرًا في الله، ثمَّ عليّ بن موسى الرضا لأمر الله، ثمَّ محمَّد ابن عليّ الجواد المختار من خلق الله، ثمَّ عليّ بن محمَّد الهادي إلى الله، ثمَّ الحسن بن عليّ الصامت الأمين على دين الله العسكري، ثمَّ ابنه حجَّة الله فلان سمَّاه باسمه ابن الحسن المهدي، والناطق القائم بحقِّ الله»**[1].

(١) الجوهريّ، مقتضب الأثر، ص٦-٧، وينظر: النوريّ الطبرسيّ، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٢) خبر زواج فاطمة عليها السلام:

«أخبرني أبو الحسين محمَّد بن هارون بن موسى التلعكبريّ، قال: حدَّثنا أبي، قال: حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى، قال: حدَّثنا أبو القاسم التستريّ، قال: حدَّثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح، عن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: **لـمَّا زوَّجني النبيّ صلى الله عليه وآله بفاطمة قال لي: أبشر فإنَّ الله قد كفاني ما همَّني من أمر تزويجك، قلت: وما ذاك ؟ قال: أتاني جبرئيل بسنبلة من سنابل الجنَّة وقرنفلة من قرنفلها، فأخذتهما وشممتهما، وقلت: يا جبرئيل ما شأنهما؟ فقال: إنَّ الله أمر ملائكة الجنَّة وسكَّانها أن يزيِّنوا الجنَّة بأشجارها وأنهارها وقصورها ودورها وبيوتها ومنازلها وغرفها، وأمر الحور العين أن يقرأن حمعسق ويس، ثمَّ نادى منادٍ: اشهدوا أجمعين الله يقول: إنِّي قد زوَّجت فاطمة بنت محمَّد من عليّ بن أبي طالب، ثمَّ بعث الله سحابة فأمطرت عليهم الدرَّ والياقوت واللؤلؤ والجواهر، ونثرت السنبل والقرنفل، فهذا ممَّا نثرت عليَّ الملائكة»**[1].

(٣) خبر مهر فاطمة:

«حدَّثني أبو الحسين محمَّد بن هارون بن موسى بن أحمد بن إبراهيم ابن سعد التلعكبريّ، قال: أخبرني أبي، قال: حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ، قال: حدَّثنا محمَّد بن زكريا بن دينار الغلابيّ، قال: حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن عمارة، قال: حدَّثني الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ضجت الملائكة إلى الله تعالى، فقالوا: إلهنا وسيِّدنا، أعلمنا ما مهر فاطمة، لنعلم ونتبين أنها أكرم الخلق عليك، فأوحى الله تعالى إليهم: يا ملائكتي، وسكان سماواتي، أشهدكم أن مهر فاطمة بنت محمَّد نصف الدنيا»**[2].

---

(١) الطبريّ الشيعيّ، دلائل الامامة، ص٩٤، وينظر: السيِّد هاشم البحرانّي، مدينة المعاجز، ج٢، ص٣٣٩.

(٢) الطبريّ الشيعيّ، دلائل الامامة، ص٩١-٩٢، وينظر: السيِّد هاشم البحرانّي، مدينة المعاجز،=

(٤) خبر مكانتها عند النبي صلى الله عليه وآله:

«أخبار فاطمة عن أبي عليّ الصوليّ، قال عبد الله بن الحسن: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة، فقدَّمت له كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثمَّ قال: **يا بنيَّة هذا أوَّل خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيَّام**. فجعلت فاطمة تبكي ورسول الله يمسح وجهها بيده»[١].

(٥) خبر حبِّ النبيّ إيَّاها:

«.. وأخبار فاطمة عن أبي عليّ الصوليّ.. مسندًا، أنَّ جميعًا التيميّ قال: دخلت مع عمَّتي على عائشة، فقالت لها عمَّتي: ما حملك على الخروج على عليّ؟ فقالت عائشة: دعينا فوالله ما كان أحد من الرجال أحبُّ إلى رسول الله من عليّ، ولا من النساء أحبُّ إليه من فاطمة»[٢].

(٦) أخبار مناقب فاطمة عليها السلام:

«أبو عليّ الصوليّ في أخبار فاطمة، عن أبي ذرٍّ الغفاريّ قال: بعثني النبيّ أدعو عليًّا، فأتيت بيته وناديته فلم يجبني، فأخبرت النبيّ، فقال عُد إليه فإنَّه في البيت، فأتيت ودخلت عليه، فرأيت الرحى تطحن ولا أحد عندها، فقلت لعليّ: إنَّ النبيّ يدعوك، فخرج متوشِّحا حتَّى أتى النبيّ صلى الله عليه وآله، فأخبرت النبيّ بما رأيت فقال: **يا أبا ذر لا تعجب؟ للملائكة سيَّاحون في الأرض موكَّلون بمعونة آل محمَّد**»[٣].

«الحسن البصريّ، وابن إسحاق عن عمَّار وميمونة أنَّ كليهما قالا: وجدت فاطمة

=ج٢، ص٣٣٦.

(١) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٣.

(٢) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١١، وينظر: ابن جبر، نخب المناقب، ج٢، ص٥٥٤.

(٣) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٦، ووردت الرواية عند قطب الدين الراونديّ، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٣١، دون الإشارة لمصدر نقلها عن أبي عليّ الصوليّ.

نائمة والرحى تدور، فأخبرت رسول الله بذلك فقال: **إنَّ الله علم ضعف أَمَته، فأوحى إلى الرحى أن تدور فدارت**»[1].

(٧) أخبار مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«حدَّثنا أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن الحسن بن عيَّاش بن إبراهيم ابن أيُّوب الحافظ، قال: حدَّثني أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ، قال: حدَّثني محمَّد بن الحسين، قال: حدَّثني حفص بن عمر، قال: حدَّثني أبو معاوية، قال: قال لي الأعمش: يا أبا معاوية ألا أحدِّثك حديثًا لا تختار عليه؟ قلت: بلى فديتك. قال: حدَّثني أبو وائل، ولم يسمعه أحد غيري، عن عبد الله (قال: حدَّثني رسول الله صلى الله عليه وآله) قال: **قال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمَّد عليٌّ خير البشر، من أبى فقد كفر**»[2].

(٨):

«أخبرنا محمَّد بن محمَّد، قال: حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ، قال: حدَّثنا زكريا بن يحيى الساجيّ، قال: حدَّثنا إسماعيل بن موسى السدي، قال: حدَّثنا محمَّد بن سعيد، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سخيلة، عن أبي ذر وسلمان رضي الله عنهما، قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: **هذا أوَّل مَن آمن بي، وهو أوَّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصدِّيق الأكبر، وفاروق هذه الأمَّة، ويعسوب المؤمنين**»[3].

(٩):

«أخبرني أبو نصر محمَّد بن الحسين قال: حدَّثني أبو عليّ أحمد بن محمَّد الصوليّ، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ قال: حدَّثنا الحسين ابن حميد قال: حدَّثنا مخول

(١) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٦.
(٢) ابن شاذان، مائة منقبة، ص١٣٥-١٣٦.
(٣) الطوسيّ، الأمالي، ص٢١٠، وينظر: السيِّد هاشم البحرانيّ، غاية المرام، ج٢، ص١٨٢.

ابن إبراهيم قال: حدَّثنا صالح بن أبي الأسود قال: حدَّثنا محفوظ بن عبيد الله، عن شيخ من أهل حضرموت، عن محمَّد ابن الحنفيَّة عليه الرحمة قال: بينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يطوف بالبيت، إذا رجل متعلِّق بالأستار وهو يقول: «**يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا يغلطه السائلون، يا من لا يبرمه إلحاح الملحِّين، أذقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك**»، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **هذا دعاؤك؟** قال له الرجل: **وقد سمعته؟** قال: **نعم**، قال: **فادع به في دبر كلِّ صلاة، فوالله ما يدعو به أحد من المؤمنين في أدبار الصلاة إلَّا غفر الله له ذنوبه ولو كانت عدد نجوم السماء وقطرها، وحصباء الأرض وثراها**. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: **إنَّ علم ذلك عندي، والله واسع كريم**. فقال له الرجل، وهو الخضر عليه السلام: **صدقت والله يا أمير المؤمنين، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين**»[1].

(١٠):

«حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد الصوليّ بمسجد براثا سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة قال: حدَّثنا عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ قال: حدَّثني محمَّد بن زكريا الغلابيّ قال: حدَّثنا قيس بن حفص الدارميّ قال: حدَّثنا الحسين الأشقر، عن عمر بن عبد الغفَّار، عن إسحاق بن الفضل الهاشميّ قال: كان من دعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «**اللهم إنِّي أعوذ بك أن أعادي لك وليًّا، أو أوالي لك عدوًّا، أو أرضى لك سخطًا أبدًا. اللهمَّ مَن صلَّيت عليه فصلواتنا عليه، ومن لعنته فلعنتنا عليه. اللهمَّ من كان في موته فرح لنا ولجميع المسلمين فأرحنا منه، وأبدل لنا به من هو خير لنا منه حتَّى ترينا من علم الإجابة ما نتعرفه في أديانا ومعايشنا يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله عليه سيِّدنا محمَّد النبيّ وآله وسلَّم**»[2].

---

(١) الشيخ المفيد، الأمالي، ص٩١-٩٢، وينظر: النوريّ الطبرسيّ، مستدرك الوسائل، ج٥، ص٦٩.
(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص١٦٦.

(١١):

«أخبرنا محمَّد بن محمَّد، قال: حدَّثنا أبو عليّ أحمد بن محمَّد بن جعفر الصوليّ، قال: حدَّثنا محمَّد بن الحسين الطائيّ، قال: حدَّثنا محمَّد بن الحسن بن جعفر بن سليمان الضبعيّ، قال: حدَّثنا أبي، عن أبيه، قال: حدَّثني يعقوب بن الفضل، قال: حدَّثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاريّ، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أُعطيت في عليّ تسعًا، ثلاثًا في الدنيا، وثلاثًا في الآخرة، واثنين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه: فأمَّا الثلاثة التي في الدنيا: فساتر عورتي، والقائم بأمر أهلي، ووصيِّي فيهم. وأمَّا الثلاثة التي في الآخرة: فإنِّي أُعطى يوم القيامة لواء الحمد فأرفعه إلى عليّ بن أبي طالب يحمله عنِّي، واعتمد عليه في مقام الشفاعة، ويعينني على حمل مفاتيح الجنَّة. وأمَّا اللتان أرجوهما له: فإنَّه لا يرجع من بعدي ضالًّا، ولا كافرًا. وأمَّا التي أخافها عليه: فغدرُ قريش به من بعدي**»[1].

(١) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، ص٢٠٩، وينظر: السيِّد هاشم البحرانيّ، غاية المرام، ج٢، ص٢١٨-٢١٩،ج٧، ص٤٣.

الخاتمة

اللهمَّ لك الحمد والشكر فيما يسَّرت لإعداد هذا البحث المتواضع، ونسأله تعالى أن ينال رضا سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام؛ ليكون لنا شفيعًا في الآخرة.

وقد توصَّل البحث إلى مجموعة من النتائج، هي:

أوَّلًا: كشفت الدراسة عن المكانة العلميَّة المتميزة لأبي عليّ الصوليّ مؤلِّف كتاب (أخبار فاطمة عليها السلام)، إذ نُعِت بالثقة، وتتلمذ على يد كبار العلماء آنذاك، وفي مقدِّمتهم الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

ثانيًا: ظهر أنَّ كتاب أخبار فاطمة لأبي عليّ الصوليّ لم يكن الكتاب الأوَّل الذي أُلِّف من قِبَل مؤرِّخي شيعة البصرة، بل سبقه المؤرِّخ الغلابيّ البصريّ (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م).

ثالثًا: ظهر أنَّ كتاب أخبار فاطمة لأبي عليّ الصوليّ كان كتابًا شاملًا وذا مضامين ومحتويات عديدة، بدأه بالبحث عن خلق السيِّدة فاطمة ومولدها، وضمَّنه مناقبها وأحوالها، فضلًا عن أخبار تخصُّ الإمام عليّ والحسنان عليهما السلام؛ لاختصاصهم بالزَّهراء عليها السلام.

رابعًا: حرص أبو عليّ الصوليّ على توثيق مصدريَّة معلوماته، إذ ظهر أنه قد اعتمد على الكتب المؤلَّفة من قِبَل ثقاة المؤرِّخين، أو بالنقل من الرواة الثقاة.

خامسًا: كشف البحث عن أهميَّة كتاب (أخبار فاطمة عليها السلام) لأبي عليّ الصوليّ، لذلك فقد أصبح مصدرًا للعديد من المؤرِّخين الذين استقوا منه معلومات عن السيِّدة فاطمة أو عن الامام عليّ عليه السلام، أمثال الشيخ المفيد، والطوسيّ، والجوهريّ، والطبريّ الشيعيّ، وابن شاذان، وابن شهرآشوب، وغيرهم.

سادسًا: توصَّل البحث إلى تحديد بعض مضامين الكتاب، ومنهجيَّة التأليف، والوقوف على عدد لا بأس به من نصوص الرِّوايات، بما حَّقق إمكانيَّة إعادة الروح لكتاب (أخبار فاطمة عليها السلام) لأبي عليّ الصوليّ.

قائمة المصادر

أوّلًا: المصادر الأوليّة

ابن جبر، الشيخ أبي عبد الله الحسين بن جبر (من أعلام القرن ٧هـ).

١. نخب المناقب لآل أبي طالب (تحقيق: السيِّد مهدي رجائي، ط١، سقارة، قم، ٢٠١٢هـ).

الجوهريّ، أحمد بن عبيد الله بن عيَّاش (ت٤٠١هـ).

٢. مقتضب الأثر (المطبعة العلميَّة، قم، د.ت).

ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمَّد عبد الرحمن (ت٣٢٧هـ).

٣. الجرح والتعديل (ط١، جيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٢).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ).

٤. فضائل فاطمة الزَّهراء (تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨).

ابن حبَّان البستيّ، محمَّد بن حبَّان (ت ٣٥٤هـ).

٥. كتاب الثقات (متابعة: محمَّد عبد المعيد، ط١، دار المعارف العثمانيَّة، ١٩٧٣).

العلَّامة الحِلِّيّ، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ).

٦. إيضاح الاشتباه (تحقيق: الشيخ محمَّد الحسُّون، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة، ١٤١١هـ).

٧. خلاصة الأقوال (تحقيق: الشيخ جواد القيوُّميّ، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٤١٧هـ).

الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).

٨. تاريخ بغداد (دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٧).

ابو داوود الحِلِّيّ، الحسن بن عليّ (ت٧٤٠هـ).

٩. رجال أبي داوود (تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد صادق ال بحر العلوم، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٧٢).

الذهبيّ، شمس الدين محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ).

١٠. تاريخ الاسلام (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨٧).

١١. سير أعلام النبلاء (أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرناؤوط، ط٩، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣).

الرامهرمزيّ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (ت٣٦٠هـ).

١٢. المحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي (تحقيق: محمَّد عجاج الخطيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ).

ابن شاذان، محمَّد بن أحمد بن عليّ (ت٤١٢هـ).

١٣. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمَّة من ولده (تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، ط٢، قم المقدَّسة، ١٩٦٧).

ابن شبة النميريّ، أبو زيد عمر (ت٢٦٢هـ).

١٤. كتاب أخبار البصرة (جمع ودراسة وتحقيق: سلمى عبد الحميد الهاشميّ،

مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة، ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ٢٠١٥م).

ابن شهرآشوب، محمَّد بن عليّ المازندراني (ت٥٨٨هـ).

١٥. معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنِّفين (تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم المقدَّسة، د.ت).

١٦. مناقب آل أبي طالب (تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦م).

الطبريّ الشيعيّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير بن رستم (ت ق٤هـ).

١٧. دلائل الإمامة (تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ).

١٨. الأمالي (ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ).

١٩. رجال الشيعة (تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط٥، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٥هـ).

٢٠. الفهرست (تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط١، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٧هـ).

الراونديّ، قطب الدين، أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ).

٢١. الخرائج والجرائح (تحقيق: مؤسَّسة الإمام المهدي، إشراف: السيِّد محمَّد باقر الموحِّد الأبطحيّ، منشورات مؤسَّسة الإمام المهديّ، قم المقدَّسة، ١٤٠٩هـ).

الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمَّد بن النعمان العكبريّ (ت٤١٣هـ).

٢٢. الأمالي (تحقيق: حسين الأستاد ولي، عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م).

النجاشيّ، أبو العبَّاس أحمد بن عليّ بن أحمد بن العبَّاس (ت٤٥٠هـ).

٢٣. رجال النجاشيّ ، فهرست أسماء مصنِّفي الشيعة، (ط٥، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ ، قم المقدَّسة، ١٤١٦هـ).

ابن النديم، محمَّد بن إسحاق البغداديّ (ت٤٣٨هـ).

٢٤. الفهرست (تحقيق: رضا تجدد، د.ت).

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ).

معجم البلدان (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٧٩م).

ثانيًا: المراجع (الكتب والمقالات والرسائل الجامعيَّة).

الأمين، السيِّد محسن عبد الكريم الحسينيّ (ت١٣٧١هـ).

٢٥. أعيان الشيعة (تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، د.ت).

البحراني، السيِّد هاشم (ت ١١٠٧هـ).

٢٦. غاية المرام وحجَّة الخصام في تعيين الإمام عن طريق الخاصِّ والعام (تحقيق: السيِّد عليّ عاشور، د.ت).

٢٧. مدينة المعاجز (تحقيق: مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة بإشراف الشيخ عزَّة الله المولائيّ الهمدانيّ، بهمن، قم، ١٤١٣هـ).

بحر العلوم، السيِّد مهدي.

٢٨. الفوائد الرجاليَّة (تحقيق وتعليق: محمَّد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مطبعة أفتاب، طهران، ١٣٦٢ش).

البروجرديّ، السيِّد عليّ.

٢٩. طرائف المقال (تحقيق: السيِّد مهدي رجائي، ط١، بهمن، قم، ١٤١٠هـ).

البغداديّ، إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ).

٣٠. إيضاح المكنون (تصحيح: محمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت).

التفرشيّ، السيِّد مصطفى بن الحسين الحسينيّ (ت ق١١هـ).

٣١. نقد الرجال (تحقيق: مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، منشورات آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٨هـ).

الحرُّ العامليّ، الشيخ محمَّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ).

٣٢. أمل الآمل (تحقيق: السيِّد أحمد الحسينيّ، قم، ١٣٦٢ش).

٣٣. وسائل الشيعة (تحقيق: أحمد رضا الجلاليّ، ط٢، مهر، قم، ١٤١٤هـ).

الخوئيّ، السيِّد أبو القاسم بن عليّ أكبر بن هاشم تاج الدين (ت١٤١١هـ).

٣٤. معجم رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة (طبعة منقَّحة ومزيدة، ط٥، ١٩٩٢م).

الطهرانيّ، آغا بزرك.

٣٥. الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣).

القمّيّ، عبَّاس محمَّد رضا (ت١٣٥٩هـ).

٣٦. الكنى والألقاب (تقديم: محمَّد هادي الأمينيّ، مكتبة الصدر، طهران، د.ت).

اللجنة العلميَّة في مؤسَسة الإمام الصادق عليه السلام.

٣٧. موسوعة طبقات الفقهاء (إشراف: جعفر السبحانيّ، ط١، مطبعة اعتماد، قم، ١٤١٨هـ).

مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام.

٣٨. مجلَّة تراثنا (مهر، قم، ١٤٠٩هـ).

الموسويّ، نوفل شيبة حمزة.

٣٩. كتب مناقب أئمَّة آل البيت عليهم السلام دراسة في بدايات وأسباب ومناهج التأليف حتَّى نهاية القرن السابع الهجريّ (رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٢م).

ناصر، عبَّاس جاسم.

٤٠. النشاط الحديثيّ لدى علماء الإماميَّة في القرنَين الرابع والخامس الهجريَّين (بحث منشور في مجلَّة دراسات تاريخيَّة، المجلد١، ملحق العدد ٣٢، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، ٢٠٢٢م).

النوريّ الطبرسيّ، ميرزا حسين (ت١٣٢٠هـ).

٤١. خاتمة المستدرك (تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ستاره، قم، ١٤١٦هـ).

٤٢. نفس الرحمن في فضائل سلمان (تحقيق: جواد القيوُّميّ الأصفهانيّ، ط١، بتكوين، ١٤١١هـ).

مناقب السيِّدة الزَّهراء في كتاب (ينابيع المودَّة لذويي القربى) لمؤلِّفه سليمان القندوزيّ الحنفيّ

أ.د. فراس سليم حيَّاوي
جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة
أ.د. وفاء كاظم ماضي
جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

ملخَّص البحث

جاء في الحديث النبويِّ الشَّريف قوله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني**». ومن هذا المنطلق كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، سيِّدة نساء العالمين، وكان الحديث عنها وتدوين سيرتها الشريفة محطَّ اهتمام المؤرِّخين قديمًا وحديثًا، وإحصاء مناقبها الشريفة؛ لتكون منارًا دنيويًّا ينتفع به الجميع، وينهلون من سيرتها العطرة دروسًا ذات أثر مميَّز في المجتمعات.

وكان الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ المولود عام ١٢٢٠هـ، والمتوفَّى عام ١٢٩٤هـ، واحدًا ممَّن اهتمَّ بإحصاء مناقبها الشريفة في كتابه (ينابيع المودَّة لذوي القربى)، والمتكوِّن من أجزاء أربعة، اختصَّ الشرح فيها لمناقب أهل البيت عليهم السلام، وأفرد الجزء الثاني، في بابَين منفصِلَين، الحديث عن مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء، ووالدتها السيِّدة خديجة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المقدِّمة

موضوع مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيِّدة نساء العالمين، كان وما زال محطَّ اهتمام المؤرِّخين ورجال الدين، بل وحتَّى عامَّة الناس؛ لمكانتها الدينيَّة المهمَّة في نفوس الجميع، فمكانتها لا تستطيع أي سيِّدة أخرى الوصول لها، وهذا ما جاء وأكَّد عليه رسول الله في الكثير من أحاديثه الشريفة، فقد جاء في الحديث الشريف «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعبد الرحمان بن عوف:.. **ولو كان الحُسن شخصًا لكان فاطمة، بل هي أعظم. إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**».

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله، قال: «**وأفضل العالمين من نساء الأوَّلين والآخِرين فاطمة**».

وانطلاقًا من هذه المكانة، تزايدت الكتب والدراسات قديمًا وحديثًا، للكتابة عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومنهم الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ، المولود عام (١٢٢٠هـ)، والمتوفَّى عام (١٢٩٤هـ)، والذي قام بأحصاء الأحاديث الواردة في مناقبها، هي وبيت آل النبوَّة عليهم السلام في كتابه الشهير (ينابيع المودَّة لذوي القربى)، الذي طُبِع للمرَّة الأولى في اسطنبول عام ١٣٠٢هـ، بعدها طُبِع في طهران عام ١٣٠٨هـ، والذي ضمَّ مقدِّمة، و(١٠٠) باب توزَّعت على أجزاء أربعة.

جاء البحث بعنوان (مناقب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في كتاب ينابيع المودة لذوي القربى لمؤلِّفه سليمان القندوزيّ الحنفيّ)، وتألَّف البحث من مقدِّمة ومحاور عدَّة، وخاتمة واستنتاجات.

جاء تقسيم البحث لمحاور عديدة، استنادًا للمادَّة الموجودة في كتاب القندوزيّ، حيث تمَّ إحصاء الأحاديث المختصَّة بالسيِّدة فاطمة عليها السلام، وتصنيفها حسب المواضيع، لهذا قُسِّم البحث على محاور عديدة، وهي كالآتي:

- ولادتها.
- اسمها الشريف.
- سيِّدة نساء العالمين.
- مكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله.
- زواجها من الإمام عليّ عليه السلام.
- منزلتها وأهل بيتها في الدنيا والآخرة.
- وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وذكر وفاتها عليها السلام.

تمَّ في هذه المحاور إيراد الأحاديث الواردة في كتاب القندوزيّ، وحسب ما وردت بالكتاب، فقد كان ورودها بشكلٍ غير منتظم، وتوزَّعت على أبواب الجزء الثاني، وتحديدًا الأبواب (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، (٥٨) وبروايات متعدِّدة، وبعد إيراد الأحاديث تمَّ تعزيزها بروايات أخرى وردت في أمَّهات الكتب؛ لدعم ما ورد من أحاديث، وأحيانًا أخرى لذِكر معلومات مهمَّة غفل عنها صاحب الكتاب، الذي جاء أسلوبه ناقلًا للأحداث أكثر من كونه محلِّلًا أو معلِّقًا عن الأحاديث، فبالرغم من اعتماده على مصادر ومراجع تعدُّ من أمَّهات الكتب، لكن منهجه جاء مرتبكًا وغير موحَّد، فهناك عدم وضوح في توزيع الأحاديث على الأبواب، وكثرة التكرار للحديث نفسه، ولذات المصدر والراوي في الباب نفسه.

أمَّا الخاتمة، فقد تضمَّنت أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، مع إيراد لتوصيات نتجت بعد إعداد البحث.

اعتمدنا في كتابة البحث على المنهج التاريخيّ الوصفيّ والتحليليّ في الوقت ذاته، فالمنهج الوصفيّ استُخدم في نقل تفاصيل كتاب القندوزيّ، وحسب ما وردت بالكتاب دون أي تغيير، أمَّا المنهج التحليليّ فاعتُمِد في إيراد الروايات الساندة لمعلومات الكتاب نفسه، وبيان الصَّواب أو الخلاف في بعض الأحاديث من خلال تحليلها، للوصول للحقيقة، أو الرواية الأقرب إلى الصَّواب.

اعتمدنا على عدد من المصادر والمراجع في كتابة محاور البحث، ولعلَّ أبرزها، الذي يشكِّل العمود الفقريّ للمادَّة العلميَّة، كتاب القندوزيّ (ينابيع المودَّة لذوي القربى)، كونه المحور أو الأساس لمحاور البحث.

والمصادر التاريخية المهمَّة الأخرى، مثل كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعوديّ، وكتاب (تاريخ الطبريّ) للطبريّ، و(بحار الأنوار) لمحمَّد باقر المجلسيّ.

وعززت هذه المصادر بمراجع مهمَّة أوردت معلومات عزَّزت البحث بمعلومات لم نجدها بالمصادر الأصليَّة، ولعلَّ أبرزها كتاب (سيرة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام) للعلَّامة الشيخ عبدالله البحرانيّ الأصفهانيّ، وكتاب (قبس من نور السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام) للشيخ حسن الشمَّريّ الحائريّ، وكتاب (الخصائص الفاطميَّة) لمؤلفه محمَّد باقر الكجوريّ.

حياة مؤلِّف الكتاب

هو سليمان بن إبراهيم الحسينيّ البلخيّ الحنفيّ القندوزيّ، ولِد في قندوز في أفغانستان عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٠٥م[1]، وقيل إنَّ اسمه هو سليمان بن خواجة كلان إبراهيم بن بابا خواجة القندوزيّ البلخيّ الصوفيّ، وتوفِّي عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٨م،

(١) محمَّد صادق محمَّد الكرباسي، معجم الشعراء الناظمين في الحسين عليه السلام، ج٢، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١١، ص٣١٩.

وكان يقيم في القسنطينة[1]، وقيل إنَّه ولِد في بلخ، وآخرون قالوا ولِد في قندوز، ومنها جاء لقبه، نال تحصيله الدراسيّ في بخارى، ونال الإجازة من أعلامها، سافر بعدها إلى الهند وبلاد الأفغان، والتقى بكبار المشايخ، بعدها رجع إلى موطنه (قندوز)[2]، وبقي فيها ناشرًا للعلم، وبنى فيها جامعًا ومدرسة، وفي عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م، سافر مع (٣٠٠) ثلاثمائة شخص من أهل العلم إلى بغداد، مارًّا بأيران، فأكرمَ والي بغداد مَقدَمه هو وأصحابه، بعدها قرَّر السفر إلى مقرِّ الخلافة العثمانيَّة (استانبول)، فمرَّ خلال سفره بالموصل وديار بكر، وقيل إنَّه أطال المكوث بهذه البلدان لمدة ثلاثة أعوام قبل وصوله إلى مدينة (قونية) التي بقي فيها ثلاثة أعوام وستَّة أشهر، حتَّى كان عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، فتوجَّه إلى مركز الخلافة، حيث شمله اهتمام وعطف السلطان (عبدالعزيز)[3]، وتمَّ تعيينه في مشيخة الشيخ مراد البخاريّ، وبقي في عمله هذا مجدًّا، فلا يكاد يمرُّ يوم دون تأليف أو دراسة[4].

لم يصل من مؤلَّفاته سوى ثلاثة كتب، أشار لها في كتابة ينابيع المودَّة، وهي:

١. أجمع الفوائد.
٢. مشرق الاكوان.
٣. ينابيع المودة، وهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من تأليفه[5].

(١) محمَّد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، مكتبة المثنى، بيروت، د.ت، ص٢٥٢.

(٢) هذا ما يؤكِّد أنَّه ولد في فندوز وليس في منطقة بلخ، حسب ما جاء في بعض المصادر.

(٣) السلطان عبد العزيز (١٨٣٠-١٨٧٦): هو السلطان الثاني والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، ابن السلطان محمود الثاني، امتاز عمره بكثرة الإصلاحات على يد عدد من معاونيه، ويعدُّ السلطان الوحيد الذي قام بزيارات خارجيَّة، فقد زار عدد من الدول الأوربيَّة، مثل ألمانيا وفرنسا ومصر، تمَّ خلعه بتدبير من الدول الأوربيَّة عام ١٨٧٦. للمزيد ينظر: عيسى الحسن، الدولة العثمانيَّة، عوامل البناء وأسباب الانهيار، الأردن، ٢٠٠٩: ص٢٩٣-٢٩٥.

(٤) إسماعيل الباشا البغداديّ، هديَّة العارفين، ج١، المطبعة البحثيَّة، اسطنبول، ١٩٥١، ص٤٨.

(٥) سليمان بن إبراهيم القندوزيّ، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد علّي جمال أشرف، المجلَّد الأوَّل، ط٢، إيران، ١٤٢٢هـ، ص١٨.

عُرِف عنه أنَّه من أعلام الحنفيَّة، وأساطين النقشبنديَّة في الطريقة، وقد كتب ولده وخليفته الشيخ سيِّد عبد القادر أفندي في ترجمة حياة والده، أنَّه كان حنفيّ المذهب، نقشبنديّ المشرب[1]، وقيل إنَّه ينتسب إلى السلالة الحسينيَّة، لكن لا يوجد ما يؤكِّد صحَّة هذا الادِّعاء وتفاصيله.

توفِّي في شهر شعبان من عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، في القسنطنطينيَّة، ودُفِن في مقبرته الخاصَّة في خانقاه المراديَّة[2].

شرح كتاب ينابيع المودَّة لذوي القربى

ظهر التدوين بالمناقب في وقتٍ مبكِّر، لكنَّه كان تدوينًا عامًّا وليس خاصًّا، يضمن ما ينقله الرواة حسب ما سمعوه أو شاهدوه، وهي بذلك تعدُّ موضوعًا من مواضيع الموسوعات الحديثة، أو موسوعة خاصَّة تدرج تحت عنوان المناقب أو الفضائل.

وفي الموسوعات الحديثة وردت أسماء الصحابة وآل البيت عليهم السلام تحت عنوان مناقب، وليس موسوعة، وأحيانًا تُفرَد لهم كتب خاصَّة لمناقبهم، وفي الغالب تُقسَّم هذه الكتب أو الموسوعات إلى أنواع ثلاثة:

١. مناقب النبيّ صلى الله عليه وآله ومعجزاته وصفاته.
٢. مناقب أهل البيت عليهم السلام، وقرابة النبيّ صلى الله عليه وآله عامَّة.
٣. مناقب الصحابة والتابعين عامَّة.

ومناقب أهل البيت عليهم السلام هي تسجيل لسيرتهم الذاتيَّة؛ لأنَّ حياتهم كانت فضيلة ومنقبة، فلا وجود للزلل أو الخطأ فيها، فهم معصومين عن الخطأ، فحياتهم كلُّها خير وعطاء، وهم منزَّهون عن الرِّجس ومطهَّرون، فهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وجزء منه، يسخط لسخطهم، ويرضى لرضاهم، يحارب من يحاربهم، ويسالم من يسالمهم.

(١) ينابيع المودَّة، ص١٨.
(٢) المصدر نفسه، ص١٩.

أراد الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ تأليف موسوعة تضمُّ مناقب أهل البيت عليهم السلام، لكنَّه لم يوفَّق لهذا الشيء، وخرج هذ الكتاب الذي جاء شبيهًا بالموسوعة؛ لأنَّه ضمَّ كتبًا عديدة، وجمع فيه كتب أخرى ضمَّت مناقب أهل البيت عليهم السلام[1].

تميَّز الكتاب باعتماده على أمَّهات الكتب، لكنَّ منهجه جاء مرتبكًا وغير موحَّد أو واضح، وخاصَّة فيما يتعلَّق بعدم الوضوح في توزيع الأحاديث على الأبواب، وكثرة التكرار للحديث الواحد، ولنفس المصدر أو الراوي، وفي الباب ذاته، فنجده في مواضع عدَّة يعيد الحديث بعد صفحة أو اثنين[2].

ولاحظنا أيضًا عدم وحدة الموضوع في الكتابة، فعلى سبيل المثال ورد ذِكر السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الأبواب (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، وبأحاديث تمَّ تكرارها لأكثر من مرَّة، فالأحرى به أن يفرد لكلِّ شخص باب واحد فقط، يورد فيه الأحاديث التي وردت في تسجيل مناقبه، ليكون من السهل الرجوع إليها.

ومهما يكن من هفوات وردت في الكتاب، لكنَّه يعدُّ مرجعًا مهمًّا من المراجع التي دوَّنت مناقب أهل البيت عليهم السلام أجمعين.

طُبع الكتاب الموسوم (ينابيع المودَّة لذوي القربى) في اسطنبول عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، بعدها طُبع في طهران عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م[3].

تألَّف الكتاب من أجزاء أربعة، وضمَّ (١٠٠ باب)، وُزِّعت بالشكل الآتي[4]:

الجزء الأوَّل:

ضمَّ مقدِّمة المحقِّق (السيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ)، تمَّ التعريف بالكتاب، وبعدها التعريف بمؤلِّفه، تبعها خطبة الكتاب.

(١) ينابيع المودَّة، ص١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣.
(٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: الأجزاء الأربعة من كتاب ينابيع المودَّة لذوي القربى.

ضمَّ هذا الجزء (٥٢) اثنان وخمسون بابًا، جاء أغلبها في بيان فضائل الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام عليّ عليه السلام، ومنزلته المقربَّة من الرسول صلى الله عليه وآله.

الجزء الثاني:

ضمَّ الأبواب من الثالث والخمسون (٥٣) إلى التاسع والخمسون (٥٩)، أي سبعة أبواب فقط، ذكر فيها فضائل بيت النبوَّة عليهم السلام، والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، التي جاء ذِكرها في الأبواب (٥٥، ٥٦، ٥٧) بشكلٍ مفصَّلٍ، وإن ورد ذِكرها في الأبواب الأخرى أثناء الحديث عن مناقب سيِّدَي شباب أهل الجنَّة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وأيضًا ورد من خلال الحديث عن والدتها سيِّدة نساء العالمين، السيِّدة خديجة عليها السلام.

الجزء الثالث:

ضمَّ هذا الجزء أربعون (٤٠) بابًا، من الباب الستُّون (٦٠) إلى الباب (١٠٠)، ذكر فيها مناقب أهل البيت عليهم السلام، وحسب ما وردت في كتب ومراجع متعدِّدة، بدءًا من الإمام زين العابدين عليه السلام، وصولًا للأمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وبنهاية الجزء الثالث تنتهي أبواب الكتاب المئة (١٠٠)، والتي حاول من خلالها إحصاء كلِّ الأحاديث والمناقب الواردة في ذِكر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

الجزء الرابع:

جاء هذا الجزء بمثابة محلق أكثر من كونه جزء، ضمَّ معلومات جديدة، فهو عبارة عن فهارس لما ورد في الأجزاء الثلاثة، وكان هذا السياق في الكتابة معروف لدى عدد كبير من المؤرِّخين، هو إدراج جزء إضافي، ليكون ملحقًا يضمُّ فهارس للكتاب الأصليّ، وهذه الفهارس هي:

- فهرس الآيات القرآنيَّة.
- فهرس الأحاديث النبويَّة الشريفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس مصادر المؤلِّف.
- فهرس مصادر التحقيق.
- فهرس الموضوعات.

مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كما وردت في الكتاب

ورد ذِكر سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام في أحاديث عديدة في أجزاء الكتاب الثلاثة، وخاصَّة الجزئَين الأوَّل والثاني بِشكلَين، الأوَّل غير مباشر، من خلال الحديث عن مناقب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، أو سيِّدنا الإمام عليّ عليه السلام، الذي كان له النصيب الأكبر من الأحاديث الواردة في أجزاء هذا الكتاب، أمَّا الشكل الآخر، فقد جاء مباشرًا في الأبواب (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، (٥٨)، فقد ورد الباب (٥٥) تحت مسمَّى (فضائل خديجة الكبرى، وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام)، وشمل الصفحات من ٤٧-٦٨، وفيه ذَكَر، نقلًا عن روايات عديدة، جملة من الأحاديث والروايات عن مناقبهما، أما الباب (٥٦) فقد جاءت فيه فقرات عدَّة عن فضائل أهل البيت عليهم السلام، والتي نقلها من مصادر عديدة، وعلَّق عليها وأضاف، وجاءت الإشارات بشكل غير منتظم، وفيه تكرار كثير، ممَّا شتَّت القارئ الذي شعر بالتكرار في نفس الموقع أحيانًا، وفي هذا الباب، وبالفقرة الحادية عشر تحديدًا، والتي جاءت تحت مسمَّى (المودَّة الحادية عشر في فضائل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله)، فقد توسَّع في هذه الصفحات في ذِكر المناقب التي شغلت الصفحات ٣١٩-٣٤٢.

أمَّا في البابَين (٥٧)، (٥٨)، فقد كان ذكرها عليها السلام بشكلٍ مباشر في مكانتها هي وولديها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام.

حاولنا قدر الإمكان استعراض هذه الإشارات، وتوحيد المتشابه منها؛ لعدم التكرار، والتعليق عليها، ودعم ما ورد من إشارات بما يعزِّزها بالمصادر التاريخيَّة؛ لبيان صحَّة أو عدم صحَّة بعض الإشارات.

ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام

لم يتطرَّق القندوزيّ في الأحاديث التي نقلها لنا، كثيرًا إلى التاريخ الدقيق لولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام، فقد ذَكَر «وفي الإصابة: كانت ولادة فاطمة بعد البعثة، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله، وأحبهنَّ إليه»(١).

تذكر المصادر التاريخيَّة، ومنهم الشيخ الطوسيّ أنَّ ولادتها عليها السلام كانت في ٢٠ من شهر جمادى الآخر، وصادف يوم جمعة، في السنة الثانية للبعثة(٢).

وذكر أبو الفرج الأصفهانيّ في كتابه (مقاتل الطالبيين) أنَّ ولادتها كانت قبل النبوَّة، عندما كانت قريش تبني الكعبة(٣)، أمَّا الكافي في رواية أخرى، فيقول إنَّ ولادتها كانت بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين(٤).

وفي المناقب رويَ أنَّها ولِدت بمكَّة بعد المبعث بخمس سنين، وبعد الأسراء بثلاث سنين، في العشرين من جمادى الآخرة(٥).

وموضوع تاريخ ولادتها عليها السلام فيه خلافٌ كبير، ونحن لسنا بصدد هذا الموضوع الشائك، ولكنَّ الهدف هو الوقوف على أصحِّ الروايات وأدقِّها، وذلك تعزيزًا لما ذكره القندوزيّ في كتابه، وبعد الرجوع إلى المصادر القيِّمة، ومنها المسعوديّ في كتابه

(١) سليمان بن إبراهيم القندوزيّ، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧، أبو الفضل أحمد عليّ بن محمَّد ابن أحمد بن حجر العسقلانيّ، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت، ص٣٧٧.

(٢) السيِّد صباح العسكريّ، هذه فاطمة الزَّهراء عليها السلام، بابل، ٢٠١٣، ص٧.

(٣) عليّ بن الحسين بن محمَّد، أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيِّين، تحقيق: السيِّد أحمد الصقر، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص٣٠، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، سيرة سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الجزئَين الأوَّل والثاني، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٩.

(٤) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي في الأصول والفروع، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، ج١٠، ط٥، مطبعة الخيام، قم، د.ت، ص٤٥٧، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٣٠.

(٥) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٣٣.

(مروج الذهب)، فيؤكِّد أنَّ ولادتها كانت بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وآله، فيقول: «وولِد له عليه الصلاة والسلام بعدما بُعِث عبد الله، وهو الطيِّب، والطاهر، الثلاثة الأسماء له، لأنَّه والد في الاسلام، وفاطمة، وإبراهيم»[1]، وأكَّدت هذه الرواية مصادر أخرى، مثل (سيرة الأئمَّة الاثنى عشر)، فقد ذكر: «وكانت ولادتها في الساعات الأولى من فجر يوم الجمعة في العشرين من جمادي الثانية، بعد المبعث النبويّ بخمسة أعوام، حسب ما أكَّده التاريخ الصحيح.. وقد جرى احتفال كبير يوم مولدها، لم تشهده مكَّة من قبل»[2].

التسمية

أورد القندوزيّ في مواقع متفرِّقة أحاديث عن تسمية السيِّدة فاطمة عليها السلام، وسبب تسميتها بهذا الاسم تحديدًا، فيذكر نقلًا عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**إنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الله تعالى فطمها وفطم محبِّيها من النار**»[3]. وفي موقع آخر من الباب (٥٨)، ذكر سبب التسمية الشريفة، وقال عن عليّ عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة تدرين لـمَ سمَّيتك فاطمة؟**

قالت: **لا يا رسول الله.**

قال عليّ: **لـمَ سمِّيت فاطمة يا رسول الله؟**

قال: **إنَّ الله قد فطمك وذريَّتك من النار**[4].

وذَكر أنَّ هذا الحديث «أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقيّ، ونقله المحبّ الطبريّ، عن مسند عليّ بن موسى الرِّضا بزيادة: من أحبَّتهم».

(١) أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: الشيخ قاسم الشماعيّ الرفاعيّ، مجلد٢، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٩٨.
(٢) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٣٤.
(٣) القندوزيّ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٣-٣٥٤.

وفي موقع آخر ذكر سبب تسميتها بالبتول، فذكر «عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **وإنَّما سمِّيت فاطمة البتول؛ لأنَّها تبتَّلت من الحيض والنِّفاس؛ لأنَّ ذلك عيب في بنات الأنبياء**- أو قال- **نُقصان**»[1].

وكان لها عليها السلام أسماء عديدة، لم يذكر لنا القندوزيّ، منها سوى البتول، ولعلَّ أهمَّها[2]:

١. فاطمة: وتعني فطمها الله من كلِّ سوء.
٢. البتول: التي تعني ابتلها الله، حيث كانت لا ترى كما تراه النساء من حمرة الدَّم (يقصد هنا الحيض والنفاس).
٣. المحصنة: تعني من حصنها الله من مرديات الدنيا وما فيها.
٤. الحرَّة: لأنَّها حرَّة في عبادتها لله، ولم تؤثِّر عليها نعرات قريش والجاهليَّة.
٥. السيِّدة: فهي سيِّدة نساء العالمين، وهي سيِّدة شريفة جليلة مؤمنة صابرة.
٦. العذراء: لأنَّها عذراء طاهرة مطهَّرة.
٧. الزَّهراء: وهي الزَّاهرة في دينها وعبادتها وتلاوتها للقرآن الكريم، فهي زهرة في الأرض والسماء، كما هي زهرة في الدنيا والآخرة.
٨. الحوراء: هي حوراء أنسيَّة، نزلت من صُلب رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما تناول من ثمار الجنَّة.
٩. المباركة: لأنَّ الله سبحانه وتعالى بارك فيها وفي دينها، كما بارك في زوجها وذريَّتها.
١٠. الطاهرة: لأنَّها طاهرة من الذنوب والعيوب.

(١) القندوزيّ، المصدر السابق، ص٣٢٢.

(٢) محمَّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٣٤، وزارة الإرشاد، بيروت، ٢٠١٩، ص١، حسين الشيخ هادي القرشيّ، شذرات من حياة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، ٢٠١١، ص٢٨-٣٠.

١١. الزكيَة: مزكَّاة من الله؛ لتقواها وإيمانها.

١٢. الراضية: وهي الراضية بقضاء الله وحكمه.

١٣. المرضيَّة: رضيت بالله ربًّا، فرضي الله عنها ورضي الرسول صلى الله عليه وآله عنها، وكذلك زوجها الإمام عليّ عليه السلام رضي عنها.

١٤. مريم الكبرى: لأنَّها كانت أفضل من السيِّدة مريم العذراء، فهي أفضل حَسَبًا ونَسَبًا.

١٥. الحانية: عُرِفت بشفقتها على أبيها وزوجها وأولادها.

١٦. النوريَّة السماويَّة: الزَّهراء مقتبسة من نور الله، فكان لها نورٌ ساطعٌ لامع.

١٧. المحدِّثة: فقد روي أنَّها حدَّثت أمَّها وهي في بطنها، وذَكر جعفر بن محمَّد ابن عيسى بن زيد بن عليّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إنَّما سمِّيت فاطمة محدِّثة؛ لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران**[1]، **فتقول: يا فاطمة!** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»[2]، وقولهم لها- أي لفاطمة- كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3].

١٨. الصدِّيقة الكبرى: لأنَّها صدَّقت وآمنت برسالة والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، في الوقت الذي كذَّبته قريش.

والأشهر أنَّ لها (٩) أسماء، هي: **فاطمة، المدوِّنة، المباركة، الطاهرة، الزكيَّة، المرضيَّة، المحدَّثة، الزَّهراء، البتول**[4].

---

(١) عبد الله الصالحيّ وآخرون، مؤسَّسة كلمات سيرتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام، طهران، ٢٠٠٨، ص٢٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٤) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٤٥.

وقيل إنَّ لها اسماء في السماء، هي: **النوريَّة، السماويَّة، الحانية**[1].

وعُرِفت أيضًا (سلام الله عليها) باسم (أم أبيها)، فذُكِر أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كناها: أمُّ الحسن، وأمُّ الحسين، أمُّ المحسن، أمُّ الأئمَّة، وأمُّ أبيها[2].

وهذه الكنى والألقاب لم يذكرها القندوزيّ في كتابه، فقد اكتفى بذِكر اسمها فاطمة، ولقبها البتول، وربَّما يعود ذلك إلى أنَّ اسمها هو الأشهر، وله دلالات عديدة كانت وراء تسميتها من قِبَل الرسول صلى الله عليه وآله، فقد وردت أحاديث وروايات عديدة عن معنى هذا الاسم الشريف، نذكر بعضًا منها:

١. روى العلَّامة المجلسيّ في بحار الأنوار عن الصادق عليه السلام، قال: «**سمِّيت فاطمة؛ لانقطاعها عن نساء زمانها فضلًا ودينًا وحسبًا**، وقيل: **لا نقطاعها عن الدنيا إلى الله**»[3].

٢. روي في البحار قال[4]: «سمِّيت فاطمة؛ لانقطاعها عن الفواطم التسعة»[5].

---

(١) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٤٥.

(٢) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ج٤٣، ص١٥، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ص١٥، محمَّد باقر الكجوريّ، الخصائص الفاطميَّة، ترجمة: سيِّد عليّ جمال أشرف، ج١، منشورات الشريف الرضيّ، د.م، ١٣٨٠هـ، ص٢٨٩.

(٤) محمَّد باقر الكجوريّ، المصدر السابق، ص٢٩٠.

(٥) الفواطم التسعة: (١) قرشيَّات، (٢) يمانيَّات، (٢) قيسيَّات، وهنَّ:

١. فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزوميّ، أم عبد الله بن عبد المطَّلب.
٢. فاطمة بنت زراح بن ربيعة.
٣. فاطمة بنت سعد بن سيل، الجدَّه الخامسة للرسول صلى الله عليه وآله، وأم جدَّة قصي.
٤. فاطمة بنت النضر بن عوف.
٥. فاطمة بنت قصي.
٦. فاطمة أم خديجة.=

٣. عن الباقر عليه السلام قال: «**لـمَّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك فأطلق به لسان محمَّد صلى الله عليه وآله فسمَّاها فاطمة، ثـمَّ قـال: أنِّي فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث**»[١].

وعن المناقب لابن شهرآشوب: الصادق عليه السلام قال نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا سمَّيت فاطمة؛ لأنَّها فطمت عن الطمث**»[٢].

٤. عن البحار، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**سمِّيت فاطمة فاطمة لفطمها عن الدنيا ولذَّاتها وشهوتها**»[٣].

٥. قيل عن عبد الله المحض بن الحسن المثنى عن أبي الحسن السجَّاد عليه السلام قال: «**قال لي ابو الحسن عليه السلام: لمَ سمِّيت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقًا بينه وبين الأسماء، وقيل إنَّ الله تعالى هو من أسماها بها الاسم، وجعل في ذريَّتها الوراثة، فقطع عن الناس ما كانوا يطمعون فيه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبهذا سمِّيت فاطمة؛ لأنَّها فطمت طمعهم، ومعنى فطمت: (قطعت)**»[٤].

٦. نقلًا عن بحار الانوار، عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «**من عرفها حقَّ معرفتها أدرك ليلة القدر، وإنَّما سمِّيت فاطمة؛ لأنَّ الخلق فُطِموا عن كُنه معرفتها**»[٥].

---

٧. فاطمة بنت أسد.

٨. فاطمة بنت الزبير.

٩. فاطمة بنت حمزة.

وهذا يدلُّ على أنَّ الاسم الشريف كان متداوَلًا وشائعًا قبل الاسلام. للمزيد ينظر: محمَّد باقر الكجوريّ، المصدر السابق، ص٢٧٩-٢٨٠.

(١) المصدر نفسه، ص٢٩١.

(٢) أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، النجف الأشرف، ١٩٥٦، ص١١٠، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٤٨.

(٣) محمَّد باقر الكجوريّ، المصدر السابق، ص٢٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٩٨.

(٥) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ص٦٥، محمَّد باقر الكجوريّ، المصدر السابق، ص٢٩٩.

٧. نقلًا عن البحار، ونقلًا عن الإمام محمَّد الباقر عليه السلام قال: «**إنَّما سمِّيت فاطمة بنت محمَّد (صلَّى الله عليهم) الطهارة لطهارتها من كلِّ دَنس، وطهارتها من كلِّ رفث، وما رأت يومًا قطُّ حمرةً ولا نفاسًا**»(١).

فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: «ما رأت فاطمة عليها السلام في نفاسها دمًا ولا حيضًا»(٢).

ونقلًا عن تاريخ دمشق: «لم يُرَ لفاطمة عليها السلام دمٌ في حيضٍ ولا نِفاس»(٣).

فكان من مناقبها أنَّها كانت لا تحيض، وكانت إذا ولَدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتَّى لا تفوتها صلاة(٤).

٨. عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**إنِّي سمَّيت ابنتي فاطمة لأنَّ الله عزَّ وجلَّ فطمها وفطم من أحبَّها عن النار**»(٥).

وعن جعفر بن محمَّد بن عليّ عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة، أتدرين لم سمِّيت فاطمة؟ فقال عليّ عليه السلام: يا رسول الله لم سمِّيت؟ قال: لأنَّها فُطِمت هي وشيعتها من النار**»(٦).

٩. ذُكِر في بحار الأنوار أنَّ فاطمة البتول سمِّيت بهذا الاسم؛ «لأنَّها فُطِمت وبُتِّلت عن النَّظير»(٧).

بمعنى أنَّها مفطومة منقطعة عن المثيل، أي لا ندَّ لها ولا نظير في الدنيا، وهذا يفسِّر

---

(١) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ص١٩؛ محمَّد باقر الكجوريّ، المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٢) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٥٨.

(٣) أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقيّ، تاريخ دمشق، ج١٩، تحقيق: عمر ابن غرامة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص١٢.

(٤) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٥٩.

(٥) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ص١٢.

(٦) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٤٧.

(٧) محمَّد باقر المجلسيّ، المصدر السابق، ص١٦.

كونها سيِّدة نساء العالمين، والذي وردت في سبب هذه التسمية أحاديث عديدة، والتي نقل القندوزيّ الكثير منها في كتابه.

سيِّدة نساء العالمين

من أشهر مناقب السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّها عُرِفت بسيِّدة نساء العالمين، وقد أورد القندوزيّ أحاديث عديدة حول هذه المسألة؛ لكنَّها جاءت متفرِّقة، ولم يوردها في بابٍ واحدٍ، أو مجتمعة في موضعٍ واحدٍ، وسوف نوردها حسب ورودها أوَّل مرَّة، بمعنى نتابع التسلسل في ورودها في أبواب الكتاب.

الباب الخامس والخمسون:

جاء ذِكرها في مواضع عدَّة، فعن الترمذيّ، عن أنس: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**حسبُك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وآسية امرأة فرعون**». «هذا حديثٌ صحيح»[1].

ونقل عن صحيح البخاريّ: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»[2].

وفي موضع آخر أورد لنا عن الترمذيّ، نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**حسبُك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وآسية امرأة فرعون**»[3].

ويعرِّج مرَّة أخرى عن كونها سيِّدة نساء أهل الجنَّة، فينتقل عن عكرمة عن ابن عبَّاس قال: «خطَّ النبيّ صلى الله عليه وآله في الأرض خطوطًا أربعة، ثمَّ قال: **أتدرون ما هذه؟**

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٤٨، صحيح مسلم، باب ١٢، ج٢، ص٤٥٩، حديث ٧٢.

(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣، محمَّد بن إسماعيل البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، دار الفكر، د.م، ١٩٩١، ص٢٠٩.

(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٥٤؛ أبو عيسى محمَّد بن عيسى الترمذيّ، سنن الترمذيّ، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف، ج٥، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٦٧، حديث ٣٩٨١.

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **أفضل نساء الجنَّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، ومريم بنت عمران، آسية بن مزاحم امرأة فرعون**»[1].

وهنا نلاحظ تقديم السيِّدة خديجة وفاطمة عليهما السلام على السيِّدة مريم بنت عمران التي جاء ذكرها متقدِّمًا في الأحاديث السابقة.

وجاء تكرار لهذا الحديث في موضع آخر، فذكر عن ابن عبَّاس: «خطَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أربعة خطوط، فقال: **أفضل نساء أهل الجنَّة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»[2].

وهنا جاء ذِكر الحديث مختصرًا عن سابقه، وباختلاف لفظة (أهل الجنة) عن سابقه الذي جاء فيه ذِكر (نساء الجنَّة).

وذَكَر نقلًا عن أبي هريرة: «خير نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة»[3].

وهنا جاء ذِكرها عليها السلام متأخِّرًا، متقدِّمًا عليه ذِكر السيِّدة مريم، وربَّما هو الأصح، كونه اتَّبع التسلسل الزمنيّ لولادتهنَّ (عليهنَّ السلام)، فالسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام هي الأحدث ولادة بالنسبة لمن وردَ ذكرهنَّ في الحديث الشريف.

وآخر الأحاديث في هذا المجال التي أوردها في الباب (٥٥)، فقد ذِكرها عليها السلام دون غيرها من نساء العالمين، فعن أبي سعيد الخدريّ، قال: «سيِّدة نساء أهل الجنَّة فاطمة»[4].

وهذه المكانة المميزة التي حظيت بها عليها السلام إنَّما جاءت إكرامًا لها، ولصبرها، ولهذا بشَّرها الرسول صلى الله عليه وآله بأنَّها سيِّدة نساء العالمين.

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٨، العسقلانيّ، المصدر السابق، ج٤، ص٣٧٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

فقد ذكر القندوزيّ عن عمران بن حصين: إنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله عادَ فاطمة، وهي مريضة، فقال: **كيف أنت يا بنيَّة؟**

قالت: **إنِّي لوجيعة ما لي طعام أكله.**

فقال: **يا بنيَّة الَّا ترضين أنَّك سيِّدة نساء العالمين**[1].

الباب السادس والخمسون:

جاء في هذا الباب ورد حول كونها عليها السلام كانت سيِّدة نساء العالمين، ولكن بروايات مختلفة وأحاديث جاءت منسوبة إلى رواة متعدِّدين، وقسم منها جاء نقلًا عن كتب تناولت مناقب أهل البيت أجمعهم، ومنهم السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

ذكر حديثًا نقلًا عن السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام نفسها، قالت: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: **أمَا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء العالمين، أو نساء أمَّتي**»[2].

وعن أبي الأسلميّ قال: «دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام قال: **أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمَّة كما كانت مريم بنت عمران سيِّدة نساء إسرائيل**»[3].

وفي هذا الباب كرَّر حديثًا عن نساء العالمين، وكان نقلًا عن أنس (رضي الله عنه) قوله صلى الله عليه وآله: «**خير نساء العالين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بن محمَّد** عليهم السلام»[4].

وهنا جاء ترتيب سيِّدات نساء العالمين من الأقدم إلى الأحدث، وحسب الزمان.

وتكرَّر ذِكر الأحاديث الواردة في بيان أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام هي سيِّدة نساء الجنَّة،

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٩، العسقلانيّ، المصدر السابق، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٣.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٣٢١.
(٣) المصدر نفسه، صحيح البخاريّ، ج٧، ص١٤١.
(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٣٣١. نقلًا عن: المناقب للخوارزميّ، ٣٦٣، حديث ٤٠٩.

فنقلًا عن الشيخَين[1]، عن فاطمة مرفوعًا: «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء أهل الجنَّة؟**»[2].

وذَكر في الموضوع ذاته، حديثًا آخر، فقد قال: أخرج الحاكم عن أبي سعيد مرفوعًا: «فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلَّا مريم بنت عمران»[3].

وهذا الحديث يؤكِّد مكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراء، هذه المكانة التي لم يسبقها إليها سوى السيِّدة مريم العذراء (رضوان الله عليها).

واختتم أحاديثه المختصَّة ببيان مكانة السيِّدة الزَّهراء، كونها سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، بحديثٍ متَّفقٍ عليه.

فقد ذكر: أخرج أحمد، والترمذيّ، والنسائيّ، وابن حبَّان، عن حذيفة، نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك، هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الارض قطُّ قبل هذه الليلة، استأذن ربَّه عزَّ وجلَّ أن يسلِّم عليَّ ويبشِّرني أنَّ الحسن والحسين سيِّدَي شباب أهل الجنَّة، وأنَّ فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة**»[4].

هذه مجمل الأحاديث التي أوردها القندوزيّ حول مناقب السيِّدة الزَّهراء بكونها سيِّدة نساء أهل الجنَّة، وسيِّدة نساء العالمين.

حفلت المصادر، سواء التاريخيَّة أم الدينيَّة في إيراد الأحاديث المؤكِّدة على كون السيِّدة الزَّهراء كانت سيِّدة نساء العالمين، وقد حصل خلاف حول أنَّها هل كانت لها مكانة أفضل من والدتها السيِّدة خديجة؟ أم أفضل من السيِّدة مريم العذراء؟ فكان للرسول صلى الله عليه وآله أحاديث حول هذا الموضوع.

(١) ويقصد بهما البخاريّ، ومسلم.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٣٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٧٩، ابن العبَّاس أحمد بن محمَّد بن عليّ بن حجر الهيثميّ، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل الرفض والضلال والزندقة، بيروت، ١٩٩٧، ص١٩١.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٨٠.

فقد ذكر السيوطيّ نقلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**خير رجالكم عليّ، وخير شبابكم الحسين، وخير نسائكم فاطمة**»(١).

وقوله: «**خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها**»(٢).

وعن ابن بريدة الاسلمي قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام، قال: «**أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمَّة كما كانت مريم بنت عمران سيِّدة نساء بني إسرائيل؟**»(٣).

وفي هذَين الحديثَين الشريفَين، تأكيد لما ورد في الأحاديث السابقة، في أنَّ لكلٍّ من السيِّدة فاطمة والسيِّدة مريم مكانتهما، ولكن لكلِّ واحدة عصر مختلف عاشت فيه، وإن كانت للسيِّدة فاطمة مكانة خاصَّة، فقد روي حديث عن الإمام الكاظم عليه السلام أنَّه قال: «**نحن مكتوبون على عرش ربِّنا: مكتوبون محمَّد خير النبيِّين، وعليّ سيِّد الوصيِّين، وفاطمة سيِّدة نساء العالمين**»(٤).

فهي عليها السلام سيِّدة نساء العالمين في الأوَّلين والآخِرين، وهذا ما جعلها تختلف عمَّن سبقها من سيِّدات نساء العالمين، فقد جاء في رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله، نقلاً عن الهمذانيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن جعفر بن سلمة الأهوازيّ، عن إبراهيم بن محمَّد الثقفيّ، عن إبراهيم بن موسى، عن أبي قتادة، عن عبد الرحمن بن علاء الحضرميّ، عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عبَّاس، قال في نهاية حديث طويل: «**فأيُّما امرأة صلَّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجَّت بيت الله الحرام، وزكَّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنَّة بشفاعة**

(١) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠١.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٦.

ابنتي فاطمة، وإنَّها سيِّدة نساء العالمين. فقيل يا رسول الله، أهي سيِّدة نساء عالمها؟ فقال صلى الله عليه وآله: **ذاك لمريم بنت عمران، فأمَّا ابنتي فاطمة فهي سيِّدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين**»[1].

مكانتها عند الرسول صلى الله عليه وآله

كانت للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عند الرسول صلى الله عليه وآله مكانة خاصَّة لا يضاهيها أحد من أبنائه أو أحد من البشر، فقد كانت هي الأحبُّ لقلبه، والأكثر شبهًا له في خلقة الكريم، وقد افرد القندوزيّ الكثير من الاحاديث المؤكدة لهذه المكانة سنحاول استعراضها وحسب ما ورد في الكتاب، وتحديدًا في الجزء الثاني.

١. ذكر نقلًا عن صحيح البخاريّ: عن المسوَّر بن مخرمة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة بضعة منِّي فمن أغضبها أغضبني**»[2].

٢. وفي صحيح مسلم: عن المسوَّر بن مخرمة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **إنَّما فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني من آذاها ويسرُّني ما أسرَّها**»[3].

٣. وفي الترمذي: عن المسوَّر: «**إنَّها بضعة منِّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها**». (هذا حديث حسن صحيح)[4].

٤. وفي الترمذيّ (ايضًا) عن ابن الزبير: «**إنَّما فاطمة بضعة منِّي يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**». (هذا حديث حسن صحيح)[5].

٥. وفي الشفاء: «**إنَّها بضعة منِّي يغضبني ما يغضبها**»[6].

---

(١) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٩٧.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٥٢. نقلًا عن صحيح البخاريّ، ج٤، ص٢١٠.
(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣. نقلًا عن صحيح مسلم، ج٢، ص٤٦٦، حديث ٩٤.
(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣. نقلًا عن: سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٥٩، حديث ٣٩٥٩.
(٥) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣. نقلًا عن سنن الترمذيّ، ج٢، ص٣٦٠، حديث ٣٩٦١.
(٦) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣.

٦. عن الترمذيّ: عن بريدة قال: «كان أحبُّ النساء إلى الرسول صلى الله عليه وآله فاطمة، ومن الرجال عليَّ»[١].

٧. نقلًا عن مشكاة المصابيح: عن جميع بن عمير قال: «دخلت مع عمَّتي على عائشة، فسألت: أيُّ الناس كان أحبّ إلى الرسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالت: فاطمة.

فقيل: من الرجال؟

قالت: زوجها» (رواه الترمذي)[٢].

٨. وفي حديث آخر نقله من مشكاة المصابيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلًّا، وفي رواية: حديثًا وكلامًا لرسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبَّلته وأجلسته في مجلسها» (رواه أبو داوود)[٣].

٩. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر قبَّل نحر فاطمة، وقال: **منها أشمُّ رائحة الجنَّة**»[٤].

هذه مجمل الروايات التي وردت في الباب الخامس والخمسون.

أمَّا الباب السادس والخمسون، فقد أورد أحاديث مشابهة، بل ومتطابقة، لكنَّها جاءت من مصادر أخرى، حاولنا إدراجها، وحسب ما وردت:

١. عن جميع بن عمر رضي الله عنه، قال: «دخلت مع عمَّتي على عائشة رضي الله عنها، فقالت: عمَّتي لعائشة: من كان أحب الناس إلى رسول الله؟

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٤. نقلًا عن سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٦٠، حديث ٣٩٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٥، محمَّد بن عبد الله الخطيب التبريزيّ، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبانيّ، ج٣، ط٣، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧٣٥.
(٣) السمت: الهيبة والطريق، الدلّ: حُسن الخلق ولطف الحديث.
(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٥٥، محمَّد بن عبد الله الخطيب التبريزيّ، ج٣، ص١٣٢٩.

قالت: فاطمة.

قالت: من الرجال؟

قالت: عليَّ (بن أبي طالب)»[1]

ويلاحَظ أنَّه تكرار لما ورد في حديث سبق باختلاف بسيط، فقد وردت هنا كلمة (الناس)، وفي الحديث السابق جاءت لفظة (النساء)، وهنا وردت (عليّ بن أبي طالب)، والحديث السابق فقط (عليّ).

٢. وعن عائشة رضي الله عنها رفعته نقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن آذاها فقد آذاني**»[2].

٣. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قدِم من سفر قبَّل نحر فاطمة، وقال: **منها أشمُّ رائحة الجنَّة**»[3].

تكرَّرت الأحاديث عن مكانتها عند رسول صلى الله عليه وآله في الباب التاسع والخمسون في مواضع عدَّة، هي:

١. حديث أخرجه أحمد والشيخان، وأبو داوود والترمذيّ، عن المسوَّر بن مخرمة مرفوعًا: «**إنَّما فاطمة بضعة منِّي، يريبني ما يريبها، ويؤذيني ما يؤذيها**»[4].

٢. وفي حديث أخرجه أحمد والترمذيّ والحاكم عن ابن الزبير مرفوعًا: «**إنَّما فاطمة بضعة منِّي، يؤذيني ما آذاها، وينحبني ما أنحبها**»[5].

---

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧٨. نقلًا عن ابن العبَّاس أحمد بن محمَّد بن عليّ بن حجر الهيثميّ، الباب ١١، الفصل ٣، ص١٩٠.

٣. وحديث أخرجه الديلميّ عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ فاطمة أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عليَّ منها**»[١].

٤. وعن الترمذيّ والحاكم عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أحبُّ أهلي (اليَّ) فاطمة**»[٢].

هذه مجمل الأحاديث التي أوردها القندوزيّ في بعض أبوابه عن مكانة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عند رسول الله صلى الله عليه وآله، والأحاديث في المصادر كثيرة حول هذه المكانة، ولا مجال لعدِّها أو إحصائها، لكنَّنا سنكتفي بذِكر البعض منها، ممَّن لم يرد في مجمل ما ذكره القندوزيّ.

جاء في كتاب المناقب لابن شهر آشوب: سأل بزل الهرويّ الحسين بن روح رحمه الله قال: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: أربع، فقال: أيتهنَّ أفضل؟ فقال: فاطمة.

قال: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغرهنَّ سنًّا، وأقلهنَّ صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله[٣]؟

قال: لخصلتين خصَّهما الله بهما: إنَّها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله منها، ولم يخصّها بذلك إلَّا بفضل إخلاص عرفه من نيَّتها[٤].

وسُئل أبو بكر بن داوود: مَن أفضل، خديجة أم فاطمة؟ فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ فاطمة بضعة منِّي**»، فلا أعدل ببضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله أحدًا[٥].

---

(١) القندوزيّ، ص٤٧٨. نقلًا عن ابن العبَّاس أحمد بن محمَّد بن عليّ بن حجر الهيثميّ، الباب ١١، الفصل ٣، ص١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧٩. نقلًا عن ابن العبَّاس أحمد بن محمَّد بن عليّ بن حجر الهيثميّ، الباب ١١، الفصل ٣، ص١٩١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن حجر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، ج٣، ص١٠٥، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٥) حسين بن محمَّد بن الحسن الديار بكريّ، تاريخ الخميس في أصول نفس نفيس، ج١، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٢٦٥.

٤. زواجها [عليها السلام]

في الباب الخامس والخمسون، أفرد فصلًا سمّي (فصل في تزويج فاطمة بعليّ عليهما السلام)، ورد فيه جملة من الأحاديث التي وردت في كتاب جواهر العقدَين للعلَّامة الفهَّامة السيِّد الشريف نور الدين عليّ السمهوديّ المصريّ رحمه الله، وهي كالآتي:

١. عن انس رضي الله عنه قال: «كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمَّا أفاق قال لي: **يا أنس أتدري بما جاءني جبرائيل من عند صاحب العرش عزّ وجلّ؟**

قال: بأبي وأمّي بما جاءك جبرائيل؟

قال: **قال جبرائيل: إنَّ الله يأمرك أن تزوِّج فاطمة بعليّ**.. ثمَّ حضر عليّ، وقد كان غائبًا، فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **يا عليّ إنَّ الله أمرني أن أزوِّجك فاطمة، وإنِّي قد زوَّجتكما على أربعمائة مثقال فضَّة**. فقال عليّ: **قد رضيتها يا رسول الله**[١].

٢. روى رواد بسنده عن قتادة عن الحسن البصريّ، عن أنس، قال عن الرسول صلى الله عليه وآله: «إنَّ أبا بكر خطب فاطمة فاعرض النبيّ صلى الله عليه وآله عنه، ثمَّ خطبها عمر بن الخطَّاب فأعرض عنه، وقال: **انتظر امر الله فيها**، ثمَّ خطبها عليّ، فقال له: **أعندك مهرها؟** قال عليّ: **قلت فرسي ودرعي**..»[٢].

٣. وذكر في موضع آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**إنَّ الله أمرني أن أزوِّج فاطمة بعليّ بن أبي طالب ابن عمِّي، فأتمروا أنِّي قد زوَّجته بها**. وقال: **يا عليّ إنَّ الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوِّجك فاطمة، وإنِّي قد زوَّجتكما على أربعمائة مثقال فضَّة**. فقال عليّ: **قد رضيتها يا رسول الله، ورضيت بذلك عن الله العظيم ورسوله الكريم**»[٣].

---

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٦١، عليّ بن عليّ السمهوريّ، جواهر العقدين في فضل الشَّرفَين شرف العلم الجليّ والنسب العليّ، ج٢، وزارة الأوقاف العراقيَّة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٢٢.

(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٦٣، عليّ بن عليّ السمهوريّ، ج٢، ص٢٢٣.

(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٦٥؛ ابن حجر الهيثميّ، ص١٦٣.

٤. وعن موسى بن عليّ القرشيّ، عن قنبر بن أحمد، عن بلال بن حمام، قال: «طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم مبتسمًا ضاحكًا، وجهه كدائرة القمر ليلة البدر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا رسول الله ما هذا النور الذي رأينا في وجهك المكرَّم؟ قال: **بشارة أتتني من ربِّي في أخي وابن عمِّي وفي ابنتي، بأن الله تبارك وتعالى زوَّج عليًّا بفاطمة**»(١).

٥. وفي كنوز الحقائق للمنادي، نقلًا بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله أمرني أن أزوِّج فاطمة بعلي**»(٢).

٦. وعن العبَّاس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أبشِّرك يا عمَّاه إنَّ الله أيَّدني بسيِّد الوصيِّين عليّ، فجعلته كفوًا لفاطمة ابنتي**»(٣).

٧. عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: «لـمَّا تزوَّجت فاطمة من عليّ، قالت: **يارسول الله زوَّجتني مِن عائل لا مال له؟! فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوَ ما ترضين أن يكون الله اطَّلع على أهل الأرض فاختار فيهم رجلَين: أحدهما أبوك، والآخر بعلك**»(٤).

٨. عن ابن عبَّاس رضي الله عنه رقعة: «**يا عليّ إن الله تبارك وتعالى زوَّجك فاطمة، وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضًا لك مشى حرامًا**»(٥).

وكان زواجها عليها السلام عام (٢هـ)، بعد معركة بدر(٦)، وولدت للإمام عليّ الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٦٦؛ عليّ بن عليّ السمهوريّ، ج٢، ص٢٥٣.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٦٧، عبد الرؤوف العناويّ، كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق، المطبعة العامريَّة العثمانيَّة، د.م، د.ت، ص٣١.
(٣) القندوريّ، ج٢، ص٦٨.
(٤) القندوريّ، ج٢، ص٣٢١. نقلًا عن: المستدرك للحاكم، ج٣، ص١٢٩.
(٥) القندوزيّ، المصدر السابق، ص٣٣٥.
(٦) محمَّد عليّ الصلابيّ، سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، دار المعرفة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥، ص٧٦.

وذكرت الروايات التاريخيَّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله في صباح يوم زفاف فاطمة عليها السلام من الإمام عليّ، زارها في بيتها فدعا عليّ ونضح عليه الماء، ودعا له، ثمَّ دعا ابنته فاطمة عليها السلام التي جاءته تتعثَّر من حيائها، فقال لها رسول الله: «**اسكتي فقد أنكحتك أحبّ أهل بيتي إليَ**»، ثمَّ نضح النبيّ صلى الله عليه وآله عليها من الماء، ودعا لها[1].

منزلتها وأهل بيتها في الدنيا والآخرة

كانت السيِّدة فاطمة عليها السلام وزوجها وأولادها أحبُّ الناس لرسول صلى الله عليه وآله، الذي رويت عنه العديد من الأحاديث التي تؤكِّد مكانتها السامية عند الرسول، وعند الله سبحانه وتعالى، وقد أورد القندوزيّ العديد من الأحاديث التي تؤكِّد هذه المكانة، وغضب الله من غضبها، والتي جاءت، ايضًا، بصورة متفرِّقة في أبواب الكتاب، والتي سنوردها حسب ما جاءت في فصول الكتاب وأبوابه.

١. ورد في الترمذيّ وابن ماجة: عن صبيح مولى أم سلمى، وزيد بن أرقم قالا: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: **أنا حرب لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم**»[2].

٢. في كنوز الحقائق للمنادي: «إنَّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[3].

٣. وروى ابن سعد في كتابه (شرف النبوَّة)، وكذلك ابن المثنَّى في معجمه حديثًا، نقلًا عن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[4].

---

(١) محمَّد عليّ الصلابيّ، ص٧٨، أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن محمَّد بن صنبل الشيبانيّ، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله بن محمَّد عبَّاس، ج٢، جامعة أم القرى، مكَّة، د.ت، ص٩٥٥.

(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٥٣، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٦٠، حديث ٣٩٦٢.

(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٥٦، عبد الرؤوف العنَّاويّ، المصدر السابق، ص٣٢.

(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٥٧، نقلًا عن المعجم الكبير، ج١، ص١٠٨.

٤. وعن المسوَّر بن مخرمة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: «**فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آرابها ويربني ما رابها**»(١).

٥. وعن عليّ بن الحسين عن أبيه عن عليّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «**إنَّ الله يرضى لرضاكِ ويغضب لغضبك**»(٢).

٦. وعن عليّ المرتضى عليه السلام قال نقلًا عن رسول الله: «**إنَّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرَّمها الله تعالى وذريَّتها على النار**»(٣).

٧. وروى أبو هريرة حديثًا جاء فيه: «أوَّل من يدخل الجنَّة فاطمة بنت محمَّد، مثلها في هذه الأمَّة مثل مريم بنت عمران في بني أسرائيل»(٤).

٨. وعن عليّ المرتضى حديث جاء فيه: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجب: غضُّوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة بنت محمَّد على الصِّراط**»(٥).

٩. عن زيد بن عليّ، عن أنس قال: «كان النبيّ صلى الله عليه وآله يأتي ستَّة أشهر باب فاطمة عند صلاة الفجر، فيقول: **الصلاة الصلاة يا أهل بيت النبوَّة**، (ثلاث مرَّات)، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»(٦).

وروى هذا الحديث بأسانيد عن ثلاثمائة من أصحابه، منهم من قال: ثمانية أشهر، ومنهم من قال: عشرة أشهر(٧).

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٨؛ العسقلانيّ، ج٤، ص٣٧٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٣٢٠، أحمد بن محمَّد الخوارزميّ، المناقب، تحقيق: الشيخ مالك المحموديّ، مؤسَّسة سيِّد الشهداء، د.م، د.ت، ص٣٥٣، حديث ٤٠٣.
(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٣٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٢٥.
(٦) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
(٧) القندوزيّ، ج٢، ص٣٢٣.

١٠. عن أبي هريرة قال: «نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقال: **أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم**»(١).

١١. عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا سلمان من أحبَّ فاطمة ابنتي فهو في الجنَّة معي، ومن أبغضها فهو في النار. يا سلمان، حبُّ فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت، القبر، والميزان، والصراط، والحساب، فمن رَضِيتْ عنه ابنتي فاطمة رَضِيتُ عنه، ومن رَضيتُ عنه، رضي الله (تعالى) عنه، ومن غضبتْ ابنتي فاطمة (عليه) غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه، غضبَ الله عليه**»(٢).

١٢. عن عكرمة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الرحمن بن عوف: **يا عبد الرحمن أنَّكم أصحابي وعليّ بن أبي طالب أخي ومنِّي، وأنا من عليّ، فهو باب علمي ووصيِّي، وهو وفاطمة والحسن والحسين هم خير الأرض عنصرًا وشرفًا وكرمًا**»(٣).

١٣. عن عكرمة، عن ابن العبَّاس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: **إنَّ الله غير معذِّبك، ولا أحدًا من ولدك**»(٤).

١٤. اخرج ابن سعد في (شرف النبوَّة)، وابن المثنى في معجمه أنَّه صلى الله عليه وآله قال: «**يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»(٥).

١٥. أخرج أحمد والترمذيّ عن عليّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أحبَّني وأحبَّ هَذَين** - يعني حسنًا وحسينًا- **وأباهما وأمُّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»(٦).

---

(١) القندوزيّ، ص٣٥٤؛ عليّ بن عليّ السمهوريّ، ج٢، ص٢١٧.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٤٦٤، ابن حجر الهيثميّ، الباب الحادي عشر، ص١٧٥.
(٣) القندوزيّ، ج٢، ص٤٧٥، ابن حجر الهيثميّ، الباب الحادي عشر، ص١٨٧.
(٤) القندوزيّ، ج٢، ص٤٧٦، ابن حجر الهيثمي، الفصل الثاني، الباب ١١، ص١٨٨.
(٥) القندوزيّ، ج٢، ص٤٧٦، ابن حجر الهيثمي، الفصل الثاني، الباب ١١، ص١٨٨.
(٦) المصدر نفسه.

١٦. أخرج أحمد والحاكم عن المسور بن مخرمة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، يغضبني ما يغضبها، ويبسطني ما يبسطها، وإنَّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري**»(١).

١٧. أخرج البزَّار، وأبو يعلى، والطبرانيّ، والحاكم، عن ابن معود، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة أحصنت نفسها، فحرَّمها الله وذريَّتها على النار**»(٢).

١٨. أخرج أبو بكر عن أبي أيُّوب الأنصاريّ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرض: يا أهل الجمع نكِّسوا رؤوسكم وأغمضوا أبصاركم حتَّى تمرَّ فاطمة بنت محمَّد على الصِّراط، فتمرُّ مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمرِّ البرق**»(٣).

١٩. وفي حديثٍ ثانٍ لأبي بكر أيضًا، عن أبي هريرة: «**إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ من بطنان العرش: أيُّها الناس أغمضوا أبصاركم حتَّى تجوز فاطمة على الصِّراط إلى الجنَّة**»(٤).

هذا مجمل ما ذكره القندوزيّ في الأحاديث الواردة عن مكانة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام هي وأهل بيتها عليهم السلام، وهم من نزلت بحقِّهم الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾(٥).

والأحاديث كثيرة جدًّا في مكانتها عليها السلام، ومنزلتها المميَّزة، وسوف ندرج بعض الحوادث التاريخيَّة والأحاديث الشريفة المؤكِّدة لهذه المنزلة، والتي لم تَرِد في كتاب

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٤٧٨، ابن حجر الهيثميّ، الفصل الثالث، الباب ١١، ص١٩٠.
(٢) أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، ج٣، ص١١٢.
(٣) أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن شهر آشوب، ج٣، ص١١٢، عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص١١٠.
(٤) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص١١٣.
(٥) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية ٥٧.

القندوزيّ؛ تعزيزًا لما ذكره.

جاء سهيل بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: إنَّ قومك يقولون: إنَّك تؤثر عليهم ولد فاطمة، فقال عمر: سمعت الثقة من الصحابة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **فاطمة بضعة مني، يرضيني ما أرضاها، ويسخطني ما أسخطها**.

فو الله إنِّي لحقيقٌ أن أطلب رضى رسول الله ورضاها في رضا ولدها، وقد علموا أنَّ النبيّ يسرُّه مسرَّتها جدًّا[1].

وعن الحسن بن علي، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: يا فاطمة! إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[2].

وذكر في المناقب عن الحسين بن زيد بن علي، عن الصادق عليه السلام، وجابر الجعفيّ، عن الباقر عليه السلام: «**قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الله ليغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها**»[3].

وهذه الكرامة وهذه المنزلة لم ينلها أحد، فقد اختصَّت بها السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام عن سائر نساء عصرها، فهي أوَّل من يدخل الجنَّة، وبأحاديث مرويَّة في مصادر عديدة، وبأسانيد عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي روي عنه: «**أوَّل شخص يدخل الجنَّة فاطمة**»[4].

٦. وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وذكر وفاتها عليها السلام

كانت السيِّدة فاطمة الزَّهراء أوَّل الناس من أهل بيته الكريم تعلم بموعد وفاته صلى الله عليه وآله، وذكر القندوزيّ الأحاديث وبمرويَّات متعدِّدة حول هذه المسألة، نذكرها تباعًا حسب ورودها في كتابه.

---

(١) محمَّد حسين اليوسف، أسرار فضائل فاطمة عليها السلام، بيروت، ٢٠١٢، ص٢١٨.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٤٧٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

١. عن ام سلمة رضي الله عنها قالت: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثمَّ حدَّثها فضحكت، فلمَّا توفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها عن بكائها وضحكها، فقالت: **أخبرني أبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه يموت فبكيت، ثمَّ أخبرني أنِّي سيِّدة نساء أهل الجنَّة إلَّا مريم بنت عمران فضحكت**»[١].

٢. وفي حديث عن عائشة روي في كتاب جمع الفوائد: «إنَّ النبيّ سارها (أي لفاطمة) فبكت بكاءً شديدًا، فلمَّا رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها (أي عائشة): خصَّك رسول الله صلى الله عليه وآله من بين نسائه بالسِّرار ثمَّ أنت تبكين؟ فقالت: **ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله سرَّه**. فلمَّا توفِّي قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحقِّ حدِّثيني ما قال لك أبوك صلى الله عليه وآله؟ قالت: **أمَّا الآن فنعم، أمَّا حين سارني في المسرَّة الأولى فأخبرني أنَّ الأجل.. قد اقترب.. فبكيت.. فلمَّا رأى جزعي سارني في الثانية، فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمَّة، فضحكت**.. وفي رواية: **ثمَّ سارني أنِّي أوَّل أهله يتبعه فضحكت**. وفي رواية أخرى قال: **أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء أهل الجنَّة وأنَّك أوَّل أهلي لحوقًا بي؟ فضحكت**». (للشيخَين والترمذيّ)[٢].

ولم يذكر لنا حديثًا غير هذَين عن وفاة السيِّدة فاطمة عليها السلام أو تاريخ الوفاة، وهذا حال العديد من الأحداث التي أوردها في روايات منقولة، فقد خلت من ذِكر التاريخ.

وحسب ما تذكر الروايات التاريخيَّة، فإنَّ وفاتها عليها السلام في سنة إحدى عشر (١١)، وهو نفس العام الذي توفِّي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جزع عليها بعلها الإمام عليّ جزعًا شديدًا، واشتدَّ بكاؤه، وظهر أنينه وحنينه، وقال[٣]:

(١) القندوزيّ، ج٢، ص٥٤، محمَّد بن عبد الله الخطيب التبريزيّ، ج٣، ص١٧٤٥.
(٢) القندوزيّ، ج٢، ص٥٦، صحيح البخاريّ، ج٤، ص٢١٠.
(٣) ابن الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: الشيخ قاسم الشمَّاعيّ، المجلَّد٢، دار العلم، بيروت، ١٩٨٩، ص٢٩٨.

لكلِّ اجتماع من خليلَين فرقة
وكلُّ الذي دون الممات قليلُ
وإنَّ افتقادي فاطمًا بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليلُ

وذكر الطبريّ في أحداث السنة الحادية عشر، قوله: «وفيها ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة الثلاثاء، لثلاثٍ خلونَ من شهر رمضان، وهي يومئذ ابنة تسع وعشرون سنة أو نحوها.. وعن أبي جعفر، قال: توفِّيت فاطمة عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بثلاثة أشهر»(١).

وذكر نقلًا عن ابن جريح، عن الزهريّ، عن عروة، قال: «توفِّيت فاطمة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بستَّة أشهر»(٢)، وغسَّلها زوجها الإمام عليّ عليه السلام، وأسماء بنت عميس(٣).

وكان وقت وفاتها بين المغرب والعشاء، وقيل إنَّه وقت وفاتها ارتجَّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله(٤).

وصلَّى عليها عليّ بن أبي طالب، وهي أرجح الروايات، فكانت قد أوصت بعد أن حضرتها الوفاة أن يتولَّى أمرها الإمام عليّ عليه السلام، ويدفنها ليلًا، ويعفي قبرها (يخفيه)، فنفَّذ وصيَّتها فدفنها ليلًا، وعفى موضع قبرها(٥).

وهناك اختلاف بين المؤرِّخين في تاريخ وفاتها وعمرها عند الوفاة، والمدَّة التي بقيت فيها بعد وفاة الرسول الله صلى الله عليه وآله، فهناك من يذكر أنَّ وفاتها كانت بعد والدها بـ:

(١) أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبريّ، تاريخ الطبريّ، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج٣، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) عليّ محمَّد الصلابيّ، المصدر السابق، ص١٣٥.
(٥) ساجد شريف عطيَّة، فاطمة عليها السلام في القرآن بلسان أهل السنَّة، تحقيق: حسن ساجد شريف، قم، ٢٠١٦، ص٤٤٦.

١. ثلاثون يومًا.
٢. أربعون يومًا.
٣. ستُّون يومًا.
٤. تسعون يومًا.
٥. ستَّة أشهر[١].

وشمل الخلاف بين المؤرِّخين أيضًا عمرها عند الوفاة، فالكثير يتَّفق أنَّها توفِّيت بعمر (١٨) عامًا، إلَّا أنَّ الطبريّ، وكما ذكرنا سابقًا، يذكر أنَّ وفاتها كانت بعمر تسعة وعشرون، فالكافي يذكر: «توفِّيت ولها ثماني عشر وخمسة وسبعون يومًا، فقد كان عمرها مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بمكَّة ثماني سنين، وهاجرت إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقامت معه عشر سنين، وكان عمرها ثماني عشر سنة، وأقامت مع عليّ أمير المؤمنين بعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يومًا»[٢].

وأُكِّدت هذه الرواية من قبل نصر بن عليّ الجهضميّ في كتابه (مواليد الأئمَّة)، فذكر برواية: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن عمر فاطمة عليها السلام؟

قال: ولِدت فاطمة بعدما أظهر الله نبوَّته بخمس سنين، وتوفِّيت ولها ثماني عشر سنة وخمسة وسبعون يومًا»[٣].

وقيل إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قُبِض ولفاطمة عليها السلام يومئذ ثماني عشر سنة، وعاشت بعد أبيها اثنين وسبعين يومًا[٤].

وهناك رواية وردت في (مستدرك الصحيحين) عن أم الحسن بنت أبي جعفر محمَّد

(١) حسين الشيخ هادي القرشيّ، شذرات من حياة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، ٢٠١١، ص٣٣١.
(٢) عبد الله البحرانيّ الأصفهانيّ، المصدر السابق، ص٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٢.

ابـن عـليّ عـن أخيها جعفر بـن محـمَّـد، قـال: مـات فاطمة وهـي ابـنـه إحـدى وعشرين[1].

ويعدُّ تاريخ وفاتها عليها السلام موضع خلاف بين المؤرِّخين حتَّى وقتنا الحاضر، ولكن الثابت تاريخيًّا أنَّها كانت أوَّل من لِحق بالرسول صلى الله عليه وآله من أهل بيته، وإن كان هناك خلاف أيضًا في مقدار هذه المدَّة التي اختلف فيها الكثير من المؤرِّخين.

(١) المصدر نفسه، ص٣١.

الخاتمة

الزَّهراء عليها السلام فيض من نِعم الله تعالى، ونور في الأرض، فهي سيِّدة نساء الأوَّلين والآخِرين، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، نهتدي بهديها ونستنير بنهجها، كانت ومازالت موضوع اهتمام كلِّ مسلمي العالم، ولهذا كان هذا البحث الذي يمثِّل نقطة في بحر مناقبها عليها السلام.

توصَّل البحث إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات، أهمّها:

١. يعدُّ كتاب (ينابيع المودَّة لذوي القربى) المطبوع عام (١٨٨٥م) جزء من سلسلة كتب تناولت بالبحث والدراسة مناقب أهل بيت النبوَّة الكرام، ومنهم السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، الكتاب يمكن عدُّه موسوعة حاول مؤلِّفه (سليمان بن إبراهيم القندوزيّ) جمع الأحاديث الواردة في مناقب أهل بيت النبوَّة في أجزاء الكتاب الثلاثة.

٢. مؤلِّف الكتاب المولود في مدينة بلخ عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٠٥م، والمقيم في عاصمة الدولة العثمانيَّة (القسطنطينيَّة) حاول بعد رحلاته العلميَّة العديدة الاستقرار داخل الدولة العثمانيَّة، حيث توفَّرت له الأجواء العلميَّة المناسبة، ليُخرِج لنا كتابه (ينابيع المودَّة لذوي القربى) الذي بذل به جهدًا استثنائيًّا يستحقُّ الدراسة، فهو اعتمد على أمَّهات الكتب لتكون مصدرًا لكتابه.

٣. شكَّلت مناقب السيِّدة الزَّهراء جزءًا هامًّا من مفاصل كتاب (ينابيع المودَّة)، فقد أفرد لها مساحة مهمَّة، جمع خلالها أهمَّ الأحاديث الواردة في مناقبها عليها السلام، لكن هذه الأحاديث لم تأتِ بشكلٍ متسلسلٍ في جزء واحد، أو باب منفرد،

بل جاءت بشكل متداخل مع مناقب والدتها السيِّدة حديجة عليها السلام وزوجها وولديها الإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، فضلًا عن التكرار في ذِكر الحديث نفسه، وفي مواقع متعدِّدة.

٤. هناك خلاف في المصادر حول تاريخ ولادة السيِّد الزَّهراء عليها السلام، فهناك من يذكر أنَّه قبل المبعث، وفريق آخر ذهب إلى أنَّه بعد المبعث الشريف، وهو الأقرب للحقيقة، لكنَّ القندوزيّ لم يتطرَّق إلى صحَّة الروايات، واكتفى بذِكر الأحاديث فقط.

٥. وردت روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في بيان سبب تسميتها بفاطمة، وقد أوردها القندوزيّ في أحاديث عديدة، ومن مراجع متعدِّدة، ولكنَّه اكتفى بذِكر بيان سبب هذه التسمية والقبول فقط، دون ذِكر بقيَّة الأسماء والصفات التي عُرِفت بها السيِّدة فاطمة عليها السلام، مثل الطاهرة الراضية الزكيَّة.. الخ.

٦. من أشهر مناقب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وأبرز مسمَّياتها، أنَّها كانت سيِّدة نساء العالمين، وسيِّدة نساء أهل الجنَّة، وذكر القندوزيّ أحاديث كثيرة في هذا الجانب، والتي أكَّدت هذه الصفة التي كانت مشتركة بينها وبين والدتها السيِّدة الخديجة والسيِّدة مريم العذراء وآسيا امرأة فرعون، لكنَّها تميَّزت عنهم جميعًا أنَّها، ونقلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت سيِّدة العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

٧. كانت للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مكانتها الأبرز عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي الأقرب له من كلِّ أولاده، وكانت الأحبُّ لقلبه، فهي بضعة منه، يؤذيه ما يؤذيها ويبغضه مايبغضها.

٨. زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام من المعجزات لأنَّه كانت بأمرٍ إلهيّ وُجِّه للرسول صلى الله عليه وآله، ومباركة خاصَّة من الرسول صلى الله عليه وآله لهذا الزواج وللذريَّة

التي نتجت عنه، كون نسل رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينقطع؛ لأنَّه جاء من أحبِّ بناته، وأقربهنَّ لقلبه.

٩. لم يُشِر القندوزيّ إلى تاريخ وفاة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ولم يذكر الأحاديث الكثيرة حول هذا الموضوع، واكتفى بذِكر روايتَين أو ثلاثة، وضَّح فيها أنَّها أوَّل من يلحق بالرسول صلى الله عليه وآله من أهل بيته بعد موته، ولهذا غفل عن تاريخ موتها، أو مكان دفنها، وإن كان هناك خلاف في تاريخ وفاتها، ومقدار المدَّة التي عاشتها بعد وفاة والدها الرسول صلى الله عليه وآله، هل هي أربعون يومًا أم ستُّون يومًا، أم خمسة وسبعون يومًا؟ ولم نجد اتِّفاقًا تاريخيًّا حول مقدار هذه المدَّة، لذلك يُقام عزاء لوفاتها عليها السلام بأوقات مختلفة من السنة، استنادًا للروايات التي ذكرت أوقات مختلفة لوفاتها.

١٠. كتاب (ينابيع المودَّة) للفندوزيّ خلا من ذكر التاريخ للكثير من الحوادث التاريخيَّة، فكان بمثابة موسوعة جامعة للأحاديث الواردة في ذِكر مناقب أهل البيت عليهم السلام، أكثر من كونه كتابًا تاريخيًّا يستطيع الرجوع إليه ومعرفة التواريخ المهمَّة، ففي مجال الأحاديث الواردة في مناقب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، لم نجد إشارات إلى سنوات مهمَّة، مثل ذكر تاريخ زواجها عليها السلام، أو تاريخ ولادة أولادها، أو تاريخ وفاتها، فقد كان القندوزيّ ناقلًا للأحاديث وجامعًا لها، دون عمل تصنيف لها حسب الشخصيَّات أو العنوانات.

التوصيات

الهدف من إقامة المؤتمرات العلميَّة ومشاركة الأبحاث فيها، ومن اختصاصات شتَّى، هو زيادة المعرفة الإنسانيَّة من جهة، والخروج بمنفعة عامَّة وخاصة، والتوصُّل إلى استنتاجات يحدَّد من خلالها نجاح أو فشل البحوث المشاركة أو المؤتمر بصفة خاصَّة،

ومن هذا المنطلق كانت هناك توصيات نطرحها أملًا في التوصُّل إلى تطبيقها أو العمل بها، ولعلَّ أبرز هذه التوصيات:

١. الهدف من إقامة أي مؤتمر نشر المعرفة العامَّة، لذلك يفضَّل عمل ترويج إعلاميّ قبل مدَّة كافية لأي مؤتمر، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة، فضلًا عن طرح تعميم للكليَّات ذات الاختصاص بتعميم مفردات أي مؤتمر، وفسح المجال أمام طلَّاب الدراسات العليا والأوَّليَّة للمشاركة، وليس الاقتصار على الأساتذة، وإن كانت هذه المشاركات بسيطة، وعمل شهادات تقديريَّة لهم، من أجل زرع حبِّ المعرفة وتطوير إمكانيَّاتهم المعرفيَّة، وفسح المجال أمام الجيل الواعد في الاطِّلاع على آليَّة عمل المؤتمرات.

٢. العمل على نشر تفاصيل أي مؤتمر بشكل مباشر، وعلى وسائل التواصل الاجتماعيّ كافة، مع فتح باب المداخلات الإلكترونيَّة، خاصَّة في مثل هذه المؤتمرات المهمَّة، لذا يوصى بإرسال رابط إلكترونيّ لأصحاب الاختصاص، للمشاركة في جلسات مناقشة البحوث.

٣. نشر البحوث المشاركة، وبشكلٍ ورقيّ وإلكتروني، وبأقرب وقت بعد انعقاد المؤتمر؛ لتكون متاحة أمام طلَّاب العلم.

٤. تعدُّ بعض البحوث المشاركة نقطة انطلاق لمواضيع دراسيَّة أكبر، كأن تكون رسائل ماجستير أو دكتوراه، وهذا عمل نأمل من اللجان العلميَّة، كلٌّ حسب اختصاصه، للعمل على تنفيذها.

٥. يشكِّل كتاب (ينابيع المودَّة لذوي القربى) للقندوزيّ، مجالًا رحبًا ومادَّة جديدة للبحث فيه وفي تفاصيله؛ للخروج بعنوانات تكون مميَّزة، فضلًا عن إمكانيَّة دراسة منهاجه الكتابيّ، أو عمل دراسة مقارنة مع الكتب المشابهة؛ للخروج عن المألوف من الدراسات التقليديَّة.

المدرسة الاستشراقيَّة الفرنسيَّة وسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام
دراسة تحليليَّة نقديَّة في موسوعة الإسلام

م.د. نزار ناجي محمَّد
مديريَّة تربية محافظة البصرة

ملخَّص البحث

موسوعة الإسلام أكبر عمل قام به المستشرقون لجمع كلِّ ما له علاقة بالشرق والحضارة الإسلاميَّة، وكان ذلك العمل نتاج علميّ مشترك بين عددٍ كبيرٍ من المؤسَّسات العلميَّة والأكاديميَّة، والمراكز البحثيَّة المتعلِّقة بدراسة تاريخ الإسلام، والهدف من هذا العمل كان لتقديم الإسلام إلى الحضارة الغربيَّة بالصورة التي يراها المستشرقون، لا التي عليها حقيقة تلك الحضارة، وقد تمَّ نقل تلك الموسوعة إلى ثلاثِ لغات، هي الإنكليزيَّة، والفرنسيَّة، والألمانيَّة، ممَّا ساهم في انتشارها بشكلٍ واسعٍ في أوربا والغرب، ومن ضمن ذلك العدد الكبير من المقالات، كان هناك مقال يتعلَّق بسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وسيتناول هذا البحث ما كُتِب في هذا العمل الموسوعيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الاستشراق، المدرسة الفرنسيَّة، السيِّدة فاطمة عليها السلام، موسوعة الإسلام.

المحور الأوَّل

الاستشراق والدراسات الموسوعيَّة

الاستشراق هو ترجمة للمصطلح الإنكليزي (Orientalism)، وهو يتعلَّق بالشرق كما تمَّ وصفه، وتعريفه، وتخيله، وإنتاجه من قبل أوربا والغرب، ويشير إلى الخطاب الذي انتجه الغرب عن الشرق، والذي يضمُّ مجموعة واسعة من النصوص الأدبيَّة، والاجتماعيَّة، والعلميَّة، والتاريخيَّة، واللغويَّة، والفلسفيَّة، والسياسيَّة، والأنثروبولوجيَّة، والطبوغرافيَّة التي تراكمت عبر السنين عن الشرق[1].

وعلى الرغم من أنَّ المصطلح في مدلوله الأساسيّ أو المتداوَل يشير إلى الاهتمام العلميّ أو الأكاديميّ الغربيّ بالثقافات الشرقيَّة، بما في ذلك الشَّرقَين الأقصى والأدنى، بما يتضمَّنه ذلك الاهتمام من دراسة وتحقيق وترجمة[2]، فهو قد يشمل كذلك شمال أفريقيا وشرق أوربا، سواء كانت دولًا إسلاميَّة أو غير إسلاميَّة، لذا هناك من ينبذ ذلك المصطلح- أي مصطلح الاستشراق- ويعدُّه غير دقيق؛ لأنَّ الأمر لا يتعلَّق بتاريخ الإسلام في الشرق فحسب بل في كلِّ البلدان التي يشهد فيها تواجد الإسلام والمسلمين، أي يأخذ المصطلح بُعدًا دينيًّا وليس جغرافيًّا[3]، ويُطلق على الشخص المهتم بالحضارة الشرقيَّة لقب (مستشرق) عندما تتوفَّر لديه مجموعة من المعلومات أو جزء منها، على

(1) J. A. Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 618.

(٢) الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبيّ، ص٣٣.

(٣) يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص٢١٣.

الأقل حول الشرق[1]، لذا تعرِّف موسوعة الإسلام المستشرق «هو المتخصِّص في الدراسات الشرقيَّة»[2].

إنَّ الاستشراق والمستشرق كمصطلحين كانا منذ الولادة مترابطين، وهو ما قد يكتشفه أي باحث في مجال الدراسات الاستشراقيَّة من خلال تعريف مصطلح الاستشراق وبدايات ظهور المصطلحَين في الأوساط المعرفيَّة الغربيَّة[3]، ويبدو أنَّ المراحل التي مرَّ بها الاستشراق جعلت كتاب الشرق والغرب يختلفون في إيجاد تعريف وافي وشافي لحركة الاستشراق[4]، ونحن إذا قمنا باستعراض كلِّ المفاهيم التي دُوِّنت حول مصطلح الاستشراق، فإنَّنا لن ننتهي أبدًا؛ لأنَّ التطوُّر المستمر للظاهرة الاستشراقيَّة يكشف عن جوانب دفينة من قبل، أو كانت ناقصة ليست وافية بالغرض، والمجال الذي يعالج فيه تلك الظاهرة، ومن أجل هذا فإنَّ إعطاء تعريف وافي وشافي لعلم الاستشراق هو ضرب من المحال، وكلُّ تعريف نجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملًا جامعًا مانعًا لذلك المصطلح[5]، لذا لا يتَّسع المجال في هذه البحث للحديث عن هذا المصطلح بشكلٍ موسَّع، وعن بدايات ظهوره في القواميس العربيَّة والغربيَّة،

(١) محمَّد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة لدى الغربيِّين، ص٤٢-٤٥.

(2) J.D.J. Waardenburg, (Mustashrikun), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. VII, P. 735.

وينظر كذلك عن بدايات ظهور مصطلح المستشرقين حتَّى القرن العشرين، ينظر: الصفحات ٧٣٥-٧٥٣).

(٣) ينظر تعريف المصطلح في القواميس الغربيَّة: عبد الجبَّار ناجي، الاستشراق في التاريخ، ص٦٣-٧٤، وبدايات ظهور ذلك المصطلح، ص١١٤ - ١١٨.

(٤) ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربّي المعاصر، ص٢١-٣٢. وينظر: الأطوار والمراحل التي مرَّ بها الاستشراق، ص٧٠-٨٦، أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ، ص٩- ١٨، وينظر: المراحل التي مرَّ بها الاستشراق ص ١٩-٤٠، ناجي، الاستشراق في التاريخ، ص٦٤-٧٤.

(٥) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقيّ، ج١، ص١٧.

والأطوار والمراحل التي مرَّ بها الاستشراق، ودوافعه المتعدِّدة، واتِّجاهاته، ونزعاته لذا نحيل القارئ للمصادر المتخصِّصة في هذا المجال[1].

الموسوعة (Encyclopaedia) مصطلح مشتق من اليونانية، ويتكوَّن من كلمَتَين (εγκύκλιος) (Enkyklios) وتعني دائرة، والمقطع الثاني هو (παιδεία) (Paideia)، وتفيد التعليم (المعرفة)، وتعني مجتمعة (εγκύκλιος παιδεία) (Encyclopaedia) دائرة التعليم (المعرفة)، واشتمل ذلك المصطلح على قواعد النحو، والبلاغة، والموسيقى، والرياضيَّات، والرياضة، والفلسفة، وعلم الفلك[2]، وهي في الأصل اسم لمجموع الفنون والعلوم التعليميَّة السبعة التي كان أعيان الناس يتعلَّمونها منذ القدم، أمَّا المصطلح في أيَّامنا هذه فمعناه ملخَّص المعرفة البشريَّة في باب واحد أو الأبواب كلّها، وهي إمَّا تكون مرتَّبة ترتيبًا نظاميًّا موافقًا للارتباط المنطقيّ بين المواضيع، أو ترتيبًا قاموسيًّا موافقًا لنظام الأحرف الهجائيَّة[3]، وهناك من يرى أنَّها على ثلاثة أنواع، وهي الموسوعات الشاملة، والموسوعات الخاصَّة، والموسوعات التي يراد منها الشموليَّة، لكنها ليست كذلك[4]، ويراها آخر أنَّها مقتصرة على النوعَين الأوَّلين فقط[5].

(١) سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص٢١-٢١٩، السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ، ص٩-٤٠، ناجي، الاستشراق في التاريخ، ص٦٤-٧٤.

(2) J. A. Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 258.

(٣) فؤاد البستانيّ، دائرة المعارف (قاموس عام لكلِّ فنٍّ ومطلب)، ج٤، ص٥٠٠، نقلًا عن القرآن الكريم في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، مقاربات نقديَّة لموسوعة القرآن، مجموعة مؤلِّفين، ص١٢ (المقدِّمة).

(4) Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 259.

(٥) فؤاد البستانيّ، دائرة المعارف (قاموس عام لكلِّ فنٍّ ومطلب)، ج٤/ ص ٥٠٠، نقلًا عن القرآن الكريم في الفكر الاستشراقي المعاصر، مقاربات نقدية لموسوعة القرآن، مجموعة مؤلِّفين، ص١٢ (المقدِّمة).

وعُرِفت الموسوعات منذ عهد اليونان، وأوَّل موسوعاتهم تلك التي وُضِعت في القرن الرابع قبل الميلاد، ولم يصل إلينا اسم تلك الموسوعة، وعني الرومان بالموسوعات أيضًا، وأوَّل موسوعة رومانيَّة وُضِعت في القرن الأوَّل للميلاد، وتسمَّى موسوعة التاريخ الطبيعيّ (Historia Naturalis)[١]، وأعظم موسوعة في العصور الوسطى كانت ثلاثيَّة لـ(فنسنت دي بوفيه Vincent de Beauvais)[٢] بعنوان المرآة الكبرى، وتشمل الأجزاء الثلاثة مرآة الطبيعة، ومرآة العقيدة، ومرآة التاريخ، وكان ظهورها في القرن الثالث عشر الميلاديّ، وهي خلاصة وافية لكلِّ المعارف في ذلك الوقت[٣]، توالى بعدها ظهور الموسوعات بصورة واسعة في عصر النهضة الأوربيَّة وما بعدها، ومع تزايد العلوم والمعارف والموسوعات حتَّى القرن العشرين[٤]، وكان الاهتمام الغربيّ بالشرق والحضارة الإسلاميَّة دافعًا كبيرًا لتأسيس موسوعة متخصِّصة بالحضارة الإسلاميَّة.

(١) أوَّل موسوعة يونانيَّة كانت من وضع سبوسيبوس (Speusippus)، ولم يرد اسم لتلك الموسوعة، وأوَّل موسوعة رومانيَّة كانت من وضع بلينوس الأرشد. ينظر: مُنِير البعلبكِّيّ، موسوعة المورد العربيَّة، ج٢، ص١١٧٢.

(٢) فنسنت دي بوفيه (Vincent de Beauvais): راهب وواعظ دين فرنسي، لا يعرف التاريخ الدقيق لحياته ووفاته ولم تظهر الكثير من التفاصيل في حياته، عمل كراهب وواعظ في الاديرة الفرنسية وفي اواخر ثلاثينيات القرن الثاني عشر بدأ العمل الموسوعي، وفي عام (١٢٤٤م) أكمل المسودة الأولى من العمل وعرضت على الملك الفرنسي لويس التاسع وأمر بتوفير الأموال وتذليل الصعاب لإكمال العمل وتحصل على دعم رجال الدين في فرنسا وقدموا له الكثير من التسهيلات، ويقال عمل هذه الموسوعة قرابة(٢٩ عامًا) (١٢٣٥ – ١٢٦٤م) سعيًا وراء تقديم خلاصة وافية لكل المعارف المتاحة في ذلك الوقت.
للمزيد من التفاصيل ينظر:
https://ar.vvikipedla.com/wiki/Vincent_of_Beauvais.

(3) Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 259.

(٤) للمزيد من التفاصيل عن تنامي تأليف الموسوعات الغربيَّة ينظر:
Cuddon, Dictionary of Literary Terms & Literary Theory, P. 259-260.

المحور الثاني

موسوعة الإسلام الاستشراقيَّة والمدرسة الفرنسيَّة

كان لتزايد الاهتمام الغربيّ بالحضارة الإسلاميَّة السبب الرئيس في تأسيس موسوعة متخصِّصة بالحضارة الإسلاميَّة والشرقيَّة، فقد شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدوليَّة بالحاجة إلى موسوعة لأعلام العرب والإسلام، يُجمع فيها شتات دراساتهم عن الشرق، فدعوا إليها في مؤتمراتهم العالميَّة [1]، ففي سنة (١٨٩٢م)، وفي مؤتمر المستشرقين الدوليّ التاسع في لندن، اقترح المستشرق و. روبرتسون سميث (W. Robertson Smith)[2] فكرة موسوعة الإسلام، وقبل الأعضاء الحاضرون في ذلك المؤتمر مبادرة الرجل الذي يعتبر المفكِّر الرئيس لهذا

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٣، ص٣٧٠.

(٢) و. روبرتسون سميث (W. Robertson Smith) (١٨٤٦-١٨٩٤م): مستشرق إنكليزيّ من أصول اسكتلنديَّة، درس اللغة العربيَّة في جامعة أدنبرا، ثمَّ في جامعات أوربا، وخلف المستشرق رايت في كرسي العربيَّة بكمبريدج، وانتُخب رئيسًا للجنة دائرة المعارف البريطانيَّة، وقام في خلال عام (١٨٧٩م)، وسنة(١٨٨١م) برحلات إلى الشرق الأدنى، جاب فيها مصر، وفلسطين، ولبنان، وسوريا، وبلاد العرب، حتَّى بلغ جدَّة، والطائف، ومن آثاره محاضرات عن أديان الساميِّين في سنة (١٨٨٩م)، وكتاب في أنساب العرب وزواج الجاهليَّة وما يتصل بتاريخ العرب قبل الإسلام (لندن، ١٨٨٥م)، وطُبع طبعة ثانية (١٩٠٧م)، وهناك من يرى فكرة موسوعة الإسلام كانت في سنة (١٨٨٢م)، وهناك من يراها في عام (١٨٩٢م)، ولعلَّها بصورة رسميَّة كانت في مؤتمر المستشرقين في لندن عام (١٨٩٢م). ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص٧١، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٤٤٩، يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص٣٤٢.

الموضوع[1]، وبتأييد عدد من الأساتذة المستشرقين، تقرَّر عقد اجتماع خاص لتأسيس لجنة مؤقَّتة تهدف إلى تجميع عدد من الباحثين ضمن هيئة تحرير تأخذ على عاتقها تأسيس موسوعة إسلاميَّة متخصِّصة، وفي هذا الاجتماع تمَّ تعيين قائمة بأسماء اثني عشر باحثًا من مختلف الأقطار الأوربيَّة، لتكوين اللجنة المؤقَّتة التي ترأَّسها روبرتسون سميث نفسه[2].

وفي مؤتمر المستشرقين التالي الذي عُقِد في جنيف عام (١٨٩٤م)، تمَّ تعيين رئاسة جديدة لهيئة التحرير بعد وفاة روبرتسون سميث، وتمَّ تجميع عدد من المقالات التي كتبها عدد محدود من المستشرقين، وتمَّ طبع عيِّنة منها عام (١٨٩٧م)[3]، وفي مؤتمر المستشرقين الثاني عشر في روما (١٨٩٩م)، تمَّ تأكيد الخطَّة الموضوعة لكتابة هذه الموسوعة، وتمَّ تحديد حجم المؤلَّف بشكلٍ تقريبيّ بثلاثة مجلَّدات تقريبًا[4].

وفي الموسم الأوَّل للرابطة الدوليَّة للأكاديميِّين المؤسَّسة في باريس عام (١٩٠١م)، تمَّ تقديم مقترح من عدد من الأكاديميَّات الغربيَّة لنشر موسوعة الإسلام، فتمَّ وضع لجنة لدراسة الموضوع، انتهت بحساب التكلفة الماليَّة العالية لنشر هكذا عمل موسوعيّ، فتحصَّلت على وعد بالدعم الماليّ من الأكاديميَّات والقنصليَّات والحكومات الغربيَّة، وتمَّ الاتِّفاق على طريقة العمل واللغة التي تنشر بها الموسوعة، فتمَّ الاتِّفاق على نشرها

(1) E. Van Donzel, (Mawsua), The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed., Vol. VI, P. 908.

(2) Transaction of the Ninth International Congress of Orientalists, London, 1892, Vol. I, Meeting of Section, P.P. li-xxxviii.

نقلًا عن: المحسن بن عليّ بن صالح سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالميَّة، ص٥٧٧.

(3) Donzel, (Mawsua), The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed., Vol. VI, P. 908-909.

(4) Actes du Douzieme Congres International des Orientalistes, Rome, 1899, Partie I, T3, Resume des Bulletins, P. c1xxix.

نقلًا عن: سويسي، مؤتمرات المستشرقين العالميَّة، ص٥٧٧-٥٧٨.

بثلاث لغات (الإنكليزيَّة، والفرنسيَّة، والألمانيَّة)، وهو ما حتَّم زيادة التكلفة الماليَّة والفترة الزمنيَّة المقرَّرة لهذا العمل، فتمَّ تعيين محرِّري لغة إنكليزيَّة، وفرنسيَّة، وألمانيَّة لمساعدة هيئة التحرير لإتمام العمل المتمثِّل بموسوعة الإسلام[1].

وقعت الطبعة الأولى في أربعة مجلَّدات وملحق، كان المجلَّد الأوَّل اكتمل عام ١٩١٣م في ١١١٩ صفحة، ويشمل الأحرف (A-D)، والمجلَّد الثاني عام ١٩٢٧م في ١٢٤٣ صفحة، ويشمل الأحرف (E-K)، والمجلَّد الثالث عام ١٩٢٨م في ١٢٧٢ صفحة، ويشمل الأحرف (R-L)، والمجلَّد الرابع عام ١٩٣٤م في ١٣١٤ صفحة، ويحتوي الأحرف (S-Z)، وتمَّ صدور الملحق عام ١٩٣٨م في ٢٨٦ صفحة.

والمطالع لهذا العمل الموسوعيّ المتعلِّق بتاريخ الحضارة الإسلاميَّة في موسوعة الإسلام، يُدرك حجم التعاون العلميّ بين المؤسَّسات الأكاديميَّة والباحثين الغربيِّين في تقديم صورة عن الحضارة الإسلاميَّة، بغضِّ النظر عن مدى صدق تلك الصورة، سواء كانت سلبيَّة أو إيجابيَّة.

وهذا العمل الاستشراقيّ الضخم يضمُّ عددًا كبيرًا من المقالات المتعلِّقة بالشعوب الإسلاميَّة، فهي تحتوي على كلِّ ما له علاقة بالحضارة الإسلاميَّة[2]، وهذا التنوُّع في المواضيع حتَّم على هيئة التحرير الاعتماد على عدد كبير من المستشرقين، ومن مدارس استشراقيَّة متعدِّدة، وثقافات مختلفة غير متشابهة، ولكنَّهم ينطلقون من أهداف متقاربة، وهي جمع كلِّ ما يتعلَّق بالحضارة الإسلاميَّة، والاستشراق يغلب عليه أن يكون ذا طابع واحد وخصائص مشتركة مهما اختلفت المدارس الاستشرقيَّة، فهو ذو طابع تكاملي[3]، ويحتِّم هذا التنوُّع في المدارس الاستشراقيَّة التي ينتمي إليها المستشرقون، أو مدوِّني مقالات موسوعة الإسلام اختلاف وتأثير البيئة التي ينتمي إليها الكاتب لتلك

(1) Donzel, (Mawsua), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. VI, P. 909.

(٢) سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، ص٥٦٧-٥٦٨.

(٣) محمَّد فتح الله الزياديّ، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٦٩-٧٢.

المقالات، والتي غالبًا ما تطفو تأثيرات تلك البيئة على كتاباته، لذا فالحديث عن المدارس الاستشراقيَّة التي كان لها دور في موسوعة الإسلام لا تقتصر على مدرسة واحدة بعينها، لاسيما وأنَّ موسوعة الإسلام قائمة على أساس من التعاون العلميّ الأكاديميّ بين الجامعات الأوربيَّة والغربيَّة، والمراكز البحثيَّة في العديد من دول العالم، فعندما نريد الحديث عن المدارس الاستشراقية التي كان لها دور في موسوعة الإسلام، فهو حديث يطول شرحه في هذا المقام؛ لكثرة المدارس الاستشراقيَّة والغربيَّة، نذكر منها على سبيل المثال المدرسة الفرنسيَّة، والإيطاليَّة، والإنكليزيَّة، والألمانيَّة، والهولنديَّة، والدنماركيَّة، والبلجيكيَّة، والمجريَّة، والروسيَّة، والأمريكيَّة، وغيرها من المدارس الاستشراقيَّة، لذا ستقتصر الدراسة على الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام، المتمثِّلة بمقال المستشرق الفرنسي هنري لامنس (Henri Lammens) (١٨٦٢-١٩٣٧م).

فالمدرسة الفرنسيَّة ترجع صلتها بالشرق إلى فترة القرن الثامن الميلاديّ، حينما وصل المسلمون إلى المقاطعات الفرنسيَّة، وازدهرت بوجود الحضارة الإسلاميَّة في الأندلس، وبحملة نابليون لمصر، والاحتلال الفرنسيّ للبلدان العربيَّة، وهذا التاريخ السياسيّ المتواصل جعل المدرسة الفرنسيَّة من أوائل الدول الأوربيَّة التي اهتمَّت بالدراسات العربيَّة والإسلاميَّة، فقد تمَّ تأسيس عدد من المدارس والمعاهد الشرقيَّة والعربيَّة، وتأسيس الكراسي لدراسة العربيَّة في الجامعات، فتوافد عليه طلَّاب العلم من كلِّ أنحاء أوربا، ولم تقتصر على تعليم الآداب الشرقيَّة في فرنسا وحدها، بل لحقها فتح المدارس في البلدان الشرقيَّة، وزوَّدتها بالمكتبات والكتب والمطابع، وجمعوا المخطوطات العربيَّة من بلدان الشرق، وانتعشت حركة الترجمة جرَّاء تراكم المخطوطات والمكتبات التي جُمِعت من الشرق، وكانت هناك مجلَّات خاصَّة بالشرق والدراسات الشرقيَّة، ساعدها في ذلك انتشار الطباعة في فرنسا والبلدان الشرقيَّة، حتَّى ذُكِر أنَّ فكرة إنشاء موسوعة عامَّة عن الشرق ترجع للمدرسة الفرنسيَّة[1].

(١) ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج١، ص١٣٨-١٤٢، ١٤٦-١٥٧، الزياديّ، الاستشراق=

ونجد أغلب الدراسات الفرنسيَّة في موسوعة الإسلام متعلِّقة في دراسات تمسُّ صلب الشعوب أو الأقطار التي احتلَّتها فرنسا، فكان هدف الاستشراق الفرنسيّ في بعض جوانبه استعماريًّا، هدفه نشر الثقافة الفرنسيَّة في البلدان التي كانت تحت السيطرة الفرنسيَّة، فحاولت تجريد السكَّان العرب من صلاتهم بالتراث، ونقل ذلك التراث العربيّ إلى فرنسا، ونشر ما يتَّفق مع أغراضها الاستعماريَّة، ويساعدها في ذلك وجود العديد من المنظَّمات الاستشراقيَّة في فرنسا أو في البلاد الشرقيَّة[1].

والمستشرق هنري لامنس (صاحب المقال)، هو مستشرق بلجيكيّ المولد، فرنسيّ الجنسيَّة، ولد في مدينة خنت (Gent) في بلجيكا في عام ١٨٦٢م، ويُقال إنَّ اسمه في نتاجه الاستشراقيّ الأوَّل (هنريكوس)، ولا يُعرف بالضبط لماذا تخلَّى عن اسمه هذا، وبات يُعرَف بـ(هنري لامنس). جاء إلى بيروت في صباه، وتعلَّم في الكليَّة اليسوعيَّة في بيروت، وبدأ حياة الرهبنة في سنة ١٨٧٨م، حتَّى صار في عام ١٨٨٦م معلِّمًا في الكليَّة اليسوعيَّة ببيروت، وسافر إلى إنكلترا وفينَّا ولوفان، وعاد بعدها إلى بيروت عام ١٨٩٧م، حيث عُيِّن معلِّمًا للتاريخ والجغرافية في كليَّة اليسوعيِّين، ثمَّ صار أستاذًا للتاريخ الإسلاميّ في معهد الدروس الشرقيَّة ضمن كليَّة اليسوعيِّين في عام ١٩٠٧م، عمل في إدارة مجلَّة المشرق، وهي مجلَّة فصليَّة تصدر عن اليسوعيِّين في بيروت، وكان نتاج لامنس يدور حول مواضيع متعدِّدة، لعلَّ أبرزها مواضيع السيرة النبويَّة، وبدايات الخلافة الأمويَّة، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ سوريا وآثارها. ومن آثاره: مهد الإسلام (روما ١٩١٤م)، مكَّة عشيَّة الهجرة (بيروت ١٩٢٤م)، والطائف عشيَّة الهجرة (بيروت ١٩٢٢م)، والمعابد قبل الإسلام غربي الجزيرة العربيَّة، والقرآن والسنَّة كيف ألفت حياة محمَّد (باريس ١٩١٠م)، وهل كان محمَّد أمينًا (باريس ١٩١١م)، وكتاب

=أهدافه و وسائله، ص ٨٤، محمَّد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، ص٢٢، يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص١٩٥-١٩٨.

(١) سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلاميَّة، ص١١١-١١٣.

فاطمة وبنات محمَّد: تعليقات نقديَّة لدراسة السيرة (روما ١٩١٢م)، ودراسات في حكم الخليفة الأمويّ معاوية الأوَّل (بيروت ١٩٠٧م)، وخلافة يزيد الأوَّل (بيروت ١٩٢١م)، وعدد كبير من المقالات التي يصعب حصرها في هذه المكان من البحث، وكان شديد التعصُّب ضدَّ الإسلام، يفتقر افتقارًا تامًّا إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعدُّ أُنموذجًا سيِّئًا جدًّا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين، حيث لم يعتد تقريبًا إلَّا بالأخبار غير المحمودة عن النبيّ وآل بيته، وهكذا كانت الصورة التي عُرِضت في كتاباته، فهي متحيِّزة ومُغرضة، ولم تجِدِ نفعًا غزارة المادَّة، ولا رشاقة العرض تجاه أوجه الضعف في سوق الأدلَّة[1].

(١) للمزيد من التفاصيل عن حياة هذا الراهب اليسوعي، ينظر: فردينان توتل اليسوعيّ، الأب هنري لامنس، مجلَّة المشرق، السنة ٣٥، العدد ٢، ١٩٣٧م، ص١٦١-١٧٦، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٠٢، العقيقيّ، المستشرقون، ج٣، ص٢٩٣، يوهان فوك، الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ص٤٥٣-٤٥٤، شهيد كريم محمَّد الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ، ص١١٦-٢٠٠.

المحور الثالث

سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام في موسوعة الإسلام الاستشراقيَّة

احتلَّت سيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حيِّزًا كبيرًا في الدراسات الاستشراقيَّة، واختلفت الرؤية بين مستشرق وآخر على اختلاف المدارس الاستشراقيَّة التي ينتمون إليها، وأُسند كتابة مقال السيِّدة فاطمة عليها السلام في الطبعة الأولى من موسوعة الإسلام إلى المستشرق البلجيكيّ المولد، والفرنسي الجنسيَّة هنري لامنس، وهي تعبِّر عن وجهة نظر لامنس، ولا تعبِّر عن توجُّه موسوعة الإسلام، وهذا ما عبَّرت عنه هيئة التحرير لذلك العمل الموسوعيّ بأنَّها لا تتحمَّل مسؤوليَّة ما يرد في تلك المقالات، وحتَّى لا تمتدُّ المسؤوليَّة لتشمل كتَّابًا آخرين، تمَّ يوضع اسم المستشرق في نهاية كلِّ مقالٍ ورد في هذه الموسوعة، فهي نتاج عمل مشترك بين الكتاب الغربيِّين[1].

يذكر المستشرق هنري لامنس أنَّ «فاطمة هي ابنه محمَّد من المسنَّة خديجة، ولِدت في مكَّة، وبخلاف أطفال النبيّ الآخرين، لدينا أسباب قويَّة للاعتقاد بوجودها، ليس من خلال الوثائق الموثوقة، بقدر ما هو الحال في ذريَّتها، ومع أنَّ الحقائق التاريخيَّة نادرة إلى حدٍّ ما، إلَّا أنَّها تمتلك سيرة ذاتيَّة خاصَّة بها ميَّزتها على أخواتها الأُخريات، ولاسيما

(1) Donzel, (Mawsua), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. VI, P.P. 909-910.

ينظر: ما ذكره المستشرق البلجيكيّ هوتسما حيال عمل هيئة التحرير وكيفيَّة عملها، واختيارها لكتَّاب المقالات بغضِّ النظر عن مدى سلبيَّة تلك المقالات.

رقيَّة وأم كلثوم المرتبطَتين دائمًا بها كأُختين، ومع ذلك فإنَّ شِعر القرن الأوَّل الهجريّ يغفل تمامًا ذكرها»[1].

ابتدأ لامنس مقاله بموقف سلبيّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، فهو يعمد إلى تشويه تلك الصورة في أغلب كتاباته عن السيرة النبويَّة، وابتدأ بتقديم السيِّدة خديجة عليها السلام أمَّ السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بصورة المرأة المسنَّة، تمهيدًا للطعن في عمر السيِّدة فاطمة عليها السلام، مقارنةً بعمر أمِّها، كما سيتَّضح هذا فيما بعد ، ولنقف قليلًا على عمر السيِّدة خديجة عليها السلام، هل كانت فعلًا مسنَّة كما يقول لامنس؟.

هناك خلاف كبير حول عمر السيِّدة خديجة عليها السلام وقت زواجها من النبيّ صلى الله عليه وآله في المصادر التاريخية[2]، وقد ذكر المستشرق وليم مونتغمري وات (W. M. Watt)[3] أنَّ عمر السيِّدة خديجة عليها السلام الكبير قد بولِغ فيه[4]، وقد ذهب أحد الباحثين إلى احتماليَّة أن

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) قيل إنَّ عمرها ثمان وعشرين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٧، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٩٨. وقيل عمرها أربعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣٢، البلاذريّ، أنساب الاشراف، ج١، ص ٩٨. وقيل خمسون، وقيل غير ذلك. ينظر: المقريزيّ، إمتاع الأسماع، ج٦، ص٢٧-٢٨.

(٣) وليم مونتغمري وات (W. Montgomery Watt): مستشرق إنكليزيّ أسكتلنديّ، ولِد في مدينة كريس فايف في عام (١٩٠٩م)، والده القسيس أندرو وات، درس في كلٍّ من أكاديميَّة لارخ (١٩١٤-١٩١٩م)، وفي كليَّة جورج واتسون بأدنبرة، وجامعة أدنبرة (١٩٢٧-١٩٣٠م)، وكليَّة باليول بأوكسفورد (١٩٣٠-١٩٣٣م)، وجامعة جينا بألمانيا، وبجامعة أوكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة (١٩٣٨-١٩٣٩م)، ومن عام (١٩٤٠-١٩٤٣م) غدا راعيًا لعدَّة كنائس في لندن وأدنبرة، وهو متخصِّص في السيرة النبويَّة وتاريخ الإسلام، وعمل بعد تقاعده في مناصب دينيَّة، وعمل رئيسًا لقسم اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة في جامعة أدنبرة (١٩٤٧-١٩٧٩م)، نال درجة الأستاذيَّة عام (١٩٦٤م)، من آثاره: محمَّد في مكَّة (١٩٥٨م) (لندن)، محمَّد في المدينة، الإسلام والجماعة الواحدة (١٩٦١م)، تاريخ اسبانيا الإسلاميَّة (١٩٦٥م) (أدنبرة). للمزيد من التفاصيل ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص١٣٢.

(٤) محمَّد في مكَّة، ص٩٩.

يكون عمرها عند الزواج ما بين (٢٥، ٢٨، ٣٠)[١]، خلافًا لما يُقال من أنَّ عمرها كان أربعون سنة وقت زواجها من النبيّ صلى الله عليه وآله، ويمكن تحديد زمن الزواج من خلال تاريخ وفاتها، فقد قيل: «بلغت خديجة خمسًا وستِّين سنة، ويُقال خمسين سنة، وهو أصح»[٢]، وإذا ما اعتمدنا على القول الأخير، وهو أنَّ وفاتها كانت بعمر الخمسين سنة، فإنَّ وفاتها كانت في السنة العاشرة من البعثة، قبل الهجرة بثلاث سنين[٣]، وأنَّ زواج النبيّ صلى الله عليه وآله منها كان قبل بعثته بخمس عشرة سنة[٤]، وبذلك يكون عمرها عند الزواج خمس وعشرين سنة، وعند بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله أربعين سنة، وقضائها عشر سنين بعد البعثة، فيكون عمرها خمسين سنة عند وفاتها، وهو الأصحّ على حدِّ قول البيهقيّ (ت٤٥٨هـ)[٥]، لذا كان عمرها وقت الزواج خمسًا وعشرين سنة[٦]، فهي على هذا القول لم تكن مسنَّة، بل كانت بعمر مقارب من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله، وما اعتمده لامنس هو الرأي الثاني القائل بوفاتها بعمر خمسًا وستين سنة.

ولم يستطع لامنس رغم مهاراته البحثيَّة أن ينكر وجود السيِّدة فاطمة عليها السلام، على الرغم من أنَّه عاد وحاول التقليل من تلك المكانة؛ بحجَّة ندرة الحقائق التاريخيَّة، وكعادته يحاول رفض كلِّ مصادر القرآن الكريم والسيرة النبويَّة والحديث، والبحث عن ذِكر السيِّدة فاطمة عليها السلام في كتب الشعر!!، فهل يمكن للامنس الاستدلال على ذكر السيِّدة مريم عليها السلام مثلًا إذا ما طالعنا كتابًا للجغرافيا أو الفن التشكيليّ أو المسرحيّ؟ فموضوعة الكتب بعيدة كلَّ البُعد عن التطرُّق لذِكر السيِّدة فاطمة عليها السلام[٧].

(١) أصلان عبد السلام حسن، قراءة نقديَّة في كتب السيرة النبويَّة، ص٥٢-٥٨.
(٢) البيهقيّ، دلائل النبوَّة، ج٢، ص٧١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٥٩.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٨، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص٢٥٢.
(٤) البيهقيّ، دلائل النبوَّة، ج٢، ٧٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٧٣.
(٥) نزار ناجي محمَّد الدهيس، زواج النبيّ صلى الله عليه وآله، ص٨٠-٨١.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣٦٠، السيرة النبويَّة، ج١، ص٢٦٥.
(٧) صورة أصحاب الكساء، ص٣٧٤-٣٧٥.

ويذكر بعدها لامنس عن السيِّدة فاطمة عليها السلام: «إنَّ تاريخ الميلاد لا يزال يتوجَّب تسويته، وهذا يجرُّنا إلى سؤال آخر، وهو ترتيبها بين بنات النبيّ الأُخريات مع تقدُّم سنِّ خديجة الذي يجب أن يؤخَذ بالاعتبار، من ناحية ثانية، كانوا يرغبون بتجنُّب كِبَر سنِّها عند زواجها من عليّ، وفقًا لأهميَّة هذَين الاعتبارَين يصعب التوفيق بينهما، وهذا ما جعل الكتَّاب مختلفين في تاريخ ميلادها، فمنهم من يجعله متقدِّمًا، ومنهم من يجعله متأخِّرًا، ومنهم الشيعة بشكلٍ أساس، فقد وهبوا فاطمة كلَّ النِّعم الجسديَّة والفضائل العقليَّة، ووجدوا أنَّها أكثر ملائمة لجعل سنها أصغر من أخواتها، وتذكر السيرة أنَّ أخواتها كنَّ قد تزوَّجن قبل فاطمة، ويعتقدون أنَّ النبي يجب أن يكون قد زوَّج البنات الأكبر أوَّلًا، وهذا الإصرار على شباب فاطمة أمر طبيعيّ تمامًا، وقد أبدى الصحابة قلَّة في الحماسة للدخول إلى بيت النبيّ، ويجب أن نعترف بأنَّ محمَّدًا كان غير مهتمٍّ بابنته، وأخيرًا بقيت فاطمة غير متزوِّجة فترة طويلة، أطول بكثير من العزوبيَّة العاديَّة، وهي فترة تخشاها النساء العربيَّات»[1].

يحاول لامنس إثبات أنَّ عمر السيِّدة فاطمة عليها السلام كان كبيرًا، وتاريخ ميلادها الذي يحاول تسويته وجعله متوافقًا مع طروحاته، فهو يُريد إثبات تأخُّر زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام، ومتَّهمًا الشيعة بشكلٍ خاصٍّ بوهب كلِّ الفضائل لها؛ لمحاولة جعل عمرها أصغر، وقد نتَّفق مع لامنس بوجود خلاف كبير حول تاريخ الولادة، لكن هذا لا يعني رفض جميع الآراء التي لا تتَّفق مع طروحاته، وجعله ليس من التاريخ، وقد كان هذا الرأي من لامنس محلَّ انتقاد من قبل الاستشراق نفسه، فقال عنه المستشرق الألماني كارل هاينرش بيكر (C. H. Bekker)[2]: «لو قلنا إنَّ شعائر

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) كارل هاينرش بيكر (Carl Heinrich Bekker) (١٨٧٦-١٩٣٣م): مستشرق ألمانيّ وسياسيّ، قضى دراسته الثانويَّة في فرانكفورت، ودخل جامعة لوزان أوَّلًا، ثمَّ بعدها درس في هيدلبرج وبرلين، ونال الدكتوراه عام (١٨٩٩م) من هيدلبرج، كان له ولع شديد باللاهوت=

التمجيد مردُّها إلى الشيعة، لذلك فإنَّها لا تمتُّ للتاريخ بشيء، فيجب اعتبار الوصف السيِّء لصورة فاطمة في أحاديث أهل السنَّة هو الآخر ليس من التاريخ بشيء، فقد تكون هذه الإساءات مجرَّد ردّ فعل على تمجيد الطرف الآخر؛ إن لامنس ينظر في طروحاته إلى كلِّ الصفات السيِّئة أنَّها صفات تاريخيَّة، دون الخوض فيها»[1].

ذكرت إحدى الباحثات بعد دراسة مستفيضة لمرويَّات ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وانتهت إلى نتيجة تؤكِّد فيها أنَّ تاريخ الولادة هو في السنة الخامسة من البعثة [2]، وهذا الرأي يؤكِّد زواجها وهي بعمر صغير، خلاف ما يذكره لامنس من طروحات في بقائها فترة طويلة في العزوبيَّة، كما يحاول التأسيس لرأي يستند إليه فيما بعد كما سيتَّضح، وقد بيَّنَّا أنَّ عمر السيِّدة خديجة عليها السلام خلاف ما يُشاع في المصادر، وخلاف ما يعتقد لامنس.

ويبدو أنَّ لامنس يحاول مخالفة اتِّفاق المصادر فما ذكره من ترتيبها بين أخواتها الأُخريات، فلا يمكن رفض كلِّ المصادر التي قالت بترتيبها بين أخواتها بأنَّها الأصغر[3]، والذهاب مع لامنس فيما يعتقد به خلاف تلك المصادر، وما ذكره لامنس

=منذ دراسته الثانوية، سافر إلى عدد من الدول الأوربيَّة، منها باريس واسبانيا، وفي الأخيرة بدأت دراسته الشخصيَّة في المشرقيَّات، سافر إلى القاهرة واتَّصل بحياة الشرق اتِّصالًا مباشرًا، وتعلَّم العربيَّة فيها، عاد إلى المانيا عام (١٩٠١م)، مرورًا بإيطاليا واليونان واسطنبول، عاد بعدها إلى مصر سنة (١٩٠٧م)، أسَّس مجلَّة الإسلام (تاريخ الشرق الإسلاميّ وحضارته)، وتُعرف اختصارًا (Der Islam) (عام ١٩١٠ م)، له العديد من الآثار، منها: النصرانيَّة والإسلام (تونجين ١٩٠٧م)، مجموعة بحوث في الإسلام بالألمانيَّة، نقلًا عن ما كان نشره في مجلَّة الإسلام (١٩١٦-١٩١٨م)، الإسلام في إطار تاريخ الحضارة (المجلَّة الشرقيَّة الألمانيّة ١٩٢٢م). للمزيد من التفاصيل ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٣-١١٦، العقيقيّ، المستشرقون، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.

(1) Prinzipielles zu Lammens Sirastudien, P. 266.

والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص١٧٣-١٧٩.

(٢) انتصار عدنان عبد الواحد العوَّاد، السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تاريخيَّة، ص٢٧-٦٢.

(٣) ينظر على سبيل المثال: ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٩-٣٩، ابن الأثير، أسد الغابة،=

من عدم اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله بابنته السيِّدة فاطمة عليها السلام هو خلاف ما تذكره المصادر من إظهار الودِّ والاحترام لها، فقد كان يقبِّلها ويجلسها مجلسه[1]، وكانت من أحبِّ الناس إليه[2]، وكذا ينطبق الحال مع ما ذكر المستشرق لامنس من أنَّ الصحابة وجد عندهم قلَّه في الحماسة لخطبتها كما يعتقد، فقد تنافس أصحاب رسول الله على خطبتها، والنبيّ صلى الله عليه وآله هو مَن كان يرفض تزويجها[3]، وما ذكره لامنس يسير وفق طريقته في تكذيب واستبعاد كلِّ النصوص والوثائق التاريخيَّة كلَّما وجدها تتعارض مع رؤيته، في حين يقطع بوثاقة كلّ ما يتَّفق مع ما يخدم توجُّهاته البحثيَّة، وراح يصنِّف المؤرِّخين بحسب ما يؤيِّد طرحه، فكلَّما وجد مؤرِّخًا يذكر فضائل آل البيت رماه بالتشيُّع[4]، وهذه الطريقة الانتقائيَّة التي انتهجها لامنس في كثير من أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته.

ويضيف لامنس بعدها: «في هذا النقاش الزمنيّ، وفي غياب أي معلومات مباشرة، من غير المجدي أن نتَّفق مع شبرنكر (Spreger)[5] «أنَّ الروايات فقدت

=ج٥، ص٤٦٧- ٤٦٨، ٥١٩- ٥٢٠، المزيّ، تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٢٤٧-٢٤٨.

(١) ينظر على سبيل المثال: ابن حنبل، مسند، ج٦، ٢٨٢، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص١٨٣، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٤٣، الترمذيّ، سنن الترمذيّ، ج٥، ص٣٦١، الحاكم النيسابوريّ، المستدرك، ج٤، ٢٧٢.

(٢) الطبرانّي، المعجم الكبير، ج٢٢ ، ص٤٠٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢ ، ص٢٦١-٢٦٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٩.

(٤) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٦٧.

(٥) اليوس شبرنكر(شبرنجر-سبرنكر Aloys Sprenger) (١٨١٣-١٨٩٣م): ولد في التيرول في النمسا، وتعلَّم في إنسيروك وفينا وباريس، ورحل إلى لندن، وتجنَّس بالجنسيَّة البريطانيَّة (١٨٣٨م)، نال الدكتوراه في الطب من ليدن في (١٨٤١م)، أرسلته شركة الهند الشرقيَّة إلى الهند طبيبًا (١٨٤٢م)، وولَّته رئاسة الكليَّة الإسلاميَّة في دلهي ثمَّ مدرسة كلكتَّا، من آثاره أصول الطبِّ العربيّ على عهد الخلفاء، وهي رسالته للدكتوراه، وله كتاب (سيرة محمَّد) مع ترجمة لبعض آيات القران الكريم في ٣ أجزاء، أعانه نولدكه في تأليفه. ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج٢ ، ص٢٧٧-٢٧٨، مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٤٧١-٤٧٢.

نقطة البداية، فكانت نقطة الانطلاق هي وفاة فاطمة التي يتَّفق الجميع على أنها في العام (١١ هجريَّة)، وتمَّ زيادة السنوات بين وفاة خديجة والهجرة، وفوق هذا الرقم (١٤) لا يوجد اتِّفاق بين المصادر، إذ كان البعض يجعل فاطمة على أنَّها واحدة من أكبر أخواتها، أو أنَّها الكبرى بينهنَّ، وذلك لأنَّهم رغبوا في تجنُّب الاعتراض الناشئ عن السنوات المتقدِّمة لأمِّها»[1].

يعود مَّرة ثانية للتأكيد على أنَّ عمر السيِّدة فاطمة عليها السلام كان كبيرًا، أو أنَّها أكبر أخواتها؛ لتلافي التعارض مع سنِّ أمِّها السيِّدة خديجة عليها السلام الذي بينَّاه سابقًا بما أكدته المصادر التاريخيَّة بأنَّها بعمر مقارب من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يمكن معارضة المصادر والذهاب إلى رأي شاذ، فيقول المزيّ (ت ٧٤٢هـ) في هذا الجانب: «وقد اضطرب.. في بنات النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أيتهنَّ أكبر وأصغر، اضطرابًا يوجب أن لا يلتفت إليهما في ذلك. والذي تسكن إليه النفس من ذلك على ما توارثت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، أنَّ الأولى زينب، ثمَّ الثانية رقيَّة، ثمَّ الثالثة أمُّ كلثوم، ثمَّ الرابعة فاطمة»[2]، وهذا الاضطراب لا يُلتفَت إليه، والذي يريد لامنس تأكيده ليخدم توجُّهاته البحثيَّة، لهذا يؤكِّد عليه في أكثر من مكان من مقاله.

ويزيد لامنس بعدها فيقول: «وقد سعى البعض الآخر من الذين يرون في تأخُّر زواجها من عليّ إلى وضع ولادة فاطمة في فترة الدعوة النبويَّة لوالدها قبلها ذلك بقليل أو بعده بقليل، وأكثر الكتاب تكريسًا لهذا الرأي، هم الكتَّاب المؤيِّدون لأهل البيت، المسعوديّ يضع ولادة فاطمة قبل الهجرة بثمان سنوات، أي في تاريخ يجب أن يكون عمر والدتها (٦٠ سنة) على الأقل، هذا الرأي المنعزل المستوحى من التصريح الوارد في السيرة بأنَّ عائشة تزوَّجت في سنِّ التاسعة من عمرها، وهو محاولة لمنح فاطمة

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٢٤٨.

نفس تلك الميزة، وفي أكثر من جانب، فاطمة هي النظير الشيعيّ لشخصيَّة عائشة البارزة»[1].

فلو عمل لامنس على اعتماد رأي المسعوديّ[2]، وعدم استبعاده، لتوصَّل لنتيجة مرضيَّة في عمر السيِّدة خديجة وفاطمة عليهما السلام، لكن لأنَّه لا يقبل إلَّا البحوث التي يظهر فيها انتقاص وتشويه لآل البيت عليهم السلام، فقد استبعدها؛ لأنَّه كما يعتقد متشيِّع أو محبّ للعلويِّين أو من الآراء الشيعيَّة، فقد بينَّا أنَّ عمر السيِّدة خديجة عليها السلام كان من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله، وعند ولادة السيِّدة فاطمة عليها السلام سيكون عمرها خمس وأربعون سنة، وهو خلاف ما تذكره المصادر، ويؤيده لامنس، وما يذكر من أنَّها محاولات لمنح السيِّدة فاطمة نفس مميِّزات السيِّدة عائشة، فقد أراد لامنس نفي كلِّ فضيلة عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، ولا نعلم لماذا لا يكون العكس هو الصحيح، وعلى نفس البناء المعرفي الذي يجيده لامنس من عكس وقَلب النصوص[3]؛ لأنَّ السيِّدة عائشة لم تكن في سنِّ التاسعة عند زواجها من النبيّ صلى الله عليه وآله، بل عمرها كان عند الهجرة سبعة عشر سنة مقارنة مع عمر أختها أسماء التي كانت عند الهجرة بعمر سبعة وعشرين سنة، وهي تكبر السيِّدة عائشة بعشر سنين[4]، خلاف ما تذكره المصادر من زواجها بعمرٍ صغير.

ويذكر لامنس بعدها بالقول: «يُكرِّس أقدم المؤرِّخين وأوائل كتَّاب السيرة مثل

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٩.

(٣) آتين دينيه، محمَّد رسول الله، ص٥٠ (المترجم)، الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص١٦٣-١٦٤.

(٤) ينظر عن عمر أسماء بنت أبي بكر عند الهجرة: ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٦٩، ص٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٩٢. وهي أكبر من السيِّدة عائشة بعشر سنين، فعلى هذا يكون عمر السيِّدة عائشة عند الهجرة سبع عشرة سنة؛ لأنَّها أصغر من أختها أسماء بعشر سنين. ينظر: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٢ ، ص٦١٦، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٩، ص٨-١٠.

ابن هشام اهتمامًا ضئيلًا لفاطمة، وفي كتاب ابن حنبل يحتلُّ مسند فاطمة صفحة واحدة فقط، مقابل ٢٥٠ صفحة مخصَّصة لعائشة، ويسرد ابن سعد في طبقاته سيرة عليّ دون أن يذكر اسم زوجته مطلقًا، وبالكاد تظهر في كتاب الأغاني، على الرغم من ميوله العلويَّة، لا نعرف شيئًا عن فاطمة في فترة ما قبل الهجرة سوى كنية (أمِّ أبيها) وحزنها على وفاة خديجة، لا أحد من أهل السيرة يبكي مثل فاطمة إلَّا أبو بكر ربَّما؛ الدموع هي مظهر من مظاهر الألم الجسديّ والحماسة الدينيَّة عند ابنة النبيّ وتاجر قريش»[1].

ويبدو أنَّ لامنس تأثَّر بالرواية التاريخيَّة الشائعة والسائدة التي وضعتها وصنعتها السلطات الأمويَّة والعبَّاسيَّة، بدفعها وتوجيهها وتشجيعها ماديًّا واجتماعيًّا وإداريًّا لرواة يعدُّون روَّادًا في رواية السيرة النبويَّة وأحداث القرن الأوَّل للهجرة، لأنْ يزيِّفوا أو يحرِّفوا أو يكيِّفوا، والأكثر أهميَّة أن يغيِّبوا دور السيِّدة فاطمة عليها السلام التاريخيّ ومواقفها، لذا لا مبالغة في القول إنَّ التدوين التاريخيّ الإسلاميّ عامَّة، والتدوين المتعلِّق بالسيرة النبويَّة خاصَّة، قد تعرَّض إلى عمليَّات مقصودة وغير مقصودة من التشويه والتزوير والكذب بدافع معيَّن، أو بجملة من الدوافع، منذ بوادر نشوء التدوين في القرن الأوَّل الهجريّ/ السابع الميلاديّ، لذا عمدت السلطات الحاكمة إلى طمس الحقائق التاريخيَّة المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام[2]، فابن هشام هو القائل إنَّه: «تارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، ممَّا ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه ذِكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببًا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارًا ذكرها لم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنّع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائيّ بروايته»[3]، فهو عمد إلى تهذيب السيرة أو تشويهها بالصورة التي تُرضي السلطات السياسيَّة والمعرفيَّة، فمؤكَّد

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) عبد الجبار ناجي، التشيُّع والاستشراق، ص٨٥-٨٦، ٤٧٣.

(٣) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص٢ (المقدِّمة).

ذكر السيِّدة فاطمة عليها السلام، ومشروعيَّة حكم ذريَّتها ستقوِّض أسس أحقيَّة السلطات الأمويَّة والعبَّاسيَّة في الخلافة، وهذا ما عملت السلطات جاهدة من أجل تغييبه وتحييده.

وابن حنبل الذي احتلَّت فيه السيِّدة فاطمة عليها السلام صفحة واحدة، فهي حسب منهجيَّة كتابته وجمعه لتلك الأحاديث، فكثرة الروايات والحديث لا تعكس مكانة الراوي[1]، فقد ترجم لزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله أقلَّ من صفحة[2]، وهذا لا علاقة له بمكانتهنَّ.

أمَّا ابن سعد فلأنَّه أراد تجنُّب تكرار المعلومة، وتغطية أكبر جزء ممكن من أخبار الشخصيَّات المترجَم لها، أفرد لها ترجمة خاصَّة ضمن عنوان (ذِكر بنات رسول الله) بعشر صفحات، في حين ترجم لجميع بنات رسول الله الأُخريات بعشر صفحات تقريبًا، ولا يعني ترجمته للسيِّدة فاطمة عليها السلام بعشر صفحات أنَّه كان منصفًا لها[3].

وما ذكره عن أبي الفرج الأصفهانيّ، فهي كسابقتها التي يحاول فيها البحث عن سيرة فاطمة عليها السلام في كتب الشعر، ولا يمكن الاستدلال على تواضع السيِّدة مريم عليها السلام، إذا ما طالعنا كتابًا للجغرافيا أو الفنِّ المسرحيّ، فموضوعيَّة كتاب أبي الفرج الأصفهانيّ بعيدة كلَّ البعد على ذِكر سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام[4]، وهو في الأغلب يحاول عقد مقارنة مع السيِّدة عائشة في ما تناولته المصادر في ذِكرها وكثرة سرد أخبارها وأحاديثها، فالكثرة في ما نقل عن السيِّدة عائشة مقارنةً بما ذَكر من أحاديث عن السيِّدة فاطمة عليها السلام يبيِّن حجم الأقصاء والتغييب الذي تعرَّض له آل البيت عليهم السلام، وأحاديث السيِّدة فاطمة عليها السلام

(١) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٦٩-٣٧١. وينظر ما ذكره ابن حنبل، مسند، ج٦، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٢) ينظر ترجمته لزينب بنت جحش: ابن حنبل، مسند، ج٦، ص٣٢٤.

(٣) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٦٩. وينظر ترجمة السيِّدة فاطمة عليها السلام عند ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨ ، ص١٩-٣٠، وينظر ترجمة بنات رسول الله الأُخريات: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠-٣٩.

(٤) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٧٤.

تحديدًا، فهي التي رافقت النبيّ صلى الله عليه وآله فترة زمنيَّة أكثر من السيِّدة عائشة، فمن غير المعقول أن تكون أحاديثها أقل من أحاديث السيِّدة عائشة، لكن لأنَّ أحاديثها لا تخدم السلطات السياسيَّة التي خلفت النبيّ، وصادرت حقوق آل البيت عليهم السلام، فكان حجم الأحاديث الواردة عنها قليل، ولأنَّ تلك الأحاديث ستبيِّن حجم الظلم والأقصاء والتهميش الذي تعرَّضت له، فتمَّ تغييبها أو إقصائها، وكثرة أحاديث السيِّدة عائشة تخدم توجُّهات تلك السلطات المتسلِّطة في معاداتها لآل البيت عليهم السلام، والوقوف دون انتشار أحاديثهم وتحجيمها، والوقوف ضدَّ من يروي عنهم، ناهيك عمَّا تكفَّل به عروة بن الزبير المقرَّب من السلطة الأمويَّة في نسبة العديد من الأحاديث إلى خالته السيِّدة عائشة، حتى جعل أحاديثها بهذه الكثرة، ولعلَّ لامنس أراد بتلك المقارنة جعل مكانة السيِّدة فاطمة عليها السلام عند أبيها دون مكانة السيِّدة عائشة، وهو ما سيحاول الوصول إليه.

ولتلك الأسباب المذكورة أعلاه لا نجد الكثير من حياتها قبل الهجرة، لكن كان حريًّا بلامنس الوقوف على كنيتها ومعناها، ولماذا تكنَّت بتلك الكنية؛ لما فيها من دلالة على اهتمامها بأبيها حتَّى عُرِفت عنها تلك الكنية، فهذا اللقب لم تلقَّب به من دون دور أو موقف كان لها بكلِّ تأكيد، وفي العهد المكِّيّ تحديدًا، فقد كانت في العهد المكِّيّ كالأمِّ لأبيها في وقوفها إلى جانبه، فقد كانت تهتمُّ بهِ كما تهتمُّ الأم بوليدها، فهي بمثابة الأمِّ الروحيَّة التي لها حقٌّ معنويّ على الأنسان[1]، كما قال النبيذيّ صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد: «**هي أمِّي**»[2]، لدورها في رعايته، وقد ورد في بعض النصوص التدوينيَّة ذلك الاهتمام، على الرغم من الرقابة السلطويَّة على تدوين السيرة النبويَّة في عدم ذكر فضائل

(١) ناصر مكارم الشيرازيّ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَّل، ج١٣، ص١٧٠.

(٢) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمُّها فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر ابن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، تزوَّجها أبو طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم، فولدت له عليًّا، وجعفرًا، وعقيلًا، وأم هانئ، وجمانة، وريطة بنت أبي طالب، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفِّيت بها. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٥١، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥١٧، وينظر: لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**هي أمِّي**». الأربلِّيّ، كشف الغمَّة، ج١، ص٦٥.

آل البيت عليهم السلام أو تحجيمها وتغييبها[1]، لكن مثل تلك النصوص الواردة في ذِكر السيِّدة فاطمة عليها السلام لا تخدم توجُّهات لامنس البحثيَّة، مع علمه بوجودها.

أمَّا الدموع، فهو يحاول ربطها بالحالة النفسيَّة للسيِّدة فاطمة عليها السلام، كما سيتضح بعد هذا الكلام، لذا جعله من مظاهر الألم الجسديّ الذي يؤثِّر على جسدها نتيجة شعورها بالحزن والألم واليأس والاكتئاب معًا، فتكون معرَّضة للأمراض، فيذكر لامنس: «يبدو أنَّ فاطمة دائما ما كان لديها مزاج حزين ملفوف بالكآبة، وجسديًّا لم تكن أفضل من ذلك، فجسدها الضعيف ونحافتها وأمراضها المتكرِّرة جعلتها غير صالحة للمهامِّ الصعبة المخصَّصة للمرأة العربيَّة»[2].

حاول لامنس الربط ما بين حزنها ودموعها وحالة الاكتئاب التي تنبع من موقف عاطفيّ أو اتِّجاه انفعاليّ يتَّخذ في بعض الأحيان شكلًا مرضيًّا واضحًا، وينطوي على شعور بالقصور واليأس، بحيث يطغى هذا الشعور على المرء أحيانًا، ويصاحبه انخفاض عام في النشاط النفسيّ والعضويّ[3]، وبيَّن صفاتها الجسديَّة من أمراض ونحافة جسديَّة، ولا نعلم كيف استدلَّ لامنس على أمراضها المتكرِّرة وجسدها الضعيف، طالما لم تذكر ذلك أي من المصادر، ولا حتَّى أي إشارة إلى حالات الاكتئاب، أو كثرة البكاء، أو عدم اهليَّتها للمهامِّ المخصَّصة للمرأة العربيَّة، لذا كانت تلك من صياغاته التي كان يستهدف بها تشويه صورة السيِّدة فاطمة عليها السلام.

ويذكر بعدها لامنس: «نادرًا ما يكون هناك أي إشارة إلى جمال فاطمة، على عكس أُختها رقيَّة، ولا يعلن محمَّد في أي مكان على أنَّها أفضل بناته أو أكفأهَّن، كما يفعل إلى

(١) ينظر على سبيل المثال: وقوفها من بوجه قريش بعد رميهم سلا جزور على ظهر النبيّ صلى الله عليه وآله عند الصلاة عند البيت الحرام. ابن حنبل، مسند، ج١، ص٣٩٣، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج١، ص٦٥. وينظر موقفها في غسل التراب من رأس رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما نالت منه قريش ما نالت، بعد وفاة أبي طالب. ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص٤١٦.

(2) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٣) أسعد رزوق، موسوعة علم النفس، ص٤٤.

زينب، كلُّ هذا يفسِّر سبب انتظارها لوقت طويل قبل أن تجد زوجًا»[1].

حاول لامنس تقديم صورة مغايرة عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، بكونها لا تقارَن بجمال رقيَّة، وذكاء زينب، ولعلَّ المستشرق لامنس اعتمد في جمال رقيَّة ابنه النبيّ صلى الله عليه وآله على المصادر المتأخِّرة، ومنها ما ذكره الدميريّ (ت ٨٠٨هـ)، حيث قال: «ولـمَّا هاجرت رقيَّة إلى الحبشة، كان فتيان الحبشة يتعرَّضون لرؤيتها، ويتعجَّبون من جمالها، فآذاها ذلك، فدَعَت عليهم فهلكوا جميعًا»[2]، ولم ينقل الدميريّ (ت ٨٠٨هـ) سند تلك الرواية التي تلقَّفها منه الديار بكريّ (ت ٩٦٦هـ)، فهي رواية مجهولة الرواة، فلا يمكن الركون إليها أو الأخذ بها، زيادة على ذلك، ليس من عادة أهل الحبشة التعرُّض لنساء المسلمين في أرضهم، لاسيما وهم في ضيافة وجوار حاكم الحبشة النجاشيّ، فمن يتعرَّض لهم بالسوء يتعرّض لصاحب الجوار بالسوء، ولا أحد من أهل الحبشة يستطيع المواجهة أو التعرض بضيوف ملك الحبشة، وهذا الكلام يخالف ما ورد في السيرة النبويَّة عن أمِّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله بقولها: «لـمّا نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشيّ، أمَّننا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه»[3]، وهذا يدلِّل على كذب مثل تلك المرويَّات عن التعرُّض لنساء المسلمين في أرض الحبشة من قِبَل فتيانهم، فهذه هي الإشارة الوحيدة التي استدلَّ بها لامنس على جمال رقيَّة.

إنَّ أحد ألقاب السيِّدة فاطمة عليها السلام هي(الزَّهراء)[4]، والزَّهراء هي المرأة المشرقة الوجه، والبيضاء المستنيرة المشربة بحمرة، والأزهر كلُّ لون أبيض كالدرَّة الزَّهراء[5]،

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) الدميريّ، حياة الحيوان، ج١، ص٤٨٢. ونقل عنه الديار بكريّ ذلك الكلام: ينظر الديار بكريّ، تاريخ الخميس، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج١، ص٢٢٢، ابن حنبل، مسند، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣، المسعوديّ، مروج الذهب، ج٢، ص٤٢٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٣٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٢٤٩.

(٥) ينظر: الفراهيديّ، كتاب العين، ج٤، ص١٣، الجوهريّ، الصِّحاح، ج٢، ص٦٧٤،=

وقد وُصِف النبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّه أزهر[1]، وعلى ذلك تكون هذه أحدى الصفات التي ورثتها عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وسكوت المصادر عن وصف جمالها دلالة على الدور السلطويّ في تغييب مكانة أهل البيت عليهم السلام وصفاتهم، في حين تمَّ إبراز جمال رقيَّة؛ لأنَّها كانت زوجه عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس[2]، فهنا برز الدور الأمويّ في تدوين السيرة النبويَّة في تغييب صفات فاطمة عليها السلام؛ لأنَّها زوجة الإمام عليّ عليه السلام المنافس للأمويِّين.

ومقارنة السيِّدة فاطمة عليها السلام مع اختها زينب، فكيف يُشير النبيّ صلى الله عليه وآله إلى كفاءتها، وهي بقيت مع زوجها المشرك، ودخل في حرب ضدَّ الإسلام حتَّى وقع في الأسر[3]، فهل بقاءها مع زوجها المشرك دليل الكفاءة عند لامنس؟!

أمَّا أنَّها انتظرت طويلًا قبل أن تجد زوجًا، فهذا يرُّده ما قيل بعد الهجرة إلى المدينة من تنافس الأصحاب على خطبتها، والنبيّ صلى الله عليه وآله هو من كان يرفض تزويجها[4]، وهذا دليل على نفي كلام المستشرق لامنس بوصفها غير ذات جمال أو كثيرة العلل حتَّى تأخَّر زواجها لتلك الأسباب، كما يحاول تصويره، فلو كانت غير ذات جمال أو كثيرة الحزن والاسقام، لما تنافس لخطبتها عدد من الأصحاب، وهو ما سيذكره لامنس بنفسه.

ويشير المستشرق لامنس بعدها بقوله: «فالمرويَّات تنسب كلَّ التأخير ليس لانعدام الخاطبين، بل إلى خصائص الخاطبين أبو بكر وعمر.. الخ، قرَّر محمَّد انتظار الأمر الإلهيّ

=ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٣٢-٣٣٣، الزبيديّ، تاج العروس، ج٦، ص٤٨٦.

(١) ينظر ما ورد نقلًا عن الإمام عليّ عليه السلام: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤١١، ابن حنبل، مسند، ج١، ص٨٩. وينظر ما نقل عن أنس بن مالك: البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص١٦٤، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص٨١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦، ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٤٠-١٨٤١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٠-٣٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٩.

في عليّ، وقد يسأل المرء دون أن يكون قادرًا على إيجاد اجابة واضحة، لماذا لا تملك وريثة التاجرة الثريَّة خديجة مهرًا، وعادةً ما يُقال إنَّها كانت تبلغ من العمر(١٥) عامًا في ذلك الوقت، ويتحدَّث آخرون عن (١٨) عامًا أو أكثر، في الواقع يجب تجاوز الرقم الأخير إذا كانت عند وفاتها حوالي (٣٠) عامًا، ولكنَّها وسيلة محتملة جدًّا وكقاعدة يتجنَّب بها الكتاب الخوض في هذه النقطة، بالنسبة للفتيات في شبه الجزيرة العربيَّة عادةً ما يتزوَّجنَ في سن (٩ و١٢) سنة، وهنا مرَّة أخرى إشارة إلى عائشة التي تزوَّجت في سن التاسعة»[١].

يعود لامنس ويناقض نفسه بنفسه، فهو من جانب يقول تأخَّر زواجها لأسباب ترجع لصفاتها، وهو من يذكر في نفس المقال التنافس لخطبتها من قِبَل عدد من الأصحاب، وهذا يؤكِّد عدم صوابيَّة فكرة لامنس، وما يذكره من عدم وجود صداق أو مهر، فقد قدَّم الإمام عليّ عليه السلام درعه، بطلب من النبيّ صلى الله عليه وآله، مهرًا لها، وباع الإمام عليّ عليه السلام بعيرًا له بثمانين وأربع مائة درهم، وجعلوا ثلثين منها في الطيب، وثلثًا في الثياب[٢]، ولعلَّه غاب عن لامنس أنَّ قلَّة مهر المرأة ليس دليلًا على مكانتها، فقد زوَّج النبيّ صلى الله عليه وآله امرأة بما تيسَّر لدى الرجل[٣]. وعاد لامنس مرَّة ثانية ليربط ما بين عمرها وقت الزواج وأنَّها بعمر أكبر ممَّا تصوِّره المصادر، فمن قال إنَّها بلغت (١٨ سنة) كان على أساس الولادة في السنة الخامسة قبل البعثة[٤]، ومن قال إنهَّا بلغت الخامسة عشرة كان على أنَّ ولادتها في أوَّل البعثة النبويَّة[٥]، وقد بينَّا أنَّ ولادتها كانت في السنة الخامسة من البعثة وعلى هذا يكون عمرها عند الزواج بعمر تسع أو عشر سنوات، على خلاف

(1) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢١-٢٢.

(٣) الدارمي، سنن الدارمي، ج٢، ص١٤٢، البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٢٣٦-٢٤١.

(٤) ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٩، لذا ذهب إلى أنَّ تاريخ الزواج كان في (١٨ من عمرها)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

(٥) ينظر: ابن عبد البرِّ، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٠.

موعد البناء، ومحاولته لامنس ربط هذا الأمر بزواج النبيّ صلى الله عليه وآله من السيِّدة عائشة وهي بعمر صغير، حتَّى يؤكِّد ما يقوله، فهو يكرِّر تلك الغايات في أكثر من مكان من المقال؛ ليتمكَّن من زرع هذا الوهم في ذهنيَّة المتلقِّي، وقد بيَّنَّا أنَّ عمر السيِّدة عائشة مقارنةً بعمر أختها أسماء يخالف ما تذكره المصادر من زواجها بعمر صغير.

ويذكر بعدها لامنس: «بعد الهجرة تعهَّد عليّ أو بالأحرى زيد بن حارثة بإحضارها إلى المدينة المنوَّرة، بينما بقيت أختها زينب في مكَّة، أمَّا زواجها فهو كقاعدة لا يوضع قبل غزوة بدر، فيضعه الآخرون بعد أُحد، إذ قام أبو القاسم بترتيب بناته حسب الأقدميَّة، فاطمة التي يُفترَض أنَّها الأصغر لم تستطع الزواج قبل أختها أمّ كلثوم التي تزوَّجت من عمر (Omar)[1] في فترة ما بين المعركتَين، وكما في حالة عائشة يدَّعي مؤلِّفون آخرون تسوية تلك الاختلافات من خلال التمييز بين عقد الزواج، ويضعونه قبل معركة بدر، والدخول بها بعد معركة أُحد، وهذه هي طريقة للتخفيف من عدم الرغبة في الزواج من كِلَا الطَّرَفين»[2].

يحاول لامنس نفي كلِّ فضيلة يجدها تخصُّ آل البيت عليهم السلام، وهو ما حاوله في نفي قيام الإمام عليّ عليه السلام بجلب ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، ونسبتها إلى آخر، وكيف يستطيع زيد بن حارثة، وهو المولى الذي لا يتمتَّع بأيِّ تقدير عند قريش المشركة، والذي لم يشتهر حتَّى ذلك الحين، بأنَّه صاحب بأسٍ شديدٍ يخوِّله خوض مخاطرة وتأدية مهمَّة كهذه[3]، فقد كان إرسال زيد بن حارثه بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله بسبعة أشهر[4]، فهل من المعقول أن يترك النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته طيلة هذه الفترة في مكَّة مع قومه الذين ناصبوه العداء ولايزالون

(١) هكذا وردت في الطبعة من موسوعة الإسلام، ولعلَّ لامنس كان يقصد زواجها من الصحابيّ عثمان بن عفَّان، فقد تزوَّجها بعد وفاة أختها رقيَّة. ولا يُعلَم إن كان هذا خطأ منهجيّ أو مطبعيّ.

(2) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 85-86.

(٣) الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص٣٨٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٣٧.

على الشرك؟! فهي محاولة من لامنس لإقصاء دور الإمام عليّ عليه السلام في الهجرة، ونسبتها إلى غيره، فقد ورد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قبل هجرته إلى المدينة، طلب من الإمام عليّ عليه السلام أن يؤدِّي عنه أماناته ووصاياه، وأن يبيت في فراشه، ويُخرِج إليه أهله ويلحق به، وانتظره النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يدخل المدينة حتَّى قَدِم إليه بأهله(١).

أمَّا عن موعد زواجها الذي يحاول لامنس جعله متوافقًا مع مبتغاه، فهناك خلاف حول موعد البناء والزواج، فهناك من يقول إنَّ الخطبة كانت بعد الهجرة بخمسة أشهر، والزواج (البناء) كان بعد مرجعه من معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة(٢)، وهناك من يقول إنَّ الخطبة كانت بعد معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة، والزواج كان بعد معركة أُحد، بعد زواج النبيّ صلى الله عليه وآله بالسيِّدة عائشة(٣)، فلامنس يحاول انتقاء النصوص التي تخدم توجُّهاته، فترك القول الأوَّل القائل بزواجها بعد معركة بدر، وأخذ بالرأي الثاني القائل بزواجها بعد معركة أُحد، ليتوافق مع طروحاته بأنَّ زواجها تأخَّر بعد زواج جميع أخواتها، وحسب ما يعتقد هو من ذلك الترتيب أو التأخير لذلك الزواج، ولم يغب عنه القول الأوَّل، كما سيأتي ذِكره عنه، لكنَّه اختار الرأي الثاني ليتوافق مع مبتغاه، وسيشكِّك كعادته بالرأي القائل بالزواج بعد معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وما وقع في المقال من خطأ الذي لا يُعلَم إن كان مطبعيًّا أو منهجيًّا من لامنس بقوله إنَّ زواج أمِّ كلثوم كان من عمر، ولعلَّ مقصود لامنس كان زواجها من عثمان بن عفَّان.

ويعود مرَّة ثانية ليحاول عقد مقارنة بين زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، والسيِّدة عائشة، ليؤكِّد على نظريَّته التي ذكرها في بداية المقال، إمَّا أنَّ ذلك التأخير بالزواج هو طريقة

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣٤٢، الطبري، تاريخ الطبري، ٢، ١٠٦، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص٦٨-٦٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٠.

للتخفيف من عدم رغبة الطرفان بالزواج، فهو كلام مجانب للحقيقة؛ لأنَّ الأحداث السياسية التي رافقت الدعوة الإسلاميَّة في المدينة المنورة لم تترك لهم فرصة لالتقاط الأنفاس، لكنَّ لامنس أراد بهذا البناء المعرفيّ ليؤكد فرضيَّته بعدم وجود قناعة لدى الطرفان بهذا الزواج، كما سيحاول تأكيد ذلك في مقاله، اعتمادًا على بعض النصوص الروائيَّة الضعيفة.

فيقول لامنس بعدها: «رفض عليّ الزواج في البداية بسبب فقره، فذُكِّر بالدرع الجميل التي تحصَّل عليه في معركة بدر، وكان هذا سببًا لجعل الزواج بعد هذا النصر مباشرة، فاطمة من جانبها لم تُظهر المزيد من الحماس لهذا الزواج، على الرغم من أنَّ عليًّا كان جنديًّا شجاعًا، لكنَّه كان فقيرًا، بل وقيل إنَّه ليس ذكيًا بشكلٍ خاصٍّ، ولا يمكن أن يعدَّ هذا الرباط الذي تمَّ عقده سعيدًا، فسرعان ما وجد الخلاف مكانًا في ذلك المنزل إلى جانب الفقر، وبسبب مشاجراتها مع عليّ تسبَّبت في ألم شديد للنبيّ التي استقرَّت بالقرب منه، فكان على محمَّد أن يتدخَّل باستمرار دون أن ينجح في استعادة السلام بينهما، ولم تكن ولادة الحسن والحسين المولودان أحدهم بعد الآخر في (٤-٥ هجريَّة) ذات تغيير نحو الأفضل، ولم تشعر والدتهم بالقوَّة الكافية لتغذية أطفالها بنفسها.. تعب عليّ من مزاج فاطمة المتغيِّر ومن ذلك الزواج الأحاديّ، فتأمَّل الزواج من ابنة أبي لهب (Abu Lahab)[1] من مخزوم، كان محمَّد غاضبًا جدًّا لذلك الخطأ الجسيم، وعرض على زوج ابنته الاختيار بين فاطمة أو الطلاق بقوله إنَّها جزء من جسده.. عليّ كان قاسٍ مع زوجته وغاضبًا من اتِّهاماتها المستمرة، فيُقال إنَّ عليّ أساء معاملتها، ممَّا أجبرها على اللجوء إلى والدها، ومن جهته عليّ بدأ تجنُّب السكن الزوجيّ، مفضِّلًا النوم في المسجد[2].

(١) وقد وردت في الطبعة الانكليزية بتلك الصيغة، والمعروف أنَّ أبا لهب عمُّ النبيّ صلى الله عليه وآله، وهومن بني هاشم، ولعلَّ مقصود لامنس هي ابنة أبي جهل وهي من مخزوم، كما جاء في النصوص التي تحدَّثت عن ذلك. ينظر ابن حنبل، مسند، ج٤، ص٣٢٤، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٤، ص٤٧.

(2) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 86.

يحاول لامنس جعل ذلك الرباط بين الطرفَين مبنيّ على عدم التوافق والانسجام بينهما، وسببًا في الكثير من الخلافات بينهما، واستند في ذلك على المصادر الإسلاميَّة[1]، وهو يريد بتلك الروايات المنتقاة الاتِّكاء على عدم وجود انسجام بين الطرفين، وليؤكِّد فيه كلامه السابق، ولكنَّ الإمام عليّ عليه السلام هو القائل عن السيِّدة فاطمة عليها السلام أنَّها لا أغضبته ولا عصت له أمرًا طيلة حياتها معهُ، ولقد كان ينظر إليها فتنكشف عنه الغموم والأحزان بنظره إليها[2]، وهو ما تمَّ تأكيده من قِبَل السيِّدة فاطمة عليها السلام نفسها في عمق العلاقة بين الطرفين [3]، وهذا يكذِّب ادِّعاء لامنس من وجود خلافات بينهما، ومن يقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام يستبعد هذا الفعل في معاملته للسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فهل يمكن تصوُّر الإمام عليّ عليه السلام وهو يسيء إلى زوجته السيِّدة فاطمة عليها السلام كما يدَّعي لامنس، وهو يسمع قول النبيّ صلى الله عليه وآله: **إنَّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها**[4].

ويذكر الشيخ الأمينيّ عن مثل تلك النصوص التي تتحدَّث عن الخلافات الزوجيَّة بين الإمام عليّ والسيِّدة فاطمة الزَّهراء عليهما السلام فيقول: «إن هي إلَّا نفثات قوم حناق لفظتها رمية القول على عواهنه تلويثًا لقداسة أمير المؤمنين، وتشويهًا لعشرته الحميدة مع حليلته المطهَّرة، وفيها حطّ الصدِّيق الأكبر والصدِّيقة الكبرى عن مكانتهما الراقية في مكارم الأخلاق، وقد أثمر اليوم ما بذرته أمس يد الإحن والشحناء من تلكم المفتعلات حتَّى سوَّد مؤلِّف اليوم صحائف تاريخه بقوله: وكان عليّ يشرد بعد كلِّ منافرة ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه يربته على كتفيه ويعظه ويوفِّق بينه وبين فاطمة إلى حين»[5].

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبويَّة، ج٢، ص٤٣٤، البخاريّ، صحيح البخاريّ، ج٧، ص١٤٠، مسلم، صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٤، البيهقيّ، السنن الكبرى، ج٢، ص٤٤٦.

(٢) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب، ص٣٥٣-٣٥٤، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ج١، ص٣٧٣.

(٣) الفتَّال النيسابوريّ، روضة الواعظين، ص١٥١، المجلسّي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١.

(٤) النصر الله، الإمام عليّ عليه السلام في فكر معتزلة بغداد، ص٢٣٠-٢٣١.

(٥) الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ج٦، ص٣٣٧.

ولا شكَّ أنَّ سخونة المواقف السياسيَّة وتبدُّلات الدول والكيانات السياسيَّة تدفع إلى الكتابة التاريخيَّة غير المنصفة، والأكثر أهميَّة أنَّها تدفع إلى صناعة مرويَّات وابتداعها، فضلًا عن تزييفها وتعديلها وتكييفها بالشكل الذي تريده سلطة التدوين التاريخيّ، لهذا كان معاوية بن أبي سفيان يكتب إلى عمَّاله في عدم الرواية في فضائل الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته، ولعنه على المنابر، فكانت هذه مرحلة من مراحل التغييب والتلفيق وصناعة الرواية التاريخيَّة المشوَّهة، لذا كان الحقد والبغض لأهل البيت قد أدَّيا دورًا مركزيًّا في الصراع وتحريف الحقائق التاريخيَّة[1]، ولا ريب في أنَّ الكثير من الروايات التي هي أساس تناجز المذاهب الإسلاميَّة، وقد تسرَّبت في سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله عوامل الميل والهوى مع تقادم الزمن[2]، فقد ساهمت تلك الأسباب في تشويه سيرة النبيّ وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام).

واشار المستشرق الألماني بيكر في ردِّه على تهجُّم هنري لامنس على السيِّدة فاطمة والإمام عليّ عليه السلام، إذ قام بنقد نظريَّة لامنس في دراسة السيرة في مقال بعنوان (مبادئ دراسة لامنس للسيرة) جاء فيها: «بعد العلامة الفارقة التي تركتها معركة صفِّين، فلا حاجة عندها أن نسأل لامنس عن هذا الوصف، فقد استعان في وصفه لهذه الزيجة بطرق ابن إسحاق والواقديّ، وهو ينتقي روايات مغرضة، ويعمل منها صورة تاريخيَّة، وهذه هي ذات الطريقة التي اعتمدتها كتابة التاريخ الإسلاميّ، لامنس يجد المتعة في إظهار أقرباء الرسول بصورة محتقرة ومبتذلة، فكلُّ النعوت السيِّئة بحقِّ حرم النبيّ أو عليّ هي من التاريخ بالنسبة له، وعليه أليس من الغريب أن ندَّعي من جهة أنَّ أهمَّ الحقائق التي تتعلَّق بحياة عائلة الرسول هي مختلقة ومحرَّفة، ومن جهة أخرى

(١) ينظر ما ذكره في هذا المجال: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،، ج٤ ٥٦-٧٣، ايلر لنغ ليروك بيترسون، عليّ ومعاوية في الرواية العربيَّة المبكِّرة، ص١٤-٣٧. (قسم منه كلام المترجَم، والجزء الأخير هو تقديم المؤلِّف للكتاب).

(٢) درمنغم، حياة محمَّد، ص٧-٨ (مقدِّمة المؤلف).

ندَّعي تاريخيَّة التفاصيل المتعلِّقة بمحيط النبيّ من حياة زوجاته، وما يختصُّ بحياة عليّ وفاطمة؟ أنا أشكُّ كثيرًا في تاريخيَّة كلِّ التاريخ المتعلِّق بحرم النبيّ، وبما أنَّ لامنس يشكُّ بتاريخيَّة تفسير الأحداث الكبرى في الإسلام، أفلا تستحقُّ تلك الأحداث التي لم يشهد بها شاهد أن يُشكَّ بها؟»[1].

وفي موضع آخر يقول: «لا بدَّ للمرء من أن يسجِّل بعض التحفُّظات، لكن هل على من يعلم الأثر الذي خلَّفته معركة صفين، ومن يُخبر من قبل لامنس عن تصحيفات أتباع عليّ، أن يؤمن من دون تحقيق أنَّ أعداء العلويين كانوا ينتهجون نهجًا تاريخيًّا موضوعيًّا عندما يحاولون إظهار دور فاطمة وكأنَّه دور سطحيّ، أو عندما يعطوها القليل من الملامح اللطيفة.. ولم تكن زيجتها مع العدوِّ اللدود للطرف الآخر، عليّ مليئة بالسعادة، ولم تكن تتمتَّع بالاحترام في هذه الزيجة، وبهذا النوع من الأحاديث تمَّ ضرب أتباع عليّ دون المساس بالرسول»[2].

وقد عدَّت المستشرقة ل. فيشيا فاجليري (L. Veccia Vaglieri)[3]، عن الصورة

(1) Prinzipielles zu Lammens Sirastudien, P.P. 268-269.
والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص١٧٣-١٧٩.

(2) Prinzipielles zu Lammens Sirastudien, P. 266.
والترجمة نقلًا عن: الكعبيّ، صورة أصحاب الكساء، ص١٧٣-١٧٩.

(٣) لورا فيشيا فاغليري (فاجليري) (L. Veccia Vaglieri): مستشرقة إيطاليَّة، بحَّاثة، انصرفت إلى التاريخ الإسلاميّ قديمًا وحديثًا، وإلى فقه العربيَّة وآدابها، من أثارها رحلة حاج عبر ليبيا في القرن السابع عشر (مجلَّة طرابلس ١٩٢٤-٢٥)، وترجمة الشيخ أبي عبد الله الفاسيّ، مع سرد بمصنَّفاته (مجلس طرابلس ١٩٢٤، وقد زاد عليها جويدي في المجلَّة نفسها، ١٩٢٥م)، ونبذة عن ابن مسعود والإمام يحيى واليمن (الشرق الحديث، ١٤، ١٩٣٤م)، تقاليد رمضان في متعدِّد البلدان الإسلاميَّة (حوليَّات المعهد الشرقيّ بنابولي، ١٠، ١٩٣٧م، ١٩٣٨م)، الخلاف بين عليّ ومعاوية وتمرُّد الخوارج (حوليَّات المعهد الشرقيّ بنابولي، ١٩٣٢-٥٢، ومؤتمر المستشرقين ١٩٥١م، ج٢، ١٩٥٧م). للمزيد من التفاصيل ينظر: العقيقيّ، المستشرقون، ج١، ص٤٦٦، مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٧٣٨.

التي رسمها لامنس عن السيِّدة فاطمة عليها السلام، وعلاقتها مع زوجها الإمام عليّ عليه السلام، إذ تقول: «أمَّا قول لامنس أنَّ عليًّا كان يعامل فاطمة بخشونة وقسوة، فالوقائع التاريخيَّة بما في ذلك الواردة منها في هذا المقال، تشير إلى تقدير عليّ لفاطمة، وإن كان الأمر لا يخلو من خلافات زوجيَّة سرعان ما تسوَّى.. وقد تكفَّل مستشرقون آخرون بالردِّ على أقوال لامنس، بل إنَّ عددًا من المستشرقين قد انتقد هذه الصورة التي رسمها لامنس لفاطمة الزَّهراء وعدُّوها غير حقيقيَّة»(١).

وما ذُكِر من خطبة الإمام عليّ عليه السلام لابنه أبي جهل خلاف ما ذُكِر في الموسوعة من أنَّها ابنه أبي لهب، ولا يُعلَم إن كان هذا خطأ منهجيّ من لامنس أو هو خطأ مطبعيّ، ويكفي في تفنيد رأي لامنس أنَّ ابنه أبي جهل بقيت على الكفر حتَّى فتح مكَّة في السنة الثامنة من الهجرة، ولا تزال تحمل أحقاد من قُتِل في معركة بدر من ذويها، ومدَّعية أنَّ أباها قد جاءه ما جاء النبيّ صلى الله عليه وآله من الوحي، لكنَّه خشي مخالفة قومه(٢)، فهي على هذا القول كانت لا تؤمن بنبوَّة النبيّ صلى الله عليه وآله ورسالته السماويَّة حتَّى فتح مكَّة، فلا يمكن أن يقدم الإمام عليّ عليه السلام على خطبتها، وهي مشركة، استنادا للنصِّ القرآنيّ الذي حرَّم الارتباط بالمرأة الكافرة(٣)، وهذا الدسُّ والتزوير في المرويَّات يدلُّ على حجم التشويه الذي تعرَّضت له سيرة الإمام عليّ عليه السلام، وعلاقته بالسيِّدة فاطمة عليها السلام.

أمَّا عن عدم قدرة السيِّدة فاطمة عليها السلام على تغذية أبنائها بنفسها التي اعتمد فيها على ما وجده يوافق مبتغاه من حديث نسب رضاعة الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام إلى

(١) مادة(فاطمة)، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج٢٥، ص٧٧٠٧ -٧٧٠٩.
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed., Vol. II, P.P. 841-842.

(٢) ينظر ترجمة جويريَّة بنت أبي جهل: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦٢، ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص٧٢. وينظر حديثها عند فتح مكَّة: الواقديّ، المغازيّ، ج٢، ص٨٤٦، البلاذريّ، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٣٥٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١، سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

زوجة العبَّاس بن عبد المطَّلب[١]، فلامنس نفسه مَن بيَّن أسباب وضع ذلك الحديث بقوله: إنَّ الروايات قد حوِّلت مصلحة هذه الحقيقة إلى الخلفاء العبَّاسيِّين بقولهم إنَّهما - أي الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام - رُضِعا من قِبَل زوجة العبَّاس الذي بقي في مكَّة مع جميع أفراد أسرته حتَّى استسلام مكَّة [٢]، فكيف سترضعهم، وهي مشركة ولا تزال في مكَّة مع زوجها العبَّاس بن عبد المطَّلب، والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام في المدينة المنوَّرة؟! وهذا يدلِّل كذب ما استند إليه لامنس في هذا الجانب.

وتذكر المستشرقة فاجليري في هذا الجانب «ولا يمكن وصفها بأنَّها امرأة واهنة مريضة، كما ذهب لامنس، اعتمادًا على حديثَين (شريفَين) لا بدَّ أنَّهما قِيلا في ظروف خاصَّة، فهناك حقائق أخرى تُفيد عكس ما ذكره لامنس، فقد كانت ولودًا أنجبت خمسًا، كما كانت تقوم بأعمال بيتها بنفسها، وقامت برحلَتَين إلى مكَّة، كلُّ ذلك يُشير إلى أنَّها كانت صحيحة البدن»[٣].

ولا يكتفي لامنس بذلك، بل ذهب إلى أنَّ وفاتها كانت بسبب مرض السلِّ، فقال: «ماتت فاطمة من التعب، وربَّما من مرض السلِّ، وانتقل هذا المرض لاحقًا إلى ابنها الأكبر الحسن، الذي يُزعَم أنَّ معاوية قد قام بتسميمه»[٤].

ومثل هذه الأكاذيب من لامنس، والقفز على الحقائق، قد وجدت رفضًا استشراقيًّا لها، فقد ذكرت المستشرقة ل. فيشيا فاجليري، «ولا ندري في الحقيقة كيف استنتج لامنس أنَّها ماتت بالسل، وأنَّها كانت مريضة دائمًا، فما ورد في هذا الصدد ليس هناك دليل يقينيّ عليه، وقد تكفَّل مستشرقون آخرون بالردَّ على أقوال لامنس، بل إنَّ عددًا

(١) ينظر: ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص٣٣٩.

(2) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 86.

(٣) مادة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٢١-٧٧٢٩.

(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. II, P.P. 845-848.

(4) (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1st ed., Vol. II, P. 87.

من المستشرقين قد انتقد هذه الصورة التي رسمها لامنس لفاطمة الزَّهراء وعدُّوها غير حقيقية»[1]، لذا فاغلب كتابات لامنس كانت تُعطي صورة سلبيَّة وغير حقيقيَّة عن سيرة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، وبشهادة الاستشراق نفسه.

(١) مادة(فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٢٥، ص٧٧٠٧-٧٧٠٩.
(Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. II, P.P. 841-842.

الخاتمة

تعدُّ موسوعة الإسلام أكبر عملٍ استشراقيّ حول الإسلام والحضارة الإسلاميَّة، إذ يتوجَّب على الباحثين الذين يستندون عليها في أبحاثهم توخِّي الحذر وهم ينقلون عنها، فبعض تلك المقالات كانت النظرة فيها سلبيَّة تجاه الإسلام، ومثال على ذلك هو مقال هنري لامنس، ولا يعني عدم جودة باقي المقالات التي امتاز بعضها بالعلميَّة والموضوعيَّة، وقد وقعت بعض الأخطاء في مقال لامنس حول السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وقد بيَّناه في ثنايا البحث، لذا يتوجَّب التدقيق في الاعتماد على هذا العمل الموسوعيّ.

كانت نظرة لامنس سلبيَّة في المقال تجاه السيِّدة فاطمة عليها السلام، وبعيدة عن الموضوعيَّة والعلميَّة، لذا كانت كتاباته محلَّ انتقاد من المستشرقين، وهذا خير دليل على عدم موضوعيَّة وحياديَّة لامنس في كتاباته في السيرة النبويَّة، فهو قدَّم صورة غير حقيقيَّة عن سيرة السيِّدة فاطمة عليها السلام، وهذه الأعمال يُقصَد منها تقديمها إلى الناطقين بغير العربيَّة بتلك الصورة المشوَّهة، وهذا إنَّ دلَّ على شيء، فهو يدلُّ على الاحقاد التي يحملها هذا المستشرق الفرنسيّ المتعصِّب تجاه الرسول وأهل بيته عليهم السلام.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أوّلًا: المصادر الأولية

ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمَّد الشيبانيّ (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة (د.ط، بيروت، دار الكتاب العربيّ، د.ت).

٢. الكامل في التاريخ (د.ط.، بيروت، دار صادر، ١٩٦٥م).

الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).

٣. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة (ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م).

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن اسماعيل (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٤. صحيح البخاريّ (د.ط، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨١م).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٥. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد حميد الله (د.ط، مصر، دار المعارف، ١٩٥٩م).

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٦. دلائل النبوَّة، تحقيق وتعليق: عبد المعطي قلعجي (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٥م).

٧. السنن الكبرى، (د.م، دار الفكر، د.ت).

الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٨. سنن الترمذيّ (الجامع الصحيح)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣م).

الجوهريّ، إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

٩. الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار (ط٤، لبنان، دار العلم، ١٩٨٧م).

الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

١٠. المستدرك على الصحيحَين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشليّ، (د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت).

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن عليّ العسقلانيّ (ت٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م).

١١. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمَّد معوَّض (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٥م).

ابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

١٢. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم (ط١، د.م.، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٩٥٩م).

ابن حنبل، أحمد بن محمَّد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

١٣. مسند أحمد بن حنبل (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

الدارميّ، أبو محمَّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)

١٤. سنن الدارمي (ب.ط، دمشق، مطبعة الاعتدال، ١٣٤٩هـ).

الدميريّ، كمال الدين (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م).

١٥. حياة الحيوان الكبرى (ط٢، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٤هـ).

الديار بكريّ، حسين محمَّد بن حسن (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م)

١٦. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (ط١، بيروت، مؤسَّسة شعبان، د.ت).

ابن سعد، محمَّد بن سعد بن منيع الزهريّ (٢٣٠هـ/ ٩٤١م).

١٧. الطبقات الكبرى (د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت).

الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م).

١٨. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ (ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٥م).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

١٩. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الرسل والملوك) (تاريخ الطبريّ)، تحقيق: نخبة من العلماء (ط٤، بيروت، مؤسَّسة الأعلميّ، ١٩٨٣م).

ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ (ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢م).

ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٢١. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري (د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م).

الفتَّال النيسابوريّ، محمَّد (ت ٥٠٨هـ/ ١١١٥م).

٢٢. روضة الواعظين (قم، منشورات الشريف الرضيّ، د.ت).

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م).

٢٣. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرَّائيّ (ط٢، إيران، دار الهجرة، ١٩٩٠م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٢٤. البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٨٨م).

المجلسيّ، محمَّد باقر (١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٢٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: إبراهيم الميانجيّ ومحمَّد الباقر البهبوديّ (ط٢، بيروت، مؤسَّسة الوفاء، ١٩٨٣م).

المزيّ، أبو الحجَّاج جمال الدين يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م).

٢٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشَّار عوَّاد معروف (ط١، بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٩٢م).

المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٢٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر (ط٢، قم، دار الهجرة، ١٩٨٤م).

مسلم، أبو الحسين بن الحجَّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م).

٢٨. الجامع الصحيح (صحيح مسلم) (د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت).

المقريزيّ، تقي الدين أحمد بن عليّ بن عبد القادر بن محمَّد (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٢٩. إمتاع الأسماع بما للنبيّ صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفده والمتاع، تعليق وتحقيق: محمَّد عبد الحميد النميسيّ (دار الكتب العلميَّة، ط١، بيروت، ١٩٩٩م).

ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣٠. لسان العرب (د.ط، قم، أدب الحوزة، ١٩٨٥م).

الموفَّق الخوارزميّ، الموفَّق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ (ت ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م).

٣١. المناقب، تحقيق: مالك المحموديّ (ط٢، قم، النشر الإسلاميّ، ١٩٩٣م).

ابن هشام، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام بن أيوُّب الحميريّ (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م).

٣٢. السيرة النبويَة، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد (ط١، القاهرة، مطبعة المدنيّ، ١٩٦٣م).

الواقديّ، محمَّد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م).

٣٣. كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس (ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤م).

ثانيًا: المراجع الثانويَّة

الأمينيّ، عبد الحسين أحمد.

٣٤. الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، (ط٤، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٧٧م).

بيترسون، ايلر لنغ ليروك.

٣٥. عليّ ومعاوية في الرواية العربيَّة المبكِّرة (ترجمة: عبد الجبَّار ناجي، ط١، قم، مطبعة الاعتماد، ٢٠٠٨م).

سالم الحاج، ساسي.

٣٦. نقد الخطاب الاستشراقيّ (ط١، بنغازي، دار المدار الإسلاميّ، ٢٠٠٢م).

حسن، أصلان عبد السَّلام.

٣٧. قراءة نقديَّة في كتب السيرة (د.ط، القاهرة، الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٨٩م).

درمنغم، إميل.

٣٨. حياة محمَّد، ترجمة: عادل زعيتر (ط٣، القاهرة، دار العالم العربيّ، ٢٠١٦م).

الدهيس، نزار ناجي محمَّد.

٣٩. زواج النبيّ صلى الله عليه وآله دراسة تاريخيَّة (ط١، كربلاء، دار الرسول الأعظم، ٢٠١٩م).

دينيه، آتين.

٤٠. محمَّد رسول الله، ترجمة: عبد الحليم محمود و محمَّد عبد الحليم (ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م).

الرويلي، ميجان وسعد البازعي.

٤١. دليل الناقد الأدبيّ (ط٣، الدار البيضاء، المركز الثقافيّ العربيّ، ٢٠٠٢م).

الزبيديّ، محبُّ الدين أبو الفيض السيِّد مرتضى الحسينيّ (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م).

٤٢. تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: عليّ شيري (د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤).

زماني، محمَّد حسن.

٤٣. الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة لدى الغربيِّين، ترجمة: محمَّد نور الدين عبد المنعم (ط١، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٠م).

الزياديّ، محمَّد فتح الله.

٤٤. الاستشراق أهدافه و وسائله (ط١، طرابلس، دار قتيبة، ١٩٩٨م).

الساموك، سعدون.

٤٥. الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلاميَّة (ط١، عمَّان، دار المناهج، ٢٠١٠م).

السايح، أحمد عبد الرحيم.

٤٦. الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ (ط١، القاهرة، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، ١٩٩٦م).

سمايلوفتش، أحمد.

٤٧. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربيّ المعاصر (د.ط، القاهرة، دار الفكر العربيّ، ١٩٩٨م).

الشرقاويّ، محمَّد عبد الله.

٤٨. الاستشراق وتشكُّل نظرة الغرب للإسلام (ط١، القاهرة، دار البشير، ٢٠١٦م).

الشيرازيّ، ناصر مكارم.

٤٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (بلا معلومات).

العقيقيّ، نجيب.

٥٠. المستشرقون (ط٤، القاهرة، دار المعارف، د.ت).

العوَّاد، انتصار عدنان عبد الواحد.

٥١. السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تاريخيَّة (ط١، بيروت، مؤسَّسة البديل، ٢٠٠٩م).

فوك، يوهان.

٥٢. الدراسات العربيَّة في أوربا حتَّى مطلع القرن العشرين، ترجمة: سعيد حسن بحيري ومحسن الدمرداش (ط١، القاهرة، زهرة الشرق، ٢٠٠٦م).

الكعبيّ، شهيد كريم محمَّد.

٥٣. صورة أصحاب الكساء بين تجنِّي النصّ واستباحة الخطاب الاستشراقيّ (ط١، كربلاء، دار الكفيل، ٢٠١٥م).

مجموعة مؤلِّفين.

٥٤. القرآن الكريم في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، مقاربات نقديَّة لموسوعة القرآن (ط١، النجف، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستشراقيَّة، ٢٠٢١م).

مراد، يحيى.

٥٥. معجم أسماء المستشرقين (ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٤م).

ناجي، عبد الجبار.

٥٦. الاستشراق في التاريخ (ط١، بيروت، المركز الأكاديميّ للأبحاث، ٢٠١٣م).

٥٧. التشيُّع والاستشراق، عرض نقديّ مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الإسلاميَّة وأئمَّتها (ط١، بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١م).

النبهان، محمَّد فاروق.

٥٨. الاستشراق تعريفة مدارسة آثاره (د.ط، الرباط، منشورات المنظَّمة الإسلاميَّة للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، ٢٠١٢م).

النصر الله، جواد كاظم.

٥٩. الإمام عليّ عليه السلام في فكر معتزلة بغداد (ط١، كربلاء، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٧م).

وات، مونتغمري.

٦٠. محمَّد في مكَّة، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى (د.ط، القاهرة، الهيئة المصريَّة للكتاب، ٢٠٠٢م).

ثالثًا: الموسوعات ودوائر المعارف

بدوي، عبد الرحمن.

٦١. موسوعة المستشرقين (ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م).

رزوق، أسعد.

٦٢. موسوعة علم النفس (ط٣، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ١٩٨٧م).

فاجليري، لورا فيشيا.

٦٣. مادة (فاطمة)، موجز دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة: حسن حبشي (ط١، ج٢٥، الشارقة، مركز الشارقة، ١٩٩٨م).

Donzel, E. Van.

64. (Mawsua), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Leiden, E.J. Brill, 1991, Vol. VI.

Lammens, H.

65. (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 1ed., Leiden, E.J. Brill, 1927, Vol. II.

Vaglieri, L. V.

66. (Fatima), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Leiden, E.J. Brill, 1991, Vol. II.

Waardenburg, J.D.J.

67. (Mustashrikun), The Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Leiden, E.J. Brill, 1993, Vol. VII.

رابعًا: البحوث والمجلَّات

اليسوعي، فردينان توتل.

٦٨. الأب هنري لامنس (مجلَّة المشرق، السنة ٣٥، العدد ٢، ١٩٣٧م).

Bekker, C. H.

69. Prinzipielles zu Lammens SiraStudien, Der Islam Zeitschrift Fur Geschichte Und Kultur Des Islamischen Orients (Der Islam), Vierter Band, Strassburg, 1913.

خامسًا: المصادر الأجنبيَّة

Cuddon, J. A..

70. Dictionary of Literary terms & Literary theory, Revised by: C. E. Preston, ed.5, Published by the Penguin Croup, London, 1999.

سادسًا: الرسائل العلميَّة

سويسي، المحسن بن عليّ بن صالح.

٧١. مؤتمرات المستشرقين العالميَّة، نشأتها وتكوينها وأهدافها (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، كليَّة الدعوة، المملكة العربيَّة السعوديَّة، ١٩٩٨م).

سابعًا: شبكة الأنترنت

72. https://ar.vvikipedla.com/wiki/Vincent_of_Beauvais.

الدرُّ النضير في قول العليم الخبير بآية التَّطهير السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا اجتماعيًّا راقيًا للعظمة والسموِّ

الأستاذ المتمرِّس الدكتور صالح جبَّار القريشيّ
جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه

ملخَّص البحث

الصلاة وأتمُّ التسليم على النبيِّ الكريم وآله الغرِّ الميامين (عليهم صلوات ربِّي أجمعين)، وبعد:

فنصوص القرآن الكريم ما هي إلَّا إشراقات قدسيَّة ملكوتيَّة، وعبائر سماويَّة، ودرر إلهيَّة بهيَّة، أملاها العليم الخبير على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله؛ لتكون ملاذًا ومفزعًا لنجاة عباده وطهارتهم، فأيَّده بنصره لأداء رسالته، وخوَّله صلاحيَّة بيانها، وألهمه العلم والحلم، فكان قوله صلى الله عليه وآله قول الله جلَّ وعلا، فهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ١-٥).

فلقد بُعِثَ صلى الله عليه وآله في بيئة ضُرِبَ المثل بقساوة قلوب مجتمعها وأهلها، حتى أُقبرَت البريئة فيها عيانًا وهي حيَّة، وكان أحدهم يُغير على أخيه فيقتله ويسلبه، حتَّى صار القويُّ يأكل الضعيف عنوةً، وكانتَ العقول الثكلى تتقاسم الأفكار المنحرفة عن مسار الإنسانيَّة الحقَّة والمنهج القويم... والناس بين غالب ومغلوب، حتى بُعثَ نبيُّ الإنسانيَّة صلى الله عليه وآله، وقد حمل على منكبيه ثقل هذه المسؤوليَّة العظيمة، بَعد أن أُصيبت

الأخلاق بالتردِّي، والقيم العليا بالنكوص، فهو القائل صلى الله عليه وآله: «**إنَّما بُعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق**».

وبذلك زاد همُّه صلى الله عليه وآله، وعظمت مسؤوليَّته، وما أوذي نبيٌّ مثل ما أوذي قبله برسالةٍ قطّ، وكاد أن يركن إليهم، لو لا أن ثبَّته الرحمن بإشراقةٍ من نوره وهَدْيِه بخضمَّ هذه الظروف؛ ليكون للعالمين هاديًا وبشيرًا.

وبرزت بهذا الانبعاث الإلهيّ وليدة الطُّهر، فكانت ولادتها إنقاذًا آخرًا من براثن الجهل، فهي فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله القدِّيسة المختارة، سليلة النُبل والشرف والسموِّ، فكان الأبُ أفضل خلقه وأعلاهم سِنامًا، وكانت الأمُّ سيِّدة أهل زمانها، خديجة الكبرى، وحاملة أعباء النبوَّة، لتشارك النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا الشرف الطويل؛ لتحمل شمائله وخصاله، وتكون مرآةً صادقةً عن قيمه وأخلاقه

وتسير الركبان بالأحداث والزَّهراء عليها السلام تزداد إشراقًا بكل ما تحمله القيم من معنى حتَّى وصفتها عائشة بقولها: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله».

واقترنت فاطمة القدِّيسة عليها السلام بعليّ عليه السلام بأمر السماء، كما روت ذلك العشرات من مصادر أهل السنَّة؛ لتنقل لنا ما كان يكنّه صلى الله عليه وآله من حبٍّ عظيمٍ لفاطمة وعليّ عليهما السلام، حيث قال صلى الله عليه وآله بصدد ذلك: «**يا عليّ إنَّ الله أمرني أن اتَّخذك صهرًا**».

وينبلج الصبح نديًّا بولادة السِّبطَين عليهما السلام جرَّاء هذا الاقتران الإلهيّ، فكانا نتاجًا لاقتران النور بالنور، وتمرُّ الأيَّام، وتبارك السماء لهذه النخبة المختارة؛ لتقدِّم أرقى عطاءاتها لهم، حينما هبط الروح الأمين عليه السلام على نبيِّ الأمَّة الكريم صلى الله عليه وآله، لتبليغه بخُلوِّهم من كلِّ نقصٍ وإثمٍ، بآية كريمة عُدَّت وسامًا إلهيًّا لتقديسهم وتطهيرهم من قِبَل الله سبحانه وتعالى، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

أقول: سيكون بحثنا الموسوم أعلاه جهدًا متواضعًا لبضاعتنا المزجاة ببيان مضامين آية التطهير، وبما يخصُّ سيِّدتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام فيها، وإيضاح دورها الرياديّ، كونها الحوراء الإنسيَّة التي شرَّفها الله بهذه الآية الكريمة، والتي جاءت متطابقة (زمكانيًّا)، مع إشراقات حديث الكساء؛ لأنَّ تزامنهما معًا يعني مضاعفة التقديس، والتأكيد على توارد المضامين الإلهيَّة، وتعضيد دورها، وتمتين اعتراف السماء بقدسيَّتها، فهي قدوتنا الحسنة في حياتنا، بل بخصالها وعبادتها رصَّنت قواعد الدين، وتقوَّمت أغصانه، وأينعت ثماره، فكان ذلك بفضل نور الله جلَّ وعلا لهذه العترة الكريمة عزًّا ووفاءً وتكريمًا، وعلى وفق ما جاء به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله سنَّةً منهجًا وأخلاقًا.

وعليه فقد احتوى بحثنا المتواضع هذا على ثلاثة مباحث، وهي:

١. المبحث الأوَّل: جولة إيضاحيَّة ومعجميَّة في مضامين آية التطهير.
٢. المبحث الثاني: العترة المحمَّديَة عليهم السلام تحت المرط بأمر السماء.
٣. المبحث الثالث: ما الذي أراده النبيّ صلى الله عليه وآله من إطلاقه العبائر المختلفة اللفظ، والمتَّحدة المعنى في حديث الكساء؟ وما سبب ديمومته بذلك لفترة طويلة؟.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧).

المبحث الأوَّل

جولة إيضاحيَّة ومعجميَّة في مضامين آية التَّطهير

قال الله جلَّ وعلا في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

الآية الكريمة أعلاه تمثِّل النصَّ القرآنيّ المعظَّم الذي احتواه ما يُطلَق عليه بـ(آية التَّطهير)، التي تبدأ بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾، وتنتهي بالتوكيد المصدريّ في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقد قيل فيها- أعني آية التطهير- عدَّة أقوال بصدد شموليَّتها وانطباقها على أهل بيت النبوَّة (عليهم صلوات ربِّي أجمعين)، حيث لم يُقطع بانطباقها على مقامهم الشريف، إلَّا أرصنها استدلالًا وبلاغةً والتصاقًا بما تتضَّمنه المواصفات والخصال التي تحمِلها العترة الطاهرة من آل بيت النبيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله.

وتعدُّ عودة المفردات التي تتكوَّن منها الآية الكريمة إلى أصولها المعجميَّة لغةً واصطلاحًا، نوعًا من البلاغة والانفراد بعلوِّ المقام الذي تعدُّ فيه قدسيَّتهم وكرامتهم من أقرب من يشملهم الوصف الإلهيّ بالنصِّ القرآنيّ المعظَّم المذكور آنفًا.

فمفردة ﴿إِنَّمَا﴾ الواردة في آية التطهير تدلُّ على معنى الحصر، فهي أداة للحصر لمن يُراد حصر صفةٍ ما لتتعلَّق به دون غيره، وقد جاءت ﴿إِنَّمَا﴾ في الآية الكريمة التي هي محل بحثنا، لحصر الإرادة في إذهاب الرجس عنهم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

﴿ٱللَّهُ﴾، والإرادة كذلك في تطهير من أذهب الله عنهم هذا الرجس، ومن بابٍ أولى، فأن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ يعدُّ قصر إرادةٍ في إذهاب الرجس، ثمَّ قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هو قصرٌ آخر لشمول آل محمَّد صلى الله عليه وآله بالتَّطهير، وهو ليس التطهير العاديّ، وإنَّما ورد بصيغة التوكيد المصدريّ، فتطهيرهم عليهم السلام ورد بالنصِّ المشرَّف بمقامٍ توكيديٍّ يعكس على النصِّ الشريف خصوصيَّة انفرد بها أهل البيت عليهم السلام في عودة هذا الوصف عليهم دون غيرهم[1].

حيث لا يصح عقلًا ولا منطقًا وصف غيرهم بصفاتهم عليهم السلام؛ لأن مرتبة الكمال الأخلاقيّ والعقديّ والإيمانيّ والسلوكيّ التي يمتازون بها لا يمكن أن يصل إلى مستواها غيرهم من البشر كافة.

وانطلاقًا من هذه المعاني الحصريَّة لمفردة ﴿إِنَّمَا﴾، التي اختصَّت بإفادتها للحصر والقصر معًا، فقد ظهرت آثارها على معاني النصّ الشريف؛ لأنَّها حصرت مدخولها بما يُسنَد إليه من حكمٍ أو إخبار، فهي محقِّقة لما أثبتت بعدها، ونافيةً لما يثبت، فمثلًا لو قال قائل: إنَّما القادم زيد، فالمعنى يتضمَّن حصر عمليَّة القدوم بزيد، ونفيه عن غيره، ومثل ذلك لو قال: لك عندي دينار، فالمعنى حينئذٍ يقتضي حصر ما يكون لك عندي، وهو دينار فقط، ونفي غير الدينار عن إعطائي لك إيَّاه[2].

وقد جرى أثر هذه الأداة ﴿إِنَّمَا﴾ في الآية الكريمة بما يُفيد حصر الأداة في إذهاب الرِّجس والتطهير بالمخاطَبَين بقوله ﴿عَنكُمُ﴾، ففي الآية- كما ذكرنا- قصران: «قصرُ الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت»[3].

(١) ينظر: الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣١٦.
(٢) ينظر: راضي الحسينيّ، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنَّة: ٦٠.
(٣) الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: ١٦/ ٣١٥.

أمَّا عبارة ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ في آية التطهير، «فقد اتَّفقت الأمَّة بأجمعها على أنَّ المراد بأهل البيت في الآية، هم أهل بيت نبيِّنا صلى الله عليه وآله»(١).

وخير الأمَّة وقائد سفينتها صلى الله عليه وآله هو الذي بنى قواعد هذا المصطلح وأرسى أُسسه. ويبدو أنَّ هذه الشموليَّة والإحاطة في الآية الكريمة تعني الإفاضة الإلهيَّة لتقديسهم عمومًا، والزَّهراء عليها السلام خصوصًا؛ لأنَّ دورها في الإسلام لا يمكن أن يُغمَط، فهي محور هذا النصِّ الكريم، وبدونها ينطفئ سراج الدنيا، وتضمحلُّ أنواره جملةً وتفصيلًا، ونور الإسلام يتمثَّل بالقرآن الكريم، والزَّهراء عليها السلام من أهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت عليهم السلام هم عِدل القرآن بلا منازع، وأنَّ مَن شكَّ في ذلك لا يمثِّل روح الإسلام، لا من قريب، ولا من بعيد.

وقد شذَّ البعض عن هذا الإجماع، فقال (عكرمة ومقاتل) بأنَّ الآية أرادت بـ(أهل البيت) أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وقد استدلُّوا بدليلٍ واهٍ مفاده أنَّ صدر الآية متوجِّهٌ أليهنَّ- أي لنساء النبيّ- ويعنون (بالتوجُّهِ إليهنَّ) قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ثمَّ انتقلت الآية إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فاختلاف الضمير بين صدر الآية ونهايتها يعني عندهم اختصاصها في نساء النبيّ، وبمعنى آخر فإنَّه «متى ما قيل إنَّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه أنَّ هذا لا ينكره مَن عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فأنَّهم يذهبون من خطابٍ إلى غيره، ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم، ثمَّ عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، «معناه وأشكرن الله تعالى إذ صيركنَّ في بيوتٍ يُتلى فيها القرآن والسُنَّة»(٢).

(١) الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢/ ٣٥٦.
(٢) الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢/ ٣٥٧.

وإذا قيل ما هي الأسباب التي دعت (عكرمة ومقاتل) بشذوذهم عمَّا أراده القرآن الكريم بما تعنيه الآية الكريمة، وما أكَّده النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله بما أورده القرآن الكريم لم يبقَ لهما- لعكرمة ومقاتل – عذر في هذا الشذوذ عمَّا أجمع عليه القرآن الكريم، والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، والأمَّة كافَّة، وليعلم أنَّ من نظر إلى الحقيقة الواضحة الجليَّة التي أرادها الله بعينٍ واحدةٍ، فليتَّخذ من نار جهنَّم مقعدًا ومُقامًا.

إنَّ ما رواه العامَّة والخاصَّة بشأن شمول هؤلاء الخمسة (أهل العبا) بهذه الآية الكريمة كافٍ لترصين كونهم المراد بالإشارة إليهم لا إلى غيرهم، مهما بلغت الأقزام من تضييع لحقيقته التي أصبحت جلية وَّاضحة كالشمس في رابعة النهار.

لقد شذَّ (عكرمة ومقاتل) عن هذا الإجماع، فأيُّ حِقدٍ هذا لآل بيت النبوة عليهم السلام؟؟ وأي صلفٍ هذا لتزييف ما أراده الله، في تلك المحاولات لإبعاد هذا الرهط من العترة النبويَّة الطاهرة عن هذا العطاء الإلهيّ.

لقد جنَّد (عكرمة) من نفسه شيطانًا ليهتف في جموع الناس: «ليس الذي تذهبون إليه، إنَّما هو نساء النبيّ، وقوله: (من شاء باهلته أنَّها نزلت في أزواج النبيّ)»[1]، فلو كان الرأي موافقًا لما يزعم بتهريجه الجنونيّ، لما احتاج الأمر إلى النداء في الأسواق، حيث الدلالة الواضحة بأنَّ هنالك وازعًا نفسيًّا مريضًا، أصبح واضح المعالم من حماسته في المناداة بهذه الوقاحة والحقد على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، إنَّها خلفيَّة حاقدة على أهل البيت عليهم السلام، لاسيما وأنَّ (عكرمة) خارجيّ، و(مقاتل) مرجئيّ[2]، وهذا ما يؤكِّد أنَّ شموليَّة الآية الكريمة بالخمسة الطاهرين عليهم السلام يُعدُّ إنهيارًا لمرتكزاتهم الفكريَّة ومنحاهم السياسي[3].

(١) ينظر: الآلوسيّ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٢/ ١٣، السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ٥/ ١٩٨.

(٢) ابن خلِّكان، وفيات الأعيان: ١/ ٣٢٠، وينظر: عبد الأمير كمال، مَن هُم أهل البيت في آية التطهِّير: ١/ ٣٨.

(٣) عبد الأمير كمال، مَن هُم أهل البيت في آية التطهير: ١/ ٣٨.

يا له من ابتعاد عن القيم، وانحطاط في التحسُّب لاحترام عُرى الدين، وحرب للطاهرين الميامين الذين أوجب الله جلَّ وعلا تقديسهم وتبجيلهم، فإنَّهم آل طه وياسين (عليهم صلوات ربِّي أجمعين).

ولعلَّ الشاعر المعاصر الشيخ محسن أبو الحَب قد تصدَّى للردِّ عليها (عكرمة ومقاتل) بقصيدته الغرَّاء التي يصوِّر لنا فيها فوز الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام بالمفاضلة بينها وبين (حوَّاء ومريم) عليهما السلام، فيقول ببعض أبياتها[1]:

إن قيل حَوَّا قُلتُ فاطم فخرها
أو قيل مريم قلت فاطم أفضَلُ
أفَهَلْ لمريم والدٌ كمحمَّدٍ
أم هل لمريم مثل فاطم أشبُلُ
كلُّ لها حين الولادة حالة
منها عقول ذوي البصائر تُذهَلُ
هذي لنخلتها إلتجت فتساقطت
رُطبًا جنيًا وهي منه تأكِلُ
وضعت بعيسى وهْيَ غير مروعةٍ
أنى وحارسها السريُّ ألأبسَلُ
وإلى الجدار وصفحة الباب إلتَجَتْ
بنتُ النبيّ فأسقطت ما تَحمِلُ

وبذلك فإنَّ الآية الكريمة، آية التطهير بنفسها، وبغضِّ النظر عن الأحاديث المتواترة الواردة في تفسيرها، تكفي في تحديد وتعيين (أهل البيت) الذين أذهب الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيرًا.

(١) ينظر: محسن أبو الحب، فاطمة وتر في غمد: ٣.

وعبارة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الواردة في الآية الكريمة جاءت بعد قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾، فهي إمعان في التنزيه والتطهير والعصمة لأهل البيت عليهم السلام.

فكأنَّما الآية الكريمة أشارت إلى أنَّ الله بعد أن أذهب عنهم الرجس، خلت نفوسهم وصدورهم من أيِّ رجسٍ وذنب، كذلك طهَّر الله قلوبهم وصدورهم بعد ذلك من آثار الرِّجس أيضًا، فلم يبقَ في نفوسهم رجسٌ أو أثرٌ لرجس، وهذا غاية ما يمكن أن يوصَف به مقام العصمة والنزاهة والسموِّ الروحيّ في وليٍّ من أولياء الله، ممَّن اختارهم الله واجتباهم لرسالته ودعوته وللإمامة في خلقه، لذلك تعدُّ آية التطهير قمَّة في الإفصاح والتصريح العقليّ في شموليَّتها ودلالتها على العصمة، التي هي عصمة آل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

يقول الفخر الرازي: إنَّ معنى قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾، «أي يزيل عنكم الذنوب، ويطهِّركم، أي يُلبسكم خُلَعَ الكرامة»[1].

وهو ما يتقارب مع قول الطبريّ: «إنَّما يريد الله ليُذهِب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمَّد صلى الله عليه وآله، ويطهِّركم من الدَّنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرًا»[2].

أمَّا لفظة ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، فقد خلص الطبرسيّ إلى نتيجة مفادها، بعد الكثير من الاستدلالات: «قد اتَّفقت الأمَّة بأجمعها على أنَّ المراد بأهل البيت عليهم السلام في الآية هم أهل بيت نبيِّنا صلى الله عليه وآله»[3]، هذا إضافة إلى لفظتَي ﴿الرِّجْسَ﴾، و﴿الْبَيْتِ﴾ جاءتا معرَّفتَين بالألف واللام، فلفظة ﴿الرِّجْسَ﴾ محلَّاة بهما، ولم ترد مجرَّدة عنهما، وهذه هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق والشمول لا العهد، نظير قول القائل: (لا رجل في الدار)، والتي يعبَّر

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير: ٢٥/ ٢٠٩.
(٢) الطبريّ، جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٩/ ١٠١.
(٣) الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ١١٨-١١٩.

عنها بـ(لا) النافية للجنس، فهي تنفي وجود جنس الرجال في البيت، وبمعنى آخر فإنَّها تنفي الطبيعة بمراتبها كافَّة، تنفي الطبيعة؛ لأنَّ الجنس يلازم نفي الطبيعة، وبناءً عليه فإنَّ الآية الشريفة تنفي جنس الرِّجس، فهي تنفي الطبيعة بكلِّ مراتبها، خصوصًا مع ورود التأكيد البالغ والشديد بالفعل ومفعوله المطلق ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وكذلك فإن لفظة ﴿أَلْبَيْتِ﴾ هي الأخرى معرَّفة بالألف واللام، حيث إنَّ العرب تسمِّي ما تلتجئُ إليه بيتًا، ولهذا السبب سمُّوا الأنساب بيوتًا، فقالوا: بيوتات العرب وبهذا يريدون النسب[2].

وبالجملة فإنَّ (الإرادة) في الآية الشريفة، كما بيَّنها الطباطبائيّ في تفسيره كما ذكرنا، بأنَّ فيها قصران: قصر الإرادة، وقصر الاختصاص، حيث لا مجال لكون الإرادة تشريعيَّة، بل هي تكوينيَّة، وهذا ما ينسجم تمامًا مع مضامينها.

حيث يتَّضح جليًّا بأنَّ الإرادة الواردة في النصِّ الشريف هو من باب الإرادة التكوينيَّة، ولا مجال لعدِّها إرادة تشريعيَّة، حيث إنَّ الإرادة التكوينيَّة هي غير الإرادة العامَّة المتعلِّقة بالناس عمومًا[3].

والذي نخلص إليه القول الآتي:

إنَّ الآية الكريمة، آية التطهير، هي مختصَّة بأهل البيت عليهم السلام؛ لبطلان تعلُّقها وشمولها بغيرهم، ومتى ما قيل إنَّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فهو صنف من أصناف القول الذي لا ينكره من عَرَف عادة الفصحاء في كلامهم، حيث يذهبون مِن خطابٍ إلى آخر غيره، ويعودون إليه، والقرآن الكريم مليءٌ بمثل هذا، وكلام العرب درج على هذا النحو، وكذلك أشعارهم، وبهذا يتَّضح أنَّ من قال بذلك- أعني اختلاف الضمير في الآية كاملة- هو استدلال واهٍ وضعيف، وهذا ما أكَّدناه آنفًا، ونخلص بالقول إلى

(١) راضي الحسينيّ، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسُّنَّة: ١/ ٦٦.
(٢) الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ٣١٦.
(٣) ينظر: راضي الحسينيّ، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسُّنَّة: ١/ ٧٣.

ما جاءت به الرواية الآتية:

قال السيوطي في الدرِّ المنثور، وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبرانيّ، والحاكم، والبيهقيّ في سننه عن واثلة (وائلة) بن الأسقع قال:

«جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فاطمة عليها السلام ومعه الحسن والحسين وعليّ عليهم السلام حتَّى دخل، فأدنى عليًّا وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنًا وحسينًا كلَّ واحدٍ منهما على فخذه، ثمَّ لَفَّ عليهم ثوبًا، ثمَّ تلا هذه الآية، وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ..﴾ الآية، وقال: **اللهمَّ هؤلاء (أهل بيتي)، اللهمَّ أذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**»[1].

أقول: وربَّما يتَّضح من الرواية أنَّ آية التطهير نزلت في بيت فاطمة عليها السلام، كما يتَّضح جليًّا بأنَّ فاطمة عليها السلام هي أحد مصاديق هذه الآية الكريمة، بل محورها، بناءً على ما أفادت الروايات بأسبقيَّة ذِكرها بالعديد منها، وكما سيتَّضح.

(١) السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ١/ ٢٤.

المبحث الثاني

العترة المحمَّديَّة عليهم السلام تحت المرط بأمر السَّماء

لم تقتصر المعاناة على المؤمنين من أنصار الدين الجديد، ممَّا تلقوه من أذًى من أعداء الإسلام، بل امتدَّت إلى العترة الطاهرة من آل محمَّد صلى الله عليه وآله، ومنهم الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فلقد وُلِدت عليها السلام في حدَّة الصراع بين الإسلام والجاهليَّة، ومنذ نعومة أظفارها عانت مع أبيها سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وأمِّها الطاهرة أمُّ المؤمنين خديجة عليها السلام ضراوة الجهاد بين الطليعة المؤمنة وبين قريش الوثنيَّة الجائرة، وعاصرت سيِّدتنا الزَّهراء عليها السلام المقاطعة والحصار الذي فرضته قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنصاره من بني هاشم والأصحاب المنتجَبين وقادة الجهاد، فيدخل النبيّ صلى الله عليه وآله شِعب أبي طالب، وتدخل معه الزوجة المجاهدة ومعها فاطمة عليها السلام، وتتمُّ محاصرتهم في ذلك الشِّعب لسنواتٍ ثلاث.

وبذلك كانت الزَّهراء عليها السلام توأمًا مع شظف العيش وقساوة الظروف مع أُمِّها وأبيها دفاعًا عن الحقِّ والتضحية من أجل الإسلام العظيم، وكان ذلك في السنة الرابعة بعد الهجرة، حيث تبدأ طفولة المعاناة والجهاد وألم الكفاح.

وعانت الزَّهراء عليها السلام من تلك الصعاب بعد أن أرهقتها بثقلها، وما أن انتهى الحصار، حتَّى قَرُب أجل الأمِّ الحنون ليختارها الله إلى جواره، وكان ذلك في العام العاشر من البعثة، تلاها في العام نفسه وفاة أبي طالب رضي الله عنه ناصر الدين وحامي الرسول صلى الله عليه وآله، وسُمِّيَ ذلك العام بـ(عام الحزن)، الذي فَقَدَ به النبيّ صلى الله عليه وآله أحبَّ الناس إلى قلبه، وأكثرهم حنانًا عليه.

لقد فقدت الزَّهراء عليها السلام مصدر إيوائها وحنانها، فأحسَّت بألم الفراق الذي ملأ قلبها وحزَّ بنفسها، واحتضن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله ابنته التي داهمها اليتم وهي لم تزل غصنة يافعة، فأحبَّها وتضاعف حبُّه لها ليعوِّضها ما فقدته من حبٍّ ورعايةٍ وحنان، وكان يُعلِن عن ذلك الحب؛ ليفتِّت الحزن عنها، فأدناها وعظَّم موقعها منه، وأكَّد للملأ سموَّ مكانتها عنده؛ ليعرِّف المسلمين مقامها ومقام ذريَّتها، ويحفظوا لها هذه المكانة المرموقة والتميز بهذا التكريم والتبجيل، ولذلك نما حبُّ فاطمة عليها السلام في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، وشبَّ معها تبجيله لها، وازداد حنانه عليها، وأصبحت كلَّ شيء في حياته ووجوده وأنفاسه»[1].

وبعد أن عرفنا في المبحث الأوَّل أنَّ أهمَّ مصاديق آية التطهير، وأبرز أركانها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، هي الزَّهراء فاطمة عليها السلام، ولا ضير في أن تكون الزَّهراء عليها السلام هي أبرز محاور هذه الآية الكريمة، وكان ذلك ما يُسعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ويُشعِره بالارتياح والغبطة.

ولأجل أن نقف على أهمِّ إطلالات آية التطهير، لا بدَّ أن نكون على اتِّصال مباشر مع (حديث الكساء)، الذي يُعدُّ ترصينًا وتمتينًا لمصداقيَّة الآية الكريمة الذي يعدُّ فيه التأكيد المستدام من قِبَله صلى الله عليه وآله بأنَّ فاطمة عليها السلام هي أحد أهمِّ أركانه وأقدسها تعلُّقًا بمضامين الآية.

لذلك يرى الباحث بأنَّ ضرورة انتماء الزَّهراء عليها السلام إلى مضامين آية التطهير أمر من ضرورات الدين والإيمان بما أنزله الله جلَّ وعلا في كتابه العزيز، بل هو إيمان يؤدِّي افتقاده إلى أن يكون الإنسان من الخاسرين، وهو نوع من بَخْس الحقِّ للعترة الطاهرة عليهم السلام عمومًا، والزَّهراء عليها السلام خصوصًا.

لذلك سيكون هذا المبحث مكرَّسًا لسرد الروايات التي لم تقتصر على جهة دون أخرى، وبيان إفصاح النبيّ صلى الله عليه وآله عن عظمة السموِّ الذي يتمتَّع به أهل هذا البيت الطاهر، ومنهم الزَّهراء عليها السلام، بشكلٍ لا يقبل الغفلة والتهميش والنظر لمتعلَّقات الموقف بعين واحدة.

(١) مجموعة من العلماء، سيِّدة نساء العالمين الصديقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٨٨ وما بعدها.

إنَّه حديث الكساء ومَن دخل تحته من أولياء الرَّحمة وسفراء الإيمان.

الرواية الأولى:

قال السيوطيّ في الدرِّ المنثور: وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبرانيّ، والحاكم، والبيهقيّ في سننه، عن واثلة (وائلة) بن الاسقع قال: «جاء رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّمَ إلى فاطمة، ومعه وحَسنٌ وحُسينٌ، حتَّى دخَلَ فأَدْنى عليًّا وفاطمةَ فأَجلَسَهما بيْن يدَيهِ، وأَجلَسَ حَسنًا وحُسينًا كلُّ واحدٍ منهما على فَخِذِه، ثمَّ لَفَّ عليهم ثَوبَه ثمَّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، وقال: **اللَّهمَّ هؤلاء أَهْلُ بَيْتي، اللهمَّ هؤلاء أَهْلُ بَيْتي، اللهمَّ أَذْهِبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرَهُمْ تَطْهِيرًا**»[1].

الرواية الثانية:

أورد ابن كثير في تفسيره: قال الإمام أحمد، حدَّثنا محمَّد بن مصعب، حدَّثنا الأوزاعيّ، حدَّثنا شدَّاد أبو عمَّار، قال: «دخَلْتُ على واثِلةَ بنِ الأَسْقَعِ وعِندَه قَومٌ، فذَكَروا عليًّا فشتموه معهم، فلمَّا قاموا قال لي: شَتَمْت هذا الرجل؟ قلت: شتموه فشتمه معهم، قال: ألَا أُخبِرُك بما رأيْتُ مِن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّمَ؟ قلْتُ: بلى، قال: أَتَيْتُ فاطمةَ رضيَ اللهُ تعالى عنها أَسأَلُها عن عليٍّ، قالت: تَوَجَّهَ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّمَ. فجلَسْتُ أَنتظِرُه، حتَّى جاء رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّمَ ومعه عِليٌّ وحَسنٌ وحُسينٌ رضي الله تعالى عنهم، آخِذٌ كلُّ واحدٍ منهما بيَدِه، حتَّى دخَلَ فأَدْنى عليًّا وفاطمةَ فأَجلَسَهما بيْن يدَيهِ، وأَجلَسَ حَسنًا وحُسينًا كلَّ واحدٍ منهما على فَخِذِه، ثمَّ لَفَّ عليهم ثَوبَه- أو قال: كِساءه- ثمَّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، وقال: **اللَّهمَّ هؤلاء أَهْلُ بَيْتي، وأَهْلُ بَيْتي أَحَقُّ**»[2].

(١) السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ١٢/ ٤١.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٩٢، ٦/ ٤١١.

الرواية الثالثة:

عن عمران بن حصين قال: «إنِّي لجالِسٌ عندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّم، إذ أقبَلَتْ فاطمةُ، فقامت بحَذا النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّم مُقابِلَه. فقال: **أدْني يا فاطمةُ** فدَنَتْ دَنوه، ثمَّ قال: **ادْني يا فاطمةُ** فدَنَتْ دَنوه، ثمَّ قال: **ادْني يا فاطمةُ** فدَنَتْ حتَّى قامَتْ بينَ يدَيه. قال عِمرانُ فرأيْتُ صُفرةً قد ظهَرَتْ على وجهِها وذهَب الدَّمُ، فبسَط رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّم بينَ أصابعِه، ثمَّ وضَع كفَّه بينَ رأسها فرفَع رأسَه، فقال: **اللَّهمَّ مُشْبِعَ الجَوْعةِ وقاضِيَ الحاجةِ ورافِعَ الوَضْعةِ، لا تُجِعْ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ**. فرأيْتُ صُفرةَ الجوعِ قد ذهَبَتْ عن وجهِها وظَهَرَ الدَّمُ، ثمَّ سألْتُها بعدَ ذلك فقالت: ما جُعْتُ بعدَ ذلك يا عِمرانُ»[1]، رواه الطبرانيّ في الأوسط، وفيه عتبة بن حميد، وثَّقه ابن حبَّان وغيره، وضعَّفه جماعة، وبقيَّة رجاله وثِّقوا.

الرواية الرابعة:

أخرج صاحب مجمع البيان بأنَّه: «روى الثعلبيّ في تفسيره بالإسناد عن أمِّ سلمة أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ [وآله] وسلَّمَ، كانَ في بيتِها، فأتَتْه فاطمةُ ببُرْمةٍ[2]، فيها حَريرةٌ، فقالَ لها: ادعِي زوجَكِ وابنَيْكِ.. فذكرت الحديث نحو ذلك.. ثمَّ قالت: فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالَت: فأخَذ فضْلَ الكِساءِ، فغشَّاهُم به، ثمَّ أَخرَج يدَه، فألْوَى يده بها إلى السَّماءِ، ثمَّ قالَ: **اللَّهُمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي وحامَتي، فأذْهِبْ عنهمُ الرِّجسَ، وطَهِّرْهم تطهيرًا**. فأَدخلْتُ رأْسي – والقول لأمِّ سلمة رضي الله عنها – البيتَ، وقلْتُ: وأنا معَكُم يا رسولَ الله، قالَ: **إنَّكِ إلى خيْرٍ، إنَّكِ إلى خيْرٍ**»[3].

وبلفظ آخر:

(١) الشافعيّ، طرز الوفاء في فضائل آل المصطفى: ٢٥٧.

(٢) البرمة: القدر من الحجر.

(٣) الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢/ ٣٥٧.

«عن أمِّ سلمة قالت: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تحمل حريرة، فقال: ادعي زوجك وابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثمَّ ألقى عليهم كساءً له خيبريًّا، فقال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**. فقلت: يا رسول الله وأنا معهم؟ قال: **أنت إلى خير**»[1].

وبذلك نفت الرواية أعلاه أن تكون أحبّ زوجات النبي صلى الله عليه وآله معهم تحت الكساء، فأخبرها النبيّ صلى الله عليه وآله بأنَّك على خير، ولكنَّك لست من أهل البيت عليهم السلام، وبهذا الصدد يقول الشاعر[2]:

إنَّ النبيّ محمَّد ووصيه وابـ
ـنيه وابنته البتول الطاهرة
(أهل العباء) فإنني بولائهم
أرجو السلامة والنجا في الآخرة

الرواية الخامسة:

أخرج أسامة بن منقذ عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: «أتت فاطمة عليها السلام إلى أبيها ببرمة فيها خريزة[3]، فدخلت عليه بها، فقال صلى الله عليه وآله: ادعي لي زوجك وابنيك، قالت: فجاء عليّ والحسن والحسين عليهم السلام فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكَّان[4] تحته كساء خيبريّ، قالت: وأنا في الحجرة أصلِّي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فأخذ النبيّ

(١) الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢/ ٣٥٧.
(٢) ابن الصبَّاغ، الفصول المهمَّة في معرفة أحوال الأئمَّة عليهم السلام: ٢٥.
(٣) خريزة وخزيرة: هو اللحم الذي يقطَّع صغارًا ويُصبُّ عليه الماء الكثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيه لحم فهو (عصيدة)، وقيل: هي حساء من دقيق ودسم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهي خريزة.
(٤) الدكَّان: هو الدكَّة المبنيَّة لغرض الجلوس.

فضل الكساء فغشّاهم به، ثمَّ أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء، ثمَّ قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي**[1]، **فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**. قالت: فأدخلت رأسي البيت، وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال: **إنَّك إلى خير، إنَّك إلى خير**»[2].

أقول: ويبدو ان التوائُم (الزمكانيّ) بين آية التطهير وحادثة الكساء متلازمان، والذي نستنتجه من الروايات بأنَّ التبليغ بآية التطهير سبقت تغطيتهم بالكساء، وبعد التبليغ بها مباشرة، أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يُجري مراسيم تلك التغطية، بجمعهم الذي أشارت إليه الروايات مجتمعة.

كما أقول: أين (عكرمة ومقاتل) من هذا الإجماع؟ (إجماع الأمَّة) الذي توَّجه فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأجرائه وتأكيده والديمومة على متابعته بملحقاته التي تلت الحادثة -التبليغ بالآية والتغطية لهم عليهم السلام- وأين محاولتهم في إبعاد هذا الشرف الإلهيّ لهم، وأين أسواقهم التي ملأها تهريجهم الكاذب، بقول عكرمة: «مَن شاء باهلته، إنَّها نزلت في أزواج النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم»[3].

الرواية السادسة:

في مسند أحمد قال: حدَّثنا محمَّد بن مصعب، قال: حدَّثنا الأوزاعيّ، عن شدَّاد أبي عمَّار- في حديثٍ طويل- عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: «جاء رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّمَ إلى فاطمة، ومعه حَسنٌ وحُسينٌ وعِليٌّ، حتَّى دخَلَ فأَدْنى عليًّا وفاطمةَ فأَجلَسَهما بيْن يدَيهِ، وأَجلَسَ حَسنًا وحُسينًا كلَّ واحدٍ منهما على فَخِذِه، ثمَّ لَفَّ عليهم ثَوبَه، أو قال: كِساءً، ثمَّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، وقال: **اللَّهمَّ هؤلاء أَهْلُ بَيْتي، وأَهْلُ بَيْتي أَحَقُّ**»[4].

(١) حامتي: خاصَّتي من أهلي وولدي وقرابتي.
(٢) أسامة بن منقذ، المنازل والديار: ٣٦٧.
(٣) السيوطيّ، الدرُّ المنثور: ٥/ ١٩٨.
(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، كتاب مسند الشاميِّين، باب حديث واثلة بن الأسقع رقم ١٦٩٨٨ =

الرواية السابعة:

ذكر مسلم في صحيحه: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمَّد بن عبد الله بن نمير، واللفظ لأبي بكر، قالا: حدثنا محمَّد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفيَّة بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: «خرَج النبيُّ صلَّى اللهُ عليه [وآله] وسلَّم غَداةً وعليه مَرطٌ مُرَحَّلٌ من شَعرٍ أسوَدَ، فجاء الحسَنُ بن عليّ فأدخله، ثمَّ جاء الحسين فأدخله معه، ثمَّ جاءَت فاطمةُ فأدخَلها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخَله، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[1].

أقول: لو لم تكن إلَّا هذه الرواية بتعيين من هُمْ المراد بهم في آية التطهير، لَبَصَمَ العقل بأنَّهم (هم)، وكفى بالعقل رائدًا وقائدًا لمن أودع الله بقلوبهم الإيمان والنقاء.

الرواية الثامنة:

ذكر البخاريّ في (باب مناقب فاطمة عليها السلام) ما نصُّه: حدَّثنا أبو الوليد: حدَّثنا ابن عيينه، عن عمر بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسوَّر بن مخرمة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي**»[2].

أقول: وللأسف لم يكن البخاريّ سخيًّا بذِكر ما رويَ عن فاطمة عليها السلام، وقد ملأ ذِكرها الخافقين، وحتَّى مَن بغضها لم يبخسها حقَّها في ذلك! فما الذي دهاك يا صاحب الصحيح؟! حيث لم يحتوي صحيحه سوى حديث واحد عن فاطمة الزَّهراء المحمَّدية!.

الرواية التاسعة:

أخرج الشيخ محمَّد بن علي الصبان: «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم

=وأخرجه ابن أبي شيبة، الحديث: ٣٢٦٣٩، وأبو يعلى في مسنده برقم ٧٤٨٦، والطبرانيّ في المعجم الكبير: ٣/ ٥٥، من طريق محمَّد بن مصعب بهذا الإسناد.

(١) مسلم، صحيح مسلم: ٩١٥، رقم الحديث ٦٢٨٨.

(٢) البخاريّ، صحيح البخاريّ: ٦٣٣، رقم الحديث ٣٧٦٧.

جاء ومعه عليٌّ وفاطمة وحَسنٌ وحُسينٌ، قد أخذ كلٌّ واحدٍ منهما بيده حتَّى دخَلَ فأَدْنى عليًّا وفاطمةَ وأَجلَسَهما بيْن يدَيهِ، وأَجلَسَ حَسنًا وحُسينًا كلٌّ واحدٍ منهما على فَخِذِه، ثمَّ لَفَّ عليهم كِساءً، ثمَّ تَلَا هذه الآيةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقال: **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا**». وفي رواية «**اللهمَّ هؤلاء آل محمَّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمَّد كما جعلتها على إبراهيم إنَّك حميد مجيد**»، وفي رواية أنَّ أمَّ سلمة قالت: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: **أنَّك من أزواج النبيّ على خير**. وفي رواية لها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بيتها، إذ جاءت فاطمة بـ(بُرمة) (بضمٍّ فسكون)، قدر من حجر فيها خَزِيرة (بخاء معجمة مفتوحة، فزاي مكسورة، فتحتية ساكنة، فزاء)، وهي ما يُتَّخذ من الدقيق على هيئة العصيدة، لكن أرق منها، فوضعتها بين يديه، فقال: أين ابن عمِّك وابناك، فقالت: في البيت، فقال: أدعهم، فجاءت إلى عليّ وقالت: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله أنتَ وابناك، فجاء عليّ وحسن وحسين فدخلوا عليه، فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي رواية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُنزِلت هذه الآية في خمسة، فيَّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة»[1].

الرواية العاشرة:

«أخرج الشيخ محمَّد بن عليّ الصبَّان أيضًا عن ابن أبي شيبة وأحمد والترمذيّ وحسَّنَهُ ابن جرير وابن المنذِر والطبرانيّ والحاكم، وصحَّحه عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرُّ ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر، فيقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي رواية ابن مردويه

(١) الصبَّان، إسعاف الراغبين: ١١٦.

عن أبي سعيد الخدريّ «أنَّه صلى الله عليه وآله جاء أربعين صباحًا إلى باب فاطمة يقول: السلام عليكم (أهل البيت) ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وفي رواية عن ابن عبَّاس: سبعة أشهر، وفي رواية لابن جرير وابن المنذر والطبراني ثمانية أشهر»[1].

أقول: إنَّ بهذه الروايات التي أخرجها الشيخ الصبان في إسعاف الراغبين يتَّضح بأن تكرار النبيّ صلى الله عليه وآله بمروره فجرًا على بيت فاطمة، وتسليمه عليهم، ودعوته لهم بالصلاة، فهم أهل الصلاة، ومن بيوتهم شُرِّعت، فليس المقصود دعوتهم لها؛ لأنَّهم مؤدُّوها ومقيموها، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يهدف من وراء ذلك كله، وبهذه المدد المختلَف بتحديدها، والتي تراوحت من (١-٨) أشهر إلى أن أيُّها الأمَّة اسمعوا وعوا بأنَّ مراد هذه الآية هم أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة، هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فلا تغرنَّكم الدنيا بالذهاب لغيرهم.

وسأكتفي بهذا القدر من الروايات خوفًا من الإطالة في بحثها، إضافة إلى التزامنا بعدد الصفحات التي نحن ملزمون بالتقيُّد بها، رغم أنَّ الروايات بهذا الصدد كثيرة جدًّا، ومَن نقلها كُثر ومِن مختلف طبقات الرواة، ومختلف الأماكن التي يقطنونها، ومختلف المذاهب التي يتمذهبون بها.

(١) الصبَّان، إسعاف الراغبين: ١١٦ وما بعدها. وينظر: الشبلنجيّ، نور الأبصار: ١١٧.

المبحث الثالث

ما الذي أراد النبيّ صلى الله عليه وآله من إطلاقه العبائر المختلفة اللفظ والمتّحدة المعنى في حديث الكساء؟ وما سبب ديمومته بذلك لفترة طويلة ؟

لقد أدركنا من خلال اطّلاعنا المتواضع على جملة الروايات التي ذكرت شمول أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير وبأسمائهم الصريحة في تلك الروايات، وبالمقارنة مع ما ذُكِرَ مع أسباب النزول للآية الكريمة، فقد لاحظنا ما يأتي:

١. إنَّ هذه الروايات بمجملها اتَّسمت بشموليَّة مضامينها المتَّفقة بالتأكيد على أنّ آية التطهير نزلت بحقِّ الخمسة من أهل العبا، وهم (فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها)، وعليه فهذه الأسماء لا جدال بشمولها عليهم دون سواهم.

٢. إنَّ فعل النبيّ صلى الله عليه وآله المتكرِّر بوصف (المشروع الكسائيّ) الذي قام به بتغطيتهم بالكساء أو الثوب، أو الرداء أو الغطاء أو المرط، أو غير ذلك من الأسماء، كلُّها تأكيدات من قِبَلِه صلى الله عليه وآله لخلق جوٍّ يؤشِّر على ديمومة الفعل في مشروعه هذا، مضافًا إلى ديمومته في الذهاب لبيت عليّ وفاطمة عليهما السلام فجرًا والتسليم عليهم والاستئذان من فاطمة عليها السلام في الدخول لبيتها، وأمام مرأى ومسمع من اصطَحَب النبيّ صلى الله عليه وآله بالمجيء، ولمدَّة ليست بالقصيرة، وقد اختُلِف بتحديدها ما بين ٣-٨ أشهر؛ ليريهم أنَّهم هم المعنيُّون بلفظ أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم وهذا بحدِّ ذاته يعدُّ تواترًا لاستذكار الحدث الذي كان يهدف إليه النبيّ صلى الله عليه وآله، والذي يعني القطع والتأكيد والمتابعة.

٣. إنَّ تداول الألفاظ المتضمِّنة للآية الشريفة، كلفظ الإرادة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾، ولفظ ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ولفظ ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾، وتأكيد التطهير اللفظيّ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ مِن قِبَل النبيّ صلى الله عليه وآله في الروايات كلِّها تقريبًا، يدلُّ على أنَّ الآية الكريمة قد سبقت حادثة الكساء زمنًا، ولكنَّه زمن متقارب، وربَّما بفاصل قصير جدًّا، كون الفعل يدلِّل على حدوثه بعد نزول جبرائيل عليه السلام في تبليغه النصّ المشرَّف للآية الكريمة على النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا من المدارك العقليَّة التي يستوحيها المتتبِّع للأحداث، مقارنًا بالنصِّ الشريف للآية الكريمة.

٤. إنَّ أسلوب الدعاء الذي كان النبيّ صلى الله عليه وآله يؤكِّد عليه في شمول أهل بيته عليهم السلام بالرَّحمة واتِّباع الحقِّ حتَّى وصفت بعض الروايات بأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله ألوى يديه الكريمَتَين إلى السماء، ونطق بعبارات تنوَّعت نصوص الروايات بذِكرها كقوله:

- **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهِب عنهم الرِّجس وطهِّرهم تطهيرًا.**
- **الله إليك لا إلى النار**(١).
- **اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحقُّ.**
- **اللهمَّ هؤلاء أهل حامتي وأهل بيتي.**
- **اللهمَّ هؤلاء آلي.**

إلى غير ذلك من ألفاظ أدعية النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لشمولهم بالرحمة من جهة، وللتعريف والتشهير بمضامين الحدث الأكبر في مسألة حديث الكساء، والذي يكشف عن الاهتمام البالغ له صلى الله عليه وآله بتشخيص منزلتهم، وسموِّهم، وقداستهم، وإبلاغ القاصي والداني بذلك(٢).

(١) الطبريّ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩/ ١٠٧.
(٢) أبو يعلى، مسند أبي يعلى، رقم الحديث: ٧٤٨٦.

٥. كلُّنا يعلم بما لأمِّ سلمة رضي الله عنها من موقع عظيم في نَفسِ رسول الله صلى الله عليه وآله، وربَّما تكاد أمُّ سلمة تحتلُّ المرتبة المتميِّزة بعد خديجة عليها السلام في نفس النبيّ صلى الله عليه وآله، لكنَّه رفض صلى الله عليه وآله انضوائها تحت الكساء معهم، حيث كان له صدًى عظيمًا في تغيير ما كان متوقَّعًا، فأمُّ سلمة بنفسها كانت لا تتوقَّع الرَّفض كونها هي الرمز بالوفاء والإخلاص والمحبَّة لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد أمِّ المؤمنين خديجة عليها السلام، لكنَّها رُفِضت وبأسلوبٍ ينمُّ عن التهدئة والرحمة من قِبَلِه صلى الله عليه وآله تجاهها «**إنَّك على خير**.. **إنَّك على خير**»، دليل قاطع على انحسار الأمر بأهل البيت المشار إليهم، وليس غيرهم، مهما تمتَّع غيرهم بالامتيازات العالية؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يعلوهم أحد بلغة السماء، فكانت تلك العبارات موجَّهة للأمَّة كافَّة استجلاءً لقدسيَّتهم وكرامتهم التي أرادها الله لهم، خصوصًا وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله يتَّصف بخلقٍ عظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، فليس من طباعه ردّ إنسان يتقدَّم له بطلب، وطَلَبُ أمُّ سلمة لم يكن أمرًا صعبًا لديه، فهي أرادت أن تنضوي تحت الكساء، حيث لا غرابة بطلبها؛ لأنَّها زوجته وحليلته ووفيَّته، لكن الأمر ليس كذلك، فإنَّها إرادة السماء، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله مأمور بمن ينضوي تحت ذلك الكساء، والذي لم يكن لأمِّ سلمة أو غيرها نصيبٌ في ذلك الانضواء التأريخيّ.

٦. إنَّ برمجة الخطاب الذي كان النبيّ صلى الله عليه وآله يكرِّره إلى الأمَّة يتضمَّن التكرار بذِكر أسماء (أهل البيت)، فكان لذِكر فاطمة وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام ديمومة لا تنقطع، وذِكر لا يفتر أبدًا، فهم المعروفون لديه، ولا حاجة لأن يؤكِّد الأمر لنفسه، بل هدفه توكيد الأمر بذكرهم وتعريف الناس بأنَّ هذا الأمر هو أمر الله، وليس الذي ذهب إليه (عكرمة ومقاتل) وما شابههم، وكأنَّه يريد أن يقول لهذه الأمَّة: احذروا أن تُسندوا الأمر لغيرهم

بنصِّ ما جاء بآية التطهير، لذلك فليس لحديث الكساء غرض سوى بيان عظمتهم، وبيان قداستهم، والقطع بأنَّهم المراد بهم في هذا النصِّ العظيم.

٧. واستجلاءً لما جرى بحديث الكساء، فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان لا يشكُّ لحظة في أنَّ فاطمة وعليّ عليهما السلام سينسون أداء فرض الصلاة، وأنَّ فاطمة عليها السلام صاحبة التسبيح الأكبر المعروف (بتسبيح الزَّهراء عليها السلام)، وأنَّ عليًّا قد قُتِل عليه السلام في الصلاة، لكنَّه بباب عليّ وفاطمة فجرًا، يقف مناديًا «**الصلاة يرحمكم الله**»، فهل أنَّ بيت فاطمة بحاجة إلى التذكير بالصلاة؟ وهل أنَّهم سينامون بلا صلاة فجرًا؟ ليس الأمر كذلك، بل إنَّه كان يهدف إلى تبليغ الأمَّة بأنَّهم المشار إليهم في آية التطهير، وحديث الكساء.

أقول بربِّكم: هل يتسنَّى لكلِّ من يملك ذرَّة من عقل بأن يذهب إلى ما ذهب إليه (عكرمة ومقاتل)، ومن شاطرهما الرأي؟ سؤال أطرحه على ذوي اللبِّ وأهل المراس وأصحاب الفن والمنصفين ممَّن شهدوا بالشهادَتَين ليس إلَّا.

وختامًا هديَّتي إليكم أحبَّتي، بعض الأبيات من قصيدة منظومة حديث الكساء، لناظمها وشاعرها الكبير سلطان عليّ الصابر التستريّ[1].

فَـقـالَ جَـبرئِـيـلُ يـا رَبَّ الـعُـلى
أَخـبِرني يـا مَـولايَ مَـن هُـمُ الأُلى
قـالَ نَـعَـم هُـم دَوحَـةُ الـنُّـبُـوَّة
وَمَـعـدِنُ الـتَّـنـزِيـلِ وَالـفُـتُـوَّة
هُـم فـاطِـمٌ وَضَـيـفُـهـا أَبـوهـا
وَبَـعـلُـهـا بِـجَـنـبِـهِ بَـنُـوهـا

(١) التستريّ، منظومة حديث الكساء: ١٨ وما بعدها.

قـــالَ الأَمِـــينُ أَفَـــهَـــل تَـــأذَنُ لي
أَن أَهـبِـطَ الأَرضَ لِـذاكَ المحفِلِ
حَـتّـى أَكـــونَ فِي الـكِـسـاءِ سـادِسـا
مُـقـتَـبِـسًـا مِـن نّـورِهِـم مَـقـابِـسـا
قـــالَ أَذِنـــتُ لَـــكَ يـا جِـبرِيـلُ
بَـلِّـغ سَـلامـي مِـــلأَهُ الـتَّـبـجِـيـلُ
وَقُـــل: بِـلُـطـفِ الـعَـلِيُّ ذُو الـعُـلى
يَخُـصُّـكُـم بِـالـفَـضـلِ مِـن دونِ المَلا
فَـهَـبَـطَ الأَمِـــينُ جَـبرَائِـيـلُ
يَحُـفُّـهُ الـسَّـلامُ وُالـتَّـبـجِـيـلُ
وَاســتَـأذَنَ الـدُّخـولَ مِـن مُحَـمَّـدِ
لِـكَـي يُـبـاهِـي بِـعَـظِـيـمِ الـسُّـؤدَدِ
قـــالَ: أَذِنـــتُ، لَـــكَ أَن تُـبـاهِـي
فَـكُـن مَـعِـي أَمِـــينَ وَحـــيِ اللهِ
فَـدَخَـلَ الـكِـسـاءَ بِـالـتَّـبـشِـيرِ
وَكـــانَ يَـتـلـو آيَـــةَ الـتَّـطـهِـيرِ

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

خلاصة البحث

يعدُّ القرآن الكريم هو المصدر الأساس في استنباط الأحكام الشرعيَّة للمسلمين كافَّة، وهذا هو محلُّ اتِّفاق الجميع، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الجدوى من السنَّة النبويَّة المطهَّرة إذا كان الأمر كذلك؟.

فالجواب واضح وجليّ، وهو أنَّه ليس كلُّ ما يرد في القرآن الكريم يُفصِح عن تفاصيل الأمور التي أرادها الله لعباده، ولأجل هذا بُعثَت الرسل والأنبياء، وهذا مبدأ عقليّ.

فالسُّنَّة المشرَّفة هدفها إيضاح كلِّ ما أُبهم في الكتاب العزيز، وما لم ينزل به تفصيل، كالصلاة مثلًا.

وهنا نقول: إنَّ ما روي عن المعصومين عليهم السلام يمثِّل الرافد الأساس لهذا البيان والإيضاح لما يحتاجه المسلم من أمور لم يفصِّلها القرآن الكريم، لذلك فالسُّنَّة عندنا قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره، والمعصومون بمفهومنا هم النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، والزَّهراء عليها السلام، والأئمَّة الاثنى عشر ابتداءً من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانتهاءً بالإمام الحجَّة بن الحسن عليه السلام، ولذلك فالسنَّة عندنا ما يُرجَعُ به إلى هؤلاء (عليهم صلوات ربِّي أجمعين)، وهم بمثابة المنبع الصافي لدى الشيعة، والذي يتزوَّدون منه إذا أدلهمَّ الخطب وضاقت الأمـور، وهـذا ما أفصح عنه حديث السلسلة الذهبيَّة، الذي يمثِّل الرجوع إليهم عليهم السلام، ويُعدُّ كلامهم هو كلام النبيّ صلى الله عليه وآله، وبالتالي فهو كلام الله جلَّ وعلا.

وبذلك فإنَّ مرجعنا بعد القرآن الكريم هو كلامهم الذي يمثِّل قول الله، لذلك أصبح جليًّا بأنَّ آية التطهير التي أفصح عنها القرآن الكريم، والتي كانت الزَّهراء عليها السلام أحد أبرز محاورها والمعنيَّة بهذا البحث، فقد وضع البعض عليها ضبابيَّة؛ لأسباب كثيرة تطرَّقنا لذكرِها في بحثنا المتواضع هذا، فقد عُدَّت الروايات التي بيَّناها لقطع دابر هذه المدَّعيات الواهية، وهي الدليل الرتيب في المحافل الفكريَّة والعلميَّة لدحض تلك الآراء التي صدرت ممَّن لا يروق لهم أن تكون سيِّدتنا الزَّهراء كذلك، وبالنتيجة كان بحثنا هو سبيكة رصينة بين مفاهيم القرآن الكريم، ورأي المعصوم عليه السلام الذي أشرنا من خلال البحث منه إلى مَن هو المعصوم؟ فكان واضحًا أنَّ التعريف بالزَّهراء عليها السلام تكفَّله بحران عظيمان، وهما النصُّ القرآنيّ، وحديث المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحى.

مصادر البحث ومراجعه

* خير ما يفتتح به القرآن الكريم.

١. ابن الصبَّاغ (عليّ بن محمَّد بن أحمد المالكيّ المكِّيّ ت٨٥٥هـ)، الفصول المهمَّة في معرفة أحوال الأئمَّة عليهم السلام، منشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٢. ابن حنبل(الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، كتاب الشاميِّين، تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط وعـادل مرشد، منشورات مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣. ابن خلِّكان (أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٤. ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفِدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ)، تعليق: محمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥. أبو الحب (محسن أبو الحب)، فاطمة وتر في غمد (قصيدة)، مجلَّة ينابيع، العدد (١٨)، النجف الأشرف، العراق.

٦. أبو يعلى (الحافظ أحمد بن عليّ بن المثنَّى الموصلِّيّ التميميّ ت ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم، دار الثقافة العربيَّة، دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧. البخاريّ (أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل الجعفيّ ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاريّ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، (بدون طبعة وسنة طبع).
٨. التستريّ (سلطان عليّ الصابر)، منظومة حديث الكساء، دار صادق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، مطبعة النجف الأشرف، العراق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٩. الحسينيّ (راضي الحسينيّ)، معرفة أهل البيت في ضوء الكتاب والسنَّة، مؤسَّسة أمِّ القرى للتحقيق والنشر، قم، إيران، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٠. السيوطيّ (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر العربيّ، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م + طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات العربيَّة الإسلاميَّة.
١١. الشافعيّ (أحمد بن زين العابدين المصريّ ت ١٠٤٨هـ)، طرز الوفا في فضائل آل المصطفى، تحقيق: سامي الغريريّ، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلاميّ، ط٣، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
١٢. الشبلنجيّ (مؤمن بن حسن بن مؤمن من علماء القرن الثالث الهجريّ)، نور الأبصار، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
١٣. الصبَّان (محمَّد بن عليّ ت ١٢٠٦هـ)، إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
١٤. الطباطبائيّ (محمَّد حسين ت ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥. الطبرسيّ (أبو عليّ الفضل بن الحسن ت ٥٦١هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: باسم الرسوليّ المحلّاتي، مؤسَّسة الأعمليّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٧٩ق، ١٣٣٩ش.

١٦. الطبريّ (أبو جعفر محمَّد بن جرير ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بتفسير الطبريّ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ بالتعاون مع دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٧. الفخر الرازي (محمَّد بن ضياء الدين عمر ت ٦٠٤هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تقديم: خليل محيي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

١٨. كمال (عبد الأمير كمال)، من هم أهل البيت في آية التطهير؟ منشورات مطبعة أهل البيت، النجف الأشرف، العراق، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٩. مجموعة من العلماء، سيِّدة نساء العالمين الصديقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، منشورات دار التوحيد، ط٤، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٢٠. مسلم (مسلم بن الحجَّاج القشيريّ النيسابوريّ ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار صادر، بيروت، لبنان، (بدون طبعة وسنة طبع).

٢١. منقذ (أسامة بن منقذ ت ٥٨٤هـ)، المنازل والديار، تحقيق: مصطفى حجازي، لجنة إحياء التراث العربيّ، القاهرة، ١٩٦٨م.

سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في المصادر المعاصرة
محمَّد كاظم القزوينيّ أنموذجًا

م.د. دينا عبد السَّادة رسن المالكيّ

ملخَّص البحث

إنَّ الكتابة في موضع السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام موضوع ليس ببسيط، وخاصَّة في مجال التاريخ؛ وذلك لاختصار المادَّة التاريخيَّة، وشحَّتها، رأيت أن أكتب في موضوع تناوله المعاصرون، فتناول العنوان سيرة شخصيَّتين، الأولى سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، والأخرى سيرة عَلَم من أعلام كربلاء المعاصرين، السيِّد كاظم القزوينيّ (رحمة الله عليه)، وإنَّ سبب اختياري لهذا العنوان الموسوم (سيرة فاطمه الزَّهراء عليها السلام في المصادر المعاصرة محمَّد كاظم القزويني أنموذجًا)، هو ولوج السيِّد إلى كتابات عنها بكثب، ودقَّة، ونقد في الروايات، والمصادر، سواء كانت للمؤرِّخين الأوائل، أو المعاصرين، فلا ريب يمكن القول كان موسوعة في هذا الباب، وهذا ما نراه في سلسلته كتبه المباركة التي ذكرها (من المهد إلى اللحد)، فلذا إنَّ مخلَّص بحثي تضمَّن الدفاع، ورد الشبهات، والتعليق على كلِّ شبهة أوردها المؤرِّخون أرباب المناصب في الدولة الأمويَّة أو العبَّاسيَّة، في هذا الكتاب (فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد).

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمَّد وآله صلى الله عليه وآله.

إنَّ قضيَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قضيَّة مفتوحة لكلِّ باحثٍ يريد أن يخوض في سيرتها العطرة، أو ما تحتويه، فكان السيِّد كاظم القزوينيّ (رحمة الله عليه) أحد الباحثين المعاصرين المدافعين عن قضيَّتها، والذي تميَّزت كتابته بالدفاع بالرِّد على كلِّ مَن يأتي برواية شذَّت، وشذَّ بها، سوء أكانت تلك مصادر المتقدِّمين الأوائل، أو المعاصرين، بل حتَّى المستشرقين ردَّ عليهم ردًّا علميًّا.

ومن هنا جاءت رغبتي في كتابة هذا البحث، وخاصَّة أنَّ كتابه (فاطمة من المهد إلى اللحد)، هو كتاب قريب جدًّا لكلِّ باحث يحاول أن يطَّلع على سيرة إيِّ إمام؛ وذلك لأنَّه ألَّف سلسلته، أعني الكتب سمِّيت باسم (من المهد إلى اللحد).

ولهذا الموضوع أهميَّة كبيرة لمن يقرأ التاريخ، فهو أحياء عَلَم عراقيّ، واستذكارًا لجهوده العلميَّة من جهة، ونميِّز منهجه، وموارده، في كتابه الموسوم (فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد)، ومن جهة أخرى دفاعًا عنها، مستعينين في ذلك منهج البحث العلميّ التاريخيّ.

المحور الأوَّل

السيرة الذاتيَّة لمحمَّد كاظم القزوينيّ (قدَّس الله سرَّه)

١. اسمه ونسبه:

هو السيِّد محمَّد كاظم بن محمَّد إبراهيم بن محمَّد هاشم الموسويّ القزوينيّ الحائريّ، ولِد في كربلاء المقدَّسة عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م)، عُرِف بالعلَّامة القزوينيّ، ولُقِّب بسيِّد خطباء كربلاء[١]، فنشأ وحيد أبويه، فقد توفِّيَ إخوته كلُّهم في الصِّغر، وبلغ عددهم ثلاثة عشر ولدًا (ولد وبنت)، ثمَّ توفِّيت أمُّه وهو بعمر عشرة أعوام، ثمَّ والده بعمر اثنى عشر، فتعرَّض لظروف قاسية في حياته[٢].

كان لأسرته تاريخ عريق بالعلم، فوالده هو السيِّد محمَّد إبراهيم القزوينيّ الذي كان من رجال الدين، وجدُّه السيِّد محمَّد هاشم، كان أحد مراجع الشيعة في وقته، فنهل من علوم هذه الأسرة، واستقى من مواردها[٣].

دخل القزوينيّ ميدان الحوزة العلميَّة كعادة أبناء هذه الأسرة، ودرس على يد أفذاذ العلماء في كربلاء، ودرس العلوم الدينيَّة عند كلٍّ مِن المرجعَين محمَّد هادي الميلانيّ،

---

(١) ينظر: مركز تراث كربلاء، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء، التاريخ: ١٨/ ٥/ ٢٠٢١.

(٢) ينظر: القزوينيّ، محمَّد كاظم، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مؤسَّسة أمّ أبيها (العراق، ٢٠١٣م): ١٣.

(٣) مركز تراث كربلاء، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء، التاريخ: ١٨/ ٥/ ٢٠٢١.

ومهدي بن حبيب الله الشيرازيّ، كما درس عند جعفر الرشتيّ، ويوسف الخراسانيّ، ومحمَّد الخطيب[1].

٢. نشاطاته العلميَّة والتبشيريَّة:

في عام ١٣٨٠هـ اتَّسع نشاطه الدينيّ، فأسَّس (رابطة النشر الإسلاميّ)، وهي مؤسَّسة دينيَّة في كربلاء، وبالتحديد في مدرسة ابن فهد الحِلِّيّ، وكان هدف هذه المؤسَّسة نشر فكر أهل البيت عليهم السلام من خلال نشر الكتب التي تُعرِّف بالمذهب الشيعيّ، وتعريف العالم الإسلاميّ بأحكام وأخلاق أهل البيت، وقد تمَّ إنشاء وسائل تعاون وتبادل مع المغرب، حيث رفدت المؤسَّسة المسلمين في هذه الدولة بكتب الشيعة، ثمَّ اتَّسع هذا النشاط ليشمل ليبيا والجزائر وتونس، وبعض الدول الأفريقيَّة كالسنغال ونيجيريا[2].

فكان من إنجازاته أنَّه غيَّر مفاهيم أهل المغرب العربيّ عندما نشر مقال في صحيفة العلم قبل يوم عاشوراء بأُسبوعين، حيث كان أهل المغرب يتَّخذون يوم العاشر من محرَّم عيدًا[3].

فيقول السيِّد مصطفى نجل كاظم القزوينيّ: إنَّ الميزانيَّة كانت ضعيفة لحدٍّ ما، إلَّا أنَّه استطاع نشر أكثر من مليونَي كتاب خلال عشرين سنة[4].

فضلًا عن ذلك، قام بالتبليغ في قارَّة أُستراليا عام ١٣٩٨هـ، لنشر فكر أهل البيت عليهم السلام، كما أنَّه استطاع أن يؤسِّس مسجد فاطمة الزَّهراء عليها السلام في مدينة سدني، واستمرَّت رحلته أكثر من شهر، بثَّ فيها عشرات المحاضرات عن الدين الإسلاميّ،

(١) مركز تراث كربلاء، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء، التاريخ: ١٨/ ٥/ ٢٠٢١.

(٢) القزوينيّ، زينب الكبرى: ١٤.

(٣) ينظر: القزوينيّ، زينب الكبرى: ١٤.

(٤) ينظر: القزوينيّ، زينب الكبرى: ١٤.

ومذهب أهل البيت عليهم السلام[1].

تعرَّض للاعتقال عدَّة مرَات من قِبَل أجهزة نظام حزب البعث المجرم، فاضطرَّ لمغادرة العراق إلى الكويت، وفيها عاش ست سنوات، مارس فيها نشاطه الدينيّ، والتوجيهيّ بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام، فكان يُقيم صلاة الجماعة في مسجد الإمام الحسين المعروف في الكويت بمسجد (ابن نخي)، وقد اتَّخذه أيضًا مقرًّا للنشاط، وأمور التوجيه والإرشاد، كما كان يعقد فيه حلقات للتفسير والوعظ والإرشاد، ويقيم المجالس الحسينيَّة، ويشرف على إقامة الاحتفالات بالمناسبات الدينيَّة، كمواليد المعصومين الأربعة عشر، وذكرى عيد الغدير، ويوم المبعث وغيرها، بعد إقامته في الكويت ست سنوات قضاها في التعليم والتدريس والخطابة والإرشاد، هاجر القزوينيّ إلى إيران، وسكن مدينة قم، وفيها أسَّس (مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام)، ثمَّ سافر منها إلى مشهد[2].

٣. مؤلَّفاته:

أمَّا إنجازاته في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام في بقاع العالم، فإنَّه لم يخلُ من المؤلَّفات التي خلَّدته، وكانت عبارة عن هويَّة ملاصقة لشخصيَّة القزوينيّ، وهي:

١. في مقدِّمة كتاب شرح نهج البلاغة يقول القزوينيّ[3] عن سبب تأليفه لهذا الكتاب، إذ قال ما نصُّه: «قدَّمت فيه شرحًا يفهمه كلُّ عربيّ، بل وكلُّ متكلِّم بلسان العرب، بحيث يظهر منه بعض النكات الكلاميَّة واللطائف الخفيَّة التي لا تبدو إلَّا بالشرح الموضَّح للكلمات، وبيَّن كيفية كتابته في هذا المؤلَّف المتكوِّن من جزأين، من أنَّ دأبي فى هذا الشرح أن أذكر شيئًا من الخطبة تحت عنوان (المتن)، ثمَّ أذكر معاني

(١) ينظر: القزوينيّ، زينب الكبرى: ١٥.

(٢) مركز تراث كربلاء، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء، التاريخ: ١٨/ ٥/ ٢٠٢١.

(٣) محمَّد كاظم، شرح نهج البلاغة، المطبعة الحيدريَّة، (النجف، د.م): ١/ ٥.

اللغات لدى الاحتياج إلى التفسير تحت كلمة (اللغة)، ثمَّ أذكر الشرح وما يتعلَّق بذلك بمناسبة المقام تحت عنوان (المعنى)، وأشرح ذلك (مقدار جهدي) بألفاظٍ واضحةٍ وعباراتٍ سهلة، وكلماتٍ مأنوسة عند العُرف، مبتعدًا عن ذِكر الألفاظ الصعبة، القليلة الاستعمال».

٢. سلسلة كتب عن حياة أهل البيت المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، تحت عنوان: (.. من المهد إلى اللحد)[١]، حيث كتب عن الإمام عليّ عليه السلام، والسيِّدة الزَّهراء، وشرع في كتابة مؤلَّف عن الإمام الحسين عليه السلام، لكن يذكر ابنه السيِّد مصطفى في مقدَّمته يقول: «رأى والدي الإمام الرضا في المنام، وهو يقول له أكتب عن ولدي من بعدي، فشرع في تأليف أربعة مؤلَّفات، وهي: (الإمام الجواد من المهد إلى اللحد)، و(الإمام الهادي من المهد إلى اللحد)، و(الإمام العسكريّ من المهد إلى اللحد)، و(الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف[٢] من المهد إلى الظهور)، وبعدها فكَّر في تأليف موسوعة عن الإمام الصادق عليه السلام، ضمَّت سيرة حياته ورواياته وأصحابه، وقضى سبع سنوات في تأليف هذه الموسوعة، وهي موسوعة كبيرة وفريدة عن حياة الإمام جعفر الصادق عليه الصلاة والسلام، في حوالي خمسين مجلَّدًا، ويعتبر هذا المشروع الضخم من أوسع ما قدمه من عطاء خالد»[٣].

٤. وفاته:

قبل وفاته بسنَتين أصيب بمرضٍ بدأ يُتلِف اثنين من أعصاب المخ، وهما مسؤولان

(١) ينظر: علي بن ابي طالب من المهد إلى اللحد، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، جعفر الصادق من المهد إلى اللحد، محمَّد الجواد من المهد إلى اللحد، علي الهادي من المهد إلى اللحد، الحسن العسكريّ من المهد إلى اللحد، المهدي المنتظر من المهد إلى الظهور.

(٢) القزوينيّ، محمَّد كاظم، الإمام جعفر الصادق من المهد إلى اللحد، دار العلوم (لبنان، ٢٠٠٨م): ٧.

(٣) ينظر: القزوينيّ، الامام جعفر الصادق من المهد إلى اللحد: ٧-٨.

عن الحركة الإراديَّة للِّسان وابتلاع الطعام، حتَّى وفاته يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ بعد معاناة مريرة[١]، عن عمر ناهز (٦٤) عامًا، ودُفِن في قم المقدَّسة قرب ضريح السيِّدة معصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وكانت أمنيته أن يُدفَن في أرض الشهادة، وبجوار سيِّد الشهداء عليه السلام، إلَّا أنَّ هذا الأمر كان صعبًا، بل متعسِّرًا ومستصعبًا، فقد كان النظام الحاكم في العراق تحت قيادة الطاغية (صدَّام)؛ ولكن تحقَّقت أمنيته تلك بعد سقوط الطاغية، حيث تمَّ نقل جثمانه الطاهر من قم إلى كربلاء عام ٢٠١١م، وشيِّع تشييعًا مهيبًا، شارك فيه حشد كبير من أهالي كربلاء والزائرين، إضافة إلى مشاركة عدد كبير من رجال الدين وممثِّلي الحوزات الدينيَّة في مدينة كربلاء المقدَّسة؛ ليُدفَن في مقبرة آل الشيرازيّ، في الصحن الحسينيّ الشريف[٢].

(١) القزوينيّ، زينب الكبرى: ١٦.

(٢) ينظر: شبكة المعارف للتراث الإسلاميّ، (وكالة معارف التراث)، قسم أعلام ومعالم، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء.

المحور الثاني

منهجيَّة القزوينيّ

١. يبدأ القزوينيّ كتابه بمقدِّمة يذكر بها سبب تأليفه كتاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام قائلًا: «كنت أشعر بضرورة هذا العمل، وكانت رغبتي ملحَّة جدًّا وذلك لما كنت أجده من النقص الذي يشبه الفراغ في المكتبة العربيَّة والإسلاميَّة بالنسبة لهذه الشخصيَّة.. ولا اقصد انتقاص الكتب والمؤلَّفات التي دوِّنت حول سيِّدة نساء العالمين، بل أقصد أنَّ تلك المؤلَّفات لا تسدُّ الحاجة ولا تملأ الفراغ الذي يشعر به كلّ من يريد الاطِّلاع على حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام»[١].

٢. قسَّم القزوينيّ الكتاب عناوين، ولم يتَّبع أسلوب الفصول ولا الأبواب، بل شمل عناوين متفرَّقة ضمَّت كلَّ حياة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، وشملت تلك العناوين الجانب الاجتماعيّ[٢]، والسياسيّ[٣]، وغيرهما.

٣. رتَّب الأحداث ترتيب يتماشى مع سيرة الزَّهراء عليها السلام، حيث بدأها «زواج السيِّدة خديجة عليها السلام، وثمَّ الولادة والتسمية والأسماء وحياتها ونشأتها، وثمَّ وفاة خديجة والهجرة إلى المدينة وزواجها»[٤]، وغيرها من المواضيع.

٤. برز الجانب الأدبيّ بشكل كبير، حتَّى أنَّه ذكر رثائها المعبِّر عن حزنها لأبيها في

(١) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٧.
(٢) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١١١، ١١٦، ١٢٤، ١٢٨.
(٣) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١٠٢، ١٠٥، ٢٢٩، ٢١٧، ٣٣٣.
(٤) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٧، ٤٤، ٨٧، ١٠٣، ١١٦.

الكثير من المواضع منها:

إنَّ حـــزني عـلـيـك حـــزن جـديـد
وفـــــؤادي والله صـــبّ عـنـيـد
كـــلّ يـــوم يـــزيـــد فـيـه شـجـوني
واكـــتـــئـــابي عـلـيـك لـيـس يـبـيـد
جـــلّ خـطـبـي فـبـان عـنـي عـزائـي
فـبـكـائـي كـــلّ وقـــت جـديـد
إنَّ قـلـبًـا عـلـيـك يـألـف صـبرًا
أو عـــــزاءً فـــإنَّـــه لجـلـيـد[1]

٥. الجانب اللغويّ بيَّنه القزوينيّ في خطبه الزَّهراء بشكلٍ كبير، وبذل مجهود في شرح خطبتها[2].

٦. استعراض المصادر: إنَّ منهجيَّة القزوينيّ كانت قائمة على عرض التاريخيّ، حتَّى أنَّه عبر عن ذلك في الكثير من الأحيان «إنَّني أذكر لك المصادر والمدارك التاريخيَّة، فالأفضل أن تراجعها كي تتأكَّد من صحَّة القول والنقل»[3]، ويستعرض المصادر أكثر من موضوع[4]، كما أنَّه يستعرض المصادر في القضايا المثيرة للجدل، كضرب الزَّهراء، فيعنون الموضوع (في مهبِّ الأعاصير)، ويبذل مجهودًا كبيرًا في استعراض المصادر حتَّى يثبت مظلوميَّة الزَّهراء[5].

٧. التعليق: إنَّ منهج القزوينيّ لم يكن قائمًا على أساس عرض الروايات فقط،

(١) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٠٢-٢٠٤.
(٢) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٤٢-٢٤٦.
(٣) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٠٧.
(٤) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ١١٠-١١٢، ١٥٧.
(٥) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٠٧.

واستعراض المصادر، بل نلاحظه دائمًا ما يعلِّق على القضيَّة، ويربطها بالمرأه في الوقت المعاصر، متَّخذًا سيره الزَّهراء عليها السلام نموذجًا، فيعلِّق على شخصيَّة الزَّهراء وبساطته، قائلًا: «فالتحدُّث عن عبقريَّة السيِّدة فاطمة الزَّهراء يعتبر تحدُّثًا عن المرأة في الإسلام من حيث حفظ كرامتها، والاعتراف باحترامها وشخصيَّتها، ويشمل التحدُّث نموذجًا من المرأة بصفتها بنتًا في دار أبيها، وزوجة في دار بعلها..»[1].

٨. استخدامه الروايات المنقطعة السند: إنَّ القزوينيّ عندما يعرض الرواية التاريخيَّة يرويها من غير سند، ولربَّما أنَّ الموضوع يقتضي التركيز على الحقيقة، وعلى سرد المادَّة التاريخيَّة، وليس التركيز على سلسلة السند، لكن في بعض المواقف يذكر الراوي، وخاصَّة عندما يشرع في ذكر الخطبة يقول قبل أن نذكرها ذِكر الإسناد ابن طاووس بإسناد عن الزهريّ عن عائشة، والشيخ الصدوق بإسناد زينب بنت عليّ عليها السلام، وزيد الشهيد عن زينب بنت عليّ عن فاطمة الزَّهراء، وابن أبي الحديد، يرويها بأربعة طرق: الإمام الصادق عليه السلام، والإمام الباقر، عن عبد الله بن الحسن، ورجال من أهل البيت عن زينب بنت عليّ عليها السلام[2].

الاستنتاج: إنَّ القزوينيّ يعتمد في منهجه على الاستنتاج، معتمدًا على المصادر، فنلاحظ أنَّه في الكثير من المواقف يستنتج، ففي قضيَّة الزَّهراء يعرض الروايات التي تدلُّ أنَّ فدك للزَّهراء عليها السلام ومن حقِّها، ويقول: «إذن فالمستفاد من مجموعة الآيات والروايات أنَّ فدك كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ النبيّ أعطى فاطمة فدكًا بعنوان النِّحلة والعطيَّة بأمر الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[3]»[4]، كما أنَّه يستنتج بأنَّ فدك كانت تحت تصرف الزَّهراء بحياة والدها معتمد بروايتَين، الأولى: ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في

(١) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢١٤.
(٢) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٢٩.
(٣) من سورة الإسراء، آية: ٢٦.
(٤) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٢٣.

كتابه إلى عثمان بن حنيف، حيث قال: «بلى كانت في أيدينا فدك، من كلِّ ما أظلَّته السماء، فشحَّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»[1].

والرواية الثانية: «إنَّ أبا بكر انتزع من فاطمة فدك، فقال إنَّه كان رحيمًا، وكان يكره أن يغيِّر شيئا تركه رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، فأتته فاطمة رضي الله عنها، فقالت له: إنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلَّم أعطاني»[2]، ويستنتج أنَّ الأرض كانت تحت تصرُّفها، وتمَّ انتزاعها منها.

منهجيه الدفاع: إنَّ القزوينيّ لم يكتفِ بالعرض والتوضيح والتدقيق، بل لأكثر من هذا، فهو يدافع عن الزَّهراء في كلِّ النواحي، ولم يترك للتاريخ ولا للكتب الحديثة ولا القديمة المجال في الحديث عن الزَّهراء، ونلاحظ أنَّه يدافع عن الزَّهراء في قضيَّة فدك من ثلاثة وجوه، هي:

«الوجه الأوَّل: إنَّها كانت ذات اليد، أي كانت متصرِّفة في فدك، الوجه الثاني: إنَّها كانت تملك فدك بالنحلة والعطيَّة والهبة من ابيها صلى الله عليه وآله، الوجه الثالث: إنَّها كانت تستحقُّ فدك بالإرث من أبيها، لكنَّ القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثة، فقد طالبوها بالبيِّنة، وطالبوها بالشهود على النِّحلة، وانكروا وراثة الأنبياء»[3].

مع أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطاها فدكًا، فقد قال أبو بكر لها: هل لك بيِّنة؟ فشهد لها عليّ كرَّم

(١) ابن ميثم البحرانيّ (ت ٦٧٩هـ)، اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (شرح نهج البلاغة الوسيط)، تحقيق: محمَّد هادي الأمينيّ، مجمع البحوث الاسلاميَّة (مشهد، ١٣٦٦ش): ٥٣٠، المجلسيّ (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: الشيخ عبد الزَّهراء العلويّ، دار الرضا (بيروت، ١٩٨٣م): ٢٩/ ٣٩٨.

(٢) ابن حجر، أحمد بن محمَّد بن عليّ (ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضَّلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركيّ، كامل محمَّد الخرَّاط، مؤسَّسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٧م): ١/ ١٥٧.

(٣) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٢٤-٢٢٥.

الله وجهه، وأمّ أيمن، فقال لها رضي الله تعالى عنه: أبرجل وامرأة تستحقيها»[1]

كما أنَّه يستنتج استنتاج رائع، يسئل سؤال: لماذا تطالب الزَّهراء بفدك؟ فيُجيب بعدَّة نقاط استنتاجيَّة:

١. أرادوا عندما صادروا فدك عن الزَّهراء إضعاف عليّ بن أبي طالب، وجعله فقير، حتَّى لا يلتفَّ الناس حوله، ويكون له شأن، وهذه سياسة المنافقين اتَّبعوها مع الرسول ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾[2].

٢. لم تكن الأراضي قليلة الإنتاج وغلَّاتها بسيطة. يقول ابن أبي الحديد: كانت كنخل الكوفة في عهده.

٣. إنَّها كانت تطالب بعد فدك بخلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولو أعطاها فدك لأثبت للناس صدقها من غير بيِّنة ولا شهود، ولطالبت بالولاية الكبرى لعليّ، وأزاحته من مكانه من غير بيِّنة ولا شهود.

٤. الحقُّ لزوم المطالبة بالمال حتَّى وأن كان مستغنيًا عنه وزاهدًا في الدنيا، ولا يجوز السكوت عن الحقِّ، كما أنَّ المال من لوازم الحياه، ويحفظ للإنسان ماء وجهه، ويصل به رحمه، كان الرسول استقوى بمال خديجة[3]، ويدافع عن الزَّهراء قائلًا في التجاسر على أهل بيت الرسول: «عندما سمع أبو بكر خطبة الزَّهراء عليها السلام، فقال: أيُّها الناس ما هذه الرعة إلى كلِّ قالة؟! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلَّم، إنَّما هو ثعالة شهيدة ذنبه، مربٍّ لكلِّ فتنة، هو الذي يقول: كرّوها جذعة بعد

(١) الحلبيّ، عليّ بن برهان الدين (ت٩٧٥هـ)، السيرة الحلبيَّة في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة (بيروت، ١٤٠٠هـ): ٣/ ٤٨٧.

(٢) بدر الدين العينيّ، محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت، د.ت): ١٩/ ٢٣٦.

(٣) ٢٣٢-٢٣٣.

ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحبّ أهلها إليها البغي!! ألا إنِّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إنِّي ساكت ما تركت»[1]، فيردُّ عليه القزوينيّ[2] قائلا: نحن لا نقول شيئًا أمام هذه الكلمات التي استعملها أبو بكر في آل الرسول صلى الله عليه وآله.. ولا نعاتبه على أدبه في المنطق والتعبير في الكلام، ولكن نقول: قرَّة عينك يا رسول الله يقولون في حبيبتك هذا الكلام.. ويترك الجواب لأمِّ سلمة عندما قالت لأبي بكر: «أ لِمثل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله يُقال هذا القول؟! هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربِّيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربِّيت خير مربى، أتزعمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرَّم عليها ميراثه، ولم يُعلِمها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أفأنذرها وخالفت متطلبه، وهي خيرة النسوان، وأمّ سادة الشبَّان، وعديلة ابنة عمران»[3].

وفي الختام ذكر ختام واعتذار قائلًا: «لقد قضينا معك.. وذكرنا الشيء اليسير ممَّا يتعلَّق بحياة سيِّدة نساء العالمين، ويجب أن لا ننسى أنَّنا لم نذكر ألَّا بعض المقتطفات من سيرة الزَّهراء، ولقد اكتفينا هنا بما يسهل قبوله، ولا يعسر على العقول هضمه، ولا يصعب على النفوس تحمُّله، ولئلَّا يتَّهمنا المتَّهِمون بالغلوِّ والإفراط»[4].

---

(١) مقاتل ابن عطيَّة (ت ٥٠٥هـ)، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، تحقيق: محمَّد جميل، مؤسَّسة الأعلميّ (بيروت، ١٤٢٣ق): ١/ ٢٩٢.

(٢) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٣٤٨.

(٣) الطبرسيّ، أبو منصور أحمد بن عليّ (ت ٦٢٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمَّد باقر خرسان، دار النعمان (النجف، د.ت): ٢٥١.

(٤) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٤٦٩.

المحور الثالث

ردود القزوينيّ على المراجع الحديثة والمستشرقين

أوَّل ما نتصفَّح كتاب فاطمة من المهد إلى اللحد، نجد أنَّ كاظم القزوينيّ يصبُّ غضبه على المراجع الحديثة التي تكتب وتترجم لمؤلَّفات المستشرقين، حيث يبدأ الكلام عن الأقلام المأجورة والمسمومة والمفتعلة، وتناقض الأحاديث المتواترة على السيِّدة الزَّهراء، وكيف يسمحوا لهكذا أكاذيب، حيث اصبحوا طُعمًا اصطاده المستشرقون، لينالوا من هكذا شخصيَّات طاهرة، وكيف يُسمَح لهم بطبع المؤلَّفات لتنتشر في البلاد الإسلاميَّة من دون تعليق أو تنقيح، ويطرح لنا مثلًا كتاب المستشرق (أميل در منغم) في كتابه حياه محمَّد، وقد ترجم له محمَّد عادل زعيتر، ولم يردَّ على تلك الأكاذيب بحجَّة أمانة النقل، فيقول القزوينيّ[1]: «هل الردُّ على الأباطيل يُنافي الأمانة».

يستشهد بهذه الأقاويل: «فاطمة عابسة، دون رقيَّة جمالًا، دون زينب ذكاءً، ولم تدار فاطمة حين أخبرها أبوها من وراء السِّتر: إنَّ عليّ بن أبي طالب ذكر اسمها، وكانت فاطمة تعدُّ عليًّا ذميمًا محدود..»[2].

يردُّ القزوينيّ على هذا الكلام بعنوان صريح «أضاليل وأباطيل بعض الكتب المسمومة»[3].

(١) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ١٤.
(٢) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ١٥.
(٣) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ١٥.

فيردُّ عليه قائلًا: أنا لا ألوم المؤلِّف، هو من قوم حناق على الاسلام.. وإنَّما العتب كلّ العتب على المترجم الجاني على الإسلام، وهو يحسب نفسه منهم»[1].

ويردُّ على هذا الافتراء بأحاديث للنبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله، وأقوال الصحابة التابعين عن الزَّهراء، فيقول:

قال صلى الله عليه وآله: «**إنَّ ابنتي فاطمة حوراء آدميَّة**»[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «أنا الشمس وعليّ القمر والزُّهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسين»[3].

وعن عَائِشَة، أنَّها قالت: ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فَاطِمَة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها، وقام إليها فأخذ بيدها وقبَّل يدها، وأجلسها في مجلسه[4]. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني**»[5].

ويذكر الكثير من الأحاديث عن الإمام عليّ عليه السلام[6] وفاطمة الزَّهراء ردًّا على هذه الأكاذيب، وفي ختامه للأباطيل يقول: «إلى آخر ما ذكره شيخنا الأمينيّ (عليه الرحمة) في سرد الأحاديث الصحيحة في تزييف أباطيل ذلك الكتاب التائه.. إنَّ شخصيَّة (الزَّهراء) فوق المستويات التي عرفها البشر».

(١) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ١٦.

(٢) ابن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٤٦٥.

(٣) الصفوريّ، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم ماردیني (د.م، د.ت): ٢/ ٤٣١.

(٤) الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ) فضائل فاطمة الزَّهراء، تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، دار الفرقان (القاهرة، ١٤٢٩هـ): ٥/ ٢٩٠، السفارينيّ، أبو العون محمَّد بن أحمد (ت ١١١٨هـ) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة (الكويت، ٢٠٠٧م): ٦/ ٣١٦.

(٥) ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن عليّ (ت ٨٠٤هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التراث، دار النوادر (دمشق، ٢٠٠٨م): ٢٠/ ٣١٥.

(٦) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٨-١٩.

كما أنَّه يردُّ على قول عائشة بنت الشاطئ[1]: «لقد همَّ عليّ بالزواج على فاطمة.. دون أن يخطر بباله أنَّ في هذا ما تنكره بنت نبيِّ الإسلام». فيردُّ على هذا القول: «أنا لا أدري بماذا أُجيب على هذه الكلمة الهوجاء التائهة؟ وهل يوجد في العالم كلِّه رجل لا يشعر أنَّ زوجته تكره الضرَّة؟ وتكره أن يتزوَّج عليها زوجها؟.. ومن العجب أنَّ الكاتبه نفسها تُبدي استيائها من بعض المستشرقين الذين تلاعبوا بالتاريخ الإسلاميّ، وتخصُّ الكاتبة منهم (لامنس)، ومع الأسف أنَّها لم تتريَّث قبل أن تروي هكذا مُفترَيات..»[2].

ويردُّ على تلك الأطاويل من كلام الأمين حول زواج الإمام عليّ من بنت أبي جهل، وغضب الرسول لذلك: «أمَّا الطعن بمحمَّد فذلك أنَّه أظهره بمظهر من يرفض أن يطبِّق الشريعة على نفسه وعلى مَن يتَّصل به، في حين أنَّه يفرض على غيره تطبيقها.. أمَّا أنَّه طعن في عليّ فذلك بإظهاره بمظهر من أغضب فاطمة وأغضب النبيّ..». ويعلِّق على هذه الحادثه بأنَّها: «صرف الأنظار عن حقيقة الذين أغضبوا فاطمة، وجعل المقصود بذلك هو عليّ.. إنَّ الله حرَّم على عليّ أن يتزوَّج على فاطمة ويؤذي الرسول»[3]. كانت من بين ردوده للمصادر الحديثة لبنت الشاطئ أيضًا، عندما جعلت المحسن الطفل الثالث، وتقول عنه لم يقدر أن يعيش. «ولا يهمُّنا هنا أن نذكر هذه المغالطة؛ لأن لا مجال واسع لدينا، وفي المستقبل نفرد بحثًا حول المحسن»[4].

كما يردُّ على العقَّاد[5] عندما قال: «ومن فطرة التديُّن في وريثة محمَّد وخديجة أنهَّا شديدة التحرُّج فيما اعتقدته من أوامر الدين، حتَّى وهمت أنَّ أكل الطعام المطبوخ

(١) بنات النبيّ: ١٦٧.
(٢) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١١٤.
(٣) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٤٦-١٤٧.
(٤) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٥٢.
(٥) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٥٢.

يوجِب الوضوء، يظهر ذلك من حديث الحسن بن الحسن، عن فاطمة، حيث قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فأكل عرقًا، فجاء بلال بالأذان، فقام ليصلِّي، فأخذت بثوبه فقلت: يا أبة! ألا تتوضَّأ؟ قال: مِمَّ أتوضَّأ يا بنيَّة؟ فقلت: ممَّا مسَّت النار. فقال لي: أو ليس أطيب طعامكم ما مسَّت النار».

فيردُّ عليه: «لا أدري زيف هذه الأكذوبة التي اختلقتها يد الهوى، وصاغتها ألسنة الكذب والدجل، ولا أطالب العقاد عن مصدر هذه الأسطورة، ولا عن كتاب ذَكر هذه الأضحوكة.. ممَّن كانت الزَّهراء تأخذ معالم الدين؟ ممَّن كانت تتعلَّم أحكام الإسلام؟ اليس المصدر الأوَّل لعلومها هو أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله..»[1]، كما يذكر الرواية التي تقول: «وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُذيه يا فاطمة، فقد أدَّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش»[2]، حول معركة أُحد، وكيف داوت الزَّهراء الرسول صلى الله عليه وآله عندما جُرِح وكثرت جراحاته[3]. فيدافع حول هذه الواقعة يقول: «هذه الواقعة كما ذكرها المؤرِّخون، لكن في زماننا هذا جاءت طائفة من الناس، واعتبروا هذه الواقعة ساحة لمسرحيَّاتهم.. فكتبوا أنَّ فاطمة كانت تحضر جبهات القتال، وتضمِّد الجرحى.. إذا ضمَّدت جراح أبيها يعني أنَّها كانت تحضر جبهات، وتضمد الجرحى، ويُكمل: ونفرض أنَّ نسيبة بنت كعب حضرت يوم أُحد لتضميد الجرحى، فهل هذا يعني الزَّهراء في عفَّتها وحشمتها وحيائها كالموظَّفة في المستشفيات»[4].

(١) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٩٣.
(٢) المفيد، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ١٩٩٣): ١/ ١١٠.
(٣) الطبرسيّ، أعلام الهداية: ١٧٩.
(٤) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٠٦-١٠٧.

المحور الرابع

موارد كتاب فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد

لقد تنوَّعت موارد القزوينيّ بين القرآن، والحديث، والمصادر التاريخيَّة السنيَّة، والمصادر الإماميَّة، وكتب اللغة والأدب، ولذا سنستعرض تلك الموارد، ذاكرين أمثله قليلة ممَّا يتماشى مع البحث، خشية الإسهاب والإطالة.

أوَّلًا: القرآن الكريم

من الموارد الأساسيَّة التي اعتمد عليها القزوينيّ في منهجه، هو القرآن، وكتب التفسير، وذلك لغرض إثبات عصمة الزَّهراء، والآيات التي قيلت بحقِّ أهل البيت عليهم السلام، بل خصَّص عناوين بارزة بآيات قرانيَّة، مثل[1]:

العنوان الأوَّل: فاطمة الزَّهراء في آية هل أتى

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[2]، يقول القزوينيّ: وردت هذه الآية في حقِّ الزَّهراء وزوجها وأولادها الحسن والحسين عندما تصدَّقوا، وقد اعتمد على كتب التفسير، فيذكر المصادر التي اعتمد عليها قائلًا: «وقد ذكر الواحديّ[3]، والثعلبيّ[4].. الآيات التي

(١) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٥٧-١٦٣.

(٢) سورة الإنسان: آية ٥-٦.

(٣) ينظر: أبو الحسن، عليّ بن أحمد الواحديّ (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم (دمشق، ١٤١٥هـ): ١/ ٢١٤.

(٤) ينظر: أبو إسحاق، أحمد بن محمَّد (ت ٤٢٧هـ) الكشف والبيان (تفسير الثعلبيّ) تحقيق:=

نزلت في عليّ وفاطمة، ثمَّ يكتفي بذِكر رواية الزمخشريّ[1]: «وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلم) في ناسٍ معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر عليّ وفاطمة وفضَّة جارية لهما إن برءا ممَّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيَّام، فشفيا، وما معهم شيء، فاستقرض عليّ من شمعون الخيبريّ اليهوديّ ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمَّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنَّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلَّا الماء، وأصبحوا صيامًا، فلمَّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلمَّا أصبحوا أخذ عليّ رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلم)، فلمَّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدَّة الجوع، قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمَّد هنَّأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة»، ويستمُّر في تفسير السورة بأكملها[2].

وثمَّ يعلِّق على هذا الروايات قائلًا: «والعجيب أنَّ الله تعالى ذكر في هذه السور الكثيرة من نِعَم الجنَّة، ولم يذكر الحور العين؛ لأنَّ الآية نزلت في حقِّ عليّ وفاطمة وولديهما، فحفظ الله لفاطمة، ولم يذكر الحور إكرامًا لها»[3].

=أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث (بيروت، ٢٠٠٢م): ٤/ ٢٧.

(١) أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت، د.ت): ٤/ ٦٧١.

(٢) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٦٤.

(٣) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٦٥.

العنوان الثاني: فاطمة الزَّهراء في آية المباهلة

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، فيقول: هذه الواقعة من الوقائع المشهورة، والحوادث المعروفة عند المسلمين، ولا أرى حاجة لذكر المصادر والمدارك لها، ويكفي أن اقول إنَّ جميع المفسِّرين والمحدِّثين (إلَّا من شذَّ وندر) قد اتَّفقت كلمتهم على نزول هذه الآية على رسول الله، حينما جرى الحوار بينه وبين نصارى نجران[2]

فيذكر هذه الحادثة مستعينًا بالرازي[3]: «.. فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنِّي لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة، ثمَّ قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقرَّك على دينك، فقال صلوات الله عليه: **فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين**، فأبوا..».

العنوان الثالث: فاطمة الزَّهراء في آية القربى

قال الله تعالى: ﴿.. قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[4]، فيقول: «لمَّا نزلت هذه الاية قالوا: يا رسول الله: مَن قرابتك هؤلاء وجبت علينا طاعتهم ومودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: **عليّ وفاطمة وولديهما**..»[5]، فيستعرض مصادر التفسير في هذا الموضوع، فيذكر ابن حجر

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٦٠.

(٣) أبو عبد الله محمَّد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربيّ، ط٣ (بيروت، ١٤٢٠هـ): ٨/ ٢٤٧.

(٤) سورة الشورى: جزء من آيه ٢٣.

(٥) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٥٧.

العسقلانيّ[1] والثعلبيّ[2] والسيوطيّ[3]، ثمَّ يكتفي بذِكر الرواية التي جاء بها ابن حجر العسقلانيّ[4]: «إنَّ الحسن رضي الله عنه- من طرقٍ بعضها حِسان- خطب خطبة مِن جملتها: **مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمَّد (صلَّى الله عليه [وآله] وسلم)..** ثمَّ قال: **وأنا من أهل البيت الذين افترض الله** عليهم **مودَّتهم وموالاتهم، فقال فيما أُنزِل على محمَّد صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم:** ﴿.. قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾، **واقتراف الحسنة مودَّتنا أهل البيت**»[5]، و«.. عن زين العابدين أنَّه لـمَّا جيء به أسيرًا عقب مقتل أبيه الحسين رضي الله عنه، وأُقيم على درج دمشق، قال بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قرن الفتنة. فقال له: ما قرأت ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾»[6].

ونلاحظ أنَّ القزوينيّ لم يستخرج روايات التفسير من مصادرها القديمة، حيث إنَّ هذه الرواية قد أخرجها الطبرانيّ[7] قبل هذه المصادر، كما أنَّه لم يستعمل كتب التفسير الأُم، علمًا أنَّ الكثير منها كانت تصرِّح بأنَّها نزلت في

(١) أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد (ت ٩٧٣هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركيّ، كامل محمَّد الخرَّاط، مؤسَّسة الرسالة (لبنان، ١٩٩٧م): ٢/ ٤٣٧.

(٢) ينظر: أبو إسحاق أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان (تفسير الثعلبيّ)، تحقيق: أبو محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، (بيروت، ٢٠٠٢م): ٨/ ٣١٠.

(٣) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، مركز هجر للبحوث (مصر، ٢٠٠٣م): ١٣/ ١٤٦، ١٤٨-١٤٩.

(٤) الصواعق المحرقة: ٢/ ٤٨٧.

(٥) الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٥١.

(٦) الصواعق المحرقة: ٢/ ٤٨٨.

(٧) ينظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، ط٢ (د.م، ١٩٨٣م): ٣/ ٤٧.

قرابة الرسول صلى الله عليه وآله[1].

كما أنَّه يعتمد على بعض المراجع الحديثة لبيان تفسير هذه الآية، ولم يخرِّجها من موردها الأصليّ، فيقول: «فقد ذكر شيخنا الأمينيّ في الجزء الثالث خمس وأربعون مصدرًا حول نزول هذه الآية في شأن عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، الاستشهاد بالقرآن الكريم والكتب التفسير، ما نحبُّ أن نتكلَّم به هو حقُّ الزَّهراء في فدك، قال تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2]»[3].

ولقد استعان القزوينيّ في بيان هذه الآيه بالمتَّقي الهنديّ[4]، يذكر: «عن أبي سعيد قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ قال النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): **يا فاطمة لكِ فَدك**»، والسيوطيّ[5]: «عن ابن عبَّاس قال: لـمَّا نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أقطع رسول الله فاطمة فدكًا».

ثانيا: استخدام الأحاديث الصحيحة السند

نلاحظ من خلال تصفُّح كتاب فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنَّه اتَّبع أسلوب الأحاديث الصحيحة السند، ومن مصادر السنَّة والجماعة[6]، وبأحاديث

(١) ينظر: أبو الحجَّاج، مجاهد بن جبر التابعي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: محمَّد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة (مصر، ١٩٨٩م): ٥٨٩، الأخفش، أبو الحسن المجاشعيّ (ت ٢١٥هـ)، معانى القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجيّ (القاهرة، ١٩٩٠م): ٢/ ٥١٠، السمرقنديّ، أبو الليث نصر بن محمَّد (ت ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر (بيروت، د.ت): ٣/ ٢٣٠.

(٢) سوره الروم: آيه ٣٨.

(٣) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ١٥٩.

(٤) علاء الدين عليّ بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيَّاني، صفوة السقَّا، مؤسَّسة الرسالة، ط٥ (د.م، ١٩٨١م): ٣/ ٧٦٧.

(٥) الدرُّ المنثور: ٥/ ٢٧٤.

(٦) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ١٨-٣٠.

الأماميَّة[1]، وهذا الأسلوب إن دلَّ عن شيء، فهو دليل على العمق الثقافيّ، والبحث التاريخيّ الرصين، فهو بهذا المنهج لم يترك فراغًا أو حيِّزًا للنقاش، فهو يثبت أهميَّة الزَّهراء وعصمتها من مصادرهم، ويذكر أهميَّة ذلك[2].

فمثلًا يتكلَّم عن فضل الزَّهراء والإمام عليّ عليهما السلام من أحاديث أهل السنَّة، عن أبي الجحَّاف عن جميع بن عمير التيميّ، قال: دخلت مع عمَّتي على عائشة وسألتها: أيُّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال، قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوامًا قوامًا[3]. وعن عليّ عليه السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يا فاطمة إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[4].

وقوله صلى الله عليه وآله: «إنَّما فاطمة بضعةٌ منِّي، يريبني ما رابها»[5].

ثالثًا: استخدامه أحاديث الشيعة الإماميَّة

أنَّ مثل هكذا مواضيع حسَّاسة بحاجة ماسَّة لأحاديث الطَّرَفَين، فنلاحظ في منهج القزوينيّ أنَّه يستخدم أحاديث الأئمَّة عليهم السلام، في المواضيع التي تحتاج إلى استنتاج، فنلاحظ في قضيَّة الزَّهراء عليها السلام يطرح أحاديث الأئمَّة، وسنذكر نموذج لعدم الإطالة:

(١) ينظر: القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ٣٦.

(٢) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء عليها السلام: ٢٠٦.

(٣) الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر: ٥/ ٣٦١.

(٤) ابن المغازليّ عليّ بن محمَّد بن محمَّد (ت ٤٨٣هـ) مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار (صنعاء، ٢٠٠٣م): ٤١٧، النيسابوريّ، محمَّد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، فضائل فاطمة الزَّهراء، تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، دار الفرقان (القاهرة، ١٤٢٩هـ): ٤٦.

(٥) ابن عساكر الدمشقيّ، عبد الصمد بن عبد الوهاب (ت ٦٨٦هـ) إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبيّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم، تحقيق: حسين محمَّد عليّ شكري، دار الأرقم ابن أبي الأرقم (د.م، د.ت): ١/ ١٠١.

١. إسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمَّد عليه السلام قال: **وكان سبب وفاتها أنَّ قنفذًا مولى عمر لكزها بنعل السَّيف بأمره، فأسقطت محسنًا، ومرضت من ذلك مرضًا شديدًا، ولم تدَع أحدًا ممَّن آذاها يدخل عليها**[١].

٢. وروي عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: لـمَّا استُخرِج أمير المؤمنين عليه السلام من منزله، خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشميَّة إلَّا خرجت معها، حتَّى انتهت قريبًا من القبر، فقالت لهم: **خلُّوا عن ابن عمِّي، فو الذي بعث محمَّدا أبي صلى الله عليه وآله بالحقِّ إن لم تخلُّوا عنه لأنشرنَّ شعري ولأضعنَّ قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسي ولأصرخنَّ إلى الله تبارك وتعالى**[٢]

٣. عن الكاظم عليه السلام قال: **قلت لأبي: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال: ثمَّ دعا عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال لمن في بيته: اخرجوا عنِّي، وقال لأمِّ سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد، ففعلت، ثمَّ قال: يا عليّ ادنُ منِّي فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلًا، وأخذ بيد عليّ بيده الأخرى فلمَّا أراد رسول الله الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاءً شديدًا وعليّ والحسن والحسينّ عليهم السلام**[٣].

٤. ولِدت بعد النبوَّة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين، وأقامت مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكَّة ثمان سنين[٤].

---

(١) سبط ابن الجوزيّ، يوسف بن قزاوغلي البغداديّ (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص من الأمَّة بذكر خصائص الأئمَّة تحقيق: حسين تقي زاده، طبعة المجمع العالمي، (د.م، ١٤٢٦هـ): ١/ ٦٦٢.

(٢) الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: أحمد المحموديّ، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة لكوشانبور (د.م، ١٤١٥هـ): ٣٨٤، المفيد، الاختصاص، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢ (بيروت، د.ت): ١٨٦، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١١٣.

(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٨٤.

(٤) النيسابوريّ، محمَّد بن الفتَّال (ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: محمَّد مهدي السيِّد=

رابعًا: التاريخ

ان من موارد القزوينيّ في هذا الكتاب هو كتب التاريخ وقد اهتم اهتمام بليغ بذلك واخذ يعرض المصادر التي تتكلم عنها فقد ذكر امهات الكتب التاريخية السنيه والشيعية وسنذكر ما تيسر من ذلك الموارد:

١. ابن قتيبة الدينوريّ[١]: «قال: وإنَّ أبا بكر تفقَّد قومًا تخلَّفوا عن بيعته عند عليّ كرَّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنَّها على مَن فيها، فقيل له: يا أبا حفص فإنَّ فيها فاطمة. فقال: وإن».

٢. لـمَّا توفِّي رسول الله صلَّى الله عليه و[آله] وسلَّم، أبطأ عليّ عن بيعة أبي بكر، فلقيه أبو بكر فقال: أكرهت إمارتي؟! فقال: لا، ولكن آليت أن لا أرتدي بردائي إلَّا إلى الصلاة، حتَّى أجمع القرآن[٢].

٣. عنه كتب لها بفدك، ودخل عليه عمر.. فقال: ما هذا فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال: ماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثمَّ أخذ عمر الكتاب فشقَّه[٣].

=حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ (قم، د.ت): ١٥٩.

(١) أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ١٩٩٧م): ١٦.

(٢) ينظر: سبط ابن الجوزيّ، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمَّد بركات، كامل محمَّد الخرَّاط، دار الرسالة العالميَّة (دمشق، ٢٠١٣م): ٤/ ٢٧٠، الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربيّ، ط٢ (بيروت، ١٩٩٣م): ٣/ ٦٣٧، السيوطيّ، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز (٢٠٠٤م): ١٤٢، العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ١٩٩٨): ٢/ ٣٣٣.

(٣) نُور الدِّين الحَلَبيّ، عليّ بن إبراهيم بن أحمد (ت ١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبيَّة = إنسان العيون في=

٤. يذكر حول لقب الطاهرة رواية: «فقال (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): **أما علمت أنَّ ابنتي طاهرة مطهَّرة، لا يُرى لها دم في طمث ولا ولادة**»[١].

٥. وروى عن عليّ عليه السلام عن فاطمة عليها السلام، قالت: **قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا فاطمة من صلَّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنَّة**[٢]، وعن الْبَاقِرُ وَالصَّادِقُ عليهما السلام أَنَّهُ كَانَ صلى الله عليه وآله لَا يَنَامُ حَتَّى يُقَبِّلَ عُرْضَ وَجْهِ فَاطِمَةَ وَيَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَاطِمَةَ وَيَدْعُوَ لَهَا[٣].

٦. وفي رواية عندما طالبت السيِّدة بفدك: سيري إلى أبي بكر وذكِّريه فدكًا مع الخُمس والفيء، فصارت فاطمة عليها السلام إليه، وذكرت فدكًا مع الخمس والفيء، فقال لها: هاتي بيِّنة يا بنت رسول الله، فقالت له: **أمَّا فدك، فإنَّ الله عز وجل أنزل على نبيِّه صلى الله عليه وآله قرآنًا يأمره فيه بأن يؤتيني وولدي حقِّي، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فنحلني وولدي فدكا**[٤].

إلَّا أنَّه أيضًا لم يخرِّج الخبر من مصدره، حيث رواه الحلبيّ[٥] في الأصل، ذكرها سبط بن الجوزيّ[٦]، حيث يذكر: «وفي كلام سبط ابن الجوزيّ أنَّه رضي الله تعالى عنه

=سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلميَّة، ط٢ (بيروت، ١٤٢٧هـ): ٣/ ٥١٢.

(١) المحبُّ الطبريّ، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسيّ لصاحبها حسام الدين القدسيّ (القاهرة، ١٣٥٦هـ): ٤٤.

(٢) الإربلِّيّ، عليّ بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، دار الأضواء (بيروت، د.م): ٢/ ١٠٠.

(٣) الخوارزميّ، أبو المؤيد الموفق بن أحمد (ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، ط٢، أنوار الهدى (قم، ١٤٢٣ق): ١٨٠، ابن شهر آشوب، أبي جعفر رشيد الدين (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (قم، ١٣٧٩ق): ٣/ ٣٣٤، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١٧٩.

(٤) الطبرسيّ، حسين النوريّ (ت ١٣٢٠هـ) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (بيروت، ١٩٨٨م): ٧/ ٢٩١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ١٩٥.

(٥) ينظر: السيرة الحلبيَّة: ٣/ ٥١٢.

(٦) ينظر: السيرة الحلبيَّة: ٣/ ٥١٢.

كتب لها بفدك»، ولربَّما أنَّ السبب في ذلك هو اهتمامه في قضيَّة الزَّهراء، ومحاولته جلب المعلومة من المصادر السنيَّة أكثر ممَّا يهتم في هذه القضايا، وهذا بديهي عند الباحث في هكذا مواضيع؛ لأنَّ الباحث عندما يركِّز على المصادر لن يجد شيئًا لسيره الزَّهراء عليها السلام في كتب التاريخ، وسأقدِّم لك نموذج من البحث التاريخيّ في كتب التاريخ:

إنَّ التاريخ يلتزم الصمت ويطيل الصمت في قضية الزَّهراء عليها السلام، ولربَّما هناك دواعي، لكن نلاحظ أنَّ بدايات حياة فاطمة ابنة النبيّ صلى الله عليه وآله الوحيدة ليس لها تفاصيل، علمًا أنَّ تاريخ الرسول صلى الله عليه وآله مرتبط بها، فكيف دوَّن التاريخ الأحداث والغزوات والمعارك والأسماء، ولم يكتب عن فاطمة الزَّهراء غير المقتطفات القليلة، وهي:

١. يذكر خليفة بن الخيَّاط[١]: «توفِّيت فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد وفاته بثمانية أشهر، ويقال بستَّة، ويقال بسبعين يومًا»، بيد أنَّ ابن قتيبة الدينوريّ[٢] يذكر: «أمَّا فاطمة، فتزوَّجها عليّ بن أبى طالب بالمدينة، بعد سنة من مَقدَمِه، وابتنى بها بعد ذلك بنحوٍ من سنة، وماتت بعد وفاة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمائة يوم، وولدت لعليّ: الحسن، والحسين، ومحسنًا، وأمّ كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، وقد عاشت السيِّدة فاطمة عليها السلام بعد وفاة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ثمانية أشهر»[٣].

٢. في أحداث السنة الثانية للهجرة: «قال أبو جعفر: وفي هذه السنة في صفر لليال بقين منه، تزوَّج عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها»[٤].

(١) أبو عمرو خليفة بن خيَّاط (ت ٢٤٠هـ) تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، دار القلم، ط٢ (دمشق، ١٣٩٧): ٩٦.

(٢) أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط٢ (القاهرة، ١٩٩٢م): ١٤٢-١٤٣.

(٣) الفسويّ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسيّ (ت ٢٧٧هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، مؤسَّسة الرسالة، ط٢ (بيروت، ١٩٨١): ٣/ ٢٧١.

(٤) الطبريّ، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب=

٣. في غزوة أُحد: «.. فلمَّا انتهى رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) إلى أهله، ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: **اغسلي عن هذه دمه يا بنيَّة**، وناولها عليها السلام سيفه..»[١].

٤. في أحداث السنه الثالثة: «سنة ثلاث من الهجرة، ولد الحسن بن علي بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة بالحسين (صلوات الله عليهما)، وقيل لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلَّا خمسون ليلة»[٢].

أمَّا في قضية الميراث، فإنَّ التاريخ يذكر لنا مقتطفات من قضيَّة فدك، فذكر البلاذريّ[٣] في فتح خيبر: «وكانت فدك لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خاصَّة؛ لأنَّه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب»، وذكر[٤] أنَّ عمر بن عبد العزيز جمع بني أميَّة فقال: إنَّ فدك كانت للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان يُنفق منها، ويأكل، ويعود على فقراء بني هاشم، ويزوِّج أيمهم، وأنَّ فاطمة سألته أن يهبها لها فلب، فلمَّا قُبِض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ ولي عمر فعمل فيها بمثل ذلك، وإنِّي أشهدكم أنِّي قد رددتها إلى ما كانت عليه. ولقد طلبن أزواج النبيّ بميراثهنَّ من فدك، وأرسلنَّ عثمان بن عفَّان يطلب بحقهنَّ، لكنَّ عائشة قالت: «أما تتقين الله، أما سمعتنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنَّما هذا المال لآل محمَّد، لنائبتهم وضيفهم، فإذا متُّ فهو إلى والي الأمر بعدي، قال: فأمسكن»[٥]،

=العلمية (بيروت، ١٤٠٧هـ): ٢/ ١٥.

(١) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٧٤.

(٢) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٧٦.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٨م): ٣٩.

(٤) البلاذريّ، فتوح البلدان: ٤١.

(٥) ينظر: البلاذريّ، فتوح البلدان: ٣٩-٤٠.

وطالبت السيِّدة فاطمة بميراثها أبي بكر حتَّى طلب منها شاهد فأتت بعليّ، وأمّ أيمن، وقيل أتت رباح مولى النبيّ (صلَّى الله عليه وآله)، لكنَّه لم يقبل الشهادة بحجَّة أن لا تجوز فيه إلَّا شهادة رجل وامرأتَين[1]، فأجابت الزَّهراء: «فقالت له: **من يرثك إذا متَّ؟** قال ولدي وأهلي، **قالت: فما بالك ورثت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم دوننا؟** فقال: يا بنت رسول الله والله ما ورثت أباك ذهبًا ولا فضَّة ولا كذا ولا كذا»[2].

خامسًا: الجانب الأدبي

إنَّ المورد الآخر الذي لا تخلو منه كتابات القزوينيّ هو الأدب أو الجانب الأدبيّ، ويمكن ان نقسم هذا الجانب قسميين الشعر واللغة:

١. **الشعر**: إنَّ الشعر الذي ذكره القزوينيّ يتعلَّق بحزن الزَّهراء، وكيف رثت أباها، وعبَّرت عن حزنها لأبيها عندما قالت:

إنَّ حـــزني عـلـيـك حـــزن جـديـد
وفـــــؤادي والله صـــــبّ عـنـيـد
كـــلّ يـــوم يـــزيـــد فـيـه شـجـوني
واكـتـئـابي عـلـيـك لـيـس يـبـيـد[3]
مـــاذا عـــلى مـــن شـــم تـربـــة أحمـد
أن لا يـشـمَّ مـدى الـزمـان غـوالـيـا
قـل لـلـمـغـيَّـب تحـت أطـبـاق الـثـرى
إن كـنـت تـسـمـع صرخـتـي ونـدائـيـا

(١) البلاذريّ، فتوح البلدان: ٤٠.
(٢) البلاذريّ، فتوح البلدان: ٤٠.
(٣) ينظر: ابن الصبَّاغ، عليّ بن محمَّد أحمد المالكيّ (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: سامي الغريرين، دار الحديث للطباعة والنشر (د.م، ١٤٢٢هـ): ١/ ٦٧٠، القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ٢٠٢.

صبَّت عليَّ مصائب لو أنَّها
صبَّت على الأيَّام صرن لياليا[1]

ونلاحظ أنَّ القزوينيّ يستشهد بهذه الأشعار، ولكنَّها لم تكن من موردها الأصليّ، بل من زيني دحلان في السيرة النبويَّة، علمًا أنَّها موجودة في مصادر أقدم[2]، لكن يبدو أنَّها مستقطعة، ولم تكن الأبيات كاملة في تلك المصادر، لكن هذا لا يعني أنَّها غير موجودة بشكلٍ كاملٍ في بقيَّة المصادر، حيث ذكر القصيدة من خلال دحلان[3]، في حين أنَّ القصيدة مذكورة كاملًا في بقيَّة المصادر.

تذكر المصادر[4]: لـمَّا مات النبيّ صلى الله عليه وآله، ودُفِن، رجعت فاطمة (رضوان الله عليها) إلى بيتها، واجتمع إليها نساؤها، فقالت: **إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، انقطع خبر السماء**، ثمَّ قالت:

اغبر افاق السماء وكورت
شمس النهار واظلم العصران

(١) ينظر: الخوارزميّ، محمَّد بن إسحاق (ت ٨٢٧هـ)، إثارة الترغيب والتشويق، (ويليه زيارة بيت المقدس لابن تيمية)، تحقيق: مصطفى محمَّد، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكَّة، ١٤١٨هـ.ق): ٢/ ٣٤٤، القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد): ٢٠٤.

(٢) النويريّ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميَّة (القاهرة، ١٤٢٣هـ): ١/ ٣٢٤، المستعصميّ، محمَّد بن أيدمر (ت ٧١٠هـ)، الدرُّ الفريد وبيت القصيد، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ٢٠١٥م): ٩/ ١٤٥.

(٣) أحمد بن زيني، السيرة النبويَّة، دار القلم العربيّ (حلب، ١٩٩٦م): ٣/ ٣٣١.

(٤) ينظر: ابن دريد أبو بكر محمَّد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيِّد مصطفى السنوسيّ، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب (الكويت، ١٩٨٤م): ١٧٦، ابن رشيق أبو عليّ الحسن القيروانيّ الأزديّ (ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، (د.م، ١٩٨١م): ٢/ ١٥٣، الجرَّاويّ، أبو العبَّاس أحمد ابن عبد السلام (ت ٦٠٩هـ)، الحماسة المغربيَّة، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: محمَّد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر (بيروت، ١٩٩١م): ٢/ ٧٨٥.

فـــالارض مـــن بـعـد الـنـبـي حـزيـنـة

اســفــا عــلــيــه كــثــيرة الــرجــفــان

فــلــيــبــكــه شرق الـــبـــلاد وغــربــهــا

ولـــتـــبـــكـــه مـــضر وكـــــل يـــمان

ولــيــبــكــه الـــطـــور المـــبـــارك جــوه

والــبــيــت ذو الاســتــار والاركـــــان

نــفــسي فـــــداؤك مــا لــرأســك مــائــلا

مـــا وســـــدوك وســـــادة الـوســنــان

واختلف في البيت الاخير:

يــا خــاتــم الــرســل المــبــارك ضــوءه

صـــلَّى عــلــيــك مـــنـــزِّل الـــفـــرقـــان[1]

٢. اللغة: نلاحظ أنَّ القزوينيّ يبذل مجهودًا كبيرًا في بيان اللغة، وخاصَّة في خطب الزَّهراء، حيث إنَّه يوضِّح المعاني والألفاظ وما تقصد به، وذلك لما تحتوي الخطبة من بلاغة، ولبيان مقاصد الزَّهراء عليها السلام، كما يذكر المصادر التي أورد منها الخطبة[2]، علمًا أنَّ هذه الخطبة ذُكِرت في مصادر اللغة العربيَّة، حيث ذكرها ابن طيفور[3].

فنلاحظ القزوينيّ يوضِّح معاني الخطبة بطريقة قريبة من كتب اللغة العربيَّة، لكنَّه لم يورد ذلك، وكأنَّه يعتمد على ثقافته في بيان ذلك، وسنذكر بعض الأمثلة:

تقول السيِّدة الزَّهراء في خطبتها: (**وسبوغ آلاءٍ أسداها**): «أي النِّعم الشاملة

(١) الحُصريّ القيروانّي، إبراهيم بن عليّ بن تميم (ت ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل (بيروت، د.ت): ١/ ٧٠.

(٢) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٢٩.

(٣) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تحقيق: أحمد الألفيّ، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل (القاهرة، ١٩٠٨م): ١٩.

الكاملة التامَّة، وأسداها: أي أعطاها..»[1]

في حين ذكر ذلك في المصادر اللغة: وسبوغ النعمة: اتِّساعها[2]، وإتمام منن والاها[3]، بينما يذكر القزوينيّ[4] أنَّ المنن: جمع منَّة، وهي النعمة والعطيَّة والإحسان، وليس المقصود المنَّة بمعنى المن، وهو عدُّ الإحسان الذي نهى الله عنه: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[5]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[6]، ووالاها من الموالاة، وهي المتابعة في الإعطاء، أي نعمة بعد نعمة.

وفي كلامها حول فلسفة الأحكام: «**والصلاة: تنزيهًا لكم عن الكِبَر، والزكاة: تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام: تثبيتًا للإخلاص**»[7].

وهنا يوضِّح القزوينيّ[8] المقاصد الشرعيَّة أنَّ تشريع الصلاة للقضاء على رذيلة الكِبَر، لأنَّها خضوع وخشوع لله، والزكاة تزكِّي الأنفس، وقد جعل الله في الزكاة بركة وإنماء، فيأذن الله للأرض أن تجود ببركتها، فيكثر الزرع ويمتلئ الضرع، وتتراكم الخيرات، وتتضاعف الثمار؛ أمَّا الصوم فهو من أظهر العبادات الخالصة لله.

وهذا الشرح لو قارنَّاه بمعاجم العربيَّة نجده قريبًا كلَّ القرب: مثلًا الفعل (نزَّه)، أي بعيد عن المعاصي[9]، و(زكى) الزاي والكاف والحرف المعتل أصلٌ يدلُّ على نماء

(١) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٤٢.

(٢) الفارابيّ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسَّسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٣م): ٢/ ١١٩.

(٣) مقاتل بن عطيَّة، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ١/ ٢٨٠.

(٤) فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٣٤.

(٥) سورة المدَّثر: آية ٦.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٦٤.

(٧) الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٤.

(٨) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٦١-٢٦٢.

(٩) الفَتَّنِيّ، جمال الدين، محمَّد طاهر بن عليّ (ت ٩٨٦هـ)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل=

وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال[١].

وعندما تكلَّمت قائلة: «**ولا أفعل ما أفعل شططًا**»[٢]، يوضِّح ذلك: لا أتكلَّم جورًا وظلمًا وتجاوزًا عن الحدِّ[٣].

وشططًا في اللغة: «شطط: شططًا: جورًا. تُشطِط: تجور وتُسرف، وتَشطُط: تبعد»[٤]، فنلاحظ أنَّ شرحه قريب من المعاجم العربيَّة، إلَّا أنَّه اكتفى بتوضيح، وفصَّل ذلك التوضيح من غير أن يذكر موارده، وعلى الرغم من أنَّ البحث له تشعُّبات كثيرة بخصوص اللغة والأدب، إلَّا أنَّنا لم نسهب به، خشيةً من أن نخرج خارج إطار الموضوع.

=ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، ط٣ (د.م، ١٩٦٧م): ٤/ ٦٩٠.

(١) ابن فارس، أحمد بن زكريَّاء القزوينيّ الرازيّ (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر، (د.م، ١٩٧٩م): ٣/ ١٧.

(٢) الطبرسيّ،الاحتجاج: ١/ ١٣٤.

(٣) القزوينيّ، فاطمة الزَّهراء من المهد إلى اللحد: ٢٨٠.

(٤) أبو حيَّان الأندلسيّ، محمَّد بن يوسف بن عليّ (ت ٧٤٥هـ)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلاميّ (د.م، ١٩٨٣م): ١٨٦.

الخاتمة

قبل أهم النقاط التي توصلنا في بحثنا هذا:

١. إنَّ السيِّد كاظم القزوينيّ (رحمة الله تعالى) عُرِف بجهاده الفكريّ في الدفاع عن القضيَّة المحمَّديَّة، فاستطاع أن ينشره في كلِّ بقاع الأرض، ولم يكن مؤلِّفا فحسب.

٢. اهتمامه في فكر أهل البيت عليهم السلام، دفع ذلك إلى تأليف موسوعة كاملة ضمَّت حياة المعصومين عليهم السلام كافة، وإتماها بكتابه الموسوم (فاجعة الطَّفِّ).

٣. إنَّ منهجه منهج علميّ أكاديمي يستعرض الأحداث التاريخيَّة، ورايتها، ومصادرها، سوء أكانت التي ألَّفها الأوائل، أو المعاصرين، فضلًا عن المستشرقين، أمام القارئ، كي لا يكون هناك متنفَّس لأي باحث يحاول أن يدسَّ السمَّ في العسل.

٤. يستعرض مصادر أهل السنَّة والجماعة، ويرفقها بمصادر الشيعة ورواتها، أي دراسته كانت مقارنة بينهما.

٥. يعلق، ويناقش، ويستنتج من خلال ذلك العرض.

٦. كان يسهب إسهابا، ويعطي السيِّدة الزَّهراء عليها السلام حقَّها من المضامين جميعها؛ لدرجة أنَّه يفسِّر الكلمة الواحدة، ويربطها بالآيات القرآنيَّة.

٧. يردُّ ويستعرض كلَّ الشبهات التاريخيَّة، ولا يسمح لأي باحث (حديث أو

معاصر)، أن يكتب بأسلوب الروائيّ، وهذا الأسلوب الذي نشره في بعض مؤلَّفاته، ويردُّ عليها بطريقته.

٨. أغلب الردود يكون مستشهدًا بها من كتب الحديث النبويّ الشريف.

٩. يرى أنَّ تكذيب الخليفة الأوَّل للسيِّدة فاطمة عليها السلام، ومطالبتها بحقِّها ما هي إلَّا بداية الحرب التي شنَّها الأعداء على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وليس السيِّدة فاطمة عليها السلام.

١٠. يقسم الخطبة إلى أبعادها: الشرعيّ، الاقتصاديّ، الفلسفيّ، وغير ذلك.

١١. إنَّ هدف السيِّدة فاطمة عليها السلام من خطبتها هو تحقيق مظلوميَّتها في سجلِّ التاريخ، وكشف الغطاء عن أعمال القوم.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

١. الأخفش، أبو الحسن المجاشعيّ (ت ٢١٥هـ)، معانى القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٩٠م).
٢. الإربلِّيّ، عليّ بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، دار الأضواء (بيروت، د.م).
٣. ابن حجر، أحمد بن محمَّد بن عليّ (ت ٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركيّ، كامل محمَّد الخرَّاط، مؤسَّسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٧م).
٤. ابن خيَّاط، أبو عمرو خليفة بن خيَّاط (ت ٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، دار القلم، ط٢ (دمشق، ١٣٩٧).
٥. ابن رشيق، أبو على الحسن القيروانيّ الأزديّ (ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥ (د.م، ١٩٨١م).
٦. أبو حيَّان الأندلسيّ، محمَّد بن يوسف بن عليّ (ت ٧٤٥هـ)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلاميّ (د.م، ١٩٨٣م).
٧. ابن المغازليّ، عليّ بن محمَّد بن محمَّد (ت ٤٨٣هـ)، مناقب أمير المؤمنين عليّ بن

أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعيّ، دار الآثار (صنعاء، ٢٠٠٣م).

٨. ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي بن ميثم (ت ٦٧٩هـ)، اختيار مصباح السالكين، من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) (شرح نهج البلاغة الوسيط) تحقيق: محمَّد هادي الاميني، مجمع البحوث الاسلامية (مشهد،١٣٦٦ ش)..

٩. بدر الدين العينيّ، محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت، د.ت).

١٠. البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (ت ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٨م).

١١. الترمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٢. الثعالبيّ، أبو إسحاق أحمد بن محمَّد (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان (تفسير الثعلبيّ) تحقيق: أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث (بيروت، ٢٠٠٢م).

١٣. الجرَّاوي، أبو العبَّاس أحمد بن عبد السلام (ت ٦٠٩هـ)، الحماسة المغربيَّة، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحقيق: محمَّد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر (بيروت، ١٩٩١م).

١٤. الحاكم النيسابوريّ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، فضائل فاطمة الزَّهراء، تحقيق: عليّ رضا بن عبد الله بن عليّ رضا، دار الفرقان (القاهرة، ١٤٢٩هـ).

١٥. الحُصريّ القيروانيّ، إبراهيم بن عليّ بن تميم (ت ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، (بيروت، د.ت).
١٦. الحلبيّ، عليّ بن برهان الدين الحلبيّ (ت ٩٧٥هـ)، السيرة الحلبيَّة في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة (بيروت، ١٤٠٠هـ).
١٧. الخوارزميّ، أبو المؤيد الموفَّق بن أحمد (ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين عليه السلام، ط٢، أنوار الهدى (قم، ١٤٢٣ق).
١٨. الخوارزميّ، محمَّد بن إسحاق (ت ٨٢٧هـ)، إثارة الترغيب والتشويق (ويليه زيارة بيت المقدس لابن تيمية) تحقيق: مصطفى محمَّد، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكَّة، ١٤١٨هـ.ق).
١٩. الدينوريّ، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٢م).
٢٠. ابن دريد، أبو بكر محمَّد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيِّد مصطفى السنوسيّ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت، ١٩٨٤م).
٢١. الدينوريّ، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ١٩٩٧م).
٢٢. الذهبيّ، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الكتاب العربيّ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٣م).
٢٣. الرازي، أبو عبد الله محمَّد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربيّ، ط٣ (بيروت، ١٤٢٠هـ).
٢٤. الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشّاف عن حقائق

التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ (بيروت، د.ت).

٢٥. سبط ابن الجوزيّ، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمَّد بركات، كامل محمَّد الخرَّاط، دار الرسالة العالمية (دمشق، ٢٠١٣).

٢٦. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي البغداديّ (ت ٦٥٤هـ)، تذكرة الخواص من الأمَّة بذكر خصائص الأئمَّة، تحقيق: حسين تقي زاده، طبعة المجمع العالميّ (د.م، ١٤٢٦هـ).

٢٧. السفارينيّ، أبو العون محمَّد بن أحمد (ت ١١١٨هـ)، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، تحقيق: نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة (الكويت، ٢٠٠٧م).

٢٨. السمرقنديّ، أبو الليث نصر بن محمَّد (ت ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر (بيروت ، د.ت).

٢٩. السيوطيّ، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز (٢٠٠٤م)، الدرُّ المنثور في التفسير بالماثور، مركز هجر للبحوث (مصر، ٢٠٠٣م).

٣٠. ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (قم ، ١٣٧٩ق).

٣١. ابن الصبَّاغ، عليّ بن محمَّد أحمد المالكيّ (ت ٨٥٥هـ)،الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، تحقيق: سامي الغريرين، دار الحديث للطباعة والنشر (د.م ، ١٤٢٢).

٣٢. الصفوريّ، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق:عبد الرحيم ماردیني (د.م، د.ت).

٣٣. الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ، ط٢ (د. م، ١٩٨٣م).
٣٤. الطبرسيّ، أبو منصور أحمد بن عليّ (ت ٦٢٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمَّد باقر الخرسان، دار النعمان (النجف، د.ت).
٣٥. الطبرسيّ، حسين النوريّ (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (بيروت، ١٩٨٨م).
٣٦. الطبريّ، محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: أحمد المحموديّ، مؤسَّسة الثقافة الإسلاميَّة لكوشانبور (د.م، ١٤١٥هـ).
٣٧. الطبريّ، محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ١٤٠٧هـ).
٣٨. ابن عطيَّة، مقاتل ابن عطيَّة (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمَّد جميل، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مؤسَّسة الأعلمي (بيروت، ١٤٢٣ق).
٣٩. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، تحقيق: أحمد الألفيّ، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوَّل (القاهرة ، ١٩٠٨م).
٤٠. العصاميّ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ١٩٩٨).
٤١. ابن عساكر الدمشقيّ، عبد الصمد بن عبد الوهاب (ت ٦٨٦هـ)، إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، تحقيق: حسين محمَّد عليّ شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم (د.م، د.ت).

٤٢. الفارابيّ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسَّسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٣م).

٤٣. ابن فارس، أحمد بن زكريَّاء القزوينيّ الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمَّد هارون، دار الفكر (د.م، ١٩٧٩م).

٤٤. النيسابوري، محمَّد بن الفتَّال (ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: محمَّد مهدي السيِّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ (قم، د.ت).

٤٥. الفَتَّنِيّ، جمال الدين، محمَّد طاهر بن عليّ (ت ٩٨٦هـ)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، ط٣ (د.م، ١٩٦٧م).

٤٦. الفسويّ، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسيّ (ت ٢٧٧هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، مؤسَّسة الرسالة، ط٢ (بيروت، ١٩٨١م).

٤٧. المتَّقي الهنديّ، علاء الدين عليّ بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حيَّاني، صفوة السقَّا، مؤسَّسة الرسالة، ط٥ (د.م، ١٩٨١م).

٤٨. مجاهد بن جبر، أبو الحجَّاج مجاهد بن جبر التابعيّ (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: محمَّد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلاميّ الحديثة، (مصر، ١٩٨٩م).

٤٩. المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، تحقيق: الشيخ عبد الزَّهراء العلوي، دار الرضا (بيروت، ١٩٨٣م).

٥٠. المحبّ الطبري، أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القدسيّ لصاحبها حسام الدين القدسيّ (القاهرة، ١٣٥٦هـ).
٥١. مركز تراث كربلاء، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء، التاريخ: ١٨/ ٥/ ٢٠٢١.
٥٢. المستعصمي، محمَّد بن أيدمر (ت ٧١٠هـ)، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوريّ، دار الكتب العلميَّة (بيروت، ٢٠١٥م).
٥٣. المفيد، أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ١٩٩٣).
٥٤. المفيد، أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، الاختصاص، تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢ (بيروت، د.ت).
٥٥. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن عليّ (ت ٨٠٤هـ)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التراث، دار النوادر (دمشق، ٢٠٠٨م).
٥٦. نُور الدِّين الحَلَبيّ، عليّ بن إبراهيم بن أحمد (ت ١٠٤٤)، السيرة الحلبيَّة = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلميَّة، ط٢ (بيروت، ١٤٢٧هـ).
٥٧. النويريّ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميَّة، (القاهرة ، ١٤٢٣هـ).
٥٨. الواحديّ، عليّ بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، (دمشق، ١٤١٥هـ).

المراجع

٥٩. أحمد بن زيني، السيرة النبويَّة، دار القلم العربيّ (حلب، ١٩٩٦م).

٦٠. القزوينيّ، عليّ بن أبي طالب (من المهد إلى اللحد)، فاطمة الزَّهراء (من المهد إلى اللحد)، زينب الكبرى (من المهد إلى اللحد)، جعفر الصادق (من المهد إلى اللحد) محمَّد الجواد (من المهد إلى اللحد) عليّ الهادي (من المهد إلى اللحد) الحسن العسكريّ (من المهد إلى اللحد)، المهدي المنتظر (من المهد إلى الظهور).

٦١. القزوينيّ، محمَّد كاظم، شرح نهج البلاغة، المطبعة الحيدرية، (النجف، د.م).

٦٢. القزوينيّ، محمَّد كاظم، الإمام جعفر الصادق (من المهد إلى اللحد)، دار العلوم (لبنان، ٢٠٠٨م).

٦٣. القزوينيّ، محمَّد كاظم، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد، مؤسَّسة أمِّ أبيها (العراق ، ٢٠١٣م).

٦٤. شبكة المعارف للتراث الإسلاميّ (وكالة معارف التراث)، قسم أعلام ومعالم، السيِّد محمَّد كاظم القزوينيّ.. سيِّد الخطباء في كربلاء.

خُطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام
مصدرًا لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام

أ.م.د. أحمد فاضل عجيمي
جامعة ذي قار/ كليَّة الآثار

ملخَّص البحث

البحث هو دراسة لخطب السيِّدة فاطمة الزَّهراء التي ضمَّت بين طيَّاتها عددًا من الروايات التي تناولت حياة العرب قبل الإسلام، فقد حوت كلماتها عليها السلام، التي كانت ترتجلها في خطبها، خطبًا تجيش بها الذات، فينطق بها اللسان، فتأتي محكمة أغلبها عن الحياة الأسريَّة، وحياة المجتمع، وطرق معيشتهم وديانتهم وأمثالهم، وتأثير العادات والتقاليد الاجتماعيَّة على الكثير من تصرُّفاتهم، وهي من المواضيع المهمَّة في حياة العرب قبل الإسلام، وأفردوا لها الكثير من الروايات في قصصهم وأشعارهم.

إنَّ ما يميِّز روايات السيِّدة الزَّهراء عن غيرها أنَّها كانت معاصرة لتلك الفترة، وقريبة من الأحداث، قد نجد في الكثير منها مكمِّلة لما أوردته المصادر التي تحدَّثت عن دور وحياة العرب قبل الإسلام، فكان لها دور أساس في سدِّ الثغرات التي لم يُعثَر عليها في المصادر الأوليَّة. واقتضت دراسة البحث تقسيمه على مبحثَين:

المبحث الأوَّل: الحياة الأسريَّة عند العرب قبل الاسلام، في ضوء خطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

المبحث الثاني: الحياة الفكريَّة عند العرب قبل الاسلام، في ضوء خطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام.

مقدِّمة

تحتلُّ الدراسات التاريخيَّة التي تناولت حياة العرب قبل الإسلام أهميَّة كبيرة لدى الباحثين، إذ إنَّها تمثِّل القاعدة التي تقوم عليها دراسة تاريخ العرب بشكلٍ عامٍّ، والتاريخ الإسلاميّ بشكلٍ خاصٍّ، وانطلاقًا من إيماننا بأنَّ تاريخ أبناء الأمَّة بما خلَّفه الأجداد من تراثٍ مجيد يتطلَّب منَّا دراسته، لذا جاءت هذه الدراسة عن كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال الخطب التاريخيَّة، إذ تعدُّ الخطب ثروة كبيرة لا تقلُّ أهميَّة عن كتب التاريخ الإسلاميّ، فهي تحوي على مادَّة تاريخيَّة ذات أهميَّة، إذ لا يمكن لأيِّ باحث الاستغناء عنها، فهي مرآة العصر، وتشكِّل أحد أهمِّ مصادر دراسة التاريخ.

وتعدُّ خطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام في مقدِّمتها، والتي ضمَّت بين طيَّاتها الكثير من الروايات التي تناولت حياة العرب قبل الإسلام، إذ كانت ترتجل كلماتها في مجالس المسلمين رجالًا ونساءً، حسب ظرفيَّة الحدث، وقد حوت تلك الخطب كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، والتي عبَّر عنها العلَّامة المحقِّق الإربلِّيّ (ت ٦٩٣هـ): أنَّها «من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوَّة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردها المؤالف والمخالف»[1]، ووصفها العلَّامة المجلسيّ (ت ١١١١هـ): بأنَّها «تحيِّر من العجبِ منها، والإعجاب بها، أحلامُ الفصحاء والبلغاء»[2].

وقد أخذنا نموذجين من خطبها:

(١) الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ١/ ١٠٨.
(٢) المجلسيّ، بحار الأنوار: ٨/ ٢٩٥.

الأولى: خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام المعروفة بالخطبة الفدكيَّة.

والثانية: خطبتها في نساء الأنصار والمهاجرين في مرضها.

واقتضت الضرورة العلميَّة تقسيم الدراسة إلى مبحثَين:

المبحث الأوَّل: الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للعرب قبل الإسلام، من خلال خطب الزَّهراء عليها السلام، متطرِّقًا فيه إلى حياتهم الاجتماعيَّة، وطرق عيشهم، وعاداتهم وتقاليدهم العامَّة.

المبحث الثاني: الحياة الفكريَّة للعرب قبل الإسلام، من خلال خطب الزَّهراء عليها السلام، وتطرَّقنا فيه للواقع العقائديّ للعرب قبل الإسلام، بما فيه من عقد واختلافات وطقوس جاهليَّة وشركيَّة في العبادات، وكذلك الأمثال التي تطرَّقت لها الزَّهراء عليها السلام، ووظَّفتها بين طيَّات خطبها

المبحث الأوَّل

الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للعرب قبل الإسلام في خطب الزَّهراء عليها السلام

أوَّلًا: الحياة الاقتصاديَّة عند العرب قبل الإسلام في خطب الزَّهراء عليها السلام

احتلَّت الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة عند العرب قبل الإسلام مكانة متميِّزة في خطب الزَّهراء عليها السلام، إذ شغلت جزءًا كبيرًا منها، إذ إنَّها تحدَّثت عن الواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ للعرب قبل الإسلام، في خطبتها المعروفة بالخطبة الفدكيَّة، أمام جمع من الصحابة، فتقول عليها السلام:

«وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ القِدَّ [الْوَرَقَ]، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ»(١)

وفي هذا النصِّ أشارت الزَّهراء عليها السلام إلى الواقع الاجتماعيّ للعرب قبل الإسلام، ونقلت لنا صورة واقعيَّة لظلامات الناس في الجاهليَّة، التي أطبق ليلها على الجزيرة العربيَّة، قبل أن يشعَّ نور الهداية الساطع للنبيّ صلى الله عليه وآله، إذ كانت حالتهم المعاشيَّة منحطَّة لا نظير لها، نظرًا لصحراويَّة أرضهم، وقلَّة مواردها المائيَّة، ممَّا جعلهم يشربون ماء الآبار المالحة والمياه الآسنة، التي لا تصلح أن تكون صالحة لشرب البهائم، فضلًا عن

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.

الإنسان، سيَّما وهي من مياه الأمطار التي تجتمع في بُقع واطئة من الصَّحراء، مكوِّنة واحاتٍ وقتيَّة يُسرِع إليها الناس لسدِّ حاجاتهم وحاجات مواشيهم، وقد خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت، وهذا ما وصفته الزَّهراء (بالطَّرق)[1]، وكانوا يقتاتون القدَّ، وهو جلد المعزى[2]؛ لسوء حالتهم المعاشيَّة، وخير شاهد على ذلك ما ينقله الطبريّ من قول المغيرة بن شعبة إلى يزدجرد ملك الفرس:

«وأمَّا ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالًا منَّا، وأمَّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنَّا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيَّات، فنرى ذلك طعاما، أمَّا المنازل فإنَّما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلَّا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضًا»[3]، فحياتهم، كما وصفتها الزَّهراء عليها السلام، بصفة عامَّة هي (حياة طرق وقد)، قبل حدوث العمليَّة التحريريَّة الكبرى التي حقَّقتها رسالة الإسلام.

ولعلَّ الجفاف وطبيعة البلاد الصحراويَّة في الجزيرة العربيَّة كانت سببًا لجعل الأرض قاحلة لا تصلح للزراعة، إلَّا في بعض المجتمعات الريفيَّة المتمثِّلة بمجتمع المدينة والطائف، حيث يتوفَّر عاملَي الأرض الخصبة والمياه المتمثِّلة بالآبار الصالحة للزراعة، فمجتمع مكَّة الذي يقع في وادٍ غير ذي زرع، كما ذكر القرآن الكريم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[4]، لا تصلح أرضه للزراعة، ووصفها ابن حوقل فقال: «وليس فيها ماء جارٍ، وكانت أكثر مياههم من السماء إلى مواجن وبرك، وليست لهم آبار يُشرَب منها، وأطيبها زمزم، وليس بجميع مكَّة شجر مثمر غير شجر البادية»[5].

(١) أبي هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٢٥٨.
(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٥٤.
(٣) الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٤٦٦.
(٤) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٥) ابن حوقل النصيبيّ، صورة الأرض: ٣٠.

وهذه البيئة القاسية غالبًا ما كانت تؤدِّي إلى أزمات اقتصاديَّة يعاني منها أهل مكَّة، فقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّه: «تتابعت على قريش سنون أقحلت الضَّرع وأرقت العظم»[1]، وكانوا يصعدون إلى الجبال، ويدعون أن ينزل المطر، لذا اهتمَّ كبار قريش بتنظيم شؤون المدينة الاجتماعيَّة، خاصَّة بعد أن أصبحت قبلة العرب، ومكان توافدهم إليها في الأشهر الحرم أيَّام طقوس الحجِّ والعمرة، وتجمُّع الأسواق، فقام قصي بن كلاب بتجديد بناء الكعبة، وحفر الآبار في داخلها، حيث ذكر أنَّ قريش كانت قبل قصي تشرب من بئر حفرها لؤي بن غالب خارج مكَّة، ومن حياض ومصانع على رؤوس الجبال، ومن بئر حفرها مرَّة بن كعب ممَّا يلي عرفة، فحفر قصي بئرًا سمَّاها العجول، وهي أوَّل بئر حفرتها قريش بمكَّة، وفيها يقول رجاز الحاج:

تـــروي عـــلى الـعـجـول ثـــمَّ تـنـطـلـق
إنَّ قـصـيًـا قـد وفى وقـــد صـدق
بـالـشـبـع لـلـنـاس وري مـغـتـبـق[2]

وكانوا يمزجون الماء بالزبيب والتمر؛ ليكون أكثر حلاوة، لكون مياه الآبار مالحة[3]، حتَّى عهد عبد المطَّلب بن هاشم، الذي أعاد حفر بئر زمزم، وهو أوَّل مَن سقى بمكَّة ماءًا عذبًا[4]، ولبث عبد المطَّلب يسقي الناس حتَّى توفِّي، ثمَّ كانت بيد أبي طالب الذي سلَّمها إلى أخيه العبَّاس بن عبد المطَّلب[5]، فلم تزل في يده، وللعبَّاس كَرْم بالطائف، يُحمَل زبيبه إليها، فكان يقرض أهل الطائف، ويقتضي منهم

(١) شرح نهج البلاغة: ٧/ ٦٨.
(٢) البلاذريّ، أنساب الأشراف: ١/ ٥١، سليم، أحمد أمين، معالم تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٢٥، الحديثيّ، نزار عبد اللطيف، الأمَّة والدولة في سياسة النبيّ والخلفاء الراشدين: ٤٣.
(٣) الأزرقيّ، أخبار مكَّة: ١/ ٨٣-٨٤.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٥٩.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٦٦.

الزبيب، فينبذ ذلك كلّه ويسقيه الحاج أيّام الموسم حتّى ينقضي، في الجاهليّة وصدر الإسلام(١).

أمّا طعامهم، فقد كان الطعام عند العرب قبل الإسلام بسيطًا، إذ اتّجهوا إلى البساطة في تدبير مأكولاتهم التي تتكوّن في الغالب من لحوم الصيد والسويق والألبان، وأحسن اللحوم عندهم هي لحوم الإبل(٢).

ومن أشهر الأطعمة عند العرب الثريد(٣)، وهو طعام يتكوّن من فتّ الخبز وتهشيمه، ثمّ بلّه بالمرق، والغالب أن يكون المرق واللحم، وقيل إنّ أوّل من ثرد الثريد وأطعمه المساكين، هو سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وفعل ذلك بعده في مكّة قصي بن كلاب، وقيل بل أوّل من ثرد الثريد في مكّة، هو هاشم بن مناف(٤).

ومن أنواع الطعام الأخرى المعروفة عند العرب قبل الإسلام السخينة(٥)، وهي طعام يُتّخذ من الدقيق، دون العصيدة في الرقّة، وفوق الحساء، وذكر أنّها دقيق يُلقى على الماء أو اللبن، فيُطبَخ ثمّ يؤكَل بتمر أو يُحسى، وقيل إنّها من دقيق وسمن، وكان الناس يأكلون السخينة في شدّة الدّهر وغلاء الأسعار وعجف المال(٦)، وقد ورد ذِكرها في الشعر الجاهلّي، إذ أنشد خداش بن زهير قائلًا:

---

(١) الأزرقيّ، أخبار مكّة: ١/ ٨٤.
(٢) الآلوسيّ، بلوغ الإرب: ١/ ٣٨٠، جواد عليّ، المفصّل: ٧/ ٥٧٥.
(٣) أبو الفرج الأصفهانيّ، الأغانيّ: ١٧/ ١٦٩.
(٤) الحلبيّ، السيرة الحلبيّة: ١/ ٨.
(٥) أبو الفرج الأصفهانيّ، تحقيق: سمير يوسف جابر: ٢٢/ ٦٥.
(٦) ابن قتيبة الدينوريّ، غريب الحديث: ٢/ ١٣٩، الجوهريّ، الصّحاح: ٥/ ٢١٣٤، ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٢٠٦، الزبيديّ، تاج العروس: ٩/ ٢٣٢، الآلوسيّ، بلوغ الإرب: ١/ ٣٨٢، جواد عليّ، المفصّل: ٤/ ٣٠، ٥/ ٦٦، سعيد جبّار جياد، الحياة الاجتماعيّة في مكّة قبل الإسلام: ٩١.

يـا شـــدَّة مـا شـددنـا غـير كـاذبـة

عـلى سخينة لـولا اللـيل والحـرم [1]

وكانت قريش تكثر من أَكلها، فعُيِّرَتْ بها حتَّى سُمُّوا سَخِينَة، وإنَّما كانوا يأكلون السخينة في شدَّة الدهر، وغلاء السعر، وعجف المال[2].

ومن الأطعمة الأخرى المركَّبة من الدقيق واللبن والسمن: الحريقة، الصحيرة، العكيسة، الرغيدة، الأصية، اللويقة، الألوقة، الخزيفة، التلبينة، الوشيقة، العثيمة[3]، وهناك (الطفيشل)، وهو نوع من المرق معروف[4]، وكـان الأوس والخزرج يشتهرون بتناوله، وذكر ابن أبي الحديد أنَّ معاوية بن أبي سفيان عيَّر به الأنصار أثناء معركة صفِّين بقوله: «لقد غمَّني ما لقيت من الأوس والخزرج، واضعي سيوفهم على عواتقهم، يدعون إلى النزال، حتَّى لقد جبَّنوا أصحابي الشجاع منهم والجبان، وحتَّى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلَّا قيل قتله الأنصار، أما والله لألقينَّهم بحدِّي وحديدي، ولأعبيَّن لكلِّ فارس منهم فارسًا ينشب في حلقه، ولأرمينَّهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذِّهم التمر والطفيشل، يقولون نحن الأنصار، قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقَّهم بباطلهم»[5]، وكان مع معاوية من الأنصار النعمان بن بشير بن سعد، ومسلمة بن مخلَّد الأنصاريَّان، وذكر ابن أبي الحديد أنَّه لم يكن معه من الأنصار غيرهما[6]، فغضب النعمان عند سماعه كلام معاوية، وقال: «يا معاوية لا تلومنَّ الأنصار في حبِّ الحرب والسرعة نحوها، فإنَّهم كذلك كانوا في الجاهليَّة، وأمَّا دعاؤهم إلى النزال، فقد رأيتهم

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/ ٦٥.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٣٩٠، (مادة سخينة)، الزبيدي، تاج العروس، ١٨/ ٢٧٤.
(٣) للاطلاع على تفاصيلها، ينظر، الآلوسيّ، بلوغ الآرب في معرفة احوال العرب، ١/ ٣٨٣.
(٤) الزبيدي، تاج العروس، ١٥/ ٤٣٧.
(٥) شرح نهج البلاغة، ٨/ ٦٨.
(٦) شرح نهج البلاغة، ٨/ ٦٨.

مع رسول الله صلى الله عليه وآله يفعلون ذلك كثيرًا، وأمَّا لقاؤك إيَّاهم في أعدادهم من قريش، فقد علمت ما لقِيَت قريش منهم قديمًا، فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفًا فافعل، وأمَّا التمر والطفيشل، فإنَّ التمر كان لنا فلمَّا ذقتموه شاركتمونا فيه، وأمَّا الطفيشل فكان لليهود، فلمَّا أكلناه غلبناهم عليه، كما غلبت قريش على السخينة»[1].

ثانيًا: الحياة الاجتماعيَّة عند العرب قبل الإسلام من خلال خطب الزَّهراء عليها السلام

وذكرت الزَّهراء عليها السلام، وهي تصف الظلمة قبل الإسلام، وهي ظلمة شبهات الجهل والضلالة الثابتة فيهم، المحيطة عليهم، من باب العادات السيئة في الجاهليَّة، فتقول عليها السلام:

«فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلَّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ»[2].

وهي تصف ما انتشر فيهم من العادات السيِّئة المفسدة، من القمار المعروف بالميسر، وشرب الخمر، والاجتماع عليها، فشرب الخمر من العادات التي كانت منتشرة عند العرب قبل الاسلام، والخَمْرُ ما أَسْكَرَ من عصير العنب؛ لأَنَّها خامرت العقل[3]، وعلى الرغم من وجود الكروم في جزيرة العرب، إلَّا أنَّ الخمر كانت تُجلَب من بلاد الشام على وجه الخصوص، إذ يفضِّله أغنياء قريش؛ وذلك لأنَّ صناعة النبيذ تتطلَّب جهدًا وعملًا كثيرًا، وتمثِّل تقدُّمًا صناعيًّا لم يكن يعرفه العرب، باستثناء مدينة الطائف، إذ كان العنبُ محصولًا رئيسًا، وعُرِفت فيها صناعة الخلِّ والخمر[4].

(١) شرح نهج البلاغة: ٨/ ٦٩.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ١٦٠.
(٤) عبد الحميد، في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٣٤.

ومن العادات الاجتماعيَّة السيِّئة عند العرب قبل الإسلام، انتشار النكاح والزواج غير الشرعيّ، مثل:

١. **نكاح المقت**: والمقت لغةً، يعني أشدُّ البُغض[١]، وهو أنَّ المرأة إذا مات زوجها، قام أكبر أولاد زوجها فيُلقي ثوبه على امرأة أبيه، فيرث نكاحها، ومن ثمَّ فهو حرٌّ فيها، إن شاء نكحها، وإن شاء منعها من الزواج حتَّى تموت، فيرثُ مالها، إلى أن تفتدي نفسها منه بفدية تُرضيه، أو يتزوَّجها بعض إخوته بمهر جديد[٢]. كان هذا الصنف من الزواج مذمومًا وممقوتًا من الأكثريَّة، وكانوا يعيبون المتزوِّج بامرأة أبيه، ويسمُّونه الضيزن[٣].

٢. **نكاح الرهط**: وهذا النوع من النكاح كان موجودًا عند العرب قبل الإسلام، وبموجبه «يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ دُونَ الْعَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، فَتَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِى كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَقَدْ وَلَدْتُ، وَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، فَتُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ، فَيُلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا»[٤]، ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل[٥]. ويلاحَظ في هذا النوع من الزواج أنَّ القرابة بين الرجال لم تكن

(١) الجوهريّ، الصِّحاح: ١/ ٢٦٦، الزمخشريّ، أساس البلاغة: ٢/ ٢٠٢، ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ٩، الفراهيديّ، العين: ٥/ ١٣٢، الراغب الأصفهانيّ، غريب مفردات القرآن: ٤٧٠.

(٢) ابن حبيب، المحبَّر: ٣٢٦، النويريّ، نهاية الأرب: ٣/ ١٢٠، ابن حجر، فتح الباري: ٨/ ١٨٦، الآلوسيّ، بلوغ الأرب: ٢/ ٥٢، محمَّد جمال عطيَّة، النظم الاجتماعيَّة: ٣١، ابن سعيد الأندلسيّ، نشوة الطَّرب: ٢/ ٧٩٩.

(٣) الضَّيزن، الشريك: وقيل الشريك في المرأة، والضَّيزن الذي يتزوَّج امرأة أبيه إذا طلَّقها أو مات عنها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٢/ ٢٥٤، الزبيديّ، تاج العروس: ٩/ ٢٦٤، الفراهيديّ، العين: ٧/ ٢٠.

(٤) أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ (٢٧٥هـ)، سنن أبي داوود: ١/ ٥٠٧.

(٥) البخاريّ، الصحيح: ٦/ ١٣٢، ابن أبي داوود، سنن أبي داوود: ١/ ٥٠٧، البيهقيّ، السنن الكبرى: ٧/ ١١٠، النوويّ، شرح مسلم: ٢/ ٧، ابن حجر، فتح الباري: ١٢/ ٢٨، الجصَّاص،=

تُشتَرط، وأنَّ الصلة التي تربط الرجال بالمرأة كانت صلة مؤقَّتة، لا ترقى إلى مستوى الروابط العائليَّة الاعتياديَّة التي كانت سائدة، ومع ذلك نلاحظ أنَّه ترتَّبت عليه آثار فيما يتَّصل بالنسب، إذ تُرِك الخيار للمرأة في أن تُلحِق ولدها بمن أحبَّت من الرجال[1]. وهو من أنواع الزِّنا، وغالبًا ما تختار المراة الرجل الغنيّ، حتَّى يتولَّى رعايتها ومولودها والإنفاق عليهما، كذلك تختار من تكون له مكانة اجتماعيَّة؛ ليتكفَّل بالاهتمام بهما، وقد حرَّم الإسلام هذا النكاح[2].

٣. **نكاح المضامدة**: ومن أصناف الزواج عند العرب قبل الإسلام زواج المضامدة، وهذا النوع لا يمكن أن نُطلِق عليه زواجًا بما تعنيه هذه اللفظة، وإنَّما هو نوع من الزِّنا بحدِّ ذاته؛ لأنَّه يعني معاشرة المرأة لغير زوجها، وكانت النساء الفقيرات يلجأنَ إليه أيَّام القحط، ويضطرُّها الجوع إلى ذهابها في المواسم، ولاسيَّما سوق عكاظ، لمضامدة رجلٍ ثريّ، تحبس نفسها عليه، حتَّى إذا أيسرت بالمال والطعام، عادت إلى زوجها الأوَّل[3].

٤. **الاستبضاع**: من الأنماط التي قيل إنَّ العرب القدماء قد عرفوها، هو زواج الاستبضاع، والواقع أنَّه ليس زواجًا، وإنَّما هو نوع من أنواع الزِّنا، إذ قيل إنَّ الرجل إذا أراد أن يكون له ولد نجيب أو شجاع، طلب من زوجته أن تذهب إلى من اشتُهِر بذلك؛ لتبتضع منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسَّها أبدًا، حتَّى يتبيَّن حملها من ذلك الرجل، فإذا

=أحكام القرآن: ٣/ ٣٩٥.

(١) محمَّد محمود جمعة، النظم الاجتماعيَّة والسياسيَّة: ٢٧، عليّ سلمان العبيديّ، نظم الزواج القديم جذورها وآثارها: ١٧٥.

(٢) ابن الكلبيّ، مثالب العرب والعجم: ٨٤-٩٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ٢٦٥-٢٦٦، الزبيديّ، تاج العروس: ٢/ ٤٠٦، عبد السلام الترمانينيّ، الزواج عند العرب: ٢٠، يوسف سليمان الطروانة، الزواج والطلاق في صدر الإسلام: ٥٠-٥١، محمَّد توفيق أبو عليّ، صور العادات والتقاليد والقيم الجاهليَّة في كتب الأمثال العربيَّة: ٣٧٦.

ولدت، نُسِب الولد إلى زوجها[١].

٥. **البدل**: وهو من الأنظمة التي عرفها القدماء، وهو قول الرجل: انزل عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك[٢]، فهو زواج بطريقة المبادلة من دون مهر[٣]، أي أن تُعطي زوجتك لغيرك وتأخذ زوجته؛ لأنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يتبادلون الزوجات، وقيل معناه تُطلِّق واحدة وتتزوَّج أخرى بعدها، «ولو أعجبك حسنهنَّ إلَّا ما ملكت يمينك»، أي باستثناء الإماء، أي اللاتي تملكهنَّ من جملة ما حرِّم عليه من النساء[٤].

وهناك أنواع أخرى من النكاح، مثل نكاح الشغار، ونكاح المتعة، ونكاح الشراء، ونكاح الصديقة، ونكاح الاغتراب، ونكاح بالميراث[٥].

إلى جانب وأد البنات، إذ كان الوأد من أقبح العادات التي عرفها العرب قبل الإسلام، وهو دفن البنت وهي حيَّة، بعد أنْ يخنقها في التراب، ويثقل وجهها به حتَّى تموت[٦]، واختلفوا في فترة وأد البنات، فمنهم من قال عن ابن عبَّاس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخَّضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاما حبسته، ومنه قول الراجز:

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٨/ ١٤، الزبيديّ، تاج العروس: ٥/ ٢٧٩، النويريّ، نهاية الأرب: ١٦/ ٥٨، الآلوسيّ، بلوغ الأرب: ٢/ ٤، عبد السلام الترمانينيّ، الزواج عند العرب: ١٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري: ٩/ ١٥٠، الشوكانيّ، نيل الأوطار: ٦/ ٣٠٠، العينيّ، عمدة القارئ: ٢٠/ ١٢٣، الآلوسيّ، بلوغ الأرب: ٢/ ٥، جواد عليّ، المفصَّل: ٥/ ٥٣٧، سيِّد سابق، فقه السنَّة: ٢/ ٨.

(٣) الآلوسيّ، بلوغ الأرب: ٢/ ٥، جواد عليّ، المفصَّل: ٥/ ٥٣٧.

(٤) الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان: ٨/ ١٧٥-١٧٦، الطوسيّ، التبيان: ٨/ ٣٥٦، القمِّيّ، تفسير القمِّيّ: ٢/ ١٩٥.

(٥) الملَّاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٥٠-٣٥٤، زيدان، نظام الزواج عند العرب قبل الإسلام: ٢٠.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٣٢.

سميتها إذ ولدت تموت
والقبر صهر ضامن زميت[1]

في حين كان بعضهم يَئدُ ابنته في السادسة من عمرها، فيقول لأمِّها طيِّبيها وزيِّنيها، ثمَّ يذهب بها إلى الصحراء، بعد أنْ يحفر لها بئرًا فيها، فيبلغ بها البئر، ثمَّ يدفعها من خلفها، ويهيل عليها التراب حتَّى تستوي البئر بالأرض[2].

وأورد ابن أبي الحديد الأسباب التي دعت العرب إلى وأد بناتها، إذ أرجعَ ذلك إلى عامِلَين، الأوَّل: هو العامل الاقتصاديّ، إذ ذكر أنَّ العرب كانت تئِد البنات خوفَ الإملاق[3]، ومعناها الفقر والحاجة، أمَّا العامل الثاني الذي ذكره ابن أبي الحديد، فهو العامل الاجتماعيّ، مخافة إلحاق العار بهم من ورائهنَّ، وذكر أنَّ قيس بن عاصم المنقريّ، وهو أوَّل من وأد البنات في الجاهليَّة، عندما قام الريَّان بن المنذر، أخو النعمان، وجل من معه من بكر بن وائل، فاستاق النِّعم وسبى الذراري، بعد أنْ منعت تميمٌ النعمان الإتاوة سنة من السنين، فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه، فرقَّ عليهم وأعاد عليهم السبي، وقال كلُّ امرأة اختارت أباها رُدَّت إليه، وإن اختارت صاحبها تُرِكَت عليه، فكلهنَّ اخترن آباءهنَّ إلَّا ابنة قيس بن عاصم، فإنَّها اختارت من سباها، وهو عمرو بن المشمرخ اليشكريّ، فنذر قيس بن عاصم المنقريّ التميميّ ألَّا يولد له بنت إلَّا وأدها[4].

(١) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: ١٩/ ٢٣٣.
(٢) الآلوسيّ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ٣/ ٤٣.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٩٨.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٣٢.

المبحث الثاني

الحياة الفكريَّة عند العرب قبل الإسلام في خُطب الزَّهراء عليها السلام

١. الواقع العقائديّ:

تحدَّثت الزَّهراء عليها السلام في خطبها عن الجانب العقديّ لحياة العرب قبل الإسلام، فقالت:

«فرأى الأُمم فرقًا في أديانها، عُكَّفًا على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله تعالى بأبي محمَّد ظُلَمها، وكشف عن القلوب بُهمها، وجلى عن الأبصار غُممها، وقامَ في النَّاس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العماية، وهدادهم إلى الدِّين القويم، ودعاهم إلى الصِّراط المستقيم»[1].

وهنا تتحدَّث الزَّهراء عليها السلام عن الحياة العقائديَّة قبل الإسلام، وتعدُّد فرقها وأديانها، إذ عاشوا حياة دينيَّة مختلفة، نتيجة النضج الفكريّ وتطوُّره، فعقيدة البدويّ العربيّ في الأصل بدائيَّة، فهو لا يهتمُّ بالدين كثيرًا؛ لأنَّ حياته القاسية في الصحراء تحتاج إلى توفير كلِّ طاقاته؛ لغرض العيش وتوفير قوت يومه، لذلك لم نسمع عن حدوث حروب بين القبائل- مع كثرتها- بسبب الدين[2]، وكان لتأثير البيئة التي يعيش فيها دور في

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.

(٢) ماجد، التاريخ السياسيّ للدولة العربيَّة، عصور الجاهليَّة والنبوَّة والخلافة: ٥٦.

اختيار ديانتها، إذ وُجِد لكلِّ قبيلة مُعتقدٌ خاصٌّ بها، آمنت من خلاله بوجود روح كامنة مؤثِّرة في العالم، مسبِّبة ذلك المعتقد الذي اتَّخذ صورة من واقعه في بعض الحيوانات والطيور والكواكب المحيطة به، فربط بينهم وبين الظواهر الطبيعيَّة، ورَسِم لها خطوطًا تأثيريَّة، وعدَّها المحرِّك لها، فنسج حولها القصص والأساطير[1]، وجعلها محورًا لحياته اليوميَّة، فإرضاؤها يجلب له الخير والسعادة، وغضبها يجرُّ عليه الويلات، وبعضهم تأثَّر بالمؤثِّرات الخارجيَّة المحيطة به، والتي كان لها دور كبير في اتِّجاه بعض العرب نحو دياناتهم، كالمسيحيَّة واليهوديَّة والمجوسيَّة.

وكان هناك مجموعتَين من اليهود في الجزيرة العربيَّة، النوع الأوَّل: ممَّن هاجروا على شكل جماعات متعاقبة من بلاد الشام، بعد أن غلبتهم الروم في عهد القيصر طيطوس، وهدمه للهيكل سنة (٧٠م)، وصِدَامهم بالقيصر هدريان سنة (١٣٢م)، فاستقرُّوا في الواحات الخصبة من الحجاز، كوادي القرى وتيماء وخيبر وفدك ويثرب، ثمَّ انتقل قسم منهم إلى اليمن والبحرين[2]. النوع الثاني: هم عرب تهوَّدوا، وتشير المصادر العربيَّة إلى إنَّ بداية دخول اليهوديَّة إلى اليمن في عهد أحد التبابعة (التبَّع أسعد الكامل)، إذ دعا قومًا إلى الدخول في اليهوديَّة بعد أن مرَّ بيثرب، فأقنعه حَبرَان من أحبار اليهود من بني قريظة، فاتَّبعهما على دينهما[3]، ثمَّ انتشرت بشكلٍ واسعٍ في عهد الملك (ذو نواس)[4]، الذي تسمَّى باسم (يوسف)، بعد أن دان باليهوديَّة، ودعا الناس إليها، وخيَّر أهل

(١) الجميليّ، تاريخ العرب: ٢١٨.

(٢) الجميليّ، تاريخ العرب: ٢٣٣، ضيف، تاريخ الأدب العربيّ في العصر الجاهليّ: ٩٧.

(٣) ابن حبيب، المحبر: ٣٦٧، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٦٢، غضبان، مدينة يثرب قبل الإسلام: ٦٩.

(٤) آخر ملوك حمير في اليمن، وهو صاحب الأخدود المذكور في القرآن الكريم. وكان لذي نواس بأرض اليمن نار يعبدها هو وقومه، ثمَّ دان باليهوديَّة، وهو من حفر أخاديد وملأها جمرًا، وجمع النصارى فعرضهم على النار، فمَن رجع إلى اليهوديَّة نجا، ومن أبى هوى. ينظر: أبو حنيفة الدينوريّ، الأخبار الطوال: ١٠٩، ابن كثير، السيرة النبويَّة: ١/ ٣٦، الزركليّ، الأعلام: ٣/ ٨.

نجران بين الحرق أو اعتناق اليهودية، وخدَّ بنجران أخاديد، فأوقد فيها النار، ودعا أهلها إلى اليهوديَّة، وكانوا على إرث دينٍ من دين عيسى، فلمَّا أبوا عليه ألقاهم في النار، وحرق الإنجيل، وقتل منهم زهاء عشرين ألفًا بالسيف، سوى من أحرق بالنار ومَن مثَّل به منهم، وبسببه جاءت الحبشة إلى اليمن، فغلبت عليها؛ لما فعل بالنصارى[1].

أمَّا الديانة المسيحيَّة، فقد كان من في العرب من يميل إلى النصرانيَّة[2]، كبني تغلب والعباديِّين رهط عدي بن زيد ونصارى نجران[3]، وإذا كانت اليهوديَّة قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة، فإنَّ دخول النصرانيَّة إليها كانت بالتبشير، وبدخول بعض المبشِّرين الذين تمكَّنوا من اكتساب بعض سادات القبائل، فأدخلوهم إلى دينهم[4]، وكذلك عن طريق تجارة الرقيق التي كانت منتشرة في مكَّة والطائف ويثرب، وكان الرقيق النصرانيّ يقرأ ويكتب ويفسِّر للناس ما جاء في التوراة والإنجيل، ويقصُّ عليهم قصصًا نصرانيَّة، ويتحدَّث عنها، ومنهم من تمكَّن من إقناع بعض العرب بالدخول فيها[5].

أمَّا الصابئة، فقد كان هناك بعض العرب ممن كان يميل إلى الصابئة، ويقول بالنجوم والأنواء[6]، وقد اختلف الناس فيهم اختلافًا كبيرًا، وقسَّموهم على طائفَتَين، **الأولى**: هم الصابئة الحنفاء، وهم في نظرهم أصحاب إبراهيم ممَّن كانوا بحرَّان، أو ممَّن كان على

(١) ابن حبيب، المحبر: ٣٦٨، الأصفهانيّ، الأغانيّ: ١٧/ ٤٨٣، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٦٩.

(٢) النصرانيَّة: لفظة تُطلَق في العربيَّة على أتباع المسيح، وهي من الألفاظ المعرَّبة، ويرى بعضهم أنَّ لها صلة بـ(الناصرة) التي كان منها يسوع، حيث يُقال يسوع الناصريّ. ينظر: جواد عليّ، المفصَّل: ٦/ ٥٨٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٧.

(٤) جواد عليّ، المفصَّل: ٦/ ٥٨٧.

(٥) جواد عليّ، المفصَّل: ٦/ ٥٨٩.

(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٨.

دعوته[١]، وقد ذكرهم القرآن الكريم في أكثر من آية مع ذِكره لليهود والنصارى، ممَّا يجعلنا نفهم أنَّهم كانوا يعبدون إلهًا يتوجَّهون اليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]. **الثانية:** صابئة مشركون، وهم من فسدوا من الصابئة، فأشركوا واعتقدوا بالكواكب، وكانوا يعتقدون بوجود الله، لكنَّهم يتوسَّطون لديه بمتوسِّط، وذلك المتوسِّط يجب أن يكون روحانيًّا لا جسمانيًّا[٤]، ولكلِّ روحانّي هيكل، ولكلِّ هيكل فلك، وعليه فهم يعتقدون أنَّ الروحانيِّين يسكنون الكواكب فعبدوه[٥]، تكون هذه الديانة منتشرة عند عرب الجنوب أقوى منها عند عرب الشمال[٦]، ويبدو لنا أنَّ هناك تشابهًا كبيرًا بين عبادة الكواكب وعبادة الأصنام من حيث كونها واسطة للتقرُّب إلى الله، كما يعتقدون.

وتطرَّقت الزَّهراء عليها السلام إلى الديانة المجوسيَّة «**عُكَّفًا على نيرانها**»، فالمجوسيَّة من الديانات المنتشرة قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهم عَبَدة النار، والقائلون بالأصلَين النور والظلمة، وقد عرف العرب المجوسيَّة عن طريق اتِّصالهم بالفرس في الحيرة، وعن طريق اتِّصالهم بهم باليمن، عندما استوطنوا فيها، فاستعان بهم سيف بن ذي يزن لطرد الأحباش[٧]، وذُكِر أنَّ المجوسية كانت في تميم، وأنَّ زرارةَ بن عدس وابنه

(١) الآلوسيّ، بلوغ الارب، ٢/ ٢٢٤، جواد عليّ، المفصَّل: ٦/ ٧٠٢.
(٢) سورة البقرة: آية ٦٢.
(٣) سورة المائدة: آية ٦٩.
(٤) الأصفهانّي، الملل والنحل: ٢٣٢، الآلوسيّ، بلوغ الارب: ٢/ ٢٤٤.
(٥) الأصفهانيّ، الملل والنحل: ٢٦٤.
(٦) جمعة، مذكِّرات في تاريخ العرب الجاهليّ وصدر الإسلام: ٤٦.
(٧) الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك: ٢/ ١٤٤.

حاجب[1]، وهما من سادات تميم، كانا قد اعتنقا المجوسيَّة، كما اعتنقها الأقرع بن حابس[2]، وأبو أسود جدر وكيع بن حسَّان[3] [4].

وتطرَّقت الزَّهراء إلى عبادة الأوثان، وهي تصف عقائدهم قبل الإسلام، فقالت عن أمَّتهم أنَّها كانت «**عابدةً لأوثانها**»، وهم العاكفون على الأوثان، الخاضعون للأصنام التي صنعوها بأيديهم واتَّخذوها آلهةً من دون الله سبحانه، معتقدين بقدرتها على الخلق والإبداع والرِّزق والتوفيق والنَّصر.

وقد كانت كلمة (وثن) مرادفة لكلمة (صنم)، فالوثن هو صنم يُعبَد، وجمعه أوثان، وسمِّي وثنًا؛ لانتصابه وبقائه على حالة واحدة، من قولك: وثن فلان بالمكان، فهو واثن، وهو الثابت الدائم[5]. وهناك من فرَّق بين الصنم والوثن، فمنهم من قال: الصنم مَن كان معمولًا من خشب أو ذهب أو مَن فضَّة على صورة إنسان، وإن كان مِن

(١) زرارة بن عدس: جد جاهليّ، وكان حكماً من قضاة تميم، أمَّا ابنه حاجب فهو من سادات العرب في الجاهليَّة. كان رئيس تميم في عدَّة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به، وأدرك الإسلام وأسلم،، وبعثه النبيّ ﷺ على صدقات بني تميم. ينظر: البغداديّ، خزانة الآدب: ١/ ٣٤٥، الزركليّ، الأعلام: ٣/ ٤٣، ٢/ ١٥٣.

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعيّ الدارميّ التميميّ (ت ١٣هـ): من حكَّام وسادات العرب في الجاهليَّة. قدِم على رسول الله ﷺ في وفد من بني دارم (من تميم)؛ فأسلموا، وشهد حنينًا وفتح مكَّة والطائف، سكن بالمدينة، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، كان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتَّى اليمامة، واستُشهِد بالجوزجان، وقيل اسمه فراس، وإنَّما لقِّب الأقرع؛ لقرع كان برأسه، ينظر: الصفديّ، الوافي بالوفيات: ٩/ ١٨٠، الزركليّ، الأعلام: ٣/ ٤٣.

(٣) أبو سود التميميّ: هو حسَّان بن قيس بن أبي سود بن كلب بن عدي بن مالك بن عذانة بن يربوع، كان مجوسيًّا فأسلم، وهو جدُّ وكيع بن حسَّان بن أبي سود، صاحب الفتنة بخراسان، الذي قتل قتيبة بن مسلم أمير خراسان صاحب الفتوح، وولى خراسان بعدها أوَّل خلافة سليمان ابن عبد الملك ثمَّ عُزِل عنها. ينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) ابن قتيبة، المعارف: ٣٣٩، الآلوسيّ، بلوغ الارب: ٢/ ٢٣٥.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٩/ ٨١.

حجارةٍ، فهو وثن[1]، ومنهم من قال: الوَثَن «كلُّ ما لَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرض أو من الخَشَب والحِجارة، كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد. والصَّنَم الصُّورة بِلا جُثَّة، ومنهم مَن لـمْ يُفَرِّق بَيْنَهما، وأطلَقَهما على المَعْنَيَين»[2].

وعبدت العرب حجرًا بلا جثَّة، فسمَّته نصبًا، يطوفون بها ويعتمرون عندها، ويسمُّون الطواف بها الدوار، وكانوا يَنْصِبونه ويَذْبَحون عليه فيَحْمَرُّ بالدَّم[3]، ومِن حديث أَبي ذرٍّ في إسلامه قال: «فخَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ ثمَّ ارْتَفَعْتُ كأَنِّي نُصُبٌ أَحمر، يُريد أَنَّهم ضَرَبُوه حتَّى أَدْمَوْه، فصار كالنُّصُب المُحْمَرِّ بدم الذبائح»[4].

يمكن القول إنَّ العرب كان لها نوعان من الحجارة التي عبدوها، منها ما كان مصنوعًا على صورة ومنقوشًا عليه، وهو الصنم والوثن، ومنه ما كان حجرًا اعتياديًّا لا يحمل أي مزيَّة تميِّزه عن بقيَّة الأحجار، لكن بأشكال هندسيَّة، يسمَّى النصب، استُخدم أوَّل الأمر كمكان لنحر الأضاحي والقرابين، ثمَّ أخذ نوعًا من القدسيَّة عندهم.

ووصفتهم الزَّهراء عليها السلام بعَبَدَة الأصنام، وهي تتحدَّث عن واقعهم الذي غيَّره النبيّ بالقوَّة والموعظة الحسنة:

«فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأَكْظامِهِمْ، داعِيًا إِلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ»[5]

(١) ابن الكلبيّ، الأصنام: ٥٣.
(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٥١.
(٣) ابن الكلبيّ، الأصنام: ٤٢، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٦٠.
(٤) ابن منظور، لسان العرب: ٨/ ٤١٩ (مادَّة نصب).
(٥) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.

فكلُّ أمَّة كانت تعبُد إله، وكلُّ قبيلة تختار معبودًا لها، فكان من سمات تلك المجتمعات الشِّرك في العبادة، فبعضهم يعبد الأصنام التي يصنعها بيده، «وزعموا أنَّها شفعاء عند الله في الآخرة وحجُّوا لها، ونحروا لها الهدي، وقرَّبوا لها القربان، وحلَّلوا وحرَّموا، وهم جمهور العرب، وهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[1]»[2]، وهم على قسمَين:

أ. منهم من أطلق على الأصنام لفظة شريك، ومن ذلك قوله في التلبية:

لبَّيك اللهمَّ لبيك
لبَّيك لا شريك لك
إلَّا شريكًا هو لك
تملكه وما ملك[3]

فهم يوحِّدون الله في التلبية، ويدخلون معه آلهتهم، ويجعلون ملكها بيده، وقد ذكرهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[4]، أي ما يوحِّدونني لمعرفة حقِّي إلَّا جعلوا معي شريكًا من خلقي[5]، وذُكِر أنَّ أوَّل من لبَّى هذه التلبية عمرو بن لحى، واتَّبعه العرب بعد ذلك[6].

ب. ومنهم من لا يُطلق على الأصنام لفظة شريك، بل يجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه[7]، وهم الذين قال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٧.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٨.
(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٥) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ١٨٨.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ١٨٩.
(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٨.

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

فهم كانوا يعتقدون بعبادتهم للأصنام يعبدون الله سبحانه وتعالى، ويتقرَّبون إليه، ولتكون تلك الأصنام واسطة بينهم وبينه، وشفعاء عنده، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

وانتشرت عبادة الأصنام انتشارًا واسعًا، حتَّى كان لكلِّ بيتٍ وحيٍّ أو قبيلة آلهتها الخاصَّة بها، وقد تشترك طائفة من القبائل في عبادة وتعظيم إله معين[3]، وكانت الأصنام على أشكال مختلفة، فمنها ما كان على صورة إنسان، مثل: ود والعزَّى وسواع، ومنها كان على صورة حيوان، فيغوث كان على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير، ومنها ما كان جمادًا لا صورة له، كاللات، وكانت صخرة مربَّعة[4].

وذكر ابن أبي الحديد أنَّ هناك (ثلاثمائة وستُّون صنمًا) حول الكعبة عند فتح مكَّة[5]، يظهر من وجودها في الكعبة أنَّ قريشًا رأت أن تنتفع من قدوم القبائل العربيَّة في موسم الحجِّ وغيره، فوضعت أصنام القبائل الشهيرة حول الكعبة، حتَّى إذا جاء الناس وزاروا الحرم وجدوا معبوداتهم فأولوها احترامهم وتقديسهم، فذبحوا وقرَّبوا له القرابين[6].

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.
(٢) سورة يونس: الآية ١٨.
(٣) ابن الكلبيّ، الأصنام: ٣٣.
(٤) طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٤٥.
(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٧/ ٢٢٠.
(٦) حسن، تاريخ الإسلام السياسيّ والدينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ: ١/ ٦١.

وتطرَّقت الزَّهراء عليها السلام إلى الديانة الحنفيَّة عند العرب قبل الإسلام، وقولها عن من اعتنق الحنفيَّة ورفض الإسلام «**منكرة لله مع عرفانها**»، وهم المتألِّـهون أصحاب الورع والتحرُّج عن القبائح[1]، الذين تبنوا فكرًا دينيًّا توحيديًّا بين العرب، على الرغم من اختلاف وتنوُّع المذاهب الدينيَّة الأخرى، فاعتزلوا الأصنام، واتَّجهوا لاتِّباع الديانة الحنيفيَّة التوحيديَّة[2]، والحَنِيفُ الذي يَتَحَنَّفُ عن الأدْيانِ، أَي يَمِيلُ إلى الحقِّ، وكان في الجاهلية يُقال لمن اخْتَتَنَ وحجَّ البيت حَنِيفٌ؛ لأَنَّ العرب لم تتمسَّك في الجاهليَّة بشيء من دِينِ إبراهيم غيرِ الخِتان وحَجِّ البيتِ، فكلُّ من اختتن وحجَّ قيل له حنيف، ومعنى الحنيفيَّة في اللغة المَيْلُ، والمعنَى أَنَّ إبراهيم حَنَفَ إلى دينِ الله ودين الإسلامِ، وتَحَنَّفَ الرجلُ، أي عَمِلَ عَمَلَ الحَنِيفِيَّةِ، ويقال: اعتزلَ الأصنامَ وتعبَّدَ[3].

٢. الأمثال عند العرب قبل الإسلام

تعدُّ الأمثال العربيَّة مظهرًا من مظاهر الإبداع الأدبيّ عند العرب قبل الإسلام، وهي تعكس صورًا مهمَّة للحياة العربيَّة، تتكلَّم فيها عن طبيعة الحياة الاجتماعيَّة واليوميَّة باسلوبٍ سلسٍ وواضح، وكان خطباؤهم وشعراؤهم كثيرًا ما يستشهدون بالأمثال في خطبهم وقصائدهم، «وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف، فيرسل عدَّة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعًا يتمثَّلون بها، إلَّا لما فيها من المرفق والانتفاع»[4]، وعرَّف السيوطي المثل فقال: «المثل جملة من القول مقتضبةٌ من أصلها، أو مرسلةٌ بذاتها فتتَّسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عمَّا وردت فيه إلى كلِّ ما يصحُّ قَصْدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعمَّا يُوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تُضْرب،

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢٨.
(٢) جابر، عادل شابث، أتباع الديانة الحنفيَّة: ١٧٢.
(٣) الجوهريّ، الصِّحاح: ٢٧٦، (مادة حنف)، ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٢٧، (مادة حنف).
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٢٧١.

وإن جُهلت أسبابُها التي خرجت عليها»[1]، ولعلَّ في هذا الكلام نوعٌ من التصوُّر حول تأثير المثل في المجتمع، وكيف تمَّ استخدامه في حالات وصور مختلفة، فما زالت الأمثال حتَّى يومنا هذا تتناقل وتنعكس على الكثير من الأحداث المماثلة لها، وهي باقية في الأذهان أكثر من أيِّ كلامٍ آخر؛ لوجود صفات تميِّزها، أوجَزَها إبراهيم النظَّام[2] بقوله: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، وجَوْدة الكناية، فهو نهاية البلاغة»[3].

وقد تداول مجتمع عرب ما قبل الإسلام الأمثال بشكلٍ واسعٍ لأسباب وحوادث اقتضت إطلاقه، فصار المثل المضروب لأمرٍ من الأمور عندهم كالعلامة التي يُعرَف بها الشيء، وليس في كلامهم أوجز منها، ولا أشدّ اختصارًا[4]

وعلى الرغم من أنَّ الأمثال يصعب فيها تمييز الجاهليّ منها من الإسلاميّ، لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلِّفين، ولأنَّ الأمثال لم تدوَّن من قِبَل عرب ما قبل الإسلام، وإنَّما استمرَّت تنتقل عن طريق الرواية الشفهيَّة حتَّى بدأ جمعها وتدوينها في عصر التدوين أيَّام الدولة الأمويَّة [5]، ولكن ميَّزنا المثل الجاهلّي عن طريق ما يُشير إليه المثل من قصَّة أو حادثة أو خبر أو شخصيَّة كان لها اتِّصال بحياة العرب ما قبل الإسلام، أو هناك إشارة إلى أنَّ المثل قيل في خُطَب الزَّهراء عليها السلام.

(١) السيوطيّ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٧٥.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار بن هانئ البصريّ (ت ٢٣١هـ): من أئمَّة المعتزلة، تبحَّر في علوم الفلسفة، واطَّلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيِّين وإلهيِّين، وانفرد بآراء خاصَّة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سُمِّيت (النظَّاميَّة) نسبةً إليه، أمَّا شهرته بالنظَّام فأشياعه يقولون إنَّها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون إنَّه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. ينظر: الصفديّ الوافي بالوفيات: ٦/ ١٣، الزركليّ، الأعلام: ١/ ٤٣.

(٣) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٦.

(٤) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١/ ٤١.

(٥) الملَّاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٩١.

الأمثال في خُطب الزَّهراء عليها السلام

عرفت العرب الأمثال قبل الإسلام، حتَّى تداولت بينها، وانتشرت، وكانت تستخدمها في أشعارها وخطبها، ويبدو أنَّ تلك الأمثال التي عُرِفت في الجاهليَّة استمرت متداوَلة في العصر الإسلاميّ، حتَّى نجدها تظهر بكثرة في كلام السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، فكانت عليها السلام توظِّف تلك الأمثال في خطبها، حتَّى ظهرت منسجمة كلَّ الانسجام، وقد أدَّت أغراضها التي كانت تبتغيها، فكانت تدعو الناس للاستفادة منها والتدبُّر فيها، فقد قالت عليها السلام في خطبتها الفدكيَّة، وفي حديثها عن دور الرسول صلى الله عليه وآله في فرض الزعامة الإسلاميَّة، وإزالة جميع طقوس الجاهليَّة وخرافاتها، مكسِّرًا أصنامهم، ضاربًا أعناق المفسدين، حتَّى أعلنوا هزيمتهم ونهايتهم، قالت عليها السلام: «حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ»[1].

واقبست الزَّهراء عليها السلام في هذا النصِّ مَثَلَين: «**وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ**»، فقيل في الأمثال: «**صَرَّحَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ**»، أي انكشَفَ الأمر، وظهر بعد ستره، وقال أبو عمرو: أي انكشف الباطلُ واستبان الحقُّ فَعُرِفَ[2]

و«**خَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ**»، والشقاشق: جمع شقشقة، وهي شيء يشبه الرئة، يخرج من فم البعير إذا هاج، وقد وظَّفها العرب في أمثالهم، فقيل في المثل: «**النِّسَاءُ شَقَائِقُ الأَقْوَامِ**»، الشقائق: جمع شقيقة، وهي كلُّ ما يشقُّ باثنين، وأراد بالأقوام الرِّجال

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.

(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٤١٠، أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال، ١/ ٤٣، ابن سلَّام: ١/ ٦

على قول من يقول: القوم يقع على الرجال دون النساء، ومعنى المثل أنَّ النساء مثلُ الرجال وشقت منهم، فلهنَّ مثل ما عليهنَّ من الحقوق(١).

وفي حديثها عليها السلام عن أحوال العرب قبل الإسلام وما كانوا فيها من حروب، دامية تدور رحاها بينهم، ومنها ما يستمرُّ عشرات السنين بين قبائلهم المتناحرة على الماء والكلأ، مما جعل الإستيلاء عليهم أمرًا لا يحتاج إلى بذل كثير من جهد فكانوا كما وصفتهم حينها: «**مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان**»(٢).

واستخدمت فيها مفردات أخذت من أمثال كانت معروفة، منها: «**بِحَسْبِهَا أَنْ تَـمْتَذِقَ رِعاؤها**»، امْتَذَق: إذا شرب مَذْقَة من لبن، يُقال هذا في الإبل المحَارِيد، وهي التي قَلَّت ألبانُها. يُضرَب للرَّجل يُطْلَبُ منه النصر أو العُرْف أي حَسْبه أن يقوم بأمر نفسه(٣)، و«**كالقَابِسِ العَجْلَانِ**»، القبس: أخذ النار، يضرب لمن عجَّل في طلب حاجته(٤).

وفي حديثها عن دور الرسول صلى الله عليه وآله في مواجهة الفتن والحروب، قالت: «**كلَّما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، أو نَجَم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها**»(٥).

واستُخدِمت فيها مفردة (القرن) أو (القرين)، وهي مفردة استُخدِمت في أمثال كانت معروفة، منها: «**كالنازي بين القرينَين**»، يُضرب مثلًا للرجل يتعرَّض للمكروه حتَّى يقع فيه، وأصله البكر يكون مخلى، فيأخذ في النزوان، حتَّى يؤخذ فيوثق في القران،

(١) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٣١.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٣) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١١٠.
(٤) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١٤٩.
(٥) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.

وهو الحبل الذي يقرن به البعيران، أو ينزو فيدخل بين القرينَين، فيعلق بحبلهما. والقرينان: البعيران يشدَّان بحبل، لئلَّا يشردا، قال ابن مقبل:

ولا تكونن كالنازى ببطنته
بين القرينين حتَّى ظلَّ مقرونا

وقال جرير:

قد جربت عركى في كلِّ معتركٍ
غلب الأسود فما بال الضغابيس
وابن اللبون إذا مالز في قرنٍ
لم يستطع صولة البزل القناعيس

والطغانيس: الضعاف من كلِّ شيء، والقناعيس: الفحول المختارة، الواحد قنعاس، وربَّما سمِّي السيِّد قنعاسًا[1].

و«**تَرَكْتُهُمْ كَمَقَصِّ قَرْنٍ**»: أي استأصلتهم، وذلك أنَّ أحد القرنَين إذا تمَّ وقُطع الآخر رأيته قبيحا، قال الشاعر:

فأضحَتْ دَارُهم كَمَقَصِّ قَرْن
فلا عَيْنٌ تُحَسُّ ولا إثَارُ

أي لا ترى أثرًا ولا عينًا. وقال الأصمعيّ: القَرْن جَبَل مُطِل على عرفات، وأنشد:

وأصْبَحَ عَهْدُهُ كَمَقَصِّ قَرْنِ

قال الأزهريّ: يروى «مقصّ قرن»، و«مقطّ قَرْن»، والقرن إذا قصَّ أو قطَّ بقي ذلك الموضع أمْلَسَ نقيًّا لا أثر فيه، يضرب لمن يُسْتأصل ويُصْطَلم[2].

وقيل في المثل: «**جَاءَ بِقَرْنَيْ حِمَارٍ**»، إذا جاء بالكذب والباطل، وذلك أنَّ الحمار لا قَرْنَ

(١) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ١٦٩.
(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١٥١.

له، فكأنَّه جاء بما لا يمكنْ أن يكون[1]، وقيل في المثل: «**حَمَلَهُ عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَ**» أي على مَرْكَب وَعْر، قال الكُمَيت:

وكنَّا إذا جَبَّار قوم أرادنا
بكَيْدٍ حَمَلْناه على قَرْنِ أعْفَرَا

يقول: نقتله ونحمل رأسه على السِّنان، وكانت الأسِنَّةُ من القرون فيما مضى من الزمان[2].

وقيل في الأمثال: «**قِرْنُ الظَّهْرِ لِلْمَرْءَ شَاغِلٌ**»، أقرانُ الظهر: الذين يجيئون من وَرَاء ظهرك في الحرب[3].

وقيل في الأمثال: «لا تَنْطَحُ بِهَا ذَاتُ قَرْنٍ جَمَّاءَ»، فإنَّما يُقَال ذلك عند اشتداد الزمان وقلة النشاط[4].

وقالت الزَّهراء عليها السلام: «**تشربون حسوًا في ارتغاء**»[5]، وفي المثل: «**يسر حسوا في ارتغاء**»، أى يظهر أخذ الرغوة، وهو يحسو اللبن[6]، وقال الأصمعيّ: وأصلُهُ الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنَّه يريد الرغوة خاصَّة، ولا يريد غيرها فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن والارتغاء، هو شرب الرغوة، يقال منه: ارتغيت ارتغاء، ويضرب لمن يريك أنَّه يُعنيك، وإنَّما يجرُّ النَّفْعَ إلى نفسه، قَالَ الكُمَيْتُ:

---

(١) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١٧٤.
(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢١٢.
(٣) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١١٠.
(٤) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢٢٥.
(٥) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلّيّ، كشف الغمة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٦) الزمخشريّ، المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٤١٢.

فـــإنِّي قـــد رأيـــتُ لـكـم صُـــــدودًا
وتَحْـــسَـــاء بِـعِـلَّـةِ مُـرْتَـغِـيـنَـا[1]

وعندما وجَّهت كلامها إلى الأنصار، قالت عليها السلام: «**يا معشر النقيبة**»[2]، والنقاب: اللون. قال الأصمعيّ: سمِّي نقاب المرأة؛ لأنَّه يستتر لونها فيه، وقيل: فلان ميمون النقيبة، أي الطلعة، مأخوذٌ من النقاب، وهو اللون، وقيل في المثل: «**ميمون النقيبة**»، أي المختبر، وقيل: النقيبة هنا: النفس[3].

وعندما وجَّهت كلامها عليها السلام إلى القوم، وتمتُّعهم بالراحة، وتركهم تعاليم رسول الله، قالت: «وخلوتم بالدعة»[4].

وفي المثل «**من لم يأس على ما فات ودع نفسه**»، ودع: من الدِّعة، وهي الراحة، يقول: أراح نفسه، وقال بعضهم: إن حزنت على ما فات فاحزن على ما لم يأت. وقال النابغة:

والـــيـــأس عـــما فـــات يـعـقـب راحـــةً
ولـــرب مـطـعـمـةٍ تـعـود ذبـاحـا[5]

وقيل في المثل «**أَنْعَمُ مِنْ حيَّانَ أَخِي جابرٍ**»، قَالَوا: إنَّه كان رجلًا من العرب في رخاء من العيش ونعمة من البدن، فَقَالَ فيه الأعشى: «وقع هنا في أكثر أصول هذا الكتاب»، فَقَالَ فيه الأَعمش: «تحريف، والبيت مشهور جدًّا، يستشهد به النحاة واللغويُّون، ووقع في البيت (ما يومي على كورها ويوم حيان)»، وبذلك يروى:

(١) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ٧٦، الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٤١٧.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٣) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ١٥٩.
(٤) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٥) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ١٨٩.

شَـتَّـانَ مَـا نَـوْمِـي عَـلَى كُـورِهَـا
وَنَـــوْمُ حَـيَّـانَ أخـي جَـابِـرِ

يقول: أنا في السير والشقاء وحَيَّان في الدَّعَة والرخاء[1]

وفي عتابها عليها السلام مع القوم، وتحميلهم وزر ما فعلوا بها، قالت لهم: «**فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف**»[2]، وفي المثل: «**إِنْ يَدْمَ أَظَلُّكَ فَقَدْ نَقِبَ خُفِّي**»، الأظلُّ باطن منسم البعير، وقيل لحم أسفل خُفِّه، والخفُّ: واحد الأخفاف، وهي قوائمه، ونقب خفّ الرجل تخرقه، وكذلك خفّ البعير، وأصله أنَّ مسافرًا حفى بعيره، فنزل عنه حتَّى حفي هو أيضًا، فلمَّا أراد ركوبه جرجر، فقال ذلك قوله فقد نقب خفي على معنَيين، أحدهما أنَّ تأكل الأرض صلابة الخفِّ حتَّى يرقّ، فلا يتمكَّن من الوطء عليه إلَّا بشدَّة، والثاني أنَّه سمَّى رِجله خفًّا بطريق المجاز، كما قال طرفة بن العبد:

وحـتَّـى تـنـاهـوا عـن أذاتي بـعـد ما
أصـاب الـوجى منهم مشاش السنابك

يضربه من هو في مثل حال المشتكى إليه: أي أنا منه في مثل ما تشكوه[3]

وفي خطبتها في نساء الأنصار والمهاجرين في مرضها، وهي تُبدي تنفُّرها عن الحياة الدنيا، وكراهتها لذلك المجتمع الذي لا يؤمن بالقيم، وخاصَّة رجال المدينة الذين كان موقفهم تجاه السيِّدة فاطمة الزَّهراء موقفًا غير طيِّب، فلقد مرَّ عليك أنَّهم أبدوا انزعاجهم من بكاء السيِّدة فاطمة الزَّهراء على فَقدِ أبيها الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يتجاوبوا معها في إسعافها والوقوف معها، فوصفتهم بقولها: «**لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنئتهم بعد**

(١) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٣٦٥.
(٢) ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٣، الطبريّ، دلائل الإمامة: ١١٤، الطبرسيّ، الاحتجاج، ١/ ١٣٥، الإربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٢/ ١١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٢٩/ ٢٢٠.
(٣) الزمخشريّ، المستقصى: ١/ ٣٧٦، الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢١، أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٢٠٦

أن سبرتهم»[1]

أي رميتهم من فمي بعد أن عضضتهم، كما يرمي أحدنا اللقمة من فمه ويشمئزّ منها، أي أبغضتهم ومللتهم بعد أن اختبرتهم، وكرهتهم بقلبي بسبب سوء تصرُّفاتهم، واستخدمت الزَّهراء مفردة (سبرتهم)، وهي مفردة تعني الاختبار، استخدمتها العرب في أمثالهم، فقالوا: «سبرت الجرح، إذا عرفت مقداره بالميل»، قال أبو زيد: السبر ما عرفت به لؤم دابة من كرمها، وأصله من قولهم: سبرت الجرح إذا عرفت مقداره بالميل، وهو السبار. وفي الحديث أنَّ أبا بكر قال للنبيّ عليه الصلاة والسلام في حديث الهجرة: لا تدخل الغار حتَّى أدخله فأسبره قبلك[2].

قال الشاعر القتَّال، وهو شاعر إسلامي من شعراء اللصوص، والقتَّال لقبٌ له:

أنا ابن المضرحي أبي شليل
وهل يخفى على الناس النهار
علينا سبره ولكل فحلٍ
على أولاده منه نجار

يقول: يلوح علينا كرم نجارنا وشبه آبائنا[3].

وشبَّهت السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها رجال أهل المدينة بالسيف الذي انثلم حدُّه فلا يقطع، إشارة إلى قعودهم عن نصرتها، وخذلانهم إيَّاها، فكأنَّها عليها السلام تستقبح فيهم سكوتهم عمَّا جرى على بنت نبيِّهم من الظلم والاضطهاد وعدم مبالاتهم، فقالت: «**فقبحًا لفلول الحدِّ، واللعب بعد الجدِّ، وقرع الصفاة، وصدع القناة**»[4].

(١) الجوهريّ، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣٣، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٧٩.
(٢) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ١٨٢.
(٣) القتَّال، ديوان القتَّال الكلابيّ: ٨٢، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربيّ: ١/ ٤٣٦.
(٤) الجوهريّ، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج=

واستخدمت من الأمثال العربيَّة مفرَدَتي (وقرع الصفاة)، والمراد: التذلُّل والانقياد لكلِّ مَن قادهم، وفي المثل «**قرع له ساقه**»، يعني إذا قامت الحرب على ساقها، وقيل في المثل «**قرع للأمر ظنبوبه**»، إذا جدَّ فيه ولم يعثر، والظنبوب: مقدَّم عظم الساق؛ قال سلامة بن جندل:

كـنَّـا إذا مـا أتـانـا صـارخ فـزع

كـان الـصراخ لـه قـرع الـظـنـابـيـب

أي: إذا أتى مستغيثًا، كانت إغاثته الجدّ في نصرته.

وقيل إنَّ الظنبوب هنا مسمار الرمح، أي أصلحت الرماح وشدَّت أسنَّتها للإغاثة، وقيل إنَّه أراد بالظنابيب الإبل تقرع سوقها لتبرك وتشدُّ عليها الأكوار، فيركبونها ويجنبون الخيل، ويقوِّي هذا قوله بعد البيت:

وشـدُّ كـورٍ عـلى وجـنـاء نـاجـيـةٍ

وشـدُّ سرجٍ عـلى جـرداء سرحـوب

وقيل: إنَّ معنى قرع الظنابيب: الازدحام، فيقرع بعض أسؤقهم بعضًا من ازدحامهم وتتابعهم للإغاثة، كما قال أبو الطيِّب:

يـدمـي بـعـض أيـدي الخـيـل بـعـضًـا

ومـا بـعـجـايـةٍ أثـر ارتهـاش

يعني من ازدحامهم[1]

وفي مثل آخر قيل: «أحرُّ من القَرَع»، والقَرَع بفتحتين بثر أبيض يخرج من أعناق الفصلان وقوائمها، ودواؤه الملح وحباب ألبان الإبل، فإذا لم يجدوا ملحًا نتفوا أوبارها

=البلاغة: ١/ ٢٣٣، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٧٩.

(١) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ٣٣٢ - ٣٣٣، اليوسيّ، زهر الأكم في الأمثال والحكم: ١/ ٣٣٤.

ونضحوا جلودها بالماء، ومنه المثل. وقيل هو داء يحرق أوبار الإبل ويُذيب أكبادها، قال في الصِّحاح: وربَّما قالوا: أحرُّ من القرع بالتسكين، يعنون به قرع الميسم، وهو المكواة. قال عمر بن أبي ربيعة:

كـــــأنَّ عـــلى كـــبـــدي قـــرعـــة

حـــــذارا مـــن الـــبـــين مـــا تـــبرد

قال: والعامَّة تريد به هذا القرع الذي يؤكل[1].

وقال أبو عبيد: قال الأصمعي: ومن أمثالهم في هذا قولهم:

لـذي الحلـم قبل اليـوم مـا تـقـرع العصا

ومـــا عـلـم الإنـســان إلَّا لـيـعـلـما

وذكر خبره وأنَّه يقال في عامر بن الظرب العدوانيّ، ويقال في أكثم بن صيفيّ، ويقال أوَّل من قُرِعت له العصا سعد بن مالك الكنانيّ، وقرع العصا مثل للتنبيه، وكان أحد حكَّام العرب أسنَّ، فإذا قُرِعت له العصا استيقظ وثاب حلمه[2].

ومفردة (صدع القناة)، وفي نسخة: (خور القناة)، وهي إشارة إلى استرخاء الرمح بسبب انشقاقه، وينبغي أن يكون الرمح صلبًا حتَّى يمكن الطعن به، وإذا كان الرمح رخوًا لا يمكن أن يُطعن به.

وقيل في المثل (رجل خور)، أي هالك [3]، وفي قصة ضرار بن عمرو الضبِّيّ في الأمثال أنَّه رأى من بنيه ثلاثة عشر رجلًا كلُّهم يطعن فى الخيل، ويحمل القناة الثقيلة، فسَّره ذلك، ثمَّ أخذ قناة ليطعن بها فعجز لعلِّو سنِّه، فقال: «**مَن سَرَّه بَنُوْهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ**»، فصارت مثلًا يُضرَب فى التأسُّف على العمر الذاهب[4].

(١) الزمخشريّ، المستقصى في أمثال العرب: ١/ ٦٣، اليوسيّ، زهر الأكم في الأمثال والحِكم: ١/ ١٨٩

(٢) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ١٤٨.

(٣) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٨٥.

(٤) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٢٤٦.

وفي قصة ضَمْرَةُ بن ضمرة النهشليّ، يوم ذات الشقوق، قال: الخمر عَلَيَّ حرام حتَّى يكون يومٌ يكافئه، فأغارَ ضَمْرَة على الأحلاف يوم ذات الشقوق فقتلهم، وقال يردُّ على بشر بن أبي خازم:

الآنَ سَاغَ لَيَ الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ
آتي التُجَارَ ولا أَشد تَكَلُّمِي
حَتَّى صَبَحْتُ عَلى الشُّقُوقِ بَغَارَةٍ
كَالتَّمْرِ يُنْثَرُ مِنْ جَرينِ الجرَّم
وَمَشَتْ نِسَاءٌ بِالنِّسَاءِ عَوَاطِلا
مِنْ بَيْنِ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأَيِّمِ
ذَهَبَ الرِّمَاح بِزَوْجَها فَتَرَكْنَهُ
في صَدْرِ مُعْتَدِلِ القَنَاةِ مُقَوَّم[1]

وفي قصة الصلتان العبديّ الذي حكم بين جرير والفرزدق، وكان يفضِّل الفرزدق في قصيدة يقول فيها:

أَنَا الصَّلتَانِيُّ الَّذي قَدْ عَلِمْتُمُ
مَتَى مَا يُحَكَّمْ فَهوَ بِالحَقِّ صَادِع
لَئِن كَانَ بَحْرُ الحَنْظَلِيَّينَ وَاحِدًا
فَمَا تَسْتَوِي حِيتَانُهُ وَالضَّفَادِعُ
وَما يَسْتَوِي صَدْرُ القَنَاة وَزُجُّها
وَلا تَسْتَوي في الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابعُ[2]

وقالت الزَّهراء عليها السلام في خطبتها، وهي تلقي المسؤوليَّة، مسؤوليَّة الأجيال، كلّها على أعناق أولئك الأفراد، إذ إنَّها لـمَّا حضرت في المسجد وخطبت، وأتمَّت

(١) البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ١/ ٢٧٣
(٢) البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ١/ ٤١٦

الحجَّة على الحاضرين، واستنجدت بالمهاجرين والأنصار، فثبت التكليف الشرعيّ في حقِّهم، وحيث إنَّهم لم ينصروها، فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلك الخذلان أمام الله وأمام التاريخ، وحمَّلتهم ثقل المسؤولية وشومها، فقالت: «**لا جرم والله لقد قلَّدتهم ربقتها، وحملتهم أوقتها، وشننت عليهم غارتها، فجدعًا وعقرًا وسحقًا للقوم الظالمين**»[1].

وهنا استخدمت الزَّهراء عليها السلام عدَّة أمثلة من أمثال العرب، «**لقد قلَّدتهم ربقتها**»، وقيل في المثل: «**رَمَّدَتِ الضَّأْنُ فَرَبِّقْ رَبِّقْ**». التَّرْميد: أن تَعْظُم ضُروعُها، فإذا عظمت لم تَلْبَث الضأن أن تَضَع، ورَبِّقْ: أي هيِّئ الأرباق، وهي جمع رِبْق والواحدة رِبْقَة، وهو أن يعمد إلى حَبْل فيجعل فيه عُرًا يشدُّ فيها رؤوس أولادها، يُضرَب لما لا يُنتَظر وقوعُه انتظارًا طويلا[2]، وقولهم في المثل: «**قولهم أعندي أنت أم في العكم، وأعندي أنت أم في الربق**»، يُضرَب مثلًا للرجل القليل الفهم، والعكم الحمل، والعكم شدَّه، والربق جمع ربقة، وهي حبل تُشدُّ به البهيمة[3].

وقولها: «**فجدعًا وعقرًا وسحقًا للقوم الظالمين**»، وفي نسخة أخرى: «**فجدعًا وعقرًا وبُعدًا**»[4]، فهذه كلمات دعاء عليهم، بسبب ظلمهم لآل الرسول، ودعت عليهم بالجدع والعقر والبُعد، فيقال: جدعهم الله جدعًا، وعقرهم الله عقرًا، ومعناهما: قطع الله أيديهم وآذانهم وشفاههم وجرح الله أبدانهم.

وقيل في المثل: «**تصمت بالماء تولبًا جذعًا**»، وكان المفضَّل قد أنشد قول أوس ابن حجر: تصمت بالماء تولبًا جذعًا، فرواه بالذال المعجمة، والجذع هو الفتى الصغير

(١) الجوهريّ، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣٣، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٧٩.

(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢٩٣.

(٣) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٨٥.

(٤) ابن طيفور، بلاغات النساء: ٢٠، الطبرسيّ، الاحتجاج: ١٥٧، العامليّ، الانتصار: ١/ ٣٨٠.

السنِّ من الإبل وغيرها؛ ففطن الأصمعيّ لخطأه، وقال له: أخطأت، إنَّما هو (تولبًا جدعًا) بالدال المهملة، والجدع السيِّء الغذاء، فقال المفضَّل: (جذعًا جذعًا)، ورفع صوته، فقال الأصمعي: لو نفخت في الشبور ما نفعك، تكلَّم كلام النمل وأصِب. فلمَّا تمسَّك كلٌّ منهما برأيه وحفظه، احتكما إلى غلام حافظ للشعر من بني أسد، فصوَّب رأي الأصمعيّ، ومع أنَّ قراءة المفضل ذات حظٍّ غير يسير الصواب، فإنَّ العلماء أخذوا بقول الأصمعيّ[1].

وقيل في المثل: «**جَدَعَ اللهُ مَسَامِعَهُ**»، هذا من الدعاء على الإنسان والمسامع: جمع المِسْمَع، وهو الأذن، وجَمَعها بما حولها، كما يقال: غليظ المَشَافر وعظيم المَنَاكب، ويقال أيضًا (جَدْعًا له)، كما يقولون (عَقْرًا حَلْقًا)[2].

ومن الخطبة نفسها، وصفت عليها السلام نتائج القيادة الرشيدة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لو كان يُفسَح لها المجال، وذكرت الفوائد والمنافع والخيرات والبركات التي كانت تعمُّ الأمَّة الإسلاميَّة على مرِّ القرون والأجيال، فقالت: «**ثمَّ لسارَ بِهم سيرًا سجحًا، لا يكلِّم خشاشه، ولا يُتعتِع راكبه**»[3].

«**ثمَّ لسارَ بِهم سيرًا سجحًا**»، أي سار سيرًا ليِّنًا سهلًا، وشبَّهتها بسير البعير «**لا يكلم خشاشه، ولا يُتعتع راكبه**»، وفي نسخة: «**ولا يكلُّ سائره ولا يملُّ راكبه**»[4]، أي الحبل أو الخشب الذي جُعِل في أنف البعير، ويُقال له (الخشاش)، لا يجرح أنف البعير، ولا ينزعج راكب البعير، والمقصود: سلامة الراكب عن كلِّ مشقَّة حال السير، فإنَّ البعير إذا سار بالراكب سيرًا عنيفًا، فلا بدَّ وأنَّ الراكب يتأذَّى من الحركة العنيفة، وتتحطَّم

(١) الضبِّيّ، أمثال العرب: ١٣.
(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ١٦٩.
(٣) الجوهريّ، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣٣، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٧٩.
(٤) الطبرسيّ، الاحتجاج: ١٥٨، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٦٢.

أعصابه لما في ذلك من الإزعاج والقلق، ثمَّ البعير نفسه يتألَّم حينما يجاذبه الراكب الحبل الذي قد دخل في ثقب أنفه، وربَّما يجرح أنفه أيضًا، فيتأذَّى الراكب والمركوب.

وفي المثل العربي: «**مَلكْت فأسْجِحْ**»، الإسْجَاحُ: حسن العفوِ، أي ملكت الأمر عليَّ فأحْسِنِ العفوَ عنِّي، وأصله السهولة والرفق، يُقَال: مَشْيَةٌ سُجُح أي سهلة، قَالَ أبو عبيد: يروى عن عائشة أنَّها قَالَت لعليّ رضي الله عنهما يومَ الجَمَل حين ظَهَرَ على الناس، فَدَنا من هَوْدَجها ثمَّ كَلَّمها بكلام، فأجابته: «ملَكْتَ فأسجِحْ»، أي ملكت فأحسِن، فجهَّزها عند ذلك بأحسن جهاز، وبَعَثَ معها أربعين امرأة، وقَالَ بعضهم: سبعين امرأة حتَّى قَدِمت المدينة[1].

وفي المثل قولهم «**حرَّك خشاشه**»، معناه ألحق به أذيَّة، وأصله في البعير تحرِّك خشاشه فيألم، والخشاش العود الذي يدخل في أنف البعير، فإذا كان ذلك من حديد أو صفر فهو برة والجمع برى، والبرة أيضًا الخلخال، والجمع برين، والخشاش أيضًا الرجل الشجاع الخفيف، والخشاش الصغير الرأس، كلُّ ذلك بكسر الخاء، وأمَّا الخشاش بالفتح فالنَّذل من كلِّ شيء، مثل الرخم من الطير، وما لا يصطاد منها[2]، كما تقول العرب: «هو أقلُّ من خَشاشة وأحقر (أخفُّ) من فراشة»[3].

وفي تفضيلهم الآخرين على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قالت الزَّهراء عليها السلام: «**استبدلوا والله الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل**»[4].

إذ شبَّهت السيِّدة فاطمة عليها السلام الأمَّة الإسلاميَّة بالطائر، وشبَّهت القائد أو القيادة بأجنحة الطائر؛ لأنَّ الطائر لا يستطيع أن يطير إلَّا بجناحيه، والجناح مركَّب من عشر

(١) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢٨٢.
(٢) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ٣٦٦، الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٢١١.
(٣) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ١٨٥.
(٤) الجوهريّ، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣٣، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٧٩.

ريشات كِبار، ويُقال لها (القوادم)، وتحت تلك الريشات الكبار عشر ريشات صغار، يُقال لها (الخوافي)، وعلى موضع ذَنَب الطائر ريشات يُقال لها: (الذنابا).

فالقوادم هي قوام الطيران، ولا يمكن الطيران بغير القوادم؛ لأنَّها بمنزلة المحرِّكات القويَّة في جناح الطائرة التي بإمكانها أن تُقلع، وترتفع بها عن الأرض، وتسير في الفضاء.

فالطائر إذا قُطعت قوادمه لا يستطيع الطيران بالخوافي، وهي الريشات الصغار، ولا بالذنابا؛ لأنَّ الذنابا لا تستطيع حمل جسد الطائر وإقلاعه عن الأرض؛ لعجز الذنابا وضعفها.

وفي المثل «**لَيْسَ القُدَامى كالخَوَافِي**»، القُدَامى: المتقدِّم من ريشِ الجَنَاح، والخَوَافِي: ما خَفِي خلف القُدَامى، يُضرب عند التفضيل، قَال رُؤْبة:

خلقت من جَنَاحِكَ الغُدَافِ
مِنَ القُدَامى لاَ مِنَ الخَوَافي

وقَال آخر:

لَيْسَ قُدَامى النَّسْرِ كالخَوَافي
وَلاَ تَوَالي الخَيْلِ كالهَوَادِي

توالي الخيل: أعجَازُها، وهواديها: أعْنَاقُها، يجوز أن يراد بالتوالي التوابع، وبالهوادي المتقدِّمات[1]، وفي المثل: «**أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدٍ**»، أخنى: أي أهلك، ولُبَد: آخر نُسُور لقمان:

قال لبيد:

ولَقَدْ جَرَى لُبَد فأدْرَكَ رَكْضَه
رَيْبُ الزمان وكان غيرَ مُثَقَّلِ

(١) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ٢/ ٢٠٤.

لما رأى لبد النسور تطايرت

رفع القوادم كالفقير الأعزل

والعرب تزعم أنَّ النسر يعيش خمسمائة عام، ويزعمون أنَّ لقمان بن عاد عاش عمر سبعة أنسر، كلَّما مضى عمر نسر منها، أخذ فرخ نسر آخر، وأن آخرها[1].

وقيل في مثل هذا المثل: «**مالخَوَافِي كَالْقِلَبَةِ وَلَا الْخُنَّازُ كالثُّعْبَةِ**»، الخوافي سعف النخل الذي دون القلبة، وهي جمع قَلْب وقِلْب وقُلْب، وكلُّها قُلْبُ النخلة ولُبُّها، أي لاَ يكون القِشرْ كاللبِّ، وأمَّا الخُنَّاز فهو الوَزَغَة، والثُّعَبْة: أغلظ من الوَزَغَة لها عينان جاحظتان خضراوان تلسع، وربَّما قتلت، والمثل يُضرَب في الأمر بعضُه أسهَلُ من بعضٍ، والأوَّل في تفضيل الشيء بعضِه على بعضٍ[2].

ونحوه قول بشَّار:

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة

فإنَّ الخوافي قوَّة للقوادم[3]

وعن الفتنة وقد لقحت في الأمة الإسلاميَّة، واستمكنت منها، وفي طريقها إلى التوسُّع والانتشار، وانتظروا نتائجها المخيِّبة للإسلام والمسلمين، قالت الزَّهراء عليها السلام: «**أما لعمري! لقد لقحتْ فنظرة ريثما تنتج ثمَّ احتلبوا ملء العقب دمًا عبيطًا وذعافًا**»[4]

وهي تنظر إلى ذلك المجتمع وسوء اختيار الأمَّة للقيادة غير الصالحة، فتنكشف لها العواقب السيِّئة التي يؤول إليها أمر الأمَّة الإسلاميَّة ببركات تلك القيادة، تقول:

(١) البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ١/ ٤٦٢، الميداني، مجمع الامثال، ٢/ ٢٠٤
(٢) البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ٢/ ٣١٣، الميداني، مجمع الامثال، ٢/ ٢٨٢
(٣) ابو هلال العسكري، جمهرة الامثال، ١/ ٣١٣
(٤) الجوهري، السقيفة وفدك: ١٢٠، ابن طيفور، بلاغات النساء: ١٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٣٣، العاملي، الانتصار، ٧/ ٣٧٩

«**ثمَّ احتلبوا ملء القعب دمًا عبيطًا**»، وفي نسخة: «**طلاع القعب**»[1]، أي القدح الكبير الضخم الذي يتفايض بالدَّم حتَّى يسيل منه، والمقصود كثرة الدماء التي تُراق.

واستخدمت في هذا المقطع مجموعة من المفردات والأمثال مستوحاة من المثل والشعر العربي:

ففي حرب البسوس بين بكر وتغلب ابنَي وائل، اعتزلها الحارث بن عبَّاد بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة. ولـمَّا بلغ الحارث بن عباد مقتل بجير، قال: نعم القتيل قتيل أصلح الله به بين بني وائل وباء بكليب! فقيل له: إنَّ مهلهلًا لـمَّا قتله قال له: بُؤ بِشِسعِ نعل كليب! فعند ذلك غضب الحارث، وقال: الأمور مخلوجة وليست بسلكى، وقال:

قرِّبا مربط النعامةِ مني
لقحت حربُ وائلٍ عن حيالِ
قرِّبا مربط النعامة مني
إنّ بيع الكرام بالشسعِ غالِ
لم أكن من جناتها علم الله
وإني بجمرها اليوم صالِ

فقاتلهم وأسر مهلهلًا والحارث بن عباد ما يعرفه، فقال: والله لتدلَّني على مهلهل أو لأضربنَّ عنقك، فقال له: فإذا دللتك عليه فأنا آمن. قال: نعم، فتوثق منه ثمَّ قال: أنا مهلهل. فقال: أولى لك وخلَّاه، وقال

لهف نفسي على عدي وقد أشعر
للحرب واحتوته اليدان

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ٢٠، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٦٤، العامليّ، الانتصار: ٧/ ٣٨٠.

فـــارس يـــضرب الـكـتـيـبـة بـالـسـيـف

وتـــســـمـــو امـــامـــه الـعـيـنـان

لـيـت شـعـري هـل أظـفـرن بـأخـرى

مـثـلـهـا مـــــرة بـــغـــير أمـــان

وكانت الحرب بينهم أربعين سنة حتَّى قُتل جسَّاس وأخوه همَّام بن مرَّة، قتله ناشرة، وكان غلامًا منبوذًا يُذكَر أنَّه من بني تغلب، فالتقطه همَّام، فلمَّا التقوا يوم القصيبات، جعل همَّام يقاتل، فإذا عطش جاء إلى قربة يشرب منها ويضع عنزته، فوجد ناشرة منه غفلة فشدَّ عليه بالعنزة فقتله[1].

وقيل في المثل: «**هَلْ تُنْتَجُ النَّاقَةُ إلَّا لَمنْ لَقِحَتْ لَهُ**»، يُقَال: نُتِجَتِ الناقةُ- على ما لم يَسَمَّ فاعله- وأنتَجَتُها أنا إذا أعنتها على ذلك، والناتج للنوق كالقابلة للإنسان، ولَقِحَتْ تَلْقَحُ لقحًا ولِقَاحًا، والناقة لَاقح ولَقُوح. ومعنى المثل: هل يكون الولد إلَّا لمن يكون له الماء؟ يُضرَب في التشبيه، ويروى «لما لقحت له»، أي للقاحها، أي لقبول رحمها ماء الفحلِ يشير إلى صِدْقِ الشَّبَه، و (ما) مع (لقحت) للمصدر[2].

وأصله في الإبل؛ يقال: لقحت الناقة بالكسر إذا حملت وألقحها الفحل، فهي لاقح ولقوح ولقحة بالكسر ويفتح. وجمع اللاقح لواقح ويجمع اللقوح لقح، وجمع اللقحة لقح، كقربة وقرب ولقح. وثمَّ ضربوها مثلًا للحرب إذا عظمت واشتدَّت تشبيها لها بالناقة إذا جملت فعظم بطنها. قالت الفارغة بنت طريف:

ولم تـسـع يـوم الحـرب والحـرب لاقـح

وسـمـر الـقـنـا يـنـكـزنـهـا بـأنـوف

(١) أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال: ١/ ١٣٣، الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٣٧٤، الضبِّيّ، أمثال العرب: ١٣٢

(٢) الميدانيّ، مجمع الأمثال: ١/ ٣٨٣.

و منه قول زهير السابق: إذا لقحت حرب عوان مضرة.

وقال زهير:

إذا لقحت حرب عوان مضرة

ضروس تهر الناس أنيابها عصل[1]

وقالت الزَّهراء عليها السلام: «**فنظرة ريثما تنتج**»، وفي المثل: «**تَنْتِجُ النَّاقَةُ إلَّا لِمَا لَقِحَتْ لَهُ**»: يضرب فى مشابهة الرجل أباه[2]، وقالت: «**ثمَّ احتبلوا ملء القعب دمًا عبيطًا**»، الناقة إذا ولدت يُحلب منها اللبن، ولكن الفتنة إذا لقحت وأنتجت يُحلب منها الدم لا اللبن، أي تتكون المجازر والمذابح، فبعد أن كان الدين الإسلاميّ دين الأمن والحياة والسلام في الواقع، وإذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء، فيصبح دين الإبادة والهلاك، والدمار والفناء، وجاء في المثل «**خُذِ القَعب وَاحْلبْ أَيها العَبْدُ واعْجَل**»، وفي المثل أنَّ النجاشيّ الحارثيّ هجا بهذا الشعر بني العجلان، قال:

إِذا اللهُ عادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ
فَعَادَى بني العَجلانِ رَهْطَ ابْن مُقبل
قُبَيِّلة لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ
وَلا يظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
وَلا يَرِدُونَ الماءَ إلاَّ عَشِيَّةً
إِذا صَدَرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ
تَعافُ الكلابُ الضَّارِياتُ لُحُومَهُمْ
وَيَأْكُلْنَ مِنْ كَعْبٍ وَعَوْفٍ وَنَهْشَلِ

(١) زهر الأكم: ١/ ١٨٧.

(٢) الزمخشريّ، المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٣٩٠.

وما سُمِّي العَجْلانُ إِلَّا لِقَوْلِهم

خُذِ القَعب وَاحْلبْ أَيها العَبْدُ واعْجَل[1]

وقال: «وذعافًا ممقرًا مبيدًا هنالك يخسر المبطلون»، أي احتلبوا الدم، واحتلبوا السمَّ المرَّ المهلك، والمقصود منها الويلات والمصائب التي انصبَّت على المسلمين، أي عند ذلك يظهر خسران المبطلين، وقيل في المثل «**مُخْطِئَةٍ مِنَ الرَّامِى الذَّعَافِ**»: أى رمية غير مصيبة، والعاف المصيب المصمى من قولهم سمّ ذعاف إذا كان وحيا قال الشماخ:

ولما رأين الماء قد حال دونه

ذعاف إلى جنب الشريعة كارز[2]

وقال أبو تمّام حبيب بن أوس الطائيّ:

سقته ذعافًا غارة الدهر فيهم

وسم الليلي فوق سم الأساودِ[3]

(١) البكريّ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١/ ١٨٣.

(٢) الزمخشريّ، المستقصى في أمثال العرب: ٢/ ٩٨٠.

(٣) اليوسيّ، زهر الاكم: ١/ ٢٤.

المصادر والمراجع

المصادر الأوليَّة

* القرآن الكريم.

ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣١م).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت).

ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمَّد الشيباني (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م)،

٢. النهاية في غريب الحديث، (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود أحمد الطناحيّ، ط٤، مؤسَّسة إسماعيليان، قم المقدَّسة، ١٣٦٤هـ).

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمَّد بن عبد الكريم الموصلِّيّ (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٨م).

٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٩٩٥).

الإربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).

٤. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، (ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥).

الأزرقيّ، أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م).

٥. أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق: عليّ عمر، مكتبة الثقافة الدينيَّة، القاهرة، ٢٠٠٩).

الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمَّد بن أحمد القرشيّ (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).

٦. الأغاني، تحقيق: قصي الحسين، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢).

البخاريّ، أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٧. صحيح البخاريّ، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

البغداديّ، عبد القادر بن عمر(١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م).

٨. خزانة الأدب ولبّ لسان العرب، (تحقيق: محمَّد نبيل طريفي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨).

البكريّ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ (ت ٤٨٧هـ/ ١١٠٩م).

٩. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، (تحقيق وتقديم: إحسان عبَّاس، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١).

البلاذريّ، أحمد بن يحي بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٩٩٠م).

١٠. أنساب الأشراف، (تحقيق: محمَّد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩).

البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين عليّ الخسروجرديّ (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

١١. معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمَّد بن أدريس الشافعيّ، (تحقيق: سيِّد كسروي حسن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ت).

الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

١٢. الصِّحاح، (رتَّبه وصحَّحه: ابراهيم شمس الدين، دار الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢).

الجوهريّ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ البصريّ البغداديّ (ت ٣٢٣هـ).

١٣. السقيفة وفدك، (تحقيق: الشيخ محمَّد هادي الأمينيّ، ط٢، شركة الكتبيّ، بيروت، ١٩٩٣).

ابن حبيب، أبو جعفر محمَّد بن حبيب بن أميَّة بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م).

١٤. المحبر، برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكريّ، (اعتننت بتصحيحه: ايلزه ليختن شتيتر، منشورات المكتب التجاريّ، بيروت، ١٩٤٢).

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمَّد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م).

١٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، (ط٢، دار المعرفة، بيروت، ب.ت).

ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنيّ المعتزليّ (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

١٦. شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربيّ، بغداد، ٢٠٠٥).

أبو حنيفة الدينيوريّ، أحمد بن داوود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

١٧. الأخبار الطِّوال، (قدَّم له ووثَّق نصوصه ووضع حواشيه: عصام محمَّد الحاج عليّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠١).

ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبيّ (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).

١٨. صورة الأرض، (دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٣٨).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد الحضرميّ (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

١٩. تاريخ ابن خلدون المسمَّى بكتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٦).

أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

٢٠. سنن أبي داوود، (تحقيق: سعيد محمَّد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠).

الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم حسين بن محمَّد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٥٨م).

٢١. المفردات في غريب القرآن، (ط١، الناشر: دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤).

الزبيديّ، السيِّد مرتضى الحسينيّ (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

٢٢. تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤).

الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمَّد بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

٢٣. أساس البلاغة، (تحقيق: محمَّد باسل عيون الورد، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨م).

٢٤. المستقصي في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلميَّة، (بيروت، ١٩٨٧).

ابن سلَّام، أبو عبيد القاسم بن سلَّام الهرويّ (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م).

٢٥. كتاب الأمثال، (تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق).

ابن سعيد الأندلسيّ، (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٠٧م).

٢٦. نشوة الطرب في تاريخ جاهليَّة العرب، (تحقيق: د. نصرت عبد الرحمن، ط١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢).

السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

٢٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (تحقيق: فؤاد عليّ منصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨).

الشهرستانيّ، أبي الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٩هـ/ ١١٧١م).

٢٨. الملل والنحل، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ٢٠٠٦).

الشوكانيّ، محمَّد بن عليّ بن محمَّد (ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م).

٢٩. نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيِّد الأخيار، (دار الجيل، بيروت، ب.ت).

الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٣٠. الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠).

الضبِّيّ، أبو العبَّاس المفضَّل بن محمَّد (ت ١٧٨هـ/ ٨٠٠م).

٣١. أمثال العرب، (تحقيق: إحسان عبَّاس، ط٣، دار الرائد العربيّ، بيروت، ١٩٨٣).

الطبرسيّ، أبو عليّ الفضل بن الحسين (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، (تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقِّقين الأخصَّائيِّين، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٩٩٥).

الطبرسيّ، أحمد بن عليّ الطبرسيّ (ت ٦٢٠هـ).

٣٣. الاحتجاج، (دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

الطبريّ، أبو جعفر محمَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٣٤. تاريخ الرسل والملوك، (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦).

الطبريّ، محمَّد بن جرير الشيعيّ (ت ق٤).

٣٥. دلائل الإمامة، (ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٣)

الطوسي، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

٣٦. التبيان في تفسير القرآن، (تحقيق: أحمد حبيب العامليّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣٠٩هـ).

ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور (ت ٣٨٠هـ).

٣٧. بلاغات النساء، (منشورات مكتبة بصيرتي، قم).

ابن عبد ربِّه، أبو عمر أحمد بن محمَّد الأندلسيّ (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).

٣٨. العقد الفريد، (تحقيق: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٩٠).

العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥٢م).

٣٩. عمدة القارئ، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ب.ت).

الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م).

٤٠. العين، (تحقيق: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السامرَّائيّ، ط٢، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ).

القتَّال الكلابيّ، عبيد بن مجيب بن المضرحيّ (ت ٧٠هـ).

٤١. ديوان القتَّال الكلابيّ، (تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١).

ابن قتيبة، أبو عبد الله بن مسلم الدينوريّ (ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٩م).

٤٢. المعارف، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١١م).

٤٣. غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٨).

القرطبيّ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاريّ (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م).

٤٤. الجامع لأحكام القرآن، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٥).

القمّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (٣٢٩هـ/ ٩٥١م).

٤٥. تفسير القمّيّ، (تحقيق: السيّد طيّب الجزائريّ، ط٣، مؤسّسة دار الكتاب، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ).

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٦٢م).

٤٦. البداية والنهاية، (تحقيق: عليّ شيري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٨م).

٤٧. السيرة النبويَّة، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٦).

ابن الكلبيّ، أبو منذر هشام بن محمَّد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٨م).

٤٨. الأصنام، (تحقيق: أحمد زكي، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، ١٩٩٥).

٤٩. مثالب العرب والعجم، (تحقيق: محمَّد حسن الدجيلي، دار الأندلس، بيروت، ٢٠٠٩).

المجلسيّ، محمَّد باقر بن محمَّد تقي (ت ١١١١هـ/ ١٧٠٠م).

٥٠. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت).

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم الافريقيّ (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٥١. لسان العرب، (اعتنى بتصحيحها: أمين محمَّد عبد الوهاب، ومحمَّد الصادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠١٠).

الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمَّد بن إبراهيم (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م).

٥٢. مجمع الأمثال، (تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢).

النويريّ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١١٣٣م).

٥٣. نهاية الارب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ١٤٢٣هـ).

النوويّ، أبو زكريَّا محيي الدين بن يحيى بن شرف النوويّ (ت ٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م).

٥٤. شرح النوويّ على صحيح مسلم، (ط٢، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

أبو هلال العسكريّ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

٥٥. الأوائل، (وضع حواشيه: عبد الرزَّاق غالب المهدي، دار الكتب العالميَّة، بيروت، ١٩٩٧).

٥٦. جمهرة الأمثال، (تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٨).

اليوسيّ، الحسن بن مسعود بن محمَّد أبو عليّ نور الدين(ت ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م).

٥٧. الزهر الأكم في الأمثال والحكم، (تحقيق: محمَّد حجِّي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١).

المراجع الثانويَّة

الآلوسيّ، محمود شكري.

٥٨. بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، (تحقيق: محمَّد بهجت الأثريّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٣١٤هـ).

الجميليّ، رشيد عبد الله.

٥٩. تاريخ العرب في الجاهليَّة وعصر الدعوة الإسلاميَّة، (ساعدت جامعة بغداد، كليَّة الآداب في طبعه، بيروت، ١٩٧٢).

الجصَّاص، أبو بكر أحمد بن عليّ الرازي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٤م).

٦٠. أحكام القرآن، (ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤).

الحديثي، نزار عبد اللطيف.

٦١. الأمَّة والدولة في سياسة النبيّ والخلفاء الراشدين، (دار الحريَّة، بغداد، ١٩٨٧).

حسن، حسن إبراهيم.

٦٢. تاريخ الإسلام السياسيّ والدينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ، (دار الجيل، القاهرة، ٢٠٠٩).

الزركليّ، خير الدين.

٦٣. الأعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢).

زيدان، جرجي.

٦٤. تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار ومكتبة الحياة، بيروت، د.ت).

سابق، سيِّد

٦٥. فقه السنَّة، ط٨، (دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

سليم، أحمد أمين.

٦٦. معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، (مكتب كريدية إخوان، بيروت، د.ت).

ضيف، شوقي.

٦٧. طقوش، محمَّد سهيل.

٦٨. تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩).

العامليّ، عليّ الكورانيّ

٦٩. الانتصار، (ط١، دار السيرة، بيروت، ١٤٢٢هـ).

عبد الحميد، سعد زغلول

٧٠. في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار النهضة العربيَّة، بيروت، ١٩٧٦).

عبد السلام الترمانينيّ

٧١. الزواج عند العرب في الجاهليَّة والإسلام، (عالم المعرفة، ١٩٩٨).

عليّ، جواد.

٧٢. المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٢، ساعدت على نشره جامعة بغداد، ١٩٩٣).

عمر فروخ.

٧٣. تاريخ الأدب العربيّ، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥).

غضبان، ياسين.

٧٤. مدينة يثرب قبل الإسلام، (مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣).

ماجد، عبد المنعم.

٧٥. التاريخ السياسيّ للدولة العربيَّة عصور الجاهليَّة والنبوَّة والخلافة، (ط٧، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ١٩٨٣).

محمَّد محمود جمعة.

٧٦. النظم الاجتماعيَّة والسياسيَّة عند قدماء العرب والأمم السامية، (مكتبة الثقافة الدينيَّة، ١٩٩٩).

محمَّد توفيق أبو عليّ

٧٧. صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهليَّة في كتب الأمثال العربيَّة، (ط٣، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م).

محمَّد جمال عطيَّة

٧٨. النظم الاجتماعيَّة، (بيروت، ١٩٧٨).

الملَّاح، هاشم يحيى.

٧٩. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٨).

الرسائل الجامعيَّة

زيدان، سلامة عبد السلام.

٨٠. نظام الزواج عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة، رسالة ماجستير غير منشورة، كليَّة التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤).

يوسف سليمان الطروانة.

٨١. الزواج والطلاق في صدر الإسلام، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب، جامعة الموصل.

الدوريَّات

جابر، عادل شابث.

٨٢. أتباع الديانة الحنفيَّة، مجلَّة كليَّة الآداب، جامعة بغداد، العدد ٨٢، بغداد، ٢٠٠٨.

عليّ سلمان العبيديّ.

٨٣. نظم الزواج القديم جذورها وآثارها، مجلَّة المناهل، العدد ٢٤، الرباط، ١٩٨٢.

الأبعاد الأخلاقيَّة لخطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام

أ.د. محمَّد حسين السويطي
جامعة واسط/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة
أ.د.حمديَّة صالح الجبوريّ
جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية

ملخَّص البحث

تزعمَّت الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام حركة العقلانيَّة الأخلاقيَّة بصورة عامَّة مُطلقة؛ لتبيان الأحكام الشرعيَّة وإحقاق الحقِّ، ورغم دعوتها للسلام التي تؤكِّد على الجانب الإنسانيّ، وتحرِّض على الانصياع للمثل العليا، والتفاني من أجل المبادئ الرساليَّة، فإنَّ موهبتها الفذَّة على تفنيد الإيديولوجيَّات العدوانيَّة والمرتدَّة، تمثل منهجيَّة علميَّة بارعة.

أنَّ دراسة شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام تمتدُّ إلى مجالات ذات أبعاد كثيرة ومتعدِّدة، لكن المطروح من الدراسات الجادَّة المتضمِّنة على الدقَّة وعدم التحيُّز قليلة، وربَّما نادرة، وهذه العقدة المكبوتة في تاريخ الإسلام أثَّرت في حياة الأمَّة مُذ دبَّت ودرجت، فأضعفت هيكل الإسلام، وأوهنت روح الإيمان، وأحرجت الدعاة في سوح الصراع الحضاريّ القائم.

يطمح الباحثان من خلال التحاور بينهما لتقديم محاولة جادَّة تتناول فترة سياسيَّة حرِجة في حياة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، مع الحرص جهد الممكن

على روح التجرُّد العلميّ، وتجنُّب الإرهاصات العاطفيَّة التي يحدوها الجهل إلى متاهات اللاإنسانية.

مشكلة البحث

ربَّما من الخطأ الفادح أن نحاكم التاريخ؛ لنحمل العداء لشخصيَّاته، ولكن من جانب تصحيح بعض المفاهيم يكون ضروري لسلامة واستمرار النمو السويّ لكيان العقيدة، والمحافظة على تجديد قدرتها الفاعلة في المجتمع؛ لأنَّ صحة الحضارة ترتبط باطراد التوسُّع الثقافي الذي يحقِّق المصالح والأهـداف المشتركة للأمَّة، مع وجود المعادلات الاتِّجاهيَّة التي تحقِّق التوازن الإيجابيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: السيِّدة الزَّهراء عليها السلام، الخطب، الرسالة، الحجاب الشرعيّ.

المقدِّمة

لعلَّ النظرة إلى المرأة من منظار الجاهليَّتَين؛ الأولى والحديثة، قد تكون واحدةً، وهي نظرة التشاؤم والاستبداد، إلَّا أنَّهما تختلفان في أسلوب التعامل معها.

فالجاهليَّة الأولى كانت تدفع بالرجل للتخلُّص من المرأة؛ باعتبارها نذير شؤم له، فكانت المرأة تتعرَّض للوأد أو التشريد أو الحرمان أو الاستعباد. أمَّا الجاهليَّة الثانية المعاصرة، فهي تتعامل مع المرأة على أنَّها مجرَّد دمية ووسيلة ترفيه، وكأنَّها خُلِقت دونما كرامة واحترام وشخصيَّة.

فهي إذًا كانت في الجاهليَّة الأولى تُستَعبَد في خدمة الرجل، فهي اليوم لا همَّ لها إلَّا الاهتمام بمنظرها وزينتها، وكلُّ ذلك يصبُّ في مصلحة الرجل بصورة أنانيَّة مباشرة أيضًا. فهي حسب الجاهليَّة الثانية ليست إلَّا سلعة عامَّة تجتذب الرجال عن طريق عرض المفاتن، وبين هذا وذاك، أضحت دون كرامة أو إنسانيَّة؛ فإمَّا تراها في حالة إشباع الغرائز الرخيصة، وإمَّا تراها في حالة الانتقام الوحشيّ من ذلك الاستغلال البشع.

ولكنَّنا نرى الزَّهراء سلام الله عليها تُجيب عن التساؤل عمَّا هو خير للمرأة، فتقول: «**خير لهنَّ أن لا يرين الرجال ولا يرونهنَّ**»، أي إنَّ على المرأة أن تصون كرامتها وعزَّتها بما استطاعت من العفاف.

لا شكَّ في أنَّ أعظم دورٍ وأفضل نشاط تقوم به المرأة، بحيث ينسجم وطبيعتها التكوينيَّة والنفسيَّة، هو ما تؤدّيه في محيط بيتها وأسرتها.

وليس بخافٍ على أحد من المسلمين أنَّ فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها كانت الرمز الأوضح في النبل والعفَّة والطهارة، حتَّى أنَّها استطاعت عبر ذلك إنجاب ذريَّة كالإمامَين الحسن والحسين وزينب عليهم السلام، وكفاها بذلك فخرًا، وكفاهم بأمِّهم فخرًا، حيث حُفِظ الإسلام بوجود وجهود هذا البيت الطاهر.

أهميَّة البحث

تبرز أهميَّة البحث من خلال الكشف عن جانب من الواقع الفكريّ عند أحد أركان الدعوة الإسلاميَّة، وهي بضعة الرسول الأكرم محمَّد، كونها أحد الأثقال المهمَّة والمؤثِّرة في كيان الحضارة الإنسانيَّة، وأيضًا أوَّل صنَّاع الفلسفة العمليَّة في الإسلام، وهنا سينهل البحث من خطبة الزَّهراء المعروفة بالخطبة الفدكيَّة، والقصد من ذلك التوسُّع في فهم تلك الخطبة شرط أن يتخطَّى ذلك الفهم المذهبيَّات المغلقة إلى الحريَّة الجدليَّة، لا إلى ترويج الإثنيَّة أو الطائفيَّة أو الهرطقة أو التحريف، سواء السلفيَّة منها أو المبتدَعة من الفلسفات المستوردة، فكلُّها طروحات ساذجة متمركزة حول الذات، لا تقوى على فهم أخلاقيَّة التوحيد، وإنَّما تضغط اللاهوت المبتدع بالناسوت المصطنع؛ لتعتصر منها دبق الأنانيَّة.

مدخل البحث

كان الإسلام عودة للإبراهيميَّة الحنيفة، وتصحيحًا لمسارها، وتعميمًا لمفهوم التوحيد، فهو عمليَّة تعلُّم اجتماعيّ أشبه بعمليَّة التنشئة الاجتماعيَّة التي تؤدِّي فيها اللغة دورًا جوهريًّا.

مدخل

لقد أعاد الإسلام صياغة القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعيَّة وانتشارها من داخل المدينة المنوَّرة إلى المجتمعات الأخرى، ممَّا عرَّض الثقافات القديمة لعمليَّة التبدُّل التي تجعلها منسجمة ومنصاعة لظروف وأحوال المجتمع الناشئ، وهو ما سبَّب الصراع الحضاريّ بين القيم القديمة والقيم الجديدة، وخلق تراتيب طبقيَّة أخرى مع ما لسرعة التغيُّرات من تأثيرٍ نفسيّ- بداية الهجرة.

لقد كان السلوك العقليّ لجماعة المؤمنين مؤثِّرًا في التفاعل الاجتماعيّ، ولكنَّهم كانوا أقليَّة تحمَّلت مهمَّة تحوير المجتمع، والتصدِّي للمشاكل الناتجة عن هذه العمليَّة- بعد معركة أُحد. وفي مثل هذه الظروف سيقع بعض أفراد المسيرة تحت طائلة الاغتراب، فيشعر بأنَّه غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعيّ الذي يتفاعل معه، وأنَّه لو أراد تحقيق أهدافه، فإنَّه يجب عليه عدم التصرُّف بموجب المقاييس المتعارَف عليها اجتماعيًّا وأخلاقيًّا، وهذه الحالة السايكو-اجتماعيَّة يساعد عليها شراسة الصراع، حيث المؤثِّرات العنيفة تدفع إلى الميل نحو تقييم الأشياء بطريقة متميِّزة تجعل الفرد مستعدًّا للاستجابة لتلك المؤثِّرات بطريقة معيَّنة- بعد فتح مكَّة.

وأحيانا تخلق تلك الظروف كُتلًا متحزِّبة تحاول أن تفرض آراءها في صنع الحلول، ولا يمكنها ذلك إلَّا بوجود الدعم المادِّي، فتنشأ التحالفات الطبقيَّة، وتسعى في الصراع على السلطة بامتداد الزعزعة في مؤسَّسات وقطاعات المجتمع- بعد وفاه الرسول. من ناحية أخرى، فإنَّ عدم الانسجام الكامل بين الجماعات حول المعتقدات

والأفكار والأخلاق والأهداف والأدوار الاجتماعيَّة يجعل النظام غير مستقر؛ لأنَّه يؤثِّر سلبًا بشرعيَّة القيادة المركزيَّة، والأدوار الاجتماعيَّة، وطريقة الوصول إلى المراكز القياديَّة الحسَّاسة للنظام المركزيّ، وتنعكس على الواجبات والمكافآت والأحكام العامَّة والأوامر الخاصَّة التي تصدرها القيادة- الخلافة الثانية. هناك يضطرُّ الحاكم، للحفاظ على السلطة، إلى ممارسة الدكتاتوريَّة المتَّسمة بالالتزام الشديد بالتقاليد، وفرض العقاب الصارم لمن يتحدَّى السلطة، والتصلُّب في الأفكار، وانتشار أفكار الأسطورة والميول إلى التقسيمات العرقيَّة والطبقيَّة، ونشوء أوهام المؤامرة التي تؤدِّي إلى إعلان الحرب في الداخل والخارج، وذلك ما يلائم النمو السريع للمجتمع، مع عدم القدرة على إيجاد الحلول الصحيحة للمشاكل- الخلافة الثالثة.

خطبة الزَّهراء

شكَّلت خطبة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع المسلمين مركز الثقل في تراثها الخطبيّ، ولعلَّ أسباب ذلك تكمن في الآتي:

١. كبر سنّها عليها السلام، ممَّا جعلها تتصدَّى بصورة أوضح للمواقف الحسَّاسة التي تمسُّ الإسلام وبناء دولته.
٢. التكليف الشرعيّ المناط بها، بحكم البلوغ، في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٣. وفاة أبيها الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله الذي كانت تكتفي وتلوذ به عند الملمَّات والخطوب.
٤. الشبهة التي اعترت بعض المسلمين فيما يخصُّ موضوع خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، ممَّا أدَّى بها إلى تدخُّلها بالجهر؛ لتوصيل الحكم الشرعيّ الصحيح لهذه المسالة المهمَّة والحسَّاسة.

ولهذه الأسباب كلّها جاءت خطبتها المشهورة في المسجد النبويّ[١]، وفي دارها يوم عادها نساء المسلمين في مرضها الذي به توفيت به[٢]، بعد وفاة أبيها الرسول

(١) ينظر: صحيح البخاريّ، كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص٢٢٠.

(٢) روى هذه الخطبة: «ابن أبي طيفور في بلاغات النساء: ١٩، والشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤/ ١، والشيخ الطوسيّ في أماليه: ٣٧٤/ ٨٠٤، والطبريّ في الدلائل: ١٢٥/ ٣٧، والأربلِّيّ في كشف الغمَّة: ١/ ٤٩٢، والطبرسيّ في الاحتجاج: ١/ ١٠٨، وابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٦/ ٢٣٣، والعلَّامة المجلسيّ في البحار: ٤٣/ ١٥٨-١٥٩.

الاكرم صلى الله عليه وآله، ويمكن أن نتلمّس أبرز أُسس خطبتها عليها السلام مع المسلمين، من خلال ما وصلنا من روايات تطرّقت إلى هذا الجانب.

ففي رواية أنَّ «عبد الله بن الحسن عليه السلام بإسنادِه عن آبائه عليهم السلام، أنَّه لَـمَّا أَجْمَعَ أبو بكر عَلى مَنْعِ فاطمة عليها السلام فَدَكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُـمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله صلى الله عليه وآله، حَتَّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر، وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وغَيْرِهِمْ، فَنيطَتْ دونَها مُلَاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ، فَارْتَجَّ الْـمَجلِسُ، ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه، والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ..»[1].

ومن هذا الجزء من خطبتها عليها السلام نستشفُّ في جانب الخطبة الآتي:

١. على الرغم من اختلاطها عليها السلام بالرجال، إلَّا أنَّها حافظت على أركان الحجاب الشرعيّ كاملًا، وهي بذلك عملت موازنة دقيقة ومهمَّة بين التكليف الشرعيّ في جانِبَي الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وبين الالتزام بالحجاب الشرعيّ للمرأة، من خلال وضع الخمار على وجهها ورأسها.

٢. بادرت عليها السلام بالخطية، ولم يدعُها إليها أحد، أي إنَّها كانت مؤثِّرة، ولم تكن متأثِّرة، بمعنى آخر أنَّها كانت بموقف الفعل، وليس ردُّ الفعل.

٣. استخدمت عليها السلام أسلوب الترقُّب والعاطفة من خلال صمتها لوهلة، والمسلمون ينتظرون ما تقول، ممَّا جعلتهم في مدَّة زمنيَّة يستبطنوا ذاتهم ويفكِّروا أنَّهم بمحضر الابن الوحيد لرسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، ممَّا أدَّى إلى انخراطهم في بكاء شديد، وهذا من مستلزمات الخطيب الناجح، وهي التأثير

(١) ينظر: أخرجه البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤، ص١٧٥، رقم: (٣٤٧٧).

عاطفيًا في الشخص الذي يتم الخطبة معه.

٤. بدأت عليها السلام بحمد الله والثناء عليه، وهذا أبلغ دليل على حسن أدب الخطبة من خلال تذكير الناس بالمنعم الأوَّل عليهم.

وبعد أن أمْسَك القوم عادَتْ عليها السلام لإكمال خطبتها فقَالَتْ عليها السلام: «**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنَّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها**»[1].

ومن هذا الجزء من خطبتها عليها السلام نلحظ أنَّها أكثرت في شكر الخالق جلَّ وعلا، كي تذكِّر الناس أنَّ كل ما عندهم هو منه، حتَّى لا يغترُّ شخص بما حصل عليه.

واستمرَّت عليها السلام بخطبتها قائلة: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلَّا تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ**»[2].

وهنا أظهرت عليها السلام أبرز أركان الربوبيَّة، وهو التوحيد في أبرز صوره وأدلَّته العقليَّة التي ساقتها في الخطبة، ولعلَّ في ذلك إشارة إلى المسلمين أن لا يعتريهم الشِّرك الخفيّ

(١) ينظر: أخرجه البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤، ص١٧٥، رقم: (٣٤٧٧).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

من حبِّ الدنيا وعروضها الزائلة، وهم لا يعرفون، من خلال اختلاط أعراض الدنيا الزائلة مع صدق العقيدة التي يجب أن يتحلَّى بها المسلم، ممثَّلة بتوحيد الله جلَّ وعلا.

ثمَّ التفتت عليها السلام إلى القوم وقالت: «**انْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ لله فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النَّاطِقُ، والقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ**»[1].

وهنا ذكرتهم عليها السلام بالمهمة الكبرى التي تنتظرهم، وهي حمل الرسالة الإسلاميَّة إلى بقاع الأرض كافَّة، وهي بذلك تنبِّههم إلى أنَّ هدفهم الرئيس في الحياة هو ما ينبغي الاهتمام به، فهي بذلك حاولت تنبيههم إلى أنَّهم تركوه وانشغلوا بأمورٍ أدنى منه.

واستمرَّت عليها السلام في الخطبة بقولها: «**أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطمة عليها السلام، وَأبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطًا: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيم، فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأَكْظامِهِمْ، داعِيًا إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ،**

(١) ينظر: أخرجه البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤، ص١٧٥، رقم: (٣٤٧٧).

وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطاحَ وَشِيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيضِ الْخِماصِ»[1].

وهنا استخدمت عليها السلام الأسلوب العقليّ والمنطقيّ: «إلزموهم بما ألزموا به أنفسهم»، فبما أنَّهم عرب، والعرب حريصون على الأنساب، متفاخرون بها، فقد ذكرت نسبها إلى الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، علمًا أنَّها لم تكن تقصده بشكله المعروف، بل استهدفت نسبها العمليّ والعقديّ في أنَّها أقرب الناس إلى صاحب الرسالة هي وزوجها، وفي ذلك خطبة بالتلميح دون التصريح لمن يدَّعي أنَّه أحقُّ بخلافة الرسول صلى الله عليه وآله منه، وقد أشارت في هذه الفقرة إلى الأدب القرآنيّ في الخطية، وهي بذلك ألزمت نفسها الشريفة به من خلال قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

ثمَّ أكملت (سلام الله عليها) خطبتها بقولها: «**كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾[3]، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللُّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾[4]، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ سَيِّدَ أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا وَأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ**

(١) أخرجه البخاريّ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤، ص١٧٥، رقم: (٣٤٧٧).
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) الانفال: ٢٦.
(٤) المائدة: ٦٤.

آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ»[1].

وفي هذا النصِّ من الخطبة ركَّزت عليها السلام على جوانب معيَّنة في خطيها، هي:

١. ذكَّرت المسلمين بواقعهم المزري قبل البعثة النبويَّة، وكيف كانوا يعيشون ظروفًا أقلُّ ما يقال إنَّها صعبة على مختلف الأصعدة، معنويَّة كانت أم ماديَّة.

٢. نبَّهتم أنَّ سبب ما هم فيه هو لطف الله تعالى بإرساله الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله الذي أنقذهم ممَّا هم فيه.

٣. تذكيرهم بالمواجهة الشرسة التي دخل بها المشركون معهم، وأنَّ زوجها الإمام عليّ عليه السلام كان سببًا رئيسًا في إزاحة الظروف القاسية التي رافقت مواجهة المسلمين للمشركين.

واستمرَّت عليها السلام بالخطبة فقالت: «**فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ،**

(١) رويت خطبة الزَّهراء في المسجد النبويّ بعد وفاة الرسول بأكثر من طريق، فممَّن روى هذه الخطبة من العامَّة: عبد الحميد ابن أبي الحديد المتوفَّى سنة ٦٥٦هـ في كتابه (شرح نهج البلاغة): ١٦/ ٢١١-٢١٣، ٢٤٩، ٢٥٢. ورواها أبو بكر الجوهريّ المتوفَّى سنة ٣٢٣هـ في كتابة (السقيفة وفدك) بعدَّة طرق. ورواها ابن طيفور المتوفَّى سنة ٢٨٠هـ في كتابه (بلاغات النساء) بعدَّة طرق. ورواها ابن الأثير المتوفَّى سنة ٦٠٦هـ في كتابه (منال الطالب في شرح طوائل الراغب): ٥٠١-٥٠٧. ورواها الخوارزميّ المتوفَّى سنة ٥٦٨هـ عن الحافظ ابن مردويه في (مقتل الحسين): ١/ ٧٧. ورواها الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه (أعلام النساء): ٣/ ١٢٠٨، عن طريق صاحب بلاغات النساء.

هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرْ، ابْتِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾»[1]

وهنا نلحظ أنَّها عليها السلام تنقَّلت في خطبتها من اللين إلى الشدَّة، إذ ذكَّرت المسلمين أنَّه بعد وفاة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله ظهرت الأطماع وبوادر الشقاق بين المسلمين، وأنَّهم وقعوا ضحيَّة رغبات شخصيَّة، فضلًا عن غواية الشيطان لهم، بل إنَّها (صلوات الله عليها) ألمحت إلى وجود قسم من المسلمين قد أصابهم داء النفاق المقيت، بقولها: «**ظهرت فيكم حَسِيكة النِّفاق**».

ثمَّ انتقلت عليها السلام إلى جانب التقرير، وإصدار الأحكام في خطبتها مع المسلمين، إذ قالت: «**فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ الله بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾**[2]، **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾**[3]. **ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفاءِ أَنْوارِالدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا**»[4].

وبعد كلِّ هذا، أقدمت عليها السلام بخطبتها المستندة إلى القرآن الكريم والأدلَّة البيانيَّة والعقليَّة، إلى الصراحة في طرح الأمور، فقالت: «**وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ أَلَّا إِرْثَ لَنا،**

(١) التوبة: ٤٩.
(٢) الكهف: ٥٠.
(٣) ال عمران: ٨٥.
(٤) ينظر: كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، الأربلِّيّ: ٢/ ٩٠.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١)، أفلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ أَأُغْلَبُ عَلى إِرْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولَا أرِثَ أبي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾(٢)، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾(٣)، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام إِذْ قالَ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(٤)، وَقالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(٥)، وَقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾(٦)، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(٧)، وزَعَمْتُمْ أَلَّا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أبي، ولارَحِمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أبي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يخسَرُ المبطلون، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ(٨)، ولكلِّ نبأ مستقر، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(٩).

(١) المائدة: ٥٠.
(٢) مريم: ٢٧.
(٣) النمل: ١٦.
(٤) مريم: ٦.
(٥) الانفال: ٧٥.
(٦) النساء: ١١.
(٧) البقرة: ١٨٠.
(٨) ينظر: روى هذه الخطبة: ابن أبي طيفور في بلاغات النساء: ١٩. والشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤/ ١. والشيخ الطوسيّ في أماليه: ٣٧٤/ ٨٠٤. والطبريّ في الدلائل: ١٢٥/ ٣٧. والأربلِّيّ في كشف الغمَّة: ١/ ٤٩٢. والطبرسيّ في الاحتجاج: ١/ ١٠٨. وابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٦/ ٢٣٣، والعلَّامة المجلسيّ في البحار: ٤٣/ ١٥٨-١٥٩.
(٩) هود: ٣٩.

وفي هذا النصِّ من خطبتها عليها السلام، برزت جوانب جديدة، هي:

١. ذكَّرت المسلمين أنهم لا يمكنهم التصرف دون الرجوع إلى القران الكريم، لأنه ضم أحكام كل حادثة، بشرط ان يكون هناك من هو مؤهل لتفسير آياته ومظهرًا لأحكامه.

٢. استخدمت الآيات القرآنيَّة في الردِّ على من احتجَّ بخلاف ما تقول، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّها مِن الذين جعلهم الله تعالى عدلًا للقرآن وعالمين بتأويله.

٣. بيان المشكلة والسبب الذي دفع المسلمين إلى حالة التقاطع مع أهل البيت، وإنكارهم حقِّهم حتَّى وصل الأمر إلى حدِّ المجابهة القاتلة بقولها: «**وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا**».

٤. حاورت عليها السلام من احتجَّ بالسنَّة النبويَّة في منعها إرثها من أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله بالقرآن نفسه، وفي ذلك أبلغ أساليب الخطبة من خلال الانطلاق من أرضيَّة مشتركة في الخطبة بين الطَّرفَين المتحاورَين، وهذا حتمًا سيؤدِّي- في حالة كون

٥. الشخص غير متعنِّت- إلى إقناع أحد الطَّرفَين بالحجَّة الدامغة.

كما استخدمت عليها السلام في خطبتها أسلوب التصنيف بين فئات المسلمين، ومثل هذا سمة ذكيَّة للخطبة البنَّاء والفاعلة، فالمعروف أنَّ الشخص كلَّما ازدادت معرفته بمن يحاور ازدادت فرص إقناعه للآخر الذي يحاوره، لذا صنَّفت عليها السلام المسلمين المتواجدين في المجلس بين مهاجرين وأنصار، فكان أسلوب خطبتها مع المهاجرين يختلف عن الأنصار، وهو ما يتَّضح من الجزء التالي من خطبتها، ونصُّه: «**يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أَمَا كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: «اَلْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ» ؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إهالَةً، وَلَكُمْ**

طاقَةٌ بِها أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ! اتقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله؟! فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَماتِهِ. فَتِلْكِ وَاللهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرى، وَالْمُصيبَةُ الْعُظْمى، لا مِثْلُها نازِلَةٌ وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ- جَلَّ ثَناؤُهُ- فِي أَفْنِيَتِكُمْ وَمُمْسَاكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافًا وَصُراخًا وَتِلاوَةً وَإِلحانًا، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ[1]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

وهنا صار حديثها عليها السلام عاطفيًا مؤثرًا، لأنَّ الأنصار ينفع معهم هذا الأسلوب، بحكم علاقتهم بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنَّهم ساندوه وأيَّدوه عاطفيًّا وعقلًا، ووفروا له الحماية والنصرة في وقت تعرَّضوا في سبيل ذلك إلى مصاعب جمَّة، ولو لم يكن إيمانهم فيه جزء عاطفيّ كبير، لما قاتلوا قريش، مع ما تمثِّله من ثقل اجتماعيّ وديني واقتصاديّ كبير.

واستمرَّت الزَّهراء عليها السلام في خطبتها مع الأنصار، فقالت لهم: «أَيْهًا بَنِي قَيْلَةَ! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، وَالنُّجَبَةُ الَّتي انْتُجِبَتْ، وَالْخِيَرَةُ الَّتِي اخْتيرَتْ! قاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَناطَحْتُمُ الأُمَمَ، وَكافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلا نَبْرَحُ أو تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتَمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنا رَحَى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ،

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهر آشوب المازندرانيّ: ٣/ ٣٤١، مؤسَّسة انتشارات علامة، قم، ١٣٧٩ق.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأتْ دَعْوَةُ الْـهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟ أَلَا تُقاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَاؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين أَلا قَدْ أرى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْـخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1]، أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْـخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْـحُجَّة»[2].

ونلحظ هنا بروز الأسس الآتية من خطبتها:

١. ذكرت (سلام الله عليها) الأنصار بفعلهم المشرِّف بنصرتهم للنبيّ محمَّدﷺ وإيوائه بعد أن ضاق به أهله وعشيرته.

٢. عتبها عليهم في موافقتهم لمن منعها أرثها من أبيها النبيّ محمَّدﷺ، والمعروف أنَّ العتب هو أوَّل درجات الخطبة القاسي، إذ يأتي بعده الحساب ثمَّ العقاب.

٣. تنبيههم لأمرٍ مهمٍّ غاب عنهم في وقع ذهولهم بوفاة الرسول محمَّدﷺ أنَّ الرسول ليس شخصًا، إنَّما منهاج يتَّبع، لذا فإنَّ موته المادِّيّ لا يعني موته المعنويّ والتنكُّب عن سيرته ومنهاجه.

٤. ذكَّرت الأنصار بأسلوب عاطفيّ أنَّها ابنة من نصروه وآزروه في ظروف صعبة وقاسية، فكيف بهم وهم ينكثون بابنته، مع أنَّ الظروف الآن تعدُّ جيِّدة نسبيًّا

(١) إبراهيم: ٨.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالبعليهم السلام، ابن شهر آشوب المازندرانيّ: ٣/ ٣٤١، مؤسَّسة انتشارات علامة، قم، ١٣٧٩ق.

مقارنةً بالظروف المحيطة بنصرة الرسول محمّدصلى الله عليه وآله، من قبيل النصر على الكفّار والمشركين، وهي بذلك لامست فيهم وتر حماية الجار، والذّبّ عن الدخيل، لاسيما إذا تعلّق الأمر بالمرأة، مع أنّ مكانها عالي وسامي، وهي تُجير وتشفع، لكنّها تعاملت بواقعيّة شديدة مع مَن تحاوره، إذ جسّدت بواقعيّتها هذه حديث أبيهاصلى الله عليه وآله: «**إنّا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»(١).

وفي نهاية المطاف من الخطبة، قرّرت عليها السلام النتيجة النهائيّة لها من خلال قولها: «**فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبَعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾**(٢)، **وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ، فَاعْمَلُوا ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾**(٣).

ونلحظ هنا الملامح الآتية من أدب الخطبة:

١. أثبتت أنّها ليست حريصة على وراثة النبيّصلى الله عليه وآله ماديًّا، بل إنّ الأمر أكبر من ذلك، فهي وزوجها ورَثَتهُ المعنويّين الحقيقيّين، وقد برهنت على ذلك من خلال تركها الإرث الماديّ لهم، وإعراضها عنه.

٢. نبّهتهم أنّ ما أخذوه من إرث مادّيّ سيأخذونه مصحوبًا بكلّ ما هو غير طيّب ومحبّذ؛ لأنّه قد أُخِذ غصبًا دون رضا، وفي ذلك تجسيدٌ لحديث النبيّصلى الله عليه وآله: «**لا يحلُّ مال امرئ مسلم إلّا بِطيبِ نفسٍ منه**»(٤)

(١) الكليني، الكافي: ١/ ٢٣.
(٢) الشعراء: ٢٢٧
(٣) هود: ١٢١
(٤) سنن الدارقطنيّ، أبو الحسن عليّ الدارقطنيّ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤: ٣/ ٢٣.

٣. أوكلت أمرها وأمرهم إلى الله تعالى، وفي ذلك تنبيه مهمٌّ لمن يباشر خطبًا أن لا يجعل النهايات سائبة في خطبه، بل يعمد إلى إنهائه بالوصول إلى نتيجة نهائيَّة، تمثلت هنا بالاحتكام وإيكال الأمر إلى الله تعالى.

٤. تمثَّلت بآيات قرآنيَّة، وفي ذلك التفاتة ذكيَّة لإلزام المسلمين بمرجعيَّة خطيَّة لا يمكن تجاوزها، هي القران الكريم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]

وهنا جاء الردُّ من القوم على ما تفضَّلت به الزَّهراء عليها السلام، إذ أجابها أبو بكر بقوله: «يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا؛ فَإِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النِّساءِ، وَأَخًا لِبَعْلِكِ دُونَ الْأَخِلَّاءِ، آثَرَهُ عَلى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله الطَّيِّبُونَ، وَالْخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ، يا خَيْرَةَ النِّساءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ، صادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ، وَوَاللهِ، ما عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً وَلا دارًا وَلا عِقارًا، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ، وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الْكُراعِ وَالسِّلاحِ يُقاتِلُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الْكُفَّارَ، وَيُجالِدُونَ الْمَرَدَةَ ثُمَّ الْفُجَّارَ، وَذلِكَ بِإِجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَنْفَرِدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهذِهِ حالي، وَمالي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لانَزْوي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرينَ

(١) فصِّلت: ٤٢.

أَنْ أُخالِفَ فِي ذلِكِ أباكِ صلى الله عليه وآله؟»[1].

ونلحظ أنَّ أبا بكر قد اعتمد في ردوده على الأمور الآتية:

١. أثبت المقام السامي للصدِّيقة الطاهرة، هي وزوجها الإمام عليّ عليهما السلام.

٢. أصرَّ على أنَّه ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّ الأنبياء لا يورِّثون عقارًا أو مالًا.

٣. احتجَّ أنَّه بفعله هذا فإنَّه يعمل وفقًا لأوامر الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله وسنَّته.

فأجابته عليها السلام بقولها: «**سُبْحانَ اللهِ! ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفًا، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اعْتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَناطِقًا فَصْلًا، يَقُولُ:** ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[2]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[3] **فَبَيَّنَ** عليه السلام **فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالمِيراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ فِي الغابِرِينَ، كَلَّا** ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[4].

ونلحظ هنا أنَّ ردَّها عليها السلام كان علميًّا دقيقًا، فقد اعتمدت على ما هو أعلى وأسمى، وعلى من لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو القران الكريم، فإذا كان احتجاجهم هو في قول الرسول صلى الله عليه وآله، فإنَّ القران هو مصدر التشريع الأساس، وهو يقرُّ مبدأ وراثة الأنبياء.

وأمام هذه الحجج البليغة والبيانات الشرعيَّة والعقليَّة الواضحة التي أوردتها فاطمة الزَّهراء عليها السلام في خطبتها، تلعثم القوم، ولم يجدوا بيِّنة أو دليلًا يستندون إليه في ردودهم، وهو ما يتبيَّن من ردِّ أبي بكر، ونصّه: «**صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛**

(١) ينظر: كشف الغمَّة، الأربلِّيّ: ٢/ ٧٧.

(٢) مريم: ٦.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) يوسف: ١٨.

**أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ، هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِي وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهود»[1].

ونلحظ هنا أنَّهم قد فعلوا ما فعلوا، مع إقرارهم بصواب رأي فاطمة الزَّهراء عليها السلام، لكنَّهم استندوا إلى أنَّ هذا الأمر هو ما اتَّفق عليه المسلمين، وأنَّ القرار قطعيّ ونهائيّ، وفي ذلك تأمُّل كبير، فكيف يكون لإجماع المسلمين- لو صحَّ أنَّ هناك إجماع- على أن يتقدَّم على مصدر التشريع الأساس، وهو القران الكريم؟!.

وبعد ذلك «التَفَتَتْ فاطمة عليها السلام وَقالَتْ: **مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2] كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلًا، وَغِبَّهُ وَبيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبون، وَ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3]»**[4].

وهنا وصلت عليها السلام إلى خاتمة المطاف في خطبتها، فقد علمت أنَّ القوم ماضون في أمرهم دون الالتفات إلى الحجج والأدلَّة والبراهين، فبرزت في خاتمة الخطبة الجوانب الآتية:

١. أعلنت عليها السلام النتيجة النهائيَّة في تقييمها لمن حضر بأنَّهم مسرعين إلى الباطل، ومتغاضين عن قول الحقِّ.
٢. صرَّحت بأنَّهم لا يتدبَّرون آيات القرآن الكريم.

(١) ينظر: ؟؟؟؟؟؟.
(٢) محمَّد: ٢٤.
(٣) غافر: ٧٨.
(٤) ينظر: المفيد، مسار الشيعة: ٥٤.

٣. أنبأتهم بأنَّهم سيخسرون الكثير بفعلتهم هذه.

وبعد أن انتهت عليها السلام من سياق الأدلَّة العقليَّة في خطبتها، لجأت إلى الضَّرب على الوتر العاطفيّ لهم، حيث «عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَقالَتْ[1]:

قَـدْ كـان بَـعْـدَكَ أَنْـبـاءٌ وَ هَـنْبَثَـةٌ
لَـوْ كُـنْـتَ شاهِـدَهـا لَمْ تَـكْـبُرِ الخَـطْـبُ
إِنّـا فَـقَـدْنـاكَ فَـقْـدُ الأَرْضِ وابِـلُـهـا
وَاخْـتَـلَّ قَـوِمُـكَ فَـاشْـهَـدْهُـمْ وَقَـدْ نَكِبوا
وَكُـلُّ أَهْـلٍ لَـهُ قُـرْبـى وَمَـنْـزِلَـةٌ
عِـنْـدَ الإِلـهِ عَـلَى الأَدْنَـيْـنِ مُـقْـتَـرِبُ
أَبْـدَتْ رِجـالٌ لَـنا نَـجْـوى صُـدورِهِـم
لَـمَّا مَـضَـيْـتَ وَحـالَـتْ دونَـكَ الـتُّـرَبُ
تَجَـهَّـمَـتْـنـا رِجـالٌ واسْـتُـخـفَّ بِـنـا
لَـمَّا فُـقِـدْتَ وَكُـلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكُـنْـتَ بَـدْرًا وَنُـورًا يُـسْـتَـضـاءُ بِـهِ
عَـلَـيْـكَ تُـنْـزَلُ مِـنْ ذي الـعِـزَّةِ الكُتُبِ
وَكـانَ جِـبْـريـلُ بِـالآيـاتِ يونِسُـنـا
فَـقَـدْ فُـقِـدْتَ فَـكُـلُّ الخَـيْرِ مُحْتَجِـبٌ
فَـلَـيْـتَ قَـبْـلَـكَ كـانَ المَـوْتُ صادَفَـنـا
لِـما مَـضَـيْـتَ وَحـالَـتْ دونَـكَ الكُتُبُ
إِنّـا رُزِئْـنـا بِـما لَمْ يُـرْزَ ذُو شَـجَـنٍ
مِـنَ الـبَـرِيَّـةِ لا عُـجْـمٌ وَلا عَـرَبُ»

(١) ينظر: المفيد، مسار الشيعة: ٥٤.

وفي ذلك تحريك لمشاعر المسلمين وعواطفهم، باستخدامها عليها السلام أسلوب الشعر الذي تضمَّن الجوانب الآتية:

١. شَكَت عليها السلام حالها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من ظلم القوم لها.

٢. أوضحت عليها السلام منزلة أهل البيت عليهم السلام السامية، وكيف تمَّ التجاوز على حقوقهم.

٣. ذكَّرت عليها السلام المسلمين أنَّهم لم يحفظوا الرسول في ذريَّته من خلال ما فعلوا.

٤. تمنَّت عليها السلام الموت على الحياة في ظلِّ هذه الظروف القاسية.

وبعد ذلك جاء دور خطبتها عليها السلام مع الإمام عليّ عليه السلام، وهو خطبة لم يكن بين زوجة وزوجها، إنَّما كان خطبًا قائمًا على من كُلِّفوا بحفظ مقام الإسلام وديمومته، إذ: «انْكَفَأَتْ عليها السلام، وأميرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَتَوَقَّعُ رُجُوعَها إليْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدَّارُ قالتْ لأميرِ الْمُؤمنينَ عليه السلام: **يا ابْنَ أَبِي طالِب! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدِلِ، فَخانَكَ ريشُ الأَعْزَلِ؛ هذا ابْنُ أبي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِي نُحَيْلَةَ أبي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصامِي، وَالفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَةُ نَصْرَها، وَالْمُهاجِرَةُ وَصْلَها، وَغَضَّتِ الجَماعَةُ دُونِي طَرْفَها؛ فَلا دافِعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، اِفْتَرَسْتَ الذِّئابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرابَ، ما كَفَفْتُ قائِلًا، وَلا أَغْنَيْتُ باطِلًا، وَلا خِيارَ لِي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هَنِيَّتِي وَدُونَ زَلَّتِي [ذِلَّتِي]، عَذيريَ اللهُ مِنْكَ عادِيًا وَمِنْكَ حامِيًا. وَيْلايَ فِي كُلِّ شارِقٍ، ماتَ الْعَمَدُ، وَوَهَتِ الْعَضُدُ. شَكْوايَ إلى أبي، وَعَدْوايَ إلى رَبِّي. اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلًا، وَأَحَدُّ بَأْسًا وَتَنْكِيلا**»[1].

وهنا عاتبت عليها السلام الامام عليّ عليه السلام بمرارة على عدم قيامه بالدفاع والتصدِّي لمن هضم حقَّها وأخذ نحلتها، فأجابها الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «**لا وَيْلَ عَلَيْكِ، الْوَيْلُ لِشانِئِكِ،**

(١) ينظر: المفيد، مسار الشيعة: ٥٤.

نَهْنِهِي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُوري، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفِيلُكِ مَأْمُونٌ، وَما أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ»[1]

ونلحظ هنا أنَّ الإمام عليّ عليه السلام دافع في أنَّه لم يهن ولم ينكل، لكنَّه مؤمن بقضاء الله وقدره، وأنَّه قرأ الساحة جيِّدًا فوجد أن الاستمرار بالمطالبة يوهن الإسلام، ويكالب الأعداء عليه، لذا طلب منها احتساب ذلك عند الله تعالى، فقالت عليها السلام: «**حَسْبِيَ اللهُ**»، وَأَمْسَكَتْ[2]، وفي ذلك أعلى درجات الطاعة لقول إمامها قبل أن يكون زوجها.

وعلى الرغم من كلِّ هذا الصدود من المسلمين، وانتهاء الخطبة معهم، فقد لجأت عليها السلام إلى نوع آخر من الخطبة، هو ما نسمِّيه بالخطبة الفعليَّة دون القوليَّة، وذلك من خلال دوامها في بكائها عليها السلام ليل نهار في فراق رسول الله صلى الله عليه وآله[3]، وكان قصدها من ذلك أنَّها قد هُضم حقُّها، ولم تُحفَظ مكانتها بين المسلمين.

ومن صور الخطب الأخرى لفاطمة الزَّهراء عليها السلام مع المسلمين، ما ورد في خطبتها عليها السلام بنساء المهاجرين والأنصار، فـ«لـمَّا مرضت فاطمة الزَّهراء عليها السلام المرضة التي توفِّيت فيها، واشتدَّت علَّتها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليَعِدنَها، فسلَّمنَّ عليها، وقلن: كيف أصبحت من علَّتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله تعالى وصلَّت على أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، ثمَّ قالت: «**أصبحتُ والله عائفة لدنياكنَّ، قالية لرجالكنَّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحًا لفلول الحدِّ، واللعب بعد الجدِّ، وقرع الصفاة، وصدع القناة، وخطل الآراء، وزلل الأهواء، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[4]، لا جرم والله، لقد**

(١) المفيد، مسار الشيعة: ٥٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه: ٤٠.
(٤) المائدة: ٨٠.

قلَّدتهم ربقتها، وحمَّلتهم أوقتها، وشننت عليهم غارتها، فجدعًا وعقرًا وبُعدًا للقوم الظالمين»[1].

ونلحظ هنا أنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد أن أعرضت عن رجال المسلمين، فتحت خطبًا آخرًا مع نساءهم، وأوضحت لهنَّ خطورة ما ارتكبه رجالهنَّ من منعها عليها السلام لحقِّها ونِحلتها، وفي ذلك أسلوب جديد وهادف في الخطبة، تضمَّن فتح قناة لوم وتقريع لهم في كلِّ بيت من بيوتهم، من خلال ما ستتناقله النساء إلى رجالهنَّ من لومها عليها السلام، وتقريعها لهم.

ثمَّ انتقلت (سلام الله عليها) إلى موضوع آخر، هو موضوع الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوضحت كيف أنَّ المسلمين حادوا عمَّا أقرَّه نبيَّهم من أمر البيعة للإمام عليّ عليه السلام في غدير خم، بقولها لهنَّ: «**ويحهم أنَّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوَّة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطَّبين بأمور الدنيا والدين؟ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا منه والله نكير سيفه، وقلَّة مبالاته بحتفه، وشدَّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمُّره في ذات الله عزَّ وجلَّ. وتالله لو تكافَّوا عن زمامٍ نبذه إليه رسول الله لاعتقله، ثمَّ لسار بهم سيرًا سُجحًا، لا يُكلم خشاشه، ولا يكلُّ سائره، ولا يملُّ راكبه، ولَأوردهم منهلًا نميرًا صافيًا رويًّا فضفاضًا، تطفح ضفتاه، ولا يترنَّق جانباه، ولَأصدرهم بطانًا، ونصح لهم سرًّا وإعلانًا، ولم يكن يتحلَّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ريِّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[2]، **ألا هلمَّ فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجبًا، وإن تعجب فعجب قولهم، ليت شعري إلى أيِّ لَجأ لجأوا، وإلى أيِّ سنادٍ استندوا، وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا، وبأيِّ عروةٍ تمسَّكوا، وعلى أيِّ ذريَّة**

(١) ينظر: ابن شهر آشوب المازندرانيّ: ٣/ ٣٤١، مؤسَّسة انتشارات علامة، قم، ١٣٧٩ق.
(٢) الأعراف: ٩٦.

قدَّموا واحتنكوا، ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾[1]، وبئس للظالمين بدلًا، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغمًا لمعاطس قومٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2]، ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3]»

ونلحظ هنا بلاغة عالية في خطبتها عليها السلام، مع تضمين الكلام آيات من القرآن الكريم، وقد استخدمت في خطبتها مع النساء الأسلوب غير المباشر، فيقينًا كان المستهدَف بالحديث ليس النساء؛ لأن لا مسؤولية لهنَّ فيما حدث، بل هو لإيصال رسالة إضافيَّة إلى القوم بأنَّهم قد أخطأوا فيما فعلوه في منع الزَّهراء عليها السلام من ميراثها، ومنع الإمام عليه السلام من تسنُّم موقع الخلافة الإسلاميَّة، وكلُّ هذا جرى بحجج لا مبرِّر لها.

ثمَّ ختمت عليها السلام حديثها معهنَّ بقولها: «**ويحهم ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4]، أمَا لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثمَّ احتلبوا ملء القَعب دمًا عبيطًا، وذعافًا مبيدًا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسَّس الأوَّلون، ثمَّ طيبوا عن دنياكم نفسًا، واطمئنُّوا للفتنة جأشًا، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج دائم شاملٍ، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيأكم زهيدًا، وجمعكم حصيدًا فيا حسرتى لكم، وأنَّى بكم وقد عميت عليكم؟[5] ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾**»[6].

وهنا تحقَّق ما أرادته عليها السلام من خطبتها مع نساء المهاجرين والأنصار، فقد نقلت النساء هذا الحديث إلى أزواجهنَّ، إذ يذكر سويد بن غفلة: «فأعادت النساء قولها على رجالهنَّ، فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيِّدة النساء،

(١) الحج: ١٣.
(٢) الكهف: ١٠٤.
(٣) البقرة: ١٢.
(٤) يونس: ٣٥.
(٥) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١١-٢١٣.
(٦) هود: ٢٨.

لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرَم العهد ويُحكَم العقد، لما عدلنا إلى غيره»[1].

وهنا ردَّ المسلمون عليها بحجَّة أخرى، هي أنَّ الأمر قد خرج من أيديهم بعد أن تمَّت البيعة، بل حاولوا إلقاء اللوم على الإمام عليّ عليه السلام في أنَّه لم يطالب بحقِّه وتهاون فيه، وهنا جاء ردُّها عليها السلام النهائيّ عليهم، بعد أن علمت أنَّ القوم مصرِّين على ما فعلوا، وأنَّه لن يثنيهم عمَّا أرادوا شيء، سواء كان حجَّة منطقيَّة أو آيات قرآنيَّة أو حديث نبويّ، لذا ختمت خطبتها بقولها: «**إليكم عنِّي، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم**»[2].

(١) ينظر: دلائل الإمامة، الطبريّ: ٨١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

الخاتمة

بعد إكمال البحث، يمكن استخلاص أبرز الأفكار الموجودة فيه، وهي:

١. لم نجد نصوصًا كثيرةً لخطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع الكفَّار والمشركين في مكَّة، وربَّما يعود ذلك إلى صغر سنِّها، واكتفائها بوالدها رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، وتكليفها الشرعيّ بوجوب التحجُّب عن الرجال ومحافلهم العامَّة.

٢. كانت عليها السلام ومنذ بدايات حياتها المبكِّرة، في موضع مواجهة وتفاعل مع الكفَّار والمشركين، وكان هذا الخطبة أمَّا قولي- على قلَّته- أو فعليّ.

٣. وصلت عليها السلام في خطبتها مع المشركين إلى أقصى حدٍّ، وذلك بعد اعراضهم الكامل عن الأدلَّة والبراهين المقنعة للدين الإسلاميّ، ممَّا أدَّى إلى دعائها عليهم بالهلاك.

٤. تمثِّل خطبتها عليها السلام مع المنافقين في المدينة المنورة بالفعل دون القول، وذلك عندما لزمت صف المسلمين في غزوة أحد وحجَّة الوداع.

٥. تمثِّل خطبتها عليها السلام مع المسلمين بأنَّه مثل الشقِّ الأكبر من خطبتها مع الآخرين، ويعود ذلك إلى جملة أسباب، أبرزها غياب رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله بعد وفاته، وتكليفها الشرعيّ الذي أوجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرصها على الخلافة الحقيقيَّة للنبيّ.

٦. كان من أبرز مواقف الخطبة مع المسلمين هو خطبتها في المسجد النبويّ بعد وفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله.

٧. استخدمت عليها السلام أسلوب الاستشهاد بالقرآن الكريم عند خطبتها مع المسلمين؛ لأنَّه أصل التشريع، وكلُّ المصادر الأخرى تعود إليه.

٨. كان من مواقف الخطبة مع المسلمين ما اختصَّت به نساء المهاجرين والأنصار عندما زرنَها في مرضها الذي توفِّيت به.

٩. استخدمت عليها السلام - بعد عدم اقتناع المسلمين بآرائها- عندما حاورتهم في أمر فدك، الأسلوب الفعليّ في الخطبة، متمثِّلا بانصرافها للحزن الشديد على فَقدِ أبيها، والذي أرادت به أن تُشعِر المسلمين أنَّ الرسول لم يفارقهم جسدًا فقط، بل فارقهم منهجًا وسيرةً وعملًا، والثاني إعراضها عنهم، وعدم اللقاء بهم، وهذا يمثِّل أقصى درجات التقاطع بين المتحاورين.

روايات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام سنة ٢هـ/ ٦٢٤م
دراسة تحليليَّة

م.د. أمين فرج غالي
مديريَّة تربية ذي قار

ملخَّص البحث

لقد حظيت السيِّدة فاطمة عليها السلام بمكانة ومناقب وكرامات عظيمة في الإسلام، فهي سيِّدة نساء العالمين، وابنة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وقد جعلها الله تعالى بأعلى المراتب في الحياة الدنيا، ولعلَّ أبرز هذه الكرامات والمراتب زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت خير زوجة لخير إنسان في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تناولت المصادر التاريخيَّة هذه المناسبة العظيمة، إذ تحدَّثت عمَّا جرى من أحداث زواجها عليها السلام، لكن تلك المصادر قد أوردت روايات مختلفة عن زواج الزَّهراء عليها السلام، ممَّا يستدعي الوقوف حول بعضها؛ لدراستها وتحليلها بشكلٍ مفصَّلٍ، ولهذا انصبَّ جلُّ اهتمامنا على دراسة (روايات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام سنة (٢هـ/ ٦٢٤م) دراسة تحليليَّة)، فتناولنا في هذا البحث نُخَب معيَّنة من روايات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، حتَّى قُسِّمَت تلك النُّخَب من الروايات إلى أربعة محاور، ركَّزنا في المحور الأوَّل على ما ذكرته المصادر من أخبار عن فكرة الزواج، وما تضمَّنته من أخبار مختلفة أشارت فيها إلى دَور الصحابة من المهاجرين والأنصار في طرح فكرة الزواج على أمير المؤمنين عليه السلام، ونُوقِشَت تلك الروايات بشكلٍ مفصَّل للتحقُّق من واقعيَّتها.

وتناول المحور الثاني ما طرحته المصادر من أخبار مختلفة عن القيمة الماديَّة للمهر الذي قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام للزواج من السيِّدة فاطمة عليها السلام.

فيما بحث المحور الثالث مراسيم الزواج الذي تمَّ، وما حدث خلال تلك المراسيم من احتفالات ذكرتها المصادر، لكنَّها تتعارض في بعضها مع القيم الإسلاميَّة، فنوقِشت تلك الأخبار بشكلٍ تحليليّ؛ للتثبُّت من دقَّتها.

أمَّا المحور الرابع فقد استعرضنا فيه ما ذكرته بعض المصادر من أخبار غير دقيقة عن موقف السيِّدة فاطمة الرافض للزواج، بحجَّة فقر الحالة الماديَّة لأمير المؤمنين عليه السلام، وبينَّا عدم دقَّة تلك الأخبار المغرضة، وبهذا يمكن القول إنَّ جلَّ ما استعرضنا من تلك الروايات المنتَخَبة في هذا البحث عن زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام تفتقر إلى الدقَّة، وبحاجة إلى مراجعتها، والوقوف عندها؛ للتحقُّق من الغرض من إيرادها بهذا الشكل.

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين الذين أناروا لنا طريق الهداية الإلهيَّة.

أمَّا بعد، لقد ذكر لنا التاريخ أخبارًا مهمَّة عن حياة العظماء الذين عاشوا في زمن الدولة العربيَّة الإسلاميَّة خلال العصر النبويّ الشريف، ومن أهمِّ هذه الشخصيَّات سيِّدتنا ومولاتنا فاطمة الزَّهراء عليها السلام التي مثَّلت حياتها نقطة مضيئة في تاريخ الإسلام، فهي سليلة البيت النبويّ، وزوجة أمير المؤمنين عليه السلام، ووالدة الأئمَّة الأطهار الحسن والحسين عليهما السلام، ومثل شخصيَّة مهمَّة كالزَّهراء عليها السلام، فإنَّ التاريخ قد ذكر أخبارًا مهمَّة عن حياتها ودورها في الإسلام، ومن أبرز تلك المحطَّات التي ذكرها التاريخ أخبار زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، إذ تنوَّعت الروايات التي تناولت قصَّة زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، وأخبار ذلك الـزواج، فتحدَّثت عن أمور مهمَّة تخصُّ تفاصيل زواج الزَّهراء عليها السلام، يستبعد صحَّتها بكونها لم تتوافق مع أخلاق السيِّدة فاطمة عليها السلام، ولهذا السبب، انبرى الباحث إلى الخوض في تفاصيل ما جرى في بعض هذه الأخبار، ودراستها دراسة تحليليَّة، لعلَّ الله تعالى أن يجعلنا، ولو بشيء يسير، من المدافعين عن مظلوميَّة السيِّدة فاطمة عليها السلام.

سلَّطنا الضوء في هذا البحث على نُخب معيَّنة من الروايات التي تناولت زواج السيِّدة فاطمة من أمير المؤمنين عليه السلام فجاء البحث بعنوان (روايـات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام سنة ٢هـ/ ٦٢٤م دراسة تحليليَّة)، قُسِّمت الدراسة على أربعة محاور، تناول

المحور الأوَّل فكرة الزواج، ثمَّ تطرَّق المحور الثاني إلى مهر زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، فيما تحدَّث المحور الثالث على أحداث زفاف السيِّدة فاطمة عليها السلام، وأخيرًا تناول المحور الرابع موقف السيِّدة فاطمة عليها السلام من الزواج، ويهتمُّ البحث بدراسة وتسليط الضوء على بعض ما جاء من اختلاف في الروايات الخاصَّة بالزواج، والبحث في أسباب ودوافع اختلاف الروايات الخاصَّة في زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، فضلًا عن أمور أخرى نسلِّط الضوء عليها في مضامين البحث، وقد اعتمد الباحث على بعض المصادر والمراجع المهمَّة، التي شكَّلت رافدًا أساسيًّا في الدراسة، وأهمُّ تلك المصادر كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، أمَّا المراجع المعتمدة في الدراسة، فأهمُّها كتاب بحار الأنوار لمحمَّد باقر المجلسيّ.

المحور الأوَّل

فكرة الزواج

لقد ذكرت بعض المصادر التي تناولت مسألة زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام روايات متنوِّعة، بيَّنت أنَّ هناك من أشار على أمير المؤمنين عليه السلام بعض الاقتراحات من أن يتقدَّم لخطبتها، فمنها ما أشارت إلى أنَّ أبا بكر وعمر هما من أشارا على أمير المؤمنين عليه السلام أن يتقدَّم لخطبة السيِّدة فاطمة عليها السلام، فخشي أمير المؤمنين عليه السلام من رفض النبيّ صلى الله عليه وآله له، فذهب وطلب من النبيّ صلى الله عليه وآله أن يزوِّجه من فاطمة عليها السلام، فوافق على أن يزوِّجه منها[1]، وهناك رواية أخرى أشارت إلى أنَّ أبا بكر هو من أقنع النبيّ صلى الله عليه وآله بأن يزوِّج فاطمة لأمير المؤمنين عليه السلام، بعد أن بيَّن له النبيّ صلى الله عليه وآله توجُّسه من ميوعة الشباب وصغر السنِّ لأمير المؤمنين عليه السلام، فأقنعه أبو بكر أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سوف يكون تحت رعايته (أي النبيّ)، وبذلك وافق النبيّ صلى الله عليه وآله على هذا الاقتراح، فتمَّت الموافقة على الزواج[2].

وفي رواية أخرى أنَّ سعد بن معاذ[3] (ت ٥هـ/ ٦٢٧م)، قد أشار على أمير

(١) الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظَين الجليلَين العراقيّ وابن حجر، ط١ (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٨هـ): ٩/ ٢٠٦.

(٢) ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمَّد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط١ (دار إحياء الكتب العربيَّة، بيروت، ١٣٧٨هـ): ١٠/ ٢٧٦، القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، شرح وتعليق: محمَّد حسين شمس الدين (دار الكتب العلميَّة، بيروت): ١/ ٢٨٧.

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ زعيم الأوس في المدينة المنوَّرة، أسلم على يد مصعب بن=

المؤمنين عليه السلام أن يتقدَّم لخطبة فاطمة عليها السلام من النبيّ، فبيَّن له أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه يخشى الرفض بكونه فقير الحال لا يملك شيئًا ليتقدَّم لخطبتها، فأوضح له سعد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لن يردَّ طلبه إن تقدَّم لخطبتها، فسأله أمير المؤمنين عليه السلام عن كيفيَّة خطبتها وما يقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله، فأجابه بأن يقول للنبيّ صلى الله عليه وآله: «جئت خاطبًا إلى الله وإلى رسوله فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله مرحبا كلمة ضعيفة. ثمَّ رجع إلى سعد فقال له: قد فعلت الذي أمرتني به فلم يزد على أن رحَّب بي كلمة ضعيفة، فقال سعد: أنكحك والذي بعثه بالحقِّ، إنَّه لا خلف ولا كذب عنده..»[1].

وهناك رواية أخرى بيَّنت أنَّ بعض الأنصار أشاروا على أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله أن يتقدَّم لخطبة فاطمة عليها السلام من النبيّ صلى الله عليه وآله، فذهب وكلَّم رسول الله طالبًا يد ابنته، فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله قائلًا: «مرحبًا وأهلًا»، فرجع لهم وأخبرهم بما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله، مبيِّنًا لهم ضبابيَّة قرار النبيّ صلى الله عليه وآله، فأعلموه أنَّ ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله يعني الموافقة على الزواج[2].

وفي رواية أخرى أنَّ هناك مولاة لأمير المؤمنين عليه السلام قد حثَّته على التقدُّم لخطبة فاطمة عليها السلام، فتردَّد في ذلك خوفًا من رفضه لفقره، فألحَّت عليه أن يذهب للنبيّ صلى الله عليه وآله ويطلب يدها، فذهب وخطب الزَّهراء من رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى وافق على طلبه[3].

=عمير عندما أرسله النبيّ للمدينة لنشر الإسلام وتعاليمه، شارك في بعض غزوات النبيّ كبدر وأُحد والخندق، وساهم في حصار يهود بنو قريظة، الذي حكم فيهم بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله، وتوفِّي سنة (٥هـ/ ٦٢٧هـ) على إثر سهم أُصيب به من مشركي قريش خلال غزوة الخندق. انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (نشر دار الكتاب العربيّ، بيروت): ٢/ ٢٩٦.

(١) الطبرانيّ، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢ (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت): ٢٤/ ١٣٣، الهيثميّ، مجمع الزائد: ٩/ ٢٠٧.

(٢) ابن سعد، محمَّد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥ م) الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت): ٨/ ٢١، النسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، السنن الكبرى، ط١ (دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م): ٦/ ٧٣.

(٣) الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)، كشف الغمَّة في=

يبدو من خلال تلك الروايات التي ذكرت أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد تقدَّم لخطبة الزَّهراء عليها السلام بمشورة من قبل بعض الصحابة، وهذا ممَّا يدعو إلى طرح تساؤلات مهمَّة لمناقشة ما جاء في هذه الروايات من أخبار، ومنها أنَّ هذه الروايات قد أشارت إلى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان غير متأكِّد من موافقة النبيّ صلى الله عليه وآله على زواجه، لذلك تردَّد في التقدُّم لخطبتها، ممَّا دعا بعض الصحابة إلى حثِّه على الإقدام لطلب يد الزَّهراء عليها السلام، وهم بذلك أصبحوا أشبه بحلقة الوصل بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله، بل إنَّ بعضهم أقنع النبيّ صلى الله عليه وآله أن يزوِّج فاطمة لأمير المؤمنين عليهما السلام، بعد أن كان النبيّ صلى الله عليه وآله متردِّدًا في ذلك، خوفًا من صغر سنِّه، وميوعة الشباب التي يمكن أن تصيبه، وهنا لا يمكن التوافق مع هذا في أيِّ حالٍ من الأحوال، كون النبيّ صلى الله عليه وآله يعرف أمير المؤمنين عليه السلام جيِّدًا من خلال سبقه وفضله على الإسلام، التي لا يمكن لأحد أن يصل ما وصل إليه من مكانة، وهو بذلك كُفؤٌ للسيِّدة فاطمة عليها السلام، ولعلَّ أبرز مصداق لصلابة أمير المؤمنين عليه السلام وشجاعته هو ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله بحقِّه: «**ما قام ولا استقام ديني إلَّا بشيئَين: مال خديجة وسيف عليّ بن أبي طالب**»[1]، فضلًا عن ذلك، فإنَّ تلك الروايات قد أشارت إلى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان متحيِّرًا ولم يعرف ما هو موقف النبيّ من طلبه بالزواج من فاطمة عليها السلام، وهذا ينافي الحقيقة جملةً وتفصيلًا، إذ لم يعرف النبيّ صلى الله عليه وآله حقَّ المعرفة سوى أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ما بيَّنه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلًا: «**يا عليّ ما عرف الله حقَّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حقَّ معرفتك غير الله وغيري**»[2]، وفي حديثٍ آخر قال صلى الله عليه وآله: «**يا علي ما عرف**

=معرفة الأئمة، ط٢ (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م): ١/ ٣٧٤، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، ط١ (مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م): ٣/ ٤١٣.

(١) الحائريّ، الشيخ محمَّد مهدي، شجرة طوبى، ط٥، (منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ): ٢/ ٢٣٣.

(٢) ابن شهر آشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانّي (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، مناقب آل أبي=

الله إلَّا أنا وأنت، وما عرفني إلَّا الله وأنت، وما عرفك إلَّا الله وأنا»[1]، وأيضًا أشارت تلك الروايات إلى أنَّ أحد أسباب تردُّد أمير المؤمنين عليه السلام في التقدُّم لخطبة فاطمة عليها السلام، كان بسبب الحالة الماديَّة، وهذا يُستبعَد أيضًا كون النبيّ صلى الله عليه وآله أسمى من أن يقيس مكانة الشخص بحسب حالته الماديَّة.

وبعد أن بيَّنا أبرز التساؤلات التي طُرِحت على تلك الروايات، يمكن القول إنَّ السبب في إيرادها كان لعدَّة دوافع، منها:

١. التغطية على الفشل الذي حصل لبعض الصحابة الذين تقدَّموا لخطبة فاطمة عليها السلام، فجوبه طلبهم بالرفض من قِبل النبيّ صلى الله عليه وآله مبيِّنًا لهم أنَّ أمر زواجها ليس بيده، وإنَّما بأمر الله تعالى[2].

٢. دافع الحسد الذي انتاب بعض المسلمين، لما في زواج الزَّهراء من أمير المؤمنين عليه السلام من كرامة إلهيَّة عظيمة، كونه كان بتوفيقٍ وتسديدٍ إلهيّ، فيطمح كلُّ شخص إلى أن يصل لهذه المرتبة العظيمة المتمثِّلة بأنَّ زواجهما قد تمَّ في السماء أوَّلًا، ثمَّ نزل جبرائيل عليه السلام ليُخبر النبيّ بهذا الأمر، وأن يزوِّج ابنته فاطمة من أمير المؤمنين عليهما السلام[3].

وفي نهاية المطاف نستنتج ممَّا ذُكِر أعلاه من روايات وأسباب ورودها بهذا الشكل من الاختلاف، يبدو أنَّ الهدف منها هو إيصال فكرة أنَّ هناك تباعد وبرود في العلاقة

=طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف (المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م): ٣/ ٦٠.

(١) الحِلِّيّ، الحسن بن سليمان (ت ق٩هـ/ ١٥م)، مختصر بصائر الدرجات، ط١ (المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٠م): ١٢٥.

(٢) الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٦.

(٣) القاضي النعمان المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن حيون بن محمَّد التميميّ (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الحسينيّ، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ٣/ ٢٨.

بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين أمير المؤمنين عليه السلام، ممَّا دعا بعض الصحابة أن يتدخَّلوا في بعض المواقف المهمَّة كزواج أمير المؤمنين من الزَّهراء عليها السلام، وهذا يأتي من باب صناعة الفضائل المزعومة لهؤلاء.

المحور الثاني

مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام

إنَّ المتعارَف عليه في الإسلام، عندما يتقدَّم شخص لخطبة امرأة، عليه أن يقدِّم المهر كشرطٍ أو حقٍّ من حقوق المرأة قبل الزواج منها، وفي محض حديثنا عن زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام، فإنَّ هناك روايات عدَّة تحدَّثت عن مهرها، وعن القيمة الماديَّة لهذا المهر، فمنها ما أشارت إلى أنَّ مهرها كان ثمن درع أمير المؤمنين عليه السلام (الحطميَّة)[1] الذي باعه لكي يقدِّم بثمنه مهرًا لفاطمة عليها السلام، ففي رواية بيَّنت أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد باع درعه بأربع مائة وثمانين درهمًا، فأعطاه مهرًا لفاطمة عليها السلام [2]، وقد ذكرت رواية أخرى أنَّ مهر الزَّهراء عليها السلام أربع مائة وثمانين درهمًا، أو أربع مائة مثقال من الفضَّة، قد دفعها لها أمير المؤمنين عليه السلام عندما باع بعير له، وبعض من المتاع[3].

إنَّ أهمَّ ما يلاحَظ على بعض الروايات التي تناولت مهر فاطمة عليها السلام أنَّها جاءت، في بعضٍ منها، وفيها نوع من الاتِّفاق على القدر المعيَّن للمهر، وهو أربعمائة وثمانون درهمًا

(١) الحطميَّة: ومصدرها حطم أي تُحطَّم عندها الأشياء، وهي درع تحطِّم الحديد، كالسيوف وغيرها، وقيل تُنسَب إلى رجل كان يعملها من بني عبد القيس، يقال له حطمة بن محارب، وتُطلق على درع أمير المؤمنين عليه السلام الذي باعه وأعطى ثمنه مهرًا لزواجه من السيِّدة فاطمة عليها السلام. انظر: ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب (نشر أدب الحوزة، قم/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م): ١٢/ ١٤٠.

(٢) أبو يعلى الموصلِّيّ، الإمام أحمد بن عليّ بن المثنَّى التميميّ (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد (دار المأمون للتراث، دمشق): ١/ ٢٩٠-٢٩١.

(٣) البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد حميد الله (دار المعارف، مصر/ ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م): ١/ ٤٠٢.

لكنَّها اختلفت في الحاجات التي باعها أمير المؤمنين عليه السلام ليقدِّم ثمنها مهرًا لفاطمة عليها السلام، فقيل إنَّه قد باع درعه، وقيل إنَّه قد باع بعيرًا له، فكان الثمن أربعمائة وثمانون درهمًا، لكن هنا يمكن أن يتساءل البعض عن وجه المصادفة في القيمة الماديَّة للحاجات التي باعها أمير المؤمنين عليه السلام، فهل كان سعر الدرع مساويًا لسعر البعير، وعند البحث عن القيم الماديَّة لتلك الحاجات، يتبيَّن أنَّها أقلّ سعرًا ممَّا ذكرته الروايات سابقة الذِّكر، فقيل إنَّ يهوديًّا قد ادَّعى أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله اشترى منه ناقة بمبلغ قدره سبعون درهمًا دَينًا لمدَّة، وادَّعى أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يوفه دينه، فكذَّبه النبيّ صلى الله عليه وآله وبيَّن أنَّه قد أوفى له دَين ناقته[1]، وهنا يُستشفُّ من هذه الرواية أنَّ سعر الناقة كان آنذاك في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله حوالي سبعين درهمًا، وهو يعارض ما جاء في مرويَّات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام من أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد باع ناقته بأربعمائة وثمانون درهمًا، وأمَّا قيمة الدرع، وهي الرواية المشهورة في مهر فاطمة عليها السلام، فإنَّنا لم نعثر على قيم محدَّدة لأسعار الدروع في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، لكن من الخلال المتابعة لما ذُكِر من تفاصيل تجهيزات زواج فاطمة عليها السلام، يُعتقَد أنَّ سعر الدرع يقارب السبعين درهمًا أو اكثر بقليل، بدليل أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أعطى لأبو بكر قبضة من الدراهم كانت حوالي ثلاث وستون درهمًا قد اشترى فيها تجهيزات الزواج من فراش وعباءة ووسادة، وغيرها من المستلزمات البسيطة[2]، وبقيت حوالي عشرة دراهم أودعها النبيّ صلى الله عليه وآله عند

(١) الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الأماليّ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة في مؤسَّسة البعثة، ط١ (مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ١٦٢، الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسين (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢ (مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ٢٧/ ٢٧٤.

(٢) الموفَّق الخوارزميّ، أبو المؤيَّد بن أحمد المكِّيّ (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، المناقب، تحقيق: مالك المحموديّ، مؤسَّسة سيِّد الشهداء، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م): ٣٤٩.

زوجته أم سلمة (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م)[١]، وقبيل يوم الزواج أخذ تلك الدراهم وأعطاهنَّ لأمير المؤمنين ليشتري الطعام لإقامة الوليمة يوم الزواج[٢]. ومن هنا يمكن القول إنَّ مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام يقارب السبعين درهمًا، أو أقلَّ من ذلك، فضلًا عن أنَّ هناك روايات ذكرت مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام، مبيِّنة أنَّ مهرها كان ثمن الدرع، ولم تصرِّح بثمن الردع مكتفية ومبيِّنة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد باع درعه وأعطى ثمنه من الدراهم للنبيّ صلى الله عليه وآله، فأخذ النبيّ الدراهم وأمر بعض الصحابة بشراء بعض الحاجات الضروريَّة للزواج[٣]، وبعضها ذَكرت قيمة الدرع، إذ قيل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنَّ ثمن درع أمير المؤمنين كان ثلاثون درهمًا[٤].

ومن خلال ما اطَّلعت عليه من دراسة لمرويَّات مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام، يتبيَّن أنَّ ما ذكرته بعض الروايات من قيمة المهر المقدَّر بحوالي أربعمائة وثمانون درهمًا، فإنَّه يبتعد عن الدقَّة بحكم أنَّ أثمان الحاجات التي باعها أمير المؤمنين عليه السلام سواء كانت درعًا أو

(١) أمُّ سلمة: وهي هند بنت أبي أميَّة حذيفة بن عبد الله المخزوميّ، واختُلف في اسمها، فقيل رملة، وقيل هند، أسلمت قبل الهجرة، وكانت متزوِّجة قبل النبيّ من أبي سلمة بن عبد الأسد، هاجرا معًا إلى الحبشة، وبعد وفاته عادت إلى المدينة، وتزوَّجها النبيّ سنة ٢هـ/ ٦٢٤م بعد معركة بدر بأيَّام قليلة، حظيت بمكانة مهمَّة عند النبيّ، ونقلت عنه الحديث، وتوفِّيت سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. انظر: ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، ط١ (دار الجيل، بيروت/ ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م): ٤/ ١٩٢٠.

(٢) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب: ٣٥١.

(٣) الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة لمؤسَّسة البعثة، ط١ (دار الثقافة للطباعة، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م): ٤٠.

(٤) الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، أصول الكافي، تحقيق: عليّ أكبر غفاري، ط٣ (مطبعة حيدريّ، أيران): ٥/ ٣٧٧، الطوسيّ، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسانّ، ط٣ (دار الكتب الإسلاميَّة، طهران): ٧/ ٣٦٤، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمَّد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، المغني، طبعة الأوفست (دار الكتاب العربيّ، بيروت): ٨/ ٥٧.

ناقةً، كما بيَّناها، لا يتجاوز السبعين درهمًا، وهنا ضرب لنا النبيّ صلى الله عليه وآله الكريم أروع صور الإيثار، ودرسًا من دروس القيم والأخلاق، مبيِّنًا أنَّ المرأة لا تقدَّر بثمن مرتفع كمهر لمن يتقدَّم للزواج منها، وإنَّما الدين والأخلاق هي المعايير الصحيحة للشخص المتقدِّم لخطبة امرأة، ما وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وآله: «**أفضل نساء أمَّتي أصبحهنَّ وجهًا وأقلهنَّ مهرًا**»[1].

(١) الكلينيّ، الكافي: ٥/ ٣٢٤، الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تصحيح: عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة): ٣/ ٣٨٦.

المحور الثالث

زفاف السيِّدة فاطمة عليها السلام

بعد أنَّ تمَّت خطبة فاطمة عليها السلام من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام، وتقديمه للمهر، كلَّف النبيّ صلى الله عليه وآله بعض من الصحابة، وبعض من زوجاته؛ لشراء مستلزمات الزواج من ملابس وحاجات ضروريَّة، وبعدها أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يكون الزواج في اليوم الأوَّل من ذي الحجَّة من عام (٢هـ/ ٦٢٤م)، فأمر بعض الصحابة بأعداد وليمة الزواج، وتوزيع الطعام بهذه المناسبة، ثمَّ أمر نساءه مع بعض من نساء بني عبد المطَّلب أن يقمنَ بتجهيز الزَّهراء وبيتها ليوم زفافها، ففعلن ذلك[1].

وأوردت بعض المصادر روايات حول طبيعة ما جرى في زفاف السيِّدة فاطمة عليها السلام، فمنها ذهبت إلى أنَّ النبيّ أركبها ناقته، وأخذ سلمان الفارسيّ يقود الناقة، وخلفها بعض من بني هاشم مُشهِرين سيوفهم، وهم كلٌّ مِن حمزة وعقيل، وعلاوةً على ذلك حضور جبرائيل وميكائيل وبعض من حور العين، وأمر النبيّ أزواجه وبعض بنات بني هاشم بأن يُطلقن الأناشيد والأراجيز، ويحمدن الله تعالى، فأخذت أمُّ سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتي
واشكرنه في كلِّ حالاتِ
واذكرن ما أنعم ربّ العلى
من كشف مكروه وآفاتِ

(١) ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٦-١٢٨.

هـــدانـــا بـــعـــد كـــفـــر وقـــد
أنـعـشـنـا ربُّ الـــســـماواتِ
وسرن مـع خـير نـسـاء الـورى
تـــفـــدى بـــعـــمَّات وخـــالاتِ
يـا بـنـت مـن فـضـلـه ذو الـعـلى
بـالـوحـي مـنـه والـرسـالاتِ

ثمَّ قالت عائشة:

يـا نـسـوة اسـترن بـالـمـعـاجـر
واذكـــرن مـا يحسـن في المـحـاضرِ
واذكـــرن ربَّ الـنـاس إذ خـصَّـنـا
بـديـنـه مـع كـلِّ عـبـد شـاكـرِ
فـالـحـمـد لله عـلى أفـضـالـه
والـشـكـر لله الـعـزيـز الـقـادرِ
سرن بهـا فـالله أعـطـى ذكـرهـا
وخـصـهـا مـنـه بـطـهـر طـاهـرِ

وكانت النساء اللاتي حضرن الزفاف يقمن بالترجيع من أوَّل أبيات الأرجوزة، حتَّى وصلت السيِّدة فاطمة عليها السلام دار أمير المؤمنين عليه السلام، فوضع يده في يدها، فدخلا دارهم[1].

وفي رواية أخرى تحدثت عن زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام بان النبي صلى الله عليه وآله قد امر زوجاته بالضرب بالدفوف على رأس فاطمة عليها السلام عندما تم امر زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام ففعلن ذلك[2].

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٩-١٣١، المجلسيّ، محمَّد باقر، بحار الأنوار، ط٢ (مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ٤٣/ ١١٥.

(٢) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب: ٣٨٤، الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ١/ ٣٦٨.

وهناك رواية أخرى تبيِّن أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد سمع ضرب الدفوف في ليلة زفاف السيِّدة فاطمة عليها السلام، فسأل عن ذلك أمّ سلمة، فأجابته أنَّ أسماء بنت عميس[1] تضرب بالدفِّ لكي تُدخل الفرحَ على فاطمة عليها السلام، بحكم أنَّ أمَّها خديجة ماتت، ولم يكن هناك مِن النساء مَن تقوم بهذا الأمر في زفاف فاطمة عليها السلام، فدعا النبيّ صلى الله عليه وآله لأسماء بأن يُدخِل عليها السرور كما افرحت ابنته فاطمة عليها السلام، ثمَّ استوضح منها عمَّا يُقال في ضرب الدفِّ، فأجابته أنَّها لا تعلم، فوجَّهها أن تبتعد عن الكلام الفاحش[2].

من خلال ما تناولته تلك الروايات، فإنَّها تعطي إشارة إلى جواز الضرب بالدفِّ، واستخدام الترجيع في الأفراح، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أقرَّ ضرب الدفِّ عندما سمع أسماء تضرب بالدفِّ في عرس فاطمة عليها السلام، وهذا، بحسب فهمنا للرواية، يمكن أن يكون سنَّة نبويَّة يتَّبعها المسلمين في أفراحهم، فضلًا عن ذلك، فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد نصح أن يكون الكلام الذي يُقال مع ضرب الدفِّ كلام غير فاحش، لكن هذا يتعارض مع ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله من أحاديث شريفة يحذِّر وينهى فيها عن اللهو والعبث بالآلات

(١) أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث الخثعميَّة، صحابيَّة جليلة، هاجرت الهجرتَين، تزوَّجت جعفر بن أبي طالب، وبعده أبو بكر، ثمَّ تزوَّجت الإمام عليّ عليه السلام، والدة عبد الله بن جعفر ومحمَّد ابن أبي بكر، ولها من أمير المؤمنين يحيى وعون، استشهدا في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، تعدُّ من المسلمين الأوائل، إذ أسلمت مع زوجها جعفر قبل دخول النبيّ دار الارقم، روت عن النبيّ، وكانت ملازمة للزَّهراء عليها السلام، وكانت عالمة بتفسير الرؤيا، وتعدُّ أوَّل من صنع النعش في الإسلام، وذلك لما رأته في الحبشة في تجهيز الموتى، وتوفِّيت سنة ٣٨هـ، وقيل سنة ٦٠هـ. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ٢٨٠، الصفديّ، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م): ٩/ ٣٣، ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمَّد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: أحمد عبد الموجود وعليّ محمَّد عوض، ط١ (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ٨/ ١٤.

(٢) القاضي النعمان المغربيّ، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م): ٢/ ٢٠٦.

الداعية للهو، كالضرب بالدفِّ أو الطنبور أو الطبل، وغيرها من الآلات الأخرى، وهذا ما نجده واضحًا في بعضٍ من أحاديثه، ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «تبيت طائفة من أمَّتي على أكلٍ وشربٍ ولهوٍ ولعبٍ، ثمَّ يصبحون قردةً وخنازير، فيبعث على أحياءٍ من أحيائهم ريحٌ فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم، باستحلالهم الخمور وضربهم بالدُّفوف واتِّخاذهم القينات»(١)، وفي قول آخر جاء فيه: «إنَّ الله حرَّم الدفَّ والكوبة والمزامير وما يُلعَب به»(٢)، وفي رواية أخرى أنَّ النبيّ قد نهى عن الضرب بالدفِّ، وأنَّه محرَّم إلَّا في المناسبات الخاصَّة بالزواج للبنت البكر، بشرط ان يكون ذلك بين النساء، ويُشترط أن لا يدخل أي فرد من الرجال(٣)، وهذا من ناحية فقهيَّة، فهناك كراهة لضرب الدفِّ في الاعراس(٤)، فضلاً عن ذلك، فإنَّ ما جاء بالرواية يُعارض هذا الاستثناء الذي أكَّد أنَّ ضرب الدفِّ يكون فقط بين النساء، وما أشارت إليه الرواية أنَّ النساء ضربن الدفَّ في زواج فاطمة عليها السلام حتَّى أُدخِلت في دار زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا تمَّ بحضور الرجال(٥)، على عكس ما اشتُرِط من استثناءٍ لضرب الدفِّ(٦).

أمَّا قضيَّة الترجيع التي ذكرتها الرواية، بأنَّ زوجات النبيّ قد ألقينَ شعرًا، وأخذت النساء ترجِّع بصوت مرتفع لتلك الأناشيد، أو

(١) ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥ م)، مسند أحمد (دار صادر، بيروت): ٥/ ٢٥٩.

(٢) النوريّ، ميرزا حسين الطبرسيّ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ط١ (نشر مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ١٣/ ٢١٨.

(٣) ابن أبي جمهور الأحسائيّ، محمَّد بن عليّ بن إبراهيم (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، عوالي اللئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدينيَّة، تحقيق: آغا مجتبى العراقيّ، ط١ (سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ١/ ٢٦٠.

(٤) الطوسيّ، المبسوط في فقه الإماميَّة، تصحيح وتعليق: محمَّد باقر البهبوديّ (المكتبة الرضويَّة، قم): ٨/ ٢٢٤.

(٥) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب: ٣٨٤، الأربلِّيّ، كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ١/ ٣٦٨.

(٦) ابن أبي جمهور الأحسائيّ، عوالي اللئالي: ١/ ٢٦٠.

الأشعار[1]، فهي مشابهة إلى رواية أخرى أشارت إلى مسألة زواج فاطمة، بأنَّ جبرائيل عليه السلام قد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّ الله تعالى قد زوَّج أمير المؤمنين من فاطمة عليها السلام في الجنَّة، وأشهد الملائكة على ذلك، واحتفلت الحور العين وغنَّت بأصواتٍ عذبة بعض سور القرآن الكريم، كسورة يس، وأقيمت وليمة زواجها في السماء، ففرح أمير المؤمنين عليه السلام بما سمعه من منقبة عظيمة قد خصَّه الله تعالى بها[2]، وهنا حدث تعارض أو خلاف لما جاء به القرآن الكريم عن حرمة الغناء والترجيع في الجنَّة كما جاء في قوله تعالى: ﴿..لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾[3]، أي إنَّ الغناء محرَّم في الجنَّة[4]، فضلًا عن ذلك فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله حرَّم ترجيع القرآن الكريم كترجيع الغناء، وإنَّما يكون ترتيله حسب ما كانت لدى العرب من ألحان صوتيَّة عذبة[5].

يبدو أنَّ الغاية ممَّا ورد من روايات زفاف السيِّدة فاطمة عليها السلام هو إعطاء صورة أو إشارة إلى مشروعيَّة استخدام الغناء والترجيع أو ضرب الدفوف في مناسبات الزواج، وهو ما يعني أنَّه عمل مباح، على عكس ما نهى عنه النبيّ صلى الله عليه وآله من استخدام وسائل اللهو والطرب في أيِّ حالٍ من الأحوال، فهناك روايات أشارت إلى زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام من دون أن تبيِّن استعمال ضرب الدف أو الترجيع وغيرها من أدوات اللهو الأخرى، وهذا ما كان واضحًا في إحدى الروايات التي بيَّنت أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أخذ على عاتقه

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٩-١٣١، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٥.
(٢) فرات الكوفيّ، الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ (ت ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م)، تفسير فرات الكوفيّ، تحقيق: محمَّد الكاظم، ط١ (مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م): ٤١٣-٤١٤.
(٣) سورة الطور: ٢٣.
(٤) القمِّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، تفسير القمِّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣ (مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م): ٢/ ٣٣٢.
(٥) الكلينيّ، الكافي: ٢/ ٦١٤.

زفاف ابنته فاطمة ومعه جبرائيل وميكائيل وعدد كبير من الملائكة، يسبِّحون ويقدِّسون باسم الله تعالى حتَّى طلوع الفجر من ليلة الـزواج[1]، وهذه الرواية تكون أقرب إلى الواقع بحكم أنَّ زواجًا حضرت فيه الملائكة، وبوجود النبيّ صلى الله عليه وآله، من الطبيعيّ أن تسوده أجواء تعبُّديَّة إيمانيَّة، وليست أجواء الطربِ أو اللهو.

(١) الطبريّ، عماد الدين محمَّد بن أبي قاسم (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط١ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م): ٤١٤، الموفَّق الخوارزميّ، المناقب: ٣٤٢.

المبحث الرابع

موقف السيِّدة فاطمة عليها السلام من الزواج

أشارت بعض الروايات إلى موقف السيِّدة فاطمة عليها السلام من زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، مبيِّنة موقفها غير الراضي من هذا الزواج، بحكم ضعف الحال الماديَّة لأمير المؤمنين عليه السلام، فنقلت قولًا عنها، وهي تخاطب أبيها النبيّ صلى الله عليه وآله: «زوَّجتني من عائل لا مال له. فقال لها: أما ترضَين أن يكون الله اطَّلع إلى الأرض فاختار منها رجلَين، جعل أحدهما أباك، والآخر زوجك»[1]، يبدو أنَّ هذه الرواية تفتقر إلى الدقَّة، حيث صوَّرت السيِّدة فاطمة عليها السلام غير راضية عن زواجها من شخص فقير الحال، مبدية عتابها لأبوها صلى الله عليه وآله، لكن ما روي عن حياة الزَّهراء عليها السلام من زُهد وإيثار يكشف زيف ما جاء في هذه الرواية، فهي التي قبلت أن تعيش مع أمير المؤمنين عليه السلام في حال الفقر، وهذا ما افصح عنه أمير المؤمنين عليه السلام قائلًا: «**تزوجت فاطمة بنت محمَّد صلى الله عليه وآله وما لي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها**»[2]، فضلًا عن سيرة حياتها التي عاشتها في البساطة والزُّهد حتَّى وصل بها الحال إلى ظهور آثار العناء وصعوبة المعيشة عليها، وهذا ما بيَّنه أمير المؤمنين عندما

(١) الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١١/ ٧٧، القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم الحنفيّ (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، ط١ (دار الأسوة، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م): ٢/ ٣٢١.

(٢) المتَّقي الهنديّ، علاء الدين عليّ (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)، كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تصحيح: صفوت السقَّا (مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م): ١٣/ ٦٨٢، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤١/ ٤٣.

قال: «**وكانت زوجتي، جرت بالرحا حتَّى أثَّرت الرحا بيدها، واستقت بالقربة حتَّى أثَّرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتَّى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتَّى دنَّست ثيابها، وأصابها من ذلك ضر**»[1]، وحياتها مليئة بالمواقف الإنسانيَّة والأخلاقيَّة التي تمنعها من أن تصدر كلام ضجر أشبه بالعتاب عن فقر الحالة الماديَّة لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

واستمرَّت بعض الروايات التاريخيَّة في كَيل التهم للسيِّدة فاطمة عليها السلام في موقفها من زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه المرَّة الروايات أشارت إلى طبيعة جسم أمير المؤمنين عليه السلام غير الملائم، حسب ما ذكرت إحدى الروايات التي نقلت قول السيِّدة فاطمة عليها السلام لأبيها صلى الله عليه وآله: «زوَّجتنيه أعيمش عظيم البطن. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لقد زوجتكه وإنَّه لأوَّل أصحابي سلمًا وأكثرهم علمًا وأعظمهم حلمًا»[2]. إنَّ ما ورد في الرواية يدلُّ على تنابز من قِبَل السيِّدة فاطمة عليها السلام، وحاشا أن تكون كذلك، إذ نعتت أمير المؤمنين عليه السلام بذي البطن الكبيرة، وهذا بحدِّ ذاته لا يتوافق مع مبادئ الإسلام، إذ أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، فمن خلال هذه الآية المباركة يتَّضح أنَّ الله تعالى قد نهى المسلمين من كلِّ أشكال السخرية والاستهزاء والقول غير الحميد بين الناس[4]، فضلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان غالبًا ما يبيِّن للناس أنَّ كلَّ

(١) أبو نعيم الأصفهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، حلية الأوَّلياء وطبقات الأصفياء، ط١ (بلد الساعدة للنشر، مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م): ٥٤٠.

(٢) الصنعانّي، المصنَّف: ٥/ ٤٩٠، الطبرانيّ، المعجم الكبير: ١/ ٩٤، الهيثميّ، مجمع الزوائد: ٩/ ١٠٢.

(٣) سورة الحجرات: ١١.

(٤) الطوسيّ، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١ (مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م): ٩/ ٣٤٨-٣٤٩.

خلق الله تعالى يكون حسن وجميل[1]، ثمَّ إنَّه يدعو إلى نبذ كلِّ تنابزٍ بالألقاب، كونها أخلاق غير محبَّذة يمقتها الإسلام، وأنَّ الشخص الذي يطعن شخصًا آخر في خلقه، فإنَّه إنَّما ردَّ على عظمة الله تعالى[2]، ومن هنا فإنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام بعيدة كلَّ البعد عن هذه الاتِّهامات التي رويت عنها، ولعلَّ أبرز سبب يدعونا إلى عدم الأخذ بتلك الروايات، هو أنَّ السيِّدة فاطمة عليها السلام معصومة لا يمكن أن تقع في الخطأ مهما يكن من أمر، وبذلك يُستبعَد أن تخرج منها هكذا كلمات تعبِّر عن تذمُّرها من زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام.

ولعلَّ هناك رواية تنسجم مع ما عُرِف عن الزَّهراء من أخلاق نبيلة وتربية نبويَّة لا يصل لدرجتها أي مخلوق، إذ بيَّنت الرواية أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد دخل على ابنته فاطمة عليها السلام في رابع يوم بعد زواجها؛ ليستوضح عن حالها، وسألها عن زوجها، فشكت له ممَّا قالته نساء قريش لها من أنَّ أباها رسول الله صلى الله عليه وآله قد زوَّجها من رجل فقير لا يملك المال، فقال لها صلى الله عليه وآله: «**ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض من الذهب والفضَّة فاخترت ما عند ربي عزَّ وجلَّ. لو تعلمين ما يعلم أبوك لسمجتْ الدنيا في عينك، والله يا بنيَّة ما آلوتك نصحًا أن زوَّجتك أقدمهم سلمًا وأكثرهم علمًا وأعظمهم حلمًا، يا بنيَّة إنَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلع إلى الأرض اطِّلاعة فاختار من أهلها رجلَين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنية نِعمَ الزوج زوجك لا تعصين له أمرًا**»[3].

وهنا يمكن القول أنَّ هذه الرواية تعدُّ أكثر قبولًا من الروايات أعلاه التي ذكرت موقف السيِّدة فاطمة عليها السلام من الزواج، والتي وضَّحت موقفها من الزواج بصورة غير جيِّدة، بحكم أنَّها قد بيَّنت جواب السيِّدة فاطمة عليها السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله بحسن معاملة زوجها

(١) ابن حنبل، مسند أحمد: ٤/ ٣٩٠.

(٢) الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة: ١٢/ ٣٠٠، المجلسيّ، بحار الأنوار: ٧٢/ ١٤٢.

(٣) الموفَّق الخوارزميّ، المناقب: ٣٥٣، العامليّ، السيِّد مرتضى جعفر، الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام، ط١ (ولاء المنتظر عجل الله فرجه، قم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م): ٣/ ٣١-٣٢.

لها، لكنَّها لم تخفِ عن أبيها ما تعرضت له من مضايقة نساء قريش التي اخذن يلومنها لزواجها من رجل فقير، ويفسِّر أنَّ موقف نساء قريش هذا كان بدافع الغيرة من السيِّدة فاطمة؛ لما خصَّها الله تعالى بزوجٍ كُفءٍ لها.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث، تمَّ التوصُّل إلى بعض النتائج المهمَّة، ومنها:

١. ابتعدت بعض الروايات في الدقَّة في إشارتها إلى أنَّ صاحب المشورة على أمير المؤمنين عليه السلام بالزواج من السيِّدة فاطمة عليها السلام هم الصحابة.

٢. حاولت بعض الروايات إشاعة فكرة بأنَّ في زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام تمَّ إباحة بعض الأمور المحرَّمة، كضرب الدفوف والترجيع وغيرها.

٣. أرادت بعض الروايات أن تبيِّن أنَّ مهر السيِّدة فاطمة عليها السلام مرتفع، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد اتَّخذ من هذا المهر سنَّة تجري في مهور زوجاته وربيباته.

٤. حاولت الروايات إبراز موقف السيِّدة فاطمة عليها السلام من الزواج، وتصوِّره بصورة الرفض منها للزواج، بحجَّة ضعف الحالة الماديَّة لأمير المؤمنين عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر الأوَّلية

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة (نشر دار الكتاب العربيّ، بيروت).

الأربلِّيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م).

٢. كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة، ط٢ (دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٣. أنساب الأشراف، تحقيق: محمَّد حميد الله (دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)،

ابن أبي جمهور الأحسائيّ، محمَّد بن عليّ بن إبراهيم (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م).

٤. عوالي اللئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدينيَّة، تحقيق: آغا مجتبى العراقيّ، ط١ (سيِّد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمَّد (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: أحمد عبد الموجود وعلي محمَّد عوض، ط١ (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمَّد (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٦. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط١ (بيروت، دار إحياء الكتب العربيَّة، ١٣٧٨هـ).

الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن بن عليّ بن الحسين (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م).

٧. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢ (مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الحِلِّيّ، الحسن بن سليمان (ت ق٩هـ/ ١٥م).

٨. مختصر بصائر الدرجات، ط١ (المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٩٥٠م).

ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

٩. مسند أحمد (دار صادر، بيروت).

ابن سعد، محمَّد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م).

١٠. الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت).

ابن شهر آشوب، محمَّد بن عليّ المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م).

١١. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف (المكتبة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

الصدوق، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م).

١٢. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة في مؤسَّسة البعثة، ط١ (مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، قم/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٣. من لا يحضره الفقيه، تصحيح: عليّ أكبر الغفاري، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، قم المقدَّسة).

الصفديّ، صلاح الدين خليل أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

١٤. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الطبرانيّ، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

١٥. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، ط٢ (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت).

الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م).

١٦. الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة لمؤسَّسة البعثة، ط١ (دار الثقافة للطباعة، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

١٧. التبيان في تفسير القران، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١ (مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

١٨. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق: السيِّد حسن الموسويّ الخرسان، ط٣ (دار الكتب الإسلاميَّة، طهران).

١٩. المبسوط في فقه الإماميَّة، تصحيح وتعليق: محمَّد باقر البهبوديّ (المكتبة الرضويَّة، قم).

الطبريّ، عماد الدين محمَّد بن أبي قاسم (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م).

٢٠. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيُّوميّ الأصفهانيّ، ط١ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ابن عبد البرِّ، أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٢١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، ط١ (دار الجيل، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م).

فرات الكوفيّ، الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ (ت ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م).

٢٢. تفسير فرات الكوفيّ، تحقيق: محمَّد الكاظم، ط١ (مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

القاضي النعمان المغربيّ، أبو حنيفة النعمان (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م).

٢٣. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، تحقيق: آصف بن عليّ أصغر فيضي (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

٢٤. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، تحقيق: محمَّد الحسينيّ، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمَّد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

٢٥. المغني، طبعة الأوفست (دار الكتاب العربيّ، بيروت).

القلقشنديّ، أحمد بن عليّ (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

٢٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: محمَّد حسين شمس الدين (دار الكتب العلميَّة، بيروت).

القمِّيّ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م).

٢٧. تفسير القمِّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، ط٣ (مؤسَّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٢٨. البداية والنهاية،تحقيق: عليّ شيري، ط١ (مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م).

٢٩. أصول الكافي، تحقيق: عليّ أكبر غفاريّ، ط٣ (مطبعة حيدريّ، إيران).

المتَّقي الهنديّ، علاء الدين عليّ (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م).

٣٠. كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال، تصحيح: صفوت السقَّا (مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن منظور، جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

٣١. لسان العرب (نشر أدب الحوزة، قم/ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

الموفَّق الخوارزميّ، أبو المؤيَّد بن أحمد المكِّيّ (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م).

٣٢. المناقب، تحقيق: مالك المحموديّ، مؤسَّسة سيِّد الشهداء، ط٢ (مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم/ ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م).

النسائيّ، أحمد بن شعيب بن عليّ (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٣٣. السنن الكبرى، ط١ (دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).

أبو نعيم الأصفهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).

٣٤. حلية الأوَّلياء وطبقات الأصفياء، ط١ (بلد الساعدة للنشر، مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

الهيثميّ، نور الدين عليّ بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

٣٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحرير الحافظَين الجليلَين العراقيّ وابن حجر، ط١ (دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٨هـ).

أبو يعلى الموصلِّيّ، الإمام أحمد بن عليّ بن المثنَّى التميميّ (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م).

٣٦. مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد (دار المأمون للتراث، دمشق).

ثانيًا: المراجع الثانويَّة

الحائريّ، الشيخ محمَّد مهدي.

٣٧. شجرة طوبى، ط٥، (منشورات المكتبة الحيدريَّة ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ).

العامليّ، السيِّد مرتضى جعفر.

٣٨. الصحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام ط١ (ولاء المنتظر عجل الله فرجه، قم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

القندوزيّ، سليمان بن إبراهيم الحنفيّ (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م).

٣٩. ينابيع المودَّة لذوي القربى، تحقيق: سيِّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، ط١ (دار الأسوة، قم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

المجلسيّ، محمَّد باقر (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

٤٠. بحار الأنوار، ط٢ (مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

النوريّ، ميرزا حسين الطبرسيّ.

٤١. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، ط١ (مؤسَّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

المحتويات

- (فاطمة أمُّ أبيها) مفردةٌ عفويَّة أم مكانة نبويَّة منهج وصفيّ ٥
  الباحث محمَّد حسن المولى/ العتبة العبَّاسيَّة المقَّدسة
- أثر السيِّدة فاطمة عليها السلام (ت ١١هـ) في التعريف بخلفاء النبيِّ صلى الله عليه وآله ٢٣
  د. عامر سعيد نجم عبد الله/ المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة بابل
- الملكوتيَّة في شخصيَّة الزَّهراء عليها السلام حسب روايات أهل البيت عليهم السلام ٦١
  الباحثة: وسن فوزي منصور/ طالبة علوم دينيَّة/ جامعة الزَّهراء عليها السلام
- أعلميَّة السيِّدة الزَّهراء عليها السلام بعلوم القرآن والسنَّة ٨٧
  الباحث: الميرزا مهدي الربيعيّ
- الخصائص والمناقب الفاطميَّة ١١٩

الباحثة: افتخار عبد الزَّهرة حسين/ طالبة في مدرسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله النسويَّة للعلوم الدينيَّة

محور الدِّراسات الحديثيَّة والفِقهيَّة ١٤٥

- مقدِّمة في المعجم الفاطميّ في المفاهيم المتأصِّلة المُلازمة لذِكْر الزَّهْراء عليها السلام ١٤٧
  د. عبَّاس إسماعيل سيلان
- الصَّلاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي المَوْرُوْثِ الحَدِيْثِي قِرَاءَةٌ فِي المصَادِيْقِ، فَاطِمَةُ الزَّهرَاءُ اخْتِيَارًا ١٧٧
  أ.م.د. مصطفى صالح مهدي/ جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية

- إرث الزّهراء عليها السلام في صحيحَي البخاريّ ومُسلم (دراسة تحليليَّة) ٢٢٧

الشيخ عبد المنعم العبد الله/ أستاذ في جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع سوريا

- الأحاديث الموضوعة في زواج الزّهراء عليها السلام في مصادر مدرسة الصحابة دراسة نقديَّة ٢٥٣

الدكتور الشيخ ميثاق عبّاس الخفاجيّ/ الجامعة الإسلاميَّة في بابل/ قسم الدِّراسات القرآنيَّة واللغويَّة

- صورة السيِّدة الزّهراء عليها السلام في كُتب السُّنن (النسائيّ، الترمذيّ، ابن ماجه، أبي داوود) ٢٨٧

د. مصطفى سالم حازم الكنانيّ/ جامعة البصرة/ كليَّة الآداب/ قسم التاريخ

- فاطمة الزّهراء عليها السلام مجد الرِّسالة الإلهيَّة ٣١٩

د. ريما حسين أمهز/ لبنان/ الجامعة اللُّبنانيَّة/ كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

محور السِّيرة والدِّراسات التَّاريخيَّة ٣٤٥

- المرأة بين المسيحيَّة والإسلام مقاربات في الصورة التاريخيَّة لمريم العذراء وفاطمة البتول عليهما السلام ٣٤٧

أ.م.د. شهيد كريم محمَّد/ مركز تراث الجنوب

- دراسة لكتابِ أخبار فاطمة عليها السلام الضائع لأبي عليّ الصوليّ البصريّ (القرن الرابع الهجريّ) ٤٠٣

أ.د. سلمى عبد الحميد الهاشميّ/ جامعة البصرة/ كليَّة الآداب

- مناقب السيِّدة الزَّهراء في كتاب (ينابيع المودَّة لذوي القربى) لمؤلِّفه سليمان القندوزيّ الحنفيّ ٤٣٧

أ.د. فراس سليم حيَّاوي/ جامعة بابل/ كليَّة التربية الأساسيَّة

أ.د. وفاء كاظم ماضي/ جامعة بابل/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة ٤٣٧

- المدرسة الاستشراقيَّة الفرنسيَّة وسيرة السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام دراسة تحليليَّة نقديَّة في موسوعة الإسلام ٤٧٩

م.د. نزار ناجي محمَّد/ مديريَّة تربية محافظة البصرة

- الدرُّ النضير في قول العليم الخبير بآية التَّطهير السيِّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنموذجًا اجتماعيًّا راقيًا للعظمة والسموِّ ٥٢٧

الأستاذ المتمرِّس الدكتور صالح جبَّار القريشيّ/ جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه

- سيرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في المصادر المعاصرة محمَّد كاظم القزوينيّ أنموذجًا ٥٥٩

م.د. دينا عبد السَّادة رسن المالكيّ

- خُطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام مصدرًا لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٠٣

أ.م.د. أحمد فاضل عجيمي/ جامعة ذي قار/ كليَّة الآثار

- الأبعاد الأخلاقيَّة لخطب السيِّدة الزَّهراء عليها السلام ٦٥٧

أ.د. محمَّد حسين السويطي/ جامعة واسط/ كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

أ.د. حمديَّة صالح الجبوريّ/ جامعة القادسيَّة/ كليَّة التربية

- روايات زواج السيِّدة فاطمة عليها السلام سنة ٢هـ/ ٦٢٤م دراسة تحليليَّة ٦٨٧

م.د. أمين فرج غالي/ مديريَّة تربية ذي قار ٦٨٧

تَمَّ الجزءُ الثَّاني مِنَ البحورِ
ويَليهِ الجزءُ الثَّالثُ
إِنْ شَاءَ اللهُ